الجزء الثانى من الوسيلة الادبية للعلوم العربية

تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفى
مدرس علوم الأدب بدار
العلوم الخديوية
المصرية

٢

(طبعة أولى)
(طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز)
من القاهرة المحروسة
(سنة ١٢٩٢ هجرية)

الجزء الثانى من الوسيلة الادبية للعلوم العربية

تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفى
مدرس علوم الأدب بدار
العلوم الخديوية
المصرية

٢

(طبعة أولى)
(طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز)
من القاهرة المحروسة
(سنة ١٢٩٢ هجرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المقصد الثالث فى فنون البلاغة)

اعلم أن هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الاشارة اليه انما تحصلت لباذلى هممهم فى تحصيلها بتتبع الكلام العربى يسمعونه منهم ويروونه عنهم وأول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معيارا لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران الشهيران مسلم بن الوليد وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى ولكن لم يدوناها وانما كانا يحدثان بها ويسميانها البديع ولما أكثرا من استعمال مقتضياتها وتبعهما بعض شعراء ذلك العصر غالب ميلهم مع زخرفة الالفاظ كما سينكشف لك فى فن البديع ان شاء الله تعالى أخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء إذ ذاك كانوا يقولون قد أفسد هؤلاء الشعر بذلك الشئ الذى يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث فى ذلك الى ان جاء عبد الله بن المعتز وقدامة الكاتب فوضع كل منهما موضوعا لطيفا ثم اتسع التجول فيه بعد وأقبل عليه كتاب الانشاء وسموه البيان وهذا أنموذج تآليف الاوائل فى هذه الفنون ابتدأ بعضهم كتابه بقوله البلاغة على عشرة أقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان ثم أخذ فى بيان كل منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البلغاء فيه ولما اتسعت دائرة القول فى العلوم الفلسفية بين المسلمين حتى أفضى بهم التكلم فى تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه عنها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون فى معرفة اعجاز القرآن الذى هو برهان الدين الحق فصار من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس واكثروا فيها من التآليف وأولهم الشيخ عبد القاهر وبحسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهى ثلاثة فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة فى معانيها التى وضعت لها أو فيما يناسبها اعتمادا على المناسبات وسموه فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وسموه فن المعانى وفن يبحث عن أحوال تعرض للكلام فتكسبه حسنا وسموه البديع ولنبدأ بفن البيان لأن فى علم المعانى احالة عليه والبديع تابع لهما فنقول

ان

ان من نعم الله التى أسبغها علينا ظاهرة وباطنة ان وهبنا هذا الصوت نصوّره حروفا نصوغ منها كلما نعين بها تلك الاشياء التى يتناولها تعقلنا تناوله الحس أم لا لنحضرها بها عند المدركات متى احتجنا الى ذلك فتلك الاشياء حينئذ تسمى معانى وتعيين الكلم لها يسمى وضعا واحضارها اياها يسمى دلالة ثم ان الشئ من الاشياء يتعلق به و ينسب اليه أمور امادا خلة فيه وهى اجزاؤه واما خارجة عنه كاسبابه ومسبباته ومشابهاته والكلمة المعينة له تحضره بجميع ما يتعلق به جلية متفصلة عند العالم بها فاحضار الكلمة اياه يسمى دلالة المطابقة واحضارها اجزاءه يسمى دلالة التضمن واحضارها ماعدا الاجزاء من المتعلقات يسمى دلالة الالتزام ولذلك يقال ان الكلمة الموضوعة للشئ موضوعة لاجزائه وسائر متعلقاته وضعا تبعيا واذن يتبين لك ان كل ما يحضره اللفظ عند مدركتك يكون له معنى ولك ان تريده به وتقصد فهم مخاطبك اياه منه حيث تريد الحديث عنه والحكم عليه الا ان الشئ الذى له الرتبة الاولى من الملاحظة عند الوضع هو الذى يتبادر الى الفهم و يوجب حكم المخاطب أنه مرادك وان الحديث عنه وعليه الحكم وغيره انما يحكم المخاطب انه مرادك اذا أصحبت اللفظ بأمر يدل على أنه مرادك فالالفاظ باعتبار الاوضاع الاصلية والمعانى الاولية تسمى حقائق و باعتبار الاوضاع التبعية والمعانى الثانوية تسمى مجازات فاللفظ اما حقيقة واما مجاز والحقيقة ان وقفت بها الملاحظة عند معناها الاولى لكونه المقصود بالافادة ولم تجعله وسيلة لافادة بعض المعانى بنصب دليل على ذلك سميت حقيقة صريحة والا سميت حقيقة كناية والمجاز والكناية كما سبقت الاشارة اليه هما موضوع هذا الفن

(الكلام على المجاز)

لفظ المجاز اسم مكان من جاز الطريق اذا قطع جوزه أى وسطه وانتهى لغايته تقول هذا الطريق مجاز لكذا تسميه مجازا باعتبار انك تنتهى منه وتخرج عنه الى غيره واللفظ المسمى مجازا مسلك تخرج الملاحظة من معناه الاصلى الى المعنى المناسب له الذى تريد افادته وتفهم المخاطب اياه ومن هذا يمكنك أن تحد المجاز بأنه اللفظ الذى تعتمد فى تفهيم مرادك به العلاقة والقرينة المانعة لمخاطبك أن يفهم غير مرادك والقرينة هى الامر الذى يصحب لفظ المجاز من حال أو لفظ آخر والعلاقة هى المناسبة والارتباط بين المعنى الاصلى والمعنى المراد وقد بحث العلماء عن العلاقات التى لاحظتها العرب فى مجازاتها

وحصروها باستقصاء التتبع وحكموا بأنه لا يصح ان يتجوز بلفظ اعتمادا على غير تلك العلاقات حيث كان الغرض التكلم باللغة العربية والا فلا حجر على المخاطبين أن يعتبروا ماشاؤا وغاية الامر انهم يكونون قد تكلموا بغير اللغة العربية بيد أنه لا يلزم الاسماع نوع العلاقة مثلا سمع منهم تسمية الشئ باسم آلته فلنا أن نسمى كل شئ باسم آلته وان لم يكن مسموعا منهم ثم ان المجاز لكونه خلاف الاصل لا يصار اليه الا لفائدة كلامية تختص به لا تعطيها الحقيقة ثم مرجع جميع تلك العلاقات المعتبرة كما يعطيه تقسيم الدلالة هو الكلية والجزئية أو التلازم بين المعنيين لكن اختلاف جهة التلازم أوجب تعدد العلاقات واسمائها وهى باستقصاء التتبع من أئمة الفن رحمهم الله تعالى عشرون اثنتان مأخذهما التلازم بين السبب ومسببه وهما السببية ان كان المجاز لفظ السبب والمسببية ان كان لفظ المسبب ومأخذ اثنتين بين العام وخاصه وهما العموم ان كان لفظ العام والخصوص ان كان لفظ الخاص وهكذا البيان فى بقية العلاقات التى هى الآلية والكلية والجزئية والاطلاق والتقييد والحالية والمحلية والمجاورة والبدلية والمبدلية واعتبار ماكان ومايؤل اليه الشئ والملزومية واللازمية والتعلقية والمشابهة الامثلة مع بيان بعض فوائد المجاز قال بعض الشعراء

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

الضمير من رعيناه يعود للسماء وهو المطر فكأنه قال رعينا المطر والمرعى هو النبات الذى سببه المطر قال تعالى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون والاسامة هى ارسال البهائم للرعى وهى سائمة فاستعمل لفظ السبب فى المسبب فالعلاقة السببية وفائدة هذا المجاز توصل الشاعر به الى وصف قومه بانهم بلغوا من القوة غايتها ومن السلاطة نهايتها فهم سادة الناس والناس لهم تبع وذلك أن معنى قوله انا السابقون الى الانتفاع بمنافع الارض لا يعارضنا احد فى ذلك ولا يمنعه نفسه فسوانا معا على آثار الامطار راعية أنف النبات فى اول نشأته وأوان نضرته والناس فى انتظار اذننا فلو قال رعينا نبات كل ارض وان غضب أهلها لم يكن مفيدا كل ذلك وقد أفرغ بعضهم هذا المعنى فى قالب آخر حيث يقول

أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم * ونحن خلعنا قيده فهو سارب

وقال تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ذرية الناس أولادهم والمحمول فى السفن الى ارض العرب هو الاطعمة ومابه حفظ الحياة ومنها نماؤهم والتولد منهم

فاستعمل

فاستعمل لفظ المسبب في سببه وفائدته بيان ان المنة عليهم والاحتفاء بهم وكونهما
في الدرجة التي ليس وراءها منتظر من الظهور بحيث تكون الغفلة عن ملاحظتهما
وقلة الشكر عليهما والخروج عن حيز اختصاصه بالعبودية له وتنزيهه عن تشبيه
بعض مخلوقاته به أمورا تجعل أصحابها أسوأ حالا من البهائم كما قال ان هم الا كالانعام
بل هم أضل وفيه مع التنبيه على موضع عظم المنة وسلطان الدلالة ذكر جميع المنافع
الحيوانية والانسانية بأخصر عبارة لان لفظ الذرية يذكر بجميع مقدماتها كما يبعث
تعقل حكم الله تعالى في انشاء هذه الانواع وترتيبها في سلسلة الشهود الوجودي بعد
الغيبة العدمية وارسال الاصول في تربية الفروع الى الحدّ الذي أراده والغاية التي
قدرها وعبارة الحقيقة لا تفيد كل هذا كما يظهر لمن يستعمل فكره فيما خلق لاجله
وقال تعالى أم يحسدون الناس والمراد محمد صلى الله عليه وسلم فعبر عنه باسمه العام له
ولغيره ومن فوائد تسليم المحكي عنه من تناول ألسنة أعدائه اياه والاشارة الى أن
الحسد قبيح تعلق بمن كان حيث ربطه بالاسم العام وان الفضل المحسود عليه هو منافع
الكافة الحاسدين وغيرهم ورميهم بالغباوة أو فرط العناد حيث لم يعرفوا منافعهم
أو عرفوا وتركوا وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأفاد هذا
المجاز أن المؤمنين مع كون أعدائهم يدا واحدة في الايقاع بهم متى قدروا والسنتهم
منطلقة بتهديدهم والارجاف بهم على غاية من اليقين وثبات الجنان وصدق العزيمة
لا يبالون بأعدائهم ما كانوا فلو قيل الذين قال لهم نعيم بن مسعود لم يفد ذلك وأسماء
القبائل كتميم وقريش وتيم من استعمال الاسم الخاص عاما وكان تقول في اجواب
ذوى رأسياء فرق هذا على زيد وهذا على خالد وقال تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم
تسمية للانامل اصابع ويقول أمير الجيش لجواسيسه وديدباناته انما انتم عيوننا اليكم
نجاتنا وهممنا وأوطانكم مسكونة بأهاليكم وعيالكم فيسميهم عيونا وذلك انما يكون اذا
كان الجزء هو المقصود من الشيء وكأن الشيء ليس الا ذلك الجزء وقال تعالى واجعل لي
لسان صدق في الآخرين تسمية للذكر الحسن والثناء الجميل باسم آلته ومن استعمال
المطلق في المقيد قوله تعالى فتحرير رقبة والمراد رقبة مؤمن ومن استعمال المقيد في
المطلق مثل قولك جحفلة زيد والجحفلة شفة الخيل واعتبار ما كان مثل قوله تعالى وآتوا
اليتامى أموالهم واعتبار ما يؤول له الشيء مثل قولك اعط رجال هذا الكتب كذا
ونساءه كذا واستعمال اسم الحال في المحل مثل قوله تعالى ففي رحمة الله وقابله

مثل قوله فليدع ناديه والنادى مجلس القوم فيه يتحدثون ومن استعمال اسم المبدل منه فى البدل قول الشاعر * اكلت دما ان لم أرعك بضرة *
اى دية وكان من العار عندهم اخذ الدية ولم يكن الا فى العاجزين عن الثار ومقابله مثل قولك فى ملك فلان الف دينار اى متاع يساوى ذلك وعلاقة اللزوم حيث لا يكون هنالك معنى خاص يؤخذ منه اسم كاستعمال الشمس فى الضوء فى قولك دخلت الشمس من هذه الكوة واستعمال الضوء فى الشمس واستعمال المصدر فى معنى المشتق وعكسه قيل العلاقة فيه التعلق وهو يدخل فى الكلية والجزئية هذا والمجاز المرسل ربما فات على الملاحظة فى درجة الكلام وربما خفيت الفائدة فيه فهو يحتاج الى دقة نظر واما علاقة المشابهة التى نوعت المجاز الى استعارة وهو ما كانت علاقته والى مجاز مرسل وهو ما علاقته غيرها فانها اظهر المجاز حيث كانت الاشياء المتشابهة أجنبيا بعضها عن بعض ولذلك ترى من خص علم البديع بالتاليف يشرح الاستعارة ويعدها من أنواعه

(القول فى الاستعارة)

اعلم انه متى اشترك امران فى معنى أو اكثر على تفاوت بينهما فيه فثم معنى مقصود بالافادة وسمى بالعبارة عنه اهل البيان عبارة التشبيه وعرفوه بانه الحاق امر بأمر فى صفة بأداة لغرض فالامران الملحق والملحق به هما المشبه والمشبه به والصفة المشتركة هى وجه الشبه والاداة هى الالفاظ المفيدة لذلك مثل وجه زيد كالقمر وكانه قمر وتخاله قمرا وتحسبه وتقول انه وهو مثل ثم ان عبارة التشبيه تورد على صور مختلفة تقول زيد كالبحر وزيد بحر بحذف الاداة ويسمى حينئذ تشبيها بليغا أى بالغا غاية لم يبلغها الاول فان العبارة الاولى منادية بالفرق بين الطرفين والعبارة الثانية ناطقة بالاتحاد وتقول رأيت اليوم قمرا بديع الشمائل ساحر الطرف درى اللفظ بحذف الاداة وأحد الطرفين وحينئذ يجىء اسم الاستعارة فالاستعارة تشبيه أبلغ حيث تركت العبارة المشعرة بالاثنينية مع الفرق أو دعوى الاتحاد فليس معنا الا امر واحد نخبر عنه ونحكى فى شأنه وتنقسم الاستعارة حسب اعتبارات الى مصرحة ومكنية والى اصلية وتبعية والى مرشحة ومجردة ومطلقة والى تمليحية وتهكمية والى تمثيلية وغير تمثيلية فان كان المستعار اسم جنس جامدا ولو تأويلا كالاعلام المشتهرة أصحابها بأوصاف كحاتم المشتهر بالجود ومادر المشتهر بالبخل وباقل المشتهر بالعى وكان هو المذكور فالاستعارة هى المصرحة الاصلية

وان

وان كان غير اسم جنس جامد فعلا أو حرفا او مشتقا فهي التبعية وان كان المذكور لفظ المستعار له فهي المكنية وان كانت الاستعارة مقرونة بما يناسب المشبه به فهي المرشحة وان كانت مقرونة بما يناسب المشبه فهي المجردة والمطلقة غيرهما وان كان المستعار لفظ أحد الضدين للآخر فان كان على سبيل الاستهزاء فهي التهكمية وان كان على سبيل التلطف والتحسين فهي التمليحية وان كان التشبيه بين هيئتين منتزعتين من عدة أمور فهي الاستعارة التمثيلية والتفاوت بين طرفي التشبيه في المعنى المشترك بينهما وهو المسمى وجه الشبه في غير الاستعارة والجامع بين الطرفين فيها باعتبار كونه في المشبه به أقوى أو أعرف والغاية في التشبيه افادة المساواة بين أمرين أو قوة المعنى في المشبه بحيث يحسن ادعاء تساوي الطرفين فيه والاستعارة التبعية هي التي تقع تبعا لاستعارة تسبقها في الملاحظة فتكون السابقة أصلية وتكون اللاحقة تبعية وبيان ذلك ان الاستعارة اذا جرت في المشتقات وقد عرفت ان أصلها التشبيه فالغرض انما هو تشبيه المعاني المستقلة التي تضمنتها المشتقات غالبا مثلا اذا قلت ركب فلان كتفي غريمه فلان فقد شبهت شدة لزومه اياه ومقهوريته له فكأنك قلت لزومه اياه كركوب كتفيه فاستعرت الركوب للزوم فيكون هذا الاصل مستعملا في غير ما وضع له فجميع الفروع تكون مستعارة تبعا له وكما تكون الاستعارة في المشتقات باعتبار المادة تكون باعتبار الهيئة فتستعار الهيئة الدالة على الزمن الماضي للزمن الآتي بجامع تحقق ما يحصل فيهما والايقان به قال تعالى أتى أمر الله فبعث الناس للحساب وفصل القضاء بينهم وايصال كل الى مقره المعد له أمر يقع في الزمن الآتي فعبارته الدالة عليه يأتي أمر الله فلكونه متحققا يقينيا قيل أتى أمر الله وقال تعالى فيه هدى للمتقين أي المتلبسين بالتقوى وهي اجتناب ما نهوا عنه وامتثال ما أمروا به عند استماع الامر والنهي فاستعير ما يدل على التلبس بالفعل لما سيحصل التلبس به وربما كانت الاستعارة في موضوع الصفة كما اذا قلت فلان يرى مضربه كمقتله فهو يفزع من ذلك فزعه من هذا واذا جرت الاستعارة في الحروف فالتشبيه يكون في المعاني الكلية مثلا تقول ترتب عاقبة الشيء عليه مثل ترتب المعلول على علته فيكون كل ترتب جزئي مشبها الترتب جزئي فتستعار حينئذ الحروف الدالة على الترتبات الجزئية العلية للترتبات العاقبة قال تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فالغرض من التقاط موسى الانتفاع به كما ينتفع بالابناء ولكن ترتب على التقاطه

عداوتهم لهم واحزانهم اياهم فوقعت العاقبة موقع الغرض فعبر عنها بعبارته والاستعارة بالكناية أو المكنية أى المستورة لا تكون مذكورة فى الكلام وانما يذكر مع المستعار له بعض خواص المستعار منه فيدل عليها وهو قرينة الاستعارة وتارة يكون لفظ القرينة مستعارا أيضا وتارة لا يكون مستعارا ومع ذلك يسمى فى الاصطلاح استعارة تخييلية قال تعالى ينقضون عهد الله فالعهد مشبه بالحبل فان الدين يعصم القلوب من افتراق الاهواء مابقى على حالته كما يمنع الحبل الحزمة من تفرق عيدانها مابقى على متانته والتواء بعض طاقه على بعض فالحبل المستعار لم يذكر وذكر النقض الذى هو تفريق طاقات الحبل وازالة صورته وهو مستعار لتفريق الدين وابطال صورته فقرينة المكنية فيه استعارة تصريحية تبعية وفى قول لبيد

وغداة ريح قد وزعت وقرة * قد أصبحت بيد الشمال زمامها

تشبيه الشمال والبرد بانسان وناقة امسك بزمامها فهو يقبل بها تارة ويدبر تارة فاليد والزمام غير مستعارين لشئ غايته انه يوقع فى الخيال للقرة زماما وللشمال يدا والترشيح التقوية والمرشحة مقواة بذكر ما يلائم المشبه به قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فحديث ربح التجارة يقوى استعارة الاشتراء والتمثيل جعل مثال للشئ يكون على صورته وهيئته جملته كجملته وأجزاؤه كأجزائه والاستعارة التمثيلية كذلك فمن قال

أرى ماء وبى ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

مكان أن يقول أعلم ان الحبيب وراء هذه الجدرانات العالية ودونه هذا الحرس الشديد فأنا على مابى من حرارة الشوق وشدة الولع لا يمكننى الوصول الى مغازلته والراحة بالمحادثة معه فقد شبه حالة المحب هذه بهيئة ظمآن شديد الظمأ واقف على رأس جدار عال تحته ماء وليس له درج فهذه الصورة مثال تلك الصورة ولما كان فى التشبيه من تصوير الحال والتأثير فى النفوس مالا تبلغه العبارات الاصلية كثر فى الكلام كثرة بالغة لا تكاد قصة من الكلام العالى تخلو منه وكلما كان التشبيه أغرب وأكثر معانى كانت النفوس له أميل وبه أبهج وسنورد عليك له أمثلة تكون بمنزلة رياض نضرة تتنزه فيها خاطرك وترتاح اليها نفسك قال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا فان تصوير حال الولدان من كونهم فى الجمال والملاحة متشابهين لا يتميز بعضهم عن بعض بحيث لا تتناول العين الاملاحة ولا تجد

النفس

النفس الابتهجة باللؤلؤ المنثور لا يكون بأن يقال ولدان حسان رائعون يشبه بعضهم بعضا في الجمال وقال وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون أي اللؤلؤ في صدفه أو المحفوظ عما يغير نضارته ويكدر صفاء مائيته ولما كانت الحور مقصورات في الخيام وكان الولدان مترددين في وظائف خدمهم كان اللؤلؤ المكنون مثل الحور وكان مثل الولدان اللؤلؤ المنثور وقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وقال مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أعمال الكفار من عبادة الاصنام في العرب بأنواع العبادات التي ما لا يضر منها لا ينفع وعبادة الهنود النار والماء والبقر والكواكب ومعاناتهم الشدائد في ذلك أعمال باطلة لا تستعقب خيرا غير أنها في ظاهر الامر أعمال بر وانقياد وتسليم انفس وأموال في طاعة الله فضرب لها المثل من حيث ظاهرها المطمع وباطنها المخسر بالسراب وضرب الرماد وهو ما يبقيه احراق النار حيث تطير به الريح الشديدة مثلا ليأسهم من الانتفاع بها وكذلك الهباء المنثور بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع اعلم ان الخالق البارئ المصور قد أودع كل نوع من أنواع مخلوقاته سرا اليه ينسب جميع ما ظهر صدوره منه في مسكنه نسبة الفعل الى الفاعل وبازاء ذلك السر ومسكنه يوضع اسم النوع مثلا نوع الانسان نوع مستوى القامة عريض الاظفار ماش على رجليه عامل بيديه دائم الفكرة في الماضي والحاضر ونتائجهما الآتية الى غير ذلك من الخصائص الانسانية فهي منسوبة لذلك السر المسمى انسانا وله باعتبارات مختلفة عدة اسماء فباعتبار لطافته ومشابهته الريح يسمى روحا وباعتبار استضافة الاجزاء التي يزداد بها حجم مسكنه يسمى غاذيا وناميا وباعتبار افاضته الصورة يسمى قوة مصورة وباعتبار حفظ الصور والمعاني يسمى عقلا وهكذا بقية الاسماء واعتباراتها فاسم الزرع موضوع بازاء السر الذي يذهب بأعضاء النبات ممتدا الى الجهات المختلفة على الحدود المعينة الى الغاية التي له والشطأ هو المادة الحافظة له في الحبة والنواة وغيرهما فتى اسكنت الحبة رحم الارض مع استيفاء شرائط النبات وجد ذلك السر مساغا لتقديد مامعه واستضاف الاجزاء المتناسبة موزعا لها على احيازها الطالبة لها حتى يكون شخص تام قائم على صورته الخاصة به فيكون

شيأ واحدا ذا أجزاء مؤتلفة منتظمة الاعمال على نهج واحد ضرب الزرع مثلا لامة سيرها الدين الحق الذى بدأها بواحد ثم لم يزل يستضيف الواحد الى الواحد والجملة الى الجملة حتى قامت أمة مؤتلفة القلوب مجتمعة الألسنة ساعية فى طريق واحدة الى غاية ينظر اليها الكل على السواء فأنت تجد التمثيل لها بالزرع مفيدا مع الاختصار من الارتباط ووحدة المقصود ما لا تعطيه أن يقال أمة مؤتلفة الى آخر ما يقال من العبارة عن المعانى التى يحصرها عندك ذكرك التمثيل بالزرع وفى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله المؤمن لاهل الايمان بمنزلة الرأس للجسد وقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم هذا وعليك باطلاق الفكر فى سائر التشابيه القرآنية التى هى بمنزلة الشمس من التشابيه اذ كانت صادرة عن اللطيف الخبير الذى لا تخفى عليه خافية وقال عليه الصلاة والسلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وقال ابو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر وقال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال ما أنتم فى غيركم الا كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود وقال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به وقال العالم فى قومه كالنبى فى أمته فأى عناية تلزم طالب الادب باعتبار مقاصد التشبيه الذى شرفه بالاستعمال الكلام المقدس الصادر عن الحضرة الالهية والصادر عن حضرة الرسالة ثم ان الشعراء لهجوا قديما وحديثا باستعماله على تفاوت عظيم بينهم فى توقيعه فى مواقعه وتزيينه بقرائن يناظر بعضها بعضا فى الملاحة حتى انه ربما كان التشبيه من المبتذلات فتجعله القرينة اللطيفة من المستغربات كقول أبى الطيب

لم تلق هذا الوجه شمس نهاره * إلا بوجه ليس فيه حياء

كثر على ألسنة الشعراء قديما التشبيه بالشمس قال النابغة الذبيانى

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال العباس بن الاحنف

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

فأحسن أبو الطيب التصرف فيه حيث أثبت ونفى ورفع وخفض واذا كان وجه التشبيه خفيا وجب ذكره والا فالاحسن حذفه حتى لو زاد ظهوره كانت الاستعارة أحسن من التشبيه فالاحسن لمن حصل علما وانزاحت عنه شبهة أن يقول قد انزاحت عن قلبى ظلمة وامتلأ نورا دون أن يقول شبهة كالظلمة وعلما كالنور قال الطغرائى

ابذل فان المال شعر كلما * أوسعته حلقا يزيد نباتا

فتشبيه المال بالشعر فى ان ازالة كل توجب تكاثره من التشابيه الغريبة التى لا تؤهلها إلا الفطنة بعد الفطنة ومما ينتهى بك الى غاية معرفة ما بين الشعراء من التفاوت الامر الواحد يتناول تشبيه العدد الكثير منهم وهذا انموذج ذلك الثريا مصغر ثروى بالقصر امرأة ثروى كثيرة المال وهو اسم الكوكب الذى غلب عليه اسم النجم كما تعرفه من قول العربى اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وهو مجموع كواكب صغار متقاربة متهاسة ظاهرة والسابع خفى يختبر الناس به حدة البصر وكان اكمل الناس فى جميع احواله نبينا صلى الله عليه وسلم يعد الثريا احد عشر كوكبا أكثر الشعراء من العرب وغيرهم تشبيهه قال الهيثم بن عدى احد علماء الادب فى الصدر الاول كنا عند صالح بن حسان فقال انشدونى أحسن بيت فى تشبيه الثريا فقال قائل بيت عبد الله بن الزبير كاميم من شعراء بنى أمية

وقد لاح فى الغور الثريا كانما * به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال صالح أريد أحسن من هذا فقيل بيت امرئ القيس

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل

فقال أريد أحسن من هذا فقيل بيت ابن الطثرية

اذا ما الثريا فى السماء كأنها * جمان وهى من سلكه فتسرعا

فقال أريد أحسن من هذا فقال الحاضرون ما عندنا شئ فقال صالح بيت أبى قيس ابن الاسلت

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى * كعنقود ملاحية حين نورا

فهؤلاء من شعراء العرب جاهليان ابو قيس وامرؤ القيس وأمويان يزيد بن الطثرية وعبد الله بن الزبير وانما كان تشبيه ابن الاسلت أحسن لكونه تضمن جميع أحواله

النجم من شكل المجموع وشكل الاجزاء ومقاديرها فى رأى العين وهيآتها الوضعية وقرارها فى موضعها فقد أمعن النظر قبل التشبيه ولذلك افتخر بقوله لمن رأى فليست حشوا والملاحية بضم الميم وتخفيف اللام أو تشديدها نوع من العنب الابيض فى حبه طول وامرؤ القيس فاته بعض ذلك مع اشتمال بيته على ماليس له دخل فى التشبيه فان مخاص لفظ التشبيه الثريا كقطعة من وشاح مفصل وفى بيت ابن الطثريه الحركة فى المشبه به مفسدة للتشبيه وأنزل هذه التشابيه تشبيه ابن الزبير ويروى بيت ابن الطثريه * بحسان وهى من سلكه فتبددا * وهو أحسن قال ذو الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء محلق

ومن تشابيه المولدين للثريا قول ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقوله

زارنى والدجى أحم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وقوله

أتانى والاصباح برفل فى الدجى * بصفراء لم تفسد بطبخ واحراق
فناولنيها والثريا كأنها * جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

وقول أبى الفرج الببغا من شعراء اليتيمة المتكسبين بالشعر

خذوا من العيش فالاعمار فانية * والدهر منصرف والعيش منقبض
فى حامل الكاس من بدر الدجى خلف * وفى المدامة من شمس الضحى عوض
كان نجم الثريا كف ذى كرم * مبسوطة للعطايا ليس تنقبض

وقول الصنوبرى

فى الشرق كأس وفى مغاربها * قرط وفى أوسط السماء قدم

ولبعضهم فى شكاية طول الليل

كان الثريا راحة تشبر الدجى * لتنظر طال الليل أم قد تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقول الاشهب ابن رميلة

ولاحت لساريها الثريا كأنها * لدى الافق الغربي قرط مسلسل

فهذا أحسن ما قيل في تشبيه الثريا قال بشار بن برد وهو من شعراء الدولتين الاموية والعباسية مازلت منذ سمعت قول أمرئ القيس في تشبيه شيئين بشيئين

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وتشبيه بشار هذا من أحاد التشابيه يحكى انه قيل لبشار من أين جاءك هذا التشبيه ولم تر الدنيا قط فانه ولد أعمى فقال ان عدم الاشتغال بالمنظورات يوفر الحس ويقوى الذكاء وأنشد لنفسه

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافدا * لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقد استعمل بشار هذا التشبيه ونزل فيه درجة في قوله مخاطبا

خلقت سماء فوقنا بنجومها * سيوفا ونقعا يقبض الطرف اقتما

ثم ان الشعراء مشوا على أثر بشار في هذا التشبيه قال منصور النمري

ليل من النقع لا شمس ولا قمر * الا جبينك والمذروبة الشرع

وقال مسلم ابن الوليد

في عسكر تشرق الارض الفضاء به * كالليل أنجمه القضبان والاسل

وقال ابن المعتز وترك الليل والنجوم

اذا شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسارت وراءى هاشم ونزار

وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وقال المتنبي

فكأنما كسي النهار بها دجى * ليل واطلعت الرماح كواكبا

فهؤلاء فحول الشعراء المعدودون ينبغي أن تتأمل كيف حالهم في المشي على أثر ذلك الشاعر الفريد وقد ضربت صفحا عن كثير تناولوا ذلك التشبيه كيفما تناولوه وبيت بشار المذكور من قصيدة موجود بعضها في الكتب وهي من الشعر الرصين الذي يعرب

من نفسه بدرجة براعته فرأيت اثبات ماوجدت منها ليتخذه طلاب الادب سراجا يمشون فى ضوءه قال

جفاوده فازوراومل صاحبه * وأزرى به أن لايزال يعاتبه
خليلى لاتستكثرا لوعة الهوى * ولاسلوة المحزون شطت حبائبه
اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
فعش واحدا أوصل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
رويدا تصاهل بالعراق جيادنا * كانك بالضحاك قد قام نادبه

ومنها

وسام لمروان ومن دونه الشجا * وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها * بأسيافنا انا ردى من نحاربه
وكنا اذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا فى ظاهر لانراقبه
ركبناله جهرا بكل مثقف * وابيض تستسقى الدماء مضاربه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطى حمرا ثعالبه

ومنها

غدوناله والشمس فى خدرأمها * تطالعها والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتدرك من نجى الفرار مثالبه

ومنها

بعثناالهم موت الفجاءة اننا * بنوالموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق فى الاسارى ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه
اذ الملك الجبار صعر خده * مشينااليه بالسيوف نعاتبه

قال بعض رجاز العرب *(والشمس كالمرآة فى كف الاشل)*

ومنه أخذ القاضى الفاضل قوله

والشمس من بين الارائك قدحكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

والشهاب التلعفرى قوله

أفدى الذى زارنى فى الليل مستترا * أحلى من الامن عند الخائف الدهش

ولاحت

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها * مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

وادريس بن اليمانى العبدى قوله

قبلة كانت على دهش * اذهبت ما بى من العطش
ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتنى والدجا لبس * خلعا من جلدة الحبش
وكأن النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

ومن التشبيه نوع سموه تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه كقول أبى الطيب يخاطب سيف الدولة ابن حمدان

رأيتك فى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

فقد تضمن احتجاجه لدعواه تشبيه الممدوح بالمسك فى أن كلا مباين لأصله بخصائص جعلته حقيقة منفردة واستعمل هذا التشبيه مرة ثانية فى نفسه حيث يقول

وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ومن الطرائف ما يحكى أن بعض الناس قال لابى الطيب ان القافية ألجأتك الى مقابلة المستقيم بالمحال وانما يقابله المعوج وماذا كنت تقول فى قافية البيت الثانى لو قلت فى الاول كأنك مستقيم فى اعوجاج فقال كنت أقول فان البيض بعض دم الدجاج ثم ان المقابلة صحيحة اذ المحال فى اللغة هو المصروف عن جهة قصده فهو معوج والمحال بمعنى الممتنع استعمال اصطلاحى بين أهل علم الكلام وليس لغويا ومثل قول محمد ابن وهب

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

يسمى التشبيه المقلوب ومثل قول ابى الطيب

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

التشبيه المفروق ومثل قول امرئ القيس * كان قلوب الطير * التشبيه الملفوف ومثل قوله

حملت ردينيا كان سنانه * سنى لهب لم يتصل بدخان

تشبيه التفصيل وقد يترك التشبيه الى الحكم بالتشابه فرارا من ترجيح أحد المتساويين فى رأى المتكلم مثل قول الصاحب اسماعيل بن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

وعن هذا المعنى عبر بعض المغاربة بقوله

خفيت على شرابها فكانما * يجدون ريا من اناء فارغ

ومثل قول ابى اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب
فوالله ما أدرى ابالخمر اسبلت * جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

ومن المشبه به ما يكون أمرا وهميا يحصل به غرض التشبيه كقول امرئ القيس فى تشبيه النبال * ومسنونة زرق كانياب أغوال * يحكى ان بعض المحدثين الذين يتهالكون فى طلب مثلبة يميلون بها الى القرآن قال فى مجلس بعض الملوك ما حسن التشبيه بما لا يعرفه الناس فى قوله * طلعها كانه رؤوس الشياطين * فقال بعض العلماء الحاضرين انصبوا الى منبرا أجيب فوقه عن مسألة هذا فلم يزد حين علاه ان أنشد قول امرئ القيس هذا نفرس المجد وفرح المجلس وقد شبه بعضهم بأمر اخترعه كقول الصنوبرى

وكان محمر الشقيـ * ـق اذا تصوب او تصعد
أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

وكقول القاضى التنوخى وهو من العبارات النيرة

وراح من الشمس مخلوقة * تضمنها قدح من نهار
هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جار
كأن المدير لها باليمين * اذا مال بالشرب أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

وهذا وان كان حسنا لكنه ليس فى الفضل مثل قول ابن الرومى

ولازوردية تزهو بزرقتها * بين الرياض على حمر اليواقيت
كانها فوق قامات ضعفن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

فالتشبيه بين الاشياء المحققة أدل على النباهة وأعجب للنفوس ووقع هذا التشبيه لشاعر آخر ولكن ليست عبارته فى سلاسة عبارة ابن الرومى قال

بثغسج بذكي المسك مخصوص * مافي زمانك ان وفاك تنغيص
كأنما شعل الكبريت منظره * أوخذ أغيد بالتحميش مقروص

هذا وليس كل مافيه الكاف أوكان بعد في نظر أهل صناعة الكلام العارفين بها الواقفين على أسرارها الملتفتين الى دقائقها وانما التشبيه ما جلت فائدته وحسن موقعه من غرضه واعتبر هذا بتشبيهات نختم بها شواهد التشبيه قال بعض العرب

ولما بدا لى منك ميل مع العدى * على ولم يحدث سواك بديل
صددت كما صد الرمى تطاولت * به مدة الايام وهو قتيل

ولراشد بن حكيمة الكاتب حيث انتهت به السن الى ضعف عضو التناسل

ينام على كف الفتاة وتارة * له حركات لا يحس بها الكف
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

ولم يبق في أيدي الناس اذ ذاك من شعر راشد هذا الاشعره في هذا المعنى وهو كثير وفيه محاسن وتناقله المؤلفون في كتب الادب وقال ابن الرومى

ما أنسى لا انسى خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ماتنداح دائرة * في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وقال ابن رشيق

ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الملك تحت قبابه
أوما الى ان ائتني فأتيته * والفجر ينظر من خلال سحابه
فضممته للصدر حتى استهوبت * مني ثيابي بعد طيب ثيابه
وكان قلبي من وراء ضلوعه * طير بخبر قلبه عمابه

ومن أحسن التشابيه في خفقان القلب قول من قال

ولى كبد حرا ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت * على ظمأ وردا فهزت جناحها

والتشبيه الذي يكون المشبه به فيه مركبا فيكون وجه الشبه منتزعا من المجموع يسمى تشبيه التمثيل فتى حذفت منه المشبه والاداة صار استعارة تمثيلية ومتى صلح لان يستعمل في مواضع كثيرة استشهادا أو استراحا وتأسيا سمي مثلا قال

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت

وقال آخر هجرتك لا قلامنى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما * رأت ان المنية فى الورود
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهى تنظر من بعيد .

فلو قالت هجرت الحائمات الورد حين رأت الارصاد فهى تنظر بسبب حياتها وتخشى بسبب موتها كان استعارة تمثيلية كما قيل أخذا من هذا أرى ماء البيت وكفاك هذا القدر من أمثلة التشبيه معيارا تعرف به جودة مايرد عليك منه ولنمض بك حينئذ فى أمثلة الاستعارة قال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا الباطل هو الاحكام التى من جهتها يدخل الفساد على الحالة التى هى صلاح الكافة وبضدها تتميز الاشياء فالحق خلاف الباطل وزهوق نفس الحى مفارقتها بدنه والباطل ليس حيوانا فيكون لفظ الزهوق مستعملا فى غير ما وضع له وهو اضمحلال الباطل وذهابه من الكون فيعرفنا هذا أن الباطل قد شبه بذى روح يكون به حيا يعمل اعماله التى أعده الله لها وتفارقه فلا يستطيع عملا فالاستعارة مكنية حيث كان المذكور فى الكلام من طرفى التشبيه هو المشبه والمشبه به غير مذكور مشارا اليه بما هو له خاصة وذلك هو المسمى قرينة المكنية ويظهر لك من التقرير انه هنا استعارة تحقيقية تصريحية تبعية وهذا الكلام مع شدة اختصاره يفيد بسبب الاستعارة المكنية مالا تفيده الحقيقة التى هى ذهب الباطل ومن لم يكن آتاه الله علم أسرار الصناعة الكلامية يخيل له أن الكلام لو كان جاء الحق وذهب الباطل كان مشتملا على حسن المطابقة التى هى من الوجوه التى تكسو الكلام حسنا كما يعرب عنه فن البديع ويكون كقوله قبل أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وبيان ماتفيده الاستعارة المكنية هو تصويرها الفكر المتعقل الباطل فى صوره وقوة الحق الذى يبطلها ويزيلها وانه يجب أن يكون إلهيا لو أنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى وطريق تصوير الباطل فى صوره أنه لما شبهه بذى روح دون تخصيص حيوان أوجب أن يلتفت فكرك الى سائر أنواع الحيوان وخواص كل نوع وحينئذ تقول الباطل مثل السباع العادية افتراسا مجاهرة أو ختلا أو بالمكر والحيلة فتشبه باطلا بأسد وباطلا بذئب وباطلا بثعلب وباطلا بغراب وحدأة وباطلا بنور وحمار الى غير ذلك وأشد الباطل وأنكره مايكون شبه الانسان حيث كان الانسان جامعا لسائر خصائص جميع الانواع فالبعض يعمل بالقهر والعدوان

والسلاطة

والسلاطة والبعض بالمكر والحيلة والتملق والبعض بالاختلاس والاختتال والاختطاف مثلا قبيلة طيئ أو قبيلة غير كثيرفيها العدد والعدد وقبائل أخرى دونها فكان من أحكامها الباطلة التى تنفذها بالقهر والسلاطة فتشبه السبع انه اذا قتل واحد من القبيلة الضعيفة واحدا من القبيلة القوية فاما ان يطلبوا منهم للقتل فى ثار قتيلهم عشرة أو عشرين فان سلموا والاصبحتهم الخيل بالغارة فقتلوا الرجال وسبوا النساء جواري والاولاد عبيدا فربما أفنت قبيلة قبيلة وان جر الضعيفة وان لم يكن القاتل بعبد القوية وان الشئ المغصوب يسترد مضاعفا الى غير ذلك من الاحكام التى تطلعك عليها تواريخ تلك الامة ومن الباطل الذى يحسن تشبيهه بحيوانات المكر والحيلة والختل ما يصدر عن الاشخاص الذين يفترون على الله الكذب فيدعون انه تعالى شأنه اختصهم بأسرار أهلتهم ليكونوا رؤساء ينظرون فى مصالح جمع من الناس وتكميل أرواحهم ويجعلون ذلك طريقة الى أغراضهم وشهواتهم باستعباد ذلك الجمع وتسييره فى تحصيلها مخيلين لهم انهم فى طاعة خالقهم ومن باطل بعض هؤلاء ما يحسن تشبيهه بالانسان وأما الباطل الذى يحسن تشبيهه باغبياء الحيوانات فهو باطل أولئك الناس الذين يريدون التوصل اليه بالانحياز الى بعض الظلمة وما أشبه ذلك

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده * تصيده الضرغام فيمن تصيدا

ومن أراد أن يقدر كلام الله حق قدره ويعرف مقاصد البلغاء المعدودين لزمه أن لا ينصرف بالنظرة الجمقاء بل يكرر الفكر مرة بعد مرة ووقتا بعد وقت حتى يقف على أسرار البلاغة قال صاحب المثل السائر كنت أقرأ فى اليوم ختمة ثم فى الشهر ثم فى السنة ثم ها أنا أقرأ فى ختمة منذ كذا وكذا سنة ولم أفرغ منها وكلما أعدت النظر ظهر لى ما لم يكن قبل ظاهر وقد جاءت هذه الاستعارة مقرونة بأخرى فى قوله جل ذكره بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ففيه استعارتان مكنيتان من جهتهما يخرج بك الفكر الى تلك المعانى فتفاوت الباطل الذى هو كتفاوت الحيوانات يوجب التفاوت الموالتفاوت بين الاحجار المقذوفة فالفيل لا يدمغه الحجر الذى يدمغ الثعلب وبما تقرر تعرف أنه لا يصح الاقتصار على ان تقول شبه كذا بكذا واستعير كذا لكذا وقال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين كلمة الشفاء التى معناها زوال المرض تخبرنا أن فى الآية استعارتين فان كان المعنى وننزل من القرآن آيات تشفى الجهلاء المؤمنين فالاستعارتان مكنيتان الاولى أصلية والثانية تبعية وان كان المعنى وننزل

من القرآن أدوية تشفي المرضى المؤمنين فالاستعارتان مصرحتان أصلية وتبعية وفيه كما صار لا يخفى عليك التنبيه على تفاوت الجهالات والبراهين كتفاوت الامراض والادوية فمن الجهل ما يزول بالاشارة ومنه ما يحتاج زواله الى العبارة وربما لم يجد الا تضافر الادلة ويتنور عليك هذا النظر الى مبدأ تحصل أمة الاسلام وذلك أن رجلا على أكمل ما يكون من خصائص الانسانية قام يدعي أن امرا سماويا جاءه بغتة يعلمه ليعلم الناس ويرشدهم الى مصالحهم فارتاع وكان أول من أخبر بما رأى السيدة خديجة فآمنت به صلى الله عليه وسلم ورضي عنها قائلة كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فهذه السيدة وأشباهها من المؤمنين اكتفوا في تصديق دعواه بتصور أن من كان من الكمالات في تلك الدرجة لا يكون أمره شيطانيا وغير هؤلاء احتاجوا الى ابانات وتنويرات مختلفة حسبما يظهر لك من الاطلاع على تواريخ اسلام المسلمين حتى قيل أقل الايمان فضلا الايمان عن المعجزة وقال تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون على حرف موضوع ليستعمل في ارتباطات جزئية بين شيء وما قر فوقه الجبال على الارض وجدار على أساس وانسان على دابة والهدى هنا هو الامر الذي كان سببا في جزم المؤمن بحقيقة ما أمر به من اعتقاد وقول وعمل وان ذلك يصل به من السعادة الى الغاية التي أعدت له فان كان الغرض تشبيه ارتباط المؤمن بذلك السبب الذي هو البرهان أو العيان الكشفي بالارتباط بين الجبل والارض مثلا فالاستعارة تبعية فان فكرك يقول الارتباط كالارتباط وهذا الارتباط المطلق الذي يجري فيه التشبيه ليس معنى الحروف ولكن جزئياته واذا جرى تشبيه المطلق بالمطلق فالبتة يحصل تشبيه الجزئيات بالجزئيات فالحاصل مدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب الى آخره بالثبات وتمام الاستقرار كما هو صفة الجبال ولا يذهب عليك ملاحظة الاشارة الى التفاوت وان كان الغرض تشبيه الهدى الذي يصل بصاحبه الى تلك الغاية بالمطية التي تصل براكبها الى مقصده فالاستعارة مكنية ومن قبيل هذه الاستعارة قولهم ركب مطية الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وقوله

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعري أفراس الصبا ورواحله

وقال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة الختم والطبع يدل على تشبيه القلوب بصناديق مثلا ففي الكلام استعارة مكنية قرينتها لفظ ختم فيفيد الكلام

الكلام أن أولئك بمنزلة الجمادات بحيث انها لو كان فيها شئ لم تكن منتفعة به وقد جعلت بحيث لا يمكن أن يدخل فيها شئ فلا يطمع طامع فى ايمانهم وعلى تشبيه القلوب بالمستودعات أو المساكن مثلا قوله تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقال عليه الصلاة والسلام لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين اذا قلت ادخل فلان يده فى جحر فلدغته لادغة ثم أعادها فلدغته مرة ثانية فتلك استعارة تمثيلية أصلها ان تشبه بهذه الحالة حالة من يصاب بمكروه من أمر ثم يحمله فرط الشهوة والطمع على مغالطة نفسه فيعود فيصاب بما أصابه مثلا يأكل انسان طعاما يستلذه فلا يوافق مزاجه فيمرضه فتحمله اللذة منه على أن يقول ذلك الوقت كان حارا وقد برد الزمن أو كان ذلك الانحراف عن الاعتدال بسبب آخر يحكى أن الجاحظ كان على مائدة بعض الامراء ومعهم حكيم فنهى الجاحظ عن الجمع بين اللبن والسمك فقال الجاحظ ان كانا حارّين أو باردين فالا كل منهما كالا كثار من أحدهما وان كانا مختلفين عدّل بعضهما بعضا فقال الحكيم أعرف أن هذا يحصل عنه فى العادة الفالج ولست خطيبا فأصبح الجاحظ مفلوجا عفا الله عنه والاستعارة فى كلام الله تعالى وفى كلام نبيه تجاوز حد الكثرة وبمعرفتك معانى الالفاظ الاول فتى وردت عليك الكلمة غير مستعملة فى معنى أوّلى لها لزمك ان تقارن بين المعنيين متفكرا فى الامور المشتركة بين المعنيين لتعرف الغرض من الاستعارة وهذه أمثلة للاستعارة من أشعار البلغاء قال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

شبه الحسناء المصونة فى النضرة وطيب الملمس بالبيضة المحضونة فالاستعارة مصرحة مجردة وفى قوله لا يرام خباؤها وصف نفسه بغاية الشجاعة ونهاية الجسارة وعدم المبالاة بما يكون كيفما يكون فانه يقول ان خباءها ممنوع حوله الحرس معتقلين الرماح قابضين على السيوف بحيث لا يرومه ويطلب الوصول اليه أحد وقد وصلت اليه وقضيت منه مآربى على مهلة واطمئنان كما صرح ببعض ذلك فى قوله

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وهذا من الكناية كما ستقف عليه عند شرحها وقال

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

أراد أن يصف حاله من أن وساوس الافكار وبلابل الهموم لم تزل تشتد فى تقلباته من

جنب الى جنب فأودع ذلك فى موج البحر وأراد أيضاً أن يصف الليل بالطول كما هو حاله مع العشاق والمهموم ومن يجعله قاراً ثابتاً غير متحرك حيث شبهه بالاشياء التى هى للبقاء واللبس فاستعار ارخاء السدول لاحاطة الظلم به كما استعار لها والغرض واحد بروك البعير العظيم الخالق الثقيل الجسم والسدل بضم أوّله وكسره الستر والكلكل الصدر ومن استعارة بروك الجمل للثبات والقرار قول على كرم الله وجهه وقد قيل له أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير الشيب ذلك والدين قل فأما وقد ضرب الدين بجرانه فامرؤ ونفسه جران البعير بكسر أوّله ما امام صدره و يضرب البعير بجرانه حيث يأخذ تمام راحته وقال زهير

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

شاكى السلاح تامّه فاستعارة الاسد مرشحة باللبد والاظفار ولبدة الاسد شعره المتلبد على كتفيه حيث يكون فى شبيبته وأوسط سنه ولفظ السلاح جرى استعماله فى المخالب والانياب والقرون الى غير ذلك من الاشياء التى خلقها الله للحيوانات تدافع بها عن نفسها فلا يكون شاكى السلاح تجريدا ويكون قوله أظفاره لم تقلم بمنزلة التفسير كأنه قال لدى أسد صحيح الاظفار والانياب فى أوان شدّة قوّته وقال كثير عزة أوغيره

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدّت على ظهر المطى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

الاباطح تسيل بالماء والمأخوذ بأطرافه نحو الرداء فأى تصوير تصوّر هاتان الاستعارتان مواصلة الاحاديث بين الاحبة وأنهام غاية فرح وأنس وملاعبة وسهولة سير الابل واندفاعها فيه وحسن هيئة اجتماعها على كثرتها وملئها الاودية ومن الاستعارة الاخيرة أخذ ابن المعتز قوله وقد فاته سلاسة هاتيك العبارة فى رثيس أحبته أعوانه

سالت عليه شعاب الحى حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

وفى كلمة على ماليس فى كلمة الى وزيادة العربى لفظ الاعناق التى هى مظهر الحركة أفاديها ابتهاجهم بذلك المنظر وقال القطامى من قصيدته التى يقول فى نسيبها

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى
فهنّ ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زرّاد

القرى طعام الضيف ومن قرى ضيفه فقد أكرمه وحفظ عليه حياته وشد من قواه والمحارب مهين لاعدائه مزيل حياتهم هادم قواهم فالاستعارة التبعية التصريحية تهكمية وأصل هذه الاستعارة لعمرو بن كلثوم فى معلقته

نزلتم منزل الاضياف منا * فأعجلنا القرى أن تشتمونا

قريناكم فعجلنا قراكم * قبيل الصبح مرداة طحونا

المرداة اسم آلة من ردى كرمى وزنا ومعنى وهى من الصخر الصلب ومن التهكمية قول بشار السابق * مشينا اليه بالسيوف نعاتبه * أصل العتاب معالجة الجلد بالدباغ حتى يصلح فراشا ولباسا وفى المثل انما يعاتب الاديم ذو البشرة يضرب فى النهى عن تأديب من لا يخاف على عرضه ولا يبالى بفوت شرفه نقل العتاب الى ملاطفة الاخوان فى التماس أعذارهم عما يصدر من هفواتهم لتعود نقاوة اخوتهم وطهارة ذات بينهم وأين الملاطفة من طعن الرماح وضرب السيوف وسلب الارواح وقول بعضهم * تحية بينهم ضرب وجيع * والسراج المنير فى التهكمية قوله جل ذكره فبشرهم بعذاب أليم ومن شريف الاستعارة وغريبها قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك فى صفة فرسه

عودته فيما أزور حبائبى * إهماله وكذاك كل مخاطر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

القربوس بفتحتين قائمة السرج والشكيم واحده شكيمة وهى الحديدة فى حنك الفرس العربى ليس عنده جدار يسند اليه ظهره ولا وسادة فكان يقعد ناصبا فخذيه وساقيه ويدخل فى حمالة سيفه أو غيرها مائلا الى خلف فذلك استناده وهو الاحتباء ومن كناياتهم فلان تحل له الحبا أى هو شريف يقام له والحبوة الاسم وفتح الحاء أكثر من ضمها وقال كثير فى المدح بكثرة العطاء

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

الرداء صاحب الازار ومجموعهما الحلة والغمر كما يقال للماء الكثير يقال للثوب التام الشامل ماء غمر ورداء غمر فليس الغمر كما قيل ملائما للعطاء وحده حتى تكون استعارة الرداء له مجردة وقد استعار بعض العرب الرداء للسيف فى قوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لى الشطر الذى ملكت يمينى * فدونك فاعجر منه بشطر

ولابى الوليد الشاطبى فى استعارة الرداء

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ماسال يجفف

هذا وأمكن من نفسك ان أحسن التشبيه والاستعارة ماوقع موقعه من غرض تصوير حال المشبه والمستعار له والابانة عنها بجزيل العبارة ولطيف السياق بحيث لا يكون قصد المتكلم الى مجرد التشبيه والاستعارة كما هو كثير فى كلام المولدين فعليك ان تعتبر مواقعها باطالة الفكر وامعان النظر فى كلام الله جل ذكره وفى كلام من يرد عليك بعض كلامه من شعراء العرب ومن حذا حذوهم واقتفى أثرهم من المولدين ليكون ذلك لك بمنزلة المحك تعرف به الزيوف من الصحاح الخلاص فمن جيد كلام المولدين مثل قول أبى طاهر البغدادى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمولع بالبان
من معشر نشروا على هام الربى * للطارقين ذوائب النيران

وهو مأخوذ من قول العربى

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

ومثل قول المجد الاربلى

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وهو مأخوذ من قول أبى الشيص

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * مامن يهون عليك ممن أكرم

ومن قول أبى طاهر السابق قول بعضهم وزاد احسانا

قال لى أكحل اللواحظ صف لى * هيفى قلت يارشيق القوام
لك قد لولا جوارح عينيك لغنت عليه ورق الحمام

وكان الصاحب ابن عباد كثيرا ما يتمثل بقول عصريه عبد الله السلامى

تبسطنا على الآثام لما * وجدنا العفو من ثمر الذنوب

ويقول ما درى قائله أى درة رمى بها وأى غرة سيرها وخلدها وأقول استحسان كل شئ حسب موافقة الهوى كما قيل

انما تنجح المقالة فى المر * ء اذا صادفت هوى فى الفؤاد

وأراد السلامى أنه لولا الذنوب لم يمكن تحقق معنى العفو وتحققه واجب حيث كان من الكمالات الالهية ولكن الذنوب تثمر أيضا العقاب كما ترى ان أكثر الشهوات كما تثمر اللذة تثمر الالم وقد استلب السلامى قوله هذا من قول الحسن بن هانئ الحكمى المشهور بابى نواس شاعر الرشيد

تكثر ما استطعت من الخطايا * فانك واجد ربا غفورا

ستبصران وردت عليه عفوا * وتلقى سيدا ملكا كبيرا

تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار السرورا

ولكن السلامى أوجز وأبدع قال مسلم بن الوليد فى رثاء

سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق الردى بك داروا

نفضت بك الآمال احلاس المنى * واسترجعت نزاعها الامصار

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

هذا الشعر فى أرفع طبقة وصل اليها شاعر مثل حال الممدوح وأتباعه من استدامة تحصيل الكمالات واقتدائهم به فى أعماله وأنه لما تغمدته الرحمة لم يهتد العرب بعده الى ما كان يفطنهم له بحال قوم ذوى رئيس قصدوا على أثره جهة شريفة فلما غاب عنهم سيدهم رجعوا الى منازلهم والمنية وهى ما يحب الانسان ويتمناه لما كانت تحمل صاحبها على مواصلة أعماله وتجدد آماله حسن تشبيهها بالمركوب والحلس بكسر فسكون كساء يجعل تحت البرذعة ونفض الحلس كناية عن الاقامة وتعطيل الدواب حيث لم تبق للسفر جدوى كالكناية فى قولهم ألقى عصا التسيار وفى قوله فاذهب كما ذهبت من التفجع والتأسف ما لا يبلغه قول أى مشكورا لكل مكان محمودا بكل لسان ومن أرصن الشعر وأشده قول عربى فى المحاجاة

وداهية داهى بها القوم مفلق * شديد بعوراء الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها * رميت بأخرى يستدير أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما * تساقوا بكأس مايبل سليمها

فلم ترنى فيهـا ولم تر حجتى * ملجلجة أبغى لهـا من يقيمهـا

السليم اللديغ وأبل من مرضه برئ والازوم العض وامساك الشئ بالاسنان ومفلق ذات فاق أى عجب ودهاه أذهله وحيره وأدهشه وعليك باستخراج الاستعارات ونسبتها الى أجناسها وحيث كان حذف الاداة من تركيب التشبيه وسيلة الى المبالغة بدعوى الاتحاد والاستعارة كما عرفت فى ذلك الغرض أقوى تسمع مثل قول العباس بن الاحنف هى الشمس مسكنها البيتين وقول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

وقول بعضهم

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر

الغلالة القميص ويقال ان القمر يبلى ثياب الكتان وقول أبى تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السماء

(القول فى الكناية) حد الكناية على التحقيق لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادته أيضا فيكون المراد افادتهما جميعا وحينئذ يقال انها حقيقة غير منفردة وتقابلها الحقيقة المجردة وتنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه الى ثلاثة أقسام القسم الاول كناية يكون المكنى عنه فيها صفة كقول الخنساء

طويل النجاد رفيع العماد * كثير الرماد اذا ما شتا

فقولها طويل النجاد المراد به طويل القامة مدحا ببسط الجسم كما مدح بها تعالى فى قوله وزاده بسطة فى العلم والجسم وقولها رفيع العماد معناه كبير البيوت المرتفعة السموات وذلك انما يكون للسادة الاشراف أى هو سيد شريف وقولها كثير الرماد أى هو كريم مضياف ونظم الكناية على طريق البرهان أن تقول كل من كان كريما مضيافا كان كثير الضيوف وكل من كان كثير الضيوف كان كثير الخبز والطبخ وكل من كان كثيرهما كان كثير احراق الحطب وكل من كان كثيره كان كثير الرماد فكثرة الرماد كناية عن الكرم بهذه الوسائط وكقول الخنساء أيضا وقد أراد أخوها معاوية ان يزوجها من دريد بن الصمة ولم يكن من غرضها

تباكرنى حميدة كل يوم * بما يولى معاوية بن عمرو
اذا لم أعط من نفسى خيارا * لقد أودى الزمان اذن بصخر

أتكرهنى

أتذكرني هبلت على دريد * وقد حرمت سيد آل بدر
معاذ الله يرضعني حبركى * قصير الشبر من جشم ابن بكر

فقد استعاذت من تزوجه كناية بالغاية عن البداية فانها اذا تزوجت أتيت واذا أتيت حملت واذا حملت وضعت واذا وضعت أرضعت

(القسم الثاني) كناية يكون المكنى عنه فيها نسبة كقول زياد الاعجم في أحد الامراء لبني أمية عبد الله بن الحشرج أمير خراسان اذ ذاك

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

كانت القباب لا تضرب الا على خيام الامراء فالمكنى عنه نسبة الامارة والسماحة أي ابن الحشرج سمح كريم ذو مروءة وهي كمال الرجولية ومن هذا أخذ أبو تمام قوله

لولا بنو جشم بن بكر فيكم * كانت خيامكم بغير قباب

أي بنو جشم سادتكم وأمراؤكم وابن رشيق قوله

ومهفهف بحميه البيت ومن كلامهم المجد بين ثوبيه والكرم تحت ردائه

(القسم الثالث) كناية يكون المكنى عنه فيها غير صفة ولا نسبة كقوله كناية عن القلوب

الضاربين بكل أبيض مخذم * والطاعنين مجامع الاضغان

ثم الكناية ان قلت فيها الوسائط أو لم تكن ووضحت سميت ايماء واشارة وان خفيت سميت رمزا كالكناية بعريض الوسادة وعريض القفا وعظيم الهامة عن الابله وبالسمين الرخو عن الغبي البليد وبتناسب الاعضاء المكتنز اللحم البسيط القامة عن الذكي الشجاع ذي الهمة وهناك نوع دلالة للكلام يعتمد فيها على السياق والحال تسمى تعريضا وهو إمالة الكلام الى عرض بضم أوله أي ناحية كقولك رواية لقوله صلى الله عليه وسلم وأنت تخاصم انسانا المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وهذا الكلام معناه الكنائي المؤذي غير مسلم والمعرض به اليه أنت غير مسلم والتعريض يكون بالحقائق والمجازات والكنايات وبعد قول زياد السابق ان السماحة يقول

ملك أغر متوج ذو نائل * للمعتفين يمينه لم تشنج
يا خير من صعد المنابر بالتقى * بعد النبي المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجيا لنوالكم * ألفيت باب نوالكم لم يرتج

فملخص ما تعرفه ويبقى معك أصلا تعتبر به ما يرد عليك في الكلام ان اللفظ مركبا كان أو جزء مركب إما أن تعتمد في تفهيم مرادك به مجرد الوضع الاولي بالاصالة أو بالنقل

وهى الحقائق وإما أن تعتمد مع الوضع علاقة وقرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى وهى المجازات أو غير مانعة وهى الكنايات وأن المجازات ان كانت علاقتها المشابهة فهى المجازات بالاستعارة وان كانت غيرها فهى المجازات المرسلة وأن الاستعارة أصلها التشبيه وأن التشبيه تارة تذكر أركانه وتارة يحذف بعضها وذكر الوجه وحذفه لا يغير الاسم وحذف الاداة مع ذكر الطرفين يغيره الى التشبيه البليغ ومع حذف أحد الطرفين الى الاستعارة وفى الاستعارة والتشبيه البليغ دعوى الاتحاد وبناء عليها كان ماعرفت وان الاستعارة تنقسم باعتبار المذكور والمحذوف من الطرفين الى مصرحة ومكنية وباعتبار جنس المستعار الى أصلية ان كان اسم جنس ولوتاويلا والى تبعية ان كان غيره وباعتبار كونها فى الهيآت المنتزعة من متعدد أوفى غيرها الى تمثيلية وغير تمثيلية وباعتبار كونها فى الاضداد أوفى غيرها الى ما تصلح أن تكون تهكمية أو تمليحية والى غيرها وباعتبار كونها مقرونة بما يلائم أحد الطرفين أو بما يلائمهما الى مرشحة ومجردة ومطلقة وأن قرينة المكنية ان كانت استعارة لشئ من توابع المستعار له كانت تحقيقية والا فهى تخييلية وان الكناية تنقسم بحسب المطلوب بها الى ثلاثة أقسام ولها باعتبار الواسطة أسماء على الطالب أن يجيد ضبط هذا ثم يأخذ فى التطبيق عليه ينفعه ان شاء الله تعالى ثم الحقيقة والمجاز السالف تقريرهما يسميان الحقيقة والمجاز اللغويين وثم حقيقة ومجاز يسميان حقيقة ومجازا عقليين وهما اسناد أمر لامر ونسبته له فان كان الاسناد اسناد الشئ لما هو له فى المتعارف كاسناد فعل المعلوم الى الفاعل واسناد فعل المجهول الى المفعول سمى حقيقة عقلية وان كان اسناده لغير ما هو له اعتمادا على علاقة مدلولا عليه بالقرينة لبعض الاعتبارات الكلامية والنكت البلاغية سمى مجازا عقليا كنسبة فعل المعلوم الى المفعول بجعله فاعلا نحو عيشة راضية أى مرضية وحال مبتهجة ونعمة مغتبطة وكنسبة فعل المجهول الى الفاعل فيجعل مفعولا نحو سيل مفعم ونعم مسرورة وكنسبة الفعل الى زمانه ومكانه وسببه فى نحو قولك نام ليل زيد ونشط نهاره وسعدت أوقاته وطابت امكنة زيد وخبثت مجالس عمرو وخرجت المدينة لشكر السقيا وأكرمتك اخلاقك واحترمتك فضائلك وغزا السلطان بلاد كذا وكذلك ينسب الفعل الى مصدره نحو جد جده وخشع خشوعه واطمأن اطمأنانه

(الفن الثانى علم المعانى)

عرفت ان هذا العلم يبين الاغراض المترتبة على ايراد التركيب فى صوره المختلفة

فوضوعه

موضوعه المركبات من حيث تختلف صورها الاختلاف الدواعي ثم ان دواعي صور التراكيب لم تدخل تحت حصر فما يذكر منها في هذا الفن انما هو كالمثال نصب لك لتحذو عليه اذا استعملت ذوقك ودقة نظرك في طلب ما يمكن اعتباره عند قراءتك لكلام رب العالمين وروايتك لاحاديث سيد المرسلين ومطالعة الآثار الصادرة عن بلغاء صحابته ومن اقتفى آثارهم ممن جاء بعدهم وانشاد ما يرد عليك من الاشعار للجاهليين والاسلاميين وبعد فمدار البحث في هذا الفن على ابانة صور التراكيب ودواعيها رسما للطريق الذي تسلك منه الى اعتبار اللطائف الكلامية التي بها يسمى كل من الكلام والمتكلم به بليغا وقبل الشروع في المقصود لا بد من تعريف الفصاحة والبلاغة وما يتعلق بذلك والتنبيه على ما يوجب قسمة هذا الفن الى أقسامه التي ينقسم اليها

الفصاحة كلمة تنبئ استعمالاتها عن معنى الصفاء والخلوص والظهور قالوا يوم فصح بكسر الفاء ليس فيه غيم ولا قر وأفصح اللبن زالت عنه رغوته وأفصحت الشاة أي خلص لبنها وصفا الى غير ذلك وعرفها العلماء حيث توصف بها الكلمة بكونها سالمة من تنافر الحروف الموجب ثقل النطق بها كما في لفظ مستشزرات من قول امرئ القيس * غدائره مستشزرات الى العلى * ومن الغرابة الموجبة فواتها على أهل العناية بنقل اللغة وايداعها في مؤلفات كغرابة لفظ مسرج من قول رؤبة في صفة الانف ومرسنا مسرجا أي يشبه السراج في البريق واللمعان أو السيف السريجي في الدقة والاستواء ومن مخالفة نهج الاستعمال المبين بعلم الصرف كالمخالفة في قول أبي النجم الحمد لله العلي الاجلل * حيث فك ونهج الاستعمال الادغام وحيث يوصف بها الكلام بكونه مؤلفا من الكلمات الفصيحة سالما من تنافر الكلمات كما في قول أبي تمام * كريم متى أمدحه أمدحه * ومن ضعف التأليف بمخالفة القوانين النحوية كتقديم ما يجب تأخيره وتأخير ما يجب تقديمه وحذف ما يجب ذكره وذكر ما يجب حذفه ومن التعقيد اللفظي بادخال بعض أجزاء جملة بين أجزاء أخرى بحيث يوجب عسر الفهم كما في قول الفرزدق يمدح خال هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

ووجه الكلام وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه ومن التعقيد المعنوي باستعمال مجازات وكنايات لا يفهم المراد بها فتكون الغازا في غير موضعه وحيث

يوصف بها المتكلم بكونه دربا ذا قوّة واقتدار على استعمال الكلام الفصيح متى أراد
(والبلاغة) مصدر بلغ من باب كرم محوّلا عن بلغ من باب نصر بمعنى وصل الى حد
يقال بلغ الرجل فهو بليغ و بلغ بفتح أوّله وكسره و بلاغا بفتح أوّله وضمه مقصورا اذا
كان يبلغ بعبارته كنه مراده هذا كلام أهل اللغة
ومن كلام أمير المؤمنين على كرم الله وجهه فى تفسير البلاغة البلاغة البصر بالحجة
والمعرفة بمواضع الفرصة ومن البصر بالحجة ان تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا
كان الافصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر فهذا كلام
شريف تفسيره لا يكفى فيه كل ماشرح فى علم البلاغة وعرفها أهل هذا الفن حيث
يوصف بها المتكلم بأنها مرونه وقوّة نفسه على تأليف الكلام البليغ فى الاغراض
المختلفة كالتأديب والوعظ والتحريض والاستعطاف والعتاب الى غير ذلك من المعانى
وحيث يوصف بها الكلام بأنها مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال والحال ويسمى
بالمقام أيضا هو الامر الداعى لايراد التركيب على بعض صوره الممكنة فيه ومقتضى
الحال ويسمى بالاعتبار المناسب أيضا هو تلك الصور الحاصلة بسبب الذكر والحذف
والتقديم والتأخير والاطلاق والتقييد ووصل بعض الجمل ببعض بالعطف وفصلها
بتركه والايجاز والاطناب والمساواة واشتمال الكلام على المجازات والكنايات المختلفة
فى الوضوح عند خطاب الفطناء وكونه من الحقائق الصرفة والعبارات السهلة عند
خطاب غيرهم وحيث كانت مسائل الفنّ منها ما يتعلق بالجملة وأجزائها ومنها ما يتعلق
بالجملتين فأكثر ومنها ما هو مشترك ناسب قسمته الى ثلاثة أبواب

(باب الجملة وأجزائها)

الجملة الخبرية أصل المقصود بها إعلام السامع بمعناها أو بأنّ المتكلم يعلمه ويسمى
الاوّل فائدة الخبر والثانى لازمها كما تقول لصاحبك أنعم الله عليك بما زادنا لك فرحا
ولله فيك شكرا ثم يخرج عن الاعلام لاغراض شتى كقولك لاظهار الفرح بمقبل
والشماتة بمدبر جاء الحق وزهق الباطل ولتوبيخ العاثر الشمس طالعة وللتأسف كقوله

هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق

وحيث كان الغرض من الكلام الافادة فحقه ان يقتصر منه على قدر الحاجة فان
الزيادة عنه تعدّ من الفضول فاذا كان الخطاب مع خالى الذهن ألقى اليه الخبر مجرّدا عن
مؤكد واذا كان مع من يشعر به وهو منكر أو شاك ولا دراك أحد الامرين طالب

الق

ألقي اليه الكلام مؤكدا بحسب الحاجة وشاهد ذلك قوله تعالى حكاية عن رسل الحق لاهل الباطل بعد التكذيب الاول انا اليكم مرسلون وبعد الثانى ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وادوات التوكيد إن وأن ولام الابتداء وأحرف التنبيه والقسم والتكرير والحروف الزائدة وقد ونونا التوكيد وأما الشرطية وقد ينزل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على ما يناسب علمه كقولك العدل حسن والظلم قبيح وقد ينزل خالى الذهن منزلة السائل وذلك حيث يسبق ما يشير الى جنس الخبر كقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء بعد قوله حكاية وما أبرئ نفسى المشير الى ان المتكلم سيخبر عن النفس بشئ من اساآتها وقد يجعل غير المنكر منكرا وذلك حيث يلوح عليه ما يلوح على المنكرين كقول العربى

جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح

أى جاء واضع رمحه على صورة الآمن الذى ليس يخشى حربا كأنه يعتقد ان أعداءه عزل ليس معهم سلاح ولاهم أهل قتال كما يجعل المنكر غير منكر اذا كان معه من دلائل العلم وموجبات المعرفة وهو لها طارح وعن استعمال فكره فيها معرض

يحكى أن بعض العجم قال لبعض العلماء انّ فى لغة العرب فضولا وألفاظا زائدة تارة يقولون عبد الله قائم وتارة ان عبد الله قائم وتارة ان عبد الله لقائم فقال له ان لكل موضعا يقتضيه وكان هذا من أسباب إقبال العلماء على هذا الفن

الجملة الاسمية للثبوت وضعا وللدوام استعمالا بالقرينة وذلك اذا لم يكن فى خبرها فعل الجملة الفعلية للتجدد والزمان باختصار وقد يفاد بالمضارع الاستمرار التجددى بمعونة المقام وقرينة تنصب لذلك ويبنى الفعل للمفعول لجهل الفاعل أو علم السامع به فيكون ذكره كالعبث أو تعظيمه والادب فى حقه تعرف ذلك من قوله تعالى وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فحيث ذكر الخير صرح بالفاعل وفى مقابله بنى الفعل للمفعول أو تحقيرا لفاعل أو الخوف منه أو عليه وتقيد الافعال حيث تكون القيود محط الفائدة ومتعلق الاغراض الاشارية كما تقول ركب زيد اليوم فرسا وزارك فلان ماشيا على قدميه وكرم زيد أصلا تتكلم بالكلام لغرض التعظيم والاجلال أو التحقير والاهانة أو التعجب من أحوال الدنيا فتجد القيود فى الجملة هى متعلق ذلك والنواسخ فى جملها هى قيود المسند بما لها من الازمنة والمعانى التى سلف بيانها ويوضع الماضى موضع المضارع للتنبيه على التحقق أو قرب الحصول ويوضع المضارع موضع الماضى لحكاية الحال حيث يكون المعنى غريبا ينبغى تأمله والنظر فيه

فتحضر صورته فى الخيال لذلك مثل أرسل الرياح فتثير سحابا وقد يقصد به افادة الاستمرار فى الاوقات الماضية نحو زيد يشرب ويطرب ويلهو ويلعب حتى أضاع طريفه وتليده فهو الآن عبرة لمن يعتبر وذكرى لمن يريد أن يذكر

(الجملة الشرطية) عرفت مفادها فى النحو ومابين أدوات الشرط من الاختلاف والذى يخص هذا الفن أن لو قد يؤتى معها بلفظ المضارع لافادة معنى الاستمرار فى الاوقات الماضية مثل لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فمعناه انتفى عنتكم وحصول ما يسوءكم بسبب استمرار امتناع عمله على رأيكم حيث كانت نتيجة الخير فى مخالفته وان واذا لكونهما للتعليق فى المستقبلات فحقهما أن يؤتى معهما بالمضارع الذى هو العبارة عن المستقبل ولكن كثر أن يؤتى معهما بالماضى للابراز فى معرض الحاصل لقوة الاسباب أو التفاؤل أو اظهار الرغبة نحو ان ظفرت بحسن العاقبة فان الطالب اذا عظمت رغبته فى مطلوبه يكثر تصوره اياه فربما يتخيله حاصلا أو للتعريض نحو لئن أشركت ليحبطن عملك فجىء بالماضى ابرازا للاشراك فى معرض الحاصل على سبيل الفرض تعريضا للمشركين بأنه قد حبطت أعمالهم ونظيره فى التعريض ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون قصدا لاسماع الحق على وجه لا يزيد غضب المخاطبين حيث لم يصرح بنسبتهم الى الباطل وهذا أدخل فى امحاض النصح لهم لاشعاره بانه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ويسمى هذا كلام المنصف وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين حيث ردد الضلالة بينهم وبين نفسه ولم يقل انا على هدى وأنتم فى ضلال تحاشيا عن التصريح بنسبتهم الى الباطل وقد تستعمل ان فى غير المشكوك للتجاهل أو جهل السامع أو تجهيله أى تنزيله منزلة الجاهل كقولك لمن يؤذى أباه ان كان هذا أباك فلا تؤذه

(الذكر) يجب عند عدم القرينة ويترجح معها لكونه الاصل ولا صارف أو قلة الثقة بالقرينة لضعفها أو ضعف فهم السامع أو زيادة التقرير والايضاح أو التعريض بغباوة السامع أو التبرك أو التلذذ أو ابهامهما أو التعجب اذا كان الحكم غريبا نحو زيد يقاوم الاسد أو التعظيم أو الاهانة كما فى بعض الالقاب المحمودة والمذمومة أو بسط الكلام لفائدة فى مقام الافتخار ونحوه كما يقال لك من نبيك فتقول نبينا محمد حبيب الله سيد الانبياء والمرسلين أو لئلا يتمكن السامع من ادعاء عدم التنبيه أو لتعين كون

المسند

المسند اسما أو فعلا أو ظرفا ليدل على الثبوت أو التجدد وهذا الوجه لذكر المسند والباقي مشترك بين ذكر المسند اليه وغيره

(الحذف) أما الواجب منه على ماشرح في النحو فوجوبه عليك لاتباع الاستعمال والذي دعا العرب له وضوح المحذوف وظهوره جدّا وقصدهم الايجاز وربما كان الحذف أعون على تفهيم الغرض من الكلام مثلا تقول لا أزال أتبرك بخدمة فلان العالم الفاضل المتمسك بقطع النعت فالحذف ادخل في افادة أن الغرض المسوق اليه الكلام هو المدح والمدح بالاعتقاد وزعم المادح فلا يحتمل الجدل فلو صرح بالمبتدأ لاحتمل انه دعوى يحاول إثباتها فيفتح للمخاطب باب المنازعة وأما الجائز في حكمهم فيوجبه البليغ لما يذكر من دواعيه كضيق المقام من توجع ونحوه مثل

قال لي كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل

أي أنا عليل وحالي سهر دائم فحذف لضيق المقام للتوجع أو الحزن أو للاحتراز عن العبث ظاهرا نحو يسبح له فيها بالغدوّ والاصال رجال على قراءة المجهول فكانه قيل من يسبح له فقال رجال أي يسبح له رجال فحذف للاحتراز عن العبث نظرا الى ظاهر القرينة لا العبث في الحقيقة لان ذكر المسند والمسند اليه لا يكون عبثا حقيقة أصلا وفيه تكثير الفائدة بنيابته عن ثلاث جمل أي في هذا النظم على هذه القراءة تكثير الفائدة بكون المذكور نائبا عن ثلاث جمل إحداها المذكورة والثانية من يسبح له والثالثة يسبح رجال بخلافه على قراءة المعلوم اذ لا حذف حينئذ ولا تقدير سؤال وبكون المسبح له عمدة لانه لما كان قوله له نائب الفاعل فقد جعل المسبح له عمدة في الكلام بخلاف القراءة الاخرى وبكونه تفصيلا بعد إجمال وهو أوقع في النفس ولهذه الوجوه ترجح رواية المجهول على رواية المعلوم في قوله * ليبك يزيد ضارع لخصومة * أو لتخييل العدول الى أقوى الدليلين عقلي ولفظي فان الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ وعند الحذف على دلالة العقل وهو أقوى أو لاختبار تنبه السامع أو قدر تنبهه فالاول هل يتنبه بالقرينة أو لا والثاني هل يتنبه بالقرينة الخفية أو لا أو لصونه عن لسانك أو عكسه أو إيهامهما فالاوّل للتعظيم والثاني للتحقير ويقرب منه الحياء من التصريح كقول عائشة رضي الله تعالى عنها مارأى مني ولارأيت منه تعني العورة أو لتعينه ولو ادّعاء نحو خالق كل شئ فان الخالق مخصوص بالباري تعالى أو للاخفاء أو ليمكن الانكار أو لتكثير الفائدة باحتمال أمرين نحو فصبر جميل أي فامري أو أجمل يعني أنه

يحتمل كونه خبر مبتدأ محذوف أى فامرى صبر جميل وكونه مبتدأ محذوف الخبر أى فصبر جميل أجمل وأولى ونحو فاتباع بالمعروف أى فليكن أو فالامر أو للتعميم باختصار نحو والله يدعو الى دار السلام أى يدعو العباد كلهم اذ الدعوة عامة وهذا التعميم وان أمكن بذكر المفعول على صيغة العام لكن يفوت الاختصار حينئذ أو للتناسب نحو وما قلى اذ لو قيل وما قلاك فات شبه السجع وقد يحذف المفعول نسيا فلا يكون منويا مقدرا ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا لمجرد اثبات الفعل أو نفيه فينزل منزلة اللازم نحو هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فان الغرض مجرد اثبات العلم ونفيه من غير ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص والمعنى لا يستوى من تثبت له حقيقة العلم ومن لا تثبت ولا يقدر له مفعول والا فات هذا الغرض

(التقديم)

اقتصروا فى تعليل واجبه على اتباع الاستعمال وهم مطالبون بالتماس أسباب الاستعمال كما هو مقتضى وظيفة من نصب نفسه لبيان موجبات اختلاف هيئات التراكيب العربية وأما الجائز فقالوا انه للاهتمام به من المتكلم أو السامع ولو ادعاء قال الشيخ عبد القاهر لابد فى تعليل تقديم اللفظ أى النطق به أولا وان كان موضعه الطبيعى بعد الاهتمام به والعناية من ذكر جهة خاصة توجب الاعتناء بأن يقال لكونه الاصل ولا صارف أو للتشويق الى الخبر لتمكينه فى ذهن السامع وهذا اذا كان المسند اليه مشعرا بغرابة الخبر نحو

والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

أو لتعجيل المسرة أو المساءة أولا أو تطيرا اذا كان اللفظ صالحا لهما نحو سعد فى دارك والسفاح فى دار صديقك ونحو العفو عن فلان صدر به الامر ونحو اذا ابتسم لك ثغر الايام فنحن مقترحون عليك ما نشاء أو لايهام انه لا يزول عن الخاطر اظهارا للقوة المحبة لان اسم المحبوب كثيرا ما يوجب بدل الغلط والتبرك أو التلذذ أو كونه محز التعجب والاستبعاد أو مقطع الحكم ومركز العناية نحو ولم يكن له كفوا أحد ترتيب الكلام ولم يكن أحد كفوا له فمركز العناية نفى الكون له ثم الموضع الثانى للفظ الكفء ونحو أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف أو أتنخدع بعد طول التجربة أو أبهذه الزخارف هذا حسبما تجده موضع التعجب والانكار أو لبيان اتسامه بالخبر واشتهاره

بمعناه وكونه صار له عادة كما تقول فى جواب كيف الخطيب الخطيب يشرب و يطرب ليس غرضك أن تخبر بحصول الشرب منه فى أى زمن فلا يصح فى الجواب يشرب الخطيب أو الكناية بلفظ مثل وغير نحو مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود أى أنت لا تبخل وأنت تجود أو للنص على عموم السلب فى نحو كل ذلك لم يكن فلو أخر لفظ كل ولو رتبة بان كان معمولا قدم على عامله مع النفى أو للتقوية فى الخبر الفعلى لتكرر الاسناد نحو زيد قام والحق وضح أى لتقوية الحكم اذا كان الخبر فعلا فانه حينئذ يكون المسند اليه مبتدأ والفعل مسندا الى ضميره فيتكرر الاسناد فيتقوى الحكم بخلاف ما لو أخر فانه يكون حينئذ فاعلا أسند اليه الفعل فلا يتكرر الاسناد وتقوى الحكم حيث يكون الخبر مشتقا غير فعل انزل منه حيث يكون فعلا لان ضمير المشتق لكونه لا يتغير كان بمنزلة المفقود وأمثلة التقديم لتقوية الحكم تستعمل للتخصيص بقرينة الحال فنحو زيد فهم يكون لتقويه الحكم فمعناه زيد فهم يقينا وأنا من غيره فى شك مثلا ويكون للتخصيص فمعناه زيد فهم وغيره لم يفهم ونحو رجل جاء للتخصيص بالجنس أو الواحد أى لا امرأة أو لا أكثر والتقديم فى نحو ما أنا قلت للتخصيص قطعا ومعناه ان نفى فاعلية الفعل الحاصل مختص بى فيكون الفعل ثابتا وانما النزاع فى فاعله فالمتكلم يقول لست الفاعل له بل غيرى فانظر من هو أو هو فلان فلا يصح ما أنا فعلت هذا ولا غيرى ولا ما أنا ضربت الا زيدا فانه حينئذ يكون تفريغا فى الاثبات حيث لا يمكن فان المعنى غيرى ضرب كل أحد الا زيدا والتقديم فى نحو

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

للتحرز من احتمال الوصفية وفى نحو

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

لتشويق نفس السامع الى المؤخر وعلى أمثال هذه الدواعى يدور أمر التقديم وباب الاعتبار مفتوح لذوق المتكلم وما ذكر من الدواعى كاف لترشيحه وتربية فطنته الى اعتبار محاسن المقاصد الكلامية

(التعريف)

حيث يكون غرضك أن تتكلم على ما يعرفه المخاطب بسبب حضوره أو عهده أو سبق ذكر له وحينئذ تورد بعض المعارف لكن لكل معرفة موضع فالعلم لاحضار الشخص بالاسم الخاص المعروف وضعه له نحو محمد رسول الله وما كان محمد أبا أحد

من رجالكم فلما أحس عيسى منهم الكفر يامريم لقد جئت شيئا فريا أو للتبرك أو التلذذ أو التعظيم أو الاهانة كما في الالقاب الصالحة لمدح أوذم نحو أبو الخير وأبو الفضل فتقول حيث تستحسن شعرا لاحمد بن الحسين المشهور بالمتنبي قال أبو الطيب تلحظ فيه الاشارة الى جودة ما تنشده له وطيبه كذلك تقول قال حبيب بن أوس تعني أبا تمام وحيث تنشد للبحتري بعض مالا تستحسن من كلامه تقول قال الوليد ومن هذه الملاحظة ملاحظة أحمد بن سليمان المشهور بابي العلاء المعري حيث شرح دواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة فسمى شرحا ذكرى حبيب وشرحا بعبث الوليد والثالث بمعجز أحمد والضمير لاغراض تتعلق بكلمة أنا وأنت مثلا تقول أنا رجوتك في هذا الامر وأنت كانني فكيف أغفل وفلان هو سعى لك وسوق الضمير الذي يتأخر مرجعه لفظا ورتبة للتفخيم والتعظيم والابهام والتفسير وأصل الخطاب أن يكون مع معين وقد يكون لنكتة مع غير معين كما في قولك اللئيم من اذا أحسنت اليه أساء اليك والكريم من اذا أسأته أحسن بك واجتهد في اصلاحك فتعميم الخطاب ليصير نفس الفعل هو المحقق لحقيقة الكريم وحقيقة اللئيم وحيث يكون المتكلم حاكيا عن نفسه فالمقام لضمير المتكلم وحيث يكون الكلام ملقى الى مخاطب فالمقام لضمير المخاطب وحيث يراد ذكر الشئ بعد تقديم ما يشعر به فالمقام لضمير الغائب وقد يعدل عن مقتضى ظاهر المقام والحال الى مقتضى الحال فيوضع الظاهر موضع الضمير لغرض يتعلق به كقول الامير لتابعه أميرك أمرك بكذا دون أن يقول أنا أمرتك بكذا تعيينا لجهة المخافة الموجبة للتحرز بالامتثال والمسارعة الى القيام بالوظائف وقال تعالى فتوكل على الله أي هو الله الذي من توكل عليه كفاه المؤن حيث لا معقب لحكم ولا تنفد خزائن امداده وأمثلة وضع الظاهر موضع الضمير في القرآن كثيرة يحكى أن بعض الناس حين سمع قول ابن الرومي بحضرة الصاحب ابن عباد

يجهل لجهل السيف والسيف منتضى * وحلم لحلم السيف والسيف مغمد

استهجنه لما فيه من التكرير فقال الصاحب انه لو قال وهو لا أقول انه ينكسر البيت ولكن أقول انه ينكسر القلب يعني ان حسن هذه العبارة من الجهة التي منها الاستهجان فان الغرض تربية الروعة وابقاء الاستهالة متزايدة في نفوس الاعداء ألا ترى انك في مقام التهديد تكثر من ذكر المرهوبات كما انك في مقام التبشير وبسط

النفوس

النفوس تكثر من ذكر المرغوبات واسم الاشارة للاحتياج اليه أو لكمال العناية بالمحكى عنه كقول ابن الرومى

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه * من نسل شيبان بين الضال والسمر

أو لاظهار الاستغراب والتعجب كقول القائل

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

أو لايهام بلادة المخاطب أو فطنته وتوضع اشارة القريب مكان اشارة البعيد وبالعكس لاظهار التعظيم أو التحقير والاشارة للمبصرات الحاضرة وينزل المعقول منزلة المحسوس وغير المبصر منزلة المبصر والغائب منزلة الحاضر لامثال تلك الدواعى المذكورة قال الله تعالى منذا الذى يشفع عنده الا باذنه ماذا أراد الله بهذا مثلا أهذا الذى بعث الله رسولا ذلك الكتاب لا ريب فيه ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولباس التقوى ذلك خير والموصول لعدم العلم بما يخصه سوى الصلة نحو من دخل هذا الحصن فله كذا او للاخفاء أو استهجان التصريح بالاسم أو التشويق الى ما يرد لتمكنه فى الذهن وهذا اذا كان مضمون الصلة حكما غريبا نحو والذى حارت البرية البيت أو زيادة التقرير نحو وراودته التى هو فى بيتها أى راودت زليخا يوسف عليه السلام والكلام مسوق لنزاهة يوسف عليه السلام وكونه فى بيتها أدل على نزاهته فيكون تقريرا للغرض المسوق له الكلام وقيل لتقرير المراودة بدلالة كونه فى بيتها على كثرة الخلطة وزيادة الالفة أو التفخيم نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم أى غطاهم وسترهم موج عظيم لا يمكن وصفه أو التحقير نحو ومن لم يدر حقيقة الحال قال ما قال أى قال قولا لا يعتد به وتحقيقهما أن فى التعبير بالموصول ابهاما والابهام إما للاشعار بأنه لا يوصف لعلو مرتبته عن الفهم فيفيد التفخيم وإما للاشعار بأنه لا يوصف لدنو منزلته عن أن يلتفت اليه فيفيد التحقير أو التنبيه على الخطأ نحو

ان الذين ترونهم اخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

أو تحقيق الحكم نحو

ان التى ضربت بيتا مهاجرة * بكوفة الجند غالت ودّها غول

أو تعظيم المحكوم به نحو

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

يريد بيت العز والشرف بالحسب والنسب أى فهو فى الرفعة وعلوّ الشأن من جنس السماء أو تعليله نحو ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فان الايمان وعمل الصالحات سبب للجنات ورفع الدرجات وذو الاداة حيث تكون الحكاية عن جنس أو معهود من أفراده أو جميع أفراده على ماسلف تقريره فى النحو وحيث يكون ذو الاداة خبرا كان الكلام من عبارات التخصيص نحو زيد هو المنطلق والكرم التقوى وذلك هو الرجل فالتخصيص حقيقى أو ادّعائى والمضاف لتعيينه بالاضافة أو تخصيصه أو تشريفه أو تشريف المضاف اليه أو الاختصار نحو سبحان الذى أسرى بعبده وعباد الرحمن ودينا الاسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونحو أنت تعرف رغبة فلان واعتمدت على همتك

(التنكير) للافراد شخصا أو نوعا نحو والله خلق كل دابة من ماء أى كل فرد أو نوع منها من فرد أو نوع منه أو لانه لا يعرف منه الا ذلك القدر ولو ادّعاء كما تقول وقد أسمعت شعرا هو كلام أى ليس الا الفاظا مركبا مفيدا بالوضع تجرده عن الوزن والتقفية والصناعة أو للاخفاء أو التكثير أو التقليل أو التعظيم أو التحقير نحو

له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب
فتى لا يبالى المدلجون بناره * الى بابه ألا تضىء الكواكب
يصم عن الفحشاء حتى كأنه * اذا ذكرت عن مجلس القوم غائب

أى له حاجب عظيم وليس له أدنى حاجب وهو فتى أى فتى وفى الشعر ما يذكرك بكثير مما مضى ونحو

ولله عندى جانب لا أضيعه * ولِلهو عندى والخلاعة جانب

(التقييد) ببعض التوابع لما سلف تقريره فى النحو لم يذكروا فى هذا الفن زيادة عنه غير أن عطف البيان يكون كالنعت للمدح نحو الكعبة البيت الحرام وان الفاء وثم كما يكون معناهما بحسب الزمان يكون بحسب المرتبة والتفاوت فيهما مثل ان التفسير يناسب أن يعقب المفسر نحو وجعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان والتراخى بحسب التفاوت والبعد بين الحالتين تفهمه من آية خلق الانسان ثم أنشأناه خلقا آخر الفصل بلفظ هو للتخصيص أو لتأكيده حيث يستفاد من غيره

(القصر) ويقال الحصر والتخصيص يكون بعطف لا قيل ويختص بقصر القلب وبعطف لكن قيل ويختص بالافراد ويكون بأدات نفى وإلا ويكون بانما ولا يعرف المقصور

المقصور عليه معها الا بتأخيره فوجب و يكون بالتقديم اعتمادا على القرينة لا بالوضع كسابقه و يكون بالفصل كما سبق و بقولك فقط أو وحده والقصر حقيقي واضافي أي بالنسبة الى صفة أخرى أو موصوف آخر والحقيقي في قصر الموصوف على الصفة نادر جدا حتى قيل انه متعذر نحو انما الله كامل فليس وراء الكمال صفة

(الجمل الانشائية) يخصها من الكلام أنها تخرج عن استعمالها في معانيها الاصلية التي عرفتها لها في النحو الى مرادات يلزم تنبيهك لها تلحظها في كلام العامة فضلا عن كلام الخاصة مثل كون الامر والنهي يراد بهما نحو التهديد اعملوا ما شئتم والاهانة كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم والتعجيز فأتوا بسورة من مثله والتسوية اصبروا أولا تصبروا وان عبارات الاستفهام تكون لصرف الانكار فتكون كعبارات النفي نحو هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومن يغفر الذنوب الا الله وللتوبيخ والتعجب والتعجيب والتقرير أي حمل المخاطب على الاقرار الى غير ذلك مما ينبه المقام وسياق الكلام على اعتباره والشيء الذي يتعلق به الاستفهام وما يتولد منه يكون واليا للهمزة تقول أماشيا جاء زيد حيث يكون الاستفهام متعلقا بالحال وهكذا كما سلف تقريره عندبيان كون الاستفهام لطلب التصديق أو طلب التصور والكلام العام في هذا الموضع أنك اذا وجدت العبارة مدلولا على أنها غير مستعملة في معناها الاصلي الذي عرفته لها طلبت المراد منها باعانة القرائن وسياق الكلام من جنس تلك الدواعي التي عرفتها حيث تقرر عندك ان الدواعي المذكورة في هذا الفن انما هي أنموذج ينبهك على اعتبار ما يحسن في الذوق اعتباره وكلمة ما من أدوات الاستفهام يطلب بها تفسير اللفظ نحو ما العنقاء وشرح الماهية نحو ما هو الهواء وما هي النار والاعلام بحال المذكور معها نحو ما أنت فتقول رسول فلان اليك في أمر كذا وكلمة هل ان كان الاستخبار بها عن وجود الشيء سميت البسيطة وان كان عن غيره سميت المركبة وعليه يقول أهل المنطق الهلية البسيطة والهلية المركبة وبقية الادوات سبق لك ابانة وظائفها هذا واجراء الكلام على ما تقتضيه ظواهر الاحوال حسب المتعارف يسمى اخراج الكلام على مقتضى الظاهر واجراؤه على خلافها يسمى اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر مثلا اذا عرفت ان انسانا يعرف مضمون خبر فمقتضى ظاهر الحال ألا تخبره به حفظا للوقت من الضياع بل تخبره بما تعرف جهله به استزادة في علمه لكن اذا رأيته عاملا على خلاف علمه حسن ان تنزله منزلة الجاهل تأديبا له وتنفيرا عن غير

الحسن فتخبره بالخبر كما هو ومقتضى هذا الحال فنه تنزيل العالم منزلة الجاهل وعكسه مثلا تقول لتلميذك وأنت تعلم أنه لم يكتب اسمعنى ما كتبت كأنك تجهل عدم كتابته ليكون هو الذاكر لجنايته ومنه وضع الظاهر موضع الضمير والماضى موضع المضارع وعكسه لما سلف ومنه وضع الخبر موضع الانشاء للتفاؤل فى نحو هداك الله لمحاسن الاعمال أو لاظهار الرغبة أو للتأدب مع المخاطب بترك الامر كما تقول ينظر مولاى فى هذه القضية ويتفضل على برأيه فيها بدل انظر وأشباه ذلك ومنه تجاهل العارف اظهارا لشدة الوله كقول أخت ابن طريف حين ترثى أخاها

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو الفخر بالمسارعة الى الخير نحو أينا كتب وحفظ وفهم ومنه التغليب فيعبر عن المغلوب بعبارة الغالب نحو وكانت من القانتين تغليبا للذكور ونحو رب العالمين تغليبا للعقلاء ونحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس تغليبا للكثير ونحو العمران لابى بكر وعمر تغليبا للاخف كالحسنين والابوان والقمران تغليبا للذكر ومنه الالتفات كأن تكون فى الاخبار عن شخص بأمور تعددها عليه وهو حاضر ثم تلتفت للكلام الى خطابه بأن تقول شاكيا منه الى من معه المكالمة انى دللته على رشاده وأبنت له وجوه المنفعة فيما أمرته به وأريته جهات الضرر فى خلافه تظهر أنه قد اشتد بك الغضب وآلت بك الحال الى تبدل الرحمة بالقسوة كما قيل

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما * فليقس أحيانا على من يرحم

فتلتفت الى خطابه قائلا فماذا أصنع بك أعاملك معاملة البهائم أم أخليك نقمة على نفسك وعارا على بيتك فالالتفات أن تخالف الظاهر بالاخبار بعد الخطاب نحو حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والخطاب بعد الاخبار نحو اياك نعبد واياك نستعين فلا بد من عبارتين تخالف الثانية الاولى فى التكلم والخطاب والغيبة أو المدار على مخالفة الظاهر رأيان فقول الشاعر * تطاول ليلك بالاثمد * خطابا لنفسه من الالتفات على أحد الرأيين كأنه نظر الى ما حقه أن يعبر به فأعرض عنه والتفت الى غيره والمدار فى نكات الالتفات ما تستحسنه الاذواق ويصلح أن يكون داعيا لتغيير الاسلوب ومخالفة الظاهر مثلا الالتفات فى اياك نعبد للتنبيه على ان مرتبة التوجه الى شئ بالعبادة وطلب المعونة انما هى بعد معرفته بكونه المبدع الحافظ المحسن بتبليغ العابد المستعين الى حال كماله مقبلا عليه بأتم رحمة وأسبغ نعمة وهو المتصرف فى جميع أحواله

لا معقب

لا معقب لحكمه فيتضمن هذا تعليم العباد أنه لا ينبغي الاقدام على طلب ثمرة من شئ الا بعد معرفة الطريق الموصلة اليها وما يلزم من العمل والنكتة في نحو إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر التمكن من ذكر الجهة التي يسهل على كل أحد ملاحظتها داعيا للشكر بامتثال ما أمر وابه واجتناب مانهوا عنه وهي التربية وأن الترتيب بهذا العنوان يكون مشتملا على بسط نفس المخاطب بوعده التمكين من ثمرة الشجرة كأنه قال أعطيناك وسنوصلك الى جميع منافع مالك أعطينا وعليك بالتأمل لتستخرج محاسن مايرد عليك من الالتفاتات بالقياس على هذا ومنه الاسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ماهو يترقبه جوابا عن كلامه لغرض كالتنبيه على محله من المعرفة ودرجته من الاعتبار يحكى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما وصل بجيش الجهاد وهو أميره الى الحيرة وتحير أهلها كان فيهم رجل معمر ذو رأى وطول تجربة يقال له عبد المسيح فقال يا أهل الحيرة مكانكم حتى آتي هؤلاء فان وجدتهم على حق فلا خير في خلافهم وان يكن غير ذلك فها أناذا قد استصحبت سما أتناوله اذ ذاك وشأنكم وما ترون فلما حضر عند خالد كان من كلامه له من أين فأجاب من صلب أبي فقال في م أنت قال في ثيابي فقال علام أنت قال على الارض فقال كم سنك قال اثنان وثلاثون فقال خالد أسألك عن الشئ فتجيب بغير جوابه فقال لم أفعل انما أجبتك جواب ماسألت فقال خالد دعني من هذا ما أنت فقال أنا رسول من ورائي ونظر خالد الى يده فوجده قد أطبقها على شئ فقال ما بيدك فأخبره انه سم وما جرى بينه وبين قومه فتناول خالد السم من يده وابتلعه فغاب هنيهة وضرب بلحيته على صدره وتصبب عرقا ثم أفاق وكان عبد المسيح فأسلم وهذه من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ويحكى أن شاعرا يقال له القبعثري في أيام الحجاج بن يوسف كان مع بعض أصحابه في بستان فجرى ذكر الحجاج فقال اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فبلغ ذلك الحجاج فأحضره وذكر له ما كان منه فقال انما أردت العنب فأخذ يتهدده فكان من كلامه لاحملنك على الادهم يريد القيد فقال القبعثري مثل الامير من حمل على الادهم والاشهب فقال أردت الحديد فقال لان يكون حديدا خير من أن يكون بليدا فقال احملوه فثلا سبحان الذي سخر لنا هذا فقال اطرحوه فتلا منها خلقناكم وفيها نعيدكم فصفح عنه وكانت تلك عادة الحجاج يهب جنايات الشخص لآدابه فالغرض تنبيه المخاطب على خطائه وان الاليق بامارته وقدرته ان يصفد ويعطى لا أن يصفد ويقيد

والنور المبين فى الاسلوب الحكيم قوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فطلوب السائلين ابانة سبب تشكل القمر فى أشكاله حيث كان سؤالهم ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يصير بدرا ثم يتناقص حتى يعود كما بدا فحمل سؤالهم على أن مطلوبهم إبانة الحكم المترتبة على ذلك فأجيبوا على وفقه تنبيها على أنه الاولى بهم اذ كان هو الذى يهمهم فى أعمال دنياهم وآخرتهم ومن خلاف الظاهر القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض وأدخلت الخاتم فى أصبعى ووجه الكلام عرضت الحوض وأدخلت اصبعى فان العرض ان تحضر ما لاختيار الى ما يختار تنظر هل يفعل تقول عرضت الماء على الفرس غير مرة فلم يشرب كأنه جزئ برطب الخلاء عن الماء وهل القلب مقبول داخل فى باب البلاغة ثالث الاقوال انه ان اشتمل على نكتة تحسنه فهو مقبول قال القطامى فى صفة ناقته

فلما أن جرى سمن عليها * كما طينت بالفدن السياعا

الفدن القصر والسياع هو الطين الذى يبسط على ظاهر الجدران لتسويتها وتحصيل ملاستها والسمن الشحم وترتيب الحيوان العظم وغطاؤه اللحم وغطاء اللحم الشحم والغطاء الاخير الجلد فالشحم بمنزلة السياع وفى المثل قيل للشحم أين تذهب فقال أسوّى العوج فكان وجه الكلام كما طينت الفدن بالسياع ولكن لما أراد المبالغة ليفيد كثرة الشحم قلب فى الكلام وذلك ان العادة أن يكون الجدار غليظا والساتر انما هو طبقة رقيقة فجعل الساتر مستورا والمستور ساترا نقلا للغلظ والرقة عن موضعيهما فجاءت المبالغة ثم إن القلب لم يكثر فى كلام العرب ولم يرد فى أبلغ الكلام فهذا هو سبب الاختلاف فى قبوله ويقبل منه مثل أن تقول مازلت أعظ لسانى به فلم ينفع ثم ضربت هذه العصابة حتى تكسرت فلم يجع فقلت لا تهدى من أحببت

(باب الجملتين فأكثر)

وترجموا له بالفصل والوصل والمراد بالوصل العطف وبالفصل تركه والمقصود بالبحث فى هذا الباب انما هو العطف بالواو وذلك أن الواو كما عرفت لا تفيد الا مجرّد الجمع بين شيئين فى حكم ان كانت فى عطف المفردات أو الواقع موقعها من الجمل وفى مجرد الكون والحصول اذا كانت فى عطف الجمل التى ليست واقعة موقع المفردات وانك لا ترى نفسك تقنع بهذه الفائدة للعطف فانك تقول لو ذكرت الجمل بدون عطف فهم أنها مشتركة فى الكون والحصول وأما بقية حروف العطف فهى ظاهرة الفائدة بما لها من المعانى

فوجب

فوجب ان يفضى بك التعليم لتقف على اسرار البلاغة الى ابانة مواضع فصل الجمل بعضها عن بعض ومواضع وصلها

(مواضع فصل الجمل)

(الموضع الاوّل) الجمل المتباينة بالخبرية والانشائية معنى نحو أكرم زيدا وزيد رجل عالم فانك تجد من طبعك نفرة عن الجمع بين هاتين الجملتين لخلوه عن الفائدة بخلاف أكرمه فهو فاضل ونحو أكرمني زيد أكرمه الله لكن اذا كان الفصل لهذا السبب موهما خلاف المقصود وجب الوصل لتعارض المانع والمقتضى اذا وليس وراء الفصل الا الوصل يحكى أن الصدّيق رضى الله عنه كان فى محاورة مع اعرابى فقال الاعرابى أثناء كلامه لا رحمك الله فقال الصدّيق انه لو حسن اعتقادكم لأنارت عقولكم ألا قلت لا ورحمك الله فكلمة لا خبر ورحمك الله انشاء والوصل يعين دعاء اللام والفصل يوهم دعاء على وكلام الصدّيق يستدعى ابانة فرب قاصد يقول ما لحسن الاعتقاد وانارة العقول فانها بالمعارف فنقول له ان حسن الاعتقاد عبارة عن كمال الايمان المستدعى التخلق المأمور به فى قوله تخلقوا بأخلاق الله والتأدب بآداب أنبيائه والراسخين فى العلم وذلك انما يكون بمعرفة ذلك ومدخلك اليها من قوله صلى الله عليه وسلم أدّبنى ربى فأحسن تأديبى ويحكى انّ الصاحب بن عباد قال حين سمع من بعض مخاطبيه أوّل ما سمع لا وأيدك الله هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ على خدود الملاح

(الموضع الثانى) الجمل التى فقدت المناسبة بينها والجهة الجامعة التى سيرد عليك شرحها وتفصيلها نحو زيد فاضل والكلب نجس العين فى رأى ومن هنا أخذوا على أبى تمام فى قوله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلال باللوى ورسوم
لا والذى هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسين كريم
ماحلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على إلف سواك تحوم

حيث عطف فى واسط الابيات دون مناسبة بين الجملتين وحاشا أبا تمام ان يشذ عليه مثل هذا وهو امام البلاغة

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الاذان منه * على قدر القرائح والفهوم

وبيان الجهة المحسنة للوصل فى قوله بعد أن تعلم أنّ هؤلاء الشعراء كان تعيشهم من جوائز مدح الامراء اذذاك وكانت الامراء متباعدة الامكنة فى أقطار الدولة فكان الشاعر منهم يقصد الامير بمصر من بغداد والامير بخراسان من الشأم قال الحسن بن هانئ

تقول التى من بيتها خف محملى * عزيز علينا أن نراك تسير
أمادون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى إثرهنّ عبير
دعينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيها الخصيب أمير
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

وهذه القصيدة هى التى يقول فى براعة الانتهاء منها

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أمّلت فيك جدير
فان توانى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

يقال انّ الخصيب لما سمع هذه القصيدة تحير فى جائزة الشاعر فرأى فى نومه قائلا أجزه بنجة كاب فأولها بلفظة ألف وبعد الالف حشاه درًّا فكان الشاعر كما ترى يصف بعده عن وطنه ومفارقته أهله وعشيرته وأحبابه ومرائع أنسه ايجابا للحق على من قصد فكأنه يقول له جودك يردنى الى وطنى ويجمع بينى وبين أحبتى فى قرار عين وسكون خاطر وقد كشف هذا المعنى أبونواس فى قوله

سأشكو الى الفضل ابن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وأبو الطيب فى قوله

عل الامير يرى ذلى فيشفع لى * الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وقد عيب على هذين الشاعرين من جهة المعنى لا من جهة البلاغة الشعرية حيث كان طالب الجمع بتلك العبارة لما فيها من ملاحظة القيادة فأراد أبو تمام أن يذكر هذا المعنى بعبارة سالمة من ذلك النقد فعنى قوله ان نوى الاحبة مر كالصبر وقربهم حلو كالشهد وان أبا الحسين قادر عليه وانه كريم غير بخيل فهذه الجمل متناسقة وصلها حسن كما ترى ومن شواهد الفصل لعدم المناسبة قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم بعد ذلك الكتاب فالجملة الاولى مسوقة لمدح الكتاب والجملة الثانية مسوقة لذم الكفرة

(الموضع الثالث) جملة سبقتها جملتان أولاهما صالحة للعطف عليها والثانية

فى

فى العطف عليها افساد فلدفع الوهم ينزل الوصل وشاهده قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون لا يصلح عطفها على قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ولكن يقوم وهم أنها معطوفة على قوله انا معكم وليس من مقول قولهم أو على قالوا آمنا وليس الاستهزاء بهم مشروطا ولبعض الشعراء

وتظن سلمى اننى أبغى بها * بدلا أراها فى الضلال تهيم

يحسن عطف أراها على وتظن لكن يتوهم عطفه على أبغى بها

(الموضع الرابع) الجمل المتحدة مقصودا بان تكون الثانية مؤكدة للاولى أو بيانا لها أو بدلا منها فالمؤكدة كقوله تعالى لا ريب فيه وقوله هدى للمتقين فهما مؤكدتان لقوله ذلك الكتاب على وجه من الاعراب بأن يكون ذلك الكتاب مبتدأ وخبرا ومعناه ذلك البعيد الرتبة العالى المنزلة هو الكتاب الكامل فى باب الهداية فربما يتوهم ان هذا الكلام لما فيه من المبالغة مما يرمى به جزافا فتأكيده بلا ريب فيه تأكيد معنوى وتأكيده بهدى للمتقين تأكيد لفظى فلا يصح ولا ريب فيه وهو هدى كما لا يصح فى قولك زيد زيد قصدك وزارك زيد نفسه ان تقول زيد وزيد وزيد ونفسه والبيان كقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم وربما عطف ما يصلح بيانا لملحوظ آخر كالاشارة الى كون الموصول جنسا آخر منفردا لشدة الفظاعة فيه كما فى آية الحجر ويذبحون والبدل كقوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وهو بمنزلة بدل البعض فى المفردات ولبعضهم

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن فى السر والجهر مسلما

وهذا بمنزلة بدل الاشتمال فالامر بالرحيل لا يعين الكراهة والبغض فانك تقول لصاحبك ارحل فى طلب الجد والعلى وقوله لا تقيمن عندنا صريح فى ابانة المقصود ونص عليه

(الموضع الخامس) جملة يجاب بها عن سؤال ينشأ من جملة سابقة ويسمى هذا الفصل استئنافا واشتهر بالاستئناف البيانى والاستئناف النحوى أعم منه وشاهده قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال كأنه قيل من يسبحه فاجيب يسبحه رجال كما سلف ومن هذا الباب قوله

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

وفى قوله * قال لى كيف أنت قلت عليل * كأنه قيل ما سبب ذلك فأجيب بسببه سهر دائم وفى قوله

زعم العواذل اننى فى غمرة * صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى

كأنه قيل هل صدقوا وتقول أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وأحسنت الى خالد صديقى الصدوق أولى بمعروفى

(الوصل)

له موضعان سبق أحدهما والآخر الجمل المتفقة اسمية وفعلية ولا يحسن المخالفة بينهما الا لنكتة كأن يكون المقام داعيا لجمع مستمر وغيره كقوله تعالى أدعوتموهم أم أنتم صامتون ومع اتفاق الجملتين مثلا فى الاسمية والفعلية لا بد أن يتناسبا تناسبا تاما بحيث يتولد من اجتماعهما معنى واحد يجعل الجملتين جملة واحدة ولتلفت لذلك فى عبارة عادية أوردها عليك مثلا اذا كنت فى مجلس نظمك وبعض أصحابك فطرأ عليكم من تكرهون حضوره معكم ليأخذ منكم من لا يتم الا به أنسكم ولم يجد بدا من الذهاب معه فانه يدخل عليكم لذلك من الوجد والاسف ما تألم له نفوسكم فواحد منكم واقف بالباب اذا بالمحبوب قد رجع فأسرع يبشر الاصحاب بقوله رجع زيد وذهب عمرو أى جاء الحبيب وذهب البغيض فأنت ترى ان التناسب قرن بين هاتين الجملتين حتى تولد منهما معنى واحد جعل الجملتين جملة واحدة وذلك المعنى هو الفرح والسرور بذهاب البغيض ومجىء الحبيب فكان ذلك المبشر يقول ليذهب أسفكم وليراجعكم أنسكم وفرحكم وعليك بتأمل كل وصل فى الكتاب العزيز تجد العجب العجيب قال فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون والمناسبة الجامعة للجملتين عند مفكرتك بحيث يحكم عقلك بحسن الجمع بينهما يسميها أهل المعانى الجامعة بين الجملتين فأكثر فان كانت المناسبات ملحوظة للعقل بلا واسطة وهم ولا خيال كالجمع بين المتماثلات والمتضايفات يسمى الجامع العقلى وان كان بواسطة الوهم يسمى الوهمى وان كان بواسطة الخيال يسمى خياليا فالوهم يجعل الاشياء المتشابهة والاضداد متناسبة متماثلة فعلى من يحاول ان يعرف البلاغة لكلام ينشئه أو عبارات بلاغية يفهمها أن يتقن معرفة مواضع الفصل والوصل ويمعن النظر فى الجهة الجامعة الموجبة لوصل الجمل فيما يرد عليه من كلام الله جل ذكره وكلام بلغاء الناس من الشعراء والكتاب وليخص الجامع

الخيالى

الخيالي بفضل فكر فانه مختلف باختلاف عرف طوائف الناس حتى تجتلى بصيرته حسن العروس المجلوة على أرفع مرتبة من مراتب البلاغة في قوله تعالى في مقام الاستدلال وطلب النظر من خطاب الاعراب أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فان هذه الاشياء لاتزال حاضرة متعانقة في خيالات الاعراب فان سبب حياتهم وتمام تمتعهم بها الغناء والمواشي وأعظم أنواعها عندهم الابل لا يعدون غيرها مالا حتى اذا أطلق لفظ المال عندهم لا ينصرف الا اليها وهم مضطرون الى الانتقال بها من موضع الى موضع حسب وجود المراعي التي سببها الغيث النازل من السماء وحصونهم عند خوفهم الجبال فتلك الاشياء لا تحضر في ذهن الحضري حضورها في ذهن البدوي ولا قريبا منه فعليه أن ينظر الى أحوال الناس نظر تعلم وتعرف حتى يمكنه ان يراعي المناسبات في خطاب كل صنف ومحاورة كل فريق وقد أورد صاحب المفتاح أمثلة في معنى واحد على السنة أشخاص اختلفت حرفهم وآلات صناعاتهم ترشدك الى ما أنت بصدده فقال وصف جوهري لاحسن الكلام أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه في سمط الفاظه فحملته نحور الرواة ووصف الصيرفي خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنه معيار البلاغة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه بهرج ووصف الصائغ خير الكلام ما أحميته بكير الفكرة وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا في معنى وجيز ووصف الحداد أحسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ الروية وأشعلت فيه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الافحام ورفعته بفطيس الافهام الفطيس على وزن سكين المطرقة الكبيرة ووصف الخمار أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وضمته دنان الحكمة وصفاه راوق الفهم فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقل جدته ووصف البزاز أحسن الكلام ما صدق رقم الفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم عند طي ووصف الكحال كما أن الرمد قذى العين كذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص الغفلة بمرود اليقظة ولجمال يصف بليغا البليغ من أخذ بخطام كلامه فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له مجالا فلم يند عن الاذهان ولم يشذ عن الآذان هذا والكلام في أمر الوا وينبهك على مزيتها ويدعوك الى اعتبار مواقعها في نحو كل امره وعمله وفي نحو

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وفي نحو ما أنت ومطارح الانظار وكيف زيد ومسارح الافكار وفي نحو اطلب العلم ولو بالصين ومن مواقعها بعض الجمل التي تريد ان تجعلها حالا على ما عرفت تفصيله في النحو فانك اذا اعتبرت الجمل بأنواعها وجدت بعضها آبيا عن الارتباط الحالي متبادرا الى ذهنك استئنافه مثلا اذا سمعت عثر زيد الشمس مضيئة مواقع الاقدام تبادر الى فهمك أن الجملة مسوقة على طريق الاستئناف لتوبيخ زيد بنفي عذره ونسبته لاهمال التحرز واستعمال آلة الحفظ ويندفع ذلك بالواو فتفهم عثر في تلك الحالة فكيف به في غيرها واشد الجمل افتقارا الى الواو الجملة الاسمية حتى قيل بوجوبها فيها وما ورد بدونها ضعيف ساقط الآن بعض الجمل الاسمية تكون في حكم المفرد فلا يكون خلوها من الواو ضعيفا كقولهم كلمته فوه الى في أي متشافهين وقوله

اذا أتيت أبا مروان تسأله * وجدته حاضراه الجود والكرم

والماضي المثبت قريب في الافتقار الى الواو من الجملة الاسمية حتى قيل انه لا تجعل جملته حالا إلا بقد والواو ويرده قوله تعالى جاؤكم حصرت صدورهم ولا معنى لكونه على تقدير الواو وقد فان ذلك ليس حكما دينيا تجب المحافظة عليه فان الواو وقد لاجل أن تقرب لفهمك ارادة الحال فان الفعل الماضي بطبيعته يصرف ذهنك الى ان الغرض افادة مضمون جملته لانها مبنية على غيرها مرتبطة به قيدا له فاذا سمعت لقيت زيدا ركب فرسه الشقراء ربما تسارع لفهمك ان ذلك أمر آخر تريد أن تفيده بعد ما أنهيت ذلك وأعرضت عنه فاذا سمعت لقيت زيدا وقد ركب فانك لا يختلج في صدرك الآن المراد ثابتا ركوبه متحققا لحالية الجملة معتمدة على الواو ومعنى قد وهذا مراد من قال من المتقدمين ان قد تقرب الماضي من الحال لا يريد الحال الزماني بل يريد الحال المقيدة للفعل بما سمعت من التأويل وبيان المعنى

(الباب الثالث)

(فيما يتعلق بالجملة وجزئها والجمل وهو الايجاز والاطناب والمساواة)

فانها عبارة عن زيادة في الالفاظ وما يقابلها والزائد مفرد أو جملة أو اكثر وكذلك المحذوف أما المساواة فهي كون العبارة مساوية لما تريد أن تفيده كعبارات أوساط الناس الذين لم يرتقوا الى درجة البلغاء ولم ينحطوا الى موضع أهل الحصر والعي والاعتماد في تحقق المساواة على عرفهم في المحاورات لتقاضي أغراضهم وتفهيم ضمائرهم

لا على

لا على ما تقتضيه صناعة النحو ولذلك صح التمثيل للمساواة بقوله جل ذكره ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فلا يقال قد حذف المستثنى منه ومن وادى هذا المعنى قول الناس النية الخبيثة ما تضر الا صاحبها وبالقياس الى عبارات الاوساط يعرف الايجاز والاطناب ذاهبين فى مراتبهما فحد الايجاز كون العبارة أقل من عبارة المتعارف متدرجا الى أن تكون العبارة لو اختصرت لاختلت ولم تفهم المراد وحد الاطناب كونها اكثر منها لفائدة والا كان تطويلا كقوله * وألفى قولها كذبا ومينا * أو حشوا كقوله

* وأعلم علم اليوم والامس قبله * قيل ومنه قول أبى الطيب

ولا فضل فيها للشجاعة والندى * وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فقيل لفظ الندى حشو مفسد وبين ذلك بأن الشجاعة لو لم يكن فيها تعريض الحياة للزوال وما يقرب منه لم تكن فضيلة والصبر عن المحبوب أو على المكروه وفى مواطن البأس نوع من الشجاعة وأما الندى وهو الجود وبذل المال فاله واشعوب بل يرى ان المرء لو عرف الخلود كان بالمال أضن وليس كما قيل فبالمال حفظ الحياة وكمال الانتفاع بها

حياة بلا مال حياة ذميمة * وعلم بلا جاه كلام مضيع

فجود المرء بماله صدقة أو فتوة لبقاء الذكر واغتنام الاجر الا أنه لو فقد فقد بين التعلق بين الشجاعة والصبر ثم الايجاز نوعان ايجاز قصر وايجاز حذف ويسمى اختصارا والاول هو كد البلغاء ومحك الاذكياء ومنه قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فهذا أوجز كلام فى هذا المعنى وأحكمه وأسلسه فانك لو ذهبت تشرحه كنت تقول ولكم فى مشروعية الحكم بأن متعمد القتل يجب ان يسلمه السلطان بنفسه أو نائبه الى أولياء المقتول يشدون وثاقه بحضرة أحبابه وأعدائه فن بالك عليه راحم له باذل عنه دية أو ديتين الى عشر كما وقع من أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه فى بعض من توجه عليه الحكم به ومن شامت موبخ ضاحك الى غير ذلك مما هو أشد على النفوس ولا سيما العرب من الموت فربما قتل بعض الناس نفسه فرارا من ذلك فارتدع الاقوياء عن الاجتراء وشيمت السيوف الا فى جهاد فاستوى الناس وعم الامن واقبل كل على عمله وانتفع بعضهم ببعض فطالت الاعمار وكثرت الذرية ونما المال فظهرت حياة كثيرة عظيمة آمنة مطمئنة يتزايد خيرها ويزيدك معرفة بفضل هذا الكلام أنه لا يمكنك أن توازنه بما كانت العرب ترى أنه أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل

لا فى اللفظ ولا فى المعنى ومن الكلام النوابغ للزمخشرى رحمه الله تعالى فيما يبنى العاقل عليه أمره فى معاشرة الناس استند أو استفد فهاتان الجملتان المتسقتان لا أذكر درّا ولا جوهرا ولا ما كان من نفائس هذه الدنيا يغنيانك عن كتاب حافل فى النصائح والآداب وتأمل التفاوت بينهما باعتبار الوجازة والنزاهة وبين قول من قال شعرا

يا معشر الاخوان أوصيكم * وصية الوالد والوالده
لا تنقلوا الاقدام الا إلى * من ترتجى من عنده فائده
إما لعلم تستفيدونه * أو لكريم عنده مائده

ومن ايجاز القصر فى المفرد مثل أن تقول معقول ومحسوس ومجلود ومكثور بدل مدرك بالعقل ومدرك بالحس ومضروب الجلد وكثيرة أعداؤه عليه وايجاز الحذف يكون بحذف مفرد أو جملة أو اكثر مثل قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا أى فاصبر وتأس وقولهم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون أى أئن ذكرتم ترجمون ويمسنا منكم عذاب أليم وهل يصلح ذلك داعيا فتكونوا مصيبين لا بل أنتم قوم مسرفون وقوله فأرسلون يوسف أيها الصدّيق أى فأرسلوه فجاءه فبلغه عنهم ثم حضر فقالوا يا يوسف ومن أمثلتهم لذلك قول أبى العلاء

طربن لضوء البارق المتعالى * ببغداد وهنا مالهنّ ومالى

أى طربن فأخذت أسكنها وهى لا تسكن ثم أعاودها وتدافعنى الى ان قضيت العجب من كثرة معاودتى وشدة مدافعتها والداعى الى الايجاز تسهيل الحفظ وتقريب الفهم وضيق المقام واخفاء الامر عمن لا تحب اطلاعه عليه وسآمة المحادثة والاشارة للنفرة الى غير ذلك مما سبق تنبيهك لبعضه وليس يعجزك بعد اعتبار الامثال والاطناب مثل قوله تعالى فى مقام الاستدلال انّ فى خلق السموات والارض الآية فايجازه انّ فى الممكن مع تساوى طرفيه آية وقوله فى مقام الشكوى وطلب الاشكاء رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا وايجازه شخت وبين العبارتين عبارات مثل وهن عظمى وشاب رأسى وقد يعتبر الايجاز والاطناب بتفاوت المقامات فقد يقتضى مقام كثرة الكلام لاستقصاء الصفة كالانس على ذهاب الشباب والتضجر من حلول المشيب ومن هنا تسمعهم يقولون الخطب والفخر محل إطناب وكان يقال المدح أيضا محل إطناب حتى قال ابن الرومى

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * واطال فيه فقد أراد هجاءه

لولم

لولم يقدّر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاء

ومن الاطناب التخصيص بعد التعميم نحو تنزل الملائكة والروح أى جبريل خصه بالذكر مع دخوله تحت عموم الملائكة تكريماله كانه جنس آخر ومنه التكرير نحو كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون للدلالة ثم على ان الانذار الثانى أبلغ ومنه اشياء خصت باسماء كالايغال والتتميم والتذييل والتكميل يأتى بيانها فى فن البديع ان شاء الله تعالى

(فنّ البديع)

اعلم أنّ العمل بهذا الفنّ انما هو بعد العمل بسابقيه كما أنّ العمل بفن البيان بعد العمل بفن المعانى وبيان ذلك أنك تنظر أوّل ما تنظر الى المعنى الذى تريد أن تعبر عنه وأين تضع العبارة فحافظك اذا من الخطأ فى تعيين العبارة حسب الموضع هو فن المعانى ثم انك تنظر الى الالفاظ فتختار منها ما تعرف أنه يبين مرادك ويجلو صورة المعنى الذى شخصته أوّلا للبصائر كما تجلو المرأة الصقيلة صورة ما يقابلها وحافظك اذا من الخطأ فنّ البيان ثم اذا أردت أن تزين عبارتك حتى تكون بهجة مفرحة كالصور المنقوشة بنقوش محكمة متناسبة بعد ان أخذت الاعضاء متانتها وكمالها كما يليق بنوعها جاء العمل بهذا العلم وليكن على ذكرك تمثيل الكلام الذى تريد انشاءه بالبيت الذى تريد أن تسكنه من أوّل ماتريد أن تبنيه وقد أفرد المتأخرون هذا الفن بالتأليف وأدخلوا فيه كثيرا من مباحث الفنين كانهم قدّروا كفايته لمعرفة من أين يتميز كلام عن كلام وتشرف عبارة عن عبارة وفصلوه الى أنواع يزيد المتأخر فيها على المتقدّم حتى بلغت عددا كثيرا ولم يزل المشتغلون بمعرفة المحاسن الكلامية يعثرون على أمور اذا قيست لما ذكره أهل هذا الفن كانت مستحقة لنظمها فى سلكه وتسميتها بما يناسبها هذا والاحوال المبحوث عنها فى هذا الفن تنقسم الى لفظية والى معنوية اللفظى منها ما يعود حسنه على الالفاظ كالجناس والطباق والمعنوى ما يتعلق بالمعنى كالمبالغة والغلوّ وها هى تلك أنواع البديع على ترتيب التآليف المستقلة

(حسن الابتداء ويقال براعة المطلع)

قال العلماء ينبغى للمتكلم أن تزيد عنايته ويكثر اهتمامه بأربعة مواضع من كلامه وان كان ينبغى أن يتحرّى الاجود فى سائره أوّل الكلام وآخره ومكان التخلص من فن الى فن وموضع الطلب فقالوا براعة المطلع وحسن التخلص وحسن الطلب وحسن الختام فبراعة المطلع بأن تكون ألفاظه مختارة سالمة عما ينفر منه السامع أو يتعلق به نقد

واذا كان الكلام شعرا أونثرا مسجعا لزم أن يكون كل من الشطرين أو القرينتين مستقلا بالافادة مع شدة التناسب بينهما وعلى المتكلم أيضا أن يكون أول كلامه مشتملا على اشارة لطيفة الى مقصوده من الكلام وسموا ذلك براعة الاستهلال وسنورد عليك مطالع تحذر أمثالها صارمت باصحابها اذ ذاك خلاف الاعتبار على انهم من هم قال غيلان ذو الرمة يمدح عبد الملك بن مروان وكان بعينيه علة

مابال عينيك منها الماء ينسكب * كأنه من كلى مفرية سرب

الكلية بضم فسكون هنا رقعة تخرز فى القربة تحت العروة فجرى الشاعر على عادتهم فى ذكر العشق وأحواله من السهر والبكاء وحرارة القلب وانفطار الكبد الى غير ذلك ولم يلتفت الى حال من معه الخطاب فكان جزاؤه ان قال له مالك وهذا يابغيض وافتتح جرير بقوله * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال ممدوحه بل فؤادك وقال اسحاق الموصلى فى أول تهنئة بقصر بناه ملكه

يادار غيرك البلا ومحاك * ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فامر بهدمه لساعته ولبعضهم يخاطب عظيما يرجو إثابته

موعد احبابك بالفرقة غد * فقال بل أحبابك ولك المثل السوء وقال مرة ثانية فى تهنئة بيوم المهرجان

لاتقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

فأمر بضربه خمسين وقال اصلاح أدبه أحسن من اثابته وقال أبو تمام

على مثلها من أربع وملاعب * فقال بعض الحاضرين لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقال بعضهم مدحت السلطان بقصيدة وقبل عرضها عليه أطلعت كثيرا من حذاق الاصحاب عليها فما منهم الا من قدح فكره فى نقدها ولم يأخذ على منها فى شئ ثم عرضتها على الممدوح فصادفت قبولا وكان مطلعها

دعها ولا تحبس زمام القود * تطوى بأيديها بساط الفدفد

وكنت بها معجبا فأسمعتها يوما لبعض شبان أعيان العسكر فقال ما كان يؤمنك أن يقول حين يتناول درجها فيجد فى صدره دعها قد فعلت ويرمى بها اما كنت تخجل فقلت بلى ولكن الله قد وقى ويحكى ان صالح بن حسان قال يوما للهيثم بن عدى أنشدنى بيتا صدره اعرابى فى شملة وعجزه مخنث من مخنثى المدينة فقال لا أعرفه فقال أجلتك حولا فقال ولو أجلتنى عشرا فقال كنت أحسبك أذكى من هذا وأنشده بيت جميل

الا

ألا أيها النوام ويحكم هبوا * هذا أعرابي في شملة * أسائلكم هل يقتل الرجل الحب *

ولمسلم بن الوليد

أديرا على الراح لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

فهذه المطالع كافية لارشادك الى ما يجب احترا سك من مثله وأزيدك ما حكى أن شاعرا مغربيا سمع شعر الصاحب بهاء الدين زهير المصري فحمله ذلك على أن يقصد مصر ليتعلم رقة الشعر من ذلك الوزير فلما لقيه وعرفه الحال قال له الصاحب ان ذلك أمر لا يعرف بطريقة تعليم على وانما يصرف الشاعر فكره فيما يرد عليه من لطائف الاشعار ويتأمل من جهات اللطف فيها حتى تأخذ من طبعه مكانا وحينئذ يجهد في محاكاتها فعليك بادمان قراءتها على ذلك الحد والآن ألقي عليك صدرا لتعمل له عجزا وتطلعني لاخبرك بحاله فأنشده * يابان وادي الاجرع * فأخذه المغربي وانصرف يكد فكره في تتميمه ثم جاء صبيحة ليلته الى الصاحب فأنشده

يابان وادي الاجرع * سقيت غيث الادمع

فقال الصاحب الصدر يطلب غير هذا وأتمه بقوله * هل ملت من طرب معي * فأنت ترى ان الميل مأخوذ من البان وتعليله بطرب المساعدة للعاشق ومجانسته اياه في العشق فمثل هذا ينبغي ان تكون المطالع ومن جياد المطالع قول النابغة الذبياني

رحلت سمية غدوة أجمالها * غضبى عليك فما تقول بدا لها

وقول القطامي

الا أيها اللاحي كفاك عتابا * ونفسك وفق ما استطعت صوابا

ولابي تمام في استهلال مرثية

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ولبعضهم في استهلال تهنئة بمولود

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا * وكوكب السعد في أفق العلى صعدا

هذا في براعة الاستهلال وحسن قوله فيها

لم يتخذ ولدا الا مبالغة * في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

(الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس) ألفاظ يستعملها أهل هذا الفن لنوع لفظي ينبغي أن يستعمل على ما حده المطرزي في شرح المقامات حيث يقول ان أنواع الجناس لا تستحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ولا تستلذ حتى تكون عذبة الاصدار

والايراد سهلة سلسلة المقاد ولا تبرع حتى يساوى مطلعها مقطعها ولا تعلح حتى يوازى مصنوعها مطبوعها مع مراعاة النظير وتمكن القرائن والانفاق فى أماكنه ونبا عن مواقعه فيعزل عن الرضاء عند علماء البيان و يمكان من البشاعة لدى أرباب النثر وأصحاب النظم فاذا أردت أن تستوفى أقسام المحاسن وتجتنب أنواع المشائن فأرسل المعانى على سجيتها ودعها تطلب لانفسها الالفاظ فانها اذا تركت وما تريد لم تكتس الاما يليق بها ولم تلبس من المعارض الاما يزينها فاما أن تضع فى نفسك انه لابد لك من تجنيس وتسجيع بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه على خطر من الخطر فان ساعدك الجد كما ساعد طاهر البصرى فى قوله

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

وأبا تمام فى قوله

وأنجدتم من بعد اتهام داركم * فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد

فذاك والا اطلقت لسان العتب وأرخيت عنان الذم وأفضى بك طلب الاحسان من حيث لم تحسنه الى أشنع القبح وأوقعك الولوع بالثناء عليك فى ورطة القدح وانقلب احسانك اساءة وتحوّل سرورك مساءة انتهى كلام المطرزى

وقال ابن رشيق فى الجناس هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا شك فى تكلفه وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى ركوا و بردوا أقول صدق ابن رشيق فان الجناس لا يخلو من أن يحيد بصاحبه عن الجادة ولاهل دقة النظر من الشعراء والكتاب نقد ليس يدركه العلماء فالمطرزى رحمه الله يقول ان الجدّ أى الحظ والبخت ساعد طاهرا البصرى وذلك لا بقوله أوليك فان بيتى طاهر جائران عن سبيل الاحسان وان كان ظاهرهما خادعا ألا ترى أن للشاعر ان يقول قوله

قلت للقلب ماد هاك أجبنى * قال لى بائع الفرانى فرانى

لفظ فرانى كلمة نازلة ولاجلها انقص كلمة الفرانى حقها وهى بتشديد الياء جمع فرنية نسبة الى الفرن لنوع خبز وقوله

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى أمت بما أودعانى

فيه الرضاء بادخال المحبوب تحت أسر الاحتجاج وتكلف الاجابة وليس هو الجانى وهبهما ناظراه أفكان يسلم و يعيش بعد أن انفرى قلبه ثم الودائع مردودة ثم الكلام

ينادى

ينادي على نفسه أن انشاءه والقصد اليه انما هو قرن تلك الالفاظ ولذلك لا ترى الجناس في بليغ الكلام الا نادرا وحيث كان رأيته ثابتا في موضعه متمكنا منه أوجبه المعنى مثلا قوله تعالى ينهون عنه وينأون ربما تقول ان لفظ ينأون أتى به لاجل الجناس والالفظ يبعدون يقوم مقامه لكن اذا أعطيت الالفاظ حقها من النظر رأيتك لا تقول لشيء بعد إلا حين يجاوز مواضع القرب وأما النأي فهو الانفصال عن الشيء لقصد البعد منه والنفرة عنه فخالفتهم متصلة بفعلهم والمذمة لاحقة بهم من حيث ينهون وبعد فقد قيل في فائدة الجناس انه يستدعي ميل السامع واصغاءه الى الكلام حيث تعود اللفظة التي سمعها فيأخذه ضرب من الاستغراب ويستحسن المكرر مع اختلاف المعنى وهو أنواع

التام ويكون بايراد الالفاظ المشتركة للمعاني المختلفة وغير ذلك وردفي موضعين من القرآن ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار ويحسن منه مثل قول بعضهم

اذا رماك الدهر في معشر * قد أجمع الناس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم

وقول آخر

وخز الاسنة والخضوع لناقص * أمران في رأى النهى مران
والرأى فيمادونه الامران أن * تختار وقع أسنة المران

وهذا الجناس اذا كان ركناه من جنس واحد كفعلين أو اسمين سمي متماثلا وان اختلفا سمي مستوفى

(الجناس المطلق)

يكون بتوافق ركنيه في الحروف وترتيبها دون أن يجمعهما اشتقاق كقوله صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله فان جمعهما اشتقاق مثل لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فقيل يسمى جناس اشتقاق وقيل هو غير جناس

(الجناس المذيل والجناس المطرف)

يكون الاول بزيادة أحد ركنيه في آخره والثاني بها في أوله مثل قول أبي تمام

عـدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقول الخنساء

ان البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح

وقول الشيخ عبد القاهر

وكم سبقت منه الى عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف * لشكرى على تلك اللطائف طائف

(الجناس المضارع والجناس اللاحق)

يكون الاوّل باختلاف ركنيه فى حرفين لم يتباعدا مخرجا مثل ينهون وينأون والثانى فى متباعدين مثل انه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد

(الجناس اللفظى)

يكون باختلاف ركنيه بالضاد والظاء أو التاء والهاء أو التنوين والنون مثل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومثل قول بعضهم

اذا جلست الى قوم لتؤنسهم * بما تحدث من ماض ومن آت

فلا تعيدن حديثا ان طبعهم * موكل بمعاداة المعادات

وقول آخر

أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

حكى الغزال مقلة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

(الجناس المحرّف)

يكون باختلافهما فى حركة مثل الضلال والظلال والكلام والكلام ومنه جبة البرد جنة البرد

(الجناس المصحف)

يكون بكلمات لو زال اعجامها لم تتميز كقول بعضهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى

(الجناس المركب والجناس الملفق)

يكون الاوّل باختلاف ركنيه افرادا وتركيبا فان كان من كلمة وبعض أخرى سمى مرفوا كقول الحريرى

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن عند مصابه

ومثل

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان كان من كلمتين فان اتفق الركنان خطاً سمي مقروناً كقوله

اذا ملك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه

والا سمي مفروقاً كقوله

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدّوه منك وساوساً تهذي بها

ويكون الملفق بتركيب الركنين جميعاً كقول بعضهم

وليت الحكم خمساً وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان

فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قد رشاني

وقول آخر

أرى مجلس السلطان تفضي عفاته * الى روض جود بالعطاء مجود

فكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود في مجالس جود

(جناس القلب) يكون باختلاف ركنيه في ترتيب الحروف كقوله اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا

(الجناس المعنوي) نوعان جناس اضمار و جناس اشارة الاول أن تأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظاً آخر برادفه أو بطريق أخرى وذلك اللفظ المحضر يراد به غير معناه بدلالة سياق الكلام كقول الشريف ابن طباطبا العلوي

منعم الجسم تحكي الماء رقته * وقلبه قسوة يحكي اباأوس

أوس شاعر مشهور من شعراء العرب واسم أبيه حجر فلفظ أبي أوس يحضر في ذهنك اسمه وهو لفظ حجر والمراد به بدلالة قوله وقلبه قسوة الحجر المعروف وحين ظهر استعمال هذا النوع استنكره الادباء حتى قال مسلم بن بحر يخاطب الشريف المذكور

أبا حسن حاولت ايراد قافيه * مصلبة المعنى فجاءتك واهيه

وقلت أبا أوس تريد كناية * عن الحجر القاسي فأوردت داهيه

فان جاز هذا فاكسرن غير صاغر * فى بأبي القرم الهمام معاويه

ثم استحسنه المتأخرون واكثروا منه فمنه قول بعضهم

الا في سبيل اللهو كأس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وأمست لجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام اسمها صهباء وقوله بجسم الشنفرى يشير الى قوله

فاسقنيها ياسواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالى لخل

يقول أصبحت خمرا وأمست خلا ولبهاء الدين زهير

وجاهل طال به عنائي * لازمني وذاك من شقائي

ابغض للعين من الاقذاء * اثقل من شماتة الاعداء

فهو اذا رأته عين الرائي * أبو معاذ وأخو الخنساء

ويكون جناس الاشارة بذكر أحد الركنين والاشارة للآخر بما يدل عليه وذلك حيث يمنع الشعر من التصريح به فلا يكون في المنثور وأصله قول امرأة عربية من عقيل

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان إلا أن تشد الاباعر

كانها أرادت أن تقول تشد الجمال لتجانس الجمال جناس التحريف فأبت عليها القافية وأكثر المتأخرون من استعماله كقول بعضهم

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندى

(الاستطراد) هو أن يخرج المتكلم من الفن الذى هو مترسل فيه الى معنى يذكره باستدعاء مناسبة قوية ثم يرجع الى تتميم ما كان فيه كقول السموأل

وإنا أناس لانرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا واحد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

فسياق القصيدة للفخر وتنسيق المآثر استطرد منه الى هجاء عامر وسلول ثم عاد اليه والاستطراد كثير في القرآن وفي أشعار العرب ترى الشاعر ماضيا في سنن فيعترضه شئ يستدعي الصفة فيصفه فاذا اتم عاد وأصل معنى الكلمة أن الفارس يكون بين يدى قرنه فيظهر أنه انهزم و يفر فيطلبه عاد يا خلفه حتى اذا استشعر صاحب المكيدة أن تابعه قد أفرغ قوته و بطل استعداده وصار في أسر ميل الطالب عطف عليه المطلوب فكان الطالب قاتل نفسه ومن شواهد النوع قول البحترى في صفة فرس

يهوى كما هوت العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

جذلان ينفض عذرة في غرة * يقق تسيل حجولها في جندل

(المقابلة)

(المقابلة) هي أن تذكر معنيين فأكثر ثم تقابل كلا بضده وأكرم شاهد لها قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومن استغنى فقد عصى ولم يتق وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ثم قوله صلى الله عليه وسلم لم يكن الرفق في شئ إلا زان ولم يكن الخرق في شئ إلا شان ومن الشعر قول بعضهم

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

وقول الطغرائي

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل

ولأبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

وأخذه منه بعضهم فقال

أقلى النهار اذا اضاء صباحه * واظل انتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

(الاستخدام) هو أن تذكر لفظا وتعيد عليه ضميرا تريد به معنى آخر لذلك اللفظ أو تعيد عليه ضميرين تريد بثانيهما غير ما أردت بأولهما فمن الاول قوله

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

ولابن نباتة المصري

اذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت * منازله بالسفح تزهى وتزهر

وان لم تواصل عادة السفح مقلتي * فلا عادها عيش بمغناه أخضر

ومن الثاني قول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وانهم * شبوه بين جوانح وقلوب

الغضا اسم لمكانين معروفين واسم شجر ناره شديدة لصلابته يقال ان ناره تمكث تحت التراب المطفئ عادة للنارسنة أشهر وثم استخدام آخر أثبته بعضهم وهو أن تذكر كلمة ذات معنيين وتريدهما جميعا ناصبا في الكلام لكل منهما دليلا كقول بعضهم

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس الحر كداحه

وكن عن الراحة في معزل * فالصفع موجود مع الراحه

ومنه فى الكتاب العزيز لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء و يثبت ومن الاستخدام الاول فيه قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى أحد التفسيرين

(الافتنان) هو أن يجمع المتكلم بين فنين من المعانى مثل الغزل والحماسة والمدح والهجاء والتهنئة والتعزية قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام صدر الآية تسلية لعامة الناس وتعزية و بيان موضع التأسى فان الامر متى عم هان وعجزها تمدح بالانفراد بالبقاء والجلال أى العظمة والاكرام أى الاعظام فهما له لذاته وما كان منهما لغيره فباحسانه و إفضاله ويحكى أنه لما أجاب أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه داعى ربه وخلفه ابنه يزيد دخل عليه الناس يوم جلوسه لهم فلم يتكلم أحد بشئ حيرة بين المصيبة السالفة والنعمة الخالفة حتى دخل عبد الله بن همام السلولى فقال آجرك الله على الرزية وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية فقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما أعطيت واصبر على ما رزيت فقد فقدت الخليفة واعطيت الخلافة ففارقت خليلا ووهبت جليلا ثم أنشد

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا
لا رزء أصبح فى الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كما يحكى أن اعرابية لقيت أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس فى طريق الحجاز وقد حج بالناس أول حجة بعد موت أخيه السفاح أولهم فقالت له يا أمير المؤمنين قد أحسن الله اليك فى الحالتين وأعظم النعمة عليك فى المنزلتين سلبك خليفة الله وافادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما وهبك وتجاوز الله عن أمير المؤمنين و بارك لك فى امرة المؤمنين ثم دخل الناس بعد من هذا الباب فقالوا وأحسنوا كابى نواس وأبى تمام ومن جاء بعدهم ومن الافتنان بالجمع بين الغزل والحماسة قول ذى اليمينين عبد الله بن طاهر

نحن قوم تذيبنا الاعين النجل على اننا نذيب الحديدا
طوع ايدى الغرام تقتادنا الغيد ونقتاد بالطعان الاسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيض المصونات اعينا وخدودا
تتقى سخطنا الاسود ونخشى * سخطة الخشف حين يبدى الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا * راوفى السلم للحسان عبيدا

واذا

واذا جمع المتكلم بين معان كثيرة خص من بين الافتنان باسم التفريج أى جعل الكلام مثل المرج يشتمل على أنواع النباتات المختلفة

(اللف والنشر) هو أن تذكر متعددا بلفظ واحد ثم تذكر متعددا آخر مفصلا بألفاظ لكل واحد من الاول واحد من الثانى معتمدا فى ذلك على فهم المخاطب أو تذكر متعددا بألفاظ ثم تعقبه بمثله على ذلك فمن الاول قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فالواو فى وقالوا عبارة عن اليهود والنصارى فالمعنى قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى وتفهم ذلك بعلمك أن كلا من الامتين تكفر صاحبتها ومنه قول ابن حيوس

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

ومن الثانى قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومنه قول على ابن الرومى فى المدح

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومنه فى الغرامى قول حمدونة الاندلسية

ولما أبى الواشون الا فراقنا * وليس لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وحمدونة هذه من كبريات الادباء وكان يقال لها خنساء المغرب وهى صاحبة الابيات المنسوبة غلطا لابى نصر المنازى وقد ذكرت فى ترجمتها المعاصريها قبل مولد المنازى بحين وهى قولها

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد أخبرت فى شعرها عن شعبها حيث قالت وقل حماتى عند ذاك فتلك من عبارات

النساء وحديث الرضاع والفطام والحلى اليق شئ بشعر امرأة ومن محاسن الادب ان يشير المتكلم فى شعره أونثره بحاله ومنه قول على بن بشر الكاتب من شعراء اليتيمة

يامن يعمر ولا تمر * به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * وذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * رح والمسامع والحدق

وعارضه ابن خفاجة الاندلسى بقوله

ومهفهف طاوى الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

ويكون النشر على ترتيب اللف الاول للاول وهكذا ويكون غير ذلك وحسن هذا النوع اذا سلم من العقادة ولم يتبين كون القصد اليه فقط وما كان من بعض الشعراء من القصد اليه بتكثير العدد اغماه ولاختبار القوة وتقييد النكتة كقول بعضهم

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لاصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

(الاستدراك) هو كما عرفت رفع وهم ينشأ من الكلام بلكن وما بعدها خلا أنه لا يعد من البديع الا اذا اشتمل على نكتة زائدة يعترف بها الذوق كقول ابى دويدة يخاطب رجلا أودع قاضيا فادعى ضياعها

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أوقال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ولصدر الدين ابن الوكيل

وبى من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى
أقرب برق إذ أقول أناله * وكم قالها يوما ولكن لتهديدى

ولبعضهم

يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم

ويزعم

ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

(الابهام) هو أن تأتي بعبارة تحتمل مقصدين على السواء كهجاء ومديح لتبلغ من غرضك بما لا يمسك عليك قال محمد بن حزم يخاطب المأمون حين تزوج بابنة الحسن ابن سهل بوران التي تنسب اليها الاطبخة البورانية

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فهذا يحتمل التعظيم والتحقير أي ببنت من بلغ في العظم الى حد خرج عن التصور أو في الحقارة ومنه ما يحكى أن سائلا عجميا سأل ابن الجوزي الواعظ اي الرجلين أفضل أبو بكر أم علي فقال من كانت ابنته تحته فالضمير الاول ان عاد على من فهو تفضيل لابي بكر وابنته عائشة رضي الله عنها فالضمير الثاني يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم وان عاد الضمير الثاني على من فهو تفضيل لعلي وهذا النوع هو ما يسميه النحويون اجمالا حيث يتكلمون على الالباس

(المطابقة) هي الجمع بين ضدين فان كان أحد اللفظين مجازا سميت المطابقة الايهامية وان كانت الالفاظ من ألفاظ الالوان سميت تدبيجا وقد تكون المطابقة بحسب المعنى أو الاستلزام كقوله تعالى ان أنتم الا تكذبون مع قوله انا اليكم لمرسلون معناه انا صادقون وقوله أشداء على الكفار رحماء فالرحمة تستلزم اللين فمن المطابقة مثل قوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ومن المطابقة الجمع بين اثبات شيء ونفيه مثل ولكن أكثرهم لا يعلمون يعلمون ظاهرا وأحسن المطابقة ما صحبها نوع آخر من البديع يكسوها جمالا كقول فخر الدين ابن مكانس

يا ابن عم النبي انّ أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب * يا إمامي ومن سواك مجاز

(ارسال المثل والكلام الجامع)

هما نوعان فرق بينهما أهل البديع بكون الاول بعض بيت والثاني بيتا كاملا كقول أبي الطيب في ارسال المثل

فان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل

وقول امرئ القيس في الكلام الجامع

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

وحيث كان المقصود منهما واحدا فالاحسن جعلهما نوعا واحدا والضابط أن يكون الكلام صالحا لان يتمثل به فى مواطن كثيرة لغرض كتسلى المحزون وتشجيع الجبان وتخميد الفتنة وتسكين سورة الغضب وتبكيت الخصم وتحلية العتاب وتحسين الشكر وتصبير الجازع الى غير ذلك من المقاصد وأهل الحماسات يترجمون للشعر المشتمل على مثل هذا بباب الآداب ومثل هذا الكلام هو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم وأعطيت جوامع الكلم يعنى الكلام القليل الالفاظ الكثير المعنى الذى يؤثر فى النفوس بما فيه من الحكم المعرفة المنافع التى تطلبها النفوس والمضار التى تهرب منها وقد أكثر الناس من التأليف فى الامثال العربية وغيرها من الشعر وغيره وللطباع استراحة الى الامثال فانك تجدها فى سائر اجناس الناس يجعلونها فى أحاديثهم منتهى الحجة وموضع الحكم وذريعة الاذعان والاعتراف قال الزمخشرى واضرب العرب الامثال واستحضارهم المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيئات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبى ولامر ما اكثر الله تعالى فى كتابه المبين وفى سائر كتبه الامثال وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الانبياء عليهم السلام والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمى عن التغيير انتهى وقد عقد جعفر بن شمس الخلافة فى كتاب الآداب بابا فى الفاظ من القرآن جارية مجرى الامثال وأورد من ذلك قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق ذلك بما قدمت يداك قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم كل نفس بما كسبت رهينة ما على الرسول الا البلاغ ما على المحسنين من سبيل هل جزاء الاحسان الا الاحسان كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ولا ينبئك مثل خبير كل حزب بما لديهم فرحون وقليل من عبادى الشكور لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب

ولا

ولا تزر وازرة وزر أخرى انتهى قال الماوردي سمعت أبا اسحاق ابراهيم بن مضارب ابن ابراهيم يقول سمعت ابي يقول سألت الحسين بن الفضل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كلام الله خير الامور أوسطها قال نعم في أربعة مواضع قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قلت فهل تجد في كتاب الله احذر شر من أحسنت اليه قال نعم وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قلت فهل تجد في كتاب الله من جهل شيئا عاداه قال نعم في موضعين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم قلت فهل تجد ليس الخبر كالعيان قال في قوله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قلت فهل تجد في الحركات بركات قال في قوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قلت فهل تجد كما تدين تدان قال في قوله من يعمل سوأ يجز به قلت فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل قلت فهل تجد من أعان ظالما سلط عليه قال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قلت فهل تجد فيه قولهم لا تلد الحية الا الحية قال ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قلت فهل تجد فيه للحيطان آذان قال وفيكم سماعون لهم قلت فهل تجد فيه الجاهل مرزوق والعالم محروم قال من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا قلت فهل تجد فيه الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم انتهى ويقال لهذه الامثال كوامن القرآن تتمثل بالمثل منها وتتبعه بأن تقول وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى حيث يقول كذا مثلا يقتضي الحال أن تتمثل بخير الامور أوسطها فتقول خير الامور أوسطها وتصديق ذلك في قوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وهكذا واعلم انه يجب الحذر من التمسك ببعض الامثال كما قال فخر الدين ابن مكانس في أرجوزة نصحية في فصل منها يبين به آداب زيارة الاصحاب

ولا تطفل ذقنكا * ولا تزرهم وابنكا
ولا تقل لمن تحب * ضيف الكرام يصطحب
* فهذه أمثال * غالبها محال *

الاصحاب المؤتلفون الذين ارتفعت من بينهم كلفة الاحتشام يجدون في اجتماعهم راحة نفوسهم وسرور قلوبهم حيث يرسلون أنفسهم على سجاياها يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون استراحة من كد الجد الى فراغ الهزل وقتاما من أوقاتهم كما قال بعضهم

في انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها * وقلت ما قلت غير محتشم

فاذا طرأ عليهم من لا يعرفون كدر عليهم صفاء وقتهم وألزمهم العود الى وضع أنفسهم في أصفاد الوقار والحشمة كما هو مقتضى الاحتراس اللازم للمحافظة على أسباب الأمن وتوفير الاعراض وتزكية الناموس فلا يسوغ لصاحب أن يعتمد على المثل القائل ضيف الكرام يصطحب كما أن ما يقال من بعض الناس في باب التشكي الجاهل مرزوق والعالم محروم وهو باب واسع أكثر الناس فيه من الكلام شعرا وغير شعر وهو كلام غير صحيح المعنى ولا يقوله عالم حقيقي فان الله سبحانه وتعالى قسم المعيشة على حسب أسبابها التي عينها لها وحاصل الاسباب التجارة والزراعة والصناعة فالتاجر يرزق رزق تجارته على حسبها فتى كانت في الامور التي تشتد حاجة الناس اليها كان كثير المبادلة سريعها فتظهر أرباحه ويكثر ماله واذا كانت في أمور مستغنى عنها أو الحاجة اليها نادرة كانت على خلاف ذلك والطمع والحرص يوجب شكاية هذا من عدم بلوغه حال ذلك ولو نظر وجد نفسه انما أتيت من قبلها حيث لم يسع سعي ذلك فكانت شكواه من جهله فاذن يقال الجاهل محروم وهكذا القول في سائر الاسباب على اختلاف أنواعها وما فيها من المنافع المطلوبة فاذن يتبين لك ان من صرف جميع أوقاته في تحصيل المعارف لم يكن له وقت يصرفه في استعمال سبب من أسباب الدنيا فلم يكن في أوقات تحصيله كاسبا ثم اذا حصلت له معارفه وبلغ كمالها الذي لمثلها بحيث تمكن من استعمالها في اغراضها وغاياتها فاذا كانت من الامور التي يحتاجها الناس فبعد كونها تكسبه الجاه والشرف وعظم الرتبة التي تكون دونها رتبة الملك فان المعارف تجعل صاحبها في رتبة الانبياء تكسبه من الدنيا ما يعطيه راحة نفسه ورفاهة سره مع الاحترام والاجلال من الكافة وخلاصة الكلام ان الناس لا ينفعون انسانا الا بقدر انتفاعهم به فعليك ان تتحقق بانه لا دخل للعلم في الحرمان أصلا وانما ذلك سببه الجهل هذا ولنعد للكلام في ارسال المثل والكلام الجامع من كلامه

صلى الله عليه وسلم آفة العلم النسيان واضاعته ان تحدث به غير أهله الحزم سوء الظن الحياء من الايمان لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام الظلم ظلمات يوم القيامة طائر كل انسان فى عنقه ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها الحكمة ضالة المؤمن المرء مع من أحب الصبر عند الصدمة الاولى الشاهد يرى ما لا يرى الغائب البلاء موكل بالقول حليف القوم منهم الآمر بالمعروف كفاعله ومن كلام على كرم الله وجهه وكلامه فى هذا البحر الزخار لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان لكل أمر عاقبة حلوة أو مرة المنية ولا الدنية صحة الجسد من قلة الحسد قد أضاء الصبح لذى عينين كم أكلة تمنع أكلات المرء مخبوء تحت لسانه قلة العيال أحد اليسارين الهم نصف الهرم اضاعة الفرصة غصة قيمة كل امرئ ما يحسن فقد الاحبة غربة من حذرك كمن بشرك من أطال الامل أساء العمل رب قول أنفذ من صول الغيبة جهد العاجز من لم يعط قاعدا لم يعط قائما من طلب شيئا ناله أو بعضه هذا وأما الكلام الذى يتمثل به من الاشعار أبياتا وابعاض أبيات فلنورد لك منه جملة تكون حلية لادبك فمن ذلك أبيات أبى الطيب المتنبى وقد استخرجها الوزير اسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب لسلطانه فخر الدولة بن بويه وحين اطلع السلطان على تلك الرسالة التى ضمنها ذلك الوزير تلك الامثال وضع فوق بعض الابيات خاء يشير بها الى انتخاب ما وقع من استحسانه موقعا وهذا لفظ الرسالة بما فيها من العلامة

الحمد لله الذى ضرب الامثال للناس لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وصلى الله على أفصح العرب وسر عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله أخيار الامم وأنوار الظلم كم مثل ضرب فيه الحجة البالغة والحكمة الواضحة ثم ان الله تعالى قد أحيا بالامير السيد شاهنشاه فخر الدولة وملك الامة أطال الله بقاءه ونصر لواءه داثر العلوم والآداب وأقام برأيه ورايته أسواقهما وكانت فى يد الكساد بل الذهاب فهو يقدم على المعرفة ويقرب على التبصرة لا كالملوك الذين يقال لهم

دع المكارم لا تنهض لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ومن نعم الله عليه أدام الله النعم لديه أن الله قرن الفاظه بفصل المقال ووشح كلامه بضرب الامثال وسمعته أعز الله نصره يتمثل كثيرا بفصوص من شعر المتنبى هى لب اللب يضع فيها الهناء موضع النقب وهذا الشاعر مع تمييزه وبراعته وتبريزه فى صناعته له فى الامثال خصوصا مذهب سبق به أمثاله فأمليت ما صدر عن ديوانه من مثل

واقع فى فنه بارع فى معناه ولفظه يكون تذكرة فى المجالس العالى تلحظها العين العالية وتعيها الاذن الواعية ثم ان امر أعلى الله أمره أمليت بمشيئة الله ماوقع من الامثال فى كل ديوان جاهلى أو مخضرم أو اسلامى فـا أجد من الادباء من عمل فى ذلك كتابا مقنعا وجمعا مشبعا قرن الله السعادة بأيامه والمناجح بأعلامه انه فعال لما يريد

فعدبها لاعدمتها أبدا * خير صلات الكريم أعودها
صبرا بنى اسحاق عنه تكرما * ان العظيم على العظيم صبور
عمت شاسع دارهم عن نية * ان المحب على البعاد يزور
فوتى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش فى أرب النفوس
أهون بطول الثواء والتلف * والسجن والقيد يا أبادلف
لو كان سكناى فيه منقصة * لم يكن الدر ساكن الصدف
غير اختيار قبلت برك بى * والجوع يرضى الاسود بالجيف
اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل
يفنى الكلام ولا يحيط بوصفكم * أيحيط ما يفنى بما لا ينفد
يفدى بنيك عبيد الله حاسدهم * بجبهة العير يفدى حافر الفرس
خير الطيور على القصور وشرها * يأوى الخراب ويسكن الناووسا
وما الكرم الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
وان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد
يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ماليس يجنى عليهم العدم
هم لاموالهم ولسن لهم * والعار يبقى والجرح يلتئم
ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام
خليلك أنت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولو حيز الحفاظ بغير عقل * تجنب عنق صيقله الحسام
وشبه الشئ منجذب اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام
ومن خبر الغوانى فالغوانى * ضياء فى بواطنه ظلام
وما كل بمعذور ببخل * ولا كل على بخل يلام

خ
خ
خ
خ

تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام
وقبض نواله شرف وعز * وقبض نوال بعض القوم ذام
* أقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام
وزارك بى دون الملوك تحرج * اذا عن بحر لم يجز لى التيمم
ولكل عين قرة فى قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء
خ ولكن حبا خامر القلب فى الصفا * يزيد على مر الزمان ويشتد
خ وأصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد
فى سعة الخافقين مضطرب * وفى بلاد من أختها بدل
أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع * وعند التعمق الزلل
* ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا
ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
خ الحب ما منع الكلام الالسنا * وألذ شكوى عاشق ما أعلنا
خ وانه المشير عليك فى بضلة * والحر ممتحن باولاد الزنا *
خ ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقارنة اللئيم فانها * ضيف يجر من الندامة ضيفنا
وانفس ما للفتى لبه * وذو اللب يكره انفاقه
لا افتخار الا لمن لا يضام * مدرك أو محارب لا ينام
خ ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
خ كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام *
ان بعضا من القريض هراء * ليس شيئا وبعضه احكام
وربما فارق الانسان مهجته * يوم الوغى غير قال خشية العار
أفاضل الناس أغراض لذا الزمن * يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
فقر الجهول بلا عقل الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن
لا تعجبن مضيما حسن بزته * وهل يروق دفينا جودة الكفن
انعم ولذ فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

خ في الناس أمثلة تدور حياتها * كمماتها ومماتها كحياتها
خ ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر
خ ولا ينفع الامكان لولا سخاؤه * وهل نافع لولا الاكف القنا السمر
ضروب الناس عشاق ضروبا * فاعذرهم أشفهم حبيبا
خ ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدواله مامن صداقته بد
وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة * وكل اغتياب جهد من لاله جهد
فما في سجايا كم منازعة العلى * ولا في طباع التربة المسك والند
خ من الحلم ان تستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
خ اذا لم تكن نفس النسيب كاصله * فماذا الذي تغني كرام المناصب
والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
والناس قد نبذوا الحفاظ فطلق * ينسى الذي يولى وعاف يندم
لا يخدعنك من عدو دمعة * وارحم شبابك من عدو ترحم
خ لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذاعفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر في الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
خ ومن العداوة ماينالك نفعه * ومن الصداقة مايضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم أعجم
خ ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره الغماما
خ فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم
خ يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم
خ وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في حكيم
خ وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم
كلام أكثر من تلقى ومنظره * ممايشق على الآذان والحدق
الف هذا الهواء اوقع في الانفس أن الحمام مر المذاق

والاسى

والاسى قبل فرقة الروح عجز * والاسى لايكون بعد الفراق
والغنى فى يد اللئيم قبيح * قدرقبح الكريم فى الاملاق
خ ويظهر الجهل بى وأعرفه * والدر در برغم من جهله
فصرت كالسيف حامدا يده * مايحمد السيف كل من حمله
وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويصطحب الانسان من لايلائمه
خ واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام
فكثير من الشجاع التوقى * وكثير من البليغ السلام
خ ولوجاز الخلود خلدت فردا * ولكن ليس للدنيا خليل
خ ومن لم يعشق الدنيا قليل * ولكن لاسبيل الى وصال
خ نصيبك فى حياتك من حبيب * نصيبك فى منامك من خيال
خ ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال
خ وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال
خ فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
الى م طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
خ يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
خذوا ماأتاكم به واغنموا * فان الغنيمة فى العاجل
خ أعلى الممالك مايبنى على الاسل * والطعن عند محبيهن كالقبل
ولايجير عليه الدهر بغيته * ولاتحصن درع مهجة البطل
بذى الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل
اذا ماتأملت الزمان وصرفه * تيقنت ان الموت ضرب من القتل
هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا أذى البعل
وما الدهر أهل ان يؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل
وربما قالت العيون وقد * يصدق فيها ويكذب النظر
أعاذك الله من سهامهم * ومخطئ من رميه القمر
واذا وكلت الى كريم رأيه * فى الجود بان مذيقه من مخضه
دون الحلاوة فى الزمان مرارة * لاتختطى الاعلى أهواله *
وهل تغنى الرسائل فى عدو * اذا مالم يكن ظبى رقاقا

فما ترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود
من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها * أو يبصر الخيل لا يستكرم الرمكا
خ وما ذاك بخل بالنفوس على القنا * ولكن صدم الشر بالشر أحزم
أهل الحفيظة الا ان تجربهم * وفى التجارب بعد الغى ما يزع
خ لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق * فليس تأكل الا الميت الضبع
خ من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
خ فقد يظن شجاعا من به خرق * وقد يظن جبانا من به زمع
ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع
وما الخوف الا ما تخوفه الفتى * ولا الامن الا ما رآه الفتى أمنا
خ وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد
فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا * وأعيا دواء الموت كل طبيب
وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا
خ أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
خ وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم
خ اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن ان الليث يبتسم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف فى أهل النهى ذمم
شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم
وان كان ذنبى كل ذنب فانه * محا الذنب كل الذنب من جاء تائبا
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر أقتل لى مما أراقبه * انا الغريق فما خوفى من البلل

خذ

خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
ان كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول
لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل فى العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل
خ وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل
خ وما كمد الحساد شئ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
خ واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق
خ ومن كنت بحرا له يا علىّ * لا يقبل الدر الا كبارا
ليالى بعد الظاعنين شكول * طوال وليل العاشقين طويل
أيدرى ما أرابك من يريب * وهل ترقى الى الفلك الخطوب
خ وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى
وقيدت نفسى فى ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
وأتعب من ناداك من لا تجيبه * وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب
ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجانى عتاب
خ وما جهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب
خ وكم ذنب مولده دلال * وكم بعد مولده اقتراب
خ وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب
على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
تفيت الليالى كل شئ أخذنه * وهن لما يأخذن منك غوارم
ومن طلب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
أينكر ريح الليث حتى يذوقه * وقد عرفت ريح الليوث البهائم
وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرام
فان كنت لا تعطى الذمام طواعه * فعوذ الاعادى بالكريم ذمام

وشر الحمامين الزؤامين عيشة * يذل الذي يختارها ويضام
وما الحسن في وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن في فعله والخلائق
وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الادنون غير الاصادق
وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق
ان خير الدموع عينا لدمع * بعثته رعاية فاستهلا *
واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر تمنت الموت بعلا
ولذيذ الحياة أنفس للنفـ * ـس وأشهى من أن يمل وأحلى
واذا الشيخ قال أف فما مـ * ـل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى
خ أبدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فياليت جودها كان بخلا
خ وهي معشوقة على الغدر لاتحـ * ـفظ عهدا ولا تتمم وصلا
والعيان الجلي يحدث للظـ * ـن زوالا وللمراد انتقالا *
واذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا
أقسموا لا رأوك الا بقلب * طالما غرت العيون الرجالا
انما آنس الانيس سباع * يتفارسن جهرة واغتيالا
من أراد التماس شئ غلابا * واغتصابا لم يلتمسه سؤالا *
* كل غاد لحاجة يتمنى * ان يكون الغضنفر الرئبالا
ورفلت في حال الثناء وانما * عدم الثناء نهاية الاعدام
خ الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
خ ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
وتوهموا اللعب الوغا والطعن في الـ * ـهيجاء غير الطعن في الميدان
عقبى اليمين على عقب الوغى ندم * ماذا يزيدك في اقدامك القسم
واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل
وان تكن تغلب العلياء عنصرها * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وعاد في طلب المتروك تاركه * انا لنغفل والايام في الطلب
فلا تنلك الليالي ان أيديها * اذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ولا تعز عدوا أنت قاهره * فانهن يصدن الصقر بالخرب
وان سررت بمحبوب فجعن به * وقد أتينك في الحالين بالعجب
وماقضى أحد منها لبانته * ولاانتهى أرب الا الى أرب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته * أقامه الفكر بين العجز والتعب
اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
فما ينفع الاسد الحياء من الطوى * ولا تتقي حتى تكون ضواريا
فان دموع العين غدر بربها * اذا كن إثر الغادرين جواريا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا
خلقت الوفا لو رحلت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب
فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
أبى خالق الدنيا حبيبا تديمه * فما طلبي منها حبيبا ترده
وأسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شيء في طباعك ضده
وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل جده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
وما الصارم الهندي الا كغيره * اذا لم يفارقه النجاد وغمده
وما منزل اللذات عندي بمنزل * اذا لم أبجل عنده وأكرم
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
اصادق نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها في فعله والتكلم
وأحلم عن خلي واعلم انه * متى أجزه حلما على الجهل يندم
وما كل هاو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم
فأحسن وجه في الورى وجه محسن * وأيمن كف في الورى كف منعم
خ وأشرفهم من كان أشرف همة * وأكثر إقداما على كل معظم
خ لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

انما تنجح المقالة في المر * ء اذا وافقت هوى في الفؤاد
قد يصيب الفتى المشير ولم يجـ * ـهد ويشوى الصواب بعد اجتهاد
واذا الحلم لم يكن في طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واطاعتك أسد دهرك والطا * عة ليست خلائق الآساد
واذا كان في الانابيب خلف * وقع الطيش في صدور الصعاد
كيف لا يترك الطريق لسيل * ضيق عن أتيه كل واد
وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت في عين من لا يجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها * واعضائها فالحسن عنك مغيب
لحا الله ذى الدنيا مناخا لراكب * فكل بعيد الهم فيها معذب
وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب
ولو جاز ان يحووا علاك وهبتها * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب
وقد يترك النفس التي لا تهابه * ويخترم النفس التي تتهيب
فما يدوم سرور ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
يا من نعيت على بعد بمجلسه * كل بما زعم الناعون مرتهن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب في الانفـ * ـس سهل فيها اذا هو كانا
فان يك انسانا مضى لسبيله * فان المنايا غاية الحيوان
قال الزمان له قولا فافهمه * ان الزمان على الامساك عذال
القاتل السيف في جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجال
يروعهم منه دهر صرفه أبدا * مجاهر وصروف الدهر تغتال
لطفت رأيك في وصلي وتكرمتي * ان الكريم على العلياء يحتال
لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته * ما كل ماشية بالرحل شملال

خ (margin, beside line 7)
خ (margin, beside line 19)

انا

انا لفي زمن ترك القبيح به * من اكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * مافاته وفضول العيش أشغال
ولما صار ودّ الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه * لعلمى انه بعض الانام *
وآنف من أخى لابى وأمى * اذا مالم أجده من الكرام
أرى الاجداد تغلبها كثيرا * على الاولاد أخلاق اللئام
ومن يجد الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام
ولم أر فى عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام
ويصدق وعدها والصدق شين * اذا ألقاك فى الكرب العظام
وللسر منى موضع لاينا له * نديم ولا يفضى اليه شراب
وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغوانى رمية * وغير بنانى للزجاج ركاب
خ أعز مكان فى الدنا ظهر سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب
خ أيا أسدا فى جسمه روح ضيغم * وكم أسد أرواحهن كلاب
وقد تحدث الايام عندك شيمة * وتنعمر الاوقات وهى يباب
اذا نلت منك الودّ فالمال هين * وكل الذى فوق التراب تراب
ولكنك الدنيا الى حبيبة * فما عنك لى الا اليك ذهاب
خ لاشئ أقبح من فحل له ذكر * تقوده أمة ليست لها رحم
اذا أتت الاساءة من وضيع * ولم ألم المسئ فمن ألوم
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * أنى بما أنا باك منه محسود
خ جود الرجال من الايدى وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الخز مولود
لاتشترى العبد الا والعصا معه * ان العبيد لانجاس مناكيد
ان امرأ أمة حبلى تدبره * لمستضام سخين العين مفؤود
خ من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد
ح أم أذنه فى يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود
خ وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

وما كل من قال قولا وفى * وما كل من سيم خسفا أبى
ولا بد للقلب من آلة * ورأى يصدع صم الصفا
وكل طريق أتاه الفتى * على قدر الرجل فيه الخطا
خ لقد كنت أحسب قبل الخصى * ان الرؤس محل النهى
خ فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها فى الخصى
ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى
الحزن يقلق والتجمل يردع * والدمع بينهما عصى طيع
خ انى لاجبن من فراق أحبتى * وتحس نفسى بالحمام فأشجع
خ ويزيدنى غضب الاعادى قسوة * ويلم بى عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى منها وما يتوقع
وان يغالط فى الحقيقة نفسه * ويسومها طلب المحال فتطمع
واذا حصلت من السلاح على البكى * فحشاك رعت به وخدك تقرع
أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع
تسود الشمس منا بيض أوجهنا * ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما فى الحكم واحدة * لو احتكمنا من الدنيا الى حكم
خ حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
خ ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الانام ولو كانوا ذوى رحم
هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمته * شكوى الجريح الى العقبان والرخم
وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة * وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم
ذرينى أنل مالا ينال من العلى * فصعب العلى فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل
وليس الذى يتبع الوبل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الوبل
وما أنا ممن يدعى الشوق قلبه * ويحتج فى ترك الزيارة بالشغل
ان فى الموج للغريق لعذرا * واضحا ان يفوته تعداده

ماسمعنا

ماسمعنا بمن احب العطايا * واشتهى ان يكون فيها فؤاده

خ وغيظ على الايام كالنار فى الحشا * ولكنه غيظ الاسير على القد

خ وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة * ولكنه من شيمة الاسد الورد

لو أفكر العاشق فى منتهى * حسن الذى يسبيه لم يسبه

هذا اكثر أمثال شعر أبى الطيب المتنبى وكان للناس بها ولع عظيم لما وجدوه من نفعها فى تحلية رسائلهم المنشأة فى مختلفات أغراضهم وتفصيل أحاديثهم فى مجالسهم كما قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه الملقب يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر عند ترجمة المتنبى ليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الانس ولا اقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل ولا لحون القوالين والمغنيين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين انتهى واطرفة ابن العبد

وأعلم علما ليس بالظن أنه * اذا ذل مولى القوم فهو ذليل

وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

ولجرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس من شعراء الجاهلية

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وحفظ المال خير من فناه * وجول فى البلاد بغير زاد

وللبيد

اكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل

واذا رمت رحيلا فارتحل * واعص ما يأمر توصيم الكسل

ولكعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

ولحسان بن ثابت رضى الله عنه

رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى عليه النعيم

ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

وللنجاشى الحارثى

انى امرؤ قل ما أثنى على أحد * حتى أرى بعض ما يأتى وما يذر

لا تمدحن أمرأ حتى تجربه * ولا تذمن من لم تبله الخبر

وللكميت بن زيد

فيا موقدا نارا لغيرك ضوؤها * ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

وله أيضا

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ولعدى بن الرقاع العاملى

واذا نظرت الى أميرى زادنى * ضنا به نظرى الى الامراء

والقوم اشباه و بين حلومهم * بون كذاك تفاضل الاشياء

بل ما رأيت جبال أرض تستوى * فيما غشيت ولا نجوم سماء

والبرق منه وابل متتابع * جود وآخر لا يجود بماء *

ولكثير عزة

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

ولابراهيم الصولى

أولى البرية طرّا أن تواسيه * عند السرور الذى واساك فى الحزن

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

يحكى أن تاجرا كان له مملوك نبيه وكان معه فى سعة من العيش فلم تزل به الأيام حتى افتقر فعرض عليه ذلك المملوك أن يبيعه و ينتفع بثمنه فبعد طول امتناع من ذلك لم يجد بدّا منه ثم انه بعد حين من الزمان رجع الى المدينة التى باع فيها ذلك المملوك فوجده قد ارتقت به الاحوال حتى صار أميرا كبيرا ولم يتمكن من لقائه فكتب له بيتين وهما

كنا جميعين فى بؤس نكابده * والقلب والطرف منا فى أذى وقذا

والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسنى ان الكرام اذا

ولعلى بن الجهم

هى النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ولا عار أن زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

ولابن شبل البغدادى

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء

يا الذى نغتذى نموت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقيناه من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
راجع جودها اليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
صاف تحت راعد وشراب * كرعت فيه مومس خرقاء
ليت شعرى حلما تغربه الايـ * ـام أم ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون فى عالم الكو * ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا ما تصحب المهجة الجسـ * ـم ففيم الشقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء *
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ * ـد فايجادنا علينا بلاء

وفى هذا القدر كفاية وطالب الادب لا يهدأ من الاطلاع والبحث فى كلام أسلافه حتى يصير هلاله بدرا وهنالك يكمل جماله ويعم الناس فضله وافضاله

(التخيير) تقفية البيت بأمكن قواف ممكنة ان تتم البيت دون خلل كقول الحريرى

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

يمكن أن يتم البيت ماله مال أو نشب ولكن ماله قوت أمكن رعاية لغرض الشكوى وصفة الفاقة والمشهور فى التمثيل لهذا النوع قول عبد السلام الحمصى المعروف بديك الجن

قولى لطيفك ينثنى * عن مضجعى عند المنام
عند الرقاد عند الهجوع عند الهجود عند الوسن
فعسى أنام فتنطفى * نار تأجج فى العظام
فى الفؤاد فى الضلوع فى الكبود فى البدن
جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام
من قتاد من دموع من وقود من حزن
أما أنا فكما علمـ * ـت فهل لوصلك من دوام
من معاد من رجوع من وجود من ثمن

(النزاهة) البعد عما تنفر منه النفوس وأراد به أهل البديع ان يسلم شعر الهجاء من الافحاش والاحسن ان تفسر بسلامة الكلام فى أى معنى كان من الالفاظ

المستكرهة قال ابو عمرو بن العلاء خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا تستقبح منه واستشهد لذلك بقول أوس

اذا ناقة شدت برحل ونمرق * الى حسن بعدى فضل ضلالها

وقول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال ابن بسام في الذخيرة وكان عفا الله عنه هجاء الهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجاء الاشراف وهو ما لم يبلغ ان يكون سبابا مقذعا وهجوا مستبشعا وهو طأطأ قديما من الاوائل وثل عروش القبائل انما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير والقسم الثاني أكثر منه جرير وطبقته وتبعه الناس فيه بعد وكان يقول اذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة انتهى مثال الاول قول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ومثال الثاني قول جرير

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

ويجريهما من القسمين

ويقضى الامر حين تغيب تيم * ولا يستأمرون وهم شهود

وانك ان لقيت عبيد تيم * وتيما قلت أيهم العبيد

وذم اعرابي قوما فقال هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم جرما الى أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على المنكر ألسنة مملوءة بالوعد وقلوب خربة من الجد

(التهكم والهزل الذي يراد به الجد) هذان النوعان متشابهان والفرق بينهما ان الاول ظاهره الجد وباطنه الاستهزاء والثاني عكسه فمن الاول مثل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وقوله ذق انك أنت العزيز الكريم وقوله فبشرهم بعذاب أليم وحاصل تعريفه أنه ذكر الالفاظ الدالة على ما يلائم النفوس من الاجلال والتعظيم والتبشير والتهنئة على سبيل السخرية مدلولا على ذلك بقرينة ومن الثاني مثل قوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المداعبة وكان صلى الله عليه وسلم يداعب أي يمازح ولا يقول الا حقا العجوز انه لن يدخل الجنة عجوز فضاقت لذلك فتبسم عليه الصلاة

الصلاة والسلام وأخبرها ان المراد كون أهل الجنة يدخلونها شبابا وقد اشتمل على ما يصلح للنوعين شعر أبي نواس حين حبسه الفضل بن الربيع يستتيبه وهو

أنت يا ابن الربيع علمتني الخير * وعودتنيه والخير عادة

فارعوى باطلي وراجعني الحلم * وأحدثت توبة وزهادة

من خشوع أزينه بنحول * واصفرار مثل اصفرار الجرادة

التسابيح في ذراعي والمصحف * في لبتي مكان القلادة

فادع بي لا عدمت تقويم مثلي * وتأمل بعينك السجادة

تر اثرا من الصلاة بوجهي * توقن النفس انه من عبادة

لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهادة

ولقد طالما أبيت ولكن * أدركتني على يديك السعادة

(القول بالموجب) هو نوعان أحدهما ان يقع في كلام أحد اثبات صفة لشيء وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة الى غير ذلك الشيء ساكتا عن الحكم كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أثبت المنافقون لانفسهم صفة الاعزية وللمؤمنين صفة الاذلية ورتبوا على ذلك الاخراج من المدينة فنقلت صفة العز للمؤمنين وأبقيت للمنافقين صفة الذل وثانيهما أن يثبت المتكلم أمرا فيوافقه المخاطب ولكن يصرفه الى غير مقصوده كقوله تعالى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يقال فلان أذن أي يسمع كل ما يقال ويعمل على موجبه دون فكر وروية وتمييز المقبول من غيره فوافقهم في اثبات أنه أذن وصرفه عن مقصودهم أي هو أذن لكن ليس أذن سوء كما قصدتم بل هو أذن خير ومن شواهده قول بعضهم

لقيته العذر عن تر * ك حاجتي لو تصور

فقلت أنسيتها والنسـ * ـيان أمر مقدر

فقال است بناس * فقلت مولاي أخبر

وقول آخر

قلت للأهيف الذي فضح الغصـ * ـن كلام الوشاة ما ينبغي لك

قال قول الوشاة عندي ريح * قلت أخشى يا غصن ان يستميلك

وهذا النوع اذا كان الغرض منه التنبيه على ما هو الاولى والاليق سمي الاسلوب الحكيم

(التسليم) هو ان تنفي شيئا ثم تفرض ثبوته وتبين انه لا فائدة فيه كقوله

اذا أنا عاتبت الملول فانما * أخط بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

فان معناه ان الملول النافر عن المودة لا يعطفه العتاب اليها ولو عطفه لم يكن مفيدا (الاقتباس) هو أن يزين المتكلم كلامه بعبارة من القرآن يظهر أنها منه وانما يحسن ويكون مقبولا اذا وطن لها في الكلام بحيث تكون مندرجة فيه داخلة في سياقه دخولا تاما وكان ذلك في المقامات الشريفة كالوعظ والتذكير والزهد والمدائح النبوية وما والى ذلك وأما الاقتباس في المواضع الخسيسة فبعد كونه من اساءة الادب فلا يبعد ان يكون مجمعا على حرمته وان لم ينص عليه الا بعض المالكية كقول القائل

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوة
كفلي أضعف خصري * فاعينوني بقوة

وانما يكون اقتباسا اذا لم يكن ايراد ما يورده على سبيل الحكاية والا كان استدلالا واستشهادا كما يقال بعد حكاية كلام فالله يقول كذا أو قال كذا أو اقرؤا ان شئتم كذا فمن الاقتباس الحسن ما وقع لعبد المؤمن الاصبهاني في مقالاته التي سماها أطباق الذهب كقوله من مقالة واعلم ان الدنيا والآخرة ضرتان لك اليهما كرتان احداهما حرة خريدة والاخرى أمة مريدة فاجعل للحرة يومين فان لها قسمين وللامة قسما فان لها في كتابك اسما وأضعف نصيب العقبى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحفظ القسمة العادلة ولا تكن ممن يحبون العاجلة فالويل كل الويل أن تميلوا كل الميل واتق الميل بالقلب فكل أولئك كان عنه مسؤلا وان كان ولا بد فللآخرة خير لك من الاولى فان نفيت الزيغ فطلق الدنيا فانها زائدة وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة (ولابن معصوم) في التذكير والوعظ انتبه يا نائم فقد هبت النسائم ودع المنام فقد انقشع الظلام هذا الصبح قد لاحت تباشيره وهذا النجح قد وافاك بشيره فالام هذه الغفلة والغرة وحتام هذه الفضيحة والمعرة أركونا الى الدنيا الدنية واشتغالا عن المنية بالامنية ما أراك الا قد تورطت فبادر نفسك قبل ان تقول يا حسرتا على ما فرطت وذر الكبر والزهو فما الحياة الدنيا الا لعب ولهو فتبا لمن نسي وفاته حتى ذهب أمره وفاته وطوبى لمن عمل لغده ولم يرض من العيش برغده فكم هذا التسويف يا ماطل والحق لا يدرك بالباطل فلا يغرنك قوم

أعرضوا

أعرضوا عن العلم والعمل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل ان الذين آمنوا لا يسوفون من يوم الى يوم ومن عام الى عام والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (وله) من عجيب أمر الانسان وكل أمره عجيب ان يدعو فيرجو الاجابة ويدعى فلا يجيب اليس كما يدين يدان وهل يجزى الاعمادان عقل فى قفارة الجهالة هائم وقلب فى تيار الضلالة عائم يرجو ولا يخاف ايمان ظاهر وكفر خاف والخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطير متى قص أحدهما هوى فى هوة الضير فيا أيها المغرور بأمله المسرور بعمله انك فى حبائل الشيطان واقع ألما تصح والشيب وازع فانظر لحالك قبل ترحالك واعمل فى يومك لغدك قبل فوات الامر من يدك ولا تكن عن الآخرة بالاه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ولا يعجبنك أمر قوم رضوا من الدنيا الدنية بالدون انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (وله) لله در عصابة هم أهل الاصابة ذاقوا شهد الدهر وصابه وقاسوا محنه وأوصابه فنبذوا الدنيا وراءهم ظهريا واستطوا من عزمهم جلامهريا يرون ببصائرهم مالا يرون بأبصارهم وينتصرون بالله سبحانه لا بأنصارهم هم أعلام الهدى ومعالمه وأركان التوحيد ودعائمه أنفسهم فى عالم الملكوت سائحة وقلوبهم فى غمار الرهبوت سابحة نطقهم حكمة وذكر وصمتهم عبرة وفكر اذا خوطبوا أحسنوا السمع واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع أكفهم بالبذل مبسوطة وأوصافهم بالفضل منوطة يبذلون من المال خلاصه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يهدون بالحق وبه يعدلون ويصدون عن الباطل وعنه يعدلون يأمرون بالصلح وهم المصلحون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * ثم ان الاقتباس كما يكون من القرآن يكون من الحديث الشريف ومن سائر الفنون العلمية كقول الصاحب فى الحديث

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنة * حفت بالمكاره

ولفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكقول تقى الدين بن دقيق العيد من أصول الفقه

قالوا فلان رجل عالم * فأكرموه مثل ما يرتضى

فقلت لما لم يكن طالما * تعارض المانع والمقتضى

وقول ابن العفيف

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * تمنى مثله الرشأ الربيب
رمى فأصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

ولابن العفيف من المنطق

للمنطقيين أشتكي أبدا * عين رقيب فليته هجعا
راقبها من أحبه فأبى * أن نختلي ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

ولبعضهم.

تالله ما المعذبي في حسنه * شبه فأي حشى عليه لم يهم
لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعي من حسنه برهان لم

ولابي المحاسن الشواء من النحو

هاتيك يا صاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفا على الـ * ـساكن أو عطفا على الموضع

ولبعضهم من البيان

قد قلت للبدر والتمام منزها * عنه معذب مهجتي تنزيها
أشبهته لما استعرت جماله * والاستعارة تقتضي التشبيها

ولصاحب هذين البيتين واسمه عبد علي بن رحمة من البديع

وحوراء العيون اذا تجلت * لجيش الهم آذن بالشتات
اذا التفتت أفادتني نشاطا * وذلك وجه حسن الالتفات

ولابي اسحاق الغزي من علم الهيئة

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * ماله ذا المنحني الظهر ومالي
أنا شمس في الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرب الهلال

المواربة هي ان يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه ان يغير معناه بتحريف أو تصحيف ليسلم من المؤاخذة فيكون قد وصل الى غرضه مع سلامة العاقبة يحكى ان أبا نهال عتبان

ابن

ابن وصيلة وكان من قوم خرجوا في أيام عبد الملك بن مروان ثم انقادوا فوفد عليه بعد ان بلغه عنه قوله

وأبلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح لو يدعى اليه قريب
فلا نصح مادامت منابر أرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب
وانك الا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فنا حصين والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال ألست القائل يا عدو الله ومنا أمير المؤمنين فقال انما قلت أمير المؤمنين فنصب ما كان مرفوعا فأفرده بالامارة بعد ان أشرك فيها شبيبا أو خصه بها وأثباتها أولا لعبد الملك يكون على زعمه ودخل الخطير أسعد بن مماتي القاضي على عبد الرحيم الفاضل وكان في عصره قاضي القضاة وصاحب الكلمة لا يصدر سلطانه يوسف صلاح الدين أمرا الاعن رأيه فكان مهيبا جدا تخشيا فوجده جالسا وبين يديه أترجة كبيرة مساوية لرأسه وكان الفاضل أحدب فأخذ يندر على نفسه بمقارنة تلك الاترجة مسابقة بما يخطر في أنفس الشاهدين لتلك الحالة وهو يقول لاسعد كان هذا عربفكرك فقال له لا يا سيدي أعزك الله وانما حضرني وأنشد

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

فلما خرج قال له بعض من كان حاضرا أما خشيت ان يتنبه الرجل لقولك من هيبة التي تصحيفها من هيئة أي بابدال الباء همزة فيكون الكلام تندرا فقال أسعد ما قصدت ذلك وسلم الله فمن الواجب على من يخاف الانتقاد في خطاب أن يفتش ألفاظه حذرا من مثل ذلك وتكون المواربة بغير التصحيف والتحريف والمدار فيها على تأويل قريب يصرف الكلام عن المعنى المكروه يحكى ان المتوكل رمى عصفورا فأخطأ فقال بعض حاضريه أحسنت يا سيدي فغضب فقال لهم الى العصفور فسري عنه وضحك ويحكى أن رافضيا وقع في ايدي سنيين فقال ان أبا بكر وعمر وعثمان وعليا من أبغض واحدا منهم فهو كافر وامرأته طالق فخلص منهم ومراده بالواحد علي

(التفويف) هو أن يأتي الشاعر بجمل متناسقة متتابعة وحسنه اذا سلم من الركاكة المؤدية لثقل النطق كقول ابن زيدون

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع * سر إذا ذاعت الاسرار لم يذع
يابائعا حظه مني ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك انك ان حملت قلبي ما * لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل وقل اسمع ومر أطع

وهذا يقال له التفويف بالجمل المتوسطة وهنالك تفويف بالجمل الطويلة وتفويف بالجمل القصيرة وذلك أحسنها وليس يخلو الثالث من تعسف وان تهافت عليه بعض الشعراء كانهم يظهرون به الاقتدار كقول المتنبي

أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

من أقال عثرته أي سامحه وأناله أي أعطاه وأقطعه ملكه قطعة أرض ينتفع بها وحمله أعطاه فرسا وعلى قدره أي رفع شأنه وسلاه أي أفاده السلاوة عن فائت لنفسه به تعلق وأعاد أي كرر له مسؤله وزاده خيرا وهش وبش أي أظهر البشر وتفضل عليه وأدناه قربه وسراه أي أعطاه جارية للفراش فأنت ترى ان بعض هذه الالفاظ ليست الا تكميلا للعدد

(المراجعة) حكاية ماجرى بين متخاطبين بقال وقلت مثلا وملاحتها اذا كانت العبارة رشيقة والنسق مستغربا كقول البحتري

ونديم حلو الشمائل كالدينار محض النجار عذب المصفى
بت أسقيه صفوة الراح حتى * وضع الكاس مائلا يتكفى
قلت عبد العزيز تفديك نفسي * قال لبيك قلت لبيك ألفا
هاكها قال هاتها قلت خذها * قال لا أستطيعها ثم أغفى

وكقول بعض أجواد العرب

قالت اماترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شيء له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة * قد طعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالثوب والدرهم

وشرط حسن هذا النوع ان يتم المعنى الذي فيه المحاورة

(المناقضة) هي تعليق الشيء على ممكن يقدم وغير ممكن يؤخر كقول النابغة في الهجاء

وانك سوف تحلم أو تناهى * اذا ماشبت أوشاب الغراب

أى سوف يكون لك حلم أى عقل أو تتظاهر بالنهى ادراكا لفضيلة العقل فكثيرا ما يتعاقل غير العاقل وهذا النوع حسنه لما فيه من الهزل أو الاطماع والتيئيس

(المغايرة) هى مدح الشئ بعد ذمه وعكسه وفيه الابانة عن نباهة المتكلم وقوة حفظه وفهمه اذ يكون أدرك من الشئ محاسنه ومساويه يحكى أن الخليل بن أحمد قال للنظام يوما وقد احضره أبوه له فى صغره ليعلمه وكان بحضرتهما قدح زجاج يا بنى صف لى هذا القدح فقال مدحا أو ذما قال مدحا فقال يريك القذى ولا يقبل الاذى ولا يستر ما ورا قال فذمه قال سريع الكسر بطىء الجبر وكان هناك نخلة فقال صف هذه مدحا وذما فقال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنى نحن أحوج الى التعلم منك ويحكى أن عبد الله بن عامر أيام امارته على الكوفة حفر نهرا ظهرت منافعه لاهل تلك الناحية فاتفق أن مر ذلك الامير يوما ومعه غيلان الضبى فقال ما أنفع هذا النهر يا غيلان فقال نعم هو سقيا البلد وفيه تصل اليهم ميرتهم وتتعلم السباحة صبيانهم ثم زالت عن الكوفة امارته وخلفه زياد وتولع بازالة آثاره ولم يتمكن من طم النهر وكان بغيته فمر يوما مع غيلان المذكور فقال ما أضر هذا النهر يا غيلان فقال نعم أصلح الله الامير انه نخل بأساس الدور وبه يكثر البعوض فى البلد وفيه تغرق الولدان قيل لبعض ظرفاء الكتاب وكان ساكنا فى دار كراء انظر للهلال فقال لا أنظره لبغضى له قيل ولم فقال لعيوب لو كانت فى حمار لرد فسئل بيانها فقال انه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحل الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويشحب الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق واذا وصلت من مقامات الحريرى الى صفة الدينار ونعت الكاتبين كاتب الحساب وكاتب الانشاء وذكر البكر والثيب رأيت الغريب من هذا النوع وقال أبو تمام

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

فغايره آخر فقال

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد أو كوصل مقبل

مالى أحن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يوهل

وراعى آخر الجهتين فقال

أنا مبتلى ببليتين من الهوى * شوقى الى الثانى وذكر الاول
قسم الفؤاد لحرمة وللذة * فى الحب من ماض ومن مستقبل

يشير الى المثل المشهور لكل جديد لذة ولكل قديم حرمة

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

كان الناس لسانا واحدا فى تقريظ بنى برمك والثناء عليهم فى كلامهم واشعارهم حيث كانوا اذ ذاك غاية فى جلال المحل وكرم الفعال وهم يحيى بن خالد وهو الذى ربى الرشيد وكان يسميه أباه وابناه الفضل وجعفر أصغرهما وأحظاهما عند الرشيد حتى كان أيام اقبال الايام عليه وشغفه بهم يحلف بالله ان جعفرا أفصح من قس بن ساعدة وأشجع من عامر بن الطفيل وأسوس من عمر بن الخطاب واكتب من عبد الحميد بن يحيى وأعف من يوسف بن يعقوب فلما تحوّلت بهم الاحوال وآل أمرهم الى ما آل اليه حتى قال قائلهم

سألونا عن حالنا كيف أنتم * من هوى عرشه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا عنت الدهـ * ـر فظلنا لحكمه نستكين

غاير الناس فيهم القول وطلبوا لهم المثالب قال أبو نواس

قالوا امتدحت فما أعطيت قلت لهم * خرق النعال وأخلاق السراويل
قالوا فسم لنا هذا فقلت لهم * نعتى له يعدل التفسير فى القيل
ذاك الامير الذى طالت علاوته * كأنه ناظر فى السيف بالطول

فندعوك ربنا بما دعاك به نبيك عليه أفضل صلواتك وأشرف تسليماتك اللهم انا نعوذ بك من الحور بعد الكور

(التوشيح) هو كون فاتحة الكلام دالة بمعناها على خاتمته وشاهده قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وجميع القرآن شواهد لذلك وهذا النوع يرشدك الى أنه ينبغى أن يكون الكلام من قوّة التلاؤم وشدّة الائتلاف بحيث يبعث بعضه الفهم الى بعض وذلك يستدعى صفاء فكر وقوّة ذوق ولطف رعاية ومن أمثلته قول أبى فراس الحارث بن حمدان فى ابن عمه سيف الدولة على

فلما ثار سيف الدين ثرنا * كما هيجت آسادا غضابا
أسنته اذا لاقى طعانا * صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والاسنة مشرعات * فكنا عند دعوته الجوابا

(التذييل)

(التذييل) وهو بعض أنواع الاطناب الملقبة التى سبق بها الوعد وهو تعقيب جملة تامة بجملة تشتمل على معناها منطوقا أو مفهوما للتقرير وتمكينه من قلوب السامعين وهو إما أن يكون مستقلا خارجا مخرج المثل ومن شواهده قوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومن أمثلته قول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وقول جرول

تزور فتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط أثمان المحامد يحمد

ومن غير المستقل مثل قول الحماسى

ودعوا نزال فكنت أوّل نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

وقول ابن نباتة السعدى

قد جدت لى باللهى حتى ضجرت بها * وكدت من ضجرى أثنى على البخل

لم يبق جودك لى شيئا أؤمّله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ومن ضروب الاطناب المذكورة التكميل ويكون بجملة وبغير جملة لرفع وهم فيما يسبقه من الكلام والسابق على موضع الوهم لدفعه قبل حصوله يسمى احتراسا كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

وأوجزه مهيار فى قوله

بكر العارض تحدوه النعاما * فسقاك الرى يا دار أماما

والايغال ويكون فى الفواصل والقوافى بكلمة أو جملة لغرض التحقيق والتوكيد والمبالغة فى المعنى كقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وقولها وقد استنشدها أمير المؤمنين عمر

ترى الامور سواء وهى مقبلة * وفى عواقبها تبيان ما التبسا

ترى الجليس يقول القول تحسبه * نصحا وهيهات ما نصحا به التمسا

فاسمع مقالته واحذر عداوته * والبس له ثوب شك مثل ما لبسا

(تشابه الاطراف)

هو جعل عجز جملة صدر تاليتها أو قافية بيت صدر ما يليه كقوله تعالى مثل نوره كمشكاة

فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وفى مديح ليلى الاخيلية للحجاج ابن يوسف

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها * اذا جمحت يوما وحف أذاها

(التتميم) هو زيادة كلمة أو اكثر تزيد المعنى تماما وتفيد الكلام حسنا بحيث تراه لو طرحت منه لصار مبتذلا قال ابن المعتز

وخيل طواها القود حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل
صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

وقال زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

وقال أبو العلاء فى مدح عرب بالبادية

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز فى الحضر
اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

(الهجو فى معرض المدح) هو أن يكون الهجو بالعبارات التى تستعمل فى المدح مقرونة بما يصرفها الى الهجاء كقول الحماسى

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذن لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة ركبانا وفرسانا

وقول النجاشى

اذا الله جازى أهل لؤم بذمة * فجازى بنى العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا

ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الورّاد عن كل منهل
وما سمي العجلان الا لقولهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
أولئك أبناء الهجين وأسرة اللئيم ورهط العاجز المتذلل *
تعاف السباع الضاريات لحومهم * وتأكل من أشلاء كعب ونهشل

ولبعضهم

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

وللسري الرفاء

وشيخ طاب أخلاقا فأضحى * أحب الى الشباب من الشباب
له دار اذا استخفيت فيها * أمنت فلم تنلك يد الطلاب
طرقناه وقنديل الثريا * يحط وفارس الظلماء كابي
فرحب واستمال وقال حطت * رحالكم بأفنية رحاب
وحض على المناهدة الندامى * بألفاظ مهذبة عذاب
وقال تيمموا الابواب منها * فكل جاء من قلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام * وهذا قال دن من شراب
وهذا قال ريحان ونقل * وثلج مثل رقراق السراب
وسمح القوم من سمحت يداه * بخود غريرة بكر كعاب
فتم لهم بذلك يوم لهو * غريب الحسن عذب مستطاب
اذا العبء الثقيل توزعته * رقاب القوم خف على الرقاب

(الاكتفاء) هو الاقتصار من كلمة على بعضها أو من كلام على جزء منه اقتصارا يشبه الاقتصار على بعض الكلمة ونقل أهل هذا الفن ندرة وقوعه في كلام العرب وورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا أي شاهدا وأكثر منه المتأخرون كابن نباتة المصري وأهل عصره ومن قبله بقليل ولم يستعمله من تقدمهم من الشعراء وأحسن الاكتفاء ما كان فيه بعض الكلمة المقتصر عليه كلمة تامّة فيكون الكلام بذلك مشتملا على التورية كقول بعضهم

نزل الطل بكرة * وسروري تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسي على الندا

فالفظ الندامن الندامى ورشح للتورية بقوله نزل الطل وشاهد النوع الآخر قول بعضهم

لاأنتهى لاأرعوى لاأنثنى * مادمت فى قيد الحياة ولااذا

(الاحتباك) هونوع من الاختصار والخصوص هيئته عدّ من المحسنات وأفرد بالاسم وضابطه أن يجعل الكلام شطرين ويحذف من كل منهما نظير ما يثبت فى الآخر وشاهده من القرآن ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم أى ان شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم ومن قول بعض العرب

وانى لتعرونى لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

أى هزة وانتفاض كما اهتز وانتفض ومن القرآن أيضا قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برىء مما تجرمون وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء وهو فيه كثير

(اتصال النتائج) هو مثل قوله صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وقول على كرم الله وجهه من كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار ولبعضهم

تأمل بعينيك كيف الذهاب * فان لكل حياة مماتا

فمن عاش شب ومن شب شاب * ومن شاب شاخ ومن شاخ ماتا

ولبعضهم

قريش خيار بنى آدم * وخير قريش بنو هاشم

وخير بنى هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

(ردّ العجز على الصدر) هو تكرير كلمة فى الشطرين من الشعر أو الفقرتين من السجع كقول بعضهم

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

وما أشبه ذلك

(الاستثناء) هو المعروف وانما يعدّ من البديع اذا كان مثل قول النميرى حيث يخاطب الحجاج وكان فرّ خائفا منه ولم يجد فراره نافعا

فهاك يدى ضاقت بى الارض رحبها * وان كنت قد طوّفت كل مكان

فلو كنت كالعنقاء أو فى أطومها * لخالتك الا ان تصدّ ترانى

فانه

فانه مشتمل على تأكيد المبالغة فى صفته بزيادة القدرة وقوة السلطان وشدة الضبط بقول انه لايفوته فائت ولاينجو منه الامن اختار نجاته فلابد أن يشتمل الاستثناء على مزية من جنس مايذكر فى علم البلاغة من دواعى صور التراكيب

(مراعاة النظير) هى أن يذكر الشئ وماهو من واديه كقول البحترى فى صفة ابل أنحلها السير

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجارى

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فلما أراد أن يترقى فى تصوير نحولها لم يخرج عن وادى القوس وللشريف الرضى

هن القسى من النحول فان سما * طلب فهن من النجاء الاسهم

ولابى العلاء

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لاتكرى وان كذب الخال

المراد بالجد الحظ والبخت وبالعم جماعة الناس وبالخال الظن

ومتى سلك هذا الطريق فى العبارة فالانحراف عنه بكلمة أجنبية يعد عيبا كما وقع لابى نواس فى قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لاتكذب

برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

ولوقال والبيت لسلم من ذلك

(التوجيه) هو أن يعبر بألفاظ هى أسماء لناس أوغيرهم مثل قول بعضهم

وماحسن بيت له زخرف * تراه اذا زلزلت لم يكن

وقول الوداعى

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ماأوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

(التمثيل) هو تقرير المعنى بذكر نظائره وفيه تشبيه ضمنى كقوله صلى الله عليه وسلم لشخص رآه قد أنهك نفسه بالعبادة ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا أظهرا أبقى مثل حال ذلك العابد بحال مسافر قد استحث دابته فترك الرفاق واشتد فى السير حتى كلت راحلته فلا هو وصل المقصد ولا أبقى راحلته وكقول

حبيب

أخرجتموه بكره من سجيته * والنار قد تنتضى من ناضر السلم
أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

يخاطب بهذا الكلام قوما أغضبوا رئيسهم بالتورط فى مخالفاته حتى اضطروه الى مفارقة سجاياه من العطف عليهم والرأفة بهم واصلاح أحوالهم الى تأديبهم بما يعيدهم الى ما هو لهم صلاح

(القسم) هو من المؤكدات كما عرفت فى المعانى ويكون القسم بعبارات كثيرة وأحسنه ما كان موافقا للغرض المسوق له الكلام وتعرف ذلك فى أقسام الكتاب العزيز فانها فى حيز الاستدلال لاثبات عقائد الاسلام وتراها متضمنة ذلك ومن المنبغى أن يتجنب القسم بما ينفر عنه سمع المسلم مثل برئت من الاسلام وانحرفت عن الهدى كما وقع لبعض المستهترين ولكن مثل قول الاشتر النخعى الذى يقول فيه على كرم الله وجهه الاشتر لى كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بقيت وفرى وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس
خيلا كأمثال السعالى شزبا * تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حمى الحديد عليهم فكأنه * ومضان برق أو شعاع شموس

ولقد أحسن بعض أصحاب البديعيات عند التمثيل للقسم بما صدر عن أحمد بن المنير المشهور بمهذب الدين الشيعى فى ايراد قصيدتيه المشتملتين على القسم فلا بأس باتباعه فى ذلك وسبب القصيدة الاولى انه كان أهدى لنقيب الاشراف فى عصره ببغداد من بلده طرابلس الشام عبدا أسود فكتب له الشريف لو رأيت عددا أقل من الواحد ولونا شرا من السواد لاهديته يداعبه بذلك فخجل ابن المنير من ذلك وجهز له هدية وأرسلها مع مملوك له كان شقيق روحه واسمه تتر فظنه الشريف بعض الهدية وطلبه ابن منير وعلم الشريف شدة شغفه به فتوانى عن ارساله على سبيل المزح فكتب له بهذه القصيدة

عذبت طرفى بالسهر * وأذبت قلبى بالفكر
ومزجت صفو مودتى * من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنى * وكحلت عينى بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر

يا قلب ويحك كم تخا * دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما * ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها * من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسى لا ينـاط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو * ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج * وكأنهن لها اكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى * يفضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر
عذل العذول وما رآ * ه وحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ * ـح جبينه ليل الشعر
وترى اللواحظ خده * فيرى لهن به أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه في * قلبي الشجي وما أمر
نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
ومن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبو مضر
أبدى الجحود ولم يرد الى مملوكي تتر
واليت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبي على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر

وأثابها الحسنى ولا * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من نهانى أو زجر
وأقول أم المؤمنين عقوقها احدى الكبر
وافت على جمل لتصـ * ـلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ * ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حساه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنه اذ قدر
وأقول ان إمامكم * ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقا * تل لا بصارمه الذكر
والاشعرى بما يؤ * ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا * حبكم وأوجز واختصر
وجنيت من ثمر النوا * صب ما تمر واختمر
وأقول ذنب الخارجيـ * ـن على على مغتفر
لا ثائر بقتالهم * فى النهروان ولا أثر
وأقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يدخر

وسهرت

وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقـ * ـول بلحم جرى الحفر
وجعلتها خير المآ * كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى ظالة * ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغد * ير أقول ما صح الخبر
والبست فيه من الملا * بس ما اضمحل ومادثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم * بالفاشريا قد فشر
مصطبتى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
بقر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم * جبلت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل بالسحر
وأقول فى يوم تحا * ر له البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف أضلنى * بعد الهداية والنظر
فيقال خذبيد الشريـ * ـف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
* والله يغفر للمسى * اذا تنصل واعتذر
* الا لمن جحد الوصى ولاءه ولمن كفر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة ما افتخر

حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها * لما قراها وابتهر
ردّ الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته * شكرا وقال لقصد صبر

هذه القصيدة وأمثالها من الشعر كأشعار الصاحب بهاء الدين زهير يقال له السهل الممتنع وذلك انه يخيل لقارئه القدرة على مثله فتى ذهب يطالب طبعه بحكايته وجده ينكص ويأبى عليه والقصيدة الثانية قوله

من ركب البدر فى صدر الرديني * وموه السحر فى حد اليماني
وأنزل النير الاعلى الى فلك * مداره فى القباء الخسرواني
طرف رنا أم قراب سل صارمه * وأغيد ماس أم أعطاف خطي
أذلني بعد عز والهوى أبدا * يستعبد الليث للظبي الكناسي
أما وذائب مسك من ذوائبه * على أعالى القضيب الخيزراني
وما يجن عقيق الشفاه من الريق الرحيق والثغر الجماني
لو قيل للبدر من فى الارض تحسده * اذا تجلى لقال ابن الفلاني
أربى على بشتى من محاسنه * تألفت بين مسموع ومرئي
اباء فارس مع لين الشآم مع الظرف العراقى والنطق الحجازى
وما المدامة بالالباب أفتك من * فصاحة البدو فى ألفاظ تركي

(حسن التخلص) جرت عادة الشعراء قديما أنهم اذا أرادوا أن يمدحوا افتتحوا الكلام بنوع من الغزل وغيره لمقاصد منها ادخال السرور على الممدوح وتفريح قلبه واستحضار نشاطه بتذكيره محاسن الملاح وأحوال الغرام الى غير ذلك من الامور التى تكون بها قلوب أهل القدرة بها أشغف والى التفكه بثمراتها أميل ومنها شكوا الشاعر انقطاع الوسائل الواصلة بينه وبين أحبته حتى ألجأه ذلك الى اقتحام المفاوز ومواصلة الاسفار ومعاناة الشدائد ليبعث بذلك رحمة الممدوح ويوجب الحق عليه وغير ذلك فاذا أرادوا أن ينتقلوا من ذلك الى المقصود فذلك مكان التخلص وقال أهل البديع ينبغي ان تزيد العناية به زيادتها بالمطلع والمقطع وموضع الطلب وذلك يكون بحسن التحيل فى ادخال ابتداء المديح فى غضون انتهاء الغزل حتى ينتقل السامع دون شعور وكأنه لم يزل فى استماع المعنى الاول فيسمى حينئذ حسن التخلص وكان يقع للمتقدمين

على

على سبيل الاتفاق وهو الذي نبه المتأخرين على اعتبار ذلك وقصده وادخاله في الصناعة وغير ذلك يسمى اقتضابا وهو الغالب في شعر أبي تمام والبحتري ومن قبلهم حتى كان الصاحب بن عباد يقول البحتري يسقط من السطح الى المدح ولبعض الشعراء

يعتابني فاذا التفت أبان عن محض صحيح
وثبا كوثب البحتري من النسيب الى المديح

ويحسن الاقتضاب اذا أنهى الشاعر المعنى الاول بحيث لم يبق فيه ماتتشوف اليه النفس ويقول العارف بصناعة الشعر انه لا تمكن الزيادة على ذلك كقول أبي تمام وقد ذكر الشيب وذم آثاره وتوجع من صحبته واسترسل في ذلك حتى ختمه بالاستدلال عليه فقال

لو رأى الله ان في الشيب خيرا * جاورته الولدان في الخلد شيبا

فكأنه يستحضر السامع لان يتلقى فنا آخر من الكلام فكأنه ابتدأ المديح ابتداء ولم يجعل له مقدمة ومع ذلك فقد وقع الاتفاق على استحسان ما سموه حسن التخلص فمن ذلك في شعر المتقدمين قول زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولـــكن الكريم على علاته هرم

وقول ربيعة بن مقروم الضبي

وجسرة أجد تدمي مناسمها * أعلمتها بي حتى تقطع البيدا
كلفتها فرات حمتا تكلفها * ظهيرة كأجيج النار صيخودا
في مهمه قذف يخشى الهلاك به * أصداؤه لاتنى بالليل تغريدا
لما تشكت الى الاين قلت لها * لاتستريحين مالم ألق مسعودا

ولا يتجاوز مثل هذا ما تأتى فيه المتأخرون الا يسيرا ان كان كقول لسان الدين بن الخطيب

شمت الني وجدت ادلاج السرى * وزجرت للآمال كل سنيح
فكأنما ليلي نسيب قصيدتي * والصبح فيه تخلصي لمديحي

ولبديع الزمان الهمداني

أبي المقام بدار الذل لي كرم * وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لاتزال الدهر ضاربة * دون الامير وفوق المشتري طنبا

وجميع انتقالات الكتاب العزيز شواهد على أحسن حسن تخلص

(الاطراد) هو أن يذكر اسم شخص فينسبه بذكر أبيه وجده وذلك يزيد حسنه في الشعر لانه مع حكم الوزن اذا كان سهلا سلسلا منحدرا يشبه الماء في اطراده وجريانه وروده على نفس السامع مستغربا متعجبا منه وهو في غير الشعر كقوله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وفي الشعر كقول بعض العرب

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقول دريد بن الصمة

قتلنا بعون الله خير لداته * ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وقول الاعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت الذي ترجو بقاءك وائل

وقوله أيضا

فنعم أخو الجلى ومستنبط الندى * وملجأ محزون ومفزع لاهث

عياذ بن عمرو بن الحسين بن غانم بن * ن زيد بن منصور بن زيد بن حارث

جعل البيت كله اطرادا وكقول السراج الوراق من المتأخرين

فله الجمال غدا بغير منازع * ولي الجوى فيه بغير قسيم

وكذا العلي لمحمد بن محمد بن * ن علي بن محمد بن سليم

بتنوين علي لاقامة الوزن وزاد بعضهم في حد الاطراد لزوم ذكر كنية الشخص ولقبه مع نسبه وقبيلته أو ما أمكن من ذلك فلا يعد ذكر النسب وحده اطرادا كقول بعضهم

الى الشيخ الجليل أبي علي * محمد بن عيسى الدامغاني

وقول آخر

ان الرواية والدراية خاتم * حقا أقول ولست فيه بزاعم

وأبو علي أحمد بن محمد بن * ن عمير الجشمي فص الخاتم

(العكس) هو مثل قولهم عادات السادات سادات العادات وكتب الاحباب أحباب الكتب وكلام الامير أمير الكلام وكقول بعض شعراء العرب

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

الحدثان بكسر فسكون من أسماء ما جرت عادة العرب بنسبة الافعال له كالدهر والزمن

والزمن وكقول بعضهم وقد سئل عن الشعر وأدنى مروءة السرى وأسرى مروءة الدنى ومن العكس الاتفاقى قول الحسن بن سهل لا سرف فى الخير وقد قيل له لا خير فى السرف وقول أبى تمام وقد أنشد ابتداء من ابتداآته الوعرة لم تقل ما يفهم لم تفهم ما يقال الترديد

تكرير اللفظ مختلف التعلقات كقوله تعالى فى سورة الرحمن وسورة المرسلات وسورة الشعراء ويكون المردّد جملة ومفردا اسما أو فعلا أو حرفا وأقله تكرير الكلمة مرتين كقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

وهذا النوع تعرف حسنه بتأمل مواقعه واعتبار آثاره

(المناسبة) هى ان يأتى المتكلم بألفاظ متوازنة وأحسنها مقفاها كقول مروان ابن حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان اعطوا أطابوا وأجزلوا

(الجمع) هو ان يذكر أمرين أو أكثر ليجعل المتعدد متحدا بمعنى مشترك كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة ومنه قول أبى العتاهية

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أى مفسده

(الانسجام) يقال انسجم الغيث اذا اتصل انهماله فى سهولة وهذا النوع من البديع حاصله أن يكون الكلام حسن التأليف حروفا وكلما بحيث لا يجد المتكلم به عسرا ما على آلات النطق حتى كأنه لسلاسته يمضى وحده مع النفس دون عمل وسبب ذلك هو السبب الذى من جهته تميز الشعر حيث كانت عبارته مفصلة الحركات والسكنات على أوضاع معينة فاذا قويت مراعاة ذلك التفصيل بكون الحروف متلائمة مفصلة حركاتها بالسكنات على حد التناسب ممدودة بأحرف المد الى غير ذلك مما يوجب سهولة النطق أخذ الكلام هيئة لا تختلف النفوس فى استحسانها وتلك الهيئة هى المسماة بالانسجام وجميع الكتاب العزيز شاهد لهذا النوع واعتبر ذلك بقراءة القرّاء اذا مدّوا أصواتهم فى قراءته فانك لا تجد ذلك يتفق فى كلام ولا يمكن ان يعطيهم الحالة التى يعطيها القرآن اياهم ومن اساءة الادب وقلة التحفظ بنقصان المعرفة ما وقع فى هذا الموضع لبعض المتكلمين فى فن البديع من قوله ان الكلام بانسجامه يصير شعرا دون قصد حيث جعل المرجع الى موافقة الشعر مع ان الشعر قليل فيه المنسجم ولذلك بحثوا عن

أبيات من قصائد فى العصور المتتابعة ليجعلوها أمثلة للانسجام ومتى كان المرجع فى أمر الانسجام الى اختبار نطقك بالكلام ولم تكن من أهل العى لم تكن مفتقرا الى اعتباره بشعر أو غيره ومما لا يستحسنه الادب أن يقال قوله تعالى كذا هو من البحر الفلانى ويعتذرون فى تنزيه القرآن عن الشعر بكون الوزن غير مقصود واذا كان الشعر محدودا بالكلام الموزون المقفى فلا يتحقق الابيت كامل فلست محتاجا لذلك الاعتذار اذ ليس فى القرآن ما يشبه بيتا أصلا هذا ولاجل ان تنظر الانسجام فى كلام الناس نورد عليك أشياء مما مثلوه به فمن ذلك قول امرئ القيس

فظللت فى دمن الديار كأننى * نشوان باكره صبوح مدام

وقول المنخل اليشكرى

ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر فى اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشى القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبى البهير
فدنت وقالت يا منخل ما بجسمك من فتور
ما شف جسمى غير حبـ * ـك فاهدئى عنى وسيرى

وقوله فيها

وأحبها وتحبنى * ويحب ناقتها بعيرى
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فاننى * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى * رب الشويهة والبعير
* يا رب يوم للمنخل قد لها فيه قصير

ومن نواحيات الخنساء ما هو غاية فى الانسجام كقولها

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا
ألا تبكيان الجواد الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا أياديهم * الى المجد مد اليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

وقوله

يحمله القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا
اذا ذكر المجد ألفيته * تأزر بالمجد ثم ارتدى

ولسهيم عبد بنى الحسحاس

اشوقا ولما يمض لى غير ساعة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا
وما كنت أخشى مالكا ان يبيعنى * بشئ وان أضحت أنامله صفرا
أخوهم ومولاهم وحافظ سرهم * ومن قد ثوى فيهم وعاشرهم دهرا

يحكى ان هشام بن عبد الملك حج قبل أيام امارته فلما أراد أن يطوف وجد المطاف شديد الازدحام فوضع له كرسى ناحية ينتظر خفة الزحمة ومعه اتباعه من أهل الشام وغيرهم وفيهم أبو فراس همام بن غالب المشهور بالفرزدق فبيناهم كذلك اذ دخل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب فانفرج له الزحام واحترمه الناس فقال بعض أهل الشام من هذا الذى هابه الناس هذه المهابة فقال هشام لا أعرفه تجاهله خوفا ان يميل له أهل الشام فقال الفرزدق لكن أنا أعرفه فقيل له من هو يا أبا فراس فارتجل قصيدة هى من اكرم شواهد هذا النوع واذا قرنتها بسائر شعره وجدت السماء والصخر وهى هذه

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * ولا يكلم الا حين يبتسم
من جدّه دان فضل الانبياء له * وفضل أمته دانت له الامم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجدّه أنبياء الله قد ختموا
* الله شرفه قدما وفضله * جرى بذاك له فى لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والكرم
حمال أثقال أقوام اذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الفناء أريب حين يعتزم

من معشر حبهم دين و بغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أوقيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة أزمت * والاسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم * ويسترب به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى هضم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * والدين من بيت هذا ناله الامم

ولكثير عزة

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكى * ولا موجعات القلب حتى تولت
فلا يحسب الواشون أن صبابتى * بعزة كانت غرة فتجلت
فوالله ثم الله ما حل قبلها * ولا بعدها من خلة حيث حلت
وما مر من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت
وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
أريد ثواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فوالله ما قاربت الا تباعدت * لهجرى ولا اكثرت الا أقلت
يكلفها الغيران شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت
فان تكن العتبى فأهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الأخرى فان وراءنا * مهامه ان سارت بها العيس كلت
أسيئى بنا أو احسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
فما أنا بالداعى لعزة بالردا * ولا شامت ان نعل عزة زلت

واني وتهيامي بعزة بعدما * تخليت عنها برهة وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني وإياها غمامة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت
كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من العصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك النيل ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت * الى وأما بالنوال فضنت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * فلما تواثقنا شددت وحلت
وكنا سلكنا في صعود من الهوى * فلما توافينا ثبت وزلت
فان تسأل الواشون كيف سلوتها * فقل نفس حر سليت فتسلت
وللعين تذراف اذا ما ذكرتها * وللقلب وسواس اذ العين ملت
فكنت كذي رجلين رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت
فليت قلوصي عند عزة قيدت * بحبل ضعيف بان عنها فضلت
وأصبح في القوم المقيمين رحلنا * وكان لها باغ سواي فسلت
* تمنيتها حتى اذا ما رأيتها * رأيت المنايا شرعا قد أظلت
اصاب الردى من كان يبغي لها الردا * وجن اللواتي قلن عزة جنت
عليها تحيات السلام هدية * لها كل حين مقبل حيث حلت

ولابن الدمينة من متأخري العرب

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن * جزوعا وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وليزيد بن الطثرية منهم أيضا

برغمي أطيل الصد عنها وان نأت * أحاذر أسماعا عليها وأعينا
اتاني هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ولبشار بن برد

عبد إني اليك بالاشواق * لتلاق وكيف لي بتلاق
أنا والله أشتهي سحر عينيك * وأخشى مصارع العشاق

وعبدة اسم حبيبة له كثيرا ما يهتف بها في شعره كقوله

لم يطل ليلي ولكن لم أنم * ونفى عني الكرى طيف ألم
روّحي يا عبد عني واعلمي * انني يا عبد من لحم ودم

ولمسلم بن الوليد وهو عصري أبي نواس وكان الناس مختلفين في المفاضلة بينهما واهل فن الكتابة على تفضيل مسلم

أديرا علي الكاس لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي
فما جزعي أني أموت صبابة * ولكن على من لا يحل لها قتلي
كتمت تباريح الصبابة عاذلي * فلم يدر ما بي واسترحت من العذل
أحب التي صدّت وقالت لتربها * دعوه الثريا منه أقرب من وصلي
أماتت وأحيت مهجتي فهي عندها * معلقة بين المواعيد والمطل
سأنقاد للذات متبعث الهوى * لامضي هما أو أصيب فتى مثلي
هل العيش الا ان تروح مع الصبا * وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

يقال ان الرشيد لما سمع هذا البيت عند انشاد القصيدة لقب مسلما صريع الغواني

ولعلي بن الجهم وهو عصري أبي عبادة الوليد البحتري

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري
أعدن لي الشوق القديم ولم اكن * سلوت ولكن زدن جرا على جمر
سلمن وأسلمن القلوب كأنما * تشك بأطراف المثقفة السمر
خليلي ما أحلى الهوى وأمرّه * وأعرفني بالحلو منه وبالمرّ
كفى بالهوى شغلا وبالشيب زاجرا * لو ان الهوى مما ينهنه بالزجر
بما بيننا من حرمة هل علمتما * أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفضح من عين المحب لسره * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجري
وما أنس م الاشياء لا أنس قولها * لجارتها ما أولع الحب بالحر
فقالت لها الاخرى فما لصديقنا * معنى وهل في قتله لك من عذر
صليه لعل الوصل يحييه واعلمي * بأن أسير الحب في أعظم الاسر

فقالت

فقالت أذود الناس عنه وقلما * يطيب الهوى الا لمنهتك السر
وأيقنتا انى سمعت فقالتا * من الطارق المصغى الينا ولا ندرى
فقلت فتى ان شئتما كتم الهوى * والا فخلاع الاعنة والعذر
على انه يشكو ظلوما وبخلها * عليه بتسليم البشاشة والبشر
فقالت هجينا قلت قد كان بعض ما * ذكرت لعل الشر يدفع بالشر
فقالت كأنى بالقوافى سوائرا * يردن بنا مصرا ويصدرن عن مصر
فقلت أسأت الظن بى لست شاعرا * وان كان أحيانا يجيش به صدرى
صلى وسلى من شئت يخبرك أننى * على كل حال نعم مستودع السر
وما أنا ممن سار بالشعر ذكره * ولكن اشعارى يسير هاذ كرى
وللشعر اتباع كثير ولم اكن * له تابعا فى حال عسر ولا يسر
ولكن احسان الخليفة جعفر * دعانى الى ماقلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر
ولو جل عن شكر الصنيعة منعم * لجل أمير المؤمنين عن الشكر
ومن قال ان القطر والبحر أشبها * نداه فقد أثنى على القطر والبحر
ولو قرنت بالبحر تسعة أبحر * لما بلغت جدوى أنامله العشر

ومن القصائد التى ينبغى لكل متأدب روايتها قصيدة محمد بن زريق البغدادى وكان قصد الاندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا أضر به * من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا * من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالخطب يحمله * فضيقت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أن له * من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه فى الرحيل غنى * ولو الى السند أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا ان تجشمه * للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان توصله * رزقا ولادعة الانسان تقطعه

والله قسم بين الخلق رزقهم * لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملئوا حرصا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات يقنعه
والسعى فى الرزق والارزاق قد قسمت * بغى ألا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ماليس يطلبه * يوما ويمنعه من حيث يطمعه
استودع الله فى بغداد لى قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى * صفو الحياة وانى لا أودعه
وكم تشفع انى لا أفارقه * وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى * وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عنى بفرقته لكن أرقعه
انى أوسع عذرى فى جنايته * بالبين عنه وقلبى لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته * كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا * شكر الاله فعنه الله ينزعه
اعتضت عن وجه خلى بعد فرقته * كأسا أجرع منها ما أجرعه
كم قائل لى ذنب البين قلت له * الذنب والله ذنبى لست أدفعه
هلا أقمت فكان الرشد أجمعه * لو اننى يوم بان الرشد أتبعه
انى لاقطع أيامى وأنفذها * بحسرة منه فى قلبى تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت له * بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا * لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ان الدهر يفجعنى * به ولا أن بى الايام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
بالله يا منزل القصف الذى درست * آثاره وعفت مذ غبت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا * أم الليالى الذى أمضته ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله * وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لى عهد لا يضيعه * كماله عهد صدق لا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره واذا * جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعنى * به ولا بى فى حال يمتعه *
علما بأن اصطبارى معقب فرجا * واضيق الامر ان فكرت أوسعه

على

هل الليالى التى أضنت بفرقتنا * جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تنل أحدا منا منيته * فما الذى بقضاء الله يصنعه

يحكى ان بعض ملوك مصر من العبيديين الفواطم جلبت له جارية مغنية من جوارى بغداد وكانت من أظرفهن فاشتد بها اعجابه وتاه فيها لبه فكان أول ما غنت استودع الله فى بغداد فورد عليه من الطرب ما أذهله حتى قال لها تغنى على فقالت كاننا ما كان فقال كاننا ما كان فقالت أغنى هذا الصوت ببغداد فهت لذلك ساعة ثم التفت لشيخ كان له سميرا وبه خصيصا فقال له أبو على الاسكرى فقال له قد رأيت ما نزل بنا ولا بد من الوفاء ولا أثق بغيرك فتجهز للحج وخذها معك فاذا فرغت فاجعل طريقك على بغداد فاذا بلغت أمنيتها فأسرع الانحدار الينا فكان ذلك حتى وصل بها الى محل يسمى القادسية وهو أول سواد بغداد وكان الحجاج ينزلون به فى ذهابهم وإيابهم فلما مضى شطر من الليل رفعت تلك الجارية صوتها بهذه الابيات التى هى غاية فى الانسجام وهى لموسى الكاتب الاصبهانى

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا * ز نسيم انفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشم هذه السبع البواقى
حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقى

فلما فرغت ضج الحجيج وقالوا بالله يا صاحب الصوت أعد فلم تفعل وبعد ساعة جاءت خادمتها الى أبى على وقالت ان سيدتى ليست فى هودجها فأطالوا البحث عنها ولم يقفوا لها على خبر وعادوا بحسرتها الى الملك فلم ينتفع بحياته بعد وشعر مهيار الديلمى تلميذ الشريف محمد الرضى أكثره متمكن فى هذا الباب وهو وان لم يبلغ تجويد استاذه فلقد بلغ من الاحسان منزلة لم يحلها أحد بعده وقل من ألم بها قبله من ذلك والقطرة تشهد لسائر البحر قوله

يا نسيم الريح من كاظمة * شد ما هجت الجوى والبرحا
من عذيرى يوم شرقى الحمى * من هوى جد بقلب مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبى أروحا

يا نداماي بسلع هل أرى * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا
فارحموا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

وقوله

بطرفك والمسحور يقسم بالسحر * أعمدا رماني أم أصاب ولا يدري
تعرض لي في القانصين مسدد الاشارة مدلول السهام على النحر
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب * فكررها أخرى فأحسست بالشر
فهل ظن ما قد حرم الله من دمي * مباحا له أم نام قومي عن الوتر
بنجد ونجد دار جود وذمة * مطال بلا عسر وبخل بلا عذر
وسمراء ود البدر لو حال لونه * الى لونها في صبغة الاوجه السمر
خليلي هل من وقفة والتفاتة * الى القبة السوداء من جانب الحجر
وهل ما أرانا الحج بالخيف عائد * الى مثلها أم عدها حجة العمر
ولله ما أوفي الثلاث على منى * لاهل الهوى لو لم تحل ليلة النفر
لقد كنت لا أوتى من الصبر قلة * فهل تعلمان اليوم أين مضى صبري
وكنت ألوم العاشقين ولا أرى * مزية ما بين الوصال الى الهجر
فأعدى الى الحب صحبة أهله * ولم يدر قلبي ان داء الهوى يسري
أيشرد لبي يا غزالة حاجر * وأنت بذات البان مجموعة الامر
خذي لحظ عيني في الغصون اضافة * الى القلب أوردي فؤادي الى صدري

وقوله

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
أجتدي المزن وماذا أربي * ان تجود المزن اطلالا رماما
وقليلا قبل ان أدعولها * مارآني الله أستجدي الغماما
أين سكانك لا أين هم * انجدوا أو طنوها أو شآما
صدعوا بعد التئام فغدت * بهم أيدي المرامي تترامى
يا لواة الدين عن ميسرة * والضنينات وما كن لئاما
قد وقفنا بعدكم في ربعكم * فقضيناه استلاما والتثاما

وبجرعاء

وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها لي * طيب عيش بالغضى لو كان داما
تصل العام وما أنساكم * وقصارى الوجد أن أسلخ عاما
حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما
وقف الظامي على أبوابكم * أفيقضي وهو لم يشف أواما
* ماينالي من سقيتن اللمى * منعكن الماء عنه والمداما
أشتكيكم والى من اشتكي * شمل الداء فمن يبري السقاما

ولابن الخياط الدمشقي

خذوا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها تطير بلبه
وإياكما ذاك النسيم فانه * متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلي لو أحببتما لعلمتما * محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه * وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوي الضلوع على جوى * متى يدعه داعي الغرام يلبه
اذا خطرت من جانب الرمل نفحة * تضمن منها داءه دون صحبه
ومحتجب بين الاسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه
أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

هذا وانما جلبت لك هذا القدر وأمسكت عن الزيادة ليكون باعثا لك على طلب مثله والاعتناء بتحفظه والتروي بعذوبة موارده حتى تضرب صفحا عن التغلغل في وعورات الصعوبات واذا انتهى بنا القول ان شاء الله تعالى في الشعر فهنالك يحسن ايراد ما يختار منه عصرا فعصرا ومن الله نستمد وعلى معونته نعتمد

(ائتلاف المعنى مع المعنى) هو أن يقرن بالمعنى ما يناسبه ويشتد ارتباطه به وتارة لا يكون الملائم المذكور مزاحما لملائم آخر وتارة يكون مزاحما لملائم آخر يظهر في بادئ الرأي أنه الاولى وعند التحقيق يعلم ان المذكور هو الملائم فمن القسم الاول قول أبي الطيب

فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

فقرن بين العرب الذين بلادهم فى المفاوز والسهول من الارض التى هى مساكن القطا وقرن بين الروم الذين مساكنهم الجبال التى هى مساكن الحجل و بين ما يناسب كلا من الفريقين يعنى ان وقائع الممدوح و رهبته عمت السهل والجبل ومن الثانى قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وقول أبى الطيب

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * و وجهك وضاح وثغرك باسم

يقال ان سيف الدولة على بن حمدان لما سمع قصيدة هذين البيتين طرب لهما وأعجب بها غيرانه قال لابى الطيب انى أنتقد عليك فى قولك وقفت البيتين بمثل ما أنتقد به على امرئ القيس فى قوله كأنى لم أركب وهو أن الملاءمة بين المعانى تقتضى تصدير كل من البيتين بصدر صاحبه فقال أبو الطيب ليس المنتقد على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فان معرفة البزاز بالثوب ليست كمعرفة ناسجه أراد امرؤ القيس ان يجمع بين مركبى اللذة وهما خيل الصيد والنساء و بين الكرم والشجاعة ولو جمع بين الصيد والشجاعة و بين الكرم والنساء لقالت له الصناعة دعنى فما أنت من أهلى وانا لما أردت ذكر الثبات وصدق العزم وحسن الطمأنينة ضربت المثل فى الاحاطة والامن وعدم المبالاة بالكون فى جفن الردى وهو نائم ولما ذكرت مرور الكامى المهزومين وهم العابسون الباكون طابقت بذكر وضاحة الوجه والابتسام فعند التأمل صار الملائم الظاهر غير ملائم وهذا النوع فى الكلام من المداحض يستدعى من مريد الانشاء أو فهم كلام الغير شدة فكر ودقة نظر ليعرف حسن الملاءمة فى مثل قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب حيث وصف المؤمنين بأنهم لا يزالون ملاحظين فى أعمالهم الخير المحض والرحمة الصرفة فهم لا يخشون و يخافون بعلة كونه جبارا شديد العقاب بل هم مجلون له معظموه مستحضرا لهم بصفات الحنان والرحمة وفى مثل قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى و يبين لك هذا حق الابانة ما يحكى عن بهاء الدين زهير المصرى مع الشاعر المغربى الذى قصده من بلاده ليتعلم منه

الرقة

الرقة المشرقية فقال له ان ذلك ليس تعلمه بالقواعد وانما يحصل بادمان مطالعة كلام البلغاء مع التأمل فى تأليفه ولكن سألقى عليك صدر بيت وأنت تجتهد فى تكميله فسمع منه قوله * يابان وادى الاجرع * فجاءه من الغد وأنشده

يابان وادى الاجرع * سقيت غيث الادمع

يخطر بالبال عند ذكر الشجر انه يحتاج للسقى وانه اذا سقى الكفاية كان أنضر له وأنمى ومن حيث كون المقام مقام ذكر العشق والغرام جعل السقيا لذلك البان من دموعه ولم يتذكر انه لا معنى لهذا الدعاء فانه يستلزم دوام بكائه أو كثرته وتتابع أحزانه وان انتفاع الشجر بالماء العذب لا بدموع المحبة فقال له الصاحب زهير هلا قلت

يابان وادى الاجرع * هل ملت من طرب معى

فصفق المغربى وكاد يطير فرحا وقال ذلك ما لا يتأتى لمثلى

(المبالغة ويقال التبليغ) هى والاغراق والغلوّ لانها مشتركة فى أنها المجاوزة بالصفة حدها الذى لها فى نفسها كناية عن كثرتها أو قوتها أو غير ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم ان فلانا لا يضع العصا كناية عن ادامة السفر أى هو مديم السفر لا يقيم وهو كناية عن كثرته جدا حتى صارت الاقامة لقلتها لا يلتفت اليها ولا تعد قاطعة للسفر فالمعنى الكنائى أو المجازى هو محط الصدق والكذب ومتعلق البر والحنث لكن اذا كانت المجاوزة المذكورة بما يمكن عقلا وعادة فهى المبالغة وان كانت بما يمكن عقلا لا عادة فهى الاغراق كقوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ولا يصح التمثيل بمثل هذا للغلوّ كما فعل بعض علماء البديع فان على مذهبنا من الممكن عقلا ان يخلق الله فى الزيت الاضاءة مستتبعة نارا أو لم تمسسه وان كانت بما لا يمكن لا عقلا ولا عادة فهى الغلوّ كقولك يكاد فلان بفطنته يعلم الغيوب ومن الغلوّ ما أوقع بعض الشعراء فيما هو فسق أو كفر ويعبر عنه حينئذ بالتحريف كقول على بن جبلة المشهور بالمكوك فى مدح بعض الناس

أنت الذى تنزل الايام منزلها * وتنقل الدهر من حال الى حال

وما مددت مدى طرف الى أحد * الا قضيت بأرزاق وآجال

ذلك لله وحده لا شريك له فكان ذلك سببا لأن أمر المأمون بسل لسانه من قفاه واللائق فى هذا المعنى من وصف ملك بالجلالة وقوة السلطان قول شاعر آخر

له نظرات عن حفافى سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل

وكقول ابن هانئ الاندلسي

ماشئت لاماشاءت الاقدار * فاحكم فانت الواحد القهار
فكانما أنت النبي محمد * وكانما أنصارك الانصار

عامله الله بما يستحقه ماهذا التفاوت رفع ممدوحه ذلك الرفع ثم هوى به هذا الهوى وقوله

اتبعته فكري حتى اذا بلغت * غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يبين وما * رأيت موضع تكييف وتحديد

فلا ينبغي لاحد أن يحط من دينه ليرفع من ممدوحه والرضا بذلك من الممدوحين أنكر وأفظع وبحصول ذلك من المسلمين والسكوت عليه لحقوا بمن قيل فيهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فسلط الله عليهم ماسلط وأوهن منهم ما أوهن فانا لله وانا اليه راجعون وحاصل القول ان المبالغة وأخويها مجازا وكناية ينبغي ان تكون عبارتها نزهة عما يوجب القدح وحسنها هو حسن المجاز والكناية

(التفريق) هو ان تذكر شيئين متشابهين وتفرق بينهما بحالين مختلفين ذهابا بذلك لتفضيل أحدهما على الآخر كقول بعضهم

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وقول آخر

قاسوك بالبان في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
هذا كغصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا اخلاف

وقول آخر

من قاس جدواك يوما * بالسحب أخطأ مدحك
فالسحب تعطي وتبكي * وأنت تعطي وتضحك

(التلميح) هو ان يشير المتكلم في كلامه لآية أو حديث أو شعر مشهور أو مثل سائر أو قصة كقول بعضهم

أستودع الله أحبابا فجعت بهم * بانوا فما زودوني غير تعذيب

بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا * ولا انقضت حاجة فى نفس يعقوب

ولآخر

ما فى الصحاب وقد سارت حمولهم * الا محب له فى الركب محبوب
كأنما يوسف فى كل راحلة * والحى فى كل بيت منه يعقوب

ولآخر

يا بدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى
وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى
فليصنعوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

يشير بذلك الى حديث حاصله ان صحابيا ممن غزا غزوة بدر يقال له حاطب بن أبى بلتعة كان ذا مال بمكة ولم يكن له هنالك عشيرة تحميه له من الاعداء فأراد أن يتخذ له يدا عندهم حتى يحصل على ماله فتأول فى نفسه جواز أمر صنعه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر الى أصحابه انه يريد النهوض الى مكة فكتب لهم بذلك حاطب فلما اطلع النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وسأل حاطبا وقبل اعتذاره قال عمر دعنى يا رسول الله اضرب عنق المنافق فقال صلى الله عليه وسلم ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ومن الاشارة الى الشعر المشهور ما يحكى ان عبد الله بن ثعلبة المحاربى دخل على عبد الملك بن يزيد الهلالى أمير أرمينية اذ ذاك فقال له ماذا لقينا البارحة من شيوخ محارب منعونا النوم بضوضائهم ولغطهم فقال له عبد الله أعز الله الامير انهم أضلوا برقعا فكانوا فى طلبه أشار الامير لما قيل فى محارب

تكش بلا شئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وأشار عبد الله لما قيل

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن يزيد برقع وجلال

وكان سنان بن أحمس النميرى يسائر الامير عمر بن هبيرة الفزارى وهو على بغلة له فتقدمت البغلة على فرس الامير فقال اغضض بغلتك يا سنان فقال انها مكتوبة أصلح الله الامير فضحك وقال قاتلك الله ما أردت ذلك قال ولا أنا أراد ابن هبيرة قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد سنان قول الاخطل

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

(العنوان) هو أن يذكر المتكلم لمناسبة اغراضه ما يدل على اخبار شهيرة لاجل التأسي أو الاستشهاد أو الافتخار أو غير ذلك من المقاصد واكثر الناس استعمالا لهذا النوع شعراء المغاربة ومنشئوهم لا يكاد كلام من كلامهم يخلو منه قال الحارث الحمداني المشهور بأبي فراس وقد كتب اليه بعض أصحابه أيام اسره في بلاد الروم يأمره بالصبر ويحثه على الثبات

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب * وناديت للتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع * وعود على ناب الزمان صليب
وقد علمت امي بان منيتي * بحد سنان أو بحد قضيب
كما علمت من قبل أن يهلك ابنها * بمهلكة في الماء أم شبيب

ففي هذا البيت الالمام بخبر شبيب أحد رؤس الخوارج في امارة الحجاج لعبد الملك ابن مروان وكان الحجاج متوليا فقال شبيب هذا ولقي منه بلاء عظيما وكان غريبا في الشجاعة رأت أمه وهي حامل به أنها ولدت نارا فطارت في الجو وانتشرت في الآفاق ثم سقطت في ماء فطفئت فكانت ترى ان ابنها لا يموت الا غريقا فاذا قيل لها قتل أومات لم تصدق حتى قيل لها قد غرق فناحت عليه وذلك أن فرسه وثب به في نهر يقال ان عسكر الحجاج غاصوا عليه واخرجوه وشقوا عن قلبه فوجدوه في صلابة الحجر ثم فتحوه فوجدوا فيه قلبا آخر على شكل الكرة ومن هذه القصيدة قوله

تحملت خوف العار أعظم خطة * وأملت نصرا كان غير قريب
وللعار خلى رب غسان ملكه * وفارق دين الله غير مصيب

أومأ في هذا الى خبر جبلة بن الايهم آخر ملوك غسان بالشام وذلك انه قدم على عهد عمر بن الخطاب المدينة للاسلام في خمسمائة فارس من رجاله فأسلموا وفرح بهم المسلمون واكرمهم أمير المؤمنين فلما كان موسم الحج من تلك السنة خرج مع الناس للحج فبيناهو يطوف بالبيت وطئ رجل على ازاره فانحل فالتفت اليه مغضبا ولطمه فترافع معه الرجل الى عمر فقال له اما أن ترضيه واما أن أقيده منك فقال أتقيده مني وهو سوقة وأنا ملك فقال ذلك حكم الله لا فضل لاحد على أحد وقد سوى بينهم الاسلام فقال دعني أنظر في أمري الليلة فقال ذلك لك فلما كان بعض الليل خرج ابن الايهم في قومه ولحق

بقيصر

بقيصر الروم فاكرمه وأنزله منزلا شريفا وأجرى عليه مايليق بالملوك ثم كان ابن الايهم بعد يتأسف على ذلك ويقول ياليتنى أطعت عمر يقول أبو فراس ان خوف العار وشرف النفس مما يقذف بصاحبه فى المهالك وشاهد ذلك ما كان من جبلة

(التسهيم ويسمى الارصاد) وهو ان يجعل الكلام بحيث يدل أوّله على آخره من جهة لفظه أو من جهة معناه فمن الاول قول بعضهم

ولى فرس بالجهل للجهل ملجم * ولى فرس بالحلم للحلم مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقوّم

هذا يدل على انه يقول بعده * ومن رام تعويجى فانى معوّج *

وقول ابن هانئ الاندلسى

فاذا حللت فكل واد ممرع * واذا ظعنت فكل واد ماحل
واذا بعدت فكل شئ ناقص

هذا يدل على انه يقول * واذا قربت فكل شئ كامل *

ومن الثانى قول عمر بن أبى ربيعة

تشط غدا دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

يحكى ان عمر لما انشد صدر البيت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما سبقه بانشاد العجز فقال كذلك قلت فقال هكذا ينبغى ان يقال وقول عدى بن الرقاع العاملى فى صفة الغزالة وولدها من قصيدته التى مطلعها * عرف الديار توهما فاعتادها *

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

يحكى انه حين كان ينشد هذه القصيدة عرض للملك شغل فقطع الانشاد على صدر البيت وكان الفرزدق وجرير حاضرين فقال الفرزدق لجرير ما تراه يتمم البيت فقال لعله يستلب مثلا فقال الفرزدق أراه يقول قلم أصاب وهذا لا يسهل فى درج الكلام الاعلى من اكثر مزاولة المعانى والعبارات عنها فعرف ان كل ابتداء له انتهاء وان الاشياء يستتبع بعضها بعضا

(التشريع) هو ان تجعل الكلام على سجعتين فى النثر وعلى قافيتين فى الشعر أو اكثر من ذلك بحيث لو وقفت على سجعة من السوابق أو على قافية منها لتم الكلام أو بيت من الشعر فمن مشهور ذلك قول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دارمتى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا تبا لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتقع * منه صدى بجهامه الغرار

فالقافية الاولى بهذه الابيات هى فى قوله الردى وغدا وصدا تنشدها قصيدة ثانية فتقول

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى *
دارمتى ما أضحكت * فى يومها أبكت غدا
واذا أظل سحابها * لم ينتقع منه صدى

(المذهب الكلامى) هو ايراد الحجة فى الكلام على الطريقة التى استعملها المتكلمون فى مواضع الاستدلال فمنه قول النابغة يخاطب النعمان وكان غضب عليه بسبب مدحه لملوك غسان بالشام

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولكننى كنت امرأ لى جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب *
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا

فحاصل الاحتجاج لو كان مادحو من أحسن اليهم فى رأيك مذنبين لكان مادحوك مذنبين فيه لكنهم غير مذنبين فمادحو من أحسن اليهم غير مذنبين ولبعضهم

دع النجوم لطرقى يعيش بها * وبالعزائم فانهض أيها الملك
ان النبى وأصحاب النبى نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

(نفى الشئ بايجابه) هو ان تقصد الى أثر شئ يظهر فى الكلام ثبوته فتنفيه ليكون نفيه نفيا للشئ على طريق الكناية من باب نفى الملزوم بنفى اللازم والاعتماد فى ذلك على معونة المقام وقرائن الاحوال كقول امرئ القيس * على لاحب لا يهتدى بمناره *
ظاهر الكلام ان اللاحب له منار فلما نفى الاهتداء به نفاه اذ لو كان لكان الاهتداء به ومنه قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع النفى منصب على القيد فكانه قيل لا يطاع لهم شفيع أى لا شفيع لهم اذ لو كان لاطيع وتقول لا ينتفع فى هذا البلد بعاقل أى ليس فيه عاقل اذ لو كان لانتفع به ومن فوائد هذا النوع التفادى من التصريح بحقيقة المقصود وتقليلا لسورة الجفاء

(الرجوع)

(الرجوع) هو ان يحكم بحكم يرى انه الواقع ثم يرجع عنه لاظهار القوّة المعنى الذى يريد افادته بالكلام من رضا بأمر او افتخار أو صفة عشق وشوق أو غير ذلك تقول فلان لا يحسن القراءة والكتابة بلى هو أقرأ من فلان وأكتب من فلان لا يبارى فى معارفه وحسن صناعته ومن أصول شواهده قول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

كانه قال هل هى التى لم يعفها القدم بلى هى التى عفاها القدم وغيرها الارواح والديم ففى ذلك اطالة النفس فى شكوى تغير الاحوال الموجب للتأسف والتوجع

(التورية) هى لفظ يحتمل معنيين قريب يتبادر فهمه من الكلام وبعيد هو المراد بالافادة وهى باعتبار ما يقارنها من ملائمات المعنيين تنقسم الى مجردة وهى المقرونة بملائمين كل واحد منهما الواحد من المعنيين أو لم تقرن بملائم أحدهما والى مرشحة وهى المقرونة بملائم المعنى القريب يذكر بعدها أو قبلها والى مبينة وهى المقرونة بما يلائم المعنى البعيد كذلك ان لم يكن تحقق التورية موقوفا عليه والا سميت مهيأة وهذه أمثلة تورد عليك تستعمل ذهنك فى رد كل تورية الى جنسها حسبما عينته لك تلك الضوابط لسراج الدين عمر الوراق من شعراء مصر وكانت الوراقة حرفته وكان لهجا بالتورية فى لقبه وحرفته فمن ذلك قوله

الهى لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تكفر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسى فسرنى * وماساءنى أنى السراج المنوّر *

وقوله

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * وراح ابرى سعيا فراجا
وما قال لى أف مذ كان لى * لكونى أبا ولكونى سراجا

وقوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فالبسنى الشيب هجر الحبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فأطفأ نورى نهار المشيب

وقوله

بكتبك راج لى أملى وقصدى * وفى يدك النجاح لكل راج

ولولا أنت لم يرفع مناري * ولا عرف الورى قدر السراج

وقوله

أمولانا ضياء الدين دم لي * وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أنت ما أغنيت شيئا * وما يغني السراج بلا ضياء

وقوله

يا خجلتي وصحائفي مسودّة * وصحائف الابرار في إشراق
وموبخ لي في القيامة قائل * أكذا تكون صحيفة الوراق

وقوله

نصب الحشا غرضا فقرطاس أو رمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال بحجة * ياليت شعري أينا الوراق *

وله من غير ذلك

أصون لقاء وجهي عن أناس * لقاء الموت عندهم الاديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب *

وقوله

ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من ألم الجوى
لم لا تميل الي يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى *

وقوله

وأحمق ضيفنا ببقلة * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل أدبا من سفلة * قدمها في وجه الضيوف رجله

يقال للخضراء المشهورة بالرجلة البقلة الحمقاء لكونها تنبت في مجاري السيول ومواطئ الاقدام فلا تختير موضعا يصونها فحمقوها لذلك ولابي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار حرفة من شعراء مصر أيضا

اني لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقي
تضيء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم ايام تشريق

وله

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكفافة انني * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

وله

وله تزوّج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها في الدجى * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها في فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
* وقائل لي قال ماسنها * فقلت ما في فمها سن *

ولنصير الدين الحمامي

لي منزل معروفه * ينهل غيثا بالسحب
اقبل ذا العذر به * وأكرم الجار الجنب

وله

أصبحت من أغنى الورى * وطائرا بالفرح
عندي حجر ذهب * اكاله بالقدح

وللأمير ناصر الدين حسن بن النقيب

أقول لنوبة الحمى اتركيني * ولا تك منك لي ما عاشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

وله

جودوا لنسجع بالمديح على علاكم سرمدا
فالطير أحسن ما يغرد عند ما يقع الندى

ولمحي الدين بن عبد الظاهر

شكرا لنسمة أرضكم * كم بلغت عني تحية
لا غرو ان حفظت أحاديث الهوى فهي الذكية

وللشيخ عبد العزيز الانصاري الحموي

لا تنس وجدي بك يا شادنا * بحبه أنسيت أحبابي
مالي على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ولبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربى
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

وله أدر كؤوس الراح في روضة * قد فتقت أزهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

وله
وذي قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت البدر قط

وله
رفقا بصب مغرم * أبليته صدا وهجرا
وأتاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

ولبدر الدين الصاحب
فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد في الاقسام مكتوب
فقلت للخطي لا تستطل * كلا كما للخط منسوب

ولشهاب الدين الحاجي
لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلوا الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

ولبعضهم
كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا
أيها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه الامثلة التي أوردت للتورية اتفق على التمثيل بها مشاهير أهل البديعيات واذا كانت التورية لفظا يحتمل معنيين كل منهما يحتمله الكلام غير ان قوة القرينة تصرف للمراد فأرى بعض هذه الامثلة غير منطبق على هذا الحد فمثل قوله تعالى وقوله حبيب وراح لاشبهة في كونه تورية وحيث تحققت من الضابط لم يعسر عليك تمييز المضبوط من غيره

(الاعتراض) هو أن يفصل المتكلم بين أجزاء الكلام أو الكلامين المتصلين معنى بعطف أو بيان أو بدلية أو غير ذلك بجملة فأكثر لغرض كالاستعجال بالتنزيه وتقريع المخطئ حال ذكر خطائه كقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وبيان سبب الامر الغريب مبادرة بدفع الاستغراب عن نفس المخاطب كقول الشاعر

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فان تمني المحب ان يبدو صرم الحبيب وهجره أمر مستغرب فاستعجل بيان السبب حيث قال فان اليأس احدى الراحتين وشدة الاحتراس من انصراف الفهم عن هجو ومهجو أو مدح ممدوح كقول بعضهم

لوان

لوان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

وقول آخر

فاية طربة للعفو ان الكريم وأنت معناه طروب

فلو قال الاول لو أن الباخلين رأوك تعلموا والثانى ان الكريم طروب لفهم أن المخاطب فى الاول بخيل وفى الثانى كريم لكن ربما يتوهم ان المطال بسبب غير البخل وان الطرب للعفو وقع اتفاقا وان الطرب صفة الكرام ويكون الاعتراض مقرونا بالواو وبالفاء ومجردا ويقال للحرفين الواو والفاء الاعتراضيتان ولبعضهم ان الاعتراض يكون بعد الكلام ومن أمثلته على رأيه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومعنى الاعتراض على هذا انه فصل بين الكلام وبين ما يترقبه السامع من كلام آخر فكأنه وصل بين الكلام المذكور وما يؤمله فاعترض المتكلم بذكر ما يتعلق بالكلام السابق وربما يشتبه الاعتراض بالحال فعلى المتفهم أن يلاحظ ان المعنى ان كان يستدعى التقييد وللتقييد غرض صحيح فالجملة حال والا فاعتراض وهذه امثلة للاعتراض من الشعر قال العباس بن الاحنف

قد كنت ابكى وكنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

ان تم ذا الهجر يا ظلوم ولا * تم فمالى فى العيش من أرب

ولابى الوليد محمد بن يحيى بن حزم

أتعجب من دمعى وأنت سكبته * ومن نار احشائى وأنت لهيبها

وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا منّ عليك حبيبها

وللشريف محمد الرضى

لا تحسبيه وان أسأت به * يرضى الوشاة ويقبل العذلا

لو كنت أنت وأنت مهجته * واشى هواك اليه ما قبلا

وللتهامى

انى لأطرف طرفى عن محاسنها * تكرما وأكف الكف عن أمم

ولا أهم ولى نفس تنازعنى * استغفر الله الاساءة الحلم

وقد نزل التهامى حالا عن المتنبى حيث يقول

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولبعضهم

سعاد تسيئني ذكرت بخير * وتزعم أنني ملق خبيث
وان مودتي كذب ومين * واني بالذي أهوى بثوث
وليس كذا ولا ردّ عليها * ولكن الملول هو النكوث
رأت شغفي بها ونحول جسمي * فصدت هكذا كان الحديث

ولابن النبيه

سقيا لايامنا التي سلفت * كانت بطيب الحياة مقترنه
لو بيع يوم منها وكيف به * كنت بعمري مسترخصا ثمنه

وللسيد عز الدين المرتضى

أفي الحق أن تمضي ثلاث وأربع * وخمس وسبع بعدهن ثمان
وما ان أرى شمس الضحى قمر الدجى * ولاه وحاشاه الخسوف يراني
نأى لا نأى لما دنا الهجر لا دنا * فيا ليت ذا ناء وذلك دان

وللسراج الوراق

ان عيني وهو عضو دنف * ماعلى ما كابدته جلد
ما كفاها بعدها منك الى * ان دهاها وكفيت الرمد

وللفقيه عمارة اليمني

له راحة ينهل جود بنانها * ووجه اذا قابلته يتهلل
يرى الحق للزوار حتى كأنه * عليهم وحاشا قدره يتطفل

ولابن اللبانة في ناصر الدولة صاحب ميورقه من الاندلس

وعمرت بالاحسان أفق ميورقة * وبنيت فيها ما بنى الاسكندر
فكأنها بغداد أنت رشيدها * ووزيرها وله السلامة جعفر

(حصر الجزئي والحاقه بالكلي) أرادوا بهذا الاسم أن يقصد المتكلم الى جميع أنواع تجمعها ملاحظة تحت جامع بحيث تكون تلك الانواع هي أقسام ذلك الجامع فيحصرها في بعض جزئياتها لغرض التعظيم أو غيره بمعنى أنه يدعي أن ليس للكلي فرد غير ذلك المخصوص ومثال ذلك قول عبد الله السلامي

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فسرت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فقد

فقد جمع أنواع العالم من الاشخاص والامكنة والازمنة وحصرها فى الملك والدار ويوم اللقيا وقد أغار عليه الارجانى فى ذلك وقصر تقصيرا بينا مع انحطاط درجة العبارة فى قوله

يا سائلى عنه لما جئت امدحه * هذا هو الرجل العارى من العار
رأيته فرأيت الناس فى رجل * والدهر فى ساعة والارض فى دار

فلفظ الناس ليس كلفظ الورى ولفظ الارض ليس كلفظ الدنيا والفاتح لهذا المعنى أبو نواس فى قوله يمدح الفضل بن يحيى ويخاطب الرشيد

أنت على مابك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

(الجمع والتفريق) هو أن يجمع بين شيئين فى معنى ثم يفرق بينهما بعد وهو يزيد على التفريق الماضى بسبق الجمع ويخالفه أيضا بأن التفريق هنا ليس الغرض منه تفصيل أحد الامرين مثاله قول مهيار

حتى اذا الليل قضى ماقضى * خفت مع الفجر خطاها الثقال
أبكى وتبكى غير أن الاسى * دموعه غير دموع الدلال

وقول البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(الجمع مع التقسيم) هو أن يذكر مجملا ثم يقسمه أو يذكر مفصلا ثم يجمله فى معنى كقول أبى الطيب فى الاول

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فقد أثبت أولا شقاء الروم وشقاؤهم بما يلحقهم من الشدائد وتلك الشدائد هى السبى والقتل والنهب والاحراق وقول حسان رضى الله تعالى عنه فى الثانى

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

(الجمع مع التفريق والتقسيم) هو أن يجمع متعددا فى معنى ثم يفرق بينهما بالصفة ثم يضيف لكل ما أراد أن يثبت له ويخصه به وشاهد ذلك قوله تعالى يوم يأتى لا تكلم

نفس الاباذنة جمع الانفس فى السكوت حتى يصدر الاذن بالكلام ثم فرقهم شقيا وسعيدا ثم نص ما أعد لكل ولابن شرف القيروانى

لملتمسى الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب الرحمى وللخائف الامن

(التوشيع)

هو كقوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل وقوله منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ولتاج الدين بن ابى الحسين الكندى البغدادى

دع المنجم يكبو فى ضلالته * ان ادعى علم ما يجرى به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلا الا نسان يشركه فيه ولا الملك
أعد للرزق من اشراكه شركا * فبئست العدتان الشرك والشرك

(التكميل)

هو أن يأتى المتكلم بالمعنى تاما ثم يعقبه بمعنى يزيده كمالا كقول سعد بن كعب الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين الرجال مهيب

وقول البحترى

هل العيش الا أن تساعفنا النوى * بوصل سعاد او يساعدنا الدهر
على انها ما عندها لمواصل * وصال ولا عنها لمصطبر صبر

(الاحتراس) هو أن يأتى المتكلم بزيادة على الكلام لدفع فساد فى معناه ولو احتمالا كقوله تعالى وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاليد تكون بيضاء بعلة البهق وقوله لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فنسبة الفعل توهم القصد ومن ناله الاذى يعترض على من قصده دون من لم يشعر به وهو فى القرآن كثير ومن شواهد الاحتراس قول الفرزدق من هجائه لجرير

لعن الاله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

فقوله لا يغدرون معناه متى أخذ عليهم عهد عجزوا عن نقضه ولو نابتهم بسببه النوائب والقرينة على ذلك ما سبق من اللعن لكن يحتمل انه استثنى لهم صفة من صفات الكرم فاحترس بقوله ولا يفون وقوله لجار من الايغال وقال طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

وقد فات هذا الاحتراس المتنبي حيث يقول

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * حيث اتجهت وديمة مدرار

وقد استعار بعض كتاب المغرب هذا الكلام فى رسالة توديعية يخاطب فيها سلطانه وانتقد على المتنبي حيث يقول

سر حل حيث تحله النوار * وأراك فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لا ديمة مدرار

تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الاله بأن تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هذا ما تمناه الولى لا ما تمناه الجعفى فانه قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنعقد معها عزيمة واذا سفحت على ذى سفر فالحراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان أبلغ فى الاضطرار

(الايغال) هو أن يأتى المتكلم بعد تمام الكلام بلفظ يزيد فى معناه كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فقوله وما كانوا مهتدين ايغال لتمام الكلام قبله وزيادته فيه وقوله يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومن كلام الناس كقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم فى رأسه نار

فقولها فى رأسه نار ورد بعد تمام المعنى ليزيد فيه وقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

قال الاصمعى عيون الظباء والبقر اذا كانت حية لم يظهر فيها البياض فاذا ماتت ظهر والشعر فى ذكر يوم صيد فهو يقول فى كثرة الصيد حتى ان عيون الوحش صارت منتثرة حول رحالهم فى صورة الجزع وهو خرز فيه بياض وسواد يجلب من اليمن وقوله لم يثقب زيادة لتحقيق التشبيه كقول زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

(شجاعة الفصاحة)

قال منبته أبو الفتح عثمان بن جنى هو حذف شئ من لوازم الكلام ثقة بفهم السامع ومثل له بأمثلة يرجع فيها ضمير الغائب على ما يلزم علمه من الكلام دون ذكره

كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب بعد قوله اذ عرض عليه بالعشى وكقول لبيد

حتى اذا ألقت يدا فى كافر * واجن عورات الثغور ظلامها

(الفرائد) هذا النوع عبارة عن كلمات رائعة ظاهرة الفصاحة يكون لها تميز بين قرائنها فتشبه الجوهرة الفريدة فى العقد المتماثل ومثلوا له بقوله تعالى الآن حصحص الحق وقوله يعلم خائنة الاعين وقوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ومن الشعر قول أبى كبير الهذلى

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

فقوله غبر بضم الغين من الفرائد لا يقوم مقامها عقب حيضة وكل فى هذا البيت داخلة على المعدود بعدها أى هو مبرأ من كل ما يوجب ضعفا ونقصا فى الخلق والمغيل اسم فاعل من أغيل يقال أغيلت المرأة ولدها دون اعلال وأغالته بالاعلال فهى مغيل ومغيل اذا أرضعته وهى حامل جعله صفة للداء مبالغة فى شناعته كأن المرأة اذا أرضعت ولدها وهى حامل لم تكن هى المرضعة وانما المرضع داء والمراد بفساد المرضعة أن لا تكون من ذوات اللبن الجيد فان النساء وبقية الاناث من الحيوانات متفاوتة الالبان تفاوتا عظيما فهو فساد أصلى وفساد المغيل عارض فلا يغنى أحدهما عن الآخر وهذا البيت شاهد للعرب بكمال النباهة وجودة الالتفات واعتبار التجارب فان المرأة بعد الحيض لا تكون قد صفت من الخبث وبرئت من الضعف وتمت سورتها القبول البذر فهى كالارض الندية التى لم تبلغ الصلاحية لقبول الحب وحسن الفعل فهو يخرج ضعيفا وقوة الغذاء باللبن لها ما بعدها وكانت العرب قد عرفت بعض القبائل بجودة اللبن فكانوا يرضعون فيهم أولادهم وفى معنى حديث مالى لا أكون أفصح العرب وأنا من قريش واسترضعت فى بنى سعد فأنت تراه نفى التعجب من قوة الفصاحة باثبات ما يوجبها وهو سببان أحدهما حسن الرضاعة لاستتباعه قوة البنية وجودة استعداد الاعضاء لتقيم اعمالها والسبب الآخر كونه من قريش الذين هم أهل المجالس التى كانت العرب تتحاكم اليها فى موسم الحج وتلك مقامات أنواع الكلام ومواضع امكان الاختيار كما سبقت الاشارة اليه فى الكلام على اللغة وأما الغيلة فذلك حكمها بمقتضى التجربة وعليه قال صلى الله عليه وسلم هممت أن أنهى عن الغيلة الا انى رأيت فارس والروم يفعلون ذلك فلا يضرهم فمعناه

انه

انه هم بتحريم ذلك ولكن لدفع الحرج فيه ترك الى التجربة فمن وجد فيه ضررا كان منهيا عنه بعموم النهى عن الاذى

(الاشتقاق) قال مثبته أبو هلال العسكرى هو أن تشتق من الاسم العلم معنى فى غرض مدح أوذم ومن أمثلته قول ابن دريد فى هجاء نفطويه النحوى

لوأوحى النحو الى نفطويه * ماكان هذا النحو يغدى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صراخا عليه

وللصاحب ابن عباد وقد استأذن حاجبه للطرسوسى مداعبة الطرف فى لحيته والسوس فى حنطته ودخل محمد العباسى الملقب ابا العبر وكان مشهورا بالهزل وله نوادر ظريفة على رجل يسمى كلثوم فسأل محمدا عن اسمه فقال له كل بصل فقال مامعنى هذا الاسم فقال معناه معنى كلثوم وكتب ابن سكرة الى صديق له يلقب الملحى

ياصديقا أفادنيه زمان * فيه ضن بالاصدقاء وشح
بين شخصى وبين شخصك بعد * غيرأن الخيال بالوصل سمح
انما باعد التآلف منا * اننى سكر وانك ملح

فكتب يجيبه

هل يقول الاخوان يوما لخل * شاب منه محض المودة قدح
بيننا سكر فلا تفسدنه * أوغدا بيننا وبينك ملح

وفى هذا الجواب تفضيل الملح لارفع المنافرة بين النوعين ولابن الرومى

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى فى المعالى ويصعد

(السلب والايجاب) هو اثبات شئ ونفيه من جهتين كقوله

خلقوا وماخلقوا لمكرمة * فكأنهم خلقوا وماخلقوا
رزقوا ومارزقوا سماح يد * فكأنهم رزقوا ومارزقوا

وقول آخر

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

ولا يلزم التصريح بالجزئين فيعد منه قول الخنساء

ومابلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذى نلت اطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة * وان اطنبوا الا الذى فيك أفضل

فانه على تقدير بلغ الناس متناولا من المجد وما بلغوا ما بلغت و بلغ الشعراء مدح الاجواد وما بلغوا مدحك

(المشاكلة) هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته مجازا كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد يكون المشاكل ملحوظا غيره وجود في الكلام فتسمى المشاكلة تقديرية كقول بعض الشعراء وقد نظر الى امير يغرس فسيلا

ان الولاية لا تدوم لواحد * ان كنت تنكره فأين الاول

فاغرس من الفعل الجميل غرائسا * فاذا عزلت فانها لا تعزل

كانه قال أنت تغرس نخلا فاغرس فعلا

(ما لا يستحيل بالانعكاس) هو عبارة عن لفظ يقرأ من آخره لاوله كما يقرأ من أوله لآخره كقوله تعالى كل في فلك ربك فكبر ومن كلام الناس كن كما أمكنك ومن النوادر أن العماد الكاتب كان يساير القاضي الفاضل فقال العماد سر فلا كبا بك الفرس فأجابه القاضي بديهة بقوله دام علا العماد وللقاضي الارجاني.

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وشرط حسنه أن يكون سلسا ليس فيه تكلف

(التقسيم) هو على نوعين احدهما أن يذكر قسمة ذات جزئين أو أكثر و يضيف لكل ما يليق به والثاني أن يستوفي جميع الاقسام الممكنة فمن الاول قول المتلمس

فما يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثي له أحد

وقول ربيعة الرقي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الأزد للاموال غير مسالم

فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

ومن الثاني قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ويحكى أن الحسن البصري كان يقول لا تقبل توبة

قاتل

قال المؤمن محمدا فدس اليه عمرو بن عبيد رجلا يقول له لا يخلو ان يكون مؤمنا أو كافرا أو منافقا أو فاسقا فان كان مؤمنا فان الله سبحانه وتعالى يقول يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وان كان كافرا فانه تعالى يقول قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان كان منافقا فانه تعالى يقول ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وان كان فاسقا فانه تعالى يقول أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا فقال الحسن للرجل من أين لك هذا قال شئ اختلج فى صدرى فقال محال اصدقنى فقال عمرو بن عبيد فقال الحسن عمرو وما عمرو اذا قام بأمر قعد به واذا قعد بأمر قام به وحكى انه قدم وفد من العراق على هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من بنى أسد فقال يا أمير المؤمنين اصابتنا سنون ثلاث اما الاولى فاذابت الشحم وأما الثانية فمحضت اللحم وأما الثالثة فهاضت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لله فبثوها فى عباد الله وان كانت لهم فلا تمنعوهم اياها وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال هشام ماترك الاعرابى فى واحدة عذرا ثم قال له قد قلت فى حاجة العامة فقل فى حاجة نفسك فقال مالى حاجة فى خاصة دون عامة ولابى تمام فى مجوسى احرق

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الكفار

ولعمرو بن الاهتم

اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل اوهارب اوأسير

(الاشارة) هو عبارة عن ايجاز فى العبارة مع كثرة المعنى كانه يشير اليه اشارة ولم تتناوله العبارة كقوله تعالى فى صفة الجنة وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقوله اخرج منها ماءها ومرعاها وقوله فاصدع بما تؤمر ولامرئ القيس

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل فى مقيل نحسه متغيب

فهذه عبارات وجيزة اريد بها أشياء كثيرة

(الترتيب) قال مستخرجه شرف الدين التيفاشي هو ذكر اوصاف الموصوف واحد مرتبة على الترتيب الطبيعى كقول مسلم بن الوليد

هيفاء فى فرعها الليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

(المشاركة) ويقال الاشتراك وهو أن يأتى بلفظ مشترك بين معنيين ليوهم السامع أنه

أراد أحدهما الكونه جعل الكلام بحيث يتبادر منه وهو يريد الآخر فيعقب الكلام بما يحقق مراده كقول كثير عزة

وأنت التي حببت كل قصيرة * الي ولم تعلم بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

البحاتر جمع بحتر بضم فسكون القصير المجتمع الخلق

(التوليد) هو على نوعين أحدهما لفظي والآخر معنوي فاللفظي أن يستحسن الشاعر أو الناثر لفظا من كلام غيره في معنى فيستلبه ويضعه في معنى آخر فان كان استعماله اياه أجود وكان الموضع الذي وضعه فيه به أليق انتظم في المقبول المستحسن والا عد من المردود أو المسترذل كقول أبي تمام

لها منظر قيد النواظر لم يزل * يروح ويغدو في خفارته الحب

كلمة القيد مستلبة من قول إمرئ القيس في صفة الفرس

وقد اغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

الاوابد جمع آبدة وهي الوحش ومعناه ان هذا الفرس شديد السرعة بحيث متى طلب عليه صيد أدركه ومنعه من الحركة فهو بمنزلة القيد له فأنت ترى انه استعمل لفظ القيد مع الحيوان الذي هو موضعه وبلغ به غرضه وأبو تمام استلبه واستعمله مع النواظر فكان في غير موضعه والمعنوي هو أن يجد الشاعر أو الناثر معنى لغيره فيأخذه ليزيد فيه ويحسن العبارة عنه فيعد بديعا لما فيه من التذبه والنقد الذي يحصل بمثله التعليم والدلالة على الادب كقول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

توليدا من قول عبد الله بن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قوّاد

فالنميمة هي نقل الكلام عن الغائب وليس فعل الشمس والاغراء هو تحريض حاضر على حاضر وهو فعل بياض الصبح واستعمال الشفاعة التي تقتضي محبة الاعانة مع شرف اللفظ أحسن من استعمال القيادة وكقول أبي الطيب أيضا

همام اذا ما فارق الغمد سيفه * وعاينته لم تدر أيهما النصل

توليدا من قول أبي تمام

يمدون بالبيض القواطع أيديا * فهنّ سواء والسيوف القواطع

فانظر

فانظر تفاوت ما بين البيتين وكقول الاخطل

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

توليدا من قول النابغة

وعيرتني بنو ذبيان خشيته * وهل على بأن أخشاه من عار

وكقول بعضهم

فلا تغل في شيء من الامر واقتصد * كلا طرفي كل الامور ذميم

توليدا من قول آخر

عليك بالقصد فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتي بعده الخلق

توليدا من قول القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وهو عقد لقوله صلى الله عليه وسلم من تأنى أصاب أو كاد ومن استعجل أخطأ أو كاد

(الابداع) بالباء الموحدة هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة مشتملا على عدة ضروب من البديع ولم يوجد في هذا النوع من الكلام مثل قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فانها اشتملت على ثلاثة وعشرين نوعا من البديع وهي سبع عشرة لفظة الاول المناسبة التامة بين ابلعي واقلعي الثاني الاستعارة فيهما الثالث الطباق بين الارض والسماء الرابع المجاز في قوله يا سماء فان الحقيقة يا مطر السماء الخامس الاشارة في وغيض الماء فانه عبر به عن معاني كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء فيغيض الحاصل على وجه الارض من الماء السادس الارداف في قوله واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى السابع التمثيل في قوله وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع الثامن التعليل فان غيض الماء علة الاستواء التاسع صحة التقسيم فانه استوعب أقسام الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض الماء الذي على ظهرها العاشر الاحتراس في قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم أن الهلاك لعمومه ربما شمل غير مستحق الحادي عشر المساواة لان لفظ الآية لا يزيد على معناها الثاني عشر حسن

الفسق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب الثالث عشر ائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها الرابع عشر الايجاز فانه تعالى أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقص من الانباء مالو شرح لجفت الاقلام الخامس عشر التسهيم لان أول الآية يدل على آخرها السادس عشر التهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة وعقادة التركيب السابع عشر حسن البيان لان السامع لا يتوقف فى فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ منه الثامن عشر الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودى التاسع عشر الكناية فانه لم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة ولا بمن قال وقيل بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعى ويا سماء اقلعى فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تتأتى الا من ذى قدرة قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم الى أن يكون غيره جلت عظمته قائل يا أرض ويا سماء ولا أن يكون غائض ما غاض ولا قاضى مثل ذلك الامر الهائل غيره العشرون التعريض فانه تعالى عرض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلما وان الطوفان وتلك الصور الهائلة ما كانت الا لظلمهم الحادى والعشرون التمكين لان الفاصلة مستقرة فى محلها مطمئنة فى مكانها غير قلقة ولا مستدعاة الثانى والعشرون الانسجام لان الآية بجملتها منسجمة كالماء الجارى فى السلاسة الثالث والعشرون الابداع الذى هو شاهد هذا النوع وفى هذه الآية الكريمة تفريعات أخر مثلا ان الاستعارة منها فى موضعين وأمثال ذلك مما يستنبط بقوة النظر والاستقراء بمعرفة الناقد البصير وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف وفى العجائب للكرمانى اجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها فى فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها فى تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال انتهى من لفظ ابن معصوم رحمة الله عليه

(النوادر) وكان قدامة يسميه الاغراب بالغين المعجمة وهو أن يقصد المتكلم الى معنى قد ابتذلته الشهرة وكثرة الاستعمال فيبرزه فى صورة يخيلها فتكسوه غرابة وكأنه لم يكن مستعملا كقول أبى الطيب المتنبى فى التشبيه بالشمس

لم تلق هذا الوجه شمس نهاره * الا بوجه ليس فيه حياء

وكقول القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى فى التشبيه بالقمر .

ترأى ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صفحة البدر

ولابى الفتح البستى فيه اغراب آخر

أرأيت ما قد قال لى بدر الدجى * لما رأى طرفى يديم سهودا

حتام ترمقنى بعينى ساهر * أقصر فلست حبيبك المفقودا

ومن المعانى المشهورة دعوى ان الطير تتبع الجيش لاعتيادها الوقوع على قتلاه لكثرة وقائعه ونصرته فيها قال النابغة

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب

وتبعه مسلم بن الوليد بقوله

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

واكثر الشعراء فى ذلك بعبارات قريب بعضها من بعض حتى قال المتنبى فأغرب

يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على هاماتهم تقع

(التطريز) هو على معنيين احدهما أن يؤتى بأمور متقابلة على حد قول أبى تمام

أعوام وصل كاد ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت * بؤسا فخلنا أنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

والآخر أن يبتدأ بمتعدد ثم يخبر عنه بصفة واحدة متكررة على حد قول ابن الرومى

أموركم بنى خاقان عندى * عجاب فى عجاب فى عجاب

قرون فى رؤس فى وجوه * صلاب فى صلاب فى صلاب

وقول ابن انكك البصرى

أقول لصاحبى والراح روح * لجسم الكأس فى كف النديم

وقد حبس الدجى عنا بواك * تسل نفوسها فوق الجسوم

شموعك والكؤس مع الندامى * نجوم فى نجوم فى نجوم

(التنكيت) هو أن يخص المتكلم شيئا بالذكر لا يستحق الاختصاص لذاته بل هو وغيره سواء لكونه دل على أمر انفرد به ولذلك يطلب عند سماعه فيقال لم خص هذا

بالذكر كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى وهو رب كل شئ فيقال لم اختص الشعرى بالذكر والأمر الذى أوجب لها ذلك هو أن أمة من العرب كانت تعبدها وامامهم فى ذلك رجل كان يقال له ابن أبى كبشة قيل وهو المراد فى قول أهل مكة حين كانوا يستسخرون أمر ابن أبى كبشة تشبيها للنبى صلى الله عليه وسلم به فى مفارقة عبادة الاصنام وقيل نسبوه الى بعض أجداده لأمه ومن شواهد التنكيت قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس

خصت الوقتين لكونهما وقت اطعام الطعام وتلقى المساكين والضيفان ولابى تمام من التنكيت قوله

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب

من قصيدة لها خبر يعرف منه نكتة اختصاص التين والعنب بالذكر حتى اعترض عليه من لم يعرف الخبر وذلك انه بلغ المعتصم وهو فى مجلس شرابه ان فى بلد يقال لها عمورية بتشديد الميم من بلاد الروم أسيرة هاشمية تصرخ وامعتصماه فقال المعتصم لبيك لبيك وأمر بالختم على الكأس وحلف أن لا يشربه الا بعد فتح البلد وانقاذ الاسيرة فقال المنجمون ان هذا الوقت غير صالح للغزو فلم يحفل بكلامهم وخرج وكان المنجمون يقولون أيضا اذا لم تفتح البلد قبل أوان نضج التين والعنب لم تفتح أبدا فقدر الله سبحانه وتعالى انه وصل الى البلد وفتحها واستنقذ الاسيرة فقام أبو تمام وأنشده قصيدة البيت وأولها

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وهى من جيد شعر أبى تمام

(حسن الاتباع) هو عبارة عن أن يقصد الشاعر الى معنى سبقه به غيره فيأخذه ليخرجه فى صورة أحسن من الصورة التى كان عليها حتى يستحقه وكأنه لم يسبق به ولذلك يقال من سرق واسترق فقد استحق كقول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فأخذه تلميذه سلم الخاسر فاختصر وبالغ حيث يقول

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وقال ابن المعتز

وتحت زنانير شددن عقودها * زنانير أعكان معاقدها السرر

فأخذه التهامي في قوله

لولاه لم يقض في أعدائه قلم * ومخلب الليث لولا الليث كالظفر
ما صر إلا وصلت بيض أنصله * في الهام أو أطت الارماح في الثغر
وغادرت في العدى طعنا يحف به * ضرب كما حفت الاعكان بالسرر

وقال جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

وتبعه أبو نواس بقوله

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقال البحتري

أخجلتني بندا يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

فتبعه أبو العلاء بقوله

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ومن يقرأ الاشعار يجد شيئا كثيرا من ذلك

(التفريع) هو نوعان أحدهما أن يحكم لمتعلق أمر بحكم على وجه يشعر بتفريع الاول على الثاني كقول العربي

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفي من الكلب

قيل ان الكلب تعتريه حالة كالجنون فاذا عض انسانا في هذه الحالة جن ويقال كلب كلبا من باب فرح فدواءه أن يشرب من دم شريف وأنكر ذلك بعض الادباء وانه المراد في البيت وقال ان معنى البيت مدحهم بالشرف والسودد وانهم اذا أصيبوا في أخذ الثار كانوا شفاء من الغم والحقد وحرارة القلب على القتلى حتى يقال هو ثار منيم اذ كانت العرب لا تعتد في أخذ الثار بقتل الاوضاع والثاني من نوعي التفريع هو نفي زيادة شيء موصوف بصفات على شيء آخر كقول كثير

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

(التدبيج) هو عبارة عن ذكر عدة ألوان كقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الشعر كقول حسين بن مطير

مخصرة الاوساط زانت عقودها * بأكثر مما زينتها عقودها
بصفر تراقيها وحمر أكفها * وسود نواصيها وبيض خدودها

وقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومن النثر كقول الحريري فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثي لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ولآخر في ذكر وقعة فأوردنا الحديد الاخضر في دم الوريد الاحمر من عدو الله الازرق من بني الاصفر

(التفسير ويقال التبيين) هو عبارة عن ان يأتي المتكلم في أول كلامه بما فيه ابهام ولا يستقل الفهم بمعرفة المقصود منه فيعقبه بما يكشفه ويبين الغرض منه كقول بعضهم

صالوا وجادوا وضاؤوا واحتبوا فهم * أسد ومزن وأقمار وأجبال

لو وقف على قوله واحتبوا لم يكن الغرض من الكلام مفهوما وهو مدحهم بتمام الشجاعة والسخاء وسماحة الوجوه ورجاحة الاحلام وكقول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

فلو وقف على قوله دجون لم يكن مقصوده مفهوما فبينه بانها تشبه النجوم ثم فسر بما للنجوم من الخصائص على سبيل التقسيم وقول محمد بن وهب

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
يحكي أفاعيله في كل نائبة * الغيث والليث والصمصامة الذكر

(سياقة الاعداد ويقال التعديد) هو عبارة عن ذكر مفردات على نسق فان اقترنت بحسن آخر كازدواج أو مقابلة كان أتم كقوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الشعر كقول أبي الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وكقول محمد بن هانئ

للناس اجماع على تفضيله * حتى استوى اللؤماء والكرماء
والالكن والفصحاء والبعداء والـ * ـقرباء والخصماء والشهداء
فى الناس يسرى جوده وجنوده * وعديده والحزم والآراء
نزلت ملائكة السماء بنصره * وأطاعه الاصباح والامساء
والفلك والفلك المدار وسعده * والغزو فى الدأماء والدأماء
والدهر والايام فى تصريفها * والناس والخضراء والغبراء

(حسن النسق) هو على نوعين أحدهما سرد أوصاف لموصوف كقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الآية وما أشبهها من الآيات والثانى عطف عدد من الالفاظ المتلائمة معناها كقوله تعالى قيل يا أرض ابلعى ماءك الآية ومن الشعر قول ابن هانئ الاندلسى

قد حالت الاوهام فيك ودقت الالباب عنك وجلت الآلاء
فعنت لك الامصار وانقادت لك الاقدار واستحيت لك الانواء

(حسن التعليل) هو عبارة عن تعليل صفة شئ بعلة ادعائية فيها غرابة وهو على اربعة أنواع لان الصفة اما ثابتة أو غير ثابتة يدعى ثبوتها والثابتة اما ان لا يظهر لها علة فى العادة واما ان يظهر وغير الثابتة اما أن تكون ممكنة الثبوت أو غير ممكنة فالاول كقول أبى الطيب

لم تحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء

فارسال السحاب المطر ثابت لا يظهر له علة فى العادة وادعى تعليله باجتماعها من حسد ممدوحه وغيظها من القصور عنه حتى عرقت وانصب عرقها وهو الرحضاء وكقول أبى هلال العسكرى

زعم البنفسج انه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة من البنفسج الى خلفه ثابت لا تظهر له علة وادعى ان علته الافتراء والثانى كقول أبى الطيب

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

فالقتل ثابت وعلته عداوة المقتول وازالة ضرره فادعى له علة غير ذلك وهى اتقاؤه وتحاشيه من اخلاف ما رجته الذئاب عند رؤيته خروجه بالجيش من حصول ما اعتادته

من الشبع على اثر قوله من غزواته وكقول ابن المعتز فيمن اصابه الرمد

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء ماقتلت * والدم فى النصل شاهد عجب

وكقول بعضهم

أتتنى تؤنبنى فى البكا * فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفى قولها حشمة * أتبكى بعين ترانى بها
فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

والثالث كقول مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

فحسن اساءة الواشى غير ثابت فأثبته وعلله والرابع كقول الخطيب القزوينى ترجمة لشعر فارسى

لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

(التعطف) هو أن يأتى بلفظ فى صدر البيت ثم يأتى فى العجز به أو شئ من مشتقاته كقول أبى الطيب

فساق الى العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

ومما أنشد الاصمعى للرشيد وقد سأله التذكير

فلا تعجل على أحد بظلم * فان الظلم مرتعه وخيم
ولا تفحش وان ملئت غيظا * على أحد فان الفحش لوم
ولا تقطع أخالك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر * فان الصبر فى الدنيا سليم

(الاستتباع) وسماه بعض التعليق وبعض المضاعفة وبعض التوجيه وهو عبارة عن ان يتضمن الكلام فى أوله نوعا من المدح أو غيره وفى آخره نوعا آخر منه كقول أبى الطيب

نهبت من الاعمار مالم حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

فأول الكلام يتضمن مدحه بنهاية الشجاعة وعلو الهمة وآخره يتضمن مدحه بان ذلك ليس عدوانا وظلما اغناه ولاصلاح الارض وازالة الفساد وتحصيل الفرح العام حتى ان أهل الدنيا يهنئون بتخليده وكقول ابن هانئ فى الذم

ان

ان لفظاته لو كه لشبيه * بك فى منظر الجفاء الجليف

(التمكين) هو جعل قافية البيت أو قرينة السجع فى مكانها الذى يقال عند سماعها انه لها وهو السبب الاكبر فى حسن الكلام ومتانته فليس أشد على مهرة الشعراء من سماع القوافى القلقة والطريق التى يسلكها الشاعر أو الناثر لاجل التمكين هى ان يستحضر أولا الالفاظ التى يريد أن يجعلها نهايات ثم يأخذ فى احضار المعانى اللائقة بمعناها واختيار العبارات المناسبة لها فمتى تهيأ له ذلك تم له التمكين وأشبه كلامه بعضه بعضا وكان آخره مفهوما من أوله كقول على بن الرقاع العاملى من قصيدته التى أولها

* عرف الديار توهما فاعتادها * فى صفة غزالة

تزجى أغن كان إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وأكثر أشعار من اشتهرت أشعارهم بالجودة على ذلك

(تأكيد المدح بما يشبه الذم) ويقال المدح فى معرض الذم هو عبارة عن ذكر صفة مدح ثم الاستثناء منها صفة مدح أخرى بحيث يوهم انه يريد الاستدراك باثبات صفة ذم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ومن الشعر قول النابغة الذبيانى

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقول النابغة الجعدى

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

فتى كملت أخلاقه غير انه * جواد فلا يبقى من المال باقيا

(الايضاح) هو ان يأتى بمبهم مفردا أو جملة ثم يوضحه ويبينه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومن الشعر كقول اوس

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

وقول أبى الطيب

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

وقاك أذى الاعداء تسرى اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية نسبة الى مانى وهو امام مذهب الزنادقة الذين يقولون بالهين هما النور وهو اله الخير والظلمة وهو اله الشر

(التوهيم) هو ان يأتى المتكلم بكلمة عقب لفظ يوهم غيرها لفظا أو اعرابا أو معنى كقوله تعالى قال عذابى أصيب به من أشاء فلفظ أشاء جىء بها بعد عذابى أصيب به فالكلام يوهم انها أساء من الاساءة وكقولهم ان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون الكلام يوهم ثم لا ينصروا بالجزم عطفا والغرض ابتداء الاخبار وكقوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان المراد بالنجم الزرع وبعض أمثلة التوهيم تشبه التورية غير ان أحد المعنيين فى التوهيم يكون فاسدا لا يصح ان يراد كقول الصفى الحلى

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

(الالغاز) عدوا هذا النوع من البديع وجعله فنا مستقلا أليق لانه عبارة عن مؤلفات يسلك فيها طرق فى العبارات حتى يعرفهم المراد منها وقد خص بالتأليف لبيان تلك الطرق ثم لاهل النباهة بعد قوة على اختراع طرق فى الالغاز غير ما ذكر ومنه ما تستعمله العامة من الحوازير ومن أمثلته قول يحيى بن أكثم فى العين

وباسطة بلا نصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع ان يباشرها الحرير

وقول آخر فى الضرس

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فذ وقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

ولآخر فى قصب السكر

وذى هيف كالغصن قدا اذا بدا * يفوق القنا حسنا بغير سنان
وأعجب ما فيه يرى الناس أكله * مباحا قبيل العصر فى رمضان

(الارداف) هو بعض أنواع الكناية المبينة فى علم البيان

(الاتساع) هو أن يأتى المتكلم أثناء كلامه بما يحتمل أن يفسر بكثير من المعانى لصلاحه لكل منها ومثلوا له بقوله تعالى والشفع والوتر فقد أمكن تفسيرها بثلاثة وعشرين معنى جعلت أقوالا للعلماء الاول قال أبو مسلم الزوج والفرد وهو تذكير بالحساب لعظم نفعه وما يضبط به من المقادير وهو قول الحسن البصرى الثانى قال ابن زيد والجبائى

والجبائي جميع الخلق لكونها زوجا أو فردا الثالث الشفع الخلق لكونه أزواجا كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والانس والجن والكفر والايمان والوتر الله وهو مروي من حديث ابي سعيد الخدري الرابع صفات الخلق لكونها قدرة وعجزا وحياة وموتا وعلما وجهلا الى غير ذلك والوتر صفات الله الخامس الصلاة وهو مروي من حديث عمران بن حصين السادس الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة أي شفع الليالي العشر ووترها السابع يوم التروية ويوم عرفة وهو مروي عن جعفر الصادق وأبيه محمد الباقر الثامن شفع العشر الاخيرة من رمضان ووترها التاسع الليالي والايام ويوم القيامة العاشر الشفع والوتر لليالي العشر التي أتم الله بها ميقات موسى الحادي عشر الصفا والمروة والكعبة الثاني عشر يوما منى أو ثلاثتها فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الثالث عشر آدم وحواء والله تعالى الرابع عشر آدم وحواء وآدم قبل حواء الخامس عشر صلاة المغرب ركعتان وركعة السادس عشر درجات الجنة ثمان ودركات النار سبعة السابع عشر هما الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم الآية الثامن عشر مسجدا مكة والمدينة والاقصى التاسع عشر قران الحج والتمتع والافراد العشرون الفرائض والسنن الحادي والعشرون الاعمال والنية الثاني والعشرون العبادة المتكررة من صوم وصلاة وغيرهما وغير المتكررة كالحج الثالث والعشرون الروح والجسد والروح وحده هذا ومن الشعر كقول الحماسي

بيض مفارقنا تغلي مراجلنا * نأسوا بأموالنا آثار أيدينا

فالاتساع في قوله بيض مفارقنا فقيل أراد بذلك الطهارة والعفاف كقولهم أبيض العرض والشيم والحسب وقيل أراد أنهم كهول ومشايخ قد حنكتهم التجارب وليسوا بالاغمار وقيل أراد أنهم ليسوا بعبيد لان فرق الانسان اذا كان أبيض كان جميع جسده أبيض وقيل أراد انحسار الشعر عن مقدم رؤسهم لمداومتهم لبس البيض والمغافر وقيل معناه نحن أصحاب حروب فقد شابت مفارقنا من كثرة الشدائد وقيل معناه نحن كرام نكثر استعمال الطيب فابيضت مفارقنا لذلك ويقال من أكثر استعمال الطيب أسرع الشيب اليه وقيل معناه نحن مكشوفو الرؤس لا عيب فينا فعبر عن النقاء بالبياض والعرب تقول في مدح الرجل أبيض وقيل معناه نحن كرام فشابت مفارقنا دون القفا لان شيب الكرام يبدو في المفارق كما قيل

فشيب لئام الناس فى نقرة القفا * وشيب كرام الناس يعلو المفارقا

وقيل المفارق هنا الطرق يقول قد ابيضت مفارق الطرق التى تؤدى الى رحالنا لكثرة ما يأتينا من العفاة فهى بيض لائحة لم تعف لكثرة سالكيها وهذا الوجه أولى لما شاكله ما بعده وهو قوله تغلى مراجلنا والمراجل القدور الكبار من نحاس ذكر ذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب فى شرح كتاب الحماسة وقال الصنعانى فى كتاب الجملة والذيل والصلة قد قيل فى البيت المذكور ما ثمانا قول وقد أفرد لتفسيره كتاب وأقرب الاقوال انما هو المتبادر من لفظ المفارق انه كناية عن الشرف والسودد فمعنى الكلام نحن قوم اشراف نعمر مجالسنا للمؤانسة والمحادثة والمنادمة وهذه الخدم مترددة حولنا فى أعمالهم لا نباشر عملا ولا نتردد فى مهنة فنحن نظاف ليس على مفارقنا غبار كما هو شأن من يباشر أعمال الخدمة والمتكفل بافادة ذلك قوله تغلى مراجلنا

(جمع المؤتلف والمختلف)

هو ان يسوى بين شخصين فى المدح وهو يريد أن يفضل أحدهما فيسلك لذلك سبيلا لا ينقص فيه الآخر كقول الخنساء تفضل أخاها على أبيها وقد تسابقا

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر

فهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر

حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر

وعلا هتاف الناس أيهما * قال المصيب هناك لا أدرى

برزت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى

أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

(الايداع) ويقال التضمين هو ان يضمن الشاعر كلامه مصراعا أو أكثر من كلام غيره وربما خص اسم التضمين المصراع وهو لاغراض منها دلالة الشاعر على انه يعارض قصيدة المضمن كقول النواجى فى آخر قصيدته التى يتابع فيها قصيدة كعب رضى الله تعالى عنه

ان لم أفز بقبول فى متابعتى * بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

ولبعض أعيان العصر سامى القدر والشعر من قصيدة يعارض بها لامية الطغرائى المشهورة بلامية العجم

انى امرؤ حلب الايام أشطرها * وشد خل الهوى فى أوثق العقل

مازلته

مازلت أبغي الصبا حتى اذا كملت * اصالة الرأي صانتني عن الخطل
فان يكن مرّ لي عصر أطعت به * حكم التصابي فاني اليوم ذو جدل

ومنها الانتقاد على صاحب المضمن بأنه وضع الكلام في غير موضعه ومنها الزيادة في المضمن ومنها نقله الى غير معناه كما يتبين ذلك في أمثلته وأكثر المتأخرين تضمينا وقد أتى فيه بالعجيب الغريب مجير الدين بن تميم ولذلك يقول

أطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيري
أضمن كل معنى مستجاد * فشعري نصفه من شعر غيري

فمن تضمينه قوله

لو كنت في الحمام والحسنا على * أعطافه ولجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقوله تضمينا لهذا الشطر أيضا

لو كنت شاهدنا وقد جليت لنا * في كأسها ولضوئها لألاء
لرأيت أحسن ما يرى من أكؤس * سال النضار بها وقام الماء

وهذا الشطر وهو * سال النضار بها وقام الماء * من قول المتنبي في مدح علي ابن هارون وكان أقام في بلد أيام الشتاء وقد جمد الماء بالثلج وبيت الشطر

وكذا الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

فأنت ترى أن قوله وقام الماء لا يدخل في جزاء الشرط وتصحيحه أن تجعل الجملة حالا ويكون المعنى أن الممدوح يكثر انفاقه واحسانه حال اشتداد البرد ويكون كقول العربي

نحن في المشتاة ندعو الجفلا * لا ترى الآداب منا ينتقر

وكذلك يخصون الشتاء بظهور جود الجواد لكونه الوقت الذي يعوق المساكين عن الضرب في البلاد في ابتغاء فضل الله تعالى وقد أجاد مجير الدين في تضمينه وله في تضمين قول المتنبي أيضا في بيت يتخلص منه الى المدح

لو استطعت ركبت الناس كلهم * الى سعيد بن عبد الله بعرانا
ومعشر عذلوا لما ركبت على * أحوى محاسنه قبحن فعلهم
دع بعذلوا ما استطاعوا إنني رجل * لو استطعت ركبت الناس كلهم

ومن ظريف التضمين ما حكاه القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان الحيص

بيص الشاعر خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو وكان متقلداً سيفاً فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك أبا القاسم هبة الله بن المفضل المعروف بابن القطان الشاعر فنظم أبياتاً وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناله فقدم اليه ليقتاد منه فألقى السيف وأنشدهما والبيتان المذكوران يوجدان فى الباب الاول من كتاب الحماسة ثم ان ابن المفضل المذكور جعل الابيات فى ورقة وعلقها فى عنق كلبة لها جراء ورتب معها من يطردها وأولادها الى باب الوزير المذكور كالمستغيثة فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة ألبسته الخزى فى البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترأ * على جرى ضعيف البطش والجلد

وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن ببواء عنه فى القود

فأنشدت جعدة من بعدما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الصمد

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد

كلاهما خاف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وللشيخ عز الدين الموصلى

نادمت قوما الاخلاق لهم ولا * ميل الى طرب ولا سمار

يستيقظون الى نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

البيت الثانى لبعض العرب يهجو قوما بالجبن وانهم لا يقدرون على أخذ ثاراتهم وهى الاوتار ونقلها الشيخ الى أوتار العيدان

(الالتزام ويقال لزوم ما لا يلزم) هو أن يلتزم الشاعر أو الناثر قبل حرف الانتهاء حرفا أو اكثر كقول الطغرائى فى مطلع اللامية

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وكقول عمر بن أبى ربيعة

بالله قولى له فى غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث فى اليمن

ان كنت حاولت دنيا أو رضيت بها * فما فدت بترك الحج من ثمن

ولعمرو بن أحمد الباهلى

ومن يطلب المعروف من غير أهله * يجد مطلب المعروف غير يسير

اذا أنت لم تجعل لعرضك جنة * من الذم سار الذم كل مسير

وللحسن بن على الواسطى

برانى الهوى برى المدى وأذابنى * صدودك حتى صرت أنحل من أمس

فلست أرى حتى أراك وانما * يبين هباء الذر فى أفق الشمس *

ولابى العلاء ديوان شعر كله من هذا النوع وانما يحسن الالتزام اذا حسن معه الكلام والا استحق صاحبه ماقال الابيوردى

شعر المراغى وحوشيتم * كمقله أسلمه اسقم

يلزم ماليس له لازما * لكنه يترك مايلزم

(المزاوجة) هو أن يرتب فعلا واحدا مختلف المتعلق على شرط وجزائه كقول البحترى

اذا مانهى الناهى فلج بى الهوى * أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

وقوله اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

(التجريد) هو أن يجرد من شئ آخر للمبالغة فى المعنى كقول القائل

ترى منهم الاسد الغضاب اذا سطوا * وتنظر منهم فى اللقاء بدورا

ويكون بمن كهذا وبالباء مثل انك لتلقى بفلان البحر وبفى كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد وبغير ذلك كقول الاعشى

ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

كأنه قال هو يشرب بكف كريم ومن التجريد مافى خطاب المرء نفسه كقول أبى الطيب

لاخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

(ايهام التوكيد) هو تكرير لفظ لتأسيس المعانى فيوهم التوكيد كقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال ومن الشعر كقول على بن أحمد المروزى

لقد حل بى عجب عاجب * تقاصر وصفى عن كنهه

رأيت الهلال على وجهه من * رأيت الهلال على وجهه

وكقول آخر

قالت لترب معها منكرة * لوقفتى هذا الذى نراه من

قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(الترصيع) هو أن يجعل الشاعر أو الناثر جميع ألفاظ الشطرين أو الفقرتين على نهاية واحدة سوى قافية الضرب في الشعر كقول الحريري في المقامة الاولى يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه ولرشيد الدين العمري المشهور بالوطواط قصائد من هذا النوع منها قوله

جناب ضياء الدين للبر مرتع * وباب ضياء الدين للحرم مربع
وسيرته الزهراء للحق معلم * وسدته الشماء للخلق مجمع
فجد منه للراشد أرسم * وشيد منه للمحامد أربع
وعلياه فيها للخواطر مسرح * ولقياه فيها للنواظر مرتع
فنهل من يروى ثناءك مفعم * ومنزل من ينوى جفاءك بلقع
وصولك للأشرار مقتو ومتلف * وطولك للأخيار مرو ومشبع

وجاء منه في الكتاب العزيز مثل قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله ان الينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم

(الحذف) هو التزام اخلاء الكلام من حرف أو أكثر أو من نوع كالمعجم فيكون الكلام من الحروف المهملة أو المهمل فيكون من المعجمة وللحريري في المقامات من هذين النوعين كلام طويل ومن المروى انه اجتمع ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم علي كرم الله وجهه فتذاكروا اكثر الحروف دورانا فقيل الالف فخطبهم رضي الله عنهم خطبة اخلاها منها وتسمى المونقة وهي هذه

حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته وتمت كلمته ونفذت مشيئته وبلغت حجته وعدلت قضيته حمدته حمد مقر بربوبيته متخضع لعبوديته متنصل من خطيئته معترف بتوحيده مؤمل من ربه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ونستعينه ونسترشده ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له بضمير مخلص موقن وفردته تفريد مؤمن متقن ووحدته توحيد عبد مذعن ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه جل عن مشير ووزير وتنزه عن مثل ونظير علم فستر وبطن فخبر وملك فقهر وعصي فغفر وحكم فعدل لم يزل ولن يزول وليس كمثله شئ وهو قبل كل شئ وبعد كل شئ رب متفرد بعزته متمكن بقوته متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر ولم يحط به نظر قوي منيع بصير سميع علي حكيم رؤف رحيم عجز في وصفه من يصفه وضل في نعته من يعرفه قرب فبعد وبعد فقرب

فقرب يجيب دعوة من يدعوه ويرزق عبده ويجبره ذو لطف خفي وبطش
قوي ورحمة موسعة وعقوبة موجعة رحمته جنة عريضة مونقة وعقوبته
جحيم مؤصدة موبقة وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله
بعثه في خير عصر وفي حين فترة وكفر رحمة لعبيده ومنة لمن يريده ختم به
نبوته وقوى به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكدح رؤف بكل مؤمن ولي سخي
زكي رضي عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم من رب غفور رحيم قريب
مجيب وصيتكم معشر من حضرني بتقوى ربكم وذكرتكم بسنة نبيكم فعليكم برهبة
تسكن قلوبكم وخشية تذري دموعكم وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم ويبليكم يوم
يفوز فيه من ثقل وزن حسنته وخف وزن سيئته ولتكن مسئلتكم مسئلة ذل
وخضوع وشكر وخشوع بتوبة ونزوع وندم ورجوع وليغتنم كل مغتنم منكم
صحته قبل سقمه وشبيبته قبل هرمه وسعته قبل عدمه وخلوته قبل شغله
وحضره قبل سفره قبل هو يكبر ويهرم ويمرض ويسقم ويمله طبيبه
ويعرض عنه حبيبه ويتغير عقله وينقطع عمره ثم قيل هو موعوك وجسمه
منهوك ثم جد في نزع شديد وحضره كل قريب وبعيد فشخص ببصره وطمح
بنظره ورشح جبينه وجذبت نفسه ونكبت عرسه وحفر رمسه ويتم ولده
وتفرق عنه عدده وقسم جمعه وذهب بصره وسمعه وغمض ومدد ووجه وجرد
وغسل ونشف وسجي وبسط له وهيئ ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه وقمص وعمم
ولف وسلم وحمل فوق سرير وصلي عليه بتكبير ونقل من دور مزخرفه وقصور
مشيده وحجر منجده فجعل في ضريح ملحود وضيق مرصوص بلبن منضود
مسقف بجلمود وهيل حفره وحثي عليه مدره فتحقق حذره ونسي خبره
ورجع عنه وليه ونسيبه وتبدل به قريبه وحبيبه وصفيه ونديمه فهو حشو قبر
ورهين قفر يسعى في جسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره ويسحق بدنه
ولحمه وينشف دمه ويرم عظمه حتى يوم حشره فينشر من قبره حتى ينفخ في
صور ويدعى لحشر ونشور فثم بعثرت قبور وحصلت سريرة صدور وجيء بكل
نبي وصديق وشهيد منطيق وتوحد لفصل عند رب قدير بعبيده خبير بصير
فكم من زفرة تفنيه وحسرة تنضيه في موقف مهول عظيم ومشهد جليل جسيم
بين يدي ملك كريم بكل صغيرة وكبيرة عليم حينئذ يلجمه عرقه ويحفزه قلقه

عبرته غير مرحومة وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة وتزول صحيفته وتبين
جريرته ونطق كل عضو منه بسوء عمله فشهدت عينه بنظره ويده ببطشه ورجله
بخطوه وجلده بمسه وفرجه بلمسه ويهدده منكر ونكير وكشف عنه بصير
فسلسل جيده وغلت يده وسيق يسحب وحده فورد جهنم بكرب شديد وظل
يعذب في جحيم وسقي شربة من حميم تشوي وجهه وتسلخ جلده يضربه زبانيته بمقمع
من حديد يعود جلده بعد نضجه بجلد جديد يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم
ويستصرخ فيلبث حقبة يندم نعوذ برب قدير من شر كل مصير ونسأله عفو من
رضي عنه ومغفرة من قبل منه فهو ولي مسألتي ومنجح طلبتي فمن زحزح عن
تعذيب ربه سكن في جنته بقربه وخلد في قصور مشيده وملك من حور عين
وحفده وطيف عليه بكؤوس وسكن حظيرة فردوس وتقلب في نعيم وسقي من
تسنيم وشرب من عين سلسبيل ممزوجة بزنجبيل مختومة بمسك وعبير مستديم
للحبور مستشعر للسرور يشرب من خمور في روض مشرق مغدق ليس يصدع
من شربه وليس ينزف هذه مثوبة من خشي ربه. وحذر نفسه وتلك عقوبة
من جحد منشيه وسولت له نفسه معصية مبديه ذلك قول فصل وحكم عدل خير
قصص قص ووعظ نص تنزيل من حكيم حميد نزل به روح قدس مبين على
قلب نبي مهتد مكين صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة عذت برب رحيم من
شر كل رجيم فليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم فأستغفر رب كل مربوب لي
ولكم انتهت وفي سلوك هذه الطرق دلالة على سعة الحفظ وقوة الاستحضار واكثر
الكلام الطويل جاء من المهمل لسعته ولبعضهم تفسير على القرآن كله مهمل

(التسميط) هو نوعان الاول ان يجعل البيت على ثلاثة اجزاء من روي واحد
ثم القافية كقول جنوب الهزلية

وحرب وردت وثغر سددت * وعلج شددت عليه الحبالا
ومال حويت وخيل حميت * وضيف قريت يخاف الوكالا

والثاني هو التخميس المعروف كقول امرئ القيس

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله * اقمت بعضب ذي شقاشق ميله
فجعت به في ملتقى الكر خيله * تركت عتاق الطير تحجل حوله
كأن على سرباله نضح جريال

وعلى

وعلى هذا المثال حذا من بعد الى الابيات أو القصيدة فيضيف لها ثلاثة أشطار ليكون شعرا مخمسا ومن حيث انه يلزم فيه ان يكون الكلام متلائما جديد المعانى منسجما مع الاصل كان الاحسان فيه قليلا يحكى ان بعض الشعراء المجيدين خطر على باله وهو فى الروضة الشريفة بين القبر والمنبر أن يخمس همزية ابى سعيد الابوصيرى فأسعفه الله بالفاتحة وهى قوله

يا بن عمران شرفت سيناء * وبادريس والمسيح السماء
ولك العرش موطن ووطاء * كيف ترقى رقيك الانبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

ثم أخذته سنة فرأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له حسبك فانه ما كان يقدر ان يستمر على هذا النمط

(التجزئة) هى ان يجزأ البيت اجزاء عروضية مسجوعة بروين مختلفين أحدهما يوافق القافية والآخر يخالفها كقول القائل

هندية لحظاتها خطية * خطراتها دارية نفحاتها

(سلامة الاختراع) هو عبارة عن ان يبدع الشاعر امرا شعريا لم يسبقه أحد اليه وموضع ذلك الطبقات المتأخرة عن الطبقات الاول التى آخرها طبقة بشار وتحصيل سلامة الاختراع لا يصل الى اليقين الا بعد معرفة كل ما قيل وان كان المعنى مخترعا بحسب عدم اطلاع صاحبه عليه فلا يعد سارقا ولكن لا يقال انه مخترع بل توارد خاطره وخاطر سابقه فى المذكور شاهدا لسلامة الاختراع من كلام المتأخرين قول ابن الرومى من اهل القرن الثالث

توددت حتى لم أدع متوددا * وأفنيت أقلامى عتابا مرددا
كأنى أستدنى بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وكقول أبى الطيب من أهل القرن الرابع فى مدح كافور الاخشيدى وكان أسود

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقوله صدمتهم بخميس أنت غرته * وسمهريته فى وجهه غمم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والارواح تنهزم

اوّل البيتين من قول الحماسى

فلو أنا شهدنا كم نصرنا * بذى لجب أزب من العوالى

الازب من الابل كثير شعر الوجه وعبره كانه المتنبي بالغيم ولابي العلاء

والنجم تستصغر الابصار طلعته * والذنب للعين لا للنجم في الصغر

ولابن القيسراني

هو الذي سلب العشاق نومهم * أما ترى عينه ملأى من الوسن

المخترع له حسن التعليل والافالوسن في الاعين من المعاني الاول من لطيفه في كلام العرب

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه احور من جآذر جاسم

وسنان اقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

(ائتلاف اللفظ مع المعنى) هو أن تكون الالفاظ موافقة للمعاني فتختار الالفاظ الجزلة والعبارات الشديدة لمعاني الفخر والحماس والكلمات الرقيقة والعبارات اللينة للغزل والنسيب وصفة الكأس والساقي والنديم والمغني ومجالس الشراب كما قيل لكل مقام مقال ويرشدك لذلك ما حكي ان خلادا قال لبشار بن برد انك لتجيء بالشيء المتفاوت قال وماذاك قلت بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

الى أن تقول

ربابة ربة البيت * تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات * وديك حسن الصوت

فقال لكل شيء وجه وموضع فالقول الاول جد وهذا قلته في جاريتي ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض وتحفظها فهذا من قولي عندها احسن من * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ومن كتاب الوساطة القاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني قوله في وصية الشاعر والكاتب فهو يعلمك مواقع أنواع الكلام لا آمرك باجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا ولا ان تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك ان تقسم الالفاظ على مراتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستبطائك ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه فتتلطف اذا تغزلت وتفخم اذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف

ووصف

ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجالس والندام ولكل واحد من الامرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه وليس مارسمته لك فى هذا الباب مقصورا على الشعر دون الكتابة ولا يختص بالنظم دون النثر بل يجب ان تكون كتابتك فى الفتح أو الوعيد خلاف كتابتك فى الشوق أو التهنئة وخطابك اذا حذرت وزجرت أفخم منه اذا وعدت ومنيت انتهى واذا تأملت الكتاب العزيز فى تصرف العبارات للوعد والوعيد وخطاب الحضرى والاعراب والتذكير ونص الاحكام الى غير ذلك من الانواع مرّ بك ذلك فى المحجة البيضاء وان ائتلاف اللفظ مع المعنى هو أعظم أركان البلاغة ومن جهته ينحط شأن البليغ أو يرتفع

(ائتلاف اللفظ مع الوزن) هو أن يكون الكلام المنظوم بمنزلة الكلام المنثور بحيث لا يضطر الوزن الشاعر الى تقديم وتأخير يبعد فهم المعنى ولا الى مخالفة لغة أو اعراب كما وقع للفرزدق فى قوله

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

وكقول المتنبى

أنى يكون أبا البرايا آدم * وأبوك والثقلان أنت محمد

أى وأبوك محمد والثقلان انت وكقول الكميت

لا كعبد المليك أو كوليد * أو سليمان بعد أو كهشام

أى عبد الملك فالخلاصة أن لا يحيل الشاعر على ضرورة الشعر فاذا لزم عليه ذلك لضعفه وجب أن يترك حتى يقوى ليستريح ويريح

(ائتلاف الوزن مع المعنى) أراد البديعيون أن يسلم الشعر من القلب الكائن فى مثل قول القطامى * كما طينت بالفدن السياعا * وقد سبق القول فى القلب فى فن المعانى

(ائتلاف اللفظ مع اللفظ) هو عبارة عن كون الفاظ العبارة من واد واحد فى الغرابة والتأهل كقوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا لما أتى بالتاء التى هى أغرب حروف القسم أتى معها بتفتؤ الذى هو أغرب أفعال الاستمرار وجاورهما بقوله حرضا وكذلك وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين مكان والله لا كسرن أصنامكم بعد ان تذهبوا

(الموازنة) هو ان يجعل أجزاء البيت العروضية كقول امرئ القيس

أفاد فساد وقاد فزاد * وساد فجاد وعاد فأفضل

وقول ابن هانئ

وعوابس وقوانس وفوارس * وكوانس وأوانس وقنابل

(السجع) هو تقفية الكلام المنثور على نهايات متماثلة قيل ولا يقال في القرآن سجع بل يقال فواصل وأحسن السجع ما كانت ألفاظه على ترتيب معانيه بحيث لا تظهر لأجله تكلف بتقديم وتأخير وما قصرت فيه القرائن أحسن مما طالت فيه وكذلك تساوي القرائن أحسن من طول الثانية عن الأولى وعكسه غير حسن قيل للصاحب ابن عباد ما أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا ولنورد لك بعض فصول من كلام رؤساء الصناعة لتكون لك مثالا تتمكن به من معرفة محاسن السجع كتب الصاحب بن عباد الى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني وقد بلغه انه وافد عليه وأرسل بهامع غلام بريدي ليعود اليه بتعيين يوم وصوله

تحدثت الركاب بسير أروى * الى بلد حططت به خيامي

فكدت أطير من شوق اليها * بقادمة كقادمة الحمام

أحق ما قيل من أمر القادم أم ظن كأماني الحالم لا والله بل هو درك العيان وانه ونيل المنى سيان فرحبا براحلتك ورحلك وأهلا بك وبجميع أهلك ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ووجدنا ريح يوسف من رياك فحث المطي تزول علتي بلقياك وتبرد غلتي بسقياك ونص على يوم الوصول نجعله عيدا مشرفا ونتخذه موسما ومعرفا ورد الغلام أسرع من رجع الكلام فقد أمرته أن يطير على جناح نسر وان يترك الصبا في عقال أسر والسلام وكتب مهنئا بمولودة أهلا وسهلا بعقيلة النساء وكريمة الآباء وأم الأبناء وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار والمبشرة بأخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون

فلو كان النساء كمثل هذي * لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

فادرع اغتباطا وتهن نشاطا فالدنيا مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان وملاك الحيوان والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا مريئا ما أوليت وأوزعك الله شكر ما أعطيت * ولبديع الزمان الهمذاني

الهمذانى انظر الى الكلام وقائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن ألا ترى الى العرب تقول قاتله الله ولا يريدون الذم ولا أباله فى الامر إذا تم (وله) فائدة الاعتقاد أفضل فى الانتقاد والسماح بكسر الرماح والصفح بفل الصفاح والجود انصر من الجنود وكشف الضر عن الحر أجمل من كشف الصدف عن الدر ومن عرف بالمنح قصد بالمدح وخير الاخوان من ليس بخوان وده ميمون وغيبه مأمون فهو يحالفك ولا يخالفك ويرافقك ولا يفارقك ويوافقك ولا ينافقك اذا حضرت حنا عليك واذا غبت حن اليك (وله) ما أشبه وعد الشيخ فى الخلاف الا بشجر الخلاف خضر فى العين ولا ثمرة فى البين فما ينفع الوعد ولا انجاز من بعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر ان لم يتله مطر (وله) كتابى من هراة ولا هراة فقد طحنتها المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وبلعتها كما يبلع الريق وقد خدمت الشيخ سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان ومالحته والممالحة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه والثناء من الله بمكان وأخلصت له والاخلاص محمود بكل لسان يشير بقوله والثناء من الله بمكان الى ما ورد لا شئ أحب اليه المدح من الله (وله) للشيخ من الصدور ما ليس للفؤاد ومن القلوب ما ليس للاولاد كأنما اشتق من جميع الاكباد وولد بجميع البلاد سواء الحاضر فيه والباد فكل أفعاله غرة فى ناصية الايام وزهرة فى جنح الظلام الا أن ما أحبه لفلان روض أنا وسميه وغصن أنا قريه وعود جره لسانى وجود شكره ضمانى (وله) المرء جزوع لكنه حمول والانسان فى النوائب شموس ثم ذلول ولقد عشت بعد الشيخ لكن عيشة الحوت فى البر وبقيت لكن بقاء الثلج فى الحر (وله) كتابى الى البحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك وان لم أكن لقيته فقد لقينى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فان الاحب الى ان أقصدها قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال أحب الى من الرجوع عنها بمال قدمت التعريف وأنا أنتظر الجواب الشريف (وله) حضرته التى هى كعبة المحتاج ان لم تكن كعبة الحاج ومشعر الكرام ان لم تكن المشعر الحرام ومنى الضيف ان لم تكن منى الخيف وقبلة الصلات ان لم تكن قبلة الصلاة (وله)

حرس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها التفعل ما الاتفعل التوراة والانجيل وتغنى مالا يغنى التنزيل والتأويل وتصلح مالا يصلح جبريل وميكائيل (وله) هذا الذى تاه علينا بحسن قده وزها علينا بورد خده قد نسخ الدهر آية حسنه وأقام مائل غصنه وانتصر لنا منه بشعرات كسفت هلاله واكسفت باله ومسخت جماله وغيرت حاله

فن لك بالعين التى كنت مرة * اليك بها فى سالف الدهر انظر

أيام كنت تتلفت والاكباد تتفتت فاقصر الآن عما صار وكان فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة أعرضت وأيام انقضت ويوم صار أمس وحسرة بقيت فى النفس فحتام تدل والى مه وكم تحتمل وعلى مه *ولابى بكر محمد بن احمد اليوسفى الشوق الذى أقاسى والذى مر براسى يهد الجبال الرواسى من نواكب أوهت المناكب وعوارض شيبت العوارض ومحن عظام أثرت فى العظام وللايام دول متعاقبة وللصبر الجميل أحمد عاقبة

وللقاضى أبى أحمد منصور بن محمد الهروى وكتب الى صديق اهداه وردة وصلت الوردة الفردة لازال ذكره كرياها عرفا ودهره كفصلها ظرفا وحال أوليائه كأغصانها خضره ووجوه أعدائه كلونها صفرة فسرت القلب وسرت الكرب وأدت الارب وأهدت الطرب ودعت الى الرسم المألوف وأمرت بالمنكر المعروف وافتنا والليل قد حط رواقه وحل نطاقه والصبح قد بسط ارداءه ورفع لواءه والندى طل والنسيم مبتل والمزن منسجم وثغر الصبح مبتسم ونحن نبوح بما فى الصدور ونطير باجنحة السرور فوضعت الوردة على الرؤس وأديرت مع الكؤوس ونطقت الاوتار وصدحت الاطيار ولكل ذى فطنة فتنه ولكل ذى توبة أوبه وعند كل لفتة حيره ومع كل دورة سكره

وله يهنئ من عادت له الوزارة الشمس فى راد الضحى والبدر فى جنح الدجى والماء فى حر الصدى والغيث جاد على الثرى والمزن تضحك فى الربى والورد جمشه الندى والصبح تقدمه الصبا والعيش فى زمن الصبي والقرب صب على النوى والقلب رق مع الهوى والطرف غازله الكرى والصفو باعده القذى والحلى فى ثغر الدمى ومنازل لك بالحمى وعهود سعدى باللوى والدهر يسعف بالمنى والبرء فى عقب الضنى

الضنى والفقر يطويه الغنى والبشر يتبعه الندى والنشر من بعد البلا والودّ في أثر القلا والمحل يطرده الحيا والعتب يمحوه الرضا والكف تسمح باللهى ومذاكرات ذوي النهى والرأي يعضده الحجا والجد ساعد واعتلى والحظ أدرك مارجى بها وبما لها من الامثال سارت سوائر الامثال فيما يوافق النفوس والطباع ويؤنس الابصار والاسماع وأحسن من كل هذا التمثيل أيام الشيخ الجليل وقد أتاه اسم لم يزل معناه

فيا حسن الزمان وقد تحلى * بهذا الفخر والاقبال صدره

وكان الدهر يغدر بعد هذا * فخل وفاؤه وانحل غدره

تصدّر للوزارة مستحق * تساوى قدرها أبدا وقدره

فقل في النصل وافقه نصاب * وقل في الافق أشرق فيه بدره

والحمد لله الذي زان الشجر بالثمر وحلى البرج بالقمر وآنس العرين بالاسد واهدى الروح الى الجسد ولم أنس أدام الله علوه ولا نارسم التصدير وما يجب مراعاته على الصغير والكبير ولكن التهنئة المرسومة يتهاداها الاكفاء ويتعاطاها النظراء فأما الخدم مع الصدور والنجوم التاليات مع الاهلة والبدور فالعادة ثم ان تعذرت الارادة ولم تساعد السعادة فالدعاء موصولا منشورا والثناء منظوما منثورا وعلى هذه الجملة عملت والى هذا الجانب عدلت فأصدرت كلمة فتحها الودّ الصريح ونسجها الولاء الصحيح

فجاءت تؤدّي وجوه الربا * ض أضحكها العارض الهامع

وليس لها غير عين الرضا * لديك ذمام ولا شافع

وللفاضل عبد الرحيم في صفة القلم وقد أثمر هذا القلم أكرم الثمر وهو يابس وأبر جودا على أخضر المغارس وأتى أكله كل حين ووقت وطال وان كان القصير فقصر عنه كل نعت وعلى ذكر القلم قد عن لي ان أورد هنا رسالة القلم لخاتمة المحققين جلال الدين الدواني لما اشتملت عليه من المعاني الغريبة التي هي بمنزلة الرياض الخصيبة تريك نتائج الافكار وتجلو عليك عرائس الاسجاع في أرق شعار رحم الله من أنشأها وهدى بها من قرأها وهي

نون والقلم وما يسطرون ان هذه تذكرة لقوم يعقلون يا من فاق في البراعة سألتني عن وصف اليراعة فاستمع لما يتلى عليك ذلك من أنباء الغيب نوحيه

اليك أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا انه فتى من أصحاب الكهف والرقيم نشر له ربه من رحمته وهيأ له مرفقا ووقع له بخط مستقيم نبي بعث من سرة البطحاء وايد بفصاحة أبكمت مصاقع البلغاء كليم خص بالطور والكتاب المسطور والرق المنشور سفير بليغ نذير قد جاء بالبينات والزبر والكتاب المنير قد بلغ من ذروة الشرف منتهاه ومن سنام المعالى أعلاه ينمى فى شجرة النسب الى أوّل ما خلق الله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن ان نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين يقول اذا برز من بطن النون وشرع فى الزبور الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الف يقارن نونا وإلف يؤلف درا مكنونا اذا شددت به انّ وان لنت به اطمأنّ عالم من أهل الكتاب علا كعبه فى الاحبار مترع على سائر الكتب السماوية من الصحف والاسفار ذو القرنين يسير المغرب والمشرق فى أقصر ساعه استولى على الاقاليم كلها ومد فيها باعه فصيح جزل الكلام لكن لا ينفك كلامه عن الابهام واشراقى فى طريق التعلم والتعليم لكنه من المشائين بنعيم منتصب القامة بادى البشرة أسود الراس ناطق فصيح ماش على قدميه لكن ليس من الناس أرى قدمه أراق دمه ولسانه مهد دمه كف نفسه عن الراحة وزاحم بالركب أهل الفصاحة حتى صار يضرب به المثل بين الاماثل ويذعن لنظمه ونثره الافاضل ذو اللسانين وذو البيانين قد هدى النجدين واقتحم العقبتين وجمع بين العلم والعين مهندس ينقش الخطوط على السطوح للتعاليم منجم يصلح الزيجات والتقاويم ينقص بالاصابع ظل الاقدام ويرقم على الرخامات دقائق الليالى والايام لا يأبى السلاطين مارسمه ولا تتجاوز الاساطين عما رقمه أعجم يعرف اللغات كلها أدهم قد طوى المقامات جلها يقول حين يبرز فى نادى البيان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان صوفى قطع المنازل وبلغ الغايات ورجع القهقرى لتصحيح البدايات ان لم يقطع لسانه لم يفصح بيانه وان لم يشق رأسه لم ينطق لسانه عربى واسطى أصله هندى زنجى نسله طوطى أسود المنقار كأن منقاره من قار ذو ذؤابة يعلم من مسيره طول حلول الآجال ويفهم من ظهوره انتقال الدولة وتداول الاقبال وتحول الاحوال أحرز قصبات السبق فى مضمار البيان حتى صار بحيث تشير اليه المهرة فى ذلك الفن بالبنان كانه عصى موسى وقد

القيت

القيت فاذاهي حية تسعى أبو قلمون يتقلب في الاطوار ويتحول من شعار الى شعار طورا تراه ينظم القوافي والاشعار وتارة تلقاه ينثر لآلئ الحكم والاسرار ساعة تبصره انيس الاعلام ذوي البراعه وكرة تصادفه سمير أهل المجون والخلاعة سحار يأتي بالغرائب مكاري يري الناظرين العجائب كاتب شهيد وحاسب عتيد تجرع مرارة مذاق الكد حتى تضلع من فنون العلوم وتحمل الصبر على استنشاق دخان السراج حتى برع بين الفضلاء ذوي الفهوم لا يزال رطب اللسان في شكر باريه عذب البيان بذكر اياديه محدث تحدث عنه الآثار وتنقل عنه الاخبار في الاقطار بازي يتخطى أيدي الصناديد لا يطير من أيديهم ويصيد له اشارة مبهمه وعبارة مفهمه انقطع عن عترته لنيل طلبته حتى بلغ مبالغ الرجال ونال من الشرف ما نال فحق أن ينشد فيه قول من قال

ورث النجابة كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب

حكيم تنطوي اشاراته على تلويحات الى قانون الشفاء وتحتوي تعليقاته على تنبيهات المناهج النجاة عن درك الجهل والشقاء له مواقف يحقق فيها مقاصد الكلام وعوارف معارف يكشف بها عن وجوه الفرائد اللثام يقرض ذات الشمال وهو من أهل اليمين ويصدق في اكثر الاقوال ولكنه قد يمين لا تنتظم مصالح الانام الا بحسن مساعيه ولا تنضبط حوادث الايام الا بيمن مراعيه أجوف وهو مصدر المثال مهموز سالم من الاعتلال لفيف مفروق من اخوانه خفيف ناقص من أوزانه أصل واحد تصدر عنه الامثلة لمعان مقصودة لا تحصل إلا به نصل شاهد لا ينصاب غرض المطالب إلا بنصابه غوم يسعى في هتك الاستار غشوم تعود كشف الاسرار تقي لا يزال مولعا بافتضاض أبكار بنات الافكار خضر خاض الظلمات حتى ارتوى من ماء الحيات مستوف قد أحاط بأبواب حواصل الاقاليم جمعا وخرجا وزير قد نظم غوامض أمور الممالك هرجا ومرجا مشير ذوي النهى في النوائب ومؤانسهم ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم رشيق القد أسيل الخد أليف الكد طويل المد قد جاوزت شمائله حد العد ألف ممدود لا يمنع الصرف سالك مرتاض لكنه يعبد الباري على حرف تعمم بشعار آل العباس وأقام أمر النجدة والباس فقال يا أيها الناس

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

أجوف لا يحفظ السر في قلبه لا فرق في لغة العجم بين اسمه وقلبه له أسماء في لغة العرب تقاليبها كلها مستعملة وذلك من خصاله التي قلما يتفق فيها شريك له آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ والنسيان ينوب عن اللسان في البيان وعن السنان المحدد بالسنان اذا رق في البنان فهو مملك لكنه يستكتب فاذا أدى نجوم الكتابة خلى سبيله أين يذهب نسخ محقق توقيعاته على الرقاع ادراج الياقوت قد أقر بريحان قامته عيون ابن مقلة وياقوت شكله اسطواني وهو مخروط شاب مترعرع لكنه مخطوط يحبه الناس ويراودونه لكن اذا ظهر الشعر على عذاره طووا الكشح دونه مسافر يسفر عن أخبار المشارق والمغارب عارف محيط بجميع الاذواق والمشارب لسانه نضناض وبيانه فضفاض وحكمه ماض في السواد والبياض يقضي فيهما ما هو قاض جارية تجري في البحر باذن البارى فتأتى بدر رمعان كانها غرر الدرارى ولقد أحسن من قال فيه ملغزا ولبعض أوصافه الغريبة مبرزا *

وما غلام راكع ساجد * أخو نحول دمعه جار

ملازم الخمس لاوقاتها * معتكف في خدمة البارى

كانه وهو في يد السلطان ابن السلطان أبي المظفر يعقوب خان قصب السكر وقد نبت على ساحل عمان عم الورى نائله وآوى البائس ساحله كلا ان نوال البحر الى فيض كفه نزر ليس له قدر كيف لا وله مد لا يعقبه جزر

فلان أشبهه بالبحران له * مدا يعاقبه جزر بارجاء

أو هو والحالة هذه خط تخيل في نواظر الاوهام من قطرة نازلة من غمام وأى غمام يدر بدر نواله على عواطف الانام من الخواص والعوام وتغمر منحه الجسام رياض آمال الافاضل الاعلام بكل مقام أين جود الغمام من جوده العميم أم أين مدراره من مدرار كرمه الجسيم

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير وقت سخاء

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

اللهم خلد نفاذ أرقام أقلامه على صفحات الاقاليم ما دام القلم الاعلى ونفذ مراد أعوان دولته بامتداد زمان صولته ما دامت نقوش الانقاس في صحائف القراطيس تتلى وما آثر السلاطين الكبار على صفحات الاوراق تروى بحق من نسخ الكتب السالفة

السالفة ولم يركب بنانه قلم وهدى الحائرين الى أقوم لقم بعدما وقب غواسق الظلم انتهت

(السهولة) هذا النوع ربما تخيل متخيل الاستغناء عنه بالانسجام وبينهما بعد فالانسجام عبارة عن سلاسة اللفظ بحيث لا يتعثر اللسان عند النطق به سواء كان غريبا أو أهليا وكان معناه خفيا أو جليا واما السهولة فهى عبارة عن كون الالفاظ أهلية أو قريبة منها جلية المعانى سهلة المتناول على الخاصة والعامة تطمع المفحم فى أن يحاكيها وتقعد بالماهر وقد أخذه الطرب عن أن يعانى أن يضاهيها واذا كانت فى كلام فهو المعنى باسم السهل الممتنع فمن أمثلته قول عربى

اليس وعدتنى يا قلب انى * اذا ما تبت على ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

وللحكم بن عمرو الشارى

ويلى على من أطار النوم وامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس من أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى تهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو إساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

ومن بدائه أبى الفتح ابن الاستاذ ابن العميد وقد جرى فى مجلس أبيه انشاد أبيات استحسنوا وزنها وطرزها أولها

لئن كففت وإلا * شققت منك ثيابى

وأبو الفتح مصغ اليهم وهو فى حداثة سنه قوله

يا مولعا بعذابى * أما رحمت شبابى
تركت قلبى جريحا * نهب الاسى والتصابى
ان كنت تنكر مابى * من لوعتى واكتئابى
فارفع قليلا قليلا * عن العظام ثيابى

ولابى الفرج المعروف بالواواء الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضابى وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

ولمؤيد الدولة اسامة بن مرشد

شكا ألم الفراق الناس قبلى * وروّع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى ما سمعت ولا رأيت

وهذا النوع يتفق للشعراء اتفاقا ولا يكون شعر شاعر كله على هذا النمط خلا الصاحب بهاء الدين زهير المصرى فانه قد انقاد له هذا النوع انقيادا فى سائر شعره كانك عند استماعه فى محادثة انسان ظريف من لطفاء المصريين وهو وان كان ديوانه مشهورا فى الايدى لا أحب ان أخلى الكتاب من تحليته ببعض فرائده فمن نسيم شعره قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا
كان ما كان ومنه * بعد فى النفس بقايا

ومنه

ان أمرى لعجيب * مايرى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسأل عنه

ومنه

شوقى اليك شديد * كما علمت وأزيد
وكيف تنكر شيئا * به ضميرك يشهد

ومنه

أوحشتنى والله يامالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفاء منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومنه

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
* أترى تذكر عهدى * مثل ما أذكر عهدك
أترى تحفظ ودى * مثل ما أحفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا أو شئت عندك
أنا فى دارى وحدى * فتفضل أنت وحدك

ومنه

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
أماترى كيف أضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه

كأنى والمدام فى فمه * قد نفحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يابرق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه

وهل

وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علوه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

ومنه
كتبت اليك أشكو فى كتابى * أمورا من فراقك اشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصا لم أجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقى فصولا * لمولانا علو الرأى فيها

ومنه
ملكتمونى رخيصا * فانحط قدرى لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف أنتم * ولا السلام عليكم

ومنه
أنا أدرى بأننى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلعى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

ومنه
* اما تقرر أنا * فلم تأخرت عنا
وما الذى كان حتى * حللت ما قد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
* فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه
قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فانثنى يحمر منى خجلا * وثناه التيه عنى لا الى
كدت بين الناس ان ألثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه
قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحية
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميلنى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية فى الزاوية

ومنه
* من لى بقلب اشتريه من القلوب القاسية

واليك يامالك الملا * ح وقفت أشكو حاليه
انى لاطلب حاجة * ليست عليك بخافية
* أنعم على بقبلة * هبة والاعارية *
وأعيدها لك لاعدمـ * ـت بعينها وكما هيه
* واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضية

ومنه

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
* لو أمرتم بما عسى * ماتعديت أمركم
قصروا عمر ذا الجفا * طوّل الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * انالم أنس ذكركم *
* لو رأيتم محلكم * من فؤادى لسركم *
* لو وصلتم محبكم * ماالذى كان ضركم

ومنه

تعيش أنت وتبقى * أنا الذى مت عشقا
حاشاك يانور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * و بين هجرك فرقا
ياأنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وماعهدتك إلا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
ياألف مولاى مهلا * ياألف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

(الادماج) هو أن يكون آخذا فى معنى فيهتف منه بمعنى آخر من غير اشعار بالقصد اليه كقول أبى الطيب فى استطالة الليل

أقلب فيه اجفانى كأنى * أعدّ بها على الدهر الذنوبا

فقد ادمج فيه الشكوى من الدهر وكقول الصاحب ابن عباد من ادماج الفخر فى مدح ابن العميد بهذه القصيدة النفيسة

من لقلب يهيم فى كل وادى * وقتيل للحب من غير وادى
انما اذكر الغوانى والمقـ * ـصد سعدى مكثرا للسواد
واذا ما صدقت فهى مرامى * ومرادى وروضتى ومرادى
وندى ابن الحميدانى عميد * من هواها ألية الامجاد
لو درى الدهر انه من بنيه * لازدرى قدر سائر الاولاد
ورأى الناس كيف يهتز للجو * د لما عددوه فى الاطواد
أيها الآملون حطوا سريعا * برفيع العماد وارى الزناد
فهو ان جاد ذم حاتم طى * وهو ان قال قل قس اياد
واذا ما ارتائى فأين زياد * من دهاه واين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه * من علاه العزيزة الانداد
سيضحى فيه بمن لا يواليه * ويبقى بقية الاعياد
ومديحى ان لم يكن طال ابيا * تا فقد طال فى مجال الجياد
ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد فى كل ناد

ألم فى هذا البيت الاخير وفيه الشاهد بقول يزيد بن محمد المهلبى

ان اكن مهديا لك الشعر انى * لابن بيت تهدى له الاشعار

(حسن البيان) هو كون العبارة وافية بمقصودها دون استعانة بتأويل وارادة مجردة عن كل ما ليس له دخل فى خلاصة المقصود ويكفيك شاهدا لذلك قول عرابة الاوسى وقد قال له معاوية رضى الله عنه بم استحققت قول الشماخ فيك

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وبم سدت قومك قال والله ما انا باكرمهم حسبا ولا بأفضلهم نسبا ولكن اعرض عن جاهلهم واسمع لسائلهم فمن عمل مثل عملى فهو مثلى ومن زاد فهو أفضل منى ومن قصر فانى أفضل منه وقول بعض العرب من الشعر

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

(العقد والحل) الاوّل نظم المنثور والثانى نثر المنظوم فالاوّل كقوله

ان القلوب لاجناد مجندة * بالاذن من ربها تهوى وتأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

عقد قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ومنه تعرف انه لا يلزم الاتيان بجميع ألفاظ المعقود وكقول أبى الطيب

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذاعفة فلعلة لا يظلم

عقد فيه قول حكيم الظلم من طباع النفوس وانما يصدها عنه احدى علتين دينية وهى خوف المعاد أوسياسية وهى خوف القتل وكقول ابى تمام فى التعزية

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

عقد قول على رضى الله عنه للاشعث ان تصبر صبر الاحرار والا سلوت سلوّ البهائم والثانى كقول بعض المغاربة فلما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده حل فيه قول ابى الطيب

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

(التشطير) هو أن يسجع كلا من شطرى البيت بسجعتين تخالف الاوليان الثانيتين كقول أبى تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

(براعة المطلب) هو أحد المواضع الاربعة التى سلف انه ينبغى للمتكلم الاعتناء بها والاجتهاد فى تحسينها وذلك بأن يكون الطلب خاليا من الضراعة الا فى الطلب من الله جل وعلا ومن الالحاح واحسن ما استشهد به لهذا النوع قول أبى الطيب

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلتك موعدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

وقوله

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

ولا أرى مثل قوله

وفى النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتى كلام عندها وخطاب

وما هو أصرح من ذلك اولى أن لا يكون من براعة الطلب وان اوردوه من شواهده

حيث

حيث كان ينبغى أن يكون الطالب تلميحا واشارة لا تصريحا وعبارة فحسب الطالب ان يحزل الثناء على من يقصده ثم يصف نفسه بالصبر وأنفة الشكوى واحتمال الايام وأنه قد وصل الى مؤمل منها وحمى من حوادثها وأمثال ذلك من المعانى مختار اله العبارات (براعة الانتهاء ويقال حسن الختام) وهو عبارة عن كون آخر الكلام نظما كان اونثرا متميزا الحسن رائع الجودة مشعرا بالانتهاء يحسن السكوت عليه فانه آخر ما يصل الى السمع ويبلغ النفس ويتعلق به الحفظ كقول أبى الطيب

اذا بقيت سالما ابا على * فالملك لله العلى ثم لى

وتأمل فى ذلك خواتم السور الشريفة تجدها منه فى أرفع رتبة وأكمل صفة

(فنا العروض والقافية) العروض هو فن معرفة الموازين التى كانت شعراء العرب تزن بها أشعارها فان الشعر كما عرفت كلام موزون مقفى وتلك الموازين بشهادة الاستقراء ستة عشر وسماها ناقلوها بحورا لكل واحد اسم يخصه الاول الطويل واجزاؤه ثمانية فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن الثانى المديد واجزاؤه ستة فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن الثالث البسيط واجزاؤه ثمانية مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن الرابع الكامل وأجزاؤه ستة متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن الخامس الوافر وأجزاؤه ستة مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن السادس الرجز وأجزاؤه ستة مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن السابع الهزج وأجزاؤه مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن الثامن الرمل وأجزاؤه فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن التاسع السريع وأجزاؤه مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن العاشر المنسرح وأجزاؤه مستفعلن مفعولات دون تنوين مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن الحادى عشر الخفيف وأجزاؤه فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن. مستفع لن فاعلاتن الثانى عشر المضارع وأجزاؤه مفاعيل دون تنوين فاع لاتن مفاعيل فاع لاتن الثالث عشر المقتضب وأجزاؤه فاعلات دون تنوين مفتعلن فاعلات مفتعلن الرابع عشر المجتث وأجزاؤه مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن الخامس عشر المتقارب وأجزاؤه فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن السادس عشر

المتدارك وأجزاؤه فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن هذا والجزء الاخير من الشطر الاول يسمى عروضا ومن الثاني يسمى ضربا و يسمى الشطر مصراعا ولهذه الاجزاء تجزئة الى مجموعات من أحرف لكل مجموع اسم فالمجموع من متحرك وساكن يسمى سببا خفيفا ومن متحركين يسمى سببا ثقيلا ومن متحركين بعدهما ساكن يسمى وتدا مجموعا ومن متحركين بينهما ساكن يسمى وتدا مفروقا وهذه الاجزاء يدخلها تغييرات تنقسم الى نوعين نوع يسمى زحافا ونوع يسمى علة والزحاف مفرد ومزدوج فالمفرد منه ثمانية الخبن وهو حذف ثاني الجزء ساكنا والاضمار اسكانه متحركا والوقص حذفه متحركا والطي حذف رابعه ساكنا والقبض حذف خامسه ساكنا والعصب اسكانه والعقل حذفه متحركا والكف حذف سابعه ساكنا والمزدوج أربعة الطي مع الخبن خبل وهو مع الاضمار خزل والكف مع الخبن شكل وهو مع العصب نقص والعلل زيادة فزيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع ترفيل وحرف ساكن على ما آخره وتد مجموع تذييل وعلى ما آخره سبب خفيف تسبيغ ونقص فذهاب سبب خفيف حذف وهو مع العصب قطف وحذف ساكن الوتد المجموع واسكان ماقبله قطع وهو مع الحذف بتر وحذف ساكن السبب واسكان متحركه قصر وحذف وتد مجموع حذذ ومفروق صلم واسكان السابع المتحرك وقف وحذفه كسف والعلة اذا أريدت لزمت في جميع الابيات ومحلها العروض والضرب والزحاف لا يلزم ومحله ثواني الاسباب

(تفصيل القول في الاوزان) الطويل لم تستعمل العرب عروضه الامقبوضة فوجب اتباعهم اذا لم يكن تصريع فقد استعملوها تامة كقول امرئ القيس

الاعم صباحا أيها الطلل البالي * وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وقوله

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان * وربع عفت آياته منذ أزمان

واستعملوا ضربه على ثلاثة أوجه صحيحا ومقبوضا فيصير مفاعلن ومحذوفا فيصير فعولن فالاول كقوله

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

(وتقطيعه) اذال مر وتد وسبب الم يخ ز ن وتد وسببان على ه و تد وسبب حذف ثانيه فالجزؤ مقبوض لسانه وتد وسببان حذف ثاني أولهما فالجزؤ مقبوض وهو العروض وسبق لزوم قبضها فلي س على شي إن سواه بخزاني والثاني كقوله

اقيموا

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم * فانى الى قوم سواكم لأميل

والثالث كقوله

لعمرك ما حسن الوجوه بنافع * اذا كانت الاعراض غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(المديد) له ثلاث أعاريض وستة أضرب الاولى صحيحة وضربها مثلها وبيته

يالبكر أنشروا لى كليبا * يالبكر أين اين الفرار

الثانية محذوفة وأضربها ثلاثة الاول مقصور وبيته

لا يغرن امرأ عيشه * كل عيش صائر للزوال

الثانى مثلها وبيته

اعلموا أنى لكم حافظ * شاهدا ما كنت أو غائبا

الثالث أبتر وبيته

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

الثالث محذوفة مخبونة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

والثانى أبتر وبيته

رب نار بت أرمقها * تقضم الهندى والغارا

(البسيط) له ثلاث أعاريض وستة أضرب الاولى مخبونة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

ياحار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك

الثانى مقطوع وبيته

قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى * جرداء معروقة اللحيين سرحوب

الثانية مجزوءة صحيحة أى سالمة من تغير لا يكون فى الحشو وأضربها ثلاثة الاول مجزوء مذال وقولهم مجزوءة ومجزوء من تسمية الجزء باسم الكل فان المجزوء اسم للبيت الذى حذف منه عروضه وضربه وبيته

انا ذممنا على ماخيلت * سعد بن زيد وعمرو من تميم

الثانى مثلها وبيته

ماذا وقوفى على ربع عفى * مخلولق دارس مستعجم

الثالث مجزوه مقطوع وبيته

سيروا معا إلى أميعادكم * يوم الثلاثاء ببطن الوادى

الثالثة مجزوءة مقطوعة وضربها مثلها وبيته

ماهيج الشوق من اطلال * أضحت قفارا كوحى الواحى

ويسمى حينئذ مخلعا ومكبولا وقد أكثر المولدون من استعماله ملتزمين خبن عروضه وضربه لخفته اذن كقول بعضهم

ياغصنا فى الرياض مالا * عليه بدر السما تلالا

ياراحلا بعد ما سبانى * حسبك رب السما تعالى

(الوافر) له عروضان وثلاثة أضرب الاولى مقطوعة وضربها مثلها وبيته

لنا غنم نسوقها غزار * كأن قرون جلتها العصى

الثانية مجزوءة صحيحة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

لقد علمت ربيعة ان * ن حبلك واهن خلق

الثانى مجزوء معصوب وبيته

أعاتبها وآمرها * فتغضبنى وتعصينى

(الكامل) له ثلاث أعاريض وتسعة أضرب الاولى تامة وأضربها ثلاثة الاول مثلها وبيته

واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

الثانى مقطوع وبيته

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا

الثالث احذ مضمر وبيته

لمن الديار برامتين فعاقل * درست وغير آيها القطر

الثانية حذاء ولها ضربان الاول مثلها وبيته

دمن عفت ومحا معالمها * هطل أجش وبارح ترب

الثانى أحذ مضمر وبيته

ولأنت أشجع من اسامة اذ * دعيت نزال ولج فى الذعر

الثالثة مجزوءة صحيحة وأضربها أربعة الاول مجزوء مرفل وبيته

ولقد

ولقد سبقتهم والى * ى فلم نزعت وأنت آخر

الثانى مجزوء مذال وبيته

جدث يكون مقامه * أبدا بمختلف الرياح

الثالث مثلها وبيته

واذا افتقرت فلا تكن * متخشعا وتجمل

الرابع مقطوع وبيته

واذا هم ذكروا الاسا * ءة اكثروا الحسنات

(الهزج) له عروض وضربان الاول مثلها وبيته

عفى من آل ليلى السهـ ـب فالاملاح فالغمر

الثانى محذوف وبيته

وما ظهرى لباغى الضيـ ـم بالظهر الذلول

(الرجز) له أربع أعاريض وخمسة أضرب الاولى تامة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

دار لسلمى اذ سليمى جارة * قفرى ترى آياتها مثل الزبر

الثانى مقطوع وبيته

القلب منها مستريح سالم * والقلب منى جاهد مجهود

الثانية مجزوءة صحيحة وضربها مثلها وبيته

قد هاج قلبى منزل * من أم عمرو مقفر

الثالثة مشطورة وهى الضرب وبيته

* ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا *

والشطر هو جعل البيت ثلاثة أجزاء فيتحد العروض والضرب وعليه اكثر رجز العرب

الرابعة منهوكة وهى الضرب وبيته *(ياليتنى فيها جذع)*

(الرمل) له عروضان وستة أضرب الاولى محذوفة وأضربها ثلاثة الاول تام وبيته

مثل سحق البرد عفى بعدك الـ ـقطر مغناه وتأويب الشمال

الثانى مقصور وبيته

أبلغ النعمان عنى مألكا * انه قد طال حبسى وانتظار

الثالث مثلها وبيته

قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدى رأس هذا واشتهب

الثانية مجزوءة صحيحة وأضربها ثلاثة الاول مجزوء مسبغ وبيته

يا خليلي اربعا واسـ * ـتخبرا ربعا بعسفان

الثاني مثلها وبيته

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

الثالث مجزوء محذوف وبيته

ما لما قرت به العـ * ـينان من هذا ثمن

(السريع) له أربع أعاريض وستة أضرب الاولى مطوية مكسوفة وأضربها ثلاثة الاول مطوي موقوف وبيته

ازمان سلمى لا يرى مثلها الر * راؤون في شام ولا في عراق

الثاني مثلها وبيته

هاج الهوى رسم بذات الغضا * مخلولق مستعجم محول

الثالث أصلم وبيته

قالت ولم تقصد لقيل الخنا * مهلا لقد أبلغت أسماعي

الثانية مخبولة مكسوفة وضربها مثلها وبيته

النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم

الثالثة موقوفة مشطورة وضربها مثلها وبيته *(ينزعن في حافاته بالابوال)*

الرابعة مكسوفة مشطورة وضربها مثلها وبيته

* يا صاحبي رحلي أقلا عذلي *

(المنسرح) له ثلاث أعاريض وثلاثة أضرب الاولى صحيحة وضربها مطوي وبيته

ان ابن زيد لا زال مستعملا * للخير يفشي في مصره العرفا

بضم الراء الثانية موقوفة منهوكة وضربها مثلها وبيته *(صبرا بني عبد الدار)*

الثالثة مكسوفة منهوكة وضربها مثلها وبيته *(ويل أم سعد سعدا)*

(الخفيف) ومستفعلن فيه وفي المجتث مفروق الوتد له ثلاث أعاريض وخمسة أضرب الاولى صحيحة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

حل أهلي ما بين درنا فبادو * لي وحلت علوية بالسخال

الثاني محذوف وبيته

ايت

ليت شعرى هل ثم هل آتينهم * أم يحولن من دون ذاك الردى

الثانية محذوفة وضربها مثلها وبيته

ان قدرنا يوما على عامر * ننتصف منه أوندعه لكم

الثالثة مجزوءة صحيحة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

ليت شعرى ماذا ترى * أم عمرو فى أمرنا

الثانى مجزوء مخبون مقصور وبيته

كل خطب ان لم تكونوا غضبتم يسير

(المضارع) وفاع لاتن فيه مفروق الوتد وبعض العروضيين يوجب كف أوله وثالثه كما فى الشاهد له عروض وضرب وبيته

دعانى الى سعادى * دواعى هوى سعادى

(المقتضب) له عروض وضرب مطويان وبيته

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

(المجتث) له عروض وضرب وبيته

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

(المتقارب) له عروضان وستة أضرب الاولى صحيحة وأضربها أربعة الاول مثلها وبيته

فأمّا تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

الثانى مقصور وبيته

ويأوى الى نسوة بائسات * وشعث مراضيع مثل السعالى

الثالث محذوف وبيته

وأروى من الشعر شعرا عويصا * ينسى الرواة الذى قدرووا

(الرابع أبتر وبيته

خليلى عوجا على رسم دار * خلت من سليمى ومن ميه

الثانية مجزوءة محذوفة ولها ضربان الاول مثلها وبيته

امن دمنة اقفرت * لسلمى بذات الغضا

الثانى مجزوء أبتر وبيته

تعفف ولا تبتئس * فما يقض يأتيكا

(المتدارك) له عروضان وأربعة أضرب الاولى تامة وضربها مثلها وبيته

جاءنا عامر سالما صالحا * بعدما كان ما كان من عامر

الثانية مجزوءة صحيحة وأضربها ثلاثة الاول مجزوء مخبون مرفل وبيته

دار سعدى بشحر عمان * قد كساها البلى الملوان

الثانى مجزوء مذال وبيته

هذه دارهم أقفرت * أم زبور محتها الدهور

الثالث مثلها وبيته

قف على دارهم وابكين * بين أطلالها والدمن

والخبن فيه حسن وبيته

كرة طرحت بصوالجة * فتلقفها رجل رجل

والقطع فى حشوه جائز وبيته

مالى مال إلا درهم * أو برذونى ذاك الادهم

وقد اجتمعا وبيته

زمت ابل للبين ضحى * فى غور تهامة قد سلكوا

(القافية) هى من آخر البيت الى أول متحرك قبل ساكن بينهما فهى فى قوله *(بمنجرد قيد الاوابد هيكل)* كلمة هيكل ولكل حرف تشتمل عليه اسم فالحرف الذى تنسب اليه القصيدة كاللام فيقال لامية العرب ولامية العجم والهمزة فيقال همزية فلان يسمى رويا والحرف الذى يعقبه من مد او هاء كيف كانت يسمى وصلا والمد المتصل بهاء الوصل يسمى خروجا والمد قبل الروى يسمى ردفا والالف التى قبل الروى بحرف ان كانت من كلمته أو من غيرها وكان ضميرا أو بعض ضمير يسمى تأسيسا والحرف المتحرك بعد التأسيس يسمى دخيلا وكذا حركاتها فحركة الروى تسمى مجرى وحركة الوصل تسمى نفاذا وحركة ما قبل الردف تسمى حذوا وحركة الدخيل تسمى اشباعا وحركة ما قبل التأسيس رسا وحركة ما قبل الروى المقيد تسمى توجيها والقافية اما مطلقة وهى متحركة الروى واما مقيدة وهى ساكنته والمطلقة اما مجردة أو مردوفة أو مؤسسة موصولة باللين أو الهاء والمقيدة اما مجردة واما مردوفة واما مؤسسة فهذه تسعة أقسام يقال لها أنواع القافية ولفظ القافية ان توالى فيه أربع حركات بين ساكنيها يسمى متكاوسا وان توالى ثلاث يسمى متراكبا وان توالى اثنتان سمى متداركا وان فصل بينهما حركة

حركة سمى متواترا وان اجتمع الساكنان سمى مترادفا وعيوب القافية الايطاء وهو اعادة كلمة الروى لفظا ومعنى والتضمين وهو تعليق البيت بما بعده تعليق تتميم معنى والاقواء وهو اختلاف المجرى بكسر وضم والاصراف وهو اختلاف المجرى بفتح وغيره والاكفاء وهو اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج والاجازة وهو اختلافه بحروف متباعدة والسناد وهو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات وهو خمسة سناد الردف وهو ردف أحد البيتين دون الآخر وسناد التأسيس وهو تأسيس أحدهما دون الآخر وسناد الاشباع وهو اختلاف حركة الدخيل وسناد الحذو وهو اختلاف حركة ما قبل الردف وسناد التوجيه وهو اختلاف حركة ما قبل الروى المقيد هذا واذا كان يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق فعرفتك هذا القدر من هذين الفنين لتلاحظ وزن ما يرد عليك من الاشعار وتزن ما تريد أن تقول كافية وصرف الزمن للتوسع فى غير زوائد هذين الفنين أحسن وهذه قصائد أثبتها فى هذا الموضع تعوّد فيها ذهنك سرعة ملاحظة زنة الاشعار فان من اللازم للمتأدب انه اذا ورد عليه الشعر لم يلبث أن يعرف وزنه ويلاحظ حال القراءة ليساعده على اجادة الانشاد ويعصمه من فوات الخلل عليه قال ابن النبيه من الطويل والقافية من المتواتر مجردة موصولة بالالف

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

خذوا حذركم من خارجى عذاره * فقد جاء زحفا فى كتيبته الخضرا

غلام أراد الله اطفاء فتنة * بعارضه فاستؤنفت فتنة أخرى

تكلفنى السلوان عنه عواذلى * أما علموا انى بطلعته مغرى

فز رفن بالاصداغ جنة خده * وأرخى عليه من ذوائبه سترا

أغن يناجى شعره حلى خصره * كما يعتب المعشوق عاشقه سرا

وصلت بداجى شعره ليل وصله * فلم أخش صبحا غير غرته الغرا

أخوض عباب الموت من دون ثغره * كذاك يخوض البحر من طلب الدرا

غزال رخيم الدل فى يوم سلمه * وليث له فى حربه البطشة الكبرى

درى بحمل الكأس فى يوم لذة * ولكن بحمل السيف يوم الوغا أدرى

* أهيم به فى عقده ونجاده * فلا بد فى السراء منه وفى الضرا *

* وصامتة الخلخال أن وشاحها * فهذا قد استغنى وهذا شكى الفقرا

* تلألأ در العقد تيها بجيدها * وساكن ذاك النحر لا يسكن البحرا

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا
دعتني الى السلوان عنه بحبها * وما كنت أرضى بعدائي الكفرا
بأي اعتذار ألتقي حسن وجهه * اذا خدعتني عنه غانية عذرا
تقول وقد أزري بها حسن وصفه * لحى الله رب الشعر لو نظم الشعرا
ألم ترني بين السماطين منشدا * كأني على شاه ارمن انثر الدرا
مليك كريم باسل عم عدله * فمن حاتم وابن الوليد ومن كسرى
أبى سخى تحت سطوته الغنى * نخف ونبقن ان في عسره يسرا
هو البحر بل استغفر الله ان في * بنان يديه للندا أبحرا عشرا
* اذا قام ينميه الخطيب بمنبر * تأودتها واكتسى ورقا خضرا
لحى الله حربا لم يكن قلب جيشها * ومجلس عدل لا يكون به صدرا
أطل على اخلاط يوم قدومه * بلجة جيش يملأ السهل والوعرا
وقد برزت في شكة موسوية * فلو أمرت بالزحف ماخالفت أمرا
تلقاه من بعد المسافة أهلها * فذرافع كفا وذاساجد شكرا
فشككت أن الناس قد حشروا وضحى * ام الناس يستسقون ربهم القطرا
تسير ملوك الارض تحت ركابه * وأعناقهم من هول هيبته صعرا
اذا انفرجت عنه بروق سيوفهم * رأيت النجوم الزهر قد قارنت بدرا
* فلله يوم عم بالنيس بشره * وسارت الى أرض العراق به البشرى
* تهن أمير المؤمنين بمثله * نصيرا يسد الثغر أو يفتح الثغرا
حسام اذا هزته يمناك هزة * ترقرق ماء والتظى حده جمرا
طراز على كم الخلافة مذهب * وجوهرة في تاجها تكسف البدرا
أبا الفتح شكرا الاختصاص صنيعة * فحسبك في الدنيا جلالا وفي الاخرى

وقال من البسيط والقافية من المتراكب

الله اكبر ليس الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في لمى فمه أو ثغره الشنب
ثغر اذا ما الدجى ولى تنفس عن * ريح من الراح أو ضرب من الضرب

كأنه

كأنه حين يرمي عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمي ويلثمها سهم من الخشب
لدن المعاطف قاسي القلب مبتسم * لا عن رضى معرض عني بلا غضب
فكم له في اختلاق الذنب من سبب * وليس لي في قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بماجلت * كما تميل رماح الخط بالعذب
أشار نحوي وجنح الليل معتكر * بمعصم من شعاع الكأس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ماجليت * في جمرة الدن أو في قشرة العنب
جمراء تفعل بالالباب ما فعلت * سيوف شاه ارمن في عسكر لجب
ملك يفرق يوم السلم ما جمعت * يمناه في الحرب بالهندية القضب
ثبت تحف جماهير الجيوش به * كأن أفلاكها دارت على القطب
دم العدى وصليل المرهفات له * أحلى وأطيب من كأس على طرب
في غير موسى أحاديث الندا اختلفت * وهو الكريم بلا شك ولا ريب
الاشرف الواهب الآلاف مبتسما * وذاك تعجز عنه عبسة السحب
صحت له كيمياء الجود اذ سبكت * يمناه للبذل اكسيرا من الذهب
* لا تعجبن لاموال يفرقها * على العفاة بقاها أعظم العجب
الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابـ * ـن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب
نفس لآبائها من نفسها شرف * كذا الثمار لها فضل على الخشب
* عليه نور الهي أشعته * تغنيه عن كثرة الحجاب والحجب
مت يا حسود انتظارا ان مولده * قد كان في برج سعد غير منقلب
وقف على جوزهر الرأس عاشره * وبيت أعدائه وقف على الذنب
يا كوكبا أسعد الايام طالعه * وهو الوباء لاهل الشرك والصلب
لا خيب الله في ذا العيد عودة من * رجاؤه في ندا كفيك لم يخب

وقال من الكامل والقافية من المتدارك

أفديه ان حفظ الهوى أوضيعا * ملك الفؤاد فما عسى ان أصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى
يا أيها الوجه الجميل تدارك الـ * ـصبر الجميل فقد عفا وتضعضعا

هل في فؤادك رحمة لمتيم * ضمت جوانحه فؤادا موجعا
هل من سبيل ان أبث صبابتي * أو أشتكي بلواي أو أتوجعا
اني لأستحي كما عودتني * بسوى رضاك اليك ان أتشفعا
ياعين عذرك في حبيبك واضح * سحي لفرقته دما أو أدمعا
الله أبدى البدر من أزراره * والشمس من قسمات موسى أطلعا
الاشرف الملك الذي ساد الورى * كهلا ومكتمل الشباب ومرضعا
ردت به شمس السماح على الورى * فاستبشر واورأوا موسى يوشعا
سهل اذا لمس الصفا سال الندا * صعب اذا لحظ الاصم تصدعا
دان ولكن من سؤال عفاته * سام على سمك السماء ترفعا
يا برق هذا منك أصدق شيمة * ياغيث هذا منك أحسن موقعا
ياروض هذا منك أبهج منظرا * يابحر هذا منك أعذب مشرعا
ياسهم هذا منك أصوب مقصدا * ياسيف هذا منك أسرع مقطعا
ياصبح هذا منك أسفر غرة * يانجم هذا منك أهدى مطلعا
حملت أنامله السيوف فلم تزل * شكرا لذلك سجدا أو ركعا
حلت فلا برحت مكانا لم يزل * من در أفواه الملوك مرصعا
أمظفر الدين استمع قولي وقل * لعثار عبد أنت مالكه لعا
أيضيق بي حرم اصطناعك بعدما * قد كان منفرجا على موسعا
هذا وقد طرزت باسمك مدحة * لا ترتضي شنف الثريا مسمعا
عذراء ما قعد الزمان بربها * الا وقام بها خطيبا مصقعا
وعلى كلا الحالين اني شاكر * داع لان الله يسمع من دعا

وقال من الرجز والقافية من المتدارك

وحق من بدل نومي بالسهر * وعذب القلب بأنواع الفكر
وأسقم الجسم بسقم جفنه * وأسهر الطرف وللقلب أسر
ماحلت ذاك الوجه لما أن بدا * في جنح ليل شعره الاقمر
وهو فما ظن دموع مقلتي * لما جرى من فيضها الامطر
أحور والفتور حشو طرفه * ياحبذا ذاك الفتور والحور
مر بنا يخطر في مشيته * والقلب من خطرته على خطر

هزلنا

هزلنا من قده رمحا ومن * الحاظه باعاذلى سيفا شهر
مخالف ان قلت دع زيارتى * زار وان قلت له صلنى هجر
والله ما غدرته الاوفى * ولا وفيت عهده الاغدر

وقال من السريع والقافية من المتدارك

يانار أشواقى لا تخمدى * لعل ضيف الطيف أن يهتدى
حسبته ماء فصادفته * لمع سراب ليس يروى الصدى
تكلفت عينى له هجعة * كنغبة الطائر فى المورد
صورفى مرآتها صورة * تجل عن لمس فم أو يد
ان نعمت فى الليل روحى به * فسوف يشقى جسدى فى غد
الصدّ والهجران قد جمعا * بالله قل لى فبمن اقتدى
أشكو الى الله ملولا اذا * قلت انتهى فى هجره يبتدى
البدر فى مكسر سربوشه * حف بليل الشعر الاسود
ريان فى قرطقه جدول * لكن له قلب من الجلمد
كأنما هميانه برزخ * يمنع موج الردف أن يعتدى
غازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندى
وقام يلوى عطفه قائلا * لاتغتربى فكذا موعدى
فقلت بالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ بيدى
الملك الاشرف شاه ارمن * رب المعالى والندا والندى
ملك له الفضل على تبع * والفضل لا يكسب بالمولد
لولم تر الاملاك فى وجهه * غرته الغراء لم تسجد
الطاعن النجلاء مكحولة * ناب لها النقع عن الاثمد
والضارب الفوهاء مفترة * عن صارم كالمبسم الادرد
يصدى اذا ارواه ماء الطلى * وأعجب الاشياء رى الصدى
تقول للخرصان أسيافه * بنا كفيت الطعن لاترعد
نحن بسد الثغر اوفتحه * ادرى وقد قمنا به فاقعد
سله تجد أفتى جميع الورى * فليهتد السائل او يجتدى
يزرى على قبح عبوس الحيا * حياؤه الطلق الجميل الندى

يا ملك الارض وان كان فى * حصونه يا ملك الفرقد
ملأتها بالخيل والرجل والـبيض المواضى والقنا الاملد
تكاد أن ترجف يوم الوغى * الى العدى من أفقها الابعد
لبست منها تاج ملك على * كسرى أنوشروان لم يعقد
وقال من المنسرح والقافية من المتراكب
يا بارقا اذكر الحشى شجنه * منزلنا بالعقيق من سكنه
امرتع اللهو يانع خضر * أم غير الدهر بعد نادمنه
يا برق هذا جسمى يذوب ضنا * ومهجتى بالعقيق مرتهنه
يا برق أشكو عساك تخبرهم * وكل من هام يشتكى شجنه
بلغ حديث الحمى وساكنه * لمغرم أنحل الهوى بدنه
اسمعه ذكر الحبيب مقتربا * فقد أصمت عذاله اذنه
هم آنسوه لكن بوحشتهم * ونفروا عن جفونه وسنه
أشقى المحبين عادم وطرا * فكيف ان كان عادما وطنه
سقيا لايامنا التى سلفت * كانت بطيب الوصال مقترنه
لو بيع يوم منها وكيف به * كنت بعمرى مسترخصا ثمنه
اليك يا عاذلى فلست أنا * اول صب جنا لهم فتنه
فكم لنفسى على سيئة * وكم لموسى على من حسنه
مجازف فى عطاء آمله * محرر الرأى عند من وزنه
للاجر والشكر خازن أبدا * ولم يصن ماله ولا خزنه *
مؤيد الرأى من ينافسه * تحت حضيض الخمول قد دفنه
لو لم تفيض للجود راحته * لم تعترف فرضه ولا سننه
له بنان تهدى لنا منحا * ومن يعاديه يشتكى محنه
وقال من الخفيف والقافية من المتواتر
قصت ليل الصدود الا قليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعى كل عن كلام عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤاد قد كان بين ضلوعى * أخذته الاحباب أخذا وبيلا

قل

قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كانه مارأى غصـ * ـنا رطيبا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ثغر * حين أضحى مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى أثر العيـ * ـس ارحمونى ومهلوهم قليلا
أنا عبد للفاضل بن على * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا
واذا كان خصمك الدهر والحكم الى الله فاتخذه وكيلا
راع أعداءه بصفر اليراعا * ت فأنسى صريرهن الصليلا
ان مدحى له أشد وطاء * وقريضى أقوى وأقوم قيلا
فاستمع لفظه ولذ بحماه * تلق قولا جزلا ونيلا جزيلا
جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا فى مدحه التنزيلا
لا أذم الزمان اذ أنت فيه * يا سحاب الندا لرزقى كفيلا
لى ديون على علاك وهذا * وقت يسر فوف واصنع جميلا
أتمنى رزق المقيم على الا * ثه وان رمت رحلة ونزولا

وقال الحسن بن هانئ الحكمى ابو نواس من المديد والقافية من المتراكب

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره
فاتصل ان كنت متصلا * بقوى من أنت من وطره
خفت مأثور الحديث غدا * وغدا دان لمنتظره *
خاب من أسرى الى بلد * غير معلوم مدا سفره
وسدتنى ثنى ساعده * سنة حلت الى شفره
* فامض لا تمنن على يدا * منك المعروف من كدره
* رب فتيان ربأتهم * مسقط العيوق فى سحره
فاتقوا بى ما يريبهم * ان تقوى الشر من حذره
وابن عم لا يكاشفنا * قد لبسناه على غمره
كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى حجره
ورضاب بت أرشفه * ينقع الظمآن من خصره

هانيه خوط أصحلة * لان ثنياه لمهتصره *
* ذا ومغبر مخارمه * تحصر الابصار عن قطره
لا ترى عين البصير به * ماخلا الآجال من نفره
خاض بى لجيه ذو جزر * يفهم الفضلين من ضفره
يكتسى عثنونه زبدا * فنصيلاه الى نحره *
* ثم يعتم الحجاج به * كاعتمام الفوف فى عشره
ثم تذروه الرياح كما * طار قطن الندف عن وتره
* كل حاجاتى تناولها * وهو لم ينقض قوى أشره
* ثم أدنانى الى ملك * يأمن الجانى لدى حجره
تأخذ الايدى مظالمها * ثم تستذرى الى عصره
كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره
فاسل عن نوء تؤمله * حسبك العباس من مطره
* ملك قل الشبيه له * لم تقع عين على خطره
لا تغطى عنه مكرمة * بربا واد ولا خمره *
ذللت تلك الفجاج له * فهو مختار على بصره
سبق التفريط رائده * وكفاه العين من أثره
* واذا مج القنا علقا * وترا أى الموت فى صوره *
* راح فى ثنيى مفاضته * أسدا يدمى شبا ظفره
* تتأيا الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره
وترى السادات ماثلة * لسليل الشمس من قمره
فهم شتى ظنونهم * حذر المظنون من فكره
وكريم الخال من يمن * وكريم الجد من مضره *
قد لبست الدهر لبس فتى * أخذ الآداب عن غيره

وقال كمال الدين ابن النبيه من الرمل والقافية من المتراكب

ان عينا منك وقد ظمئت * قد سقاها الدمع حتى رويت
آه من وجد جديد لم يزل * وعظام ناحلات بليت
أنا والاظعان من شوق معا * نحوكم اعناقنا قد لويت

انتم

أنتم الانجم مذ غيبتمو * بسوى أنواركم ماهديت
ساكني الفسطاط لوأبصرتكم * جليت مرآة عين صديت
ان اعاد الله شملى بكمو * سعدت آمال نفس شقيت
ان ارضا أنتمو سكانها * غنيت عن أن تقولوا سقيت
فوجوهكم رياض أزهرت * ورياض كوجوه جليت
بأبى منكم غزال مهجتى * بظبى ألحاظه قد غزيت
ساحر الالحاظ الوى وعده * فهو كالاصداغ لما لويت
بلغيه يانسيم الريح عن * مهجة المشتاق ماذا لقيت
ان أسرار الهوى مانشرت * وأحاديث الضنى ماطويت
ولقد كان لنفسى جلد * وأراها اليوم فيه دهيت
لى عذر فى النوى عن أرضكم * فسقتها أدمعى ان رضيت
انما منبج موسى جنة * عندها أوطاننا قد نسيت
ملك مذ جردت هيبته * اغمد الاسياف حتى صديت
هو فى الهيجاء نار تلتظى * وهو فى السلم جنان جنيت
لايبالى ان خلت اكياسه * وله الارض بشكر مليت
خذ أحاديث علاه انها * بأسانيد مديحى رويت
قام بالدنيا وبالاخرى معا * فهى ضراته قد رضيت
حسن الظاهر للناس ولله * منه حسنات خفيت
يخضع الجبار من هيبته * والرعايا فى حماه حميت
يامليك الدين والدنيا ويا * صفوة المجد التى قد بقيت
ويح اعدائك بل ويل لهم * معشر أبصارهم قد عميت
كل يوم لك فى اكبادهم * بعواليك جراح دميت *

وقال من الوافر

أمانا أيها القمر المطل * فمن جفنيك أسياف تسل
يزيد جمال وجهك كل يوم * ولى جسد يذوب ويضمحل
وماعرف السقام طريق جسمى * ولكن دل من أهوى يدل
يميل بطرفه التركى عنى * صدقتم ان ضيق العين بخل

اذا نشرت ذوائبه عليه * ترى ماء يرف عليه ظل
وقد يهدى صباح الخد قوما * بليل الشعر قد تاهوا وضلوا
أيا ملك القلوب فتكت فيها * وفتكك فى الرعية لايحل
قليل الوصل ينفعها فان لم * يصبها وابل منه فطل
أدر كأس المدام على الندامى * فمن خديك لى راح ونقل
فغيرانى بغيرك ليس نطفا * واخوانى بغيرك لاتبل *
بمنظرك البديع تدل تيها * ولى ملك بدولته أدل *
أبو الفتح الكريم الطلق موسى * فتى يعطى الجزيل ويستقل
به أضحت فجاج الارض خصبا * فما للمحل فى بلد محل *
أغر على سرير الملك منه * سليمان وأهل الارض نمل
ويعلا غيره كيسا فكيسا * ومل زمانه كرم وعدل *
وقالوا احفظ هذا المال عقل * فقلت نعم وبعض العقل جهل
فليس يذمه الا مطايا * الى أبوابه تطوى وسبل *
تملكه البلاد قنا وجرد * وبتر من يطاولها يذل
اذا انبثت عساكره اتساعا * تضايق دونها حزن وسهل
بوارقها لعين الافق داء * وعثيرها لعين الشمس كحل
لمولانا الخليفة فيه راى * حديد لايفل ولا يقل
تأمل فى الكنانة منه سهما * سديدا لايطيش ولا يزل
فهيأه وأرسله اختصاصا * ورواه الحديث وذاك فضل
فدامت هذه النعمى عليه * ودام فانه للخير أهل *

وقال من المتقارب

دع النوح خلف حدوج الركائب * وسل فؤادك عن كل ذاهب
بيض السوالف حمر المرا * شف صفر الترائب سود الذوائب
فما العيش الا اذا ما نظمت * بثغر الحباب ثنايا الحبائب
أحاشيك من وقفة بالطلول * تبل الصدا بصداها المجاوب
تكلف صم الجمار الكلام * وكم فى جنون الهوى من عجائب

ولو

ولو كنت تشكو الهوى صادقا * لما علاتك الامانى الكواذب
تأمل كؤس عتيق الرحيق * ترى الماء يجمد والجمر ذائب
لها فى الزجاجة رقص الشباب * ومفرقها أشمط اللون شائب
وتر عدغيظا اذا ابرزت * من الدن كالمحصنات الكواعب
كأن الحباب على رأسها * جواهر قد كللت فى عصائب
محرمها صح عند المجو * س أن السجود الى النار واجب
شهدنا ومطربنا خاطب * زواج ابنة الكرم بابن السحائب
فمن قطرات الرذاذ النثار * ومن وشى زهر الربيع المراتب
رياض كخضرة جو السماء * وأزهارها مثل زهر الكواكب
فللوحش سرب بقيعانها * وللطير فى جوها سطر كاتب
برزنا الى اللهو فى حلبة * حسان الوجوه خفاف المراكب
بنادقهم فى عيون القسى * كاحداقهم فى قسى الحواجب
فتلك لها طائر فى السماء * وهذى لها طائر القلب واجب
وحات سوابق شهب خواط * ف تجن المنا سرحة المخالب
بزاة لها حدق الافعوان * وأظفارها كحماة العقارب
فللافق نسران ذا واقع * وذا طائر حذر الموت هارب
وأطلق كلابنا ضاريا * يبارى هبوب الصبا والجنائب
تطير به أربع كالرياح * ويفتر عن مرهفات قواضب
ويضرب فى ليل جلبابه * شعاع شهاب من العين ثاقب
وعدنا نجر ذيول السرو * ر والطير والوحش ملء الحقائب
كما ابتهجت من سرور خلاط * وقد جاء موسى بجر المواكب
مليك اذا سار بين السيوف * ترى البدر بين اشتباك الكواكب
وترأر من تحت ذاك الركاب * أسود لها من ظباها مخالب
فتلك اللهاذم زهر النجوم * ومعتكر النقع جنح الغياهب
بدا فهوت فى التراب الثغور * كما انتظم الدر فوق الترائب
ينادونه باختلاف اللغات * كتلبية الحج من كل جانب
يخيفهمو بأس برق الحديد * ويطمعهم سحب المواهب

تؤم الجوارح أعلامه * تروح بطانا وتغدو سواغب
كأن الصناجق أوكارها * فكم عصبة تحت تلك العصائب
أيا مالك الارض حقا اليك * مآل مشارقها والمغارب
ستفتح قسطينة عنوة * وما كان للروم منها يقارب
كأنى بأبراجها قد هوت * وصفر المجانيق فيها ضوارب
وقد زحف البرج زحف العروس * اليها يجر ذيول الكتائب
وما لبسه غير نسج الحديد * وما حليه غير بيض القواضب
وأضرمت النار حشو النقوب * وثار الدخان كجنح الغياهب
وليس الكهانة من شيمتى * ولكن حزبك بالله غالب
لك الله من قاتل قاتل * يقاتل بالكتب قبل الكتائب
فما مجلس العدل يوم القضاء * بأولى به من سروج السلاهب

وقال زهير من المجتث

مولاى كن لى وحدى * فاننى لك وحدك
وكن بقلبك عندى * فان كلى عندك
لى فيك قصد جميل * لا خيب الله قصدك
حاشاك تؤثر بعدى * ولست أوثر بعدك
ان تنس عهدى فانى * والله لم أنس عهدك
* أضعت ودّ محب * مازال يحفظ ودّك
مالى عليك اعتراض * ادب كما شئت عبدك
مولاى ان غبت عنى * واسوء حالى بعدك

وأوزان هذه القصائد على تفاوتها فى كثرة الاستعمال هى الاكثر استعمالا وبقيتها قليل تقرأ الديوان الكبير فلا تجد منها بيتا هذا ولم يزل الناس مقتصرين على الاوزان العربية حتى مضى صدر من الاسلام ثم تكلم الناس بعد بكلام موزون معرب وملحون موافق للاوزان العربية وغير موافق ونوعوه الى ستة أنواع أضافوها للشعر وسموها الفنون السبعة وعملوا فيها رسائل وعرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون بالاوزان العربية الذى لا يجوز فيه اللحن المقفى

*(الفن

(الفن الثانى الموالى)

وأول من تكلم بهذا النوع بعض أتباع البرامكة بعدما حصل لهم فكانوا ينوحون عليهم به ويكثرون من قولهم يا موالى فصار يعرف بهذا الاسم وهو مشهور فلا حاجة لتمثيله

(الفن الثالث فن التوشيح)

وغالب ما كان منه معرب وهو مختلف الاوزان والاوضاع والسبب فى ذلك أن تأليف التوشيح كان لغرض تطبيق ألفاظ على مؤلفات من الاصوات بمقتضى صناعة الموسيقى فكان أهل تلك الصناعة يؤلفون من الاصوات التى تخرجها الضربات على الاوتار المختلفة مثلا مؤلفا يناسب أن تقابل الاصوات المندرجة فيه بحروف متحركة أو ساكنة فكان مؤلف التوشيح تابعا لما تقتضيه تلك الاصوات فتارة توافق الاوزان العربية وتارة تخالفها وقد ذكر كثير من التواشيح فى كثير من الكتب الادبية مثل كتاب نفح الطيب وسفينة الشيخ محمد شهاب رحمه الله تعالى ومن ألطفها توشيح القاضى هبة الله المشهور بابن سناء الملك فلا بأس بايراده مثالا لهذا النوع وهو

كللى　يا سحب تيجان الربى بالحلى　واجعلى　سوارك منعطف الجدول

(دور)

يا سما　فيك وفى الارض نجوم وما　كلما　أغربت نجما أشرقت أنجما
وهى ما　تهطل إلا بالطلى والدمى

(قفله)

فاهطلى　على قطوف الكرم كى تمتلى　وانقلى　للدن طعم الشهد والفوفل

(دور)

تنعقد　كالكوكب الدرى للمرتصد　يعتقد　فيها المجوسى بما يعتقد
فانتقد　ياساقى الراح بها واعتمد

(قفله)

وامل لى　حتى ترانى عنك فى معزل　قل لى　فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور)

من ظلم　فى دولة الحسن اذا ما حكم　فالسدم　يجول فى باطنه والندم
والقلم　يكتب ما سطر فوق القمم

(قفله)

من ولى في دولة الحسن ولم يعدل يعزل إلا لحاظ الرشا الا كحل

(دور)

لا أريم عن شرب صهبا وعن عشق ريم فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فقم يانديم

(قفله)

وانهل من اكؤس صورن من صندل أفضل من نكهة العنبر والمندل

(دور)

هل يعود عيش قطعناه بوادى زرود والجنود فى حضرتى تضرب جنكا وعود
والحسود فى معزل عنا غدا لا يسود

(قفله)

عذلى لا تعذلونى فالهوى لذلى ما الخلى فى الحب مثل العاشق المبتلى

(دور)

أسفرت ليلتنا بالانس مذ أقمرت بشرت بملتقى المحبوب واستبشرت
شمرت فقلت للظلماء مذ قصرت

(قفله)

طولى ياليلة الوصل ولا تنجلى واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

*(دور المديح)

يانسيم بلغ سلام المستهام السقيم لكريم طه امام المرسلين العظيم
عن اليم وجدى به حدث وشوقى القديم

(قفله)

ليس لى من ملجأ سوى المحى الافضل الجلى وآله أولى الجناب العلى

(الفن الرابع فن الدوبيت)

وهذا الاسم من كلمتين فارسية وهى دو بمعنى اثنين وعربية وهى بيت احد أبيات الشعر وبه سمى هذا النوع لكونه ينظم بيتين بيتين يتصور الناظم معنى ويسكنه فيهما وهو مشهور عند العجم بالرباعى ولبعض شعرائهم اختصاص بشهرة اجادة الرباعيات واجزاؤه فعلن بسكون ثانيه متفاعلن وتارة يغير الى متفاعيل بتقديم ساكن

ساكن الوتد على متحركه الثانى فعولن فعلن بتحريك ثانيه ومثاله قول بعضهم

أهوى رشأ حوى من الحسن فنون * عيناه تقول للهوى كن فيكون
غنى فتمايل الندامى طربا * لاشك هو والنسيم والقوم غصون

وقول سيدى عمر بن الفارض

أهوى رشأ رشيق القد حلى * قد سلطه الغرام والوجد على
ان قلت خذ الروح يقل واعجبا * الروح لنا فهات من عندك شى

(الفن الخامس الزجل)

ويقال ان اول من تكلم به صبى مغربى يقال له ابن قزمان وذلك انه وهو فى المكتب عشق بعض صبيانه فرفع أمره للمؤدب فزجره ومنعه من مجالسة حبيبه فكتب فى لوحه قوله هذا

المـلاح ولاد أماره * ولوحاش ولاد نصاره
وبن قزمان جاذ يغفر * ماقبلو الشيخ غفاره

فاطلع عليه المؤدب فقال قد هجوتنا بكلام مجزول فيقال انه سمى زجلا من هذه الكلمة ثم صار ابن قزمان هذا شيخ صناعة هذا الفن وهو فن العامة الذين لا يعرفون الاعراب فأذكياؤهم ينظمونه بلغتهم وأوزانه كثيرة جدا حتى ان أهله يقولون صاحب ألف وزن ليس بزجال ويسمون ماينا ظر القصيدة منه حملا ومن ظريفه حمل ابن الفحام وهو

مطلع ودائرة

فى بحر عشقك ولغرام لغريم * كم من هلك يامن حلا منهلك
ون كان عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور فى البحر)

فى بحر عشقك زد شجونى شجن * من مد معى بحر بجوى قد وفى
اضحى بغير مقيس تجنى الجنون * وزد على اعلى لفسيح ماخفى
وصبح منادى لشوق علياسأل * بالوجد وليلبال وطل وا كتفى
وبنت اشجانى لعب وهواك * وصرت غارق فى لجاج الهلاك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور فى القمر)

من بن يكون يا بهجة العاشقين * للبدر حسنك ولقوام لرشيق

ومن يشبه طلعتك فى الكمال * بطلعة البدر المنير الشريق
ومن يقس فرقك بفرقو إذا * فرقت عنو ياغزال الفريق
ان شافك البدر يستحى ويختفى * منك وأطرق فى ظلام محالك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور فى تشبيه الخال)

خالك بخدك جل من قد صنع * نقطه من العنبر على الجلنار
اوصفر كاتب فى صحيفة عقيق * اوعبد زنجى يحرس الجلنار
اوهو مجوسى من كبار المجوس * رام السجود لما رأى الخد نار
فى ماصفا الخد لك العندمى * يظهر سود عن كل من أملك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور فى اللحاظ)

لما على عرش الخد يد ستوى * خالك وهو رب الجمال العظيم
أرسل نذير اللحظ يدع القلوب * لسبل عشقك والغرام الغريم
وسن هجرك والجفا افرضه * نادت وقلبى بالمحبه كليم
آمنت بالله يانذير اللحاظ * هاأنت ساحر والهوى أرسلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور فى الثغر)

لنا روى خدك صحيح الخبر * عن عارضك عن خالك العنبرى
عن نكهة الرق عن رحيق اللما * عن مبسمك عن ريقك السكرى
بأن فى رشفه حياة النفوس * وصح اسناد ثغرك الجوهرى
فكيف تعجب من صحيح الخبر * يروه نذير اللحظ عن سلسلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(دور فى العذار)

وحن علينا جرعذار الدقيق * والعارض اللام حرمت المنام
جانى عذول جاهل قليل الادب * عارض ولم فى حب عارض ولام
لما رأيته ماقبل معذره * ولا رثى فى الحب نادت سلام
ياللاسى فى عارضين عارضين * كم صب من جور العوارض هلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور فى جمع أوصاف الجمال

ياظبى رائع فى رياض الحشا * يابدر مشرق فى سماء الجمال
ياشمس فى برج الجمال أشرقت * ياغصن فى روض ابهامس ومال
ياجامع وصاف الجمال الجميل * يامفرد الحسن الحسن والدلال
ياعين حياتى كن طبيب الكئيب * بحق من بالحسن قد كملك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور

هل تدر بالله يافريد الجمال * من علم الظبى النفور النفار
أومن أعار البدر حسن السنا * والنهار اذا لح فى دجى الاعتكار
وسحر هاروت البديع الحلال * ايش هو السبب فيه أولا ايش ستعار
شاف الغزل حسنك وشاف القمر * نورك وذل السحر من عزلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور فى قصة سيدنا يوسف

نساز ليخا لو رأوا ياعزيز * حسنك وشكلك والجمال الجميل
وطابع الحسن الحسن والدلال * واللحظ والطرف الغضيض الكحيل
لقطعوا منهم بدال الكفوف * اكبدولا بالقطع يشفى الغليل
وتخرس لاالسن اذا ما رأوك * وهم يقولو دا ملك أوملك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور فى جهات الحجاز

بالله ياريم النقا والعذيب * بحسن نور وجناتك الابرقين
جد بالشفا واسمح بالم الشفا * على افز يابدر بالشفوتين
وكن مفرح من صبا منحنى * تروى دموع اسفح من كل عين
ياكعبة العشاق ومروى الصفا * ريقك شفا ياسعد من قبلك
ون كن عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

دور المديح

يافاتح الخير ياختام الرسل * يامنتهى للعلم يامبتدى
يامصطفى أنت الصراط القويم * ياسرعين الغيب لمن اهتدى

ما أنت باب لله حياة للنفوس * وخالقك قد أرسلك للهدى
وليلة الاسرى كما أرّخوا * أدناك وبالخلق محسن كمالك
ومن كان عذولى شبهك بالهلال * يابدر من لا يعرفك يجهلك

(الفن السادس والسابع) فن كان وكان وفن القوما وهما كما قال أصحاب هذه الفنون فرعان من الزجل وانما افردوهما نوعين بسبب تغيرات لا تكون فى الزجل مثال الاول

ياراحين لزبكيه * بالله خدونى معكم
ايك أرى باب لهوى * وشاهد الاقمار

ومثال الثانى

يارب ياستار * لا تكشف الاستار
وغفر لعبدك ذنوبه * انك كريم غفار

(المقصد الرابع فى الكتابة وقرض الشعر والانشاء) الكتابة ويقال علم الخط القياسى فى مقابلة خطين لا يقاس عليهما وهما خط المصحف العثمانى الذى تحرم مخالفته أو تكره على خلاف المذاهب فى ذلك وخط العروضيين عند بيان أوزان الشعر وهى فن معرفة الكتابة على الصورة المصطلح عليها و بيان ذلك يحسن أن يكون فى أربعة أبواب اتباعا لمن اختص بفضيلة ضبط هذا الفن عن انتشار ومن كتابه المسمى بالمطالع النصرية تلخيص ما استخلص رحمه الله تعالى الشيخ أبو الوفاء نصر الهورينى امام عصره وحافظ وقته

(الباب الاول) فى الهمزة والالف ونون التوكيد والتنوين ونون اذا وهاء التأنيث

(الكلام على الهمزة) الهمزة وتسميتها ألفا بالنسبة نظرا لتصويرها فى بعض الاحوال اذا كانت أول كلمة رسمت مطلقا ألفا ولا تكون حينئذ ساكنة لما ثبت فى اللغة من عدم الابتداء بالساكن بل اذا كانت ساكنة أول أصول كلمة وأريد الابتداء بكلمتها اجتلب لذلك الهمزة التى تسمى همزة الوصل مثل أؤمر إئت ولهذه الهمزة فى الرسم أحوال فترسم ألفا بعد الفاء والواو نحو فأمر وأت و بعد غيرهما فان كانت همزة الوصل مضمومة مثل أومر رسمت همزة الكلمة واوا وان كانت همزة الوصل مكسورة نطق بها أولم ينطق رسمت ياء مثل ثم ائتوا واذا وقعت حشوا فان كانت ساكنة رسمت حرفا من جنس الحركة السابقة عليها فترسم ألفا فى نحو رأس وياء فى نحو بئر وواوا فى نحو نؤى

نؤى وسؤل وان كانت مكسورة رسمت ياء وفى الواقعة بعد ضمة خلاف بين سيبويه وتلميذه الاخفش فالاخفش يقول برسمها واوا حينئذ واستحسن بعضهم الجرى على مذهبه اذا وقع بعدها ياء وان كانت مضمومة رسمت واوا مثل رؤف وان كانت مفتوحة رسمت بعد فتحة ألفا مثل رأس القوم صار لهم رئيسا و بعد كسرة ياء مثل فئة ومئة و بعد ضمة واوا مثل سؤال وفؤاد و بعد سكون ترسم ألفا ان كان الساكن صحيحا والا حذفت ان لم يحصل لبس فترسم ألفا للتمييز *(تنبيه)* الهمزة الواقعة بعد همزة الاستفهام فى نحو أأنبئ أأنزل أأسجد أئفكا أئذا والواقعة بعد اللام الموطئة نحو لئن جئت و بعد حين وأمثاله فى حينئذ ويومئذ وهمزة لئلا دون لأن جاء مثلا وهمزة هؤلاء على خلاف فى بعض ذلك تنزل منزلة المتوسطة فتجرى عليها أحكامها فترسم المضمومة واوا وترسم المفتوحة ألفا بعد فتحة و ياء بعد كسرة وترسم المكسورة ياء واذا وقعت آخر الكلمة فان تلت فتحة رسمت ألفا كقرأ و يقرأ وان تلت كسرة رسمت ياء كبرئ وابحئ وان تلت ضمة رسمت واوا كوضؤ ولؤلؤ وان تلت سكونا لم تصور لكن قال صاحب أدب الكاتب ان همزة نحو رأى ونأى من المنقوص ترسم ياء وهذا اذا لم يتصل بالكلمة علامات الاعراب الحرفية ولا احدى الياآت الثلاث ياء المتكلم وياء المخاطبة وياء النسب ولا الضمائر المتصلة فان اتصل بها شئ من ذلك عدت حشوا وحينئذ اذا اتصل بالتى ترسم ألفا ضمير فالمتقدمون كانوا يرسمونها حرفا من جنس حركتها انفسها والمتأخرون يرسمونها ألفا ولا يعتبرونها متوسطة كيقرؤه و يقرؤه ومن بنائه ومن خطائه قيل والراجح مذهب المتقدمين واذا اتصل بنحو قرأ و يقرأ ألف الاثنين رسمت الهمزة ألفا لدفع اللبس بفعل الواحد فى نحو الزيدان قرأا لخالف الزيدان قرأ أخوهما و بفعل الاناث واذا اثنى نحو نبأ لم ترسم ألفه واذا اتصل بها واو الضمير أو واو الجمع حذفت كقرؤا و يقرؤن وقارؤن واذا اتصلت بياء المخاطبة كتبت ياء نحو لم تقرئى واذا اتصلت بياء المتكلم أو بياء النسب نحو مجئى وسبئى نسبة الى سبأ فحقها ان ترسم ياء والجارى كتبها ألفا واذا اتصلت بياء الجمع كقارئين وناشئين رسمت ياء واذا اتصل بالتى تكتب ياء ضمير تتغير معه حركاتها الاعرابية لم يتغير رسمها كقارئنا ومنشئكم وكذا اذا اتصل بها ألف الاثنين أو ألف التثنية وكذا اذا اتصل بها واو الضمير أو واو الجمع واذا اتصل بها ياء الجمع حذفت واذا اتصل بها ياء المتكلم أو ياء المخاطبة عند رفع الفعل حذفت أيضا وعند نصبه وجزمه قيل ترسم وقيل تحذف واذا

اتصل بالتى تكتب واوا ضمير نحو أخذت من لؤلؤك ولتكافؤهم رسمت واوا على المختار واذا اتصل بنحو ردء وبطؤ ألف الاثنين أو ثنى نحو لؤلؤا أو اتصل بنحو وضوء واو الجماعة رسمت الهمزة واوا أيضا وكذا اذا اتصل بنحو لؤلؤ ياء المتكلم أو ياء النسب واذا اتصل بالتى تحذف ضمير صوّرت بحرف من جنس حركتها فترسم واوا فى مثل حرم وطؤها وياء فى مثل خذه بملئه وألفا فى مثل رأيت الجيش وردأه واذا ثنيت نحو جزء صوّرت الهمزة ألفا مع الياء فقط واذا اتصل بنحو جزء ياء المتكلم أو ياء النسب رسمت الهمزة ياء واذا اتصل بنحو جاء ضمير المفعول لا ترسم الهمزة ألفا وكذا تحذف الهمزة من نحو جاء وشاء حيث يسند لواو الجماعة واذا أضيف نحو كساء ورواء الى ضمير أو اتصل به ياء النسب صوّرت الهمزة بحرف من جنس حركتها الا حالة النصب فتحذف فترسم واوا فى نحو هذا كساؤك وياء فى نحو كسائى وكسائه والكسائى

واذا اتصل بنحو يجىء ويفىء من افاء ضمير المفعول لم ترسم الهمزة وكذا اذا ثنى نحو مجىء وكذا فى أمر المخاطبة بنحو جيئى وفيئى واذا أضيف مثل وضوء وقرء للضمير كوضوئى وقرئهن رسمت الهمزة ياء حال جره ولم ترسم حال رفعه ونصبه واذا أضيف نحو شىء وفىء لم تصوّر همزته أصلا

والهمزة الواقعة قبل هاء التأنيث قيل انها متطرفة تقديرا لانهم يقولون ان هاء التأنيث فى تقدير الانفصال وكأنها كلمة مستقلة وترسم ألفا ان كان قبلها حرف صحيح والا حذفت

(الكلام على الالف)

الالف ان كانت حشوا ولو تقديرا بأن كان بعدها هاء التأنيث أو كانت طرفا فى الحروف أو فى الاسماء المبنية رسمت ألفا الا فى بلى وعلى والى وحتى من الحروف فترسم ياء لقولك عليك واليك وامالة بلى وحمل حتى على الى والا فى لدى ومتى وأنى التى بمعنى كيف أو من أين والى الموصولة وأولى الاشارية من الاسماء المبنية فترسم ياء أيضا ومهما على القول بأنها بسيطة وضعا والجارى رسمها ألفا وان كانت طرفا فى الاسماء المعربة أو الافعال رسمت ياء لاحد مقتضيين الاول ان تزيد على ثلاثة أحرف ولو بالتضعيف نحو حلى مضعف حلا الثانى أن تكون منقلبة عن ياء ويعرف ذلك بالنقل ويسهل معرفته النظر لتثنية الكلمة وجمعها جمع تأنيث والى المضارع فى الافعال والمصدر ويمنع من كتابتها ياء أمران الاول ان تسبقها ياء كيحيا فترسم ألفا الا اذا جعل علما فترسم ياء على القاعدة والثانى أن يتصل بها ما يجعلها حشوا كالضمير فى أعطاه

احداهن

احداهن و بمقتضى م فعلت وحتام والام استفهاما وحتاك وحتاه هذا
واذا وقع ما يرسم ياء فى شعرا وسجع على الالف فالاحسن كتبه ألفا للمشاكلة
والكلمات التى وردت مقصورة وممدودة يجوز كتب مقصورها بالياء أو الالف
وفى المقصور اذا نون خلاف ومذهب سيبويه رسمه بالالف نصبا و بعض النحاة يرى رسم
الالف ألفا مطلقا تبعا للفظ وليته جرى العمل على ذلك فقد أوقع هذا الرسم
الاصطلاحى فى غلط كثير فتسمع الناس مثلا يقولون من لدى الحضرة ورسمت الفا لاحد
مقتضيين أيضا الاول أن تكون منقلبة عن واو كتلا ودعا من الافعال وعصا ومها من
الاسماء والثانى أن تكون فى كلمة أعجمية أوفى كلمة عربية مجهولة الاصل كالدد
اللعب وخسا وزكا للفرد والزوج ولكن جوزوا كتب مثل هذا ياء أيضا واذا سبق
هذه الالف همزة نحو شأى و بأى بمعنى افتخر رسمت ياء

(الكلام على نون التوكيد ونون اذا والتنوين)

ترسم نون التوكيد الخفيفة ألفا الا عند خوف اللبس نحو لا تضربن زيدا واضربن عمرا
اذا أمرت واحدا من اثنين وترسم نون اذا بالالف على اختيار بعض وبالنون على اختيار
بعض آخر وبالالف عند عملها وبالنون عند الغائها أو بالعكس على اختلاف النقل
فى اختيار بعض آخر واذا هذه هى الجوابية الواقعة فى قولك اذا تصيب جوابا لمن يقول
أريد ان أفعل كذا وأما التنوين فلا يصور فى الكتابة الا حالة النصب فيصور ألفا
ان لم يكن بعد تاء تأنيث أو همزة ترسم ألفا أو همزة تحذف لوجود ألف قبلها كعطاء
وجزاء

(الكلام على هاء التأنيث) هى تاء التأنيث التى تمنع الصرف فى الاعلام ويوقف
عليها بالهاء كتاء فاطمة وطلحة وراوية وعلامة وخليفة وعدة فترسم بالهاء بخلاف تاء
التأنيث من أخت وبنت

(الباب الثانى فى زيادة حروف)

تزاد الالف أولا وهى همزة الوصل التى سبق بيان مواضعها وحشوا فى لفظ مائة على
خلاف فى ذلك وهذا الرسم أوجب غلط الناس فى النطق بالكلمة ماية كغاية وطرفا بعد
واو الضمير المتطرفة من نحو كتبوا وا كتبوا ولم يكتبوا وتزاد الواو حشوا فى أولى الاشارية
وأولو وأولات اللذين بمعنى أصحاب وصاحبات وطرفا فى لفظ عمرو علما غير منصوب
ولا مضاف لضمير ولا قافية بيت ولا مزيد فيه أل وتزاد هاء السكت فى مواضعها

(الباب الثالث في حذف بعض الحروف)

تحذف الهمزة من نحو تثاءب ماضيا وجاءه وكساءه منصوبا ومن نحو سءول وتوءم بفتح الهمزة وسكون الواو ومن نحو ضوءه ووضوءه في غير حالة الكسر ومن نحو جيئل بفتح الهمزة وسكون الياء وبئس بكسر الهمزة ومن نحو شيئك وفيئك ومن نحو قرءوا ويقرءون ورءوس جمع رأس ومن نحو دعاءه وفجاءة ومن نحو وضوء وضوء وسوءة وشنوءة بفتح الشين وسكون الواو وضم النون ومن نحو هنيء وشيء وخطيئة وهيئة ومن نحو تراءاه ويسوءون ولا تسيئي يا هند ومن نحو اسرائيل من نحو باءوا وجاءوا ومن نحو السوءى ومن نحو لم يبوءا ومن نحو لم يجيئا ولم يفيئا ومن نحو الموءودة ومن نحو فيء قالوا القياس حذفها في تراءاه وما بعده والعمل الآن على عدم حذفها في مثل فيء من هذا فيء وتحذف همزة الوصل من أل اذا دخل عليها همزة الاستفهام ولم يكن لبس واذا دخل عليها اللام الحرفية خافضة أوغيرها كما تحذف من بالعنبر وبالحارث اللذين أصلهما بنو العنبر وبنو الحارث وفي لغة من يقول علماء وعلماء في من الماء وعلى الماء وتحذف همزة الوصل أيضا من نحو اصطفى واستخرج فعلين واصطفاء واستخراج مصدرين اذا دخلت عليه همزة الاستفهام وتحذف من لفظ اسم اذا دخلت عليه همزة الاستفهام ومن بسم الله الرحمن الرحيم اذا لم يذكر متعلق مقدما أو مؤخرا ومن لفظ ابن اذا دخلت عليه همزة الاستفهام أو يا الندائية ومنه ومن ابنة اذا وقع كل منهما صفة لعلم شخصي أو جنسي وأضيف لعلم كذلك ولو تنزيلا ولم يكن لفظ ابن أو ابنة أول سطر كأنس بن مالك ومالك بن أنس ومحمد بن مالك وفلان أو فلانة بن أو ابنة فلان أو فلانة وضل بن ضل وهي بن بي لمن لا يعرف أبوه ومحمد بن الخطيب وأبو بكر بن أم جعفر وتحذف الالف من نحو آدم وآثر ومآل ومن نحو السموات ومن لفظ الله والاله وإله العالم ومن لفظ الرحمن معرّفا كسابقه دون النكرة منهما ومن لفظ الحارث والسلام معرفين أيضا ومن كل علم على وزن فاعل كذلك وصلح بخلاف الاوصاف كرجل صالح مالك ومن بعض الاعلام المشتهرة كابراهيم واسماعيل واسحاق ومعوية ولا تحذف لخوف اللبس من نحو عباس ولا من نحو اسرائيل لوجود حذف فيه فلا يجمع فيه حذفان وتحذف من لفظ ثلاث في ثلثمائة وثلث نسوة وثلث رجال وثلث وثلاثين ومن لفظ الثلاثا اسم اليوم وتحذف جوازا من نحو ثماني ليال ان لم تحذف الياء والا وجب اثباتها كقوله

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فثغرها ثمان

وتحذف من لفظ لكن مخففة أو مشددة وتحذف من ما الاستفهامية التي لم تركب مع ذا مخفوضة بحرف أو مضاف مثل على مه و بمقتضى مه وبما الموصولة في نحو بما شئت فقط ومن لفظ أما اذا وقع بعدها القسم مثل أما وأبيك وتحذف من ذا الاشارية وياء الندائية وأنا ضمير المتكلم وها التنبيهية مع اسم اشارة ليس أوّله تاء ولا هاء ولا بعده كاف مثل هذا وهذان وأى هذا بخلاف ها تا وها هنا وها ذاك ومن لفظ ها الله وآلله في القسم ومن ها أنا وها أنت لا من هاهو وهاهى ولا تحذف ألف ذا الا مثنى أو مع لام التبعيد ولا تحذف ألف أنا الضمير الا في ها ءنذا وتحذف ألف يا الندائية في يا أيها ويأهل ونحو يا إبراهيم ويا إسحاق بخلاف نحو يا آدم ويا آزر مما حذف ثانيه وتحذف ياء المنقوص كقاض ومفت منكرا غير منصوب ولا مضاف وتحذف الواو من لفظ داود وطاوس وناوس ونحو رؤس ولا تحذف من مثل قؤول وصؤول على فعول للمبالغة لدفع اللبس بقول وصول مصدرين وتحذف لام من الثلاث في نحو لم يخلق الانسان للعب ولا للهو وقوله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بالمؤمن بفتح اللام وهى لام الابتداء كما تحذف من الموصولات تكتب بلامين اذا دخل عليها لام الخفض أو لام الابتداء وتحذف التاء من آخر الفعل اذا أسند لتاء الفاعل نحو لعنتم وتحذف النون من آخر الفعل اذا اتصل بكلمة نا الفاعل أو نون النسوة أو نون الوقاية في نحو آمنا والنسوة بن وأعنى ولم يمكنى وتحذف النون أيضا من كلمتي من وعن الجارّتين اذا اتصل بهما ما أو من وتحذف نون ان الشرطية اذا اتصل بها ما الزائدة أو لا النافية وتحذف نون ان المصدرية حيث تكون ناصبة اذا اتصل بها أو لا وتحذف من نعما في نحو ان تبدوا الصدقات فنعما هى

(الباب الرابع في وصل بعض الكلام ببعض على خلاف الاصل الذى هو الفصل لمناسب الخط اللفظ)

اذا كانت الكلمة من حرف واحد كباء الجر ولامه ولام الابتداء وصلت بما بعدها وذلك لانه لا يصح الوقف عليها او بناء الكتابة على الوقف والابتداء ولذلك وجب وصل الكلمات التي لا يصح الابتداء بها بما قبلها كالضمائر البارزة المتصلة وعلامات التأنيث والتثنية فكل ما لا يوقف عليه وما لا يبدأ به يوصل بما بعده وبما قبله ولو صارت الكلمة بالتصرف على حرف واحد كالامر من وقى ومن وعى فانه يوصل بما بعده ان كان ضميرا لعدم صحة الوقف عليه وعدم صحة الابتداء بالضمير فيكون الوصل في مثله لمقتضيين

فلو وليه اسم ظاهر وجب ان تلحقه هاء السكت ويلفظ بها وقفا ووصلا الا اذا أجريت الوصل مجرى الوقف فلك الوجهان فى النطق بقول الشاعر

فه بالعقود وبالايمان لاسيما * عهد وفاء به من أعظم القرب

ويجب وصل المركبات المزجية كبعلبك ومعديكرب وقالى قلى وليس منها الاعداد المركبة كخمسة عشر فلا توصل نعم وصلوا ثلاث مئة الى تسعمائة والحق بالمركبات المزجية باب يومئذ اذا لم تضف كلمة اذ كما سبق التنبيه على رسمه وينبغى ان يتنبه للضمير الواقع بعد الكلمة هل هو منفصل أو متصل لاختلاف الحال فى الكتابة فليس حال يوم هم على النار يفتنون مثل حال يومهم الذى يوعدون وتوصل ما الاستفهامية بحرف جر ويضاف نحو مم وعم وفيم وبمقتضام فعلت كذا وتوصل ما الموصولة وما النكرة بمن وفى وعن فقط وتوصل ما الزائدة كافة وغير كافة مهيئة وغير مهيئة بما قبلها الا فى ايان ماومتى ما كقلما وطالما وانما وكأنما وربما وبما وأيما وتوصل ما المصدرية فى كلما جئتنى اكرمتك وأينما صنعت ومثلهما الا فى مثل ان ما صنعت معجب وضابط الوصل أن يكون معنى شرط أواستفهام وتوصل ما المصدرية بكلمة سى بمعنى مثل فى قولهم لاسيما وبكلمة مثل من نحو أسلمنا مثلما أسلمتم وبكلمة ريث كما فى قول الشنفرى

ولكن نفسا حرة لاتقيم بى * على الضيم الاريثما أتحول

مصدر رات أى بطأ ما فهو من المصادر الواقعة ظروفا بالنيابة عن المضاف المحذوف أى وقت ريث التحول وتوصل كلمة من شرطية أوغيرها بحرفى من وعن فقط مثل ممن انت ورضيت عمن رضيت عنه فلا ترسم النون بين الميمين وتوصل كلمة لا بهمزتى ان الشرطية وان الناصبة للفعل سواء صورتا ألفا أو ياء على ماسبق هذا ولما كانت الحروف الهجائية انما تدل على مادة اللفظ مست الحاجة لوضع علامات لبيان الحركات تسمى شكلا كما انهم لما اصطلحوا على تصوير بعض الحروف بغير صورها الاصلية أوعدم تصويرها احتاجوا أيضا العلامات تدل على المادة مثلا العلامة التى تسمى قطعة توضع فوق الهمزة القطعية والاحرف المصورة بها الهمزة وموضع الهمزة التى ليس لها صورة كما ان الاحرف لما اشترك بعضها فى الصورة لزم النقط لتمييز بعضها من بعض ولم يكن ذلك الا بتنبيه التحريف والتصحيف ومع الداعى الى هذه الاحترسات فربما لم يحافظوا عليها بل هو الاكثر ولذلك فسدت اللغة العربية وكانت هذه الاصطلاحات

غير مفيدة افادة الضبط الذى كان يلزم لحفظ صورة اللغة ومعرفة المنقوط من غيره من التعاليم الاولية غير ان الاصطلاح الرسمى يوجب التنبيه على ان هاء التانيث لا يجوز نقطها اذا وقعت طرفا فى سجع أو قافية وفى غير ذلك يجب نقطها بنقطتى التاء عند خوف اللبس والاجاز الامران وأن الياء اذا وقعت طرفا أو وسطا بدلا عن همزة لا تنقط كالفاء والقاف والنون اذا وقعت طرفا أو اذا كانت الياء وسطا محققة كمعايش وجب نقطها واذا كانت بدل همزة بعد كسرة ساكنة أو مفتوحة كبئر ومئة جاز فيها الامران

(كتابة الانشاء ويقال صناعة الترسل) وهى المسماة فى زماننا كتابة التحريرات أى الاتيان بالحر من الكلام فى مقابلة كتابة الاموال المسماة الآن كتابة الحسابات وهى تأليف كلام بأى لسان متميز عن المعتاد فى غرض من أغراض الشركة الانسانية وهى صناعة تقوى بقوة الدولة وتتسع باتساع أحوالها وعموم نشوة الفرح بين الناس لان أهل الصناعة اذذاك يشتغلون بابتداء المكاتبات عن أمرائهم والاجابة عنهم وتدور بينهم المخاطبات فى التهانى والتشكرات والتسليات والشفاعات والاستعطاف والعتاب والاعتذار الى غير ذلك من المعانى وقد بلغت الكتابة العربية حيث كانت الدولة عربية والايام فى اقبالها مبلغا جازته الكتابة التركية حيث قامت دولتها كما نطق بذلك عقلاء العارفين باللسانين وينبهك على شرف كتابة الانشاء ماناله أهلها من الرفعة ونباهة الذكر فقد كان اسم الوزير فى الدولة العباسية وما قارنها من الدول الاسلامية مختصا برئيس ديوان الرسائل وهو الديوان المعين لكتابة الانشاء المسمى فى زماننا بالمعية السنية فمن اشتهر بهذه الصناعة وكان وزير دولته ومدبر أمرها الربيع والفضل ابنه وبنو برمك يحيى وابناه الفضل وجعفر وبنو الفرات وغيرهم فى الدولة العباسية والاستاذ ابن العميد والصاحب ابن عباد اسماعيل وغيرهما فى سلطنة بنى بويه وعبد الرحيم المشهور بالقاضى الفاضل والعماد الاصبهانى فى سلطنة بنى أيوب وابن زيدون ولسان الدين ابن الخطيب بالمغرب كل أولئك سادوا بصنعة الكتابة وعلت أقدارهم حتى ألفت الكتب فى ذكر مناقبهم وأخبار أيامهم ونقل اسم الكتابة الى الفن المتعلق بها المعدود فى فنون الادب وعلوم العربية وهذا الفن عبارة عن تنبيهات ترشد من يريد أن يتعلم تلك الصناعة وليس كغيره من الفنون ذا قواعد مضبوطة بمعرفتها تكون نهاية العلم بها فان لمن يريد ان يتعلم الانشاء فى كيفية التعلم كما قاله ابن الاثير (طريقتين) احداهما ان يحفظ القرآن ويفهم معناه وجملة من الاحاديث والآثار

والاشعار مع تحصيل ما يلزم تحصيله من الفنون السابقة ثم يجتهد في الانشاء على نحو أساليب الكلام الذى حفظه فتارة يصيب وتارة يخطئ حتى يحكم لنفسه طريقة قال وهى أصعب الطريقتين (الطريقة الثانية) ان يزيد على ما تقدم الاطلاع على منشآت من تقدمه وحفظ الكثير منها واستعمال الفكر في انتقاد تراتيبها واختيار ما اختير في ابتدا آتها وانتها آتها ثم يأتي بما قدر عليه من اتباع أو اختراع اذا وعيت ذلك فاختصار ما أطال به المؤلفون في هذا الفن على تفاوتهم في ذلك يحسن أن يكون في ثلاث جهات

(الجهة الاولى) في ذكر ما يلزم تحصيله لمن يريد ان يكون منشأ

(الجهة الثانية) في أمور كلية

(الجهة الثالثة) في ذكر طرف من طرائف منشآت أذكياء أهل الصناعة

(الجهة الاولى) فيما يجب تحصيله على من يريد ان يكون كاتبا حسب ما كانت تقتضيه أحوال الازمنة السالفة يجب عليه ان يتوسع في حفظ منتقيات اللغة فاصلا بين مشتركها ومختصها ومتباينها ومترادفها ومتكافئها ومطلقها ومقيدها ملاحظا مجازاتها وكناياتها حتى اذا دفع لصفة خيل وسلاح وجيش أو صورة حرب وكيف بدأت وحمى فيها الوطيس وانتهت والنصر والهزيمة أو صفة غلمان وجوار أو حيوانات وحشية أو غير وحشية الى غير ذلك من المعانى التى يعرض للكاتب ان يصفها ويتسع في الكلام عليها لم يعجز ان يأتي بالعبارات الدالة على حقيقة الغرض الذى أخذ في تفهيمه وان يجيد معرفة النحو حتى يأمن بملاحظته حين يقرأ وحين يكتب من اللحن وقد كانوا يستقبحون اللحن جدا حتى ان بعض الملوك كالمأمون أبعد بلحنة عن الخدمة وقيل

النحو يبسط من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها عندى مقيم الالسن

وان يكن قد تغير الحال في ذلك حتى انه يحكى ان كاتبا كتب في صدر كتاب يخبر فيه عن تمام برج أمر السلطان ببنائه قد نجز ما أمر به أبو فلان فلما سمعه الامير المأمور بذلك العمل غضب على الكاتب وقال له تقول عن السلطان أبو وهى كلمة مبتذلة بألسنة العامة قل أبي فانها المناسبة للتعظيم فقال له الكاتب أبو فاعل حقه الرفع فقال الامير وهذه أعجب متى رأيت السلطان يحمل طينا أو حجرا حتى تقول انه فاعل فان ذلك لا يمنع

من

من تحصيل الفضيلة التى بها الشرف بين أهل الفضل وان يعرف التصريف حتى يأمن من الخطأ فى مثل أبنية المصادر والمصدر الميمى واسم المكان واسم الزمان والتانيث والتذكير والتثنية وصيغ الجموع والتصغير والنسب وان يحصل علوم البلاغة ليستعمل كل حال من أحوال التراكيب فى موضعها و يعرف متى تحسن الاستعارة والكناية والمجاز وكيف يستعمل المحسنات البديعة قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى فى كتابه حسن التوسل الى صناعة الترسل وهذه العلوم الثلاثة وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها أتمكن من أزمة المعانى وصناعة الكلام يقول عن علم و يتصرف عن معرفة و ينتقد بحجة و يتخير بدليل و يستحسن ببرهان و يصوغ الكلام بترتيب فقد أبان رحمه الله تعالى عموم الحاجة الى معرفة هذه العلوم ولم يقف عند استغناء الاذكياء عنها كما فعل ابن السبكى رحمه الله فى خطبة كتابه عروس الافراح شرح تلخيص المفتاح حيث قال اما أهل بالادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التى هى أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة فى المحيا الوسيم اكسبهم النيل تلك الحلاوة واشار اليهم باصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاعمار الاعمار ويرون فى مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلف فيه صيقل * من طبعه لم ينتفع بصقال

فيالها غنيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ولم يزحف اليها بعدو عيذية ولا بلحاق لاحق وانسكاب سكاب وأراد أكرم الله مثواه وأبلغه وافر حظه من رضاه أذكياء أهل مصر وجاراه فى ذلك أبو العباس أحمد القلقشندى حيث نقل ذلك فى كتابه صبح الاعشى وأورد استشهادا على ذلك بعض كلام من كلام عوامهم كقول بعضهم فى الزجل

قف نقولك يا فهيم * ما صنع وجد الغزال
أرخ ليل شعر لبهيم * وتلثم بالهلال
وكشف ذاك للثام * ورفع ليل لشعر
اهتتك فيه بالغرام * كل ما كان استتر

ويراعى فى النطق بالزجل اللحن المعتاد لحفظ الوزن ووزن هذا الزجل فاعلاتن فاعلات وان يحفظ القرآن الشريف متأملا مقاصد فصوله ومواقع آياته بعضها من بعض وحسن

الارتباط بينها حتى يكون له نورا يهتدى به فى طريقه التى يريد أن يسلكها وبعد ذلك فانه يستشهد بآياته بعد المقارنة بينهما وبين الاغراض التى يحاول انشاء الكلام لاجلها على ماشاء من المعانى ويحلى كتبه بالاقتباس منه فى مواضع الاقتباس على ماسبق التنبيه له فى علم البديع ويعتبر حسن الاقتباس بمثل قوله صلى الله عليه وسلم على ماحكاه فى تاريخه القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتاب لاكثم بن صيفى وقد كتب له عليه الصلاة والسلام يستعمله عن أمره حين شاع ذكر مبعثه وهذا نص الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى اكثم بن صيفى أحمد الله اليك ان الله أمرنى أن أقول لا اله الا الله أقولها وآمر الناس بها والخلق خلق الله والامر أمر الله خلقهم وأماتهم وهو يبشرهم ولتعلمن نبأه بعد حين وقول أبى بكر رضى الله عنه فى عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذاك علمى به وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وان يحفظ كثيرا من صحاح الاحاديث للاغراض التى لاجلها يحفظ القرآن وان يقرأ التواريخ التى يغلب عليها التحقيق كتاريخ الخطيب البغدادى وتاريخ الحافظ الذهبى وتاريخ ابن الاثير ليحكم فى الوقائع بحكم نظائرها ويعرف الاحوال الحاضرة بمعرفة أمثالها الغابرة وان يحفظ كثيرا من الامثال العربية وغيرها والاقوال الصادرة عن الحكماء فانها خزائن الحكم ومستودعات المعانى ومنها تعرف حسن الايجاز وبراعة العبارات وحيث كنت آخذا فى التعلم وجب ان نورد لك هنا زيادة على ماسبق فى البديع شيئا من الامثال والحكم لتكون لك داعية لطلب مثلها من مواضعها فمن الامثال العربية (ان من البيان لسحرا) قاله النبى صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه عمرو بن الاهتم والزبرقان ابن بدر وقيس بن عاصم فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الاهتم عن الزبرقان فقال عمر ومطاع فى أدنيه شديد العارضة أى البيان واللسن مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يارسول الله انه ليعلم منى اكثر من هذا ولكنه حسدنى فقال عمرو اما والله انه لزمر المروءة أى قليل ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال فرأى الغضب فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم لمكان التناقض فى كلامه فقال والله يارسول الله ماكذبت

فى

فى الاولى ولقد صدقت فى الاخرى ولكنى رجل رضيت فقلت أحسن ماعلمت وسخطت فقلت أقبح ما وجدت فقال عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا يعنى ان بعض البيان يعمل عمل السحر ومعنى السحر اظهار الباطل فى صورة الحق والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن وانما شبه بالسحر لحدة عمله فى سامعه وسرعة قبول القلب له يضرب فى استحسان المنطق وايراد الحجة البالغة

(ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)

المنبت المنقطع عن أصحابه فى السفر والظهر الدابة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه أى غارتا فلما رآه قال له ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ان المنبت أى الذى يجد فى سيره حتى ينبت أخيرا سماه بما تؤول اليه عاقبته كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون يضرب لمن يبالغ فى طلب الشئ ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه

(ان الموصين بنو سهوان)

يضرب عند التعجب من نسيان من وصى بعمل شئ بكثرة وقوعه والسهوان السهو أو الساهى وبنو السهو يكون كأبى الفضل وأخى الكرم وعلى كونه الساهى فالمراد به أبو البشر

(ان المعافى غير مخدوع)

يضرب لمن يخدع فلا ينخدع والمعنى أن من عوفى مما خدع به لم يضره ما كان خودع به وأصل المثل ان رجلا من بنى سليم يسمى قادحا كان فى زمن أمير يكنى أبا مظعون وكان فى ذلك الزمن رجل آخر من بنى سليم أيضا يقال له سليط وكان عاشق امرأة قادح فلم يزل بها حتى أجابته وواعدته فأتى سليط قادحا وقال انى علقت جارية لابى مظعون وقد واعدتنى فاذا دخلت عليه فاقعد معه فى المجلس فاذا أراد القيام فاسبقه فاذا انتهيت الى موضع كذا فاصفر حتى أعلم بمجيئك فاآخذ حذرى ولك كل يوم دينار فخدعه بهذا وكان أبو مظعون آخر الناس قياما من النادى ففعل قادح ذلك وكان سليط يختلف الى امرأته فجرى ذكر النساء يوما فذكر أبو مظعون جواريه وعفافهن فقال قادح وهو يعرض بأبى مظعون ربما غرّ الواثق وخدع الوامق وكذب الناطق وملت العاتق أى ربما سئمت الانثى من فحلها فعهرت ثم قال

لا تنطقن بأمر لا تيقنه * يا عمرو إن المعافى غير مخدوع

بوعمرو اسم أبي مظعون فعلم عمرو أنه يعرض به فلما تفرق القوم وثب على قادح فخنقه وقال أصدقني فحدثه قادح بالحديث فعرف أبو مظعون أن سليطا قد خدعه فأخذ عمرو بيد قادح ثم مر به على جواريه فاذاهن مقبلات على ماوكان به لم يفقد منهن واحدة ثم انطلق آخذا بيد قادح الى منزله فوجد سليطا قد افترس امرأته فقال له أبو مظعون ان المعافى غير مخدوع تهكما بقادح فأخذ قادح السيف وشد على سليط فهرب فلم يدركه ومال الى امرأته فقتلها

(ان الحديد بالحديد يفلح)

الفلح الشق ومنه الفلاح للحراث لانه يشق الارض أي يستعان في الامر الشديد بما يشاكله ويقاويه

(ان الدواهي في الآفات تهترس)

ويروى تهتس وهو قلب تهترس من الهرس وهو الدق يعني ان الآفات يموج بعضها في بعض ويدق بعضها بعضا كثرة يضرب عند اشتداد الزمان واضطراب الفتن وأصله ان رجلا مر بآخر وهو يقول يارب إمّا مهرة أو مهرا فأنكر عليه ذلك وقال لا يكون الجنين الا مهرة أو مهرا فلما ظهر الجنين كان مشياء الخلق مختلفه أي فيه شئ غير شئ فقال الرجل عند ذلك

قد طرّقت بجنين نصفه فرس * ان الدواهي في الآفات تهترس

(ان العصا من العصية)

قال أبو عبيد هكذا قال الاصمعي وأنا أحسبه العصية من العصا الا ان يراد ان الشئ الجليل يكون في بدء أمره صغيرا كما قالوا ان القرم من الافيل فيجوز حينئذ على هذا المعنى ان يقال العصا من العصية قال المفضل أوّل من قال ذلك الافعى الجرهمي وذلك ان نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر وايادا وربيعة وانمارا فقال يا بني هذه القبة الحمراء وكانت من أدم لمضر وهذا الفرس الادهم والخباء الاسود لربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء لاياد وهذه البدرة والمجلس لانمار يجلس فيه فان أشكل عليكم كيف تقتسمون فائتوا الافعى الجرهمي ومنزله بنجران فتشاجروا في ميراثه فتوجهوا الى الافعى الجرهمي فبينما هم في مسيرهم اليه اذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال ان البعير الذي رعى هذا لأعور وقال ربيعة انه لازور وقال اياد انه لابتر قال انمار انه لشرود فساروا قليلا فاذاهم برجل ينشد جمله فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو

أهو أبتر قال نعم قال انمار أهو شرود قال نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه قالوا والله ما رأيناه قال هذا والله الكذب وتعلق بهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير هؤلاء أخذوا جملي ووصفوا الى صفته ثم قالوا لم نره فاختصموا الى الافعى وهو حكم العرب فقال الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت انه أزور لانه أفسده لشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت انه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به وقال انمار عرفت انه شرود لانه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت انه شرود فقال للرجل ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من أنتم فأخبروه فرحب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم فقال أتحتاجون الى وأنتم كما أرى ثم أنزلهم فذبح لهم شاة وأتاهم بخمر وجلس لهم الافعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم فقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا ان شاته غذيت بلبن كلبة فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا ان حبلتها انبتت على قبر فقال اياد لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا انه ليس لابيه الذي يدعى له فقال انمار لم أر كاليوم كلاما انفع في حاجتنا من كلامنا وكان كلامهم باذنه فقال ما هؤلاء الا شياطين ثم دعا القهرمان فقال ما هذه الخمر وما أمرها قال هي من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها وقال للراعي ما أمر هذه الشاة قال هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وذلك ان أمها كانت قد ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته انها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له قالت فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلا عليه فخرج الافعى اليهم فقص القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فذهب بالدنانير والابل الحمر فسمي مضر الحمراء لذلك وقال واما صاحب الفرس الادهم والخباء الاسود فله كل شئ أسود فصارت لربيعة الخيل الدهم فقيل ربيعة الفرس وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لاياد فصار له الماشية البلق من الحبلق والنقد فسمي اياد الشمطاء وقضى لانمار بالدراهم وبما فضل فسمي انمار الفضل فصدروا من عنده على ذلك فقال الافعى ان العصا من العصية وان خشينا من أخشن ومساعدة الخاطل تعد من الباطل فأرسلهن مثلا وخشين وأخشن جبلان أحدهما أصغر من الآخر والخاطل

الجاهل والخطل فى الكلام اضطرابه والعصية تصغير تكبير مثل أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك والمراد انهم يشبهون أباهم فى جودة الرأى وقيل ان العصا اسم فرس والعصية اسم أمه يراد أنه يحكى الأم فى كرم العرق وشرف العتق

(ان البلاء موكل بالمنطق)

قال المفضل يقال ان أوّل من قال ذلك أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس قال حدثنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه فدفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدّم أبو بكر وكان نسابة فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة فقال أمن هامتها أم من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال فأى هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الاكبر قال أفمنكم عوف الذى يقال له لاحر بوادى عوف قالوا لا قال أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فلستم ذهلا الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال

ان على سائلنا ان نسأله * والعبء لا تعرفه أو تحمله

ياهذا انك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فمن الرجل أنت قال رجل من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال من تيم بن مرة قال أمكنت والله الرامى من صفا الثغرة أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا قال لا قال أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذى كأن فى وجهه قمرا يضيء ليل الظلام الداجى قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الندوة أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال واجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دغفل صادف درأ السيل درأ يصدعه اما والله لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش أوما أنا بدغفل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على قلت لابى بكر لقد وقعت من الاعرابى على باقعة قال أجل ان لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق

وفى

وفى قصة المثل امثال قوله *(لاحر بوادى عوف)* يتمثل به فى هضم من يتعاظم بنواحى من يقدر على قهره وقوله *(ان على ساءلنا ان نسأله)* ومحل التمثل به ظاهر وقوله *(والعبد لا تعرفه أو تحمله)* يتمثل به فى طلب الاختبار وترك الاكتفاء بما يبدو فان الشئ الذى تريد حمله فيكون عبأ ربما يكون كبيرا فى النظر خفيفا فى الوزن وربما كان ثقيل الوزن وهو صغير الحجم

(أم فرشت فأنامت)

يضرب فى بر الرجل بصاحبه قال قراد

وكنت له عما لطيفا ووالدا * رؤفا وأما مهدت فأنامت

(اذا ترضيت أخاك فلا أخالك)

الترضى الارضاء بجهد ومشقة يقول اذا ألجأك أخوك الى ان تترضاه وتداريه فليس هو بأخ لك

(ان ترد الماء بماء اكيس)

يتمثل به عند الامر بالاقتصاد فى المعيشة والمحافظة على قليله وان كان واثقا بحصول كثير له فى المستقبل وأصله فى المسافر عرف قربه من المنهل فاسرف فى استعمال ما حمل من الماء

(احدى حظيات لقمان)

الحظية تصغير الحظوة بفتح حائه وهى المرماة قال أبو عبيد هى التى لا نصل لها ولقمان هذا هو لقمان بن عاد وحديثه أنه كان بينه وبين رجلين من عاد يقال لهما عمرو وكعب ابنا تقن بن معاوية وكانا ربى ابل وكان لقمان رب غنم فأعجبت لقمان الابل فراودهما عنها فأبيا ان يبيعاه فعمد الى ألبان غنمه من ضأن ومعزى وأنافح من أنافح السخل فلما رأيا ذلك لم يلتفتا اليه ولم يرغبا فى ألبان الغنم فلما رأى ذلك لقمان قال اشتريا ها ابنى تقن أقبلت ميسا وأدبرت هيسا وملأت البيت أقطا وحيسا اشتريا ها ابنى تقن انها الضأن تجز جفالا وتنتج رخالا وتحلب كثبا ثقالا فقالا لا نشتريها يا لقم انها الابل حملن فاتسقن وجرين فأعنقن وبغير ذلك أفلتن يغزرن اذا قطن فلم يبيعاه الابل ولم يشتريا الغنم فجعل لقمان يداورهما وكانا يهابانه وكان يلتمس أن يغفلا فيشد على الابل ويطردها فلما كان ذات يوم أصابا أرنبا وهو يرصدهما رجاء أن يصيبهما فيذهب بالابل فأخذا صفيحة من الصفا فجعلها أحدهما فى يده ثم جعل عليها كومة من تراب قد أحمياه فملا الارنب فى ذلك التراب فلما أنضجاها نفضا عنها التراب فأكلاها فقال

لقمان ياويلتا أنيثنا كلاها أم الريح أقبلاها أم بالشيح اشتويا ها ولما رآهما لقمان
لا يغفلان عن ابلهما ولم يجد فيهما مطمعا القيهما ومع كل واحد منهما جفير مملوء نبلا
وليس معه غير نبلين فخدعهما فقال ما تصنعان بهذه النبل الكثيرة التى معكما انما هى
حطب فوالله ما أحمل معى غير نبلين فان لم اصب بهما فاست بمصيب فعمدا الى نبلهما
فنثراها غير سهمين فعمد الى النبل فحواها ولم يصب لقمان منهما بعد ذلك غرة وكان
فيما يذكرون لعمرو بن تقن امرأة فطلقها فتزوجها لقمان وكانت المرأة وهى عند لقمان
تكثر أن تقول لا فتى الا عمرو وكان ذلك يغيظ لقمان ويسوءه كثرة ذكرها فقال لقمان
لقد اكثرت فى عمرو فوالله لاقتلن عمرا فقالت لا تفعل وكانت لابنى تقن سمرة يستظلان
بها حتى تردا بلهما فيسقيانها فصعدها لقمان واتخذ فيها عشا رجاء ان يصيب من ابنى
تقن غرة فلما وردت الابل تجرد عمرو واكب على البئر يستقى فرماه لقمان من فوقه
بسهم فى ظهره فقال حس احدى حظيات لقمان فذهب مثلا ثم أهوى الى السهم
فانتزعه فوقع بصره على الشجرة فاذا هو بلقمان فقال انزل فنزل فقال استق بهذه الدلو
فزعموا ان لقمان لما أراد أن يرفع الدلو حين امتلأت نهض نهضة فضرط فقال له عمرو
اضرطا آخر اليوم وقد زال الظهر فأرسلها مثلا ثم ان عمرا أراد ان يقتل لقمان فتبسم
لقمان فقال عمرو أضاحك أنت قال لقمان ما أضحك الا من نفسى اما انى نهيت عما
ترى فقال ومن نهاك قال فلانة قال عمرو أفلى عليك ان وهبتك لها ان تعلمها ذلك قال نعم
فخلى سبيله فأتاها لقمان فقال لا فتى الا عمرو فقالت أقد لقيته قال نعم لقيته فكان
كذا وكذا ثم أسرنى فأراد قتلى ثم وهبنى لك قالت لا فتى الا عمرو يضرب لمن عرف بالشر
فاذا جاءت هنة من جنس أفعاله قيل احدى حظيات لقمان اى انه فعلة من فعلاته
الميس والهيس كالحيس بفتح فسكون صف مشى الغنم عند اقبالها من المراعى للبيوت
وهى بطان ممتلئة الضروع وعند ادبارها عن البيوت للراعى وهى خماص والجفال
كغراب الصوف الكثير والكثبة بضم فسكون ملء القدح والرخال بكسر الراء جمع رخلة
أورخل كذلك وهى الانثى ومن ولد الضأن

(انك خير من تفاريق العصا)

قالوا هذا من قول غنية الاعرابية لابنها وكان عارما كثير التلفت الى الناس مع ضعف
أسر ودقة عظم فواثب يوما فتى فقطع الفتى أنفه فأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها
بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها فزادت حسن حال ثم واثب آخر

فقطع

فقطع شفته فاخذت الدية فلما رأت ماصار عندها من الابل والغنم والمتاع وذلك من كسب جوارح ابنها حسن رأيها فيه وذكرته فى أرجوزتها فقالت

أحلف بالمروة حقا والصفا * انك خير من تفاريق العصا

قيل لاعرابى ما تفاريق العصا قال العصا تقطع ساجورا والسواجير تكون للكلاب وللاسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظاظا (ككتاب) خشبة تعقف لتجعل فى عروتى جوالقين فان جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبختى مهارا بكسر الميم وهو العود الذى يدخل فى انف البختى واذا فرق المهار جاءت منه تواد وهى الخشبة التى تشد على خلف الناقة اذا صرت هذا اذا كانت عصا فاذا كانت قناة فكل شق منها قوس بندق فان فرقت الشقة صارت سهاما فان فرقت السهام صارت حظاء فان فرقت الحظاء صارت مغازل فان فرقت المغازل شعب به الشعاب اقداحه المصدوعة وقصاعه المشقوقة على انه لايجد لها أصلح منها وأليق بها يضرب فيمن نفعه أعم من نفع غيره

(انما يعاتب الاديم ذو البشرة)

المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذى عليه الشعر أى ان ما يعاد الى الدباغ من الاديم ماسلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب قال الاصمعى كل ما كان فى الاديم محتمل ماسلمت البشرة فاذا نغلت البشرة بطل الاديم ومن هنا أخذ العتاب بين الاخوان لذكر الهفوات ثم الاعتذار أو الاعتراف والمسامحة والعود الى المصافاة فيكون ذلك بمنزلة دبغ الجلد لازالة فضلاته

(ان العصا قرعت لذى الحلم)

قيل ان اول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكنانى وذلك ان سعدا أتى النعمان بن المنذر ومعه خيل له قادها وأخرى عراها فقيل له لم عريت هذه وقدت هذه قال لم أقد هذه لامنعها ولم أعر هذه لاهبها ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال اما مطرها فغزير واما نبتها فكثير فقال له النعمان انك لقوال وان شئت أتيتك بما تعيا عن جوابه قال نعم فأمر وصيفا له ان يلطمه فلطمه لطمة فقال ما جواب هذه قال سفيه مأمور قال الطمه أخرى فلطمه قال ما جواب هذه قال لو أخذ بالاولى لم يعد للاخرى وانما أراد النعمان ان يتعدى سعد فى المنطق فيقتله قال الطمه ثالثة فلطمه قال ما جواب هذه قال رب يؤدب عبده قال الطمه أخرى فلطمه

قال ما جواب هذه قال ما بكت فأسجع فأرسلها مثلا قال النعمان أصبت فامكث عندي وأعجبه ما رأى منه فمكث عنده ما مكث ثم انه بدا للنعمان ان يبعث رائدا فبعث عمرا أخا سعد فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم لئن جاء ذامّا للكلأ أو حامدا له ليقتلنه فقدم عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد أتأذن ان أكلمه قال إذن يقطع لسانك قال فأشير اليه قال إذن تقطع يدك قال فأقرع له العصا قال فاقرعها فتناول سعد عصا جليسه وقرع بعصاه قرعة واحدة فعرف انه يقول له مكانك ثم قرع بالعصا ثلاث قرعات ثم رفعها الى السماء ومسح عصاه بالارض فعرف انه يقول له لم أجد جدبا ثم قرع العصا مرارا ثم رفعها شيئا وأومأ الى الارض فعرف انه يقول ولا نباتا ثم قرع العصا قرعة وأقبل نحو الملك فعرف انه يقول كلمه فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له أخبرني هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا فقال عمرو لم أذمم هزلا ولم أحمد بقلا الارض مشكلة لا خصبها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف قال الملك أولى لك فقال سعد بن مالك يذكر قرع العصا

قرعت العصا حتى تبين صاحبي * ولم تك لولا ذاك في القوم تقرع
فقال رأيت الارض ليست بمحل * ولا سارح فيها على الرعي يشبع
سواء فلا جدب فيعرف جدبها * ولا صابها غيث غزير فتمرع
فنجيا بها حوباء نفس كريمة * وقد كاد لولا ذاك فيهم تقطع

هذا قول بعضهم وقال آخرون في قولهم ان العصا قرعت لذي الحلم ان ذا الحلم هذا هو عامر بن الظرب العدواني وكان من حكماء العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئا فقال لبنيه انه قد كبرت سني وعرض لي سهو فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا وقيل كانت له جارية يقال لها خصيلة فقال لها اذا أنا خولطت فاقرعي لي العصا وأتي عامر بخنثى ليحكم فيه فلم يدر ما الحكم فجعل ينحر لهم ويطعمهم ويدافعهم بالقضاء فقالت خصيلة ما شأنك قد أتلفت مالك فخبرها انه لا يدري ما حكم الخنثى فقالت أتبعه مباله قال الشعبي فحدثني ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سنة فيه وعامر هو الذي يقول

أرى شعرات على حاجبي * بيضا نبتن جميعا تؤاما
ظللت أهاهي بهن الكلاب * أحسبهن صوارا قياما

واحسب

واحسب أني اذا ماشيت شخصا امامي رآني فقاما

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذي يقول

تقول ابنتي لما رأتني كأنني * سليم أفاعي ليله غير مودع
وما الموت أفناني ولكن تتابعت * على سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين قد مررن كواملا * وها أنا هذا أرتجي مر أربع
فأصبحت مثل النسر طارت فراخه * اذا رام تطيارا يقال له قع
أخبر اخبار القرون التي مضت * ولابد يوما ان يطار بمصرعي

قال ابن الاعرابي أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني وربيعة تقول بل هو قيس بن خالد بن ذي الجدين وتميم تقول بل هو ربيعة بن مخاشن أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم واليمن تقول بل هو عمرو بن حممة الدوسي قال وكانت حكام تميم في الجاهلية أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وضمرة بن ضمرة غير ان ضمرة حكم فأخذ رشوة فغدر وحكم قيس عامر بن الظرب وغيلان بن سلمة الثقفي وكانت له ثلاثة أيام يوم يحكم فيه بين الناس ويوم ينشد فيه شعره ويوم ينظر فيه الى جماله وجاء الاسلام وعنده عشر نسوة فخيره النبي صلى الله عليه وسلم فاختار أربعا فصارت سنة وحكام قريش عبد المطلب وأبو طالب والعاصي بن وائل وحكيمات العرب صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذي يقال له ذو الحلم قال المتلمس يريده

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما *

والمثل يضرب لمن اذا نبه انتبه

(أنا النذير العريان)

قال ابن الكلبي كان من حديث النذير العريان ان أبا دؤاد الشاعر كان جارا للمنذر بن ماء السماء وان أبا دؤاد نازع رجلا بالحيرة من بهراء يقال له رقبة بن عامر فقال له رقبة صالحني وحالفني قال أبو دؤاد فمن أين تعيش أبا دؤاد فوالله لولا ما تصيب من بهراء لهلكت ثم افترقا على تلك الحالة وان أبا دؤاد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة الى الشام فبلغ ذلك رقبة فبعث الى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دؤاد عند المنذر وأخبرهم ان القوم ولد أبي دؤاد فخرجوا الى الشام فقتلوهم وبعثوا برؤسهم الى رقبة فلما أتته الرؤس صنع طعاما كثيرا ثم أتى المنذر فقال له قد اصطنعت لك طعاما فأنا أحب أن تتغدى عندي

وأتاه المنذر وأبو دؤاد معه فبينا الجفان ترفع وتوضع اذ جاءت جفنة عليها أحد رؤس بني أبي دؤاد فقال أبو دؤاد أبيت اللعن اني جارك وقد ترى ما صنع بي وكان رقبة جار المنذر قال فوقع المنذر منهما في سوأة وأمر برقبة فحبس وقال لابي دؤاد ما يرضيك قال ان تبعث بكتيبتيك الشهباء والدوسر اليهم فقال له المنذر قد فعلت فوجه اليهم الكتيبتين قال فلما رأى ذلك رقبة من صنع المنذر قال لامرأته الحقي بقومك فأنذريهم فعمدت الى بعض ابل البهراني فركبته ثم خرجت حتى أتت قومها فعرفت ثم قالت أنا النذير العريان فأرسلتها مثلا لا يعرف القوم ما تريد فصعدوا الى علياء الشام وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحدا فقال المنذر لابي دؤاد قد رايت ما كان منهم أفيسكتك عني ان أعطيك بكل رأس مائتي بعير قال نعم فأعطاه ذلك وفيه يقول قيس ابن زهير العبسي

سأفعل ما بدا لي ثم آوي * الى جار كجار أبي دؤاد

وقال غيره انما قالوا النذير العريان لان الرجل اذا رأى الغارة قد فجأتهم وأراد انذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها ليعلم أنه قد فجأهم أمر ثم صار مثلا لكل أمر تخاف مفاجأته ولكل أمر لا شبهة فيه

(اياك أعني واسمعي يا جاره)

أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري وذلك انه خرج يريد النعمان فمر ببعض احياء طيء فسأل عن سيد الحي فقيل له حارثة بن لأم فأم رحله فلم يصبه شاهدا فقالت له أخته انزل في الرحب والسعة فنزل فأكرمته ولاطفته ثم خرجت من خبائها فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها فوقع في نفسه منها شيء فجعل لا يدري كيف يرسل اليها ولا ما يوافقها من ذلك فجلس بفناء الخباء يوما وهي تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يا أخت خير البدو والحضاره * كيف ترين في فتى فزاره

أصبح يهوى حرة معطاره * اياك أعني واسمعي يا جاره

فلما سمعت قوله عرفت انه اياها يعني فقالت ماذا بقول ذي عقل أريب ولا رأي مصيب ولا أنف نجيب فأقم ما أقمت مكرما ثم ارتحل متى شئت مسلما ويقال اجابته نظما فقالت

اني أقول يا فتى فزاره * لا أبتغي الزوج ولا الدعاره

ولا فراق أهل هذي الجاره * فارحل الى أهلك باستخاره

فاستحيا

فاستحيا الفتى وقال ما أردت منكرا واسوأتاه قالت صدقت فكأنها استحيت من تسرعها الى تهمته فارتحل فأتى النعمان فحياه وأكرمه فلما رجع نزل على أخيها فبيناهو مقيم عندهم تطلعت اليه نفسها وكان جميلا فأرسلت اليه ان اخطبني ان كان لك الى حاجة يوما من الدهر فاني سريعة الى ماتريد فخطبها وتزوجها وسار بها الى قومه يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره

(ان غدا لناظره قريب)

أي لمنتظره يقال نظرته أي انتظرته وأول من قال ذلك قراد بن أجدع وذلك ان النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليحموم فأجراه على أثر عير فذهب به الفرس في الارض ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه واخذته السماء فطلب ملجأ يلجأ اليه فدفع الى بناء فاذا فيه رجل من طي يقال له حنظلة ومعه امرأة له فقال لهما هل من مأوى فقال حنظلة نعم فخرج اليه فأنزله ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان فقال لامرأته أرى رجلا ذا هيئة وما أخلقه ان يكون شريفا خطيرا فما الحيلة قالت عندي شئ من طحين كنت ادخرته فاذبح الشاة لاتخذ من الطحين ملة قال فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملة وقام الطائي الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شرابا فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال يا أخا طي اطلب ثوابك أنا الملك النعمان قال أفعل ان شاء الله ثم لحق الخيل فمضى نحو الحيرة ومكث الطائي بعد ذلك زمانا حتى أصابته نكبة وجهد وساءت حاله فقالت له امرأته لو أتيت الملك لاحسن اليك فاقبل حتى انتهى الى الحيرة فوافق يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف في خيله في السلاح فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه مكانه فوقف الطائي المنزول به بين يدي النعمان فقال له أنت الطائي المنزول به قال نعم قال أفلا جئت في غير هذا اليوم قال أبيت اللعن وما كان علمي بهذا اليوم قال والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس ابني لم أجد بدا من قتله فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتول قال أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي قال النعمان انه لا سبيل اليها قال فان كان لا بد فأجلني حتى ألم بأهلي فأوصي اليهم وأهيئ حالهم ثم أنصرف اليك قال النعمان فأقم لي كفيلا بموافاتك فالتفت الطائي الى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان وكان يكنى أبا الحوفزان وكان صاحب الردافة وهو واقف بجنب النعمان فقال له

يا شريكا يا ابن عمرو * هل من الموت محاله
يا أخا كل مضاف * يا أخا من لا أخاله *
يا أخا النعمان فك الـ * يوم ضيفا قد أتى له
طال ما عالج كرب الـ * موت لا ينعم باله *

فأبى شريك ان يتكفل به فوثب اليه رجل من كلب يقال له قراد بن أجدع فقال للنعمان أبيت اللعن هو على قال النعمان أفعلت قال نعم فضمنه اياه ثم أمر للطائى بخمسمائة ناقة فمضى الطائى الى أهله وجعل الاجل حولا من يومه ذلك الى مثل ذلك اليوم من قابل فلما حال عليه الحول وبقى من الاجل يوم قال النعمان لقراد ما أراك الا هالكا غدا فقال قراد

فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غدا لناظره قريب

فلما أصبح النعمان ركب فى خيله ورجله متسلحا كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأخرج معه قرادا وأمر بقتله فقال له وزراؤه ليس لك ان تقتله حتى يستوفى يومه فتركه وكان النعمان يشتهى ان يقتل قرادا ليفلت الطائى من القتل فلما كادت الشمس تجب وقراد قائم مجرد فى ازار على النطع والسياف الى جنبه أقبلت امرأته وهى تقول

أيا عين بكى لى قراد بن أجدعا * رهينا لقتل لا رهينا مودعا
أتته المنايا بغتة دون قومه * فأمسى أسيرا حاضر البيت أضرعا

فبينما هم كذلك اذ رفع لهم شخص من بعيد وقد أمر النعمان بقتل قراد فقيل له ليس لك ان تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو فكف حتى انتهى اليهم الرجل فاذا هو الطائى فلما نظر اليه النعمان شق عليه مجيئه فقال له ما حملك على الرجوع بعد افلاتك من القتل قال الوفاء قال وما دعاك الى الوفاء قال دينى قال النعمان وما دينك قال النصرانية قال النعمان فاعرضها على فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهل الحيرة أجمعون وكان قبل ذلك على دين العرب فترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائى وقال والله ما أدرى أيهما أوفى وأكرم أهذا الذى نجا من القتل فعاد أم الذى ضمنه والله لا أكون ألأم الثلاثة فأنشأ الطائى يقول

ما كنت أخلف ظنه بعد الذى * أسدى الى من الفعال الخالى
ولقد دعتنى للخلاف ضلالتى * فأبيت غير تمجدى وفعالى

انى

إنى امرؤ منى الوفاء سجية * وجزاء كل مكارم بذال

وقال أيضا يمدح قرادا

ألا كل ما يسمو الى المجد والعلى * مخاريق أمثال القراد بن أجدعا
مخاريق أمثال القراد وأهله * فانهم الاخيار من رهط تبعا

(ان أخاك من آساك)

يقال آسيت فلانا بمالى أو غيره اذا جعلته اسوة لك و واسيت لغة فيه ومعنى المثل ان أخاك حقيقة من قدمك وآثرك على نفسه يضرب فى الحث على مراعاة الاخوان وأول من قال ذلك خزيم بن نوفل الهمدانى وذلك أن النعمان بن ثواب العبدى ثم الشنى كان له بنون ثلاثة سعد وسعيد وساعدة وكان أبوهم ذا شرف وحكمة وكان يوصى بنيه ويحملهم على أدبه اما ابنه سعد فكان شجاعا بطلا من شياطين العرب لا يقام لسبيله ولم تفته طلبته قط ولم يفر عن قرن وأما سعيد فكان يشبه أباه فى شرفه وسودده وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى واخوان فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعدا وكان صاحب حرب فقال يا بنى ان الصارم ينبو والجواد يكبو والاثر يعفو فاذا شهدت حربا فرأيت نارها تستعر وبطلها يخطر وبحرها يزخر وضعيفها ينصر وجبانها يجسر فاقلل المكث والانتظار فان الفرار غير عار اذا لم تكن طالب ثار فانما ينصرون هم واياك ان تكون صيد رماحها ونطيح نطاحها وقال لابنه سعيد وكان جوادا يا بنى لا يبخل الجواد فابذل الطارف والتلاد وأقلل التلاح تذكر عند السماح وابل اخوانك فان وفيهم قليل واصنع المعروف عند محتمله وقال لابنه ساعدة وكان صاحب شراب يا بنى ان كثرة الشراب تفسد القلب وتقلل الكسب وتجد اللعب فأبصر نديمك واحم حريمك وأعن غريمك واعلم ان الظمأ القامح خير من الرى الفاضح وعليك بالقصد فان فيه بلاغا ثم ان أباهم النعمان بن ثواب توفى فقال ابنه سعيد وكان جوادا سيدا لآخذن بوصية أبى ولابلون اخوانى وثقاتى فى نفسى فعمد الى كبش فذبحه ثم وضعه فى ناحية خبائه وغشاه ثوبا ثم دعا بعض ثقاته فقال يا فلان ان أخاك من وفى لك بعهده وحاطك برفده ونصرك بوده قال صدقت فهل حدث أمر قال نعم انى قتلت فلانا وهو الذى تراه فى ناحية الخباء ولا بد من التعاون عليه حتى يوارى فما عندك قال يا لها سوأة وقعت فيها قال فانى أريد أن تعيننى عليه حتى أغيبه قال لست لك فى هذا بصاحب فتركه وخرج فبعث الى آخر من ثقاته فأخبره

بذلك وسأل معونته فرد عليه مثل ذلك حتى بعث الى عدد منهم كلهم يرد عليه مثل جواب الاول ثم بعث الى رجل من اخوانه يقال له خزيم بن نوفل قال له يا خزيم مالى عندك قال ما يسرك وماذاك قال انى قتلت فلانا وهو الذى تراه مسجى قال أيسر خطب فتريد ماذا قال أريد أن تعيننى حتى أغيبه قال هان ما فزعت فيه الى أخيك وغلام سعيد قائم معهما فقال له خزيم هل اطلع على هذا الامر أحد غير غلامك هذا قال لا قال انظر ما تقول قال ما قلت الا حقا فأهوى خزيم الى غلامه فضربه بالسيف فقتله وقال ليس عبد باخ لك فأرسلها مثلا وارتاع سعيد وفزع لقتل غلامه فقال ويحك ما صنعت وجعل يلومه فقال خزيم ان أخاك من آساك فأرسلها مثلا قال سعيد فانى أردت تجربتك ثم كشف عن الكبش وخبره بما لقى من اخوانه وثقاته وما ردوا عليه فقال خزيم سبق السيف العذل فذهبت مثلا

(ألا من يشترى سهرا بنوم)

قالوا ان أول من قال ذلك ذو رعين الحميرى وذلك ان حميرا تفرقت على ملكها حسان وخالفت أمره لسوء سيرته فيهم ومالوا الى أخيه عمرو وحملوه على قتل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغبوه فى الملك ووعدوه حسن الطاعة والموازرة فنهاه ذو رعين من بين حمير عن قتل أخيه وعلم انه ان قتل أخاه ندم ونفر عنه النوم وانتقض عليه أموره وانه سيعاقب الذى أشار عليه بذلك ويعرف غشهم له فلما رأى ذو رعين انه لا يقبل ذلك منه وخشى العواقب قال هذين البيتين وكتبهما فى صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لى عندك الى أن أطلبها منك فأخذها عمرو فدفعها الى خازنه وأمره برفعها الى الخزانة والاحتفاظ بها الى أن يسأل عنها فلما قتل أخاه وجلس مكانه فى الملك منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما اشتد ذلك عليه لم يدع بالين طبيبا ولا كاهنا ولا منجما ولا عرافا ولا عائفا الا جمعهم ثم أخبرهم بقصته وشكا اليهم ما به فقالوا له ما قتل رجل أخاه أو ذا رحم منه على نحو ما قتلت أخاك الا أصابه السهر ومنع منه النوم فلما قالوا له ذلك أقبل على من كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من اقيال حمير فقتلهم حتى أفناهم فلما وصل الى ذى رعين قال له أيها الملك ان لى عندك براءة مما تريد أن تصنع بى قال وما براءتك وأمانك قال مر خازنك ان يخرج الصحيفة التى استودعتكها يوم كذا وكذا فأمر خازنه فأخرجها فنظر الى خاتمه عليها ثم فضها فاذا فيها

ألا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم قال أيها الملك قد نهيتك عن قتل أخيك وعلمت انك ان فعلت ذلك أصابك الذى قد أصابك فكتبت هذين البيتين براءة لى عندك مما علمت انك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك فقبل ذلك منه وعفا عنه وأحسن جائزته يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية

(ان كنت كذوبا فكن ذكورا)

يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيحدث بخلاف ذلك

(اذا اشتريت فاذكر السوق)

يعنى اذا اشتريت فاذكر البيع لتجتنب العيوب

(بلغ السيل الزبى)

هى جمع زبية وهى حفرة تحفر للاسد اذا أرادوا صيده وأصلها الرابية لا يعلوها الماء فاذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا يضرب لمن جاوز الحد قال المؤرج حدثنى سعيد ابن سماك بن حرب عن أبيه عن ابن المعتمر قال أتى معاذ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد فى زبية فلم يدر كيف يفتيهم فسأل عليا رضى الله عنه وهو محتب بفناء الكعبة فقال قصوا على خبركم قالوا صدنا أسدا فى زبية فاجتمعنا عليه فتدافع الناس عليه فرموا برجل فيها فتعلق الرجل بآخر وتعلق الآخر بآخر فهووا فيها ثلاثتهم فقضى فيها على رضى الله عنه ان للاول ربع الدية وللثانى النصف وللثالث الدية كلها فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بقضائه فقال لقد أرشدك الله للحق

(بخ بخ ساق بخلخال)

بخ كلمة يقولها المتعجب من حسن الشئ وكماله الواقع موقع الرضاء كانه قال ما أحسن ما أراه وهو ساق محلاة بخلخال ويجوز أن يريد بالباء معنى مع فيكون التعجب من حسنهما يضرب فى التهكم والهزء من شئ لا موضع للتهكم فيه وأول من قال ذلك الورثة بنت ثعلبة امرأة ذهل بن شيبان بن ثعلبة وذلك ان رقاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة طلقها زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة فتزوجها ذهل بن شيبان زوج الورثة ودخل بها وكانت الورثة لا تترك له امرأة الا ضربتها وأجلتها فخرجت رقاش يوما وعليها خلخالان فقالت الورثة بخ بخ ساق بخلخال فذهبت مثلا فقالت

رقاش أجل ساق بخلخال لا كخلخالك المختال فوثبت عليها الورثة لتضربها فضبطتها رقاش وضربتها وغلبتها حتى عجزت عنها فقالت الورثة

يا ويح نفسي اليوم أدركني الكبر * أأبكي على نفسي العشية أم أذر
فوالله لو أدركت في بقية * للاقيت مالاقى صواحبك الأخر

فولدت رقاش لذهل بن شيبان مرة وأبا ربيعة ومحلما والحارث بن ذهل

(أبلغ من قس)

هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن اياد بن نزار الايادي وكان من حكماء العرب واعقل من سمع به منهم وهو أول من كتب من فلان الى فلان وأول من أقر بالبعث من غير علم وأول من قال أما بعد وأول من قال البينة على من ادعى واليمين على من أنكر وقد عمر مائة وثمانين سنة قال الاعشى

وأبلغ من قس وأجرى من الذي * بذي الغيل من خفان أصبح خادرا

وأخبر عامر بن شراحيل الشعبي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان وفد بكر ابن وائل قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من حوائجهم قال هل فيكم أحد يعرف قس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا نعرفه قال فما فعل قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني به على جمل أحمر بعكاظ قائما يقول أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا كل من عاش مات وكل من مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع وبحار تموج وتجارة تروج وليل داج وسماء ذات أبراج اقسم قس حقا لئن كان في الارض رضا ليكونن بعده سخط وان لله عزت قدرته دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ثم أنشد أبو بكر رضي الله عنه شعرا حفظه له وهو قوله

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * يسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي * ولا من الباقين غابر
أيقنت اني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

*(ابخل

(أبخل من مادر)

هو رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة وبلغ من بخله انه سقى ابله فبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادرا لذلك واسمه مخارق قال أبو الندى وذكروا أن بنى فزارة وبنى هلال بن عامر تنافروا الى أنس بن مدرك الخثعمى وتراضوا به فقالت بنو عامر يابنى فزارة اكلتم أير حمار فقالت بنو فزارة قد اكلنا ولم نعرفه وحديث ذلك ان ثلاثة نفر اصطحبوا فزارى وثعلبى وكلابى فصادوا حمارا ومضى الفزارى فى بعض حاجته فطبخا وأكلا وخبئا للفزارى جردان الحمار فلما رجع الفزارى قالا قد خبأنا لك فكل فأقبل يأكله ولا يكاد يسيغه فقال أكل شواء العير جوفان يعنى به الذكر وجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقال لتأكلانه أو لاقتلنكما ثم قال لاحدهما وكان اسمه مرقة كل منه فأبى فضربه فأبان رأسه فقال الآخر طاح مرقة فقال الفزارى وأنت ان لم تلقمه قال محمد بن حبيب أراد ان لم تلقمها فلما ترك الالف التى الفتحة على الميم قبل الهاء كما قالوا ويلم الحيرة وأى رجال به أى بها قلت انما قدر الهاء فى تلقمها ارادة المضغة أو البضعة والافاليس فى الكلام الذى مضى تأنيث ترجع الهاء اليه فقالت بنو فزارة ولكن منكم يابنى هلال من قرى فى حوضه فسقى ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بخلا به ان يشرب فضله فقضى أنس بن مدرك على الهلاليين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها وفى بنى فزارة يقول الكميت بن ثعلبة والكميت من الشعراء ثلاثة أقدمهم هذا ثم كميت بن معروف ثم كميت بن زيد وكلهم من بنى أسد

نشدتك يافزار وأنت شيخ * اذا خيرت تخطئ فى الخيار
أصيحانية أدمت بسمن * أحب اليك أم أير الحمار
بلى أير الحمار وخصيتاه * أحب الى فزارة من فزار

فحذف الهاء من فزارة كما تحذف فى الترخيم وان كان هذا فى غير النداء ويجوز ان يكون أراد من فزارى فخفف ياء النسبة وفى بنى هلال يقول الشاعر

قد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها * بنى عامر انتم شرار المعاشر

وفى بنى فزارة يقول ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

لا تأمننه ولا تأمن بوائقه * بعد الذي امتل أير العير في النار
أطعمتم الضيف جوفانا مخاتلة * فلا سقاكم إلهي الخالق الباري

قال حمزة وحدثني أبو بكر بن دريد قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة انه قرأ عليه حديث مادر فضحك قال فقلت له ما الذي أضحكك فقال تعجبي من تسيير العرب الامثال لها لوسير واماهو وأهم منها لكان أبلغ لها قلت مثل ماذا قال مثل مادر هذا جعلوه علما في البخل بفعلة تحتمل التاويل وتركوا مثل ابن الزبير مع ما يؤثر على لفظه وفعله من دقائق البخل فتركوه كالغفل من ذلك انه نظر الى رجل من أصحابه وهو يومئذ خليفة يقاتل الحجاج بن يوسف على دولته وقد دق الرجل في صدور أهل الشام ارماحا فقال له ياهذا اعتزل عن حربنا فان بيت المال لا يقوى على هذا وقال في تلك الحرب لجماعة من جنده أكلتم تمري وعصيتم أمري وسمع أن مالك بن أشعر الرزامي من بني مازن أكل من بعير وحده وحمل ما بقي على ظهره فقال دلوني على قبره أنبشه وقال لرجل أتاه مجتديا وقد أبدع به فشكا اليه حفا ناقته قال اخصفها بهلب وارقعها بسبت وأنجد بها يبرد خفها فقال الرجل يا أمير المؤمنين جئتك مستوصلا ولم آتك مستوصفا فلا بقيت ناقة حملتني اليك فقال إن وصاحبها ولهذا الرجل فيه شعر قد نسي قلت وفي بعض النسخ من كتاب افعل كان هذا الرجل عبد الله بن فضالة الاسدي ولما انصرف من عنده قال

أرى الحاجات عند أبي خبيب * نكدن ولا أمية بالبلاد
ومالي حين أقطع ذات عرق * الى ابن الكاهلية من معاد

في أبيات وابن الكاهلية هو عبد الله بن الزبير لان جدة من جداته كانت من بني كاهل فلما بلغ الشعر ابن الزبير قال لوعلم لي اما الام من عمته اسبني بها قال أبو عبيدة فلو تكلف الحارث بن كلدة طبيب العرب أو مالك بن زيد مناة وحنيف الحناتم ابلا العرب من وصف علاج ناقة الاعرابي ما تكلفه هذا الخليفة لما كانوا يعشرونه وكان مع هذا يا كل في كل أسبوع أكلة ويقول في خطبته انما بطني شبر في شبر وعندي ماعسى يكفيني فقال فيه الشاعر

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة * لا نبك منك على دنيا ولا دين

(تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها)

أي لا تكون ظئرا وان أذاها الجوع ويروى ولا تاكل ثدييها وأول من قال ذلك الحارث ابن

ابن سليل الاسدى وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائى فزاره فنظر الى ابنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها فاعجب بها فقال له أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب فقال له علقمة أنت كفؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم ننظر فى أمرك ثم انكفأ الى أمها فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا وقد خطب الينا الزباء فلا ينصرفن الا بحاجته فقالت امرأته لابنتها أى الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الواصل المناح أم الفتى الوضاح قالت لا بل الفتى الوضاح قالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يميرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن قالت يا أمتاه ان الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا قالت أى بنية ان الفتى شديد الحجاب كثير العتاب قالت ان الشيخ يبلى شبابى ويدنس ثيابى ويشمت بى أترابى فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الابل وخادم وألف درهم فابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى الى جانبه اذ أقبل اليه شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست صعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء فقال لها ما يبكيك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال لها ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها قال أبو عبيد فان كان الاصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر لا تأكل ثدييها وكان بعض العلماء يقول هذا لا يجوز وانما هو لا تأكل بثدييها قلت كلاهما فى المعنى سواء لان معنى لا تأكل ثدييها الا تأكل اجرة ثدييها ومعنى بثدييها أى لا تعيش بسبب ثدييها وبما يغلان عليها ثم قال الحارث لها أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها فالحقى باهلك فلا حاجة لى فيك وقال

تهزأت ان رأتنى لابسا كبرا * وغاية الناس بين الموت والكبر
فان بقيت لقيت الشيب راغمة * وفى التعرف ما يمضى من العبر
وان يكن قد علا رأسى وغيره * صرف الزمان وتغيير من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جذلا * وقد أصيب بها عينا من البقر
عنى اليك فانى لا توافقنى * عور الكلام ولا شرب على الكدر

يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال

(تطلب أثرا بعد عين)

العين المعاينة يضرب لمن ترك شيئا يراه ثم تبع أثره بعد فوت عينه قال الباهلى أول

من قال ذلك مالك بن عمرو العاملى وفى كتاب أبى عبيد مالك بن عمرو الباهلى قال وذلك ان بعض ملوك غسان كان يطلب فى عاملة ذحلا فاخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو فاحتبسهما عنده زمانا ثم دعاهما فقال لهما انى قاتل أحدكما فايكما أقتل فجعل كل واحد منهما يقول اقتلنى مكان أخى فلما رأى ذلك قتل سماكا وخلى سبيل مالك فقال سماك حين ظن انه مقتول

ألا من شجت ليلة عامده * كما أبدا ليلة واحده

فابلغ قضاعة ان جئتهم * وخص سراة بنى ساعده

وأبلغ نزارا على نايها * بان الرماح هى العائده

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده

برأس سبيل على مرقب * ويوما على طرق وارده

فام سماك فلا تجزعى * فللموت ما تلد الوالده *

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده

فسمعت بذلك أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج فى الطلب باخيك فخرج فى الطلب فلقى قاتل أخيه يسير فى ناس من قومه فقال من أحس لى الجمل الاحمر فقالوا له وعرفوه يا مالك لك مئة من الابل فكف فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله وقال فى ذلك

* يا راكبا بلغا ولا تدعا * بنى قمير وان هم جزعوا

فليجدوا مثل ما وجدت فقد * كنت حزينا قد مسنى وجع

لا أسمع اللهو فى الحديث ولا * ينفعنى فى الفراش مضطجع

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا * وجد عجول أضلها ربع

ولا كبير أضل ناقته * يوم توافى الحجيج واجتمعوا

ينظر فى أوجه الركاب فلا * يعرف شيئا والوجه ملتمع

جللته صارم الحديدة كالملح وفيه سفاسق لمع *

بين ضمير وباب جلق فى * أثوابه من دمائه دفع *

* أضربه باديا نواجذه * يدعو صداه والرأس منصدع

بنى قمير قتلت سيدكم * فاليوم لا رنة ولا جزع *

فاليوم

فاليوم قتناعلى السواء فان * تحوو افدهري ودهركم جرع

السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهي نقط تلمع في صفائه

(تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)

ويروى لان تسمع بالمعيدي خير وان تسمع ويروى تسمع بالمعيدي لا أن تراه والمختار أن تسمع يضرب لمن خبره خير من مرآه ودخل الباء على تقدير تحدث به خبير قال المفضل أول من قال ذلك المنذر بن ماء السماء وكان من حديثه ان كبيش بن جابر أخا ضمرة ابن جابر من بني نهشل كان عرض لامة لزرارة بن عدس يقال لها رشية كانت سبية أصابها زرارة من الرفيدات وهم حي من العرب فولدت له عمرا وذؤيبا وبرغوثا فمات كبيش وترعرع الغلمة فقال لقيط بن زرارة يا رشية من أبو بنيك قالت كبيش بن جابر قال فاذهبي بهؤلاء الغلمة فعيسى بهم وجه ضمرة وخبريه من هم وكان لقيط عدوا لضمرة فانطلقت بهم الى ضمرة فقال ما هؤلاء قالت بنو أخيك فانتزع منها الغلمة وقال الحقي باهلك فرجعت فاخبرت أهلها بالخبر فركب زرارة وكان رجلا حليما حتى أتى بني نهشل فقال ردوا على غلمتي فسبه بنو نهشل وأهجروا له فلما رأى ذلك انصرف فقال له قومه ماصنعت قال خيرا ما أحسن مالقيني به قومي فمكث حولا ثم أتاهم فاعادوا عليه أسوأ ما كانوا قالوا له فانصرف فقال له قومه ماصنعت قال خيرا قد أحسن بنو عمي وأجملوا فمكث بذلك سبع سنين يأتيهم في كل سنة فيردونه بأسوإ الرد فبينما بنو نهشل يسيرون ضحى اذ لحق بهم لاحق فاخبرهم ان زرارة قد مات فقال ضمرة يا بني نهشل انه قد مات حليم اخوتكم اليوم فاتقوهم بحقهم ثم قال ضمرة لنسائه قفن أقسم بينكن الثكل وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان وامرأة يقال لها خليدة من بني عجل وسبية من عبد القيس وسبية من الازد من بني طمثان وكان لهن أولاد غير خليدة فقالت لهند وكانت لها مصافية ولي الثكل بنت غيرك ويروى ولي الثكل بنت غيرك على سبيل الدعاء فارسلتها مثلا فأخذ ضمرة شقة بن ضمرة وأمه هند وشهاب بن ضمرة وأمه العبدية وعنوة ابن ضمرة وأمه الطمثانية فارسل بهم الى لقيط بن زرارة وقال هؤلاء رهن لك بغلمتك حتى أرضيك منهم فلما وقع بنو ضمرة في يدي لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم فقال في ذلك ضمرة بن جابر

صرمت اخاء شقة يوم غول * واخوته فلا حلت حلالي

كأنى اذ رهنت بنى قومى * دفعتهم الى الصهب السبال
ولم أرهنهم بدم ولكن * رهنتهم بصلح أو بمال
صرمت اخا شقة يوم غول * وحق اخا شقة بالوصال

فاجابه لقيط

أبا قطن انى أراك حزينا * وان العجول لا يبالى حنينا
أفى ان صبرتم نصف عام لحقنا * ونحن صبرنا قبل سبع سنينا

فقال ضمرة

لعمرك اننى وطلاب حبى * وترك بنى فى الشطر الاعادى
لمن نوكى الشيوخ وكان مثلى * اذا ما ضل لم ينعش بهاد

ثم ان بنى نهشل طلبوا الى المنذر بن ماء السماء ان يطلبهم من لقيط فقال لهم المنذر نحوا عنى وجوهكم ثم أمر بخمر وطعام ودعا لقيطا فأكلا وشربا حتى اذا أخذت الخمر منهما قال المنذر للقيط يا خير الفتيان ما تقول فى رجل اختارك الليلة على ندامى مضر قال وما أقول فيه أقول انه لا يسألنى شيئا الا أعطيته اياه غير الغلمة قال المنذر أما اذا استثنيت فلست قابلا منك شيئا حتى تعطينى كل شئ سألتك قال فذلك لك قال فانى أسالك الغلمة ان تهبهم لى قال سلنى غيرهم قال ما أسالك غيرهم فارسل لقيط اليهم فدفعهم الى المنذر فلما أصبح لقيط لامه قومه فندم فقال فى المنذر

انك لو غطيت أرجاء هوة * مغمسة لا يستثار ترابها
بثوبك فى الظلماء ثم دعوتنى * لجئت اليها سادرا لا أهابها
فاصبحت موجودا على ملوما * كأن نضيت عن حائض لى ثيابها

قال فارسل المنذر الى الغلمة وقدمات ضمرة وكان صديقا للمنذر فلما دخل عليه الغلمة وكان يسمع بشقة ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رآه قال تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فارسلها مثلا قال شقة أبيت اللعن وأسعدك الهك ان القوم ليسوا بجزر يعنى الشاء انما يعيش الرجل بأصغريه لسانه وقلبه فاعجب المنذر كلامه وسره كل ما رأى منه قال فسماه ضمرة باسم أبيه فهو ضمرة بن ضمرة وذهب قوله يعيش الرجل بأصغريه مثلا وينشد على هذا

ظننت به خيرا فقصر دونه * فيارب مظنون به الخير يخلف

قلت وقريب من هذا ما يحكى أن الحجاج أرسل الى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيشفيه بجواب ما يسأله فيرفع عبد الملك

رأسه

رأسه اليه فيراه أسود فلما اعجبه ظرفه وبيانه قال متمثلا

فان عرارا ان يكن غير واضح * فانى احب الجون ذا المنكب العمم

فقال له الرجل يا امير المؤمنين هل تدرى من عرار أنا والله عرار بن عمرو بن شاس الاسدى الشاعر

(ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل)

الدخل العيب الباطن يضرب لذى المنظر لا خير عنده قال المفضل اوّل من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجيلية وكانت ذات عقل ورأى مستمع فى قومها وكانت لها اخت يقال لها خود وكانت ذات جمال وميسم وعقل وان سبعة اخوة غلمة من بطن الازد خطبوا خودا الى ابيها فاتوه وعليهم الحلل اليمانية وتحتهم النجائب الفره فقالوا نحن بنو مالك بن غفيلة ذى النحيين فقال لهم انزلوا على الماء فنزلوا ليلتهم ثم اصبحوا غادين فى الحلل والهيئة ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة فمروا بوصيدها يتعرضون لها وكلهم وسيم جميل وخرج ابوها فجلسوا اليه فرحب بهم فقالوا بلغنا ان لك بنتا ونحن كما ترى شباب وكلنا يمنع الجانب ويمنح الراغب فقال ابوها كلكم خيار فاقيموا نرى رأينا ثم دخل على بنته فقال ما ترين فقد اتاك هؤلاء القوم فقالت انكحنى على قدرى ولا تشطط فى مهرى فان تخطئنى احلامهم لا تخطئنى اجسامهم لعلى اصيب ولدا واكثر عددا فخرج ابوها فقال اخبرونى عن افضلكم قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة اسمع اخبرك عنهم هم اخوة وكلهم اسوة اما الكبير فمالك جرىء فاتك يتعب السنابك ويستصغر المهالك واما الذى يليه فالغمر بحر غمر يقصر دونه الفخر نهد صقر واما الذى يليه فعلقمه صليب المعجمة منيع المشتمه قليل الجمجمة واما الذى يليه فعاصم سيد ناعم جلد صارم أبى حازم جيشه غانم وجاره سالم واما الذى يليه فثواب سريع الجواب عتيد الصواب كريم النصاب كليث الغاب واما الذى يليه فمدرك بذول لما يملك عزوب عما يترك يفنى ويهلك واما الذى يليه فجندل لقرنه مجدل مقل لما يحمل يعطى ويبذل وعن عدوه لا ينكل فشاورت اختها فيهم فقالت اختها عثمة ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل اسمعى منى كلمة ان شر الغريبة يعلن وخيرها يدفن انكحى فى قومك ولا تغررك الاجسام فلم تقبل منها وبعثت الى ابيها انكحنى مدركا فانكحها ابوها على مائة ناقة ورعاتها وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلا حتى صبحهم فوارس من بنى مالك بن كنانة

فاقتتلوا ساعة ثم ان زوجها واخوته وبني عامر انكشفوا فسبوها فبين سبوا فبيناهي تسير بكت فقالوا ما يبكيك أعلى فراق زوجك قالت قبحه الله قالوا لقد كان جميلا قالت قبح الله جمالا لا نفع معه انما ابكي على عصياني اختي وقولها ترى الفتيان كالنخل ومايدريك ما الدخل وأخبرتهم كيف خطبوها فقال لها رجل منهم يكنى أبا نواس شاب اسود أفوه مضطرب الخلق أترضين بي على ان أمنعك من ذئاب العرب فقالت لاصحابه أكذلك هو قالوا نعم انه مع ما ترين ليمنع الحليلة وتتقيه القبيلة قالت هذا أجمل جمال وأكمل كمال قد رضيت به فزوجوها منه

(تعست العجلة)

أول من قال هذا فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وكان أحد المغنيين المجيدين وكان يجمع بين الرجال والنساء وله يقول ابن قيس الرقيات

قل لفند يشيع الاظعانا * طالما سر عيشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار فوجد قوما يخرجون الى مصر فخرج معهم فاقام بها سنة ثم قدم فأخذ نارا وجاء يعدو فعثر وتبدد الجمر فقال تعست العجلة وفيه يقول الشاعر

ما رأينا الغراب مثلا * اذ بعثناه يجي بالمشملة

غير فند أرسلوه قابسا * فثوى حولا وسب العجلة

المشملة كساء تجمع فيه المقدحة بآلاتها وقال بعضهم الرواية المشملة بفتح الميم وهي مهب الشمال يعني الجانب الذي بعث نوح عليه السلام الغراب اليه ليأتيه بخبر الارض أجفت أم لا

(تجمع بين خلابة وصدودا)

يضرب لمن يجمع بين خصلتي شر قالوا هو من قول جرير بن عطية وذلك ان الحجاج بن يوسف أراد قتله فمشت اليه مضر فقالوا اصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم وكانت هند بنت اسماء بن خارجة ممن طلب فيه فقالت للحجاج ائذن لي فاسمع من قوله قال نعم فامر بمجلس له وجلس فيه هو وهند ثم بعث الى جرير فدخل وهو لا يعلم بمكان الحجاج فقالت يا ابن الخطفي انشدني قولك في التشبيب قال والله ما شببت بامرأة قط وما خلق الله شيئا ابغض الي من النساء ولكني اقول في المديح ما بلغك فان شئت اسمعتك قالت يا عدو نفسه فاين قولك

يجري السواك على اغر كانه * برد تحدر من متون غمام

طارقتك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام
لو كنت صادقة الذى حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير رمام

قال جرير لا والله ما قلت هذا ولكني أقول

لقد جرد الحجاج بالحق سيفه * ألا فاستقيموا لا يميلن مائل
ولا يستوي داعي الضلالة والهدى * ولا حجة الخصمين حق وباطل

فقالت هند دع ذا عنك فاين قولك

خليلي لا تستشعرا النوم انني * أعيذكما بالله أن تجدا وجدي
ظمئت الى برد الشراب وغرني * جدا مزنة يرجى جداها وما تجدي

قال جرير بل أنا الذى أقول

من يأمن الحجاج اما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق
يخفتك حتى انزلتني مخافتي * وقد كان من دوني عماية نيق
يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذى دين عليك شفيق

قالت دع ذا عنك ولكن هات قولك

يا عاذلي دعا الملامة واقصرا * طال الهوى واطلتما التفنيدا
اني وجدتك لو اردت زيادة * في الحب مني ما وجدت مزيدا
اخليتنا وصددت ام محمد * افتجمعين خلابة وصدودا
لا يستطيع اخو الصبابة ان يرى * حجرا أصم وان يكون حديدا

(اتيه من فقيد ثقيف)

قالوا كان بالطائف في اول الاسلام اخوان فتزوج احدهما امرأة من بني كنة ثم رام سفرا فاوصى الاخ بها فكان يتعهدها كل يوم بنفسه وكانت من احسن الناس وجها فذهبت بقلبه فضنى واخذت قوته حتى عجز عن المشي ثم عجز عن القعود وقدم اخوه فلما رآه بتلك الحالة قال مالك يا أخي ما تجد قال ما اجد شيئا غير الضعف فبعث اخوه الى الحارث بن كلدة طبيب العرب فلما حضر لم يجد به علة من مرض ووقع له ان ما به من عشق فدعا بخمر وفت فيها خبزا فاطعمه اياه ثم اتبعه بشربة منها فتحرك ساعة ثم نغض راسه ورفع عقيرته بهذه الابيات

ألما بي على الابيا * ت بالخيف نزرهنه
غزال ثم يحتل * بها دور بني كنه

غـزال احور العينيـ * ـن فى منطقـه غنـه

فعرف انه عاشق فاعاد عليه الخبر فأنشأ يقول

ايهـا الجـيرة اسلموا * وقفوا كى تـكلموا
خرجت مزنة من الـ * ـبحـر ريا تجمجـم
هى ماكـنتى وتز * عـم انى لهـاحـم

فعـرف اخوه مابه فقال يا اخى هى طالق ثلاثا فتزوجها فقال هى طالق يوم اتزوجها ثم ثاب اليه ثائب من العقل والقوة ففارق الطائف حضرا وهام فى البر فـار وى بعد ذلك فـمكث اخوه اياما ثم مات كمدا على اخيه فضرب به المثل وسمى فقيد ثقيف واما قولهم

(أتيه من أحمق ثقيف)

فهذا من التيه الذى هو الصلف واحمق ثقيف هو يوسف بن عمرو وكان أمير العراقين من قبل هشام بن عبـد الملك وكان أتيه واحمق عـربى امر ونهى فى دولة الاسلام ومن حمقه ان حجاما كان يحجمه فلمـا أراد ان يشرطه ارتعدت يده فاحس بذلك يوسف وكان حاجبه قائمـا على رأسه فقال له قل لهذا البائس لا تخف وكان يوسف قصـيرا جـدًا قيئا فـكان الخياط عند قطع ثيابه اذا قال له يحتاج الى زيادة اكرمه وحباه واذا قال يفضل شئ اهانه واقصاه

(ثـكل أرأمها ولدا)

قاله بيهس الملقب بنعامة لامه حـين رجـع اليها بعد اخوته الذين قتلوا قال المفضل كان من حديث بيهس انه كان رجلا من بنى فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان سابـع سبعة اخوة فاغار عليهم ناس من اشجـع بينهم وبينهم حرب وهم فى ابلهم فقتلوا منهم ستة وبقى بيهس وكان يحمق وكان اصـغرهم فارادوا قتله ثم قالوا وما تريدون من قتل هذا يحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعونى اتوصل معكم الى الحى فانـكم ان تركتمونى وحدى اكلنى السـباع وقتلنى العطش ففعلوا فاقبل معهم فلمـا كان من الغـد نزلوا فنحروا جزورا فى يوم شديد الحر فقالوا ظللوا لحمكم لا يفسد فقال بيهس لـكن بالاثلاث لحم لا يظلل فـذهبت مثـلا فلمـا قال ذلك قالوا انه لمنـكر وهموا ان يقتلوه ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور ويا كلون فقال أحدهم ما أطيب يومنا وأخصـبه فقال بيهس لـكن على بالدح قوم نجفى فذهبت مثـلا ثم انشعب طريقهـم فاتى أمه فاخبرها الخـبر فقالت فـما جاء بك من بين اخوتك فقال بيهس لو خـيرت لاخـترت فذهبت مثلا ثم ان أمه

عطفت

عطفت عليه ورقت له فقال الناس لقد احبت ام بيهس بيهسا فقال بيهس ثكل ارأمها ولدا أي عطفها على ولد فارسلها مثلا ثم ان أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب اخوته فيلبسها ويقول يا حبذا التراث لولا الذلة فارسلها مثلا ثم انه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن ان يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا اخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه فقلن له ويحك ما تصنع يا بيهس فقال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

فارسلها مثلا ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنعن له طعاما فجعل يأكل ويقول حبذا كثرة الايدى فى غير طعام فارسلها مثلا فقالت له أمه لا يطلب هذا بثأر أبدا فقالت الكنانية لا تأمنى الأحمق وفى يده سكين فارسلتها مثلا ثم انه اخبر ان ناسا من اشجع فى غار يشربون فيه فانطلق بخال له يقال له ابو حنش فقال له هل لك فى غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها ويروى هل لك فى غنيمة باردة فارسلها مثلا ثم انطلق بيهس بخاله حتى اقامه على فم الغار ثم دفع ابا حنش فى الغار فقال ضربا ابا حنش فقال بعضهم ان ابا حنش لبطل فقال ابو حنش مكره اخوك لا بطل فارسلها مثلا قال المتلمس فى ذلك

ومن طلب الاوتار ما حز انفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه * تبين فى أثوابه كيف يلبس

(جرى المذكيات غلاب)

المذكية من الخيل التى قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان والغلاب المغالبة اى ان المذكى يغالب مجاريه فيغلبه لقوّته ويجوز ان يراد ان ثانى جريه ابدا اكثر من باديه وثالثها اكثر من ثانيه فكأنه يغالب بالثانى الاوّل وبالثالث الثانى فجريه ابدا غلاب وهذا معنى قول ابى عبيد حيث قال فهى تحتمل ان تغالب الجرى غلابا ويروى جرى المذكيات غلاء جمع غلوة يعنى ان جريها يكون غلوات ويكون شأوها بطينا الا كالجذع يضرب لمن يوصف بالتبريز على اقرانه فى حلبة الفضل

(جاورينا واخبرينا)

قال يونس كان رجلان يتعشقان امراة وكان احدهما جميلا وسيما وكان الآخر دميما تقتحمه العين فكان الجميل منهما يقول عاشرينا وانظرى الينا وكان الدميم يقول جاورينا واخبرينا فكانت تدنى الجميل فقالت لاختبرنهما فقالت لكل واحد منهما ان ينحر جزورا فاتتهما متنكرة فبدأت بالجميل فوجدته عند القدر يلحس الدسم

و يأكل الشحم ويقول احتفظوا كل بيضاعليه يعنى الشحم فاستطعمته فامرلها بثيل الجزور فوضع فى قصعتها ثم أتت الدميم فاذاهو يقسم لحم الجزور و يعطى كل من سأله فسألته فامرلها باطايب الجزور فوضع فى قصعتها فرفعت الذى أعطاها كل واحد منهما على حدة فلما أصبحا غدوا اليها فوضعت بين يدى كل واحد منهما ما أعطاها وأقصت الجميل وقربت الدميم ويقال انها تزوجته يضرب فى القبيح المنظر الجميل المخبر

(جدع الحلال أنف الغيرة)

قاله صلى الله عليه وسلم ليلة زفت فاطمة الى على رضى الله تعالى عنهما وهذا حديث يروى عن الحجاج بن منهال يرفعه

(جوع كلبك يتبعك)

و يروى اجع كلبك وكلاهما يضرب فى معاشرة اللئام وما ينبغى ان يعاملوا به قال المفضل أوّل من قال ذلك ملك من ملوك حمير كان عنيفا على أهل مملكته يغصبهم أموالهم و يسلبهم ما فى أيديهم وكانت الكهنة تخبره انه سيقتلونه فلا يحفل بذلك وان امرأته سمعت أصوات السأل فقالت انى لارحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن فى العيش الرغد وانى لاخاف عليك ان يصيروا سباعا وقد كانوا لنا أتباعا فرد عليها جوّع كلبك يتبعك وأرسلها مثلا فلبث بذلك زمانا ثم أغزاهم فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا فلما خرجوا من عنده قالوا لاخيه وهو أميرهم قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك منكم أهل البيت الى غيركم فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه وكان قد عرف بغيه واعتداءه عليهم فاجابهم الى ذلك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به عامر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله جوّع كلبك يتبعك فقال ربما أكل الكلب مؤدبه اذا لم ينل شبعه فارسلها مثلا

(اجناؤها أبناؤها)

قال أبو عبيد الاجناء هم الجناة والابناء البناة والواحد جان وبان وهذا جمع عزيز فى الكلام ان يجمع فاعل على افعال قال وأصل المثل ان ملكا من ملوك اليمن غزا وخلف بنتا وان ابنته أحدثت بعده بنيانا قد كان أبوها يكرهه وانما فعلت ذلك برأى قوم من أهل مملكته أشاروا عليها وزينوه عندها فلما قدم الملك وأخبر بمشورة أولئك و رأيهم أمرهم باعيانهم ان يهدموه وقال عند ذلك اجناؤها ابناؤها فذهبت مثلا يضرب فى سوء المشورة والرأى وللرجل يعمل الشئ بغير روية ثم يحتاج الى نقض ما عمل

وافساده ومعنى المثل ان الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين عمروها بالبناء

(الجرع أروى والرشيف أنقع)

الرشف والرشيف المص للماء والجرع بلعه والنقع تسكين الماء للعطش أى ان الشراب الذى يترشف قليلا قليلا اقطع للعطش والجرع وان كان فيه بطء وقوله أروى أى أسرع ريا وقوله أنقع أى أثبت وادوم ريا من قولهم ناقع أى ثابت يضرب لمن يقع فى غنيمة فيؤمر بالمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل أن يأتيه من ينازعه وقيل معناه ان الاقتصاد فى المعيشة أبلغ وأدوم من الاسراف فيها

(الجار ثم الدار)

هذا كقولهم الرفيق قبل الطريق وكلاهما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو عبيد كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول معناه اذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها

(جف حجرك وطاب نشرك أكلت دهشا وحطبت قشا)

قال يونس بن حبيب كان من حديث هذين المثلين ان امرأة زارتها بنت أخيها وبنت أختها فاحسنت تزويرهما فلما كان عند رجوعهما قالت لابنة أخيها جف حجرك وطاب نشرك فسرت الجارية بما قالت لها عمتها وقالت لابنة أختها اكلت دهشا وحطبت قشا فوجدت بذلك الصبية وشق عليها ما قالت لها خالتها فانطلقت بنت الاخ الى أمها مسرورة فقالت لها أمها ما قالت لك عمتك فقالت قالت لى خيرا ودعت لى قالت وكيف قالت لك قالت قالت جف حجرك وطاب نشرك قالت أى بنية ما دعت لك بخير ولكن دعت بان لا تحمى ولدا أبدا فيبل حجرك ويغير نشرك وانطلقت الاخرى الى أمها فقالت لها أمها ما قالت لك خالتك قالت وما عسى أن تقول لى دعت الله على قالت وكيف قالت لك قالت قالت اكلت دهشا وحطبت قشا قالت بل دعت الله لك يا بنية ان يكثر ولدك فينازعوك فى المال ويقمشوك حطبا

(حرك لها حوارها تحن)

الحوار ولد الناقة والجمع القليل أحورة والكثير حوران وحيران ولا يزال حوارا حتى يفصل فاذا فصل عن أمه فهو فصيل ومعنى المثل ذكره بعض أشجانه يهيج له وهذا المثل قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام

(حسبك من شر سماعه)

أى اكتف من الشر بسماعه ولا تعاينه ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشر وان لم تقدم عليه ولم تنسب اليه قال أبو عبيد أخبرنى هشام بن الكلبى أن المثل لام الربيع ابن زياد العبسى وذلك ان ابنها الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا فعرض قيس لام الربيع وهى على راحلتها فى مسيرها فأراد أن يذهب بها ليرتهنها بالدرع فقالت له أين عزب عنك عقلك يا قيس أترى بنى زياد مصالحيك وقد ذهبت بامهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاؤا وان حسبك من شر سماعه فذهبت كلمتها مثلا تقول كفى بالمقالة عارا وان كان باطلا يضرب عند العار والمقالة السيئة وما يخاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سائل بنا فى قومنا * وليكف من شر سماعه

وكان المفضل فيما حكى عنه يذكر هذا الحديث ويسمى أم الربيع ويقول هى فاطمة بنت الخرشب من بنى انمار بن بغيض

(حلمى أصم واذنى غير صماء)

أى أعرض عن الخنا بحلمى وان سمعته باذنى

(حسبك من غنى شبع ورى)

أى اقنع من الغنى بما يشبعك ويرويك وجد بما فضل وهذا المثل لامرئ القيس يذكر معزى كانت له فيقول

اذا مالم تكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصى

فتملأ بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع ورى

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول اعط كل ما كان لك وراء الشبع والرى والآخر القناعة باليسير يقول اكتف به ولا تطلب ما سوى ذلك والاول الوجه لقوله فى شعر له آخر وهو

ولو انما أسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

فقد أخبر ببعد همته وقدره فى نفسه

(الحديث ذو شجون)

أى ذو طرق الواحد شجن بسكون الجيم والشواجن أودية كثيرة الشجر الواحدة شاجنة

شاجنة وأصل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشجنة الشجرة الملتفة الاغصان يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره وقد نظم الشيخ أبو بكر علي ابن الحسين القهستاني هذا المثل ومثلا آخر في بيت واحد وأحسن ما شاء وهو

تذكر نجدا والحديث شجون * فجن اشتياقا والجنون فنون

وأول من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وكان له ابنان يقال لاحدهما سعد وللآخر سعيد فنفرت ابل لضبة تحت الليل فوجه ابنيه في طلبها فتفرقا فوجدها سعد فردها ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب وكان على الغلام بردان فسأله الحارث اياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه فكان ضبة اذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال أسعد أم سعيد فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة فمكث ضبة بذلك ماشاء الله ان يمكث ثم انه حج فوافى عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما فقال له هل أنت مخبري ماهذان البردان اللذان عليك قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى علي فقتلته وأخذت برديه هذين فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم فقال فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارما فأعطاه الحارث سيفه فلما اخذه من يده هزه وقال الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله فقيل له ياضبة أفي الشهر الحرام فقال سبق السيف العذل فهو أول من سار عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لا تأمنن الحرب ان استعارها * كضبة اذ قال الحديث شجون

(الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت)

هذا من كلام اكثم بن صيفي وقريب من هذا قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه

(خذ الامر بقوابله)

أي بمقدماته يعني دبره قبل أن يفوتك تدبيره والباء بمعنى في أي فيما يستقبلك منه يقال قبل الشيء واقبل يضرب في الامر باستقبال الامور

(خطب يسير في خطب كبير)

قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح والعرب تقول للذي به البرص به وضح تفاديا من ذكر البرص وكان جذيمة ملكا على شاطئ الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكانت من أهل باجرمي وتتكلم

بالعربية وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها فلما استجمع امرها وانتظم شمل ملكها أحبت ان تغزو جذيمة ثم رأت ان تكتب اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا في السماع وضعفا في السلطان وانها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فاقبل الي لاجمع ملكي الى ملكك واصل بلادي ببلادك وتقلد أمري مع أمرك تريد بذلك الغدر فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه مادعته اليه ورغب فيما أطمعته فيه فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم مادعته اليه وعرضت عليه فاجتمع رأيهم على ان يسير اليها فيستولي على ملكها وكان فيهم قصير وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة فخالفهم فيما أشاروا به وقال رأي فاتر وغدر حاضر فذهبت كلمته مثلا ثم قال لجذيمة الرأي ان تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به فقال قصير

اني امرؤ لا يميل العجز ترويتي اذا أتت دون شئ مرة الوذم

فقال جذيمة لا ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت كلمته مثلا ودعا جذيمة عمرو بن عدي ابن أخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومي مع الزباء ولو قد رأوك صاروا معك فاحب جذيمة ماقاله وعصى قصيرا فقال قصير لا يطاع لقصير أمر فذهبت مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه وجعل عمرو بن عبد الجن معه على جنوده وخيوله وسار جذيمة في وجوه اصحابه فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي فلما نزل دعا قصيرا فقال ماالرأي ياقصير قال قصير ببقة خلفت الرأي فذهبت مثلا قال وماظنك بالزباء قال القول رداف والحزم عثراته تخاف فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال ياقصير كيف ترى قال خطب يسير في خطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة صادقة وان اخذت جنبتيك واحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك فاركب العصا فانه لا يشق غبارها فذهبت مثلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى واني راكبها ومسايرك عليها فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة على متن العصا موليا فقال ويل امه حزما على متن العصا فذهبت مثلا وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت ارضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقالت العرب خير ماجاءت به العصا فذهبت مثلا وسار جذيمة وقد احاطت به الخيل حتى دخل على

الزباء

الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هي مضفورة الاسب فقالت يا جذيمة أداب عروس ترى
فذهبت مثلا فقال جذيمة بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا ودعت
بالسيف والنطع ثم قالت ان دماء الملوك شفاء من الكلب فأمرت بطست من ذهب قد
أعدته له فسقته الخمر حتى سكر وأخذت الخمر منه مأخذها فأمرت براهشيه فقطعا
وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه وكانت
الملوك لا تقتل بضرب الاعناق الا في القتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر
من دمه في غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله
فذهبت مثلا فهلك جذيمة وجعلت الزباء دمه في ربعة لها وخرج قصير من الحي الذي
هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فقال له قصير
أثائر أنت قال بل ثائر سائر فذهبت مثلا ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فصارت طائفة
مع عمرو بن عدي اللخمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي فاختلف بينهما
قصير حتى اصطلحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي فقال قصير لعمرو بن عدي
تهيأ واستعد ولا تطلن دم خالك قال وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو فذهبت مثلا
وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير
أمين وهو عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك
فحذرت عمرا واتخذت لها نفقا من مجلسها الذي كانت تجلس فيه الى حصن لها في داخل
مدينتها وقالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلا مصورا من أجود أهل
بلادهم تصويرا وأحسنهم عملا فجهزته وأحسنت اليه وقالت سر حتى تقدم على عمرو بن
عدي متنكرا فتخلو بحشمه وتنضم اليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور
ثم اثبت لي عمرو بن عدي معرفة فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيأته
ولبسته ولونه فاذا أحكمت ذلك فاقبل الي فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي
وصنع ما أمرته به الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع الى الزباء بعلم ما وجهته له من
الصورة على ما وصفت وأرادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال الا عرفته
وحذرته وعلمت علمه فقال قصير لعمرو بن عدي اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني
واياها فقال عمرو ما أنا بفاعل وما أنت لذلك مستحقا عندي فقال قصير خل عني اذا
وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنت أبصر فجدع قصير أنفه وأثر آثارا بظهره
فقالت العرب لمكر ما جدع قصير أنفه وفي ذلك يقول المتلمس

وفي طلب الاوتار ما حز أنفه * قصير ورام الموت بالسيف بيهس

ثم خرج قصير كانه هارب وأظهر ان عمرا فعل ذلك به وأنه زعم انه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت ما الذى أرى بك يا قصير قال زعم عمرو أني قد غررت خاله وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك ففعل بى ما ترين فاقبلت اليك وعرفت انى لا اكون مع احد هو أثقل عليه منك فاكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأى ما أرادت فلما عرف انها استرسلت اليه ووثقت به قال ان لى بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثيني الى العراق لاحمل مالى وأحمل اليك من بزوزها وطرائفها وثيابها وطيبها وتصيبين فى ذلك أرباحا عظاما وبعض ما لا غنى بالملوك عنه وكان اكثر ما يطرفها من التمر الصرفان وكان يعجبها فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ودفعت له أموالا وجهزت معه عبيدا فسار قصير بما دفعت اليه حتى قدم العراق وأتى الحيرة متنكرا فدخل على عمرو فاخبره الخبر وقال جهزنى بصنوف البز والامتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك الى الزباء فاعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد اليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لى ثقات أصحابك وهيئ الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين فاذا دخلوا مدينة الزباء اقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال فى الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير الليل فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها آخر البز على القلوص فارسلها مثلا وسألها ان تخرج فتنظر الى ما جاء به وقال لها جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلا ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الارض من ثقل احمالها فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

* أم صرفانا تارزا شديدا *

فقال قصير فى نفسه * بل الرجال قبضا قعودا * فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فاصابت خاصرة الرجل الذى فيها فضرط فقال البواب بالرومية بشقب ساقا يقول شر فى الجوالق

فارسلها

فارسلها مثلا فلما توسطت الابل المدينة أنيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذى كانت الزباء تدخله وأرته اياه قبل ذلك وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد النفق فأبصرت عمرا فعرفته بالصورة التى صورت لها فمصت خاتمها وكان فيه السم وقالت بيدى لا بيد ابن عدى فذهبت كلمتها مثلا وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها واصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانكفأ راجعا الى العراق وفى بعض الروايات مكان قولها أداب عروس ترى أشوار عروس ترى فقال جذيمة أرى دأب فاجرة غدر وبطرا ةتفلة قالت لا من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكن شيمة من اناس فذهبت مثلا

(الدين النصيحة)

الاصل فى النصيحة التلفيق بين الناس من النصح وهو الخياطة وذلك ان تلفق بين التفاريق وهذا من حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمامه قالوا لمن يا رسول الله قال لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قالت العلماء النصيحة لله ان يخلص العبد العمل لله والنصيحة لرسوله ان يصفو قلبه فى قبول دعوى النبوة ولا يضمر خلافها والنصيحة للمسلمين ان لا يتميز عنه فى حال من الاحوال وقيل النصيحة لائمة المسلمين ان لا يشق عصاهم ولا يعق فتواهم

(رب أخ لك لم تلده أمك)

يروى هذا المثل للقمان بن عاد وذلك أنه أقبل ذات يوم فبينا هو يسير اذ أصابه عطش فهجم على مظلة فى فنائها امرأة تداعب رجلا فاستسقى لقمان فقالت المرأة اللبن تبغى أم الماء قال لقمان أيهما كان ولا عداء فذهبت كلمته مثلا قالت المرأة أما اللبن فخلفك وأما الماء فأمامك قال لقمان المنع كان أوجز فذهبت مثلا قال فبينا هو كذلك اذ نظر الى صبى فى البيت يبكى فلا يكترث له ويستسقى فلا يسقى فقال ان لم يكن لكم فى هذا الصبى حاجة دفعتموه الى فكفلته فقالت المرأة ذاك الى هانئ وهانئ زوجها فقال لقمان وهانئ من العدد فذهبت مثلا ثم قال لها من هذا الشاب الى جنبك فقد علمته ليس ببعلك قالت هذا أخى قال لقمان رب أخ لك لم تلده أمك فذهبت مثلا ثم نظر الى أثر زوجها فى فتل الشعر فعرف فى فتله شعر البناء انه أعسر فقال ثكلت الاعسر أمه لو يعلم العلم لطال غمه فذهبت مثلا فذعرت المرأة من قوله ذعرا شديدا فعرضت عليه الطعام والشراب فأبى وقال المبيت على الطوى حتى تنال به كريم المثوى خير من اتيان ما لا تهوى فذهبت مثلا ثم مضى حتى اذا كان مع العشاء اذا هو برجل يسوق ابله وهو

يرتجز ويقول

روحي الى الحي فان نفسي * رهينة فيهم بخير عرس
حسانة المقلة ذات أنس * لا يشترى اليوم لها بأمس

فعرف لقمان صورته ولم يره فهتف به يا هانئ يا هانئ فقال ما بالك فقال

ياذا البجاد الحلكه * والزوجة المشتركه
مش رويدا أبالكه * لست لمن ليست لكه

فذهبت مثلا قال هانئ نور نور الله أبوك قال لقمان على التنوير وعليك التغيير ان كان عندك نكير كل امرئ في بيته أمير فذهبت مثلا ثم قال اني مررت وبي أوام فدفعت الى بيت فاذا أنا بامرأتك تغازل رجلا فسألتها عنه فزعمته أخاها ولو كان أخاها الحكي عن نفسه وكفاها الكلام فقال هانئ وكيف علمت ان المنزل منزلي والمرأة امرأتي قال عرفت مقاذي هذه النوق في البناء وبوهدة الخلية في الفناء وسقب هذه الناب وأثريدك في الاطناب قال صدقتني فداك أبي وأمي وكذبتني نفسي فما الرأي قال هل لك علم قال نعم بشأني قال لقمان كل امرئ بشأنه عليم فذهبت مثلا قال له هانئ هل بقيت بعد هذه قال لقمان نعم قال وما هو قال تحمي نفسك وتحفظ عرسك قال هانئ افعل قال لقمان من يفعل الخير يجد الخير فذهبت مثلا ثم قال الرأي ان تقلب الظهر بطنا والبطن ظهرا حتى يتبين لك الامر أمرا قال افلا اعالجها بكية تورده المنية فقال لقمان آخر الدواء الكي فأرسلها مثلا ثم انطلق الرجل حتى أتى امرأته فقص عليها القصة وسل سيفه فلم يزل يضربها به حتى بردت

(رب عجلة تهب ريثا)

ويروى تهب ريثا قال أبو زيد وريثا نصب على الحال في هذه الرواية أي تهب رائثة فأقيم المصدر مقام الحال وفي الرواية الاولى نصب على المفعول به وأول من قال ذلك فيما يحكى المفضل مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني وكان سنان ابن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيما فأراد أن يرحل بامرأته خماعة بنت عوف بن أبي عمرو فقال له مالك اين تظعن يا أخي قال أطلب موقع هذه السحابة قال لا تفعل فانه ربما خيلت وليس فيها قطر وأنا أخاف عليك بعض مقانب العرب قال لكني لست أخاف ذلك فمضى وعرض له مروان القرظ بن زنباع بن حذيفة العبسي فأعجله عنها وانطلق بها وجعلها بين بناته واخواته ولم يكشف لها سترا فقال مالك

ابن

ابن عوف لسنان مافعلت أختي قال نفتني عنها الرماح فقال مالك رب عجلة تهب ريثا ورب فروقة يدعى ليثا ورب غيث لم يكن غيثا فأرسلها مثلا يضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة ويخرق فيها حتى تذهب كلها

(رب ساع لقاعد)

ويروى معه وآكل غير حامد يقال ان أول من قاله النابغة الذبياني وكان وفد الى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث الى أهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك رب ساع لقاعد وقال للنعمان

أبقيت للعبسي فضلا ونعمة * ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره * وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى أهله منه حباء ونعمة * ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

ويروى لسلمى أم خالد رب ساع لقاعد قالوا ان أول من قال ذلك معاوية بن أبي سفيان وذلك انه لما أخذ من الناس البيعة ليزيد ابنه قال له يابني قد صيرتك ولي عهدي بعدي وأعطيتك ما تمنيت فهل بقيت لك حاجة أوفي نفسك أمر تحب أن افعله قال يزيد يا أمير المؤمنين ما بقيت لي حاجة ولا في نفسي غصة ولا أمر أحب ان أناله الا أمر واحد قال وماذاك يابني قال كنت أحب ان اتزوج أم خالد امرأة عبد الله بن عامر بن كريز فهي غايتي ومنيتي من الدنيا فكتب معاوية الى عبد الله بن عامر فاستقدمه فلما قدم عليه اكرمه وانزله أياما ثم خلا به فاخبره بحال يزيد ومكانه منه وايثاره هواه وسأله طلاق أم خالد على ان يطعمه فارس خمس سنين فأجابه الى ذلك وكتب عهده وخلى عبد الله سبيل أم خالد فكتب معاوية الى الوليد بن عتبة وهو عامل المدينة ان يعلم أم خالد أن عبد الله قد طلقها لتعتد فلما انقضت عدتها دعا معاوية أبا هريرة فدفع اليه ستين ألفا وقال له ارحل الى المدينة حتى تأتي أم خالد فتخطبها على يزيد وتعلمها انه ولي عهد المسلمين وانه سخي كريم وان مهرها عشرون ألف دينار وكرامتها عشرون ألف دينار وهديتها عشرون ألف دينار فقدم أبو هريرة المدينة ليلا فلما أصبح أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه الحسن بن علي فسلم عليه وسأله متى قدمت قال قدمت البارحة قال وما أقدمك فقص عليه القصة فقال له الحسن فاذكرني لها قال نعم ثم مضى فلقيه الحسين بن علي وعبيد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم فسألاه عن مقدمه فقص

عليها القصة فقالا له اذكرنا لها قال نعم ثم مضى فلقيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مطيع بن الاسود فسألوه عن مقدمه فقص عليهم القصة فقالوا اذكرنا لها قال نعم ثم أقبل حتى دخل عليها فكلمها بما أمر به معاوية ثم قال لها ان الحسن والحسين ابنى على وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألونى ان اذكرهم لك قالت أما هى فالخروج الى بيت الله والمجاورة له حتى أموت أو تشير على بغير ذلك قال ابو هريرة أما انا فلا اختار لك هذا قالت فاختر لى قال اختارى لنفسك قالت لا بل اختر انت لى قال لها اما انا فقد اخترت لك سيدى شباب اهل الجنة فقالت قد رضيت بالحسن بن على فخرج اليه ابو هريرة فأخبر الحسن بذلك وزوجها منه وانصرف الى معاوية بالمال وقد كان بلغ معاوية قصته فلما دخل عليه قال له انما بعثتك خاطبا ولم ابعثك محتسبا قال ابو هريرة انها استشارتنى والمستشار مؤتمن فقال معاوية عند ذلك اسلمى ام خالد رب ساع لقاعد وآكل غير حامد فذهبت مثلا

(رب زارع لنفسه حاصد سواه)

قال ابن الكلبى اول من قال ذلك عامر بن الظرب وذلك انه خطب اليه صعصعة بن معاوية ابنته فقال يا صعصعة انك جئت تشترى منى كبدى وارحم ولدى عندى منعتك او بعتك النكاح خير من الايمة والحسيب كفؤ الحسيب والزوج الصالح يعد أبا وقد انكحتك خشية ان لا اجد مثلك ثم اقبل على قومه فقال يا معشر عدوان أخرجت من بين اظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم ولكن من خط له شئ جاءه رب زارع لنفسه حاصد سواه ولولا قسم الحظوظ على غير الحدود ما ادرك الآخر من الاول شيئا يعيش به ولكن الذى ارسل الحيا انبت المرعى ثم قسمه اكلا لكل فم بقلة ومن الماء جرعة انكم ترون ولا تعلمون لن يرى ما اصف لكم الا كل ذى قلب واع ولكل شئ راع ولكل رزق ساع اما كيس واما احمق وما رأيت شيئا قط الا سمعت حسه ووجدت مسه وما رأيت موضوعا الا مصنوعا وما رأيت جائيا الا داعيا ولا غانما الا خائبا ولا نعمة الا ومعها بؤس ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء فهل لكم فى العلم العليم قيل ما هو وقد قلت فأصبت واخبرت فصدقت فقال امورا شتى وشيئا شيئا حتى يرجع الميت حيا ويعود لا شئ شيئا ولذلك خلقت الارض والسماء فتولوا عنه راجعين فقال ويلها نصيحة لو كان من يقبلها

زينب

(زينب ستره)

قالوا هي زينب بنت عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي وكانت عجوزا كبيرة ولها جوار مغنيات وكان ابن زهيمة المدني الشاعر واسمه محمد مولى خالد بن أسيد يتعشق بعض جواريها ويشبب بها ويغنيه يونس الكاتب ويلقيه على جواريها فيسر بذلك ويصلها ويكسوها فمن قوله فيها

أقصدت زينب قلبي بعدما * ذهب الباطل مني والغزل

وله فيها أشعار ثم ان زينب حجبتها الشئ بلغها فقال ابن زهيمة

وجد الفؤاد بزينبا * وجدا شديدا متعبا
أمسيت من كلف بها * ادعى الشقي المسهبا
ولقد كنيت عن اسمها * عمدا لكيلا تغضبا
وجعلت زينب سترة * وكنيت أمرا معجبا

يضرب عند الكناية عن الشئ

(زر غبا تزدد حبا)

قال المفضل أول من قال ذلك معاذ بن صرم الخزاعي وكانت أمه من عك وكان فارس خزاعة وكان يكثر زيارة اخواله قال فاستعار منهم فرسا وأتى قومه فقال له رجل يقال له حبيش بن سودة وكان له عدوا تسابقني على ان من سبق صاحبه أخذ فرسه فسابقه فسبق معاذ وأخذ فرس حبيش وأراد أن يغيظه فطعن ابطال الفرس بالسيف فسقط فقال لا أم لك قتلت فرسا خيرا منك ومن والديك فرفع معاذ السيف فضرب مفرقه فقتله ثم لحق باخواله وبلغ الحي ماصنع فركب أخ لحبيش وابن عم له فلحقاه فشد على أحدهما فطعنه فقتله وشد على الآخر فضربه بالسيف فقتله وقال في ذلك

ضربت حبيشا ضربة لا لئيمة * ولكن بصاف ذي طرائق مستك
قتلت حبيشا بعد قتل جواده * وكنت قديما في الحوادث ذا فتك
قصدت لعمرو بعد بدر بضربة * تخر صريعا مثل عاثرة النسك
لكي يعلم الاقوام اني صارم * خزاعة أجدادي وامي الى عك
فقد ذقت يا حبش بن سودة ضربتي * وجربتني ان كنت من قبل في شك
تركت حبيشا ثاويا ذا نوائح * خضيب دم جاراته حوله تبكي
ترن عليه أمه بانتحابها * وتقشر جلدي محجريها من الحك

لسيرفع أقواما حلولي فيهم * ويزرى بقوم ان تركتهم تركى *
وحصنى سراة الطرف والسيف معقلى * وعطرى غبار الحرب لا عبق المسك
تتوق غداة الروع نفسى الى الوغى * كتوق القطا تسمو الى الوشل الرك
ولست برعديد اذا راع معضل * ولا فى نوادى القوم بالضيق المسك
وكم لك جدلته بمهند * وسابغة بيضاء محكمة السك

قال فأقام فى اخواله زمانا ثم انه خرج مع بنى اخواله فى جماعة من فتيانهم يتصيدون فحمل معاذ على عير فلحقه ابن خال له يقال له الغضبان فقال خل عن العير فقال لا ولا نعمت عين فقال له الغضبان اما والله لو كان فيك خير لما تركت قومك فقال معاذ زرغبا تزدد حبا فارسلها مثلا ثم أتى قومه فأراد أهل المقتول قتله فقال لهم قومه لا تقتلوا فارسكم وان ظلم فقبلوا منه الدية ومن هذا المثل قال الشاعر

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقال آخر

* عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يسأم دائما * ويسأل بالايدى اذا هو امسكا

(زوج من عود خير من قعود)

هذا المثل لبعض نساء الاعراب قال المبرد حدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العدوانى رجلا غيورا وله بنات أربع وكان لا يزوجهن غيرة فاستمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كل واحدة منا ما فى نفسها ولنصدق جميعا فقالت كبراهن

الا ليت زوجى من اناس ذوى غنى * حديث شباب طيب النشر والذكر
* لصوق بأكباد النساء كأنه * خليفة جان لا يقيم على هجر

وقالت الثانية

الا ليته يعطى الجمال بديهة * له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة * تشين فلا وان ولا ضرع غمر

فقلن لها أنت تريدين سيدا وقالت الثالثة

الا هل تراها مرة وحليلها * أشم كنصل السيف عين المهند
عليم بادواء النساء ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتى ومحتدى

فقلن

فقال لها أنت تريدين ابن عمك قد عرفته وقال للصغرى ماتقولين قالت لا أقول شيئا فقال لا ندعك وذاك انك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود فخطبن فزوجهن أجمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال فما مالكم قالت الابل قال وما هي قالت نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وما هي قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال رضيت بخطيت ثم زار الثالثة فقال كيف رأيت زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال جذوة مغنية ثم زار الرابعة فقال كيف رأيت زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال الضأن قال وما هي قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه قال علي بن عبد الله قلت لابن عائشة ما قولها وأمر مغويتهن يتبعن قال اما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل أو غير ذلك فيتبعنها عليه وقوله جذوة مغنية جمع جذوة وهي القطعة

(سقط العشاء به على سرحان)

قال أبو عبيد أصله ان رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله وقال الاصمعي أصله ان دابة خرجت تطلب العشاء فلقيها ذئب فأكلها وقال ابن الاعرابي أصل هذا أن رجلا من غني يقال له سرحان بن هزلة كان بطلا فاتكا يتقيه الناس فقال رجل يوما والله لارعين ابلي هذا الوادي ولا أخاف سرحان بن هزلة فورد بابله ذلك الوادي فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ ابله وقال

أبلغ نصيحة ان راعي أهلها * سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متغشمر * طاق اليدين معاود لطعان

يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها الى التلف

(أساء سمعا فأساء جابة)

ويروى ساء سمعا فأساء اجابة وساء في هذا الموضع تعمل عمل بئس نحو قوله تعالى ساء مثلا ونصب سمعا على التمييز وأساء سمعا نصب على المفعول به تقول أسأت القول

وأساءت العمل وقوله فأساء جابة هي بمعنى اجابة يقال أجاب اجابة وجابة وجوابا وجيبة ومثل الجابة في موضع الاجابة الطاعة والطاقة والغارة والعارة قال المفضل هذه خمسة أحرف جاءت هكذا قلت وكلها أسماء وضعت في موضع المصادر قال المفضل ان أول من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي وكان تزوج صفية بنت أبي جهل ابن هشام فولدت له أنس بن سهيل فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه يريد النحي فوقفا بحزورة مكة فأقبل الاخنس بن شريق الثقفي فقال من هذا قال سهيل ابني قال الاخنس حياك الله يافتى قال لا والله ما أمي في البيت انطلقت الى أم حنظلة تطحن دقيقا فقال أساء سمعا فأساء جابة فأرسلها مثلا فلما رجعا قال ابوه فضحني ابنك اليوم عند الاخنس قال كذا وكذا فقالت الام انما ابني صبي قال سهيل أشبه امرؤ بعض بزه فأرسلها مثلا

(سمن كلبك يأكلك)

ويروى أسمن قالوا أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني وذلك انه مر بمحلة همدان فاذا هو بغلام ملفوف في المعاوز فرحمه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله وأمر أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى فطم وأدرك وراهق الحلم فجعله راعيا لغنمه وسماه جحيشا فكان يرعى الشاء والابل وكان زاجرا عائفا فخرج ذات يوم فعرضت له عقاب فعافها ثم مر به غداف فزجره وقال

تخبرني شواحج الغدفان * والخطب يشهدن مع العقبان
اني جحيش معشري همدان * ولست عبدا لبني حمان

فلا يزال يتغنى بهذه الابيات وان ابنة لحازم يقال لها رعوم هويت الغلام وهويها وكان الغلام ذا منظر وجمال فاتبعته رعوم ذات يوم حتى انتهى الى موضع الكلأ فسرح الشاء فيه واستظل بشجرة واتكأ على يمينه وأنشأ يقول

* أمالك أم فتدعى لها * ولا أنت ذو والد يعرف
أرى الطير تخبرني انني * جحيش وان أبي حرشف
يقول غراب غدا سانحا * وشاهده جاهدا يحلف
باني لهمدان في غرها * وما أنا جاف ولا أهيف *
ولكنني من كرام الرجال * اذا ذكر السيد الاشرف

وقد كمنت له رعوم تنظر ما يصنع فرفع صوته أيضا يتغنى ويقول

يا حبذا دينتي رعوم * وحبذا منطقها الرخيم
وريح ما يأتي به النسيم * انى بها مكاف أهيم
لو تعلمين العلم يا رعوم * انى من هجرانها سقيم

فلما سمعت رعوم شعره ازدادت فيه رغبة وبه اعجابا فدنت منه وهى تقول

طار اليكم عرضا فؤادى * وقل من ذكراكم رقادى
وقد جفا جنبى عن الوساد * أبيت قد حالفنى سهادى

فقام اليها جيش فعانقها وعانقته وقعدا تحت الشجرة يتغازلان فكانا يفعلان ذلك أياما ثم ان أباها افتقدها يوما وفطن لها فرصدها حتى اذا خرجت تبعها فانتهى اليهما وهما على سوأة فلما رآهما قال سمن كلبك يأكلك فأرسلها مثلا وشد على جيش بالسيف فأفلت ولحق بقومه همدان وانصرف حازم الى ابنته وهو يقول موت الحرة خير من العرة فأرسلها مثلا فلما وصل اليها وجدها قد اختنقت فماتت فقال حازم هان على الثكل لسوء الفعل فأرسلها مثلا وأنشأ يقول

قد هان هذا الثكل لولا اننى * أحببت قتلك بالحسام الصارم
ولقد هممت بذاك لولا اننى * شمرت فى قتل اللعين الظالم
فعليك مقت الله من غدارة * وعليك لعنته ولعنة حازم

وقال قوم ان رجلا من طسم ارتبط كلبا فكان يسمنه ويطعمه رجاء أن يصيد به فاحتبس عليه بطعمه يوما فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافترسه قال عوف بن الاحوص

أرانى وعوفا كالمسمن كلبه * فخدشه أنيابه وأظافره

وقال طرفة

ككلب طسم وقد تربيه * يعله بالحليب فى الغلس
ظل عليه يوما بقرقرة * ان لا يلغ فى الدماء ينتهس

(السليم لا ينام ولا ينيم)

قال المفضل اول من قال ذلك الياس بن مضر وكان من حديث ذلك فيما ذكر الكلبى عن الشرقى بن القطامى ان ابل الياس ندت ليلا فنادى ولده وقال انى طالب الابل فى هذا الوجه وأمر عمرا ابنه ان يطلب فى وجه آخر وترك عامرا ابنه لعلاج الطعام قال فتوجه الياس وعمرو وانقطع عمير ابنه فى البيت مع النساء فقالت ليلى بنت حلوان امرأته

لاحدى خادميها اخرجي في طلب أهلك وخرجت ليلى فلقيها عامر محتقبا صيدا قد عالجه فسألها عن أبيه وأخيه فقالت لا علم لي فأتى عامر المنزل وقال للجارية قصي أثرهم ولاك فلما ولت قال لها تقرصعي أي اتئدي وانقبضي فلم يلبثوا ان أتاهم الشيخ وعمرو ابنه قد أدرك الابل فوضع لهم الطعام فقال الياس السليم لا ينام ولا ينيم فأرسلها مثلا وقالت ليلى امرأته والله ان زلت أخندف في طلبكما والهة قال الشيخ فأنت خندف قال عامر وأنا والله كنت أدأب في صيد وطبخ قال فأنت طابخة قال عمرو فما فعلت أنا أفضل أدركت الابل قال فأنت مدركة وسمي عمير القمعة لانقماعه في البيت فغلبت هذه الالقاب على أسمائهم يضرب مثلا لمن لا يستريح ولا يريح غيره

(اسع بجدك لا بكدك)

قالوا ان أول من قال ذلك حاتم بن عميرة الهمداني وكان بعث ابنيه الحسل وعاجنة الى تجارة فلقي الحسل قوما من بني أسد فأخذوا ماله وأسروه وسار عاجنة أياما ثم وقع على مال في طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره فأخذه ورجع وقال في ذلك

كفاني الله بعد السير اني * رأيت الخير في السفر القريب
رأيت البعد فيه شقي ونأى * ووحشة كل منفرد غريب
فأسرعت الاياب بخير حال * الى حوراء خرعبة لعوب
* واني ليس يثنيني اذاما * رحلت سنوح شحاج نعوب

فلما رجع تباشر به أهله وانتظروا الحسل فلما جاء ابانه الذي كان يجيء فيه ولم يرجع رابهم أمره وبعث أبوه أخا له لم يكن من أمه يقال له شاكر في طلبه والبحث عنه فلما دنا شاكر من الارض التي بها الحسل وكان الحسل عائفا يزجر الطير فقال

تخبرني بالنجاة القطاة * وقول الغراب بها شاهد
تقول ألا قد دنا نازح * فداء له الطارف والتالد
أخ لم تكن أمنا أمه * ولكن أبونا أب واحد
تداركني رأفة حاتم * فنعم المربب والوالد

ثم ان شاكرا سأل عنه فأخبر بمكانه فاشتراه ممن أسره بأربعين بعيرا فلما رجع به قال له أبوه اسع بجدك لا بكدك فذهبت مثلا

(سرعنك)

قالوا ان أول من قال ذلك خداش بن حابس التميمي وكان قد تزوج جارية من بني سدوس

سدوس يقال لها الرباب وغاب عنها بعدما ملكها أعواما فعلقها آخر من قومها يقال له سلم ففضحها وان سلما شردت له ابل فركب فى طلبها فوافاه خداش فى الطريق فلما علم به خداش كتمه أمر نفسه ليعلم علم امرأته وسارا فسأل سلم خداشا من الرجل فخبره بغير نسبه فقال سلم

أغبت عن الرباب وهام سلم * بها ولها بعرسك يا خداش
فيالك بعل جارية هواها * صبور حين تضطرب الكباش
ويالك بعل جارية كعوب * تزيد لذاذة دون الرياش
وكنت بها أخا عطش شديد * وقد يروى على الظمأ العطاش
فان أرجع ويأتيها خداش * سيخبره بما لاقى الفراش

فعرف خداش الامر عند ذلك ثم دنا منه فقال حدثنا يا أخا بنى سدوس فقال سلم علقت امرأة غاب عنها زوجها فأنا أنعم أهل الدنيا بها وهى لذة عيشى فقال خداش سر عنك فسارا ساعة ثم قال حدثنا يا أخا بنى سدوس عن خليلتك قال تسديت خباءها ليلا فبت بأقر ليلة أعلو وأعلى وأعانق وأفعل ما أهوى فقال خداش سر عنك وعرف الفضيحة فتأخر واخترط سيفه وغطاه بثوبه ثم لحقه وقال ما آية ما بينكما اذا جئتها قال أذهب ليلا الى مكان كذا من خبائها وهى تخرج فتقول

ياليل هل من ساهر فيك طالب * هوى خلة لا ينزحن ملتقاهما
فأجاوبها نعم ساهر قد كابد الليل هائم * بهائمة ما هومت مقلتاهما

فتعرف انى اناهو ثم قال خداش سر عنك ودنا حتى قرن ناقته بناقته وضربه بسيفه فأطار قحفه وبقى سائره فوق رحله يضطرب ثم انصرف فأتى المكان الذى وصفه سلم فقعد فيه ليلا وخرجت الرباب وهى تتكلم بذلك البيت فجاوبها بالآخر فدنت منه وهى ترى انه سلم فقنعها بالسيف ففلق ما بين المفرق الى الزور ثم ركب وانطلق يضرب فى التغابى والتغاضى عن الشئ قلت بقى معنى قوله سر عنك قيل معناه دعنى واذهب عنى وقيل معناه لا تربع على نفسك واذا لم يربع على نفسه فقد سار عنها وقيل العرب تزيد فى الكلام عن فتقول دع عنك الشك أى دع الشك وقيل أرادوا بعنك لا أبالك وانشد

فصار واليوم له بلابل * من حب جمل عنك ما يزائل

أى لا أبالك فعلى هذا معناه سر لا أبالك على عادتهم فى الدعاء على الانسان من غير ارادة الوقوع

(صدقني سن بكره)

البكر الفتى من الابل ويقال صدقته الحديث وفي الحديث يضرب مثلا في الصدق واصله ان رجلا ساوم رجلا في بكر فقال ماسنه فقال صاحبه بازل ثم نفر البكر فقال له صاحبه هدع هدع وهذه لفظة يسكن بها الصغار من الابل فلما سمع المشترى هذه الكلمة قال صدقني سن بكره ونصب سن على معنى عرفني سن ويجوز ان يقال أراد صدقني خبر سن ثم حذف المضاف ويروى صدقني سن بالرفع جعل الصدق للسن توسعا قال أبو عبيد وهذا المثل يروى عن على رضي الله تعالى عنه انه أتى فقيل له ان بني فلان وبني فلان اقتتلوا فغلب بنو فلان فانكر ذلك ثم أتاه آت فقال بل غلب بنو فلان للقبيلة الاخرى فقال على صدقني سن بكره وقال أبو عمرو دخل الاحنف على معاوية بعد ما مضى على رضي الله تعالى عنه فعاتبه معاوية وقال له اما انى لم انس ولم أجهل اعتزالك يوم الجمل ببني سعد ونزولك بهم سفوان وقريش تذبح بناحية البصرة ذبح الحيران ولم أنس طلبك الى ابن ابى طالب ان يدخلك في الحكومة ان تزيل عني أمرا جعله الله لي وقضاه ولم أنس تحضيضك بني تميم يوم صفين على نصرة على كل يمكنه قال فخرج الاحنف من عنده فقيل له ماصنع بك وماقال لك قال صدقني سن بكره أى خبرني بما في نفسه وماانطوت عليه ضلوعه

(صارت الفتيان حمما)

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر وذلك ان بني تميم قتلوا سعدا بن هند أخا عمرو ابن هند الملك فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بني تميم فجمع أهل مملكته فسار اليهم فبلغهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فاتى دارهم فلم يجد الا عجوزا كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة فلما نظر اليها والى حمرتها قال لها انى لاحسبك أعجمية فقالت لا والذى أسأله ان يخفض جناحك ويهد عمادك ويضع وسادك ويسلبك بلادك ما أنا باعجمية قال فمن أنت قالت أنا بنت ضمرة بن جابر ساد معدا كابرا عن كابر وأنا أخت ضمرة بن ضمرة قال فمن زوجك قالت هوذة بن جرول قال وأين هو الآن اما تعرفين مكانه قالت هذه كلمة أحمق لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني قال وأى رجل هو قالت هذه أحمق من الاولى أعن هوذة يسال هو والله طيب العرق سمين العرق لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف يأكل ماوجد ولا يسال عما فقد فقال عمرو أما والله لولا انى أخاف ان تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك فقالت وأنت والله لاتقتل الانساء أعاليها

ثدى

ثدى وأسافلها دمى والله ما أدركت ثارا ولا محوت عارا وما من فعلت هذه به بغافل عنك ومع اليوم غد فأمر باحراقها فلما نظرت الى النار قالت ألا فتى مكان عجوز فذهبت مثلا ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد فقالت هيهات صارت الفتيان حمما فذهبت مثلا ثم القيت في النار ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على احد حتى اذا كان فى آخر النهار أقبل راكب يسمى عمارا توضع به راحلته حتى أناخ اليه فقال له عمرو من أنت قال انا رجل من البراجم قال فما جاءبك الينا قال سطع الدخان وكنت قد طويت منذ أيام فظننته طعاما فقال عمرو ان الشقى وافد البراجم فذهبت مثلا وأمر به فالقى فى النار فقال بعضهم ما بلغنا انه اصاب من بنى تميم غيره وانما احرق النساء والصبيان وفى ذلك يقول جرير

واخزاكم عمرو كما قد خزيتم * وادرك عمارا شقى البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقى هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك ان يعيش فجئ بزاد

بخبز او بلحم او بتمر * او الشئ الملفف فى البجاد

تراه ينقب الآفاق حولا * ليأكل راس لقمان بن عاد

(صغراهن شراهن)

ويروى صغراها شراها ويروى مراها وأوّل من قال ذلك امرأة كانت فى زمن لقمان ابن عاد وكان لها زوج يقال له الشجبى وخليل يقال له الخلى فنزل لقمان بهم فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحى فارتاب لقمان بامرها فتبعها فرأى رجلا عرض لها ومضيا جميعا وقضيا حاجتهما ثم ان المرأة قالت للرجل انى أتماوت فاذا اسندونى فى رجمى فائتنى ليلا فاخرجنى ثم اذهب الى مكان لا يعرفنا أهله فلما سمع لقمان ذلك قال ويل للشجبى من الخلى فذهبت مثلا ثم رجعت المرأة الى مكانها وفعلت ما قالت فاخرجها الرجل وانطلق بها أياما الى مكان آخر ثم تحولت الى الحى بعد برهة فبينما هى ذات يوم قاعدة مرت بها بناتها فنظرت اليها الكبرى فقالت أمى والله فقالت الوسطى صدقت والله قالت المرأة كذبتما ما انا لكما بام ولا لابيكما بامرأة فقالت لهما الصغرى اما تعرفان محياها وتعلقت بها وصرخت فقالت الأم حين رأت ذلك صغراهن شراهن فذهبت مثلا ثم ان الناس اجتمعوا فعرفوها فرفعوا القصة الى لقمان بن عاد وقالوا له اقض بيننا فلما نظر لقمان الى المرأة عرفها فقال عند جهينة الخبر اليقين يعنى نفسه وما عاين منها فاخبر لقمان الزوج بما عرف واقبل على المرأة فقص عليها قصتها كيف

صنعت وكيف قالت اصدقها فلما أتاها ساعيا لاتنكر قالت ما كان هذا في حسابي فأرسلتها مثلا فقيل للقمان احكم فيها فقال ارجعوها كما رجعت نفسها في حياتها فرجعت فقال الشيخ احكم بيني وبين الخلي فقد فرق بيني وبين أهلي فقال يفرق بين ذكره وانثييه كما فرق بينك وبين انثاك فأخذ الخلي فجب ذكره

(صحيفة المتلمس)

قال المفضل كان من حديثها ان عمرو بن المنذر بن امرئ القيس كان يرشح أخاه قابوس وهما لهند بنت الحارث بن عمرو الكندي آكل المرار ليملك بعده فقدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما في صحابة قابوس وأمرهما بلزومه وكان قابوس شابا يعجبه اللهو وكان يركب يوما في الصيد فيركض ويتصيد وهما معه يركضان حتى رجعا عشية وقد لغبا فيكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان بباب سرادقه الى العشي وكان قابوس يوما على الشراب فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا اليه فضجر طرفة وقال

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور
من الزمرات أسبل قادماها * وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها * وتعلوها الكباش فما تنور
لعمرك ان قابوس ابن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي * كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم * تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوء * يطاردهن بالحدب الصقور
وأما يومنا فنظل ركبا * وقوفا ما نحل ولا نسير

وكان طرفة عدوا لابن عمه عبد عمرو وكان كريما على عمرو بن هند وكان سمينا بادنا فدخل مع عمرو الحمام فلما تجرد قال عمرو بن هند لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين قال ما قال وكان طرفة هجا عبد عمرو فقال

ولا خير فيه غير أن له غنى * وأن له كشحا اذا قام أهضما
تظل نساء الحي يعكفن حوله * يقلن عسيب من سرارة ملهما
له شربتان بالعشي وشربة * من الليل حتى آض جبسا مورما
ويشرب حتى يغمر المحض قلبه * فان أعطه أترك لقلبي مجثما

فلما قال له ذلك قال عبد عمرو انه قال ما قال وأنشده * فليت لنا مكان الملك عمرو * فقال

فقال عمرو ما اصدقك عليه وقد صدقه ولكن خاف ان ينذره وتدركه الرحمة فمكث غير كثير ثم دعا المتلمس وطرفة فقال لعلكما قد اشتقتما الى أهلكما وسركما ان تنصرفا قالا نعم فكتب لهما الى ابى كرب عامله على هجر أن يقتلهما وأخبرهما انه قد كتب لهما بحباء ومعروف واعطى كل واحد منهما شيئا فخرجا وكان المتلمس قد أسن فمرا بنهر الحيرة على غلمان يلعبون فقال المتلمس هل لك فى كتابينا فان كان فيهما خير مضيناله وان كان شرا اتقيناه فابى طرفة عليه فاعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه فاذا فيه السوأة فالقى كتابه فى الماء وقال لطرفة أطعنى وألق كتابك فأبى طرفة ومضى بكتابه قال ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بنى جفنة بالشام وقال المتلمس فى ذلك

من مبلغ الشعراء عن أخويهم * نبأ فتصدقهم بذاك الانفس
اودى الذى علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حبائه المتلمس
ألقى صحيفته ونجت كوره * وجناء مجمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها * فكان نقبتها أديم أملس *
ألق الصحيفة لاابا لك انه * يخشى عليك من الحباء النقرس

ومضى طرفة بكتابه الى العامل فقتله (وروى) عبيد راوية الاعشى قال حدثنى الاعشى قال حدثنى المتلمس واسمه عبد المسيح بن جرير قال قدمت أنا وطرفة بن العبد على عمرو ابن هند وكان طرفة غلاما معجبا تائها فجعل يتخلج فى مشيه بين يديه فنظر اليه نظرة كادت تقتلعه من مجلسه وكان عمرو لايتبسم ولايضحك وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وملك ثلاثا وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة وهو الذى يقول له الذهاب العجلى واسمه مالك بن جندل بن سلمة من بنى عجل ولقب بالذهاب لقوله

وماسيرهن اذ علون قراقرا * بذى أمم ولاالذهاب ذهاب
أبى القلب ان يأتى السدير وأهله * وان قيل عيش بالسدير غرير
به البق والحمى وأسد خفية * وعمرو ابن هند يعتدى ويجور

قال المتلمس فقلت لطرفة حين قمنا ياطرفة انى أخاف عليك من نظرته اليك مع ماقلت لاخيه قال كلا قال فكتب الى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان لى كتابا ولطرفة كتابا فخرجنا حتى اذا هبطنا بذى الركاب من النجف اذا أنا بشيخ عن يسارى يتبرز ومعه كسرة يأكلها ويقصع القمل فقلت تالله ان رأيت شيخا احمق وأضعف وأقل عقلا

منك قال ماتنكر قلت تبرز وتأكل وتقصع القمل قال أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا وأحق مني والاثم حامل حتفه بيمينه لا يدري ما فيه فنبهني وكانما كنت نائما فاذا أنا بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة فقلت يا غلام أتقرأ قال نعم قلت اقرأ فاذا فيه باسمك اللهم من عمرو ابن هند الى المكعبر اذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فألقيت الصحيفة في النهر وذلك حين أقول

القيتها بالثني من جنب كافر * كذلك أقنو كل قط مضلل

رضيت لها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وقلت يا طرفة معك والله مثلها قال كلا ما كان ليكتب بمثل ذلك في عقر دار قومي فأتى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا يضرب لمن يسعى بنفسه في حينها ويغررها

(طال الابد على لبد)

يعنون آخر نسور لقمان بن عاد وكان قد عمر سبعة أنسر وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو اكثر فاذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها الا السابع أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبدا وكان أطولها عمرا فضربت العرب به المثل فقالوا طال الابد على لبد قال الاعشى

وأنت الذي ألهيت قيلا بكاسه * ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر

لنفسك ان تختار سبعة أنسر * اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر

فعمر حتى خال ان نسوره * خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان زعموا ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قال النابغة * أخنى عليها الذي أخنى على لبد * وقال لبيد

ولقد جرى لبد فادرك جريه * ريب المنون وكان غير مثقل

لما رأى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

من تحته لقمان يرجو نهضه * ولقد يرى لقمان ان لا يأتلي

قال أبو عبيدة هو لقمان بن عاديا بن بجين بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كانه جعل عاديا وعادا اسمي رجل والعرب تزعم ان لقمان خير بين بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر وبين بقاء سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الابعار واختار النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له يا عم ما بقي

من

من عمرك الا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد ولبد باسم الدهر فلما انقضى عمر لبد رآه لقمان واقعا فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات ومات لقمان معه فضرب به المثل فقيل طال الابد على لبد وأتى أبد على لبد

(أظن ماءكم هذا ماء عناق)

قالوا كان من حديثه ان رجلا بيناهو يستقي و بيته تلقاء وجهه فنظر فاذا هو برجل معانق امرأته يقبلها فاخذ العصا واقبل مسرعا لا يشك فيما رأى فلما رأته امرأته جعلت الرجل فى خالفة البيت بين الخالفة والمتاع فنظر يمينا وشمالا فلم يرشيئا وخرج فنظر فى الارض فلم يرشيئا فكذب بصره فقالت المرأة كانها تريه انها قد استنكرت من أمره شيئا مادهاك يا أبا فلان ارعبك شئ فكتمها الذى رأى ومضى لحاجته فلما كان فى الورد الثانى قالت يا أبا فلان هل لك ان اكفيك السقى وتودع اليوم فانى قد اشفقت عليك قال نعم ان شئت فاقام فى المنزل فانطلقت تسقى وتحينت منه غفلة فاخذت العصا ثم اقبلت حتى تفاق بها رأسه فشجته فقال و يلك مالك ومادهاك قالت ومادهانى يا فاسق أين المرأة التى كانت معك تعانقها فقال لا والله ما كانت عندى امرأة وما عانقت اليوم امرأة قالت بلى أنا نظرت اليها بعينى وأنا على الماء فتحالفها فلما اكثرت قال ان تكونى صادقة فان ماءكم هذا ماء عناق يضرب مثلا فى الدواهى قاله ابو عمرو وروى غيره عناق بفتح العين وقال العناق والعناقة الخيبة وانشد

سرى لك بالعناقة من سعاد * خيال فاجتنى ثمر الفؤاد

وهما مستعاران للخيبة والامر المظلم من عناق الارض ومنه قولهم لقيت منه اذنى عناق لانهما سودان ولا يفارقهما السواد

عناق الارض دابة سوداء اه

(عند الصباح يحمد القوم السرى)

قال المفضل ان أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه ابو بكر رضى الله تعالى عنهما وهو باليمامة أن سر الى العراق فاراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائى قد سلكتها فى الجاهلية هى خمس للابل الواردة ولا اظنك تقدر عليها الا ان تحمل من الماء فاشترى مائة شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ثم كتبها وكعم أفواهها ثم سلك المفازة حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشى ان يذهب مافى بطون الابل نحر الابل واستخرج مافى بطونها من الماء فسقى الناس والخيل ومضى فلما كان فى الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترون سدرا عظيما فان رأيتموها والا فهو الهلاك

فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد

لله در رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى

خمسا اذا سار به الجيش بكى * ماسارها من قبله أنس يرى

عند الصباح يحمد القوم السرى * وتنجلى عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة

(عند جهينة الخبر اليقين)

قال هشام بن الكلبي كان من حديثه ان حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج ومعه رجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب وكان الاخنس قد أحدث فى قومه حدثا فخرج هاربا فلقيه الحصين فقال له من أنت ثكلتك أمك فقال له الاخنس بل من أنت ثكلتك أمك فردده هذا القول حتى قال الاخنس أنا الاخنس بن كعب فاخبرنى من أنت والا أنفذت قلبك بهذا السنان فقال له الحصين أنا الحصين بن عمرو الكلابى ويقال بل هو الحصين بن سبيع الغطفانى فقال له الاخنس فما الذى تريد قال خرجت لما يخرج له الفتيان قال الاخنس وانا خرجت لمثل ذلك فقال له الحصين هل لك ان نتعاقد أن لا نلتقى أحدا من عشيرتك أو عشيرتى الا سلبناه قال نعم فتعاقدا على ذلك وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه فقال لهما هل لكما ان تردّا على بعض ما أخذتماه منى وأدلكما على مغنم قالا نعم فقال هذا رجل من لخم قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا وكذا فردّا عليه بعض ماله وطلبا اللخمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدامه طعام وشراب فحيياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فكره كل واحد أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به فنزلا جميعا فاكلا وشربا مع اللخمى ثم ان الاخنس ذهب لبعض شأنه فرجع واللخمى يتشحط فى دمه فقال الجهنى وهو الاخنس وسل سيفه لان سيف صاحبه كان مسلولا ويحك فتكت برجل قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا فشربا ساعة وتحدثا ثم ان الحصين قال يا أخا جهينة اتدرى ماصنعا وماصنعا قال الجهنى هذا يوم شرب وأكل فسكت الحصين حتى اذا ظن أن الجهنى قد نسى مايراد به قال يا أخا جهينة هل أنت للطير زاجر قال وماذاك قال ماتقول هذه العقاب الكاسر قال الجهنى وأين تراها قال هى ذه وتطاول ورفع رأسه الى السماء فوضع الجهنى بادرة السيف فى نحره فقال أنا الزاجر والناحر واحتوى على متاعه ومتاع اللخمى

اللخمى وانصرف راجعا الى قومه فمر ببطنين من قيس يقال لهما مراح وأنمار فاذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع فقال لها من أنت قالت أنا صخرة امرأة الحصين قال أنا قتلته فقالت كذبت ما مثلك يقتل مثله أما لو لم يكن الحى خلوا ما تكلمت بهذا فانصرف الى قومه فاصلح أمرهم ثم جاءهم فوقف حيث يسمعهم وقال

وكم من ضيغم ورد هموس * أبى شبلين مسكنه العرين

علوت بياض مفرقه بعضب * فاضحى فى الفلاة له سكون

واضحت عرسه ولها عليه * بعيد هدوء ليلتها انين

* وكم من فارس لا تزدريه * اذا شخصت لموقعه العيون

كصخرة اذ تسائل فى مراح * وانمار وعلمهما ظنون

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

فمن يك سائلا عنه فعندى * لصاحبه البيان المستبين

جهينة معشرى وهم ملوك * اذا طلبوا المعالى لم يهونوا

قال الاصمعى وابن الاعرابى هو جفينة بالفاء وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تسائل عن أبيها كل ركب * وعند جفينة الخبر اليقين

قال فسألوا جفينة فاخبرهم خبر القتيل وقال بعضهم هو حفينة بالحاء المهملة يضرب فى معرفة الشئ حقيقة

(العاشية تهيج الآبية)

يقال عشوت فى معنى تعشيت وغدوت فى معنى تغديت ورجل عشيان أى متعش وقال ابن السكيت عشى الرجل وعشيت الابل تعشى عشى اذا تعشت قال أبو النجم يعشى اذا أظلم عن عشائه يقول يتعشى وقت الظلمة قال المفضل خرج السليك بن السلكة واسمه الحارث بن عمرو بن زيد مناة بن تميم وكان انكر العرب وأشعرهم وكانت أمه أمة سوداء وكان يدعى سليك المقانب وكان ادل الناس بالارض وأعداهم على رجله لا تعلق به الخيل وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لما شئت اذا شئت انى لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة لكنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة أى لا أهاب أحدا زعموا أنه خرج يريد أن يغير فى ناس من أصحابه فمر على بنى شيبان فى ربيع والناس مخصبون فى عشية فيها ضباب ومطر فاذا هو ببيت قد انفرد

من البيوت عظيم وقد أمسى فقال لاصحابه كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت فلعلى أصيب خيرا أو آتيكم بطعام فقالوا له افعل فانطلق اليه وجن عليه الليل فاذا البيت بيت يزيد بن رويم الشيباني واذا الشيخ وامرأته بفناء البيت فاحتال سليك حتى دخل البيت من مؤخره فلم يلبث أن أراح ابن الشيخ بابله في الليل فلما رآه الشيخ غضب وقال هلا كنت عشيتها ساعة من الليل فقال ابنه انها أبت العشاء فقال يزيد ان العاشية تهيج الآبية فارسلها مثلا ثم نفض الشيخ ثوبه في وجهها فرجعت الى مراتعها وتبعها الشيخ حتى مالت لادنى روضة فرتعت فيها وقعد الشيخ عندها يتعشى وقد خنس وجهه في ثوبه من البرد وتبعه السليك حتى رآه انطلق فلما رآه مغترا ضربه من ورائه بالسيف فاطار رأسه واطرد ابله وقد بقي أصحاب السليك وقد ساء ظنهم وخافوا عليه فاذا به يطرد الابل فاطردوها معه فقال سليك في ذلك

وعاشية روح بطان ذعرتها * بصوت قتيل وسطها يتسيف

أي يضرب بالسيف

كان عليه لون برد محبر * اذا ما أتاه صارخ متلهف

يريد بقوله لون برد محبر طرائق الدم على القتيل وبالصارخ الباكي المتحزن له

فبات لها أهل خلاء فناؤهم * ومرت بهم طير فلم يتعيفوا

أي لم يزجروا الطير فيعلموا من جهتها أيقتل هذا أو يسلم

وباتوا يظنون الظنون وصحبتي * اذا ما علوا نشزا أهلوا وأوجفوا

أي حملوها على الوجيف وهو ضرب من السير

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة * وكدت لاسباب المنية أعرف

أي أصبر

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني * اذا قمت يغشاني ظلال فاسدف

خص الصيف دون الشتاء لان بالصيف لا يكاد يجوع احد لكثرة اللبن فاذا جاع هو دل على انه كان لا يملك شيئا وقوله اسدف يريد أدور فادخل في السدفة وهي الظلمة يعني يظلم بصري من شدة الجوع يقال انه كان افتقر حتى لم يبق عنده شئ فخرج على رجليه رجاء ان يصيب غرة من بعض من يمر عليه فيذهب بابله حتى اذا امسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة اشتمل الصماء وهو ان يرد فضل ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها فبينا هو نائم اذ جثم عليه رجل فقال له استأسر فرفع سليك راسه وقال الليل طويل

وأنت

وأنت مقمر فذهب قوله مثلا ثم جعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث استأسر فلما اذاه أخرج سليك يده فضم الرجل ضمة ضرط منها فقال أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا وقد ذكرته في باب الضاد ثم قال له سليك من أنت فقال أنا رجل افتقرت فقلت لاخرجن فلا ارجع حتى استغنى قال فانطلق معي فانطلقا حتى وجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعا حتى أتوا الجوف جوف مراد الذي باليمن اذا نعم قد ملأ كل شئ من كثرته فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الحي فقال لهما سليك كونا قريبا حتى آتي الرعاء فأعلم لكما علم الحي أقريب هم أم بعيد فان كانوا قريبا رجعت اليكما وان كانوا بعيدا قلت لكما قولا أحي به لكما فأغيرا فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يتسقطهم حتى أخبروه بمكان الحي فاذاهم بعيد ان طلبوا لم يدركوا فقال السليك ألا أغنيكم قالوا بلى فتغنى بأعلى صوته

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي * الا عبيد وآم بين اذواد

أتنظراني قليلا ريث غفلتهم * أم تغدوان فان الريح للغادي

الوآم الوفاق والمباهاة فلما سمعا ذلك أتياه فاطردوا الابل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى مضوا بما معهم

(في بيته يؤتى الحكم)

هذا مما زعمت العرب عن ألسن البهائم قالوا ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها وانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا الحسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكمتما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال حر انتصر قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله كلها أمثالا (قلت) ومما يشبه هذا ما حكى أن خالد ابن الوليد لما توجه من الحجاز الى أطراف العراق دخل عليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة فقال له خالد أين أقصى أثرك قال ظهر أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال علام أنت قال على الارض قال فيم أنت قال في ثيابي قال فمن أين أقبلت قال من خلفي قال أين تريد قال امامي قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال أتعقل أنت قال نعم وأقيد قال احرب أنت أم سلم قال سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها السفيه حتى يجيء حليم فينهاه ومثل هذا أن عدي بن ارطاة أتى اياس بن معاوية قاضي البصرة

في مجلس حكمه وعدى أمير البصرة وكان اعرابي الطبع فقال لا باس يا هناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت لاهلها ان لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال على ابن أخي عمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك

(في سبيل الله سرجي وبغلي)

أول من قال ذلك المقدام بن حاطف العجلي وكان قد وفد على كسرى فاكرمه فلما أراد الانصراف حمله على بغل مسرج من مراكبه فلما وصل الى قومه قالوا ما هذا الذي أتيتنا به فانشأ يقول

أتيتكم ببغل ذي مراح * اقب جولة الملك الهمام
يجول اذا حملت عليه سرجا * كما جال المفدح ذو اللجام
وما يزداد الا فضل جرى * اذا ما مسه عرق الحزام
وليست أمه منه وما ان * أبوه من المسومة الكرام
له أم مفدحة صفون * وكان أبوه ذا دبر دوامى

وكان يروضه رياضة الخيل فرمحه رمحة كسر بها شراسيفه فرض من ذلك برهة وأمر بالبغل فحمل عليه الكور وأمتعة الحي ولم يعلف فنفق البغل وبرئ المقدام من مرضه فركب الى الصيد وحمل السرج على ناقة له علوق فلما ركبها ومسها وقع الركابين هوت به قيد رمحين وطارت به في الارض فلم يقدر عليها وتقطع السرج فقال المقدام نفق البغل وأودى سرجنا في سبيل الله سرجي وبغلي يضرب في التسلي عما يهلك ويودى به الزمان

(قد حيل بين العير والنزوان)

أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء قال ثعلب غزا صخر بن عمرو بني أسد ابن خزيمة فاكتسح ابلهم فجاءهم الصريخ فركبوا فالتقوا بذات الاثل فطعن أبو ثور الاسدي صخرا طعنة في جنبه وافلت الخيل فلم يقعص مكانه وجوى منها فمرض حولا حتى مله أهله فسمع امرأة تقول لامرأته سلمى كيف بعلك فقالت لاحي فيرجى ولا ميت فينعى لقد لقينا منه الامرين فقال صخر * أرى أم صخر لا تمل عيادتي *وفي رواية أخرى فمرض زمانا حتى ملته امرأته وكان يكرمها فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات

ذات خلق وادراك فقال لها يباع الكفل فقالت نعم عما قليل وكان ذلك بسمعه صخر فقال اما والله لئن قدرت لاقدمنك قبلى ثم قال لها ناولينى السيف انظر اليه هل تقله يدى فناولته فاذا هو لا يقله فقال

أرى أم صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
وما كنت أخشى ان اكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
فللموت خير من حياة كانها * معرس يعسوب برأس سنان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له اذنان

قال أبو عبيدة فلما طال به البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اللبد فى موضع الطعنة قيل له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شأنكم وأشفق عليه قوم فنهوه فأبى فاخذوا شفرة فقطعوا ذلك الموضع فيئس من نفسه وقال

اجارتنا ان الحتوف تنوب * على الناس كل المخطئين تصيب
اجارتنا ان تسأليني فانني * مقيم لعمرى ما أقام عسيب
كانى وقد ادنوا لحز شفارهم * من الصبر دامى الصفحتين نكيب

ثم مات فدفن الى جنب عسيب وهو جبل يقرب من المدينة وقبره معلم هناك

(قد أنصف القارة من راماها)

القارة قبيلة وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما أراد الشداخ ان يفرقهم فى بنى كنانة فقال شاعرهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وهى رماة الحدق فى الجاهلية وهم اليوم فى اليمن و يزعمون أن رجلين التقيا أحدهما قارى فقال القارى ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال القارى قد أنصفتنى وانشأ يقول

قد أنصف القارة من راماها * انا اذا ما فئة نلقاها
ترد أولاها على أخراها

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده قال أبو عبيد أصل القارة الاكمة وجمعها قور قال ابن واقد وانما قيل انصف القارة من راماها فى حرب كانت بين قريش و بين بكر بن

عبد مناف بن كنانة قال وكانت القارة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم وفي بعض الآثار ألا أخبركم بأعدل الناس قيل بلى قال من أنصف من نفسه وفي بعضها أيضا أشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك والمواساة بالمال وذكر الله تعالى على كل حال

(قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا)

قالوا ان أول من قال ذلك النعمان بن المنذر اللخمي للربيع بن زياد العبسي وكان له صديقا ونديما وان عامرا ملاعب الاسنة وعوف بن الاحوص وسهيل بن مالك واميد بن ربيعة وشماسا الفزاري وقلابة الاسدي قدموا على النعمان وخلفوا لبيدا براعي ابلهم وكان أحدثهم سنا وجعلوا يغدون الى النعمان ويروحون فاكرمهم وأحسن نزلهم غير أن الربيع كان اعظم عنده قدرا فبينما هم ذات يوم عند النعمان اذ جزبهم الربيع وعابهم وذكرهم بأقبح ماقدر عليه فلما سمع القوم ذلك انصرفوا الى رحالهم وكل انسان منهم مقبل على بثه وروّح لبيد السؤال فلما رأى أصحابه ومابهم من الكآبة سألهم مالكم فكتموه فقال لهم والله لا أحفظ لكم متاعا ولا أسرح لكم ابلا أو تخبروني بالذي كنتم فيه وانما كتموا عنه لان أم لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد بوجهه عنا فقال لبيد هل فيكم من يكفيني الابل وتدخلونني على النعمان معكم فواللات والعزى لادعنه لا ينظر اليه أبدا فخلفوا في ابلهم قلابة الاسدي وقالوا للبيد أو عندك خير قال سترون قالوا انا نبلوك في هذه البقلة لبقلة بين أيديهم دقيقة الاغصان قليلة الاوراق لاصقة بالارض تدعى التربة صفها لنا واشتمها فقال هذه التربة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل شر البقول مرعى واقصرها فرعا فتعسا لها وجدعا القوا بي أخا عبس أرده عنكم بتعس وادعه من أمره في لبس قالوا نصبح فنرى رأينا فقال لهم عامر انظروا هذا الغلام فان رأيتموه نائما فليس أمره بشئ انما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهجس في خاطره وان رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه فرأوه قد ركب رحلا حتى أصبح فخرج القوم وهو معهم حتى دخلوا على النعمان وهو يتغدى والربيع يا كل معه فقال لبيد أبيت اللعن أتأذن لي في الكلام فأذن له فانشأ يقول

يارب هيجا هي خير من دعه * اكل يوم هامتي مقزعه

نحن

نحن بنو أم البنين الاربعه * ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه * والضاربون الهام تحت الخيضعه
يا واهب الخير الكثير من سعه * اليك جاوزنا بلادا مسبعه
نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه * مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه
* ان استه من برص ملمعه * وانه يدخل فيها اصبعه
يدخلها حتى يوارى أشجعه * كأنه يطلب شيئا أطمعه

ويروى ضيعه فلما سمع النعمان الشعر أفف ورفع يده من الطعام وقال للربيع اكذلك أنت قال لا واللات لقد كذب ابن الفاعلة قال النعمان لقد خبث على طعامى فغضب الربيع وقام وهو يقول

لئن رحلت ركابى ان لى سعة * ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
ولو جمعت بنى لخم بأسرهم * ما وازنوا ريشة من ريش سمويلا
فابرق بارضك يا نعمان متكئا * مع النطاسى طورا وابن توفيلا

وقال لا ابرح أرضك حتى تبعث الى من يفتشنى فتعلم أن الغلام كاذب فاجابه النعمان

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا * تكثر على ودع عنك الاباطيلا
فقد رميت بداء لست غاسله * ما جاور النيل يوما أهل ابليلا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا * فما اعتذارك عن شئ اذا قيلا

قوله بنو أم البنين الاربعه هم خمسة مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك أبو عامر بن الطفيل وربيعة بن مالك وعبيدة بن مالك ومعاوية بن مالك وهم أشراف بنى عامر فجعلهم أربعة لاجل القافية وسمويل أحد أجداد الربيع وهو فى الاصل اسم طائر وأراد بالنطاسى روميا يقال له سرحون وابن توفيل رومى آخر كانا ينادمان النعمان

(كل فتاة بابيها معجبه)

يضرب فى عجب الرجل برهطه وعشيرته وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدى وذلك انها وثلاث نسوة من قومها خرجن فاتعدن بروضة يتحدثن فيها فوافين بها ليلا فى قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة فلما جلسن قلن ما رأينا كالليلة ليلة ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحا ولا انضر ثم افضن فى الحديث فقلن أى النساء أفضل قالت احداهن الخرود الودود الولود قالت الاخرى خيرهن ذات الغناء

وطيب الثناء وشدة الحباء قالت الثالثة خيرهن السموع الجموع النفوع غير المنوع قالت الرابعة خيرهن الجامعه لاهلها الوادعة الرافعة لا الواضعة قلن فأى الرجال أفضل قالت احداهن خيرهم الحظى الرضى غير الحظال ولا التبال قالت الثانية خيرهم السيد الكريم ذوالحسب العميم والمجد القديم قالت الثالثة خيرهم السخى الوفى الرضى الذى لا يغير الحرة ولا يتخذ الضرة قالت الرابعة وأبيكن ان فى أبى لنعتا كرم الاخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق ويحمده اهل الرفاق قالت العجماء عند ذلك كل فتاة بأبيها معجبة وفى بعض الروايات ان احداهن قالت ان أبى يكرم الجار ويعظم النار وينحر العشار بعد الحوار ويحمل الامور الكبار فقالت الثانية ان أبى عظيم الخطر منيع الوزر عزيز النفر يحمد منه الورد والصدر فقالت الثالثة ان أبى صدوق اللسان كثير الاعوان يروى السنان عند الطعان قالت الرابعة ان أبى كريم النزال منيف المقال كثير النوال قليل السؤال كريم الفعال ثم تنافرن الى كاهنة معهن فى الحى فقلن لها اسمعى ما قلنا واحكمى بيننا واعدلى ثم اعدن عليها قولهن فقالت لهن كل واحدة منكن ماردة على الاحسان جاهدة لصواحباتها حاسدة ولكن اسمعن قولى خير النساء المبقية على بعلها الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع الى أهلها مطلقة فهى تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها فتلك الكريمة الكاملة وخير الرجال الجواد البطل القليل الفشل اذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل كثير النفل ثم قالت كل واحدة منكن بأبيها معجبة

(كل شاة برجلها معلقة)

قال ابن الكلبى أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان ولى أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة عند سوق الخياطين اليوم وجعل فيه امة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعل فى الصرح سلما فكان يرقاه ويزعم انه يناجى الله تعالى وكان ينطق بكثير من الخير وكان علماء العرب يزعمون انه صديق من الصديقين وكان من قوله مرضعة أوفاطمة ووادعة وقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء هلكت جرهم وربلت وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايادا فقال لهم اسمعوا وصيتى الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة فأرسلها مثلا قال ومات وكيع

فنعى

فنعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى

ونحـن اياد عباد الاله * ورهط مناجيه فى سلم
ونحن ولاة حجاب العتيق * زمان النخاع على جرهم

يقال ان الله سلط على جرهم داء يقال له النخاع فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشبان وفيهم قال بعض العرب

هلكت جرهم الكرام فعالا * وولاة البنية الحجاب
نخعوا ليلة ثمانون كهلا * وشبابا كفى بهم من شباب

(كيف اعاودك وهذا أثر فأسك)

اصل هذا المثل على ماحكته العرب على لسان الحية ان أخوين كانا فى ابل لهما فأجدبت بلادهما وكان بالقرب منهما واد خصيب وفيه حية تحميه من كل أحد فقال أحدهما للآخر يافلان لوأنى أتيت هذا الوادى المكلئ فرعيت فيه ابلى واصلحتها فقال له اخوه انى اخاف عليك الحية الا ترى ان أحدا لايهبط ذلك الوادى الا أهلكته قال فوالله لافعلن فهبط الوادى ورعى به ابله زمانا ثم ان الحية نهشته فقتلته فقال أخوه والله مافى الحياة بعد أخى خير فلاطلبن الحية ولاقتلنها أولا تبعن اخى فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها فقالت الحية له الست ترى انى قتلت أخاك فهل لك فى الصلح فأدعك بهذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم دينارا مابقيت قال أوفاعلة انت قالت نعم قال انى أفعل فحلف لها وأعطاها المواثيق لايضرها وجعلت تعطيه كل يوم دينارا فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا ثم انه ذكر أخاه فقال كيف ينفعنى العيش وانا أنظر الى قاتل أخى فعمد الى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثرت فيه فلما رأت مافعل قطعت عنه الدينار فخاف الرجل شرها وندم فقال لها هل لك فى أن نتواثق ونعود الى ماكنا عليه فقالت كيف اعاودك وهذا أثر فأسك يضرب لمن لايفى بالعهد وهذا من مشاهير أمثال العرب قال نابغة بنى ذبيان

وانى لالقى من ذوى الغى منهم * وما أصبحت تشكو من الشجو ساهره
كما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما رأى ان ثمر الله ماله * واثل موجودا وسد مفاقره
اكب على فأس يحد غرابها * مذكرة من المعاول باتره

فقام لها من فوق جحر مشيد * ليقتلها أو تخطئ الكف بادره
فلما وقاها الله ضربة فأسه * وللشر عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على مالنا أو تنجزى لى آخره
فقالت يمين الله افعل اننى * رأيتك مشؤما يمينك فاجره
ابى لى اثر لا يزال مقابلى * وضربة فأس فوق رأسى فاقره

(كلاهما وتمرا)

ويروى كليهما أوّل من قال ذلك عمرو بن حمران الجعدى وكان حمران رجلا لسنا ماردا وأنه خطب صدوف وهى امرأة كانت تؤبد الكلام وتسجع فى المنطق وكانت ذات مال كثير وقد أتاها قوم كثير يخطبونها فردتهم وكانت تتعنت خطابها فى المسألة وتقول لا أتزوج الا من يعلم ما أسأله عنه ويجيبنى بكلام على حده لا يعدوه فلما انتهى اليها حمران قام قائما لا يجلس وكان لا يأتيها خاطب الا جلس قبل اذنها فقالت ما يمنعك من الجلوس قال حتى يؤذن لى قالت وهل عليك أمير قال رب المنزل أحق بفنائه ورب الماء أحق بسقائه وكل له ما فى وعائه فقالت اجلس فجلس قالت له ما أردت قال حاجة ولم آتك لحاجة قالت تسرها أم تعلنها قال تسر وتعلن قالت فما حاجتك قال قضاؤها هين وأمرها بين وأنت بها أخبر وبنجحها أبصر قالت فاخبرنى بها قال قد عرضت وان شئت بينت قالت من أنت قال انا بشر ولدت صغيرا ونشأت كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسمك قال من شاء أحدث اسما وقال ظلما ولم يكن الاسم عليه حتما قالت فمن أبوك قال والدى الذى ولدنى ووالده جدى فلم يعش بعدى قالت فما مالك قال بعضه ورثته وأكثره اكتسبته قالت فممن أنت قال من بشر كثير عدده معروف ولده قليل صعده يفنيه أبده قالت ما ورثك أبوك عن أوليه قال حسن الهمم قالت فاين تنزل قال على بساط واسع فى بلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب قالت فمن قومك قال الذين انتمى اليهم وأجنى عليهم وولدت لديهم قالت فهل لك امرأة قال لو كانت لى لم أطلب غيرها ولم أضيع خيرها قالت كانك ليست لك حاجة قال لو لم تكن لى حاجة لم أنخ ببابك ولم أتعرض لجوابك وأتعلق بأسبابك قالت انك لحمران بن الاقرع الجعدى قال ان ذلك ليقال فانكحته نفسها وفوضت اليه أمرها ثم انها ولدت له غلاما فسماه عمرا فنشأ ماردا مفوها فلما أدرك جعله أبوه راعيا

يرعى

يرعى له الابل فبيناهو يوما اذ رفع اليه رجل قد أضربه العطش والسغوب وعمرو قاعد وبين يديه زبد وتمر وتامك فدنا منه الرجل فقال اطعمنى من هذا الزبد والتامك فقال عمرو نعم كلاهما وتمرا فاطعم الرجل حتى انتهى وسقاه لبنا حتى روى وأقام عنده أياما فذهبت كلمته مثلا ورفع كلاهما أى لك كلاهما ونصب تمرا على معنى وأزيدك تمرا ومن روى كليهما فانما نصبه على معنى اطعمك كليهما وتمرا وقال قوم من رفع حكى ان الرجل قال انلنى مما بين يديك فقال عمرو أيما أحب اليك زبد أم سنام فقال الرجل كلاهما وتمرا أى مطلوبى كلاهما وأزيد معهما تمرا أو وزدنى تمرا

(ان يهلك امرؤ عرف قدره)

قال المفضل ان أول من قال ذلك اكثم بن صيفى فى وصية كتب بها الى طيئ كتب اليهم أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم واياكم ونكاح الحمقا فان نكاحها غرر وولدها ضياع وعليكم بالخيل فاكرموها فانها حصون العرب ولا تضعوا رقاب الابل فى غير حقها فان فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبالبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ولو أن الابل كلفت الطحن لطحنت ولن يهلك امرؤ عرف قدره والعدم عدم العقل لا عدم المال ولرجل خير من ألف رجل ومن عتب على الدهر طالت معتبته ومن رضى بالقسم طابت معيشته وآفة الرأى الهوى والعادة املك والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك والحسد داء ليس له دواء والشماتة تعقب ومن ير يوما يره قبل الرماء تملأ الكنائن الندامة مع السفاهة دعامة العقل الحلم خير الامور مغبة الصبر بقاء المودة عدل التعاهد من يزر غبا يزدد حبا التغرير مفتاح البؤس من التوانى والعجز نتجت الهلكة لكل شئ ضراوة فضر لسانك بالخير عى الصمت أحسن من عى المنطق الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت كثير التنصح يهجم على كثير الظنه من ألحف فى المسئلة ثقل من سأل فوق قدره استحق الحرمان الرفق يمن والخرق شؤم خير السخاء ما وافق الحاجة خير العفو ما كان بعد القدرة فهذه خمسة وثلاثون مثلا فى نظام واحد

(لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت)

ويروى ولا درنك أصله ان رجلا كان فى سفر ومعه امرأته وكانت عاركا فطهرت وكان معهما ماء يسير فاغتسلت فلم يكفها لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين فندها

قال لها هذا القول وقال المفضل أول من قال ذلك الضب بن أروى الكلاعى وذلك انه خرج تاجرا من اليمن الى الشام فسار أياما ثم حاد عن أصحابه فبقى مفردا فى تيه من الارض حتى سقط الى قوم لا يدرى من هم فسأل عنهم فاخبر انهم همدان فنزل بهم وكان طريرا ظريفا وان امرأة منهم يقال لها عمرة بنت سبيع هويته وهويها فخطبها الضب الى أهل بيتها وكانوا لا يزوجون الا شاعرا أو عائفا أو عالما بعيون الماء فسألوه عن ذلك فلم يعرف منها شيئا فابوا تزويجه فلم يزل بهم حتى أجابوه فتزوجها ثم ان حيا من احياء العرب أرادوا الغارة عليهم فتطيروا بالضب فاخرجوه وامرأته وهى طامث فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء فسار يوما وليلة واماهما عين يظنان انهما يصبحانها فقالت له ادفع الى هذا السقاء حتى أغتسل فقد قار بنا العين فدفع اليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها ثم صبحا العين فوجداها ناضبة وادركهما العطش فقال لها الضب لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت ثم استظلا بشجرة حيال العين فانشأ الضب يقول

تالله ما طلة أصاب بها * بعلا سوى قوارع العطب
وأى مهر يكون أثقل مما * طلبوه اذن من الضب *
أن يعرف الماء تحت صم الصفا * ويخبر الناس منطق الخطب
أخرجنى قومها بان الرحا * دارت بشؤم لهم على القطب

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقالت ارجع الى القوم فانك شاعر فانطلقا راجعين فلما وصلا خرج القوم اليهما وقصدوا ضربهما وردهما فقال لهم الضب اسمعوا شعرى ثم اقتلونى فانشدهم شعره فنجا وصار فيهم آثر من بعضهم قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها * ولا هى من ماء العذابة طاهر

(لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا)

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال لا تكن فى الاخاء مكثرا ثم تكون فيه مدبرا فيعرف سرفك فى الاكثار بجفائك فى الادبار ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومنه قول النمر بن تولب

احبب حبيبك حبا رويدا * فليس يعولك ان تصرما *
وابغض بغيضك بغضا رويدا * اذا انت حاولت ان تحكما

وقال النبى صلى الله عليه وسلم انما المرء بخليله فلينظر امرؤ من يخالل وقريب منه بيت عدى

عدى بن زيد

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدى

(لا ناقتى فى هذا ولا جملى)

أصل المثل للحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة كليبا وهاجت الحرب بين الفريقين وكان الحارث اعتزلهما قال الراعى

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لى فى هذا ولا جملى

يضرب عند التبرى من الظلم والاساءة وذكروا أن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب شر ورلما خرج الناس على الحجاج فقال لا ناقتى فى ذا ولا جملى فلما دخل بعد ذلك على الحجاج قال أنت القائل لا ناقتى فى ذا ولا جملى لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا ولا رحلا فشمت به حجار بن أبجر العجلى وهو عند الحجاج فلما دعا بغدائه جاؤا بغريبة فقال ضعوها بين يدى أبى عبد الله فانه ابنى يحب اللبن أراد أن يدفع عنه شماتة حجار وقال بعضهم ان أول من قال ذلك الصدوف بنت حليس العذرية وكان من شأنها انها كانت عند زيد بن الاخنس العذرى وكان لزيد بنت من غيرها يقال لها الفارعة وان زيدا عزل ابنته عن امرأته فى خباء لها وأخدمها خادما وخرج زيد الى الشام وان رجلا من عذرة يقال له شبث هويها وهويته ولم يزل بها حتى طاوعته فكانت تأمر راعى أبيها ان يعجل ترويح ابله وأن يحلب لها حلبة ابلها قيلا فتشرب اللبن نهارا حتى اذا أمست وهدأ الحى رحل لها جملا كان لابيها ذلولا فقعدت عليه وانطلقا حتى كانا ينتهيان الى متيهة من الارض فيكونان بها ليلتهما ثم يقبلان فى وجه الصبح فكان ذلك دأبهما فلما فصل أبوها من الشام مر بكاهنة على طريقه فسألها عن أهله فنظرت له وقالت أرى جملك يرحل ليلا وحلبة تحلب ابلك قيلا وأرى نعما وخيلا فلا ابث فقد كان حدث بآل شبث فاقبل زيد لا يلوى على شئ حتى أتى أهله ليلا فدخل على امرأته وخرج من عندها مسرعا حتى دخل خباء ابنته فاذا هى ليست فيه فقال لخادمها اين الفارعة ثكلتك أمك قالت

خرجت تمشى وهى حرود زائرة تعود لم تر بعدك شمسا ولا شهدت عرسا فانفتل عنها الى امرأته فلما رأته عرفت الشر فى وجهه فقالت يا زيد لا تعجل واقف الاثر فلا ناقة لى فى هذا ولا جمل فهى أول من قال ذلك

(لا تراهن على الصعبة ولا تنشد القريض حتى يحبلى)

هذا المثل للحطيئة لما حضرته الوفاة اكتنفه أهله وبنوعمه فقيل له يا حطىء أوص

قال وبم أوص مالى بين بنى قالوا قد علمنا ان مالك بين بنيك فأوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فأرسلها مثلا فقالوا أوص فقال اخبروا أهل ضابئ بن الحارث انه كان شاعرا حيث يقول

لكل جديد لذة غير انني * وجدت جديد الموت غير لذيذ

ثم قال لاتراهن على الصعبة ولا تنشد القريض حتى يحيل فأرسلها مثلا يضرب فى التحذير وفى بعض الروايات انه قيل له يا أبا مليكة اوصه قال مالى للذكور دون الاناث قالوا ان الله لم يأمر بذا قال فانى آمر قال أوصه قال اخبروا آل الشماخ ان أخاهم اشعر العرب حيث يقول

وظلت باعراف صياما كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز

قالوا اوصه فان هذا لا يغنى عنك شيئا قال ابلغوا كندة ان أخاهم أشعر العرب حيث يقول

فيالك من ليل كان نجومه * بامراس كتان الى صم جندل

يعنى امرأ القيس قالوا اوصه فان هذا لا يغنى عنك شيئا قال اخبروا الانصار ان أخاهم امدح العرب حيث يقول

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا أوصه فان هذا لا يغنى عنك شيئا قال اوصيكم بالشعر خيرا ثم انشأ يقول

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه * والشعر لا يطيعه من يظلمه

يريد ان يعربه فيعجمه * ولم يزل من حيث يأتى يحرمه

من يسم الاعداء يبقى ميسمه

قالوا اوصه فان هذا لا يغنى عنك شيئا قال

كنت احيانا شديد المعتمد * وكنت أحيانا على خصمى ألد

قد وردت نفسى وما كادت ترد

قالوا اوصه فان هذا لا يغنى عنك شيئا قال واجزعاه على المديح الجيد يمدح به من ليس من أهله قالوا أوصه فان هذا لا يغنى عنك شيئا فبكى قالوا وما يبكيك قال ابكى الشعر الجيد من راوية السوء قالوا أوص للمساكين بشئ قال اوصيهم بالمسألة واوصى الناس أن لا يعطوهم قالوا اعتق غلامك فانه قد رعى عليك ثلاثين سنة قال هو عبد ما بقى على الارض

الارض عبسى ثم قال احملونى على حمارى ودوروا بى حول هذا التل فانه لم يمت على الحمار كريم فعسى ربى ان يرحمنى فحمله ابناه واخذا بضبعيه ثم جعلا يسوقان الحمار حول التل وهو يقول

قد يحمل الدهر والاحداث يمكنا * فاستغنيا بوشيك اننى فان
وداميانى فى غبراء مظلمة * كما تدلى دلاة بين اشطان

قالوا يا ابا مليكة من اشعر العرب قال هذا الحجر اذا طمع بخير واشار بيده الى فيه وكان آخر كلامه فمات وكان له عشرون ومائة سنة منها سبعون فى الجاهلية وخمسون فى الاسلام ويروى انه اراد سفرا فلما قدم راحلته قالت له امرأته متى ترجع فقال

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * ودع الشهور فانهن قصار

فقالت

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

قالوا وما مدح قوما الا رفعهم وما هجا قوما الا وضعهم وقال يهجو نفسه وقد نظر فى المرآة وكان دميما

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فما ادرى لمن انا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

(لا غزو الا التعقيب)

يقال عقب الرجل وهو أن يغزو مرة ثم يثنى من سنته قال طفيل يصف الخيل

طوال الهوادى والمتون صليبة * مغاوير فيها للاريب معقب

وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار وذلك ان الحارث بن مندلة ملك الشام وكان من ملوك سليح من ملوك الضجاعم وهو الذى ذكره مالك بن جوين الطائى فى شعره فقال

هنالك لا أعطى رئيسا مقادة * ولا ملكا حتى يؤب ابن مندله

وكان قد اغار على أرض نجد وهى ارض حجر بن الحارث هذا وذلك على عهد بهرام جور وكان بها اهل حجر فوجد القوم خلوفا ووجد حجرا قد غزا اهل نجران فاستاق ابن مندلة مال حجر وأخذ امرأته هند الهنود ووقع بها فاعجبها وكان آكل المرار شيخا كبيرا وابن مندلة شابا جميلا فقالت له النجاء النجاء فان وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيرا ورأيا صليبا وحزما وكيدا فخرج ابن مندلة مغذا الى الشام وجعل يقسم المرباع نهاره أجمع فاذا كان الليل اسرجت له السرج يقسم عليها فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق

ووجد هند اقد أخذت فقال من اغار عليكم قالوا ابن منـدلة قال مذ كم فقالوا مذ ثمـان ليال فقال حجر ثمان فى ثمان لا غزوالا التعقيب فأرسلها مثلا يعـنى غزوه الاول والثـانى (قلت) قوله ثمان فى ثمـان يعنى ثمان ليال أدخلت فى ثمان أخرى اذ كانت غزوة نجران كذا فقرنت بمثلها من هذا الغزو الا آخرا وأراد ثمان ليال فى أثر ثمان ليال يعنى انه سبقه بثمـان ليال حين اغار على قومه وسيلحقه فى ثمـان ليال ثم اقبل مجدا فى طلب ابن منـدلة حتى دفع الى واد دون منزل ابن مندلة فكمن فيه وبعث سـدوس بن شيبان بن ذهـل ابن ثعلبة وكان من مناكير العرب فقال له حجـر اذهب متنكرا الى القوم حـتى تعلم لنا علمهم فانطلق سـدوس حتى انتهـى الى ابن منـدلة وقد نزل فى سفح الجبـل وأوقدنارا وأقبل يقسم المرباع ونثر تمرا وقال من جاء بحزمة حطب فذهب سدوس وأتى بحزمة حطب والقاها على النار وأخذ قبضة من تمر فألقاها فى كنانته وجلس مع القوم يستمع الى ما يقولون وهند خلف ابن مندلة تحدثه فقال ابن مندلة يا هند ماظنك الآن بحجر قالت أراه ضاربا بجوشنه على واسطة رحله وهو يقول سيروا واسيروا لا غزوالا التعقيب وذلك مثـل ماقال زوجها سواء ثم قالت هند لابن مندلة والله ما نام حجـر قط الا وعضو منه حى قال ابن مندلة وما علمك بذلك وانتهرها قالت بلى كنت له فاركا فبينما هو ذات يوم فى منزل له قد أخرج اليـه رابعا فضربت له قبـة من قبابه ثم أمر بجـزر فنحرت وبشاء فذبحت فصـنع ذلك ثم ارسـل للناس فدعاهم فاطعمهـم فلما طعموا وخرجوا نام كما هو مكانه وانا جالسـة عند باب القبة فأقبلت حية وهونائم باسـط رجله فذهبت الحية لتنهشه فقبض رجله ثم تحولت من قبل يده لتنهشه فقبض يده اليه ثم تحولت من قبل رأسه فلما دنت منـه وهو يغط قعد جالسا فنظر الى الحية فقال ماهذه يا هند فقلت مافطنت لها حـتى جلست قال لا والله وذلك كله يسمع سدوس فلما سمع الحديث رجع الى حجر فنثر التمر من الكنانة بين يديه وقال

أتاك المـرجفون بامر غيب * على دهش وجئتك باليقين

فلما حدثه بحـديث امرأته مع ابن مندلة عرف انه قد صدقه فضرب بيـده على المرار وهى شجـرة مرة اذا اكلت منها الابل قلصت مشافرها فاكل منها من الغضب فلم يضره فسمته العرب آكل المرار ثم خرج حـتى اغار على ابن مندلة فنذر به ابن مندلة فوثب على فرسـه ووقف فقال له آكل المرار هـل لك فى المبارزة فاينا قتـل صاحبـه انقاد له جند المقتول قال له ابن منـدلة انصفت وذلك بعين هند فاختلفا بينهما طعنتين فطعنه

آكل

آكل المرار طعنة جندلة بها عن فرسه فوثبت هند الى ابن مندلة تفديه وانتزعت الرمح من نحره وخرجت نفسه فظفر آكل المرار بجنده واستنقذ جميع ما كان ذهب به من ماله ومال اهل بلاده وأخذ هندا فقتلها مكانه وأنشأ يقول

لمن النار أوقدت بحفير * لم ينم غير مصطل مقرور
ان من يأمن النساء بشئ * بعد هند لجاهل مغرور
كل أنثى وان تبينت منها * آية الحب حبها خيتعور

(لا تجزعن من سنة أنت سرتها)

قالوا ان أول من قال ذلك خالد ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي وذلك ان أباذؤيب كان قد نزل في بني عامر بن صعصعة على رجل يقال له عبد عمرو بن عامر فعشقته امرأة عبد عمرو وعشقها فخببها على زوجها وحملها وهرب بها الى قومه فلما قدم منزله تخوف أهله فأسرها منهم في موضع لا يعلم وكان يختلف اليها اذا أمكنه وكان الرسول بينها وبينه ابن أخت له يقال له خالد وكان غلاما حدثا له منظر وصباحة فمكث بذلك برهة من دهر وشب خالد وأدرك فعشقته المرأة ودعته الى نفسها فأجابها وهويها ثم انه حولها من مكانها ذلك فأتى بها مكانا غيره وجعل يختلف اليها فيه ومنع اباذؤيب عنها فأنشأ أبو ذؤيب يقول

ما حمل البختي عام غياره * عليه الوسوق برها وشعيرها
باعظم مما كنت حملت خالدا * وبعض امانات الرجال غرورها
فلما تراماه الشباب وغيه * وتبع منه فتنة وفجورها
لوى رأسه عنا ومال بوده * أغانيج خود كان فينا يزورها

فلما بلغ ذلك ابن أخته خالدا أنشأ يقول

فهل أنت اما أم عمرو تبدلت * سواك خليلا دائما تستجيرها
فررت بها من عند عمرو بن عامر * وهي همها في نفسها وسجيرها
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها * فأول راض سنة من يسيرها
ولاتك كالثور الذي دفنت له * حديدة حتف دائبا يستثيرها

(ماوراءك ياعصام)

قال المفضل أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة وذلك انه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل

ولسان وأدب وبيان وقال لها اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف فمضت حتى انتهت
الى أمها وهي امامة ابنة الحارث فاعلمتها ما قدمت له فأرسلت امامة الى ابنتها وقالت أي
بنية هذه خالتك أتتك لتنظر اليك فلا تستري عنها شيئا ان أرادت النظر من وجه
أو خلف وناطقيها ان استنطقتك فدخلت اليها فنظرت الى مالم ترقط مثله فخرجت
من عندها وهي تقول ترك الخداع من كشف القناع فارسلتها مثلا ثم انطلقت الى
الحارث فلما رآها مقبلة قال لها ما وراءك يا عصام قال صرح المخض عن الزبد رأيت
جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر حالك كأذناب الخيل ان أرسلته خلته السلاسل وان
مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سودا بحمم تقوسا على
مثل عيني ظبية عبهرة بينهما أنف كحد السيف الصنيع حفت به وجنتان كالارجوان
في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذات أشر تقلب فيه
لسان ذو فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمراوان
تحلبان ريقا كالشهد اذا دلك في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر
تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس
ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما تعقد ان شئت
منهما الانامل تنأى في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك
بطن طوي طي القباطي المدمجة كسر عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك
العكن سرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي الى خصر لولا رحمة
الله لانبتر لها كفل يقعدها اذا نهضت وينهضها اذا قعدت كأنه دعص الرمل
لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفا كأنما قلبا على نضد جمان تحتهما ساقان
خدلتان كالبرديتين وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو
اللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما فأرسل الملك
الى أبيها فخطبها فزوجها اياه وبعث بصداقها فجهزت فلما أرادوا أن يحملوها الى زوجها
قالت لها أمها أي بنية ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها
تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو ان امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة
حاجتهما اليها كنت اغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق
الرجال أي بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت
الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له
امة

أمة يكن لك عبدا وشيكا يا بنية احفظي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا طيب ريح الكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدء عنه عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله والارعاء على نفسه وحشمه وعياله فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمني غدره وان عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح ان كان ترحا والاكتئاب عنده ان كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني أشد ما تكونين له اعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك فحملت فسلمت اليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن (وروى) أبو عبيد ماوراءك على التذكير وقال يقال ان المتكلم به النابغة الذبياني قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان وكان مريضا وقد أرجف بموته فسأله النابغة عن حال النعمان فقال ماوراءك يا عصام ومعناه ماخلفت من أمر العليل أوما امامك من حاله ووراء من الاضداد قلت يجوز ان يكون أصل المثل ماذكرت ثم اتفق الاسمان فخوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث

(مقتل الرجل بين فكيه)

المقتل القتل وموضع القتل أيضا ويجوز ان يجعل اللسان قتلا مبالغة في وصفه بالافضاء اليه قال * فانما هي اقبال وادبار * ويجوز أن يجعل موضع القتل أي بسببه يحصل القتل ويجوز ان يكون بمعنى القاتل فالمصدر ينوب عن الفاعل كانه قال قاتل الرجل بين فكيه قال المفضل أول من قال ذلك اكثم بن صيفي في وصية لبنيه وكان جمعهم فقال تباروا فان البر يبقى عليه العدد وكفوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه ان قول الحق لم يدع لي صديقا الصدق منجاة لا ينفع التوقي مما هو واقع في طلب المعالي يكون العناء الاقتصاد في السعي أبقى للجمام من لم يأس على مافاته ودع بدنه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه التقدم قبل التندم أصبح عند رأس الامر أحب الي من أن أصبح عند ذنبه

لم يهلك من مالك ما وعظك ويل لعالم أمر من جاهله يتشابه الامر اذا أقبل واذا أدبر عرفه الكيس والاحمق البطر عند الرخاء حمق والجزع عن البلاء أمن لا تغضبوا من اليسير فانه يجنى الكثير لا تجيبوا فيما لا تسألوا عنه ولا تضحكوا مما لا يضحك منه تناءوا فى الديار ولا تباغضوا فانه من يجتمع يقعقع عنده الزموا النساء المهانة نعم لهو الغرة المغزل حيلة من لا حيلة له الصبر ان تعش ترما لم تره المكثار كحاطب ليل من اكثر أسقط لا تجعلوا سرا الى أمة فهذه تسعة وعشرون مثلا منها قد مر ذكره فيما سبق من الكتاب ومنها ما يأتى ان شاء الله تعالى وقد أحسن من قال رحم الله امرأ أطلق ما بين كفيه وامسك ما بين فكيه ولله در أبى الفتح البستى حيث يقول فى هذا المثل

تكلم وسدد ما استطعت فانما * كلامك حى والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله * فصمتك عن غير السداد سداد

واحتذاه القاضى أبو أحمد منصور بن محمد الهروى فقال

اذا كنت ذا علم ومار اك جاهل * فاعرض ففى ترك الجواب جواب
وان لم تصب فى القول فاسكت فانما * سكوتك عن غير الصواب صواب

وضمن الشيخ أبو سهل النيلى شرائط الكلام قوله

اوصيك فى نظم الكلام بخمسة * ان كنت للموصى الشفيق مطيعا
لا تغفلن سبب الكلام ووقته * والكيف والكم والمكان جميعا

(من صدق الله نجا)

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثلاثة نفر انطلقوا الى الصحراء فمطرتهم السماء فلجؤا الى كهف فى جبل ينتظرون اقلاع المطر فبينما هم كذلك اذ هبطت صخرة من الجبل وجثمت على باب الغار فيئسوا من الحياة والنجاة فقال أحدهم لينظر كل واحد منكم الى أفضل عمل عمله فليذكره ثم ليدع الله تعالى عسى ان يرحمنا و ينجينا فقال أحدهم اللهم ان كنت تعلم انى كنت بارا بوالدى وكنت آتيهما بغبوقهما فيغتبقانه فأتيت ليلة بغبوقهما فوجدتهما قد ناما وكرهت ان أوقظهما وكرهت الرجوع فلم يزل ذلك دأبى حتى طلع الفجر فان كنت عملت ذلك لوجهك فافرج عنا فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء وقال الآخر اللهم انك تعلم انى هويت امرأة ولقيت فى شأنها أهوالا حتى ظفرت بها وقعدت منها مقعد الرجل من المرأة قالت انه لا يحل لك ان تفض خاتمى الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم أنه ما حملنى على

ذلك

ذلك الا ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرجت الصخرة حتى لو شاء القوم ان يخرجوا لقدروا
وقال الثالث اللهم انك تعلم انى استأجرت اجراء فعملوا لى فوفيتهم اجورهم الا رجلا واحدا
ترك اجره عندى وخرج مغاضبا فربيت أجره حتى نما وبلغ مبلغا ثم جاء الاجير فطلب
أجرته فقلت هاك ما ترى من المال فان كنت عملت ذلك لك فافرج عنا فسالت الصخرة
وانطلقوا سالمين فقال صلى الله عليه وسلم من صدق الله نجا ومعنى صدق الله اتقى الله
بالصدق وهو أن يحقق قوله فعله

(منك أنفك وان كان اجدع)

يضرب لمن يلزمك خيره وشره وان كان ليس بمستحكم القرب وأول من قال ذلك قنفذ
ابن جعونة المازنى للربيع بن كعب المازنى وذلك ان الربيع دفع فرسا كان قد أبر
على الخيل كرما وجودة الى اخيه كميش ليأتى به أهله وكان كميش انوك مشهورا بالحمق
وقد كان رجل من بنى مالك يقال له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم
غرة فيأخذها فكان داهية فمكث فيهم مقيما لا يعرفون نسبه ولا يظهره هو فلما نظر
الى كميش راكبا الفرس ركب ناقته ثم عارضه فقال يا كميش هل لك فى عانة لم أر مثلها
سمنا ولا عظما وعير معها من ذهب فاما الاتن فتروح بها الى أهلك فتملأ قدورهم وتفرح
صدورهم وأما العير فلا فتقار بعده قال له كميش وكيف لنا به قال أنا لك به وليس يدرك
الا على فرسك هذا ولا يرى الا بليل ولا يراه غيرى قال كميش فدونكه قال نعم وامسك
أنت راحلتى فركب قراد الفرس وقال انتظرنى فى هذا المكان الى هذه الساعة من غد
قال نعم ومضى قراد فلما توارى أنشأ يقول

ضيعت فى العير ضلالا مركا * لتطعم الحى جميعا عيركا

فسوف تأتى بالهوان أهلكا * وقبل هذا ما خدعت الانوكا

فلم يزل كميش ينتظره حتى أمسى من غده وجاع فلما لم ير له أثرا انصرف الى أهله وقال
فى نفسه ان سألنى أخى عن الفرس قلت تحول ناقة فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه
خدع عن الفرس فقال له أين الفرس قال تحول ناقة قال فما فعل السرج قال لم أذكر
السرج فأطلب له علة فصرعه الربيع ليقتله فقال له قنفذ بن جعونة أله عما فاتك فان
انفك منك وان كان أجدع فذهبت مثلا وقدم قراد بن جرام على أهله بالفرس
وقال فى ذلك

رأيت كميشا نوكه لى نافع * ولم أر نوكا قبل ذلك ينفع

يؤمل خيرا من نضار وعسجد * فهل كان لى فى غير ذلك مطمع
وقلت له امسك قلوصى ولا ترم * فدا لك اذ ذوا المكايد يخدع
فأصبح يرمى الخافقين بطرفه * وأصبح تحتى ذو أفانين برشع
أبر على الجود العناجيج كلها * فليس ولو أقحمته الوعر يكسع

(من ير يوما ير به)

قال المفضل أول من قال ذلك كعب بن شؤبوب الاسدى وكان يغير على طئ وحده فدعا حارثة بن لام الطائى رجلا من قومه يقال له عترم وكان بطلا شجاعا فقال له اما تستطيع ان تكفينى هذا الخبيث فقال بلى ثم أرسل معه عشرة من العيون حتى علموا مكانه وانطلق اليه الرجل فى جماعة فوجدوه نائما فى ظل اراكة وفرسه مشدودة عنده فنزل عنده ازجل ومعه آخر اليه فأخذ كل واحد منهما باحدى يديه فانتبه فنزع يده اليمنى من ممسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقون اليه فأخذوه وشدوه وثاقا فقال لهم ابن المقتول وهو حوذة بن عترم دعونى أقتله كما قتل أبى قالوا حتى نأتى به حارثة فأبى فقالوا له والله لئن قتلته لنقتلنك وأتوا به حارثة بن لام فقال له حارثة يا كعب ان كنت أسيرا فطالما أسرت فقال كعب من ير يوما ير به فأرسلها مثلا وقال حوذة لحارثة اعطنيه أقتله كما قتل أبى قال دونكه وجعلوا يكلمونه وهو يعالج كتافه حتى انحل ثم وثب على رجليه محاربهم وتواثبوا على الخيل واتبعوه فأعجزهم فقال حوذة فى ذلك

الى الله أشكو أن أؤب وقد ثوى * قتيلا فأودى سيد القوم عترم
فبات ضياعا هكذا بيد امرئ * لئيم فلولا قيل ذو الوتر معلم

فأجابه كعب

احوذة ان تفخر وتزعم اننى * لئيم ففى عترم اللؤم الالأم
فاقسم بالبيت المحرم من منى * أليه برصادق حين يقسم
لضب بقفر من قفار وضبة * ويربوع الفلا منك اكرم
فهل أنت الا ابن فسا لئيمة * وخالك يربوع وجدك شيهم
أتوعدنى بالمنكرات واننى * صبور على مانابه جلد صلخدم
فان افن اوأعمر الى وقت هذه * فانى ابن شؤبوب جسور غشمشم

(من يشترى سيفى وهذا اثره)

قال المفضل أول من قال ذلك الحارث بن ظالم المرى وذلك ان خالد بن جعفر بن كلاب

لما

لما قتل زهير بن جذيمة العبسي ضاقت به الارض وعلم ان غطفان غير تاركيه فخرج حتى أتى النعمان فاستجار به فاجاره ومعه أخوه عتيبة بن جعفر ونهض قيس بن زهير فاستعد لمحاربة بني عامر وهجم الشتاء فقال الحارث بن ظالم يا قيس أنتم أعلم وحربكم وأنا رائح الى خالد حتى أقتله قال قيس قد أجاره النعمان قال الحارث لاقتلنه ولو كان في حجره وكان النعمان قد ضرب على خالد وعلى أخيه قبة وأمرهما بحضور طعامه ومدامه فاقبل الحارث ومعه تابع له من بني محارب فأتى باب النعمان فاستأذن فاذن له النعمان وفرح به فدخل الحارث وكان من أحسن الناس وجها وحديثا واعلم الناس بايام العرب فاقبل النعمان عليه بوجهه وحديثه وبين أيديهم تمر يأكلونه فلما رأى خالد اقبال النعمان على الحارث غاظه فقال يا أبا ليلى الا تشكرني قال فيماذا قال قتلت زهيرا فصرت بعده سيد غطفان وفي يد الحارث تمرات فاضطربت يده وجعل يرعد ويقول أنت قتلته والتمر يسقط من يده ونظر النعمان الى ما به من الزمع فنخس خالدا بقضيبه وقال هذا يقتلك وافترق القوم وبقي الحارث عند النعمان وأشرج خالد قبته عليه وعلى أخيه وناما وانصرف الحارث الى رحله فلما هدأت العيون خرج الحارث بسيفه شاهره حتى أتى قبة خالد فهتك شرجها بسيفه ودخل فرأى خالدا نائما وأخوه الى جنبه فايقظ خالدا واستوى قائما فقال له الحارث يا خالد أظننت ان دم زهير كان سائغا لك وعلاه بسيفه حتى قتله وانتبه عتيبة فقال له الحارث لئن نبست لالحقنك به وانصرف الحارث وركب فرسه ومضى على وجهه وخرج عتيبة صارخا حتى أتى باب النعمان فنادى يا سوء جواراه فاجيب لا روع عليك فقال دخل الحارث على خالد فقتله وأخفر الملك فوجه النعمان فوارس في طلبه فلحقوه سحرا فعطف عليهم فقتل منهم جماعة وكثروا عليه فجعل لا يقصد جماعة الا فرقها ولا فارس الا قتله وهو يرتجز ويقول

أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب * من يشتري سيفي وهذا أثره

وارتدع القوم عنه وانصرفوا الى النعمان يضرب في المحاذرة من شئ قد ابتلى بمثله مرة قال الاغلب العجلي

قالت له في بعض ما تسطره * من يشتري سيفي وهذا أثره

(انصر أخاك ظالما أو مظلوما)

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا فقيل يا رسول الله هذا ننصره مظلوما

فكيف ننصره ظالما فقال صلى الله عليه وسلم تردّه عن الظلم قال أبو عبيد أما الحديث فهكذا وأما العرب فكان مذهبها في المثل نصرته على كل حال قال المفضل أوّل من قال ذلك جندب العنبر بن تميم بن عمرو وكان رجلا دميما فاحشا وكان شجاعا وانه جالس هو وسعد بن زيد مناة يشربان فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه يا سعد لشرب ابن اللقاح وطول النكاح وحسن المزاح أحب اليك من الكفاح ودعس الرماح وركض الوقاح قال سعد كذبت والله انى لاعمل العامل وانحر البازل واسكت القائل قال جندب انك لتعلم أنك لوفزعت دعوتنى عجلا وماابتغيت لى بدلا ولرأيتنى بطلا اركب العزيمة وامنع الكريمة واحمى الحريمة فغضب سعد وأنشأ يقول

هل يسود الفتى اذا قبح الوجـ * ـه وأمسى قراه غير عتيد
واذا الناس فى الندى رأوه * ناطقا قال قول غير سديد

فاجابه جندب

ليس زين الفتى الجمال ولكن * زينه الضرب بالحسام التليد
ان يملك الغنى فزين والا * ربما ضن باليسير العتيد

قال سعد وكان عائفا أما والذى أحلف به لتأسرنك ظعينة بين العرينة والدهينة ولقد أخبرنى طيرى انه لا يفكك غيرى فقال جندب كلا انك لجبان تكره الطعان وتحب القيان فتفرقا على ذلك فغبرا حينا ثم ان جندبا خرج على فرس له يطلب القنص فاتى على أمة لبنى تميم يقال ان اصلها من جرهم فقال لها لتمكنينى مسرورة أوتقهرين مجبورة قالت مهلا فان المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه فنزل اليها عن فرسه مدلا فلما ادناه منها قبضت على يديه بيد واحدة فمازالت تعصرهما حتى صار لا يستطيع ان يحركهما ثم كتفته بعنان فرسه وراحت به مع غنمها وهى تحدو به وتقول

لا تأمنن بعدها الولائدا * فسوف تلقى باسلا واردا

* وحية تضحى لحى راصدا * قال فمر بسعد فى ابله فقال يا سعد اغثنى قال سعد ان الجبان لا يغيث فقال جندب

يا أيها المرء الكريم المشكوم * انصر أخاك ظالما أو مظلوم

فاقبل اليه سعد فاطلقه ثم قال لولا ان يقال قتل امرأة لقتلتك قال كلا لم يكن ليكذب طيرك

طيرك ويصدق غيرك قال صدقت (قوله) انصر أخاك ظالما يجوز أن يكون ظالما أو مظلوما حالين من قوله أخاك ويجوز ان يكونا حالين من الضمير المستكن فى الامر يعنى انصره ظالما ان كنت خصمه أو مظلوما من جهة خصمه اى لا تسلمه فى اى حال كنت

(ويل للشجى من الخلى)

ذكرت قصته فى حرف الصاد عند قولهم صغراها شراها وهذه رواية أخرى قال المدائنى ومحمد بن سلام الجمحى اول من قال ذلك اكثم بن صيفى التميمى وكان من حديثه انه لما ظهر النبى عليه الصلاة والسلام بمكة ودعا الناس الى الاسلام بعث اكثم بن صيفى ابنه حبيشا فأتاه بخبره فجمع بنى تميم وقال يا بنى تميم لا تحضرونى سفيها فانه من يسمع يخل ان السفيه يوهن من فوقه ويثبت من دونه لا خير فيمن لا عقل له كبرت سنى ودخلتنى ذلة فاذا رأيتم منى حسنا فاقبلوه وان رأيتم منى غير ذلك فقومونى أستقم ان ابنى شافه هذا الرجل مشافهة وآتانى بخبره وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله تعالى وخلع الاوثان وترك الحلف بالنيران وقد عرف ذوو الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان الرأى ترك ما ينهى عنه ان احق الناس بمعونة محمد صلى الله عليه وسلم ومساعدته على امره أنتم فان يكن الذى يدعو اليه حقا فهو لكم دون الناس وان يكن باطلا كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه وقد كان اسقف نجران يحدث بصفته وكان سفيان ابن مجاشع يحدث به قبله وسمى ابنه محمدا فكونوا فى امره اولا ولا تكونوا آخرا ائتوا طائعين قبل ان تأتوا كارهين ان الذى يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم لو لم يكن دينا كان فى اخلاق الناس حسنا اطيعونى واتبعوا أمرى اسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدا واصبحتم أعز حى فى العرب واكثرهم عددا واوسعهم دارا فانى ارى امرا لا يجتنبه عزيز الا ذل ولا يلزمه ذليل الا عز ان الاول لم يدع للآخر شيأ وهذا امر له ما بعده من سبق اليه غمر المعالى واقتدى به التالى والعزيمة حزم والاختلاف عجز فقال مالك بن نويرة قد خرف شيخكم فقال اكثم ويل للشجى من الخلى والهفى على أمر لم اشهده ولم يسعنى

(هلم جرا)

قال المفضل اى تعالوا على هينتكم كما يسهل عليكم وأصل ذلك من الجر فى السوق وهو ان تترك الابل والغنم ترعى فى سيرها قال الراجز

لطالما جرت نكن جرا * حتى نوى الاعجف واستمرا
فاليوم لا آلو الركاب شرا

وأول من قال ذلك المستطعم عمرو بن حمران الجعدى زبدا وتامكا حتى قال له عمرو كلاهما وتمرا وقد مر ذكرهما فى حرف الكاف واسم ذلك الرجل عائذ وكان له اخ يسمى جندلة وهما ابنا يزيد اليشكرى ولما رجع عائذ قال له اخوه جندلة

اعائذ ليت شعرى أى ارض * رمت بك بعد ما قد غبت دهرا
فلم يك يرتجى لكم اياب * ولم نعرف لدارك مستقرا
فقد كان الفراق أذاب جسمى * وكان العيش بعد الصفو كدرا
وكم قاسيت عائذ من قطيع * وكم جاوزت أملس مقشعرا
اذا جاوزتها استقبلت أخرى * واقود مشمخر النيق وعرا

فاجابه عائذ فقال

اجندل كم قطعت اليك أرضا * يموت بها ابو الاشبال ذعرا
قطعت ولامعات الآل تجرى * وقد اوترت فى الموماة كدرا
وطامسة المتون ذعرت فيها * خواضب ذات ارآل وغبرا
وان جاوزت مقفرة رمت بى * الى أخرى كتلك هلم جرا
* فلما لاح لى سعب ولوح * وقد متع النهار لقيت عمرا
فقلت فهات زبدا أو سناما * فقال كلاهما وتزاد تمرا
فقدم للقرى شطبا وزبدا * وظلت لديه عشرا ثم عشرا

(يسار الكواعب)

كان من حديثه انه كان عبدا اسود يرعى لاهله ابلا وكان معه عبد يراعيه وكان لمولى يسار بنت فمرت يوما بابله وهى ترتع فى روض معشب فجاء يسار بعلبة لبن فسقاها وكان أفحج الرجلين فنظرت الى فحجه فتبسمت ثم شربت وجزته خيرا فانطلق فرحا حتى اتى العبد الراعى وقص عليه القصة وذكر له فرحها وتبسمها فقال له صاحبه يا يسار كل من لحم الحوار واشرب لبن العشار واياك وبنات الاحرار فقال دحكت الى دحكة لا اخيبها يقول ضحكت ضحكة ثم قام الى علبة فلأها واتى بها ابنة مولاه فنبهها فشربت ثم اضطجعت وجلس العبد حذاءها فقالت ما جاء بك فقال ما خفى عليك ما جاء بى فقالت واى شئ هو قال دحكاك الذى دحكت الى فقالت حياك الله وقامت الى سفط لها

لها فأخرجت منه بخورا ودهنا وتعمدت الى موسى ودهت بجمرة وقالت له ان ريحك
ريح الابل وهذا دهن طيب فوضعت البخور تحته وتطأطات كأنها تصلح البخور
وأخذت مذاكيره وقطعتها ابا موسى ثم شممته الدهن فسلتت أنفه وأذنيه وتركته فصار
مثلا لكل جان على نفسه ومتعد طوره قال الفرزدق لجرير

وانى لاخشى ان خطبت اليهم * عليك الذى لاقى يسار الكواعب

ويقال ايضا يسار النساء وكان من العبيد الشعراء وله ابن شاعر يقال له اسماعيل بن
يسار النساء وكان مفلقا هذا وممايفيدك قلبك نورا ويزيد نفسك سرورا ويكون
لفكرك هاديا ولمرآة ذهنك جاليا وله بالامثال شبه ماصدر عن اولى الالباب من
صحابة الانبياء وغيرهم من الحكماء وها أنا مثبت انموذج ذلك من كلام امير المؤمنين على
كرم الله وجهه قال وأكثر ما كان يقول ذلك اذا فرغ من صلاة الليل اشهد ان
السموات والارض ومابينهما آيات تدل عليك وشواهد تشهد بما اليه دعوت كل
يؤدى عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك علوت
بها عن خلقك فأوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر وكفاها
رجم الاحتجاج فهى مع معرفتك بك وولهها اليك شاهدة بانك لاتأخذك الاوهام
ولا تدركك العقول ولا الابصار اعوذ بك ان اشير بقلب أو لسان أو يد الى غيرك لا اله
الا أنت واحدا احدا فردا صمدا ونحن لك مسلمون (وقال) الهى كفانى فخرا أن تكون
لى ربا وكفانى عزا أن أكون لك عبدا أنت كما اريد فاجعلنى كما تريد (وقال) ماخاب
امرؤ عدل فى حكمه واطعم من قوته ودخر من دنياه لآخرته (وقال) افضل على من
شئت تكن اميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره
وقال لولا ضعف اليقين ما كان لنا ان نشكو محنة يسيرة نرجو فى العاجل سرعة زوالها
وفى الآجل عظيم ثوابها بين اضعاف نعم لو اجتمع اهل السموات والارض على احصائها
ما وفوا به فضلا عن القيام بشكرها وقال من علامات المأمون على دين الله بعد الاقرار
والعمل الحزم فى امره والصدق فى قوله والعدل فى حكمه والشفقة على رعيته
لا تخرجه القدرة الى خرق اى حمق ولا اللين الى ضعف ولا تمنعه العزة من كرم عفو
ولا يدعوه العفو الى اضاعة حق ولا يدخله الاعطاء فى سرف ولا يتخطى به القصد الى
بخل ولا تأخذه نعمة لله ببطر وقال الفسق نجاسة فى الهمة وكلب فى الطبيعة وقال
قلوب الجهال تستفزها الاطماع وترتهن بالامانى وتتعلق بالخدائع وكثرة الصمت

زمام اللسان وحسم الفطنة واماطة الخاطر وهذاب الحس (وقال) عداوة الضعفاء للاقوياء والسفهاء للحكماء والاشرار للاخيار طبع لا يستطاع تغييره (وقال) العقل فى القلب والرحمة فى الكبد والنفس فى الرئة (وقال) اذا أراد الله بعبد خيرا حال بينه وبين شهوته وحجز بينه وبين قلبه واذا أراد الله به شرا وكله الى نفسه (وقال) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (وقال) رحم الله عبدا اتقى ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به (وقال) ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الفقر والغنى والعدل فى الغضب والرضى (وقال) اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم هو الذى سفك دماء الرجال وهو الذى قطع ارحامها فاجتنبوه (وقال) اذا فعلت كل شئ فكن كمن لم يفعل شيأ (وقال) وقد سأله رجل فقال بماذا أسوء عدوى فقال أن تكون على غاية الفضائل لانه ان كان يسوؤه ان يكون لك فرس فاره اوكلب صيود فهو لأن تذكر بالجميل وينسب اليك أشد مساءة (وقال) اذا قذفت بشئ فلا تتهاون به وان كان كذبا بل تحرز من طرق القذف جهدك فان القول وان لم يثبت يوجب ريبة وشكا (وقال) عدم الادب سبب كل شر والجهل بالفضائل عدل الموت (وقال) ما اصعب على من استعبدته الشهوات ان يكون فاضلا (وقال) من لم يقهر حسده كان جسده قبرا لنفسه (وقال) احمد من يغلظ عليك ويعظك لا من يزكيك ويتملقك (وقال) اختر ان تكون مغلوبا وأنت منصف ولا تختر أن تكون غالبا وأنت ظالم (وقال) لا تتضمن محاسنك بالفخر والتكبر (وقال) لا تنفك المدينة من شر حتى تجتمع مع قوة السلطان قوة دينه وقوة حكمته (وقال) اذا أردت ان تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد (وقال) من كثر همه سقم بدنه ومن ساء خلقه عذب نفسه ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وأفضل ايمان العبد أن يرى الله معه حيث كان (وقال) فى التجارب علم مستأنف والاعتبار يفيدك الرشاد وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك وعليك لاخيك مثل الذى عليه لك (وقال) الغضب يثير كامن الحقد ومن عرف الايام لم يغفل الاستعداد ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول (وقال) اسكت واستتر تسلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق (وقال) اكبر الفخر ان لا تفخر (وقال) ما اصعب اكتساب الفضائل وايسر اتلافها (وقال) لا تنازع جاهلا ولا تشايع واحمقا ولا تعاد مسلطا (وقال) ما كنت كاتمه عدوك من سر

فلا

فلا يطلعن عليه صديقك واعرف قدرك يستعمل أمرك وكفى مامضى مخبرا عما بقى

* احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

(وقال) لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك ولا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا (وقال) اتق العواقب عالما بان للاعمال جزاء وأجرا واحذر تبعات الامور بتقديم الحزم فيها (وقال) من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأى ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل ومن أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة فان الصبر قوة من قوى العقل وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر (وقال) الخطأ فى اعطاء من لا ينبغى ومنع من ينبغى واحد (وقال) العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض (وقال) الخصومة تمحق الدين (وقال) الجهاد ثلاثة جهاد باليد وجهاد باللسان وجهاد بالقلب فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ثم يصير الى القلب فان كان لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نكس فجعل أعلاه أسفله (وقال) ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه الا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه (وقال) الحاجة مسألة والدعاء زيادة والحمد شكر والندم توبة (وقال) لن واحلم تنبل ولا تكن معجبا فتمقت وتمتهن (وقال) مالى أرى الناس اذا قرب اليهم الطعام ليلا تكلفوا انارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون فى بطونهم ولا يهتمون بغذاء النفس بان ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب فى اعتقاداتهم وأعمالهم (وقال) الفقر هو اصل حسن سياسة الناس وذلك انه اذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس وبعضهم يساس وكان من يساس لا يستقيم ان يساس من غير ان يكون فقيرا محتاجا فقد تبين ان الفقر هو السبب الذى به يقوم حسن السياسة (وقال) لا تتكلم بين يدى أحد من الناس دون ان تسمع كلامه وتقيس ما فى نفسك من العلم الى ما فى نفسه فان وجدت ما فى نفسه اكثر فحينئذ ينبغى لك ان تروم زيادة الشئ الذى به يفضل على ما عندك (وقال) اذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر فى النفس فليس ينبغى ان تستعمله فيما لم يخطر فيها (وقال) اذا كان الآباء هم السبب فى الحياة فمعلموا الحكمة الذين هم السبب فى جودتها (وقال) وشكا اليه رجل تعذر الرزق فقال لا تجاهد الرزق جهاد المغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فان ابتغاء الفضل من السنة والاجمال فى الطلب من العفة وليست العفة دافعة رزقا

ولا الحرص جالبا فضلا لان الرزق مقسوم وفى شدة الحرص اكتساب المآثم وقال

اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه

(وقال) العمر أقصر من ان تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الاهم فالاهم (وقال) من رضى بما قسم الله له استراح قلبه و بدنه (وقال) ابعد ما يكون العبد من ربه اذا كان همه بطنه وفرجه (وقال) ليس فى الحواس الظاهرة شئ أشرف من العين فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله (وقال) ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم (وقال) ازالة الجبال اسهل من ازالة دولة قد أقبلت فاستعينوا بالله واصبروا فان الارض لله يورثها من يشاء (وقال) ليس الموسر من كان يساره باقيا عنده زمانا يسيرا و يمكن ان يغتصبه غيره منه ولا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقى دائما عند مالكه ولا يمكن ان يؤخذ منه و يبقى له بعد موته وذلك هو الحكمة (وقال) الشرف اعتقاد المنن فى أعناق الرجال (وقال) يضر الناس أنفسهم فى ثلاثة أشياء الافراط فى الاكل اتكالا على الصحة وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة والتفريط فى العمل اتكالا على القدر (وقال) احزم الناس من ملك جده هزله وقهر رأيه هواه واعرب عن ضميره فعله لم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده (وقال) من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه (وقال) من اتبع هواه ضل ومن جاد ساد وخمود الذكر اجمل من ذميم الذكر (وقال) لهب الشوق أخف محملا من مقاساة الملالة (وقال) بالرفق تنال الحاجة و بحسن التأنى تسهل المطالب (وقال) بعزيمة الصبر تطفى نار الهوى و بنفى العجب يؤمن كيد الحساد (وقال) بحسب مجاهدة النفوس و ردها عن شهواتها ومنعها عن مسالحة لذاتها ومنع ما أدت اليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات والعقوبات والحازم من ملك هواه فكان يملكه له قاهرا ولما قدحت الافكار من سوء الظنون زاجرا فتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شعفت به فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة والاطماع الكاذبة والامانى المتلاشية وكما ان البصر اذا اعتل رأى اشباحا وخيالات لا حقيقة لها كذلك النفس اذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الارادات رأت الآراء الكاذبة فالى الله سبحانه نرغب فى اصلاح ما فسد من قلوبنا وبه نستعين على ارشاد نفوسنا فان القلوب بيده يصرفها كيف يشاء (وقال) ما شئ احق بطول سجن من لسان (وقال) لا نذر فى معصية ولا يمين فى قطيعة (وقال) لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح (وقال) اياكم والكسل فانه من كسل لم يؤد لله حقا

حقا (وقال) احسبوا كلامكم من اعمالكم واقلوه الا فى الخير (وقال) احسنوا صحبة النعم فانها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها (وقال) لا تؤاخين الفاجر فانه يزين لك فعله و يود لو أنك مثله و يحسن لك اقبح خصاله ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص ولا الاحمق فانه يجهد لك نفسه ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فضرك سكوته خير لك من نطقه وبعده خير لك من قربه وموته خير لك من حياته ولا الكذاب فانه لا ينفعك معه عيش ينقل حديثك و ينقل الحديث اليك حتى انه ليحدث بالصدق فلا يصدق (وقال) ما استقصى كريم قط قال تعالى فى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم عرف بعضه وأعرض عن بعض (وقال) رب كلمة يجترعها حليم مخافة ماهو شر منها وكفى بالحلم ناصرا (وقال) من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال) من استحيا من الناس ولم يستحى من نفسه فليس لنفسه عنده قدر (وقال) غاية الادب ان يستحى الانسان من نفسه (وقال) البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ومن البصر بالحجة ان يدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر (وقال) اياك والشهوات وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لعرضك شاغلة لك عن معاظم أمورك مشتدة بها التبعة عليك فى آخرتك انما الشهوات لعب فاذا حضر اللعب غاب الجد ولن يقام الدين وتصلح الدنيا الا بالجد فاذا نازعتك نفسك الى اللهو واللذات فاعلم أنها قد نزعت بك الى شر منزع وأرادت بك أفضح الفضوح فغالبها مغالبة ذلك وامتنع منها امتناع ذلك وليكن مرجعك منها الى الحق فانها مهما تترك من الحق لا تتركه الا الى الباطل ومهما تدع من الصواب لا تدعه الا الى الخطأ فلا تداهنن هواك فى اليسير فيطمع منك فى الكثير وليس شئ مما أوتيت فاضلا عما يصلحك وليس لعمرك وان طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك ولا بما لك وان كثر فضل عما يجب عليك فيه ولا بقوتك وان تمت فضل عن أداء حق الله عليك ولا برأيك وان حزم فضل عما لا تعذر بالخطا فيه فليمنعك علمك بذلك من أن تبطل لك عمرا فى غير نفع أو تضيع لك مالا فى غير حق أو ان تصرف لك قوة فى غير عبادة أو تعدل لك رأيا فى غير رشد فالحفظ الحفظ لما أوتيت فان بك الى صغير ما اوتيت والكبير منه اشد الحاجة وعليك بما اضعته منه أشد المرزأة ولا سيما العمر الذى

كل منفذ سواه مستخلف وكل ذاهب بعده مرتجع فان كنت شاغلا نفسك بلذة فليكن لذتك فى محادثة العلماء ودرس كتبهم فانه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا الاوإكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغه منك غير أن ذلك يجمع الى عاجل السرور وتمام السعادة وخلاف ذلك يجمع الى عاجل الغى وخاتمة العاقبة وقديما قيل أسعد الناس أدركهم لهواه اذا كان هواه فى رشده فاذا كان هواه فى غير رشده فقد شقى بما أدرك منه وقديما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك اياه يعود لذيذا (وقال) وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحمق والحرمان بالعقل والبلاء بالمنطق (وقال) ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك عبدك وزوجتك وابنك (وقال) للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهمة وغنيمتهم غلول لا يعرفون المساجد الاهجرا ولا يأتون الصلاة الادبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار (وقال) الحسد حزن لازم وعقل هائم ونفس دائم والنعمة على المحسود نعمة وهى على الحاسد نقمة (وقال) يا حملة العلم لم تحملونه فانما العلم لمن علم ثم عمل بما علم ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يقعدون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله سبحانه (وقال) تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا وتعلموا العلم ولو لغير الله فانه سيصير لله العلم ذكر لايحبه الاذكر من الرجال (وقال) ليس شئ أحسن من عقل زانه علم ومن علم زانه حلم ومن حلم زانه صدق ومن صدق زانه رفق ومن رفق زانه تقوى ان ملاك العقل ومكارم الاخلاق صون العرض والجزاء بالقرض والاخذ بالفضل والوفاء بالعهد والانجاز للوعد ومن حاول أمرا بالمعصية كان أقرب الى مايخاف وابعد مما يرجو (وقال) اذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة الى العقل فحيرته وانطلقت الالسن بما فيه تلف الانفس (وقال) لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم (وقال) لاتقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم (وقال) لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسئلون فى كم فرغ من العمل انما يسئلون عن جودة صنعته (وقال) ليس كل ذى عين يبصر ولا كل ذى اذن يسمع فتصدقوا على ذوى العقول الزمنة والالباب الحائرة بالعلوم التى هى أفضل صدقاتكم ثم تلا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

(وقال)

(وقال) المؤمن لاتختله كثرة المصائب وتواتر النوائب عن التسليم لربه والرضاء بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود اليه (وقال) ما مات من أحيا علما ولا افتقر من ملك فهما (وقال) العلم صبغ النفس وليس يفوق صبغ الشئ حتى ينظف من كل دنس (وقال) اعلم ان الذى مدحك بما ليس فيك اغتاه ومخاطب غيرك وثوابه وجوابه قد سقطا عنك (وقال) احسانك الى الحر يحركه على المكافأة واحسانك الى النذل يبعثه على معاودة المسئلة (وقال) الاشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه (وقال) موت الرؤساء أسهل من رياسة السفل (وقال) ينبغى لمن ولى أمر قوم ان يبدأ بتقويم نفسه قبل ان يشرع فى تقويم رعيته والا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل ان يستقيم ذلك العود (وقال) اذاقوى الوالى فى عمله حركته ولايته على حسب ماهو مركوز فى طبعه من الخير والشر (وقال) ينبغى للوالى ان يعمل بخصال ثلاث تأخير العقوبة فى سلطان الغضب والاناة فيما يرتئيه من رأى وتعجيل مكافأة المحسن بالاحسان فان فى تأخير العقوبة امكان العفو وفى تعجيل المكافأة بالاحسان طاعة الرعية وفى الاناة انفساح الرأى وحمد العاقبة ووضوح الصواب (وقال) من حق العالم على المتعلم ان لايكثر عليه السؤال ولا يعنته فى الجواب ولايلح عليه اذا كسل ولا يفشى له سرا ولا يغتاب عنده أحدا ولا يطالب عثرته فاذازل تأنيت أوبته وقبلت معذرته وان تعظمه وتوقره ماحفظ أمر الله وعظمه وان لاتجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت غيرك الى خدمته فيها ولا تضجرن من صحبته فانما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة وخصه بالتحية واحفظ شاهده وغائبه وليكن ذلك كله لله عز وجل فان العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله واذامات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لايسدها الاخلف منه وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع (وقال) وصول معدم خير من جاف مكثر ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر مالله عنده (وقال) لقد سبق الى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولاصياما ولاحجا ولااعتمارا ولكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم وصح ورعهم وكمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالحظوة ورفيع المنزلة (وقال) ان الله سبحانه وتعالى أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما علم انه قد تأدب قال له وانك لعلى خلق عظيم فلما استحكم له من رسوله ما أحب قال ما آتاكم

الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (وقال) كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروف فقلت أنا خير المعروف ستره وقال العباس خيره تصغيره وقال عمر خيره تعجيله فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم أنتم فذكرناله فقال خيره ان يكون هذا كله فيه (وقال) العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم (وقال) اذا خبث الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وكان خوف الموسر أشد من خوف المعسر (وقال) انظر الى المتنصح اليك فان دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل نصيحته وتحرز منه وان دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه (وقال) اعداء الرجل قد يكونون أنفع من اخوانه لانهم يهدون اليه عيوبه فيجتنبها ويخاف شماتتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه (وقال) المرآة التي ينظر الانسان فيها الى اخلاقه هي الناس لانه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساويه من أعدائه فيهم (وقال) انظر وجهك كل وقت فى المرآة فان كان حسنا فاستقبح ان تضيف اليه فعلا قبيحا وتشينه به وان كان قبيحا فاستقبح ان تجمع بين قبيحين (وقال) موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطأ من العلماء (وقال) ذك قلبك بالادب كما تذكى النار بالحطب (وقال) لا تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب (وقال) خير المقال ما صدقه الفعال (وقال) اذا لم ترزق غنى فلا تحرمن من تقوى (وقال) من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى (وقال) دع الكذب تكرما ان لم تدعه تأثما (وقال) المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب (وقال) كثرة الجدال توجب الشك (وقال) خير القلوب أوعاها (وقال) الحياء لباس سابغ وحجاب مانع وستر من المساوى واق وحليف للدين وموجب للمحبة وعين كالئة تذود عن الفساد وتنهى عن الفحشاء والعجلة فى الامور مكسبة للذلة وزمام للندامة وسلب للمروءة وشين للحجا ودليل على ضعف العقدة (وقال) اذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه (وقال) لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرا وأنت لا تعلم (وقال) ينبغى للعاقل ان يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء (وقال) ان حسدك أخ من اخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى فى مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافك به فيعذر نفسه فى الاساءة وتشرح له طريقا الى مايحبه فيك لكن اجتهد فى التزيد من تلك الفضيلة التى حسدك عليها فانها تسوءه من غير أن توجده حجة عليك (وقال) اذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره

فانك

فانك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره وشره (وقال) يجب عليك ان تشفق على ولدك من اشفاقك عليه (وقال) اذا خدمت رئيسا فلاتلبس مثل ملبوسه ولاتركب مثل مركوبه ولاتستخدم مثل خدمه فعساك تسلم منه (وقال) لاتحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك ولا الجهال فيستثقلوك ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ماتقول ويكتم عليك مايسمع فان لعلمك عليك حقا كما ان عليك في مالك حقا بذله لمستحقه ومنعه عن غير مستحقه (وقال) اياك وصاحب السوء فانه كالسيف المسلول يروق منظره ويقبح أثره (وقال) العاقل من اتهم رأيه ولم يثق بما سوّلته له نفسه (وقال) أمرلاتدرى متى يغشاك لايمنعك ان تستعدله قبل ان يفجأك (وقال) ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة (وقال) اذا أعجبك مايتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك (وقال) خيار الناس يترفعون عن ذكر معايب الناس ويتهمون المخبر بها ويأثرون الفضائل ويتعصبون لاهلها ويستعرضون ما آثرار ؤساء وافضالهم عليهم ويطالبون أنفسهم بالمكافأة عليها وحسن الرعاية لها (وقال) من كرم المرء بكاؤه على مامضى من زمانه وحنينه الى أوطانه وحفظه قديم اخوانه (وقال) مكارم الاخلاق عشر خصال السخاء والحياء والصدق وأداء الامانة والتواضع والغيرة والشجاعة والحلم والصبر والشكر (وقال) من الخير اداء الامانة المكافأة على الصنيعة لانها كالوديعة عندك (وقال) النفس تكون الحركة عليه في الخير سهلة متيسرة والحركة في الاضرار عسرة بطيئة والشرير بالضد من ذلك (وقال) لاتقبلن في استعمال عمالك وامرائك شفاعة الاشفاعة الكفاية والامانة (وقال) اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه باستشارتك قد خرج من عداوتك ودخل في مودتك (وقال) العدل صورة واحدة والظلم صوره كثيرة ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحرى العدل وهما يشبهان الاصابة في الرماية والخطأ فيها وان الاصابة تحتاج الى ارتياض وتعهد والخطأ لايحتاج الى شئ من ذلك (وقال) لايخطئ المخاص في الدعاء احدى ثلاث ذنب يغفر أوخير يعجل أوشر يؤجل (وقال) لاينتصف ثلاثة من ثلاثة بر من فاجر وعاقل من جاهل وكريم من لئيم (وقال) أشرف الملوك من لم يخالطه البطر ولم يحل عن الحق وأغنى الاغنياء من لم يكن للحرص أسيرا وخير الاصدقاء من لم يكن على اخوانه مستصعبا وخير

الاخلاق أعوانها على التقى والورع (وقال) اياك ومواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وان كان بريئا (وقال) قوت الاجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة فمتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل (وقال) لاتفرح بسقطة غيرك فانك لاتدرى ماتتصرف الايام بك (وقال) غضب العاقل فى فعله وغضب الجاهل فى قوله (وقال) مروا الاحداث بالمراء والجدال والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت (وقال) بلوغ أعلى المنازل من غير استحقاق من اكبر أسباب الهلكة (وقال) ليت شعرى ماأدرك من فاته العلم بل أى شئ فات من أدرك العلم (وقال) ذو الهمة وان حط نفسه يأبى الا علوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا (وقال) العاقل اذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة ومثلا والاحمق اذا تكلم بكلمة أتبعها حلفا (وقال) ابتداء الصنيعة نافلة وربها فريضة (وقال) رب صلف أدى الى تلف (وقال) المروءة التامة مباينة العامة (وقال) السفل اذا تعلموا تكبروا واذا تمولوا استطالوا والعلية اذا تعلموا تواضعوا واذا افتقروا صالوا (وقال) أعجز الناس من قصر فى طلب الصديق وأعجز منه من وجده فضيعه (وقال) اذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث تكره (وقال) عاملوا الاحرار بالكرامة المحضة والاوساط بالرغبة والرهبة والسفلة بالهوان (وقال) لاتبلغ فى سلامك على الاخوان حد النفاق ولاتقصر بهم عن درجة الاستحقاق (وقال) ارحم الفقراء لقلة صبرهم والاغنياء لقلة شكرهم وارحم الجميع لطول غفلتهم (وقال) من كذب ذهب بماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لايفهم (وقال) لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل (وقال) من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه (وقال) لاتقطع أخاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولاتتبعه بعد القطيعة وقيعة فيه فتسد طريقه عن الرجوع اليك ولعل التجارب ان ترده عليك وتصلحه لك (وقال) الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا (وقال) الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود (وقال) عقل الكاتب فى قلمه (وقال) الادب عند الاحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة (وقال) مما تكتسب به المحبة ان تكون عالما كجاهل وواعظا كموعوظ (وقال) لاأعجب للسلطان كيف يحسن وهو اذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه (وقال) اذا صادقت

انسانا

انسانا وجب ان تكون صديق صديقه وليس يجب عليك ان تكون عدوّ عدوّه لان هذا انما يجب على خادمه لا على مماثل له (وقال) ليس يكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا للمتعاديين (وقال) العقل الاصابة بالظن ومعرفة مالم يكن بما كان (وقال) تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه واخباره عن مالا يسأل عنه (وقال) خير ماء وشربه الملك قلة الخلاف وتخفيف المؤنة (وقال) أولى الاشياء ان يتعلمها الاحداث الاشياء التى اذا صاروا رجالا احتاجوا اليها (وقال) لا تطلب الحياة لتأكل بل اطلب الاكل لتحيا (وقال) من أمضى يومه فى غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه (وقال) خير الشعر ما كان مثلا وخير الامثال مالم يكن شعرا (وقال) ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوّك أو صديقك يعنى بحسن التربية وسوئها (ومما يناسب ما أوردنا) ويكون حفظه كمالا لطالب صناعة الانشاء طرف الاراجيز التى ضمنها أصحابها أمثال تلك المعانى فعليه ان يطلبها من مظانها ونورد منها الارجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر ابن حجة الحموى من كتاب الصادح والباغم ورتب أبياتها كما استحسن غير ترتيبها فى ذلك الكتاب وهى

الحمد لله الذى هذبنا * واختارنا للعلم اذ أدبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
يا مدعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها أمثال * ليس لها فى عصرنا مثال
ألفها ابن حجة للنجبا * لان فيها رأس مال الادبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من اكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكننى خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذة * تجاب للسامع كل لذة
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أوّل وأوسط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب

وانسجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من أنكر ما أحكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أوّل مارغب فى استهلاله * من نظمه المحكم فى مقاله
العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار *
من عرف الله أزال التهمه * وقال كل فعله للحكمه
من أنكر القضاء فهو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
* ونحن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * ان نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بأمر البارى
وأسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا *
ان العظيم يدفع العظيما * كما الجسيم يحمل الجسيما
* فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف فى البؤس على العدوّ
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدوّ صدقه
وقد علمت واللبيب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن *
وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الردى
لا تغترر بالخفض والسلامة * فانما الحياة كالمدامة
والعمر مثل الكأس والدهر القذر * والصفو لا بدّ له من الكدر
وكل انسان فلا بدّ له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كىّ على الفؤاد *
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
* فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر الصحبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل

صحبة

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب *
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لاسيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحمى أبدا أخاه * وهو اذا ماعد من أعداه
* وان من عاشرة وما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى * لحربه جر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لايحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر فما الاتوجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله *
وان رأيت النصر قد لاح لكا * فلا تقصر واحترز أن تهلكا
واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم بطر الغالب يوما فترك * عنه التوقى واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم *
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فأقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لاخير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ماغلب الايام الا الصابر
لا تيأسن من فرج واطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لحة الطرف بكاء وضحك * وناجز باد ودمع ينسفك *
تنال بالرفق وبالتأنى * مالم تنل بالحرص والتعنى
ماأحسن الثبات والتجلدا * وأقبح الحيرة والتبلدا *
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه

اذا الرزايا أقبلت ولم تقف * فسثم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فأصبر الآن لهذى المحن
* فالموت لا يكون الا مرة * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فأجهد الآن لما يقينى
صبرا على أهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ماغلب الايام الامن رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لا خير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحتقر شيئا صغيرا محتقر * فربما أسالت الدم الابر
لا تحرج الخصم فى احواجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
* فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن أسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر * ومانظرت حسن السرائر
ليس يضر البدر فى ثناه * ان الضرير قط لايراه *
كم حكمة أضحت بها المحافل * نافقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولورأوها لأزالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح *
والحق قد تعلمه ثقيل * يأباه إلا نفر قليل *
فالعاقل الكامل فى الرجال * لاينثنى لزخرف المقال *
* ان العدو قوله مردود * وقل مايصدق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
أيؤخذ البرىء بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذاك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

ان

ان أكل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولاتخل يسراك مثل اليمنى
وللرجال فاعلما مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لايخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ فى الاعداء ما يريد
وهو برىء منهم فى الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد إلا صلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندى * وجدته كمن يربى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر * وليس فى أصل الدنىء نصر
وان من الزمه وكفله * ضد الذى فى طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا *
* لو أنكم أفاضل أحرار * ما ظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أقيعا
ما طاب فرع أصله خبيث * ولا زكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا فى الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لايبلغون فى الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تماثلت أطرافه * فى طيبها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلى وبالكرم * وبرعت فى أصله حسن الشيم
* لولا بنو آدم بين العالم * ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد يعطيك للصانعه * أو حاجة له اليك واقعه
لا تشرها الى حطام عاجل * كم اكلة أودت بنفس الآكل
واحذر أخى يا فتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره
فليس من عقل الفتى أو كرمه * افساد شخص كامل لقرمه
* فالبغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء *

والبغي فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه
وربما ضرك بعض مالكا * وساءك المحسن من رجالكا
فالمرء يفدي نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من أسره
لا تعطين شيئا بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده
هذا الذي ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وحومة الآداب يا اهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
* قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمعجزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد *
* فرحمة الله له في الآخره * خاتمة مع الهباة الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذي للرسل جاء خاتما

والشريف المذكور صاحب الصادح والباغم هو المشهور بالرضي وكان رضي الله عنه من اكبر أمراء زمانه تولى نقابة الاشراف ببغداد وغيرها من الوظائف الجليلة وقد أفاض الله عليه من بركات بيته النبوي العلوي فلم يكن أشعر منه على الاطلاق ولا يطمع أحد أن يجاريه في سباق شعره مدون في أربعة أجزاء وقد اقتفى أثره فاحسن تلميذه وصنيعته مهيار الديلمي وسنورد عليك ان شاء الله متى أفضنا في أمر الشعر من كلامهما مصداق ذلك هذا وعلى من يريد المهارة في صناعة الانشاء ان يكثر من حفظ جياد الاشعار متفهما معانيها متأملا حسن سياقاتها فان في ذلك له من جميل الفوائد التي منها معرفة المعاني المودعة فيها بعد كد أفكار ذوي العقول في تحصيلها ومنها الاستشهاد بشطر بيت أو اكثر على ما يكون أسلفه في نثره من الدعاوى ومن التضمين بان يتمم المعنى الذي أبرزه النثر بشطر بيت أو اكثر أو يقرن معنى بما يناسبه ومنها استعماله في الحل الذي سبق التنبيه عليه في البديع نقل ان عبد الرحيم البيساني المشهور بالقاضي الفاضل لما ورد الديار المصرية في آخر دولة العبيديين على نية الاقامة بها والتعيش فيها بحرفة الكتاب لقي ابن الخلال رئيس الكتاب اذ ذاك وعرض عليه نيته وأنه استعد لذلك بحفظ القرآن الشريف وبعض الاخبار النبوية وديوان الحماسة وهو كتاب جمع فيه أبو تمام أشعارا انتخبها من أشعار العرب وأجاد الانتخاب حتى انه

قيل انه فى اختياره أشعر منه فى شعره ورتبه على عشرة أبواب كل باب فى نوع من أنواع الشعر فأمره ان يبتدئ التعلم بحل أبيات ذلك الديوان واخراجها من صورة النظم الى صورة نثرية لاتنقص ملاحتها عما كانت عليه وهى نظم فلما أتم ذلك عرضه عليه فأظهر استحسانه وأثنى عليه وأمره أن يحلها مرة ثانية فمنذ ذلك تصرف قلمه فى الصناعة ولم يزل يترقى حتى كان الواحد المشار اليه فى الدولة الكردية الماحية للدولة العبيدية واذ كان ذلك كذلك فلابد أن نورد لك من كل باب من أبواب الحماسة جملة صالحة تحفظها وتتأمل معانيها وتفتكر فى استعمالها التلك الاغراض حتى تجد الزمن الذى تتمكن فيه بتوفيق الله تعالى ان تطلع على جميع الكتاب وغيره مما يلزم لطالب الادب ان يطلع عليه من الكتب فن باب الحماسة والحماسة الشدة وبها سميت الاشعار التى يذكر فيها الشدة على النفس فى احتمال المكاره والصبر عليها لحفظ الشرف وحماية ما يجب على الانسان حمايته قال رجل من قوم يقال لهم بنو العنبر وسنة العرب فى النطق بأمثال هذه العبارة ان يقولوا بلعنبر و بلحارث أغارت على ابله جماعة يقال لهم بنو اللقيطة فلم يعنه قومه على استنقاذها منهم وركن الى بنى مازن فأعانوه واستخلصوا ابله يشكرهم ويهجو قومه

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذا لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر فى شئ وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

اللوثة بفتح فسكون الشدة والقوة ومنها اشتقاق الليث وبضم فسكون مرسل الضعف والاسترخاء وكلاهما يحتمل البيت وهو على الأولى أبلغ فى وصف بنى مازن بالشجاعة وفى الثانية تعريض بقومه وقال ثابت بن جابر المشهور بتأبط شرا يقال انه يوما من الايام أخذ سيفا تحت ابطه وخرج فسئلت عنه أمه فقالت لأأدرى تأبط شرا ومضى فغلب عليه ذلك اللقب يذكر بعض ماجرياته وكان شجاعا فاتكا مغوارا عرف بذلك

من صغره وحاصل القصة التي فيها الابيات انه كان استكشف في أرض بعض أعدائه غارا في رأس جبل قائم ليس له الا طريق واحدة ضيقة اتخذته نحل بيتا فكان يجيء يشتاره رأس كل سنة فاتفق ان فطن به قوم من أعدائه أهل الناحية فاخذوا عليه الطريق ودعوه الى الخروج فعرفهم وقال على شريطة ماذا أخرج فقالوا على غير شريطة فطاولهم الكلام وأخذ يريق العسل على الجانب الثاني من الجبل ثم وضع صدره على الصفا وأرخى نفسه فذهب يهوى حتى وصل أسفل الجبل سالما وكان بين الموضع الذي استقر فيه والموضع الذي فيه أعداؤه مسيرة ثلاثة أيام يدورون مع الجبل وهذه الابيات

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا * به الخطب الا وهو للقصد مبصر
فذاك قريع الدهر ما عاش حوّلا * اذا سد منه منخر جاش منخر
أقول للحيان وقد صفرت لهم * وطابي ويومي ضيق الجحر معور
هما خطتا إمّا إسار ومنة * وإما دم والقتل بالحر أجدر
وأخرى أصادي النفس عنها وانها * لمورد حزم ان فعلت ومصدر
فرشت لها صدري فزل عن الصفا * به جؤجؤ عبل ومتن مخصر
فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا * به كدحة والموت خزيان ينظر
فأبت الى فهم وما كدت آيبا * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

قريع الدهر الذي قرعته الايام بنوائبها حتى عرف وجوه المنافع والمضار بالممارسة والتجارب فان معرفة ذلك تكون أثبت وأمكن من معرفة من كانت طريقه اليها التعلم والاخذ من الاخبار يقال فلان صنيعة الدهر وحنكته التجارب وأدبته الايام والليالي الى غير تلك من العبارات وقوله هما خطتا إما إسار يروى برفع إسار وما بعده بدلا فحذف النون شاذ ويروى بالخفض فالحذف للاضافة وقوله صفرت لهم وطابي هو مثل يضرب لمفارقة الروح البدن أي كان ذلك في خيالهم وحسبما سوّلت لهم تلك المكنة منه وقوله اذا سد منه منخر أي كلما ضاق عليه أمر من الحيلة اتسع له آخر وقوله وكم مثلها فارقتها أي كم مثل تلك المنزلة فارقتها وأهلها يتحسرون على افلاتي وفواتي من يدهم وقال ابو كبير الهذلي يذكر تأبط شرا وهو غلام وكان قد تزوج أمه فكان يرى من عينيه استنكافه لذلك وانه يضمر له السوء فعرض ذلك على أمه فسمحت نفسها بان يعمل فيه ما شاء فاصبح ذات يوم وقال يا ثابت هل لك في الغزو فقال ذلك

ذلك من أمرى فخرجا وأبو كبير يريد به السوء ولم يكن يتمكن لنباهة الغلام وشدة حرصه ولم يكونا تزودا لسفرهما فاشتد الجوع فى الليلة الثانية بابى كبير ولاحت لهما من بعيد نار فقال يا ثابت اقصد النار وأنا أنتظرك عسى ان تجد مانأكل فقال أهذا وقت أكل فقال لابد من ذلك فلما قصد النار وجدها رجلين من مشاهير لصوص العرب فهما به وجرى امامهما حتى أطمعهما فى نفسه ثم انعطف فقتل أقربهما اليه ثم جرى للآخر فالحقه به وجاء النار فأخذ ما كان من طعام وأحضره الى أبى كبير وقال كل لا اشبع الله بطنك فسأله عما جرى فقال كل ولا تسأل فألح عليه حتى أخبره بما كان فعند ذلك عظم فى صدره جدا واشتدت مهابته له وخوفه منه ثم سارا حتى وجدا ابلا فاستاقاها ورجعا قافلين فكان يسير به اليوم أجمع وصدرا من الليل ثم يقول له أنام وتحرس ثم تنام وأحرس وكان ذلك دأبهما فبينا ثابت نائم فى بعض نوباته اذبدا لابى كبير أن يقتله وأراد ان يختبره أولا ان كان قد غمره النوم أولا فأخذ حصاة ونبذها ناحية رأسه فنهض ثابت قائما كانه كعب قناة وقال ماهذه الوجبة فقال أبو كبير لا أدرى سمعت كما سمعت فطاف ثابت حول الابل وعس فلم يجد شيئا ثم رجع ونام فنبذ أبو كبير حصاة أصغر من الاولى فكان منهما كما كان فى المرة الاولى فلما كانت الثالثة قال ثابت ياهذا قد رابنى أمرك منذ الليلة والله لئن عدت سمعت شيئا قتلتك قال أبو كبير فلانى الخوف منه حتى سهرت بقية الليلة أطوف حول الابل مخافة أن يتحرك بعضها فيسمع فيبرقسمه فلما رجعا قال أبو كبير لام ثابت ليست أم مثل هذا لى بزوجة وهذه الابيات

ولقد سريت على الظلام بمغشم * جلد من الفتيان غير مثقل
* ممن حملن به وهن قواعد * حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرء من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
* حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل
فاذا نبذت له الحصاة رأيته * ينزو لوقعتها طمور الاخيل
* واذا يهب من المنام رأيته * كرتوب كعب الساق ليس بزمل
ما ان يمس الارض إلا منكب * منه وحرف الساق طى المحمل
واذا رميت به الفجاج رأيته * يهوى مخارمها هوى الاجدل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

صعب الكريهة لايرام جنابه * ماضي العزيمة كالحسام المصقل
يحمي الصحاب اذا تكون عظيمة * واذا هم نزلوا فأوى العيل

قوله مغشم هو صيغة الآلة اذا كان الغرض صفة الشئ بكونه عدة للفعل فهو بمنزلة آلته عبر عنه بصيغتها كقول امرئ القيس في صفة الفرس * مكر مفر مقبل مدبر معا * بكسر ميمي مكر ومفر واذا أريد صفته بكونه قويا في الفعل ثابتا فيه مستمرا عبر عنه بصيغة فعول احدى صيغ المبالغة المشهورة كصبور وصدوق واذا أريد صفته بكثرة الفعل مع تخلل الترك عبر بفعال كقولهم طلاع انجاد وخواض غمرات واذا أريد صفته بكونه له عادة عبر بمفعال كقولهم هو منحار للابل وهو فرق ينبغي التنبه له ليستعمل كل شئ في موضعه وقوله مهبل أي غير مشئوم بأن يقال له هبلتك أمك أي فقدتك كما يقال لمن لاخير فيه بل هو معدي يقال له جعلت فداءك كما يقال لمن يؤمل منه النفع والمهبل أيضا اللحيم المورم الوجه وقوله حملت به في ليلة يقال ان المرأة اذا أكرهت على الجماع ضعفت شهوتها وكانت القوة الفعالة لشهوة الرجل فاذا حملت في تلك الحالة جاء الولد نجيبا شهما خفيفا نديا وقوله واذا نظرت الى أسرة وجهه الاسرة الخطوط التي تظهر في الجبين وقد شرفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا البيت حيث تمثلت به وقد نظرت الى وجهه صلى الله عليه وسلم يتحدر منه العرق وهو مقبل على مباشرة خصف نعله فقالت كان أبا كبير رآك حيث يقول واذا نظرت الى أسرة وجهه البيت فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم وقبلها بين عينيها وقال رجل من بني قيس بن ثعلبة وقيل انها لبشامة بن حزن النهشلي ومن يقول انها للقيسي يروي قوله الآتي * انا بني مالك لاندعي لأب * وأهل القول الثاني يروون انا بني نهشل

* انا محيوك ياسلمى فحيينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما سراة كرام الناس فادعينا
انا بني نهشل لاندعي لاب * عنه ولا هو بالابناء يشرينا
ان تبتدر غاية يوما لمكرمة * تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا * الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا * ولو نسام بها في الامن أغلينا
بيض مفارقنا تغلي مراجلنا * نأسوا بأموالنا آثار أيدينا
اني لمن معشر أفنى اوائلهم * قيل الكماة الى أين المحامونا

لوكان

لو كان فى الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا
* اذا الكماة تنحوا أن يصيبهم * حد الظباة وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وان جلت مصيبتهم * مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره أحيانا فيفرجه * عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

قوله وان سقيت كرام الناس أى وان أردت ان تدعى بالسقيا لكرام الناس فادعى لنا فانا هم وليس الغرض الدعاء حقيقة ولكن التعجب واستعظام الامر فان من استعظم شيئا يقول سقاه الله وهذا استحسانك عمل انسان تقول حياك الله وقوله
* تلقى السوابق منا والمصلينا * هما من أسماء خيل الحلبة أى خيل السباق وكان من عادتهم أن يجروها عشرة عشرة فكانت تجىء العشرة نحو الغاية وهى القصب المركوز فى آخر مسافة السباق التى يقال فيها احرز قصب السبق فكان أول حصان يسمى المجلى والسابق لانه جلى عن نفسه والثانى يسمى المصلى لان جحفلته تكون عند صلوى السابق والصلوان عرقان يكتنفان الصلب أو عظمان اختلف فى تفسيرهما والثالث يسمى المسلى والرابع التالى والخامس المرتاح والسادس العاطف والسابع المؤمل والسبعة لها انصبة من مبلغ المراهنة والثامن الحظى والتاسع اللطيم والعاشر السكيت مثل كميت و يشدد فيقال سكيت كجميز و يسمى أيضا فسكلا كقنفذ وزبرج وذكر هذه الاسماء فى نظم وصف به حلبة سباق محمد بن يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان فقال

فجلى الاغر وصلى الكميت * وسلى فلم يذمم الادهم
* واتبعها رابع تاليا * وانى من المجد المتهم
* وماذم مرتاحها خامسا * وقد جاء يقدم مايقدم
وسادسها العاطف المستحير يكاد لحيرته يحرم
وخاب المؤمل فيها يخيب وعن له الطائر الاشأم
وجاء الحظى لها ثامنا * فأسهم حصته المسهم
* حداسبعة وأتى ثامنا * وثامنة الخيل لا تسهم
وجاء اللطيم لها تاسعا * فن كل ناحية يلطم
* يخب السكيت على إثرها * وعلياه من قنبه أعظم
على ساقة الخيل يعدو بها * عليها وسايسها ألوم *

اذا قيل من رب ذا المجيب * من الحزن بالصمت مستعصم

خيبة المؤمل كونه اقل ذوات الانصباء وقوله أسهم حصته المسهم أى كانت حصته سهما لذوى السهام وحصته التى له لولم يجئ ثامنا وقوله افتلينا أى انتزعنا وميزنا كما ينتزع الفلو عن أمه عند الفطام والفلو كعدو وعدو المهر الصغير عند فطامه وقوله الكماة جمع كام كقاض وقولهم جمع كمى مسامحة وسمى الشجاع كميا لانه يكتم صفات نفسه حتى تعبر عنها أعماله أو يستر نفسه فى السلاح وقال زفر بن الحارث يقر لاعدائه بالغلبة

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة * ليالى لاقينا جذام وحميرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه * ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

* ولما لقينا عصبة تغلبية * يقودون جردا للمنية ضمرا

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها * ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وتغلب التى ذكرها فى الشعر قوم من قضاعة وليست تغلب وائل وقال يذكر هزيمته فى تلك الواقعة و يعتذر

أرينى سلاحى لا أبالك اننى * أرى الحرب لا تزداد الا تماديا

* ولم ترمنى نبوة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا

عشية أجرى بالصعيد ولا أرى * من الناس الا من على ولا ليا

أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدى

ولما رأيت الخيل زورا كأنها * جداول زرع أرسلت فاسبطرت

* فجاشت الى النفس أول مرة * فردت على مكروهها فاستقرت

علام تقول الرمح يثقل عاتقى * اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

لحا الله جرما كلما ذر شارق * وجوه كلاب هارشت فازبأرت

فلم تغن جرم نهدها اذ تلاقتا * ولكن جرما فى اللقاء ابذعرت

ظللت كأنى للرماح درية * أقاتل عن ابناء جرم وفرت

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

أسبطرت امتدت فى استرسالها وازبأرت تهيأت وابذعرت تفرقت وتناكصت وأصل الاجرار أن يشق لسان الفصيل و يوضع فيه عود يمنع بذلك من رضاع أمه واستعير هاهنا

هاهنا القبيح الاسكات والمنع من النطق بالثناء وجرم هؤلاء كانوا نزلوا فى جوار عمرو وفيهم ثأر لنهد فجاؤا يطلبونه منهم فأراد يد فعهم عمرو ويعين جيرانه فثبت ولم يثبتوا وقال أنيف بن زبان النبهانى من طيئ

جمعنا لكم من حى عوف ومالك * كتائب يردى المقرفين نكالها
لهم عجز بالرمل فالحزن فاللوى * وقد جاوزت حى جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حوشف رجلة * تتاح لغرات القلوب نبالها
أبى لهم ان يعرفوا الضيم انهم * بنو ناتق كانت كثيرا عيالها
فلما أتينا السفح من بطن حائل * بحيث تلاقى طلحها وسيالها
دعوا لنزار وأنتمينا لطيئ * كاسد الشرى اقدامها ونزالها
فلما التقينا بين السيف بيننا * لسائلة عنا حفى سؤالها
* ولما تدانوا بالرماح تضلعت * صدور القنا منهم وعلت نهالها
ولما عصينا بالسيوف تقطعت * وسائل كانت قبل سلمى حبالها
فولوا وأطراف الرماح عليهم * قوادر مربوعاتها وطوالها *

حوشف رجلة بفتح أولهما وسكون ثانيهما جماعة المشاة الكثيرة وقال عمرو بن معديكرب

ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا * بغة وعداء علندا
نهدا وذا شطب يقد * البيض والابدان قدا
* وعلمت انى يوم ذا * ك منازل كعبا ونهدا
قوم اذا لبسوا الحديد * تنمروا حلقا وقدا
كل امرئ يجرى الى * يوم الهياج بما استعدا
* لما رأيت نساءنا * يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها * بدر السماء اذا تبدى
وبدت محاسنها التى * تخفى وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولم * أر من نزال الكبش بدا
هم ينذرون دمى وانذر * ان لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح * بوأته بيدى لحدا

ما ان جزعت ولا هلعت * ولا يرد بكاى زندا
أغنى غناء الذاهبين أعد للأعداء عدا
ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

قوله ان الجمال معادن أى غرائز وطبائع وقد أقر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام والمناقب هى الاحوال والافعال وبها وبالغرائز يكون تمام الشرف فى الانسان والعلندا الشديد يوصف به الخيل والابل والبيض جمع بيضة وهى والمغفر والخوذة وقاء الرأس من ضمن السلاح والابدان جمع بدن اصنف من أصناف الدروع والقد درع من جلد وقوله ولا يرد بكاى زندا أى لا يرد شيئا كما يقال لا يرد فتيلا وقال قيس ابن الخطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها
يهون على ان تردجراحها * عيون الاواسى اذ حمدت بلاءها
وساعدنى فيها ابن عمرو بن عامر * خداش فادى نعمة وافاءها
وكنت امرأ لا أسمع الدهر سبة * أسب بها الا كشفت غطاءها
فانى فى الحرب الضروس موكل * باقدام نفس ما أريد بقاءها
اذا ما اصطبحت أربعا خط مئزرى * وأتبعت دلوى فى السماح رشاءها
متى يأت هذا الموت لا تلق حاجة * لنفسى الا قد قضيت قضاءها
ثأرت عديا والخطيم فلم أضع * ولاية أشياخ جعلت ازاءها

وقال الحارث بن هشام أخو أبى جهل يعتذر من فراره يوم بدر وتركه أخاه وبقية أهله حتى عيره حسان بن ثابت حيث يقول

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

دعا عليها بلحوق العار والفضيحة كما لحق هذا الفار وذكر ذلك فى ضمن أبيات الحماسة للجمع بين الشئ وضده وهذه أبيات الاعتذار

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى باشقر مزبد
وشممت ريح الموت من تلقائهم * فى مأزق والخيل لم تتبدد

وعلمت انى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي

فصددت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

الاشقر المزبد هو الدم الخارج إما من جرحه أو جرح فرسه

وقال حيان بن الحكم السلمى المشهور بالفرار يتبجح بالفرار وانه مقتضى العقل وان من أمره انه يوافق السفهاء فى آرائهم حتى يشتبكوا فاذا اشتبكوا رجع هو الى ما هو الخير عنده

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم * من بين منعفر وآخر مسند

ما كان ينفعنى مقال نسائهم * وقتلت دون نسائها لا تبعد

يقال ان بعض العلماء سئل تفسير قوله وكتيبة فقال هو كقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية وقال الحصين بن الحمام المرى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان أتقدما

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فاعل تقطر ضمير الكلوم والدم مفرد مفعول

وقال رجل من بنى عقيل وقد حاربه بنو عمه فقتل منهم

بكره سراتنا يا آل عمرو * نغاديكم بمرهفة صقال

نقديهن يوم الروع عنكم * وان كانت مثلمة النصال

لهالون من الهامات كاب * وان كانت تحادث بالصقال

ونبكى حين نقتلكم عليكم * ونقتلكم كانا لا نبالى *

من هذا أخذ البحترى قوله وحلاه بحلية البديع المزاوجة

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

وهذا الكلام فى الانتقام والاخذ بالثأر عن قريب من قريب آخر وقد اختلفت آراؤهم فى ذلك فمنهم من رجح الانتقام لتبريد الغلة ودفع الهوان وان كان فيه نقص عدد الحماة والانصار ومنهم من رجح العفو إبقاء لوفور العدد فن الاول ما مضى وقول قيس بن زهير

شفيت النفس من حمل بن بدر * وسيفى من حذيفة قد شفانى

فان أك قد بردت بهم غليلي * فلم أقطع بهم الا بنانى *

وكان حمل وحذيفة قريبين قتلا قريبا له فقتلهما وقوله فان أك قد بردت بهم غليلي جمع الضمير لانه رده على القتيلين وقومهما فانه قتلهما وأدخل الحزن على قومهما وفرح هو وقومه وبذلك برد غليله ومن الثانى قول الحارث بن وعلة الذهلى

قومى هموقتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

وقول اعرابى

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وفى هذا قليل بعد عما قبله فانه جعل سبب العفو القرابة وعدم الارادة والسابق جعل السبب محض القرابة وقال بعض بنى فقعس

* رأيت موالى الالى يخذلوننى * على حدثان الدهر اذ يتقلب

فهلا أعدونى لمثلى تفاقدوا * اذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب

وهلا أعدونى لمثلى تفاقدوا * وفى الارض مبثوث شجاع وعقرب

فلا تأخذوا عقلا من القوم اننى * أرى العار يبقى والمعاقل تذهب

كانك لم تسبق من الدهر ليلة * اذا أنت أدركت الذى كنت تطلب

قوله رأيت موالى الألى أى رأيت بنى عمى هم الألى فالألى مفعول ثان وقوله اذا الخصم أبزى مذكر بزواء ومن معانى البزاء ومنه الاستعارة خروج الصدر ودخول الظهر يفعل ذلك الخصم تكبرا وقوله شجاع وعقرب كناية عن العدو ولذلك صح ان يكون مبتدأ ومعطوفا عليه ومبثوث خبر دون تثنية اذ المعنى وعدو مبثوث فى الارض ولهم فى هذا المعنى وهو تفظيع أخذ الدية والتحريض على الثار كلام كثير وقال عنترة طىء

أطال حمل الشناءة لى وبغضى * وعش ماشئت فانظر من تضير

فما بيديك نفع أرتجيه * وغير صدودك الخطب الكبير

ألم تر أن شعرى سارعنى * وشعرك حول بيتك ما يسير

اذا أبصرتنى أعرضت عنى * كان الشمس من قبلى تدور

وقال الطرماح بن حكيم من وادى هذا الكلام

لقد زادنى حبا لنفسى اننى * بغيض الى كل امرئ غير طائل

وانى شقى باللئام ولاترى * شقيا بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآنى قطع الطرف بينه * وبينى فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الارض حتى كأنها * من الضيق فى عينيه كفة حابل
أكل امرئ ألفى أباه مقصرا * معاد لأهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى * ولا يضطنى من شتم أهل الفضائل
وما منعت دار ولا عز أهلها * من الناس الا بالقنا والقنابل

القنابل جمع قنبل أو قنبلة بفتح فسكون ففتح للجماعة من الناس أو الخيل

(وقال يزيد بن الحكم الكلابى)

دفعنا كم بالقول حتى بطرتم * وبالراح حتى كان دفع الاصابع
فلما رأينا جهلكم غير منته * وما غاب من أحلامكم غير راجع
مسسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى حسب فى قومه غير واضع
فلما بلغنا الامهات وجدتم * بنى عمكم كانوا كرام المضاجع
بنى عمنا لا تشتمونا ودافعوا * على حسب ما فات قيد الاكارع
وكانبى عم نزا الجهل بيننا * فكل يوفى حقه غير وادع

قوله ما فات قيد أى لم يزل عن موضعه قدر كراع وضع الجمع موضع المفرد لاقامة الشعر ولأن الجمع لا يقع به اشتباه اذ الغرض التقليل وذلك يأتى من حقارة الكراع بضم أوله وقال ابراهيم بن كنيف النبهانى

تعز فان الصبر بالحر أجمل * وليس على ريب الزمان معوّل
فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعا * لحادثة أو كان يغنى التذلل
لكان التعزى عند كل مصيبة * ونائبة بالحرّ أولى وأجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه * وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فان تكن الايام فينا تبدلت * ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة * ولا ذللتنا للتى ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة * تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا * فصحت لنا الاعراض والناس هزل

قوله مزحل من زحل أى لا يتجاوز ولا يفوت المرء ما قضاه الله عليه وقال عويف القوافى الفزارى

ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجاك ونامت العواد
خبر أتانى عن عيينة موجع * كادت عليه تصدع الاكباد
بلغ النفوس بلاؤه فكأننا * موتى وفينا الروح والاجساد
يرجون عثرة جدنا ولو انهم * لا يدفعون بنا المكاره بادوا
لما أتانى عن عيينة أنه * أمسى عليه تظاهر الاقياد
نخلت له نفسى النصيحة انه * عند الشدائد تذهب الاحقاد
وذكرت أى فتى يسد مكانه * بالرفد حين تقاصر الارفاد
أم من يهين لنا كرائم ماله * ولنا اذا عدنا اليه معاد

الاجساد فى الشعر جمع جسد والمراد به الدم كما هو المراد فى قول النابغة

* وما هريق على الانصاب من جسد * وقال بشر بن المغيرة أخى المهلب ابن أبى صفرة وهو أبو يزيد المذكور فى الشعر وكان المهلب أمير العسكر اذ ذاك وهو مشهور يتوجع فى هذه الابيات من عمه وأبيه وابن عمه

جفانى الامير والمغيرة قد جفا * وامسى يزيد لى قد أزورّ جانبه
وكلهم قد نال شبعا لبطنه * وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه
فيا عم مهلا واتخذنى لنوبة * تنوب فان الدهر جم عجائبه
أنا السيف الا أن للسيف نبوة * ومثلى لا تنبو عليك مضاربه

وقال رجل فى ابنه واختلف فى تسميته فقيل هو أبو الشغب العبسى وقيل غير ذلك

رأيت رباطا حين تم شبابه * وولى شبابى ليس فى بره عتب
اذا كان أولاد الرجال حزازة * فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه دميث وجانب * اذا رامه الاعداء ممتنع صعب
وتأخذه عند المكارم هزة * كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

الحزازة تألم النفس غيظا أى اذا كانوا سببها وقال اسحاق بن خلف

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى * ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
احاذر الفقر يوما أن يلم بها * فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم
أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ * وكنت أبقى عليها من أذى الكلم

وقال

وقال حطان بن المعلى

أنزلني الدهر على حكمه * من شامخ عال الى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى * فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر ويا ربما * أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات كزغب القطا * رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع * في الارض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم * لامتنعت عيني من الغمض

قوله لولا بنيات كزغب القطا أي ضعاف كفراخ القطا التي لم يقو ريشها بعد بل هو زغب فهي في الاحتياج الى ما يعولها ويجلب رزقها وقوله رددن من بعض الى بعض يريد أن كبارهن وان قويت بنيتهن حتى ردت اليهن الصغار يحفظنهن ويدبرن أمورهن فهن ضعاف العقول والعزائم بحيث يرددن الى الصغار ويجعلن من عددهن اذ الفريقان في الضعف سواء فخلاصة المعنى ان البنات في عدم غنائهن واحتياجهن الى من يكفلهن ويعول أمرهن لا تمييز لبعضهن عن البعض وقال رجل أسدي

وما أنا بالنكس الدنيء ولا الذي * اذا صدعني ذو المودة أحرب
ولكنني ان دام دمت وان يكن * له مذهب عني فلي عنه مذهب
الا ان خير الود ود تطوعت * له النفس لا ود أتى وهو متعب

يقال ان الافصح اذا أخبر بموصول عن ضمير متكلم أو مخاطب ان يؤتى بالضمائر طبق الموصول ضمائر غيبة وهذا الشعر على خلاف ذلك فكان يقول

* اذا صدعنه ذو المودة يحرب * ويحرب يغتاظ ومن كلام علي كرم الله وجهه
* أنا الذي سمتني أمي حيدره * فهو كالشعر وقال بشامة بن حزن

ولقد غضبت لخندف ولقيسها * لما ونى عن نصرها خذالها
دافعت عن اعراضها فمنعتها * ولدي في امثالها أمثالها *
اني امرؤ أسم القصائد للعدا * ان القصائد شرها أغفالها
قومي بنو الحرب العوان بجمعهم * والمشرفية والقنا اشعالها
مازال معروفا لها في الوغى * عل القنا وعليهم انهالها
من عهد عاد كان معروفا لنا * أسر الملوك وقتلها وقتالها *

فى القاموس ولد الياس بن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو وقعة وأمهم خندف كزبرج وهى ليلى بنت حلوان بن عمران وكان الياس خرج فى نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير فى الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت مازلت أخندف فى أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف فسميت القبيلة باسم أمها وقوله اسم القصائد وسم القصيدة عبارة عن ذكر من قيلت برسمه من ممدوح أو مهجو وقال العباس بن مرداس وهى من المنصفات اذ لم يكتم حال أعدائه

ولم أر مثل الحى حيا مصبحا * ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اكر وأحمى للحقيقة منهم * واضرب منا بالسيوف القوانسا
اذا ما شددنا شدة نصبوا لنا * صدور المذاكى والرماح المداعسا
اذا الخيل جالت عن صريع نكرها * عليهم فما يرجعن الا عوابسا

ذكاء الخيل تمامها وخروجها من سن الفتاء وقال عبد الشارق بن عبد العزى الجهنى من المنصفات أيضا

الا حييت عنا يا ردينا * نحييها وان كرمت علينا
ردينة لو رأيت غداة جئنا * على اضماتنا وقد احتوينا
فأرسلنا أبا عمرو ربيئا * فقال ألا انعموا بالقوم عينا
ودسوا فارسا منهم عشاء * فلم نغدر بفارسهم لدينا
فجاؤا عارضا بردا وجئنا * كمثل السيل نركب وازعينا
تنادوا يا لبهثة اذ رأونا * فقلنا أحسنى ملا جهينا
سمعنا دعوة عن ظهر غيب * فجلنا جولة ثم ارعوينا
فلما ان تواقفنا قليلا * انخنا للكلاكل فارتمينا
فلما لم ندع قوسا وسهما * مشينا نحوهم ومشوا الينا
تلألؤ مزنة برقت لاخرى * اذا حجلوا بأسياف ردينا
شددنا شدة فقتلت منهم * ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا * بأرجل مثلهم ورموا جوينا
وكان أخى جوين ذا حفاظ * وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات * وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فباتوا بالصعيد لهم أحاح * ولو خفت لنا الكلمى سرينا

قوله تحييها وان كرمت علينا تحقق المنافرة بأن يراد بتحيتها تحية الوداع أو تحية الغائب أداء لواجب المحبة على لسان رسول مراغمة للغيرة أو يراد بكرمها عليه تعذرها وامتناعها وقوله على أضماتنا وقد اختوينا أى على أشد أحقادنا وقد أخلينا أجوافنا وكانت تلك لهم عادة اذا أرادوا الحرب وقوله نركب وازعينا أى لا يطيع أحد الجيشين وازعه ورئيسه اذا أراد أن يكفه عن الاقدام والملأ في قوله احسنى ملأ معناه الخلق وبهثة ولد الزنا وهو اسم للقبيلة هنا وقال المساور بن هند بن زهير

أودى الشباب فماله متقفر * وفقدت أترابى فأين المغبر

وأرى الغوانى بعدما أوجهننى * أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

ورأين رأسى صار وجها كله * إلا قفاى ولحية ما تضفر

ورأين شيخا قد تحنى ظهره * يمشى فيقعس أو يكب فيعثر

لما رأيت الناس هروا فتنة * عمياء توقد نارها وتسعر

وتشعبوا شعبا فكل جزيرة * فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولتعلمن ذبيان ان هى أعرضت * أنا لنا الشيخ الاعز الاكبر

ولنا قناة من ردينة صدقة * زوراء حاملها كذلك أزور

اقتفر الشئ تتبعه وقوله ولحية لا تضفر تأسف على فقد الذوائب التى من شأنها الضفر وقوله يقعس أى يكون كالاقعس وهو مقابل الاحدب وفى قوله يكب فيعثر قلب لا من اللبس وقال عروة بن الورد العبسى

قلت لقوم فى الكنيف تروحوا * عشية بتنا عند ماوان رزح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم * الى مستراح من حمام مبرح

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

كان عروة غائبا فلما حضر وجد قومه قد نهكهم الجدب وهم رزح قاعدون فى ملتف من الشجر وهو الكنيف ينتظرون الهلاك فقال لهم تروحوا يحرضهم على النهوض فى طلب المعيشة فترتيب البيت الاول قلت لقوم رزح فى الكنيف عشية بتنا عند ماوان تروحوا تنالوا الغنى أو تقتلوا فتريحوا أنفسكم من حالة تشبه الحمام لكنه حمام مبرح وقال ربيعة بن مقروم

أخوك أخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعى استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي * وزاد سلاحه منك اقترابا
وكنت اذا قريني جاذبته * حبالي مات أو تبع الجذابا
فان أهلك فذي حنق لظاه * علي تكاد تلتهب التهابا
مخضت بدلوه حتى تحسى * ذنوب الشر ملأى أو قرابا
بمثلي فاشهد النجوى وعالن * بي الاعداء والقوم الغضابا
فان الموعدى يرون دوني * أسود خفية الغلب الرقابا
كان على سواعدهن ورسا * علا لون الاشاجع أو خضابا

قوله فذي حنق أي فرب حذفها بعد الفاء وهو أحد مواضع حذفها وقوله الغلب الرقابا نصب معمول الصفة على التشبيه بالمفعول به وقال سنان بن الفحل أخو بني أم الكهف من طيئ

وقالوا قد جننت فقلت كلا * وربي ما جننت وما انتشيت
ولكني ظلمت فكدت أبكي * من الظلم المبين أو بكيت
فان الماء ماء أبي وجدي * وبئري ذو حفرت وذو طويت
وقبلك رب خصم قد تمالوا * علي فما هلعت ولا دعوت
ولكني نصبت لهم جبيني * وآلة فارس حتى قريت

تمالوا أصله تمالؤوا بالهمز فخفف وصار معتلا وفي الابيات ذو الطائية وهي بمعنى التي والشاعر من أهل أشهر لغات طيئ في استعمال كلمة ذو الذين ينطقون بها على صورة واحدة دائما وقال اياس بن مالك الطائي

سمونا الى جيش الحروري بعدما * تناذره اعرابهم والمهاجر
بجمع تظل الاكم ساجدة له * واعلام سلمى والهضاب النوادر
فلما ادركاهم وقد قلصت بهم * الى الحي خوص كالحني ضوامر
انخنا اليهم مثلهن وزادنا * جياد السيوف والرماح الخواطر
كلا ثقلينا طامع بغنيمة * وقد قدر الرحمن ما هو قادر
فلم أر يوما كان أكثر سالبا * ومستلبا سرباله لا يناكر
واكثر منا يافعا يبتغي العلى * يضارب قرنا دارعا وهو حاسر
فما كلت الايدي ولا انأطر القنا * ولا عثرت منا الجدود العواثر

حرورى بفتح الراء الاولى بلد ينسب لها بعض الخوارج والخوارج أهل مذهب فى الاسلام أولهم جماعة خرجوا على على ومعاوية ومن كان معهم من المسلمين بعدما كان من حرب صفين وجرى من أمر تحكيم الحكمين فقالوا بكفر من حكم الحكمين وكانوا يتشددون فى أحكامهم وعظم أمرهم وشغلوا ملوك الاسلام بالحرب مدة من الزمان واشتهر فيهم كثير بالشجاعة والاقدام وكانوا يرون انهم هم أمة الاسلام وأمير المؤمنين منهم والمذكور فى الشعر جيش من جيوشهم وصفه الشاعر بالقوة والشدة وانه عمت مخافته الناس فكان يتناذره أهل البادية وهم الاعراب والفريق المهاجر وهم من ترك البادية وسكن الامصار وقوله بجمع تظل الاكم أى جمع كثيف ذو خيل وابل كثيرة بحيث انه يثقل وطأته يسوى مرتفعات الارض فمعنى سجود الاكم هبوطها وزوال ارتفاعها وقوله كان اكثر سالبا أى من ذلك اليوم ومستلبا سرباله بنصب سرباله مفعول ثان تقول استلبته كذا وقال سعيد بن ناشب

تفندنى فيما ترى من شراستى * وشدة نفسى ام سعد وما تدرى

فقلت لها ان الكريم وان حلا * ليلفى على حال أمر من الصبر

وفى اللين ضعف والشراسة هيبة * ومن لم يهب يحمل على مركب وعر

ومابى على من لان لى من فظاظة * ولكننى فظ أبى على القسر

أقيم صغا ذى الميل حتى أرده * وأخطمه حتى يعود الى القدر

فان تعذلينى تعذلى بى مرزأ * كريم نثا الاعسار مشترك اليسر

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وصمم تصميم السريجى ذى الاثر

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب

سائل بنا فى قومنا * وليكف من شر سماعه

قيسا وما جمعوا لنا * فى مجمع باق شناعه

فيه السنور والقنا * والكبش ملتمع قناعه

بعكاظ يعشى الناظرين اذا هم لمحوا شعاعه

فيه قتلنا مالكا * قسرا وأسلمه رعاعه

ومجدلا غادرنه * بالقاع تنهسه ضباعه

السنور يراد به الدروع ويراد به السلاح كله وقال امية بن ابى الصلت يشتكى من ولده

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما ادنى اليك وتنهل

اذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت * لشكواك الا ساهرا أتململ
كانى انا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى وعينى تهمل
فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى منك جبها وغلظة * كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل
وسميتنى باسم المفند رأيه * وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل
تراه معدا للخلاف كأنه * برد على أهل الصواب موكل

وقالت امرأة فى مثل هذا المعنى

ربيته وهو مثل الفرخ اعظمه * أم الطعام ترى فى جلده زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه * اباره ونفى عن متنه الكربا
أنشى يمزق أثوابى يؤدبنى * أبعد شيبى عندى يبتغى الادبا
انى لأبصر فى ترجيل لمته * وخط لحيته فى خده عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعنى * مهلا فان لنا فى أمنا اربا
ولو رأتنى فى نار مسعرة * ثم استطاعت لزادت فوقها حطبا

أعظمه أم الطعام أى اكثره حوصلته وأم الطعام من الآدمى المعدة وابر النخل تلقيح اناثها من ذكورها والابار فاعل ذلك فاضافته الى الفحال وهو ذكر النخل لادنى ملابسة كالاضافة فى قوله تعالى فان أجل الله لآت والكرب أصول السعف انتهى ما أردت ايراده من باب الحماسة وهذه جملة من باب الرثاء وهو ذكر محاسن الميت والبكاء عليه والتحسر على فقده يقال رثيته ورثوته والمرثية الكلام الذى يكون به الرثاء قال أبو خراش الهذلى وقد سافر اخوه وابنه فاسرا وقتل أخوه وألقى رجل رداء على ابنه واجتهد فى اطلاقه وتخليصه ممن أراد قتله

حمدت الهى بعد عروة إذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله ما أنسى قتيلا رزئته * بجانب قوسى ما مشيت على الارض
على انها تعفو الكلوم وانما * نوكل بالادنى وان جل ما يمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءه * على انه قد سل عن ماجد محض
ولم يك مثلوج الفؤاد مهبجا * أضاع الشباب فى الربيلة والخفض
ولكنه قد لوحته مخامص * على انه ذو مرة صادق النهض

وقد

وقد قيل ان الذى ألقى عليه الرداء هو عروة وقد وجده ملقيه مكشوف العورة وهذا القول أوفق لسياق الكلام والربيلة تطلق على السمن والنعمة فاذا أريد السمن فهو على حذف مضاف أى فى تحصيل الربيلة وكانوا يتمدحون بقلة الطعام والشراب اما الكثرة الاشتغال بالمهمات واما الايثار الغير وقال عبدة بن الطبيب

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء أن يترحما
تحية من غادرته غرض الردى * اذازاد عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وقال هشام بن عقبة العدوى اخو ذى الرمة يرثى أوفى بن دلهم

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع
نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم * لعمرى لقد جاؤا بشر فأوجعوا
نعوا باسق الافعال لايخلفونه * تكاد الجبال الصم منه تصدع
خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم * وأمسى بأوفى قومه قد تضعضعوا
فلم تنسنى أوفى المصيبات بعده * ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

وقال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا وكانا أسلما وهاجر متمم الى المدينة وبقى مالك فى البادية وكان عريف قوم أى نقيبهم والمتكلم عنهم فلما قبض النبى صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من العرب ومنهم مالك هذا وكانت ابل الصدقة مجموعة فى موضع يقال له رحرحان لم تصل بعد الى المدينة فأغار عليها مالك ونهب منها ثلاثمائة فلامه على ذلك الاقرع بن حابس وضرار بن القعقع ومشيا به فى بنى تميم يحرضانهم عليه ليردوه عن منكر فعله فقال فى ذلك

أرانى الله بالنعم المندى * ببرقة رحرحان وقد أرانى
أإن قرت عيون واستغيثت * غنائم قد تجود بها بنانى
حويت جميعها والسيف صلت * ولم ترعد يداى ولاجنانى
تمشى يا ابن عوذة فى تميم * وصاحبك الاقيرع تلحيانى
الم أك نار رابية تلظى * فتتقيا أذاى وترهبانى
فقل لابن المذب يغض طرفا * على قطع المذلة والهوان

النعم المندى هى الابل تسقى قليلا ثم تراح ناحية ثم تورد الماء لتحصيل تمام الرى يظهر غيظه وشماتته باجتماع ابل الصدق وكانوا يرون ذلك نهب الاموالهم وقوله تمشى أى

أي تمشي وهو معلول قوله إن قرت عيون وقوله يا ابن عوذة ناداه باسم أمه تحقيرا وعوذة أم ضرار ومذبة أم الاقرع فلما قام أبو بكر بالامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا رئيسه خالد بن الوليد لقتال أهل الردة وأوصاه بقتل مالك هذا فلما قتل أكثر من رثائه والبكاء عليه اخوه متمم يروى ان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال لمتمم يوما لو رثي أخي زيد بمثل ما رثيت به أخاك فقال متمم له لو علمت ان أخي صار لما صار اليه أخوك ما رثيته يعني لو علم موته على الاسلام فقال عمر ما عزاني أحد بمثل ما عزاني به متمم والابيات المراد اثباتها من رثاء متمم قوله

لقد لامني عند القبور على البكى * رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال اتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا * فدعني فهذا كله قبر مالك

ولابن نباتة المصري قصيدة يرثي فيها ملكا ويهنئ ابنه بالجلوس مكانه مطلعها

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

يقول فيها تلميحا بمالك ومتمم ابني نويرة

فقد نال الاعناق البرية مالكا * وشمنا الافعال الجميل متمما

وسنوردها بعد ان شاء الله تعالى وقال رجل من خثعم

نهل الزمان وعل غير مصرد * من آل عتاب وآل الاسود
من كل فياض اليدين اذا غدت * نكباء تلوي بالكنيف المؤصد
فاليوم اصحوا للمنون وسيقة * من رائح عجل وآخر مغتد
خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

النكباء واحدة النكب وهي الرياح الخارجة بين المهاب الاصلية وهي مهب الصبا للشرق ومهب الشمال ومهب الجنوب ومهب الدبور واذا توالت النكب كان الجدب والكنيف المؤصد الحظيرة من الشجر التي يجعل لها إصاد أي باب وعتبة اعتناء بها ومحافظة عليها وألوت بها أفسدتها وجود الجواد أظهر ما يكون في الجدب وقال محمد بن بشير الخارجي نسبة الى خارجة

نعم الفتى فجعت به اخوانه * يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام

واذا

واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوو الارحام

أراد بالصديق والشقيق الجنس أى اصدقاءه واشقاءه ولذلك قال أيهما ذوو الارحام
وقال دريد بن الصمة يرثى أخاه ودريد هذا من فرسان العرب المعدودين وقتل فى غزوة
حنين مع المشركين وكانوا أخرجوه معهم شيخا فانيا ليستضيئوا برأيه

نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وانني غير مهتدى
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فجئت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد
وكنت كذات البو ريعت فأقبلت * الى جلد من مسك سقب مقدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علانى حالك اللون أسودى
قتال امرئ آسى أخاه بنفسه * ويعلم ان المرء غير مخلد
فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد
كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من الآفات طلاع أنجد
قليل التشكى للمصيبات حافظ * من اليوم أعقاب الاحاديث فى غد
تراه خميص البطن والزاد حاضر * عتيد ويعدو فى القميص المقدد
وان مسه الاقواء والجهد زاده * سماحا واتلافا لما كان فى اليد
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد
وطيب نفسى اننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

قوله مدجج على صيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول تام السلاح وذات البو هى الناقة
يموت ولدها فيحشى جلده على صورة ولدها لترأمه أى تشمه وتعطف عليه تخيلا انه ابنها
فتدر لتحلب ومسك الحيوان جلده بفتح فسكون والسقب ولد الناقة الصغير
والصياصى جمع صيصاة بكسر فسكون شوكة للحائك يسوّى به اللحمة والسدى من
منسوجه وقال تأبط شرا كما روى أبو تمام ولكن قيل ان الشعر لخلف الاحمر واستدلوا
على ذلك بأنه قد ذكر فيه سلع وهو بالمدينة وتأبط شرا كان فى بلاد بعيدة عنها وبها

انتهت حياته وكيفما كان فالشعر جيد

ان بالشعب الذى دون سلع * لقتيلا دمه ما يطل
خلف العبء على وولى * انا بالعبء له مستقل
ووراء الثار منى ابن أخت * مصع عقدته ما تحل
مطرق يرشح سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل
خبر ما نابنا مصمئل * جل حتى دق فيه الاجل
بزنى الدهر وكان غشوما * بأبى جاره ما يذل
شامس فى القر حتى اذا ما * ذكت الشعرى فبرد وظل
يابس الجنبين من غير بؤس * وندى الكفين شهم مدل
ظاعن بالحزم حتى اذا ما * حل حل الحزم حيث يحل
غيث مزن غامر حيث يجدى * واذا يسطو فليث أبل
مسبل فى الحى أحوى رفل * واذا يغزو فسمع ازل
وله طعمان أرى وشرى * وكلا الطعمين قد ذاق كل
يركب الهول وحيدا ولا يصحبه الا اليمانى الافل
وفتو هجروا ثم أسروا * ليلهم حتى اذا انجاب حلوا
كل ماض قد تردى بماض * كسنا البرق اذا ما يسل
فادركنا الثار منهم ولما * ينج ملحيين إلا الاقل
فاحتسوا أنفاس نوم فلما * هوموا رعتهم فاشمعلوا
فلئن فلت هذيل شباه * لبما كان هذيلا يفل
وبما أبركها فى مناخ * جعجع ينقب فيه الاظل
وبما صبحها فى ذراها * منه بعد القتل نهب وشل
صليت منى هذيل بخرق * لا يمل الشر حتى يملوا
ينهل الصعدة حتى اذا ما * نهلت كان لها منه عل
حلت الخمر وكانت حراما * وبلأى ما ألمت تحل
فاسقنيها ياسواد بن عمرو * ان جسمى بعد خالى لخل
تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب لها يستهل
وعتاق الطير تغدو بطانا * تتخطاهم فما تستقل

طل دم القتيل أهدر ولم يؤخذ بثاره والمصع الشديد القتال والمصمئل الشديد وقوله بزني الدهر بأبي بزمعناه سلب يتعدى بنفسه يقال بزني كذا ولكن في بز هنا معنى فجع فالباء لاجله وهو التضمين وليث أبل أي ماض على وجهه لايبالي مالقى ورفل بكسر ففتح أي طويل الشعر أو الذنب الاري والشري العسل وشجر مر مناخ جحجع أي غليظ وعر والاظل باطن الخف وينقب يصيبه النقب أي يتخدش وقال الحارث ابن زيد الخيل

ألا بكر الناعي بأوس بن خالد * أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل

فان يقتلوا بالغدر أوسا فانني * تركت أباسفيان ملتزم الرحل

فلا تجزعي ياأم أوس فانه * تصيب المنايا كل حاف وذي نعل

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة * كراما ولم نأكل بهم حشف النخل

ولولا الاسي ماعشت في الناس ساعة * ولكن اذا ماشئت جاوبني مثلي

قال أبو رياش كان سبب هذه الابيات ان عمر بن الخطاب بعث رجلا يكنى أباسفيان ليس بالهاشمي ولا الاموي الى البادية يستقرئهم فمن لم يقرأ شيئا ضربه فانتهى الى بني نبهان فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ابن عم لزيد الخيل فلم يقرأ شيئا فضربه فمات من ضربه فقامت أم أوس تندبه فأقبل حريث بن زيد الخيل حتى دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه وقال هذه الابيات وقالت قتيلة سميت بمصغر قتلة بنت النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن هاشم بن عبد مناف وكان النضر من أشد أهل مكة على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يشتري كتب القصص بين فارس والروم ويقول ان كان محمد يقص على الناس أخبار عاد وثمود فأنا أقص عليكم أخبار فارس والروم يريد بهذا معارضة القرآن وابطال الرسالة وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية فلما أسر ببدر أمر صلى الله عليه وسلم بقتله صبرا والقتل صبرا أن يحبس مكتوفا ويرمى حتى يموت ولما أنشدت قتيلة الابيات وبلغت النبي صلى الله عليه وسلم رق لها وقال لو بلغتني قبل قتله لعفوت عنه وقال لاتقتل قريش صبرا بعد هذا اليوم

يارا كبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق

بلغ به ميتا فان تحية * ماان تزال بها الركائب تخفق

مني اليه وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر ان ناديته * ان كان يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
أمحمد ولأنت ضنء نجيبة * من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أصبت وسيلة * واحقهم ان كان عتق يعتق

الضنء بفتح أوّله الفرع وبكسره الاصل وقولها واحقهم ان كان عتق يعتق أى بأن يعتق حذف الخافض وان فارتفع الفعل وكان تامة وقال ابن عنمة الضبى فى مقتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة وكان ابن عنمة مجاورا فى بنى شيبان فخاف على نفسه لما قتل بسطام فرثاه يستميل بذلك بنى شيبان وهو من بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

لامّ الارض ويل ما أجنت * بحيث أضر بالحسن السبيل
نقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
أجدك لاتراه ولن تراه * تخب به عذافرة ذمول
حقيبة رحلها بدن وسرج * تعارضها مربية دؤول
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر فى جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
أفاته بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
وخرّ على الالاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل

الحسن فى الابيات اسم جبل وامامه هضبة يقال لها حسين ويقولون الحسنان فى التثنية وحقيبة الرحل وعاء خلف الراكب كالخرج والبدن الدرع القصيرة والمربية الدؤول أى المتقاربة العدو عبارة عن الفرس فانهم كانوا يركبون الابل فى سفرهم للغزو ويجنبون الخيل ليركبوها فى الحرب والمرباع الربع كالمعشار العشر ولا يستعمل غيرهما كان رئيس الجيش يأخذ ربع الغنيمة ثم يقسم والصفايا جمع صفية كان للرئيس ان يصطفى ماشاء كسيف أو فرس وكان من عادتهم عند افتتاح الحرب ان يبادر فارس فارسا فاذا قتله فالحكم فى سلبه للرئيس اما ان ينفله القاتل واما ان يرده للغنم والنشيطة ما يصيبونه قبل الوصول الى المقصد وهى للرئيس والفضول أشياء كانت تبقى بعد القسمة فيأخذها وكان لهم النقيعة وهى جمل يذبحه الرئيس قبل القسمة يطعمه الناس

بقي من ذلك في الاسلام الصفا يا فقد استصفى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ذا الفقار سيف منبه بن الحجاج وجويرية بنت الحارث في المصطلق وجعل صداقها عتقها وصفية بنت حيي من خيبر كذلك وأبدل الربع بالخمس للمذكورين في قوله تعالى واعلموا ان ما غنمتم الآية وبطل الباقي وقال الغطمش

الا رب من يغتابني ودّ انني * أبوه الذي يدعى اليه وينسب
على رشدة من أمه أو لغية * فيغلبها فحل على النسل منجب
فبالخير لا بالشر فارج مودتي * وأي امرئ يقتال منه الترهب
أقول وقد فاضت لعيني عبرة * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

قوله أي امرئ يقتال هو افتعال من القول أي وأي امرئ يظهر منه الترهب القول بالمودة ذلك الضعيف المقهور دون القوي فانه لا يظهر المودة الا وهي حق فلا يتملق فالاستفهام انكاري أي لا أحد يقتال منه الترهب جعل من يقتال منه لا شئ وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وهو شاعر ومن كلامه في الغزل

* بنفسي من لو مر برد بنانه * على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شئ وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائله
أرى الاثل من بطن العقيق مجاوري * مقيما وقد غالت يزيد غوائله
فتى قدّ قدّ السيف لا متضائل * ولا رهل لباته وبآدله *
اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحي حتى تستقل مراجله
مضى وورثناه دريس مفاضة * وأبيض هنديا طويلا حمائله
وقد كان يروي المشرفي بكفه * ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله
* كريم اذا لاقيته متبسما * واما تولى أشعث الرأس جافله
اذا القوم أموا بيته فهو عامد * لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله
ترى جازريه يرعدان وناره * عليها عداميل الهشيم وصامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره * بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

البآدل جمع بأدلة بتثليث اوله وهو اللحم حوال الثدي وقولها واما تولى أي أعرض غضبا في مقابلة حال الرضا المدلول عليها بالتبسم وأشعث الرأس جافله صفة الغضبان المتهيئ للحرب وجافله تأكيد لاشعث والعذور السيئ الخلق وأرادت أنه سريع

فى تهيئة القرى وارتهاد الجازرين اماّ من خوفه أومن البرد فى وقت الشدة والاحتياج والعدامل جمع عدمول القديم والصامل اليابس أى هو معد دائما النار القرى وقولها خيرها اعظم جاره أرادت أن خير مافيها هو العظم بلحمه الذى يهدى للجار كالذراع مثلا وقولها بصيرا أى يذبحها عامدا لا غلطا فهو يتخير للقرى انتهى المنقول من باب الرثاء وهذه جملة من باب الادب وهى أشعار تنبه على الفضائل الانسانية مثل كتمان السر والمحافظة على حقوق الصداقة قال مسكين الدارمى

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم * على سر بعض غير أنى جماعها
لكل امرئ شعب من القلب فارغ * وموضع نجوى لا يرام اطلاعها
يظلون شتى فى البلاد وسرهم * الى صخرة أعيا الرجال انصداعها

وقال المرار بن سعيد

اذا شئت يوما ان تسود عشيرة * فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
* وللحلم خير فاعلمن مغبة * من الجهل الا أن تشمس من ظلم

وقال شبيب بن البرصاء المرى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء هذه من أبيها فقال لا أرضاها لك يارسول الله فان بها برصا وليس بها برص فعاد فوجدها قد برصت

وانى لتراك الضغينة قد بدا * ثراها من المولى فلا استثيرها
مخافة ان تجنى على وانما * يهيج كبيرات الامور صغيرها
لعمرى لقد أشرفت يوم عنيزة * على رغبة لو شد نفسى مريرها
تبين أعقاب الامور اذا مضت * وتقبل أشباها عليك صدورها
اذا افتخرت سعد بن ذبيان لم تجد * سوى ما ابتنينا ما يعد فخورها
* ألم تر أنا نور قوم وانما * يبين فى الظلماء للناس نورها

من الادب الحزم ومن الحزم الاغضاء عن الصغير اذا كان يهيج كبيرا وقال معن بن اوس

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أول
وانى أخوك الدائم العهد لم أخن * ان ابزاك خصم أونبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذى عداوة * وأحبس مالى ان غرمت فاعقل
وان سؤتنى يوما صفحت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
كانك تشفى منك داء مساءتى * وسخطى ومافى ريبتى ما تعجل

وانى

وانى على أشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلى متحوّل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حدّ السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت اذا ما صاحب رام ظنتى * وبدّل سوأ بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن فلم أرم * على ذاك الا ريثما أتحول
اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قوله ان ابزاك أى قهرك القيت حركة الهمزة على النون ومزحل من زحل يعنى تأخر وبعد وقوله ومافى ريبتى ما تعجل أى ليس فى اساءتى شفاء دائك الذى تعجله أخرجه بعد التظنن الى التحقيق وقال عمرو بن قميئة

يالهف نفسى على الشباب ولم * أفقد به اذ فقدته أمما
اذ أسحب الريط والمروط الى * أدنى تجارى وانفض اللمما
لا تغبط المرء ان يقال له * أمسى فلان لسنه حكما
ان سره طول عمره فلقد * أضحى على الوجه طول ما سلما

المراد بالتجار باعة الخمر وقوله لا تغبط المرء معناه لا تعد كون الانسان يصير لكبره واستحكام رأيه رئيسا يتحاكم اليه من جليل النعم بعد نعمة الشباب والادب فى هذه الابيات انه اشار الى انه ينبغى ان يكون الشباب وان لهافيه الانسان مالها بالتعقل وضبط ما يعرض من الاحوال ذريعة لان يعتاض الانسان من لذاته شرف الرياسة اذا فارقه كقول الآخر

ان الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

كانه لم يعتبر من فرط فى شبابه حتى ساءت آخرته شيئا مذكورا وقال اياس بن القائف

تقيم الرجال الاغنياء بأرضهم * وترمى النوى بالمقترين المراميا
فأكرم أخاك الدهر مادمتما معا * كفى بالممات فرقة وتنائيا
اذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها * فقدت صديقى والبلاد كما هيا

وقال ربيعة بن مقروم الضبى

وكم من حامل لى ضب ضغن * بعيد قلبه حلو اللسان

ولو انى أشاء نعمت منه * بشغب أولسان تيحان

ولكنى وصلت الحبل منه * مواصلة بحبل أبى بيان

وضمرة انّ ضمرة خيرجار * علقت له بأسباب متان

هجان الحى كالذهب المصفى * صبيحة ديمة يجنيه جان

هجان الحى كريمه وخالصه والذهب المصفى أى بخلقته و يكون مستورا بالاغبرة فاذا دام المطر على معدنه أزال الاغبرة فانكشف فيجنيه جناته وذكر أن أبابيان وضمرة صديقاه خالصا الصداقة والادب فى الشعر التنبيه على انه ينبغى ان يعرف الانسان عدوه من صديقه ثم يعرف للصديق حقه و يدارى العدو على احتراسه منه ومن كلام الناس اللبيب من دار ويروى انّ عيينة بن حصن الفزارى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤمر بحجاب النساء فلمح عائشة فسأله عنها فقال هى بنت أبى بكر فقال عيينة أتنزل لى عنها وانزل لك عن أجل نساء العالم فقال له النبى ذلك لا يكون فى الاسلام فلم يزل صلى الله عليه وسلم مكرماله فلما خرج من عنده قال النبى بئس الرجل وعشيرته فقالت عائشة اليست هذه الغيبة فقال لا انه الاحمق المطاع فى قومه وانا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم فنبه النبى صلى الله عليه وسلم على استعمال المداراة فهى سنة فينبغى للانسان ان لا يتخذ عدوّا وقوله فى الشعر بشغب أولسان تيحان الشغب المصاخبة فى الجدال والتيحان الذى يعرض لما لا يعنيه وقوله وصلت الحبل منه الى آخره معناه قرنته على معرفة عداوته بالصديق الذى أنا متحقق من صداقته فهما فى المعاملة سواء وقال عبد الله بن همام السلولى وقد سعى به ساع عند زياد بن أبى سفيان فقال له هجاك فقال اجمع بينكما فقال افعل فأحضر عبد الله وقال له هجوتنى فأنكر فقال هذا أخبرنى فسكت قليلا ثم خاطب الرجل بقوله

وأنت امرؤ إمّا ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم *

رأيت لبعض الناس اعتراضا على هذا التقسيم فقال ان الخيانة اثم فلم تصح المقابلة وليس كما رأى فان الشاعر أراد إدارة الامر بين صدق قبيح لما فيه من الخيانة و بين كذب والكذب ولو على سبيل الاحتمال قبيح وعبر عن الكذب بالاثم فانه لا شبهة فى كونه اثما بخلاف حالة الخيانة فان فيها شبهة الصدق فهو كلام متين صادر عن تعقل صحيح فقول المرء مالم يعلم وإن وافق الواقع واتفق كونه صوابا ذميم سيئ وقال سالم بن

وابصة

وابصة الاسدى

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه * كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى * ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا
اذا شئت ان تدعى كريما مكرما * أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

يشبه البيت الاخير قول المتنبى

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

والمعنى ان من اشتغل بتربية المال وتنميته لم يكن له وقت لاكتساب الفضائل واغتنام اللذاذات فكان فقيرا من ذلك فالموفق يكون له من العيش ما لا يحتاج معه ثم يصرف الاوقات بعد فى تتميم الانسانية وقال عقيل بن علفة المرى

وللدهر أثواب فكن فى ثيابه * كلبسته يوما أجد وأخلقا
وكن أكيس الكيس اذا كنت فيهم * وان كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

يروى عن الشافعى رضى الله عنه مثل هذا وهو قوله

وأنزلنى طول النوى دار غربة * يصاحبنى فيها الذى لا أشاكله
أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال بعض الفزاريين

اكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب
كذاك أدبت حتى صار من خلقى * انى وجدت ملاك الشيمة الادب

قوله انى وجدت هو على ان المفعول الاول ضمير الشأن والجملة هى المفعول الثانى أو هو على حذف لام الابتداء المعلقة للفعل عن العمل لانه متى تقدم الفعل لم يجز إلغاؤه وقال رجل من بنى قريع

متى ما يرى الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن احاظ قسمت وجدود
اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا من غنى مذمم * وصعلوك قوم مات وهو حميد

وقال آخر

أضحت أمور الناس يغشين عالما * بما يتقى منها وما يتعمد
جدير بأن لا أستكين ولا أرى * اذا الامر ولى مدبرا أتبلد

أراد بالعالم نفسه فهو على تقدير يغشين منى عالما والتبلد مأخوذ من بلدة الصدر لنقرته وما حولها فان المتحير ربما يضرب بلدة صدره كما يقال يقرع سنه ندما وقال آخر

وانك لا تدرى إذا جاء سائل * أأنت بما تعطيه أم هو أسعد
عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا أن يكون له غد
وفى كثرة الايدى لذى الجهل زاجر * وللحلم أبقى للرجال وأعود

غد اسم يكون يعنى عسى أن يكون السائل الذى عليه الأوقات الحاضرة تكون له الأوقات المستقبلة كقوله

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

وعنى بكثرة الأيدى كثرة الاخوان من قولهم المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ففى كثرة الاخوان العز وامتناع الجانب بحيث يكون ذلك زاجرا للجاهل قاطعا الطمعه فى البطش بكثير الاخوان قال آخر فى هذا المعنى وهو أظهر

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد إذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال آخر

واياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

وقال العباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عظم الرجال لهم بفخر * ولكن فخرهم كرم وخير
بغاث الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلات نزور
ضعاف الطير أطولها جسوما * ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

وتضربه

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولانكير
فان أك فى شراركم قليلا * فانى فى خياركم كثير

مز من باب كرم مزازة فهو مزير أى ظريف أوشديد القلب نافذ وهو أنسب ويروى مريرأى ممر اسم مفعول من أمر الشئ أى أحكمه فهو حكيم يعنى محكم وأصله من أمر الحبل احكم فتله فهو ذو مرة بكسر أوله أى قوة وقال منظور بن سحيم

ولست بهاج فى القرى أهل منزل * على زادهم أبكى وأبكى البواكيا
فاما كرام موسرون أتيتهم * فحسبى من ذو عندهم ما كفانيا
واما كرام معسرون عذرتهم * واما لئام فادكرت حيائيا
وعرضى أبقى ما ادخرت ذخيرة * وبطنى أطويه كطى ردائيا

قوله على زادهم أبكى هو استهزاء بمن يطعن على الناس ويصفهم بالبخل ويشتكى منهم الحرمان فان الناس بين كريم ولئيم فالكريم مشكور أو معذور واللئيم لا يقصد فى حاجة ومن غلط فقصده أو تعمد قصده فعلى نفسه يلوم حيث لم يتأمل أو وضع حاجته فى غير موضع فهو احتجاج قاطع لعذر الهاجى وقال آخر

وأعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفى بطنى انطواء
فلا وأبيك ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

قوله وأعرض عن مطاعم هو كقول عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أنشد قصيدة هذا البيت أظهر استحسانه وقال ماوصف لى أعرابى فأحببت أن أراه الا عنترة وقال مالك بن حريم الهمدانى

أنبئت والايام ذات تجارب * وتبدى لك الايام ما لست تعلم
* بأن ثراء المال ينفع ربه * ويثنى عليه الحمد وهو مذمم
وان قليل المال للمرء مفسد * يحز كما حز القطيع المحرم
يرى درجات المجد لا يستطيعها * ويقعد وسط القوم لا يتكلم

القطيع المحرم السوط الخشن الجافى يعنى ان الفقر يؤثر فى صاحبه تأثير هذا السوط فيمن يضرب به وقوله يثنى عليه الحمد أى يعطفه وقال محمد بن بشير

ماذا يكلفك الروحات والدلجا * البر طورا وطورا تركب اللججا

كم من فتى قصرت في الرزق خطوته * ألفيته بسهام الرزق قد فلجا
ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها * فمن علا زلقا عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه * فربما كان بالتكدير ممتزجا

ليس قوله ماذا يكافك البيت تثبيطا عن السعي وادامة الحركة في الطلب وانما هو نهي عن كثرة الاطراب بغير تأمل جادة الطريق التي يغلب على الظن ايصالها للمقصود كما هو مدلول جميع الشعر فحقيقة معناه انه ينبغي للانسان أن يسعى سعيا حسنا مقرونا بالتبصر والصبر في تحصيل المرغوب وقال محمد الكندي الملقب بالمقنع

يعاتبني في الدين قومي وانما * ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا * ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها * مكللة لحما مدفقة ثردا
وفي فرس نهد عتيق جعلته * حجابا لبيتي ثم أخدمته عبدا
وان الذي بيني وبين بني أبي * وبين بني عمي لمختلف جدا
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم * وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي * زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى * وان قل مالي لم أكلفهم رفدا
واني لعبد الضيف ما دام نازلا * وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

وقال رجل من الفزاريين يذهب حسرته على قصره فانهم يتمدحون بتمام الاجسام كما قال الشاعر

تبين لي ان القماءة ذلة * وان أعزاء الرجال طيالها

وقال الله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم

ان لا يكن عظمي طويلا فانني * له بالخصال الصالحات وصول
ولا خير في حسن الجسوم ونبلها * اذا لم تزن حسن الجسوم عقول

اذا كنت فى القوم الطوال علوتهم * بعارفة حتى يقال طويل
وكم قد رأينا من فروع كثيرة * تموت اذا لم تحيهن أصول *
ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وقال مضرس بن ربعى

انا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو الاصيد
ومتى نخف يوما فساد عشيرة * نصلح وان نر صالحا لا نفسد
واذا غدوا صعدا فليس عليهم * منا الخبال ولا نفوس الحسد
ونعين فاعلنا على ما نابه * حتى نيسره لفعل السيد
ونجيب داعية الصباح بثائب * عجل الركوب لدعوة المستنجد
فنفل شوكتها ونفثأ حميها * حتى تبوخ وحمينا لم يبرد
ونحل فى دار الحفاظ بيوتنا * رتع الجمائل فى الدرين الاسود

وقال قيس بن الخطيم

وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى إلا ابلاء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما يشاء *
وكل شديدة نزلت بقوم * سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص * وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى * وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه السخاء
وبعض الداء ملتمس شفاه * وداء النوك ليس له شفاء

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يعظ ابنه بدرا

يا بدر والامثال يضـ * ـربها الذى اللب الحكيم
* دم للخليل بوده * ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه * والحق يعرفه الكريم
واعلم بأن الضيف يو * ما سوف يحمد أو يلوم
والناس مبتنيان محـ * ـمود البناية أو ذميم
* واعلم بنى فانه * بالعلم ينتفع العليم

إن الامور دقيقها * مما يهيج له العظيم
والتبل مثل الدين تقضاه * وقد يلوي الغريم
والبغي يصرع أهله * والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى * ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول التقي ويكثر الحمق الاثيم
يملي لذاك ويبتلى * هذا فايهما المضيم
والمرء يبخل في الحقو * ق وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنو * ن وريبها غرض رجيم
ويرى القرون أمامه * همدوا كما همد الهشيم
وتخرب الدنيا فلا * بؤس يدوم ولا نعيم
كل امرئ ستئيم منه العرس أو منها يئيم
* ما علم ذي ولد أيثكله أم الولد اليتيم
والحرب صاحبها الصليب على تلاتلها العزوم
من لا يمل ضراسها * ولدى الحقيقة لا يخيم
واعلم بان الحرب لا * يسطيعها المرح السؤم
والخيل أجودها المنا * هب عند كبتها الازوم

وقال منقذ الهلالي

أي عيش عيشي اذا كنت منه * بين حل وبين وشك رحيل
كل فج من البلاد كاني * طالب بعض أهله بذحول
* ما أرى الفضل والتكرم الا * كفك النفس عن طلاب الفضول
وبلاء حمل الايادي وان تسمع منا تؤتى به من منيل *

وقال محمد بن أبي شحاذ الضبي

اذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد * بفضل الغنى ألفيت مالك حامد
اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما * يريب من الادنى رماك الاباعد
اذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل * عليك بروق جمة ورواعد
اذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل * جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد

وقل غناء عنك مال جمعته * اذا صار ميراثا وواراك لاحد
اذا أنت لم تترك طعاما تحبه * ولا مقعدا تدعى اليه الولائد
* تحللت عار الايزال يشبه * سباب الرجال نثرهم والقصائد

وقالت حرقة بنت النعمان

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة تتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف *

وقال الصلتان العبدى

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الغداة ومر العشى
اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى
اذا قلت يوما لمن قد ترى * أرونى السرى أروك الغنى
ألم تر لقمان أوصى ابنه * وأوصيت عمرا فنعم الوصى
بنى بدا خب نجوى الرجال * فكن عند سرك خب النجى
وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفى *

انتهى المختار من باب الادب ويليه منتقى باب النسيب النسيب ذكر محاسن النساء والاخبار عن تصرف هواهن به وكان يتغنى بما يقوله من ذلك ولاجل ذلك ترى صيغة المصدر الصوتى ويسمى النسيب غزلا والغزل فى الاصل ظهور الانسان فى أحوال الغزال من الملاعبة وخفة الحركة قال الصمة القشيرى وهو شاعر غزل هوى بنت عمله يقال لها ريا فخطبها الى عمه فزوجها اياها على خمسين من الابل فجاء الى أبيه فسأله ذلك فساق عنه تسعا وأربعين وقال عمك لا يناظرنا بنقصان ناقة فساقها الى عمه وذكر له ما قال أبوه فأبى أن يقبلها الا كملا فلج أبوه ولج عمه فقال والله ما رأيت ألأم منكما جميعا وانى لألأم ان أقمت معكما فرحل الى الشام فتتبعتها نفسه فقال ومثل هذا الشعر من بين النسيب يسمى بالغرامى

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى * وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا

وقال الحسين بن مطير الاسدي

لقد كنت جلدا قبل أن توقد النوى * على كبدي جمرا بطيئا خمودها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي * اذا قدمت أيامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا * عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها
بسود نواصيها وحمر أكفها * وصفر تراقيها وبيض خدودها
مخصرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها
* يمنيننا حتى ترف قلوبنا * رفيف الخزامى بات طل يجودها

وقال أبو صخر الهذلي

أما والذي أبكى وأضحك والذي * أمات وأحيا والذي أمره الامر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى * أليفين منها لا يروعهما الذعر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وقال ابن أذينة

* ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها *
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

وقال آخر

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

أى لا كله والنفس له طالبة ولا عن بعضه وهي به غير قانعة وقال آخر

اقول

أقول لصاحبي والعيس تهوى * بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد * وريا روضه بعد القطار
وأهلك اذ يحل الحي نجدا * وأنت على زمانك غير زار *
شهور ينقضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سرار *

وقال عمر بن أبي ربيعة وهو من فتيان قريش وكل شعره غزل واشتهر بذلك وله أخبار وتذييله ماذكرت عمر بن الخطاب فقيل أي حق رفع وأي باطل وضع وكان ابن عباس يستريح لاستماع انشاده شعره فكان ربما يأتيه وهو في مجلس استفتاء الناس اياه فينصرف عنهم اليه وكان مع غزله وشدة كلفه بمحادثة النساء عفيفا

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ اكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
وقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

يروى ان عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل نساء زمانها يقال ان أبا هريرة رآها يوما في المسجد وهي مارة الى عائشة أم المؤمنين فقال انها من الحور العين كانت لا تستر وجهها وكان زوجها مصعب بن الزبير يأمرها بستره فتقول ان الله وسمني بميسم جمال فلا أحب أن أستر نعمة الله علي وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى * على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن * جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ذاك قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذي عهد

وقال آخر

الا طرقتنا آخر الليل زينب * عليك سلام هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا * وكيف وأنتم حاجتي أتجنب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب

لقد جل خطب الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال كثير

وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تناهيت عني حين لا لي حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وقال آخر

سلي البانة الغيناء بالاجرع الذي * به البان هل حييت أطلال دارك
وهل قمت في أطلالهن عشية * مقام أخي البأساء واخترت ذلك
وهل هملت عيناي في الدار غدوة * بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك
أرى الناس يرجون الربيع وانما * ربيعي الذي أرجو نوال وصالك
أرى الناس يخشون السنين وانما * سني الذي أخشى صروف احتمالك
لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني انى خطرت ببالك
ليهنك امساكي بكفي على الحشا * ورقراق عيني رهبة من زيالك

الغيناء الظليلة فهي تستر ما تحتها أو لما في السحاب من الستر يسمى غينا ومنه غان على قلبه كذا ويروى الغناء ويصفون الشجر بالغناء لما يسمع منه اذا مرت به الرياح

قال بعضهم

للثرى تحتها سبات وللما * ء خرير وللغصون غناء

وقال آخر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * عليك شجى في الحلق حين تبين
وان هي أعطتك الليان فانها * لغيرك من خلانها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري

ولما نزلنا منزلا طله الندى * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا

وقال معدان بن المضرب الكندي

صفا ودّ ليلى ما صفا ثم لم نطع * عدوا ولم نسمع به قيل صاحب
فلما تولى ودّ ليلى لجانب * وقوم تولينا لقوم وجانب
وكل خليل بعد ليلى يخافني * على الغدر أو يرضى بود مقارب

وقال

وقال آخر

هل الحب الا زفرة بعد زفرة * وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين يا مي كلما * بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال يزيد بن المنتشر القشيري المشهور بابن الطثرية وهي أمه نسبت لحي من قضاعة يقال لهم طثر

عقيلية أما ملاث ازارها * فدعص واما خصرها فبتيل
تقيظ اكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادي الاراك مقيل
أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس دونها * لنا من اخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام اشتكى غربة النوى * وخوف العدا فيه اليك سبيل
فديتك أعدائي كثير وشقتي * بعيد وأشياعي لديك قليل
وكنت اذا ما جئت جئت بعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك رسول
صحائف عندي للعتاب طويتها * ستنشر يوما والعتاب طويل
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة * فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

وقال آخر

بيضاء آنسة الحديث كأنها * قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الحسان مظنة للحسد
خود إذا كثر الحديث تعوذت * بحمى الحياء وان تكلم تقصد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

انما يكون الليل ذا برد إذا صفا الجو

وقال آخر

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها * قليل ولكن قل منك نصيبها

وقال ابن الدمينة

ألا لا أرى وادي المياه يثيب * ولا النفس عن وادي المياه تطيب
أحب هبوط الواديين وانني * لمشتهر بالواديين غريب *

أحقا عباد الله ان لست واردا * ولا صادرا إلا على رقيب
ولا زائرا فردا ولا فى جماعة * من الناس الا قيل أنت مريب
وهل ريبة فى ان تحن نجيبة * الى إلفها أو أن يحن نجيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب *
لك الله انى واصل ماوصلتنى * ومثن بما أوليتنى ومثيب
وآخذ ما أعطيت عفوا وانى * لازور عما تكرهين هيوب
فلا تتركى نفسى شعاعا فانها * من الوجد قد كادت عليك تذوب
وانى لاستحييك حتى كانما * على بظهر الغيب منك رقيب

وقال آخر

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى * وللناس أشجان ولى شجن وحدى
أحبكم مادمت حيا فان أمت * فواكبدا ممن يحبكم بعدى

وقال أبو حية النميرى

* رمته أناة من ربيعة عامر * نؤوم الضحى فى مأتم أى مأتم *
فجاء كخوط البان لامتتابع * ولكن بسيماذى وقار وميسم
فقلن لها سرا فديناك لايرح * صحيحا وان لم تقتليه فألمى
فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم
وقالت فلما أفرغت فى فؤاده * وعينيه منها السحر قلن له قم
فود بجدع الانف لو أن صحبه * تنادوا وقالوا فى المناخ له نم

الاناة امامن ونى وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل كاحد وأجم فى وجم أى سكت حزنا أومن أنى أى تأنى وقوله فجاء كخوط البان أى المرمى حين أقبل أقبل فى وقار وتؤدة شابا ناعما معتدل القامة كالخوط بضم الخاء أى الغصن والمتتابع المتسرع فى حماقة والمأتم الجمع من النساء فى خير أوشر وقال أبو الشيص الخزاعى

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
* أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم * اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * مامن يهون عليك ممن اكرم

المحب يستطيب اللوم والعذل لما فيه من ذكر الحبيب كما قال وقال آخر

أصغى

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وخالف ذلك المتنبي حيث يقول

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

وقال آخر

ولا غرو إلا ما يخبر سالم * بأن بنى استاهها نذروا دمى
ومالى من ذنب اليهم علمته * سوى انى قد قلت ياسرحة اسلمى
نعم فاسلمى ثم اسلمى ثمت أسلمى * ثلاث تحيات وان لم تكلم

لاغرو الاما يخبر أى لاعجب الا الاخبار والسرحة واحدة السرح وهو من الشجر ما لا شوك له و يقابله العضه كنى بالسرحة عن المرأة وقال زياد بن حمل أو ابن منقذ التميمى وكان قد أتى اليمن واشتاق بلاده

لاحبذا أنت ياصنعاء من بلد * ولا شعوب هوى منى ولا نقم
ولن أحب بلادا قد رأيت بها * عنسا ولا بلدا حلت به قدم
اذا سقى الله أرضا صوب غادية * فلا سقاهن الا النار تضطرم
وحبذا حين تمسى الريح باردة * وادى أشى وفتيان به هضم
الواسعون اذا ما جر غيرهم * على العشيرة والكافون ما جرموا
والمطعمون اذا هبت شآمية * وباكر الحى من صرادها صرم
وشتوة فللوا أنياب لزبتها * عنهم اذا كلحت أنيابها الازم
حتى انجلى حدها عنهم وجارهم * بنجوة من حذار الشر معتصم
هم البحور عطاء حين تسألهم * وفى اللقاء اذا تلقى بهم بهم
وهم اذا الخيل جالوا فى كواثبها * فوارس الخيل لا ميل ولا قزم
لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم * إلا يزيدهم حبا الى هم
كم فيهم من فتى حلو شمائله * جم الرماد اذا ما أخمد البرم
تحب زوجات أقوام حلائله * اذا الانوف امترى مكنونها الشبم
ترى الارامل والهلاك تتبعه * يستن منه عليهم وابل رذم
كان أصحابه بالقفر يمطرهم * من مستحير غزير صوبه ديم
غمر الندى لا يبيت الحق يثمده * الا غدا وهو سامى الطرف يبتسم

الى المكارم يبنيها ويعمرها * حتى ينال أمورا دونها قحم
تسقى به كل مرباع مودعة * عرفاء يشتو عليها تامك سنم
ترى الجفان من الشيزى مكللة * قدامه زانها التشريف والكرم
ينوبها الناس أفواجا اذا نهلوا * علوا كما عل بعد النهلة النعم
زارت رويقة شعثا بعدما هجعوا * لدى نواحل فى أرساغها الخدم
وقت للزور مرتاعا فأرقنى * فقلت أهى سرت أم عادنى حلم
وكان عهدى بها والمشى يبهظها * من القريب ومنها النوم والسأم
وبالتكاليف تأتى بيت جارتها * تمشى الهوينا وما تبدو لها قدم
سود ذوائبها بيض ترائبها * درم مرافقها فى خلقها عمم
* رويق انى وما حج الحجيج له * وما أهل بجنبى نخلة الحرم
لم ينسنى ذكركم مذ لم ألاقكم * عيش سلوت به عنكم ولا قدم
ولم تشاركك عندى بعد غانية * لا والذى أصبحت عندى له نعم
متى أمر على الشقراء معتسفا * خل النقا بمروح لحمها زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها * من الثنايا التى لم أقلها ثرم
ياليت شعرى عن جنبى مكسحة * وحيث تبنى من الحناءة الاطم
عن الاشاءة هل زالت مخارمها * وهل تغير من آرامها ارم
وجنة ما يذم الدهر حاضرها * جبارها بالندى والحمل محتزم
فيها عقائل أمثال الدمى خرد * لم يغذهن شقا عيش ولا يتم
ينتابهن كرام ما يذمهم * جار غريب ولم يوذى لهم حشم
مخدمون ثقال فى مجالسهم * وفى الرحال اذا صاحبتهم خدم
بل ليت شعرى متى أغدو تعارضنى * جرداء سابحة أو سابح قدم
نحو الاميلح أو سمنان مبتكرا * بفتية فيهم المرار والحكم
ليست عليهم اذا يغدون أردية * الا جياد قسى النبع واللجم
من غير عدم ولكن من تبذلهم * للصيد حين يصيح القانص اللحم
فيفزعون الى جرد مسومة * أفنى دوابرهن الركض والاكم
يرضخن صم الحصى فى كل هاجرة * كما تطايح عن مرضاخه العجم
يغدو أمامهم فى كل مربأة * طلاع أنجدة فى كشحه هضم

شعوب وثقم بضمتين موضعان تقول للشئ هو منى هوى أى محبوب وعنس وقدم بفتحتين حيان من أحياء اليمن من الاوّل الاسود العنسى الكذاب الذى تنبأ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ساحر المنطق وقتله فيروز الديلمى وهضم جمع هضوم أى يهضمون المال فى وجوه الخير والمراد كرمان السحاب لا ماء فيه والصرم جمع صرمة بكسر فسكون الجملة من الابل واستعيرها هنا اللزبة السنة الجدبة وفللوا أنيابها أزالوا شدائدها من تفليل حد السيف أى احداث الفلول به والازم جمع أزوم والازوم الامساك على الشئ بالاسنان وكواثب الخيل جمع كاثبة أعالى ظهورها واذا الخيل حالوا فى كواثبها من تراكيب الاشتغال أى اذا قصدوا والخيل والقدم بفتحتين أراذل الناس وقوله الاين يدهم حبا الى هم أى الاين يدون أنفسهم حبا الى لا برارهم على غيرهم وضع الضمير المنفصل موضع المتصل والبرم اللئيم البخيل على وزن الشسيم بفتح أوّله وهو البرد والعرفاء التى طال وبرها حتى صار لها مثل العرف والجبار النخل الطويل والارم العلم وزنا ومعنى والحناءة نوع رمل يستعمل فى بناء الاطم بضمتين وهى الحصون والقصور وقال عمرو ضبيعة الرقاشى

تضيق جفون العين عن عبراتها * فتسفحها بعد التجلد والصبر
وغصة صدر أظهرتها فرفهت * حزازة حر فى الجوانح والصدر
ألا ليقل من شاء ما شاء انما * يلام الفتى فيما استطاع من الامر
قضى الله حب المالكية فاصطبر * عليه فقد تجرى الامور على قدر

وقال جميل

بثينة ما فيها اذا ما تبصرت * معاب ولا فيها اذا نسبت أشب
لها النظرة الاولى عليهم وبسطة * وان كرت الابصار كان لها العقب
اذا ابتذلت لم يزرها ترك زينة * وفيها اذا ازدانت لذى نيقة حسب

ذلك المختار من باب النسيب وهاك أشياء من باب الهجاء وهو من هجاه يهجوه اذا رماه بالمعايب فى أعماله أو أعمال أسلافه قال موسى بن جابر الحنفى

كانت حنيفة لا أبالك مرة * عند اللقاء اسنة لا تنكل
فرأت حنيفة ما رأت أشياعها * والريح أحيانا كذاك تحوّل

وقال قراد بن حنش الصاردى

لقومى أدعى للعلى من عصابة * من الناس يا حار بن عمرو تسودها

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تنحي شديد وئيدها
تقطع أطناب البيوت بحاصب * وأكذب شئ برقها ورعودها
فويل امها خيلا بهاء وشارة * اذا لاقت الاعداء لولا صدودها

الرز بالكسر الصوت تسمعه من بعيد والباء في بآبدة بمعنى مع والآبدة المنكرة وتنحي من أنحى أي اعتمد والحاصب الريح تأتي بالحصباء أي الحصى لشدتها مثل تهويلهم وما يظهر منه بسحاب له برق ورعد مصحوب بريح شديدة ثم لا يعطرفهو وهم لا خير فيهم وقال طرفة بن العبد

فرق عن بيتيك سعد بن مالك * وعمرا وعوفا ما تشي وتقول
وأنت على الادنى شمال عرية * شآمية تزوي الوجوه بليل
وأنت على الاقصى صبا غير قرة * تذأب منها مرزغ ومسيل
وأعلم علما ليس بالظن انه * اذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

أراد بالبيتين العصبة وذوي الارحام وقصد تخليصه بالهجاء واخراجه من شرف أهله بسوء عمله ومرزغ ومسيل أي ذات رزغة وهي الوحل وسيل وقال قعنب بن ضمرة

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم * لبئست الخلتان الجهل والجبن

ولبعضهم زيادة في هذا المعنى

ان يعلموا الخير أخفوه وان سمعوا * شرا أذعوا وان لم يسمعوا كذبوا

وقال محرز بن المكعبر الضبي لبني عدي بن جندب بن العنبر

أبلغ عديا حيث صارت بها النوى * وليس لدهر الطالبين فناء
كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى به المتبول وهو عناء *
أخبر من لاقيت أن قد وفيتم * ولو شئت قال المنبأون أساؤا
لهم رثية تعلو صريمة أمرهم * وللامر يوم راحة فقضاء *
واني لراجيكم على بطء سعيكم * كما في بطون الحاملات رجاء
فهلا سعيتم سعي عصبة مازن * وهل كفلائي في الوفاء سواء
لهم أذرع باد نواشر لحمها * وبعض الرجال في الحروب غثاء

كان

كان دنانيرا على قسماتهم * وان كان قد شف الوجوه لقاء

وقال سويد بن مشنوء

دعى عنك مسعودا فلا تذكرنه * الى سوء واعرضى لسبيل
نهيتك عنه فى الزمان الذى مضى * ولا ينتهى الغاوى لأول قيل

وقال رجل من طى

ان امرأ يعطى الاسنة نحره * وراء قريش لا أعدله عقلا
يذمون لى الدنيا وقد ذهبوا بها * فما تركوا فيها الملتمس ثعلا

يعنى الامراء فى خطبهم والثعل بفتح أوله أوضمه خلف صغير زائد فى اخلاف الحلوبة
وقال أبو الاسد عصرى أبو تمام فى الحسن بن رجاء بن ابى الضحاك ولابى تمام فيه مديح

فلا تنظرن الى الجبال وأهلها * والى منابرها بطرف أخزر *
* مازلت تركب كل شئ قائم * حتى اجترأت على ركوب المنبر

الجبال ناحية كان الحسن المذكور يلى امارتها والنظر بطرف أخزر أى ينظر من مؤخره
هو نظر الاحتقار ونزل بالراعى النميرى رجل من بنى كلاب فى ركب معه ليلا فى سنة
مجدبة وقد عزبت عن الراعى ابله فنحر لهم ناقة من رواحلهم وصبحت الراعى ابله فاعطى
رب الناب نابا مثلها وزاده ناقة ثنية فقال

عجبت من السارين والريح قرة * الى ضوء نار بين فردة فالرحا
الى ضوء نار يشتوى القد أهلها * وقد يكرم الاضياف والقد يشتوى
فلما أتونا فاشتكينا اليهم * بكوا وكلا الحيين مما به بكى *
بكى معوز من أن يلام وطارق * يشد من الجوع الازار على الحشا
فألطفت عينى هل أرى من سمينة * ووطأت نفسى للغرامة والقرى
فأبصرتها كوماء ذات عريكة * هجانا من اللاتى تمتعن بالصوى
* فأومأت ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيما فتى
وقلت له الصق بأيبس ساقها * فان يجبر العرقوب لا يرقأ النسا
* فأعجبنى من حبتر أن حبترا * مضى غير منكوب ومنصله انتضى
كأنى وقد أشبعتهم من سنامها * جلوت غطاء عن فؤادى فانجلى
فبتنا وباتت قدرنا ذات هزة * لنا قبل ما فيها شواء ومصطلى
* وأصبح راعينا بريعة عندنا * بستين أبقتها الاخلة والخلا

فقلت لرب الناب خذها ثنية * وناب علينا مثل نابك فى الحيا

القرة بفتح القاف الباردة وفردة بفتح أوله والرحاء وضعان قصد تعيين منزله والقد الجلد والانسان اذا جاع يأكل كل ما لان والعريكة السنام والصوى جمع صوة بضم الصاد الارض الغليظة ويروى الصوى مصدر صوى كفرح أى خلا الضرع من اللبن وتمع الناقة به انها الاتحاب فهى حائل تربى لحما وشحما وقوله ألصق بأيبس ساقها معناه بالغ فى القطع ليسيل دمها من مسيل لا ينقطع سيلانه حتى يفنى الدم وهو النسا ورقأ الدم والدمع انقطع والاخلة جمع خلال جمع خلة لنوع من النبات والخلا الرطب ويروى الاجلة بالجيم جمع جلال وهو الغطاء وأراد حينئذ أن حفظها من البرد بالوقاء ورعيها أبقياها أو انقياها أى اكثرا فيها النقى وهو مخ العظام وهما روايتان والحيا المطر يسمى به النبات مجازا للسببية ويتجوز عن النبات للشحم فهو مجاز عن مجاز فقال الحلال ابن أرقم الملقب بالخنزر النميرى

بنى قطن ما بال ناقة ضيفكم * تعشون منها وهى ملق قتودها

غدا ضيفكم يمشى وناقة رحله * على طنب الفقماء ملقى قديدها

وبات الكلابى الذى يبتغى القرى * بليلة نحس غاب عنها سعودها

أمن ينقص الأضياف أكرم عادة * اذا نزل الاضياف أم من يزيدها

كأنكم ان قمتم تنحرونها * براذين مشدود عليها لبودها

فافتح الاقوام من باب سوأة * بنى قطن الا وأنتم شهودها

تعشون أى تتعشون حذفت منه تاء والقتود عدة الجمل والفقماء زوجة الراعى وأصل الفقم خروج الثنايا السفلى حتى لا تقع عليها العليا والقديد اللحم يشرح ليجفف وكان ينشر على أطناب البيوت وهى الحبال التى تشد بها ولا حق لهذا الهاجى فى هجائه بعد ما صنع الراعى ولذلك أجابه عن فريته بقوله

ماذا نكرتم من قلوص نحرتها * بسيفى وضيفان الشتاء شهودها

فقد علموا أنى وفيت لربها * فراح على عنس بأخرى يقودها

قريت الكلابى الذى يبتغى القرى * وأمك اذ يحدى الينا قعودها

رفعنا لها نارا تثقب للقرى * ولقحة أضياف طويلا ركودها

اذا أخليت عود الهشيمة أرزمت * حوانيها حتى نبيت نذودها

اذا نصبت للطارقين حسبتها * نعامة حزباء تقاصر جيدها

تبيت المحال الغر في حجراتها * شكارى مراها ماؤها وحديدها
بعثنا اليها المنزلين فحاولا * لكى ينزلاها وهي حام حيودها
فباتت تعد النجم في مستحيرة * سريع بأيدي الآكلين جمودها
فلما سقيناها العكيس تملأت * مذاخرها وارفض رشحا وريدها
ولما قضت من ذى الاناء لبانة * أرادت الينا حاجة لانريدها

نكر الشئ وأنكره نفر منه واستقبحه والعنس بفتح أوله الناقة الصلبة واثقاب النار وتثقيبها اذ كاؤها ومابه الاثقاب ثقوب كوقود بفتح أولهما وأراد بالقحة الاضياف القدر استعارة رشحها بقوله اذا أخليت أى أعطيت الخلاء وارزام الناقة حنينها والمحال فقار الظهر الواحدة محالة وجعلها غرا لسمنها وشكارى جمع شكرى وهى فى الاصل الضرع الممتلئة ولذلك قال مراها أى اعتصرها والخلاصة ان الماء بحرارته استخرج مافيها وقوله فباتت تعد النجم أى أمك باتت تنظر فى مرق القدر وهو المراد بالمستحيرة من قولهم استحار الماء أى دار حتى ملأ قرارته وتعد النجم امامن العد الحسبانى أو الحسابى فالاول يصف المرقة بالدسومة حتى تمثل فيها صورة النجوم والثانى يقول ان الثريا تمثلت فى الاناء لكونها محاذية للرؤوس اذ كان الوقت فى وسط الشتاء والعكيس لبن يصب عليه مرق وتملأت مذاخرها أى المواضع التى تذخر فيها الاغذية ووصفها بغاية الشره حيث تملأت جدا حتى تصبب عرقها وذلك فى قوله وارفض رشحا وريدها وقوله ولما قضت من ذى الاناء لبانة أى وما شبعت فوق كفايتها فان اللبانة بعد الحاجة الاصلية اغتلمت وطوى ذلك فى قوله أرادت الينا حاجة لانريدها يقال أراد اليه وطلب اليه كذا والحيود جمع حيد بفتح أوله المراد منها هنا الجوانب وقال رجل من أسد

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا
فكابروا المجد حتى مل اكثرهم * وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقال آخر

ومستعجل بالحرب والسلم حظه * فلما استثيرت كل عنها محافره
وحارب فيها بامرئ حين شمرت * من القوم معجاز لئيم مكاسره
فأعطى الذى يعطى الذليل ولم يكن * له سعى صدق قدمته اكابره

وقال آخر

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة * ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصرا
ولا تدع سعدا للقراع وخلها * اذا أمنت ونعتها البلد القفرا
يروعك من سعد بن عمرو جسومها * وتزهد فيها حين تقتلها خبرا

وقال آخر

أعاريب ذوو فخر بإفك * وألسنة لطاف في المقال
رضوا بصفات ما عدموه جهلا * وحسن القول من حسن الفعال

أي ورضوا بحسن القول بدل حسن الفعال وقال آخر

هجوت الادعياء فناصبتني * معاشر خلتها عربا صحاحا
فقلت لهم وقد نبحوا طويلا * على فلم أجب لهم نباحا
أمنهم أنتم فأكف عنكم * وأدفع عنكم الشتم الصراحا
والا فاحمدوا رأيي فاني * سأنفي عنكم التهم القباحا
وحسبك تهمة ببرىء قوم * يضم على أخي سقم جناحا

وقال فرعان بن الاعرف في ابنه منازل

جزت رحم بيني وبين منازل * جزاء كما يستنزل الدين طالبه
لربيته حتى اذا آض شيظما * يكاد يساوي غارب الفحل غاربه
فلما رآني أبصر الشخص أشخصا * قريبا وذا الشخص البعيد أقاربه
تغمد حقي ظالما ولوى يدي * لوى يده الله الذي هو غالبه
وكان له عندي اذا جاع أو بكى * من الزاد أحلى زادنا وأطايبه
وربيته حتى اذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وجمعتها دهما جلادا كأنها * اشاء نخيل لم تقطع جوانبه
فأخرجني منها سليبا كأنني * حسام يمان فارقته مضاربه
أإن أرعشت كفا أبيك وأصبحت * يداك يدي ليث فانك ضاربه

انتهى المنقول من باب الهجاء ودونك ما يستحسن من باب الاضياف والمديح قال مرة ابن محكان التميمي

يا ربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رحال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

ماذا

ماذا ترين أندنيهم لارحلنا * فى جانب البيت أم نبنى لهم قببا
لمرمل الزاد معنى بحاجته * من كان يكره ذما أو يتقى حسبا
وقت مستبطناسيفى فاعرض لى * مثل المجادل كوم بركت عصبا
فصادف السيف منهاساق متلية * جاس فصادف منه ساقها عطبا
زيافة بنت زياف مذكرة * لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا
* أمطيت جازرنا أعلى سناسنها * فصار جازرنا من فوقها قتبا
ينشنش اللحم عنها وهى باركة * كما تنشنش كفا فاتل سلبا
وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا * غدى بنيك فلن تلقيهم حقبا
أدعى أباهم ولم أقرف بأمهم * وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا
أنا ابن محكان أخوالى بنو مطر * أنمى اليهم وكانوا معشرا نجبا

وقال أبو زياد الاعرابى الكلابى

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا

اليفاع المرتفع من الارض وكان من عادتهم ايقاد النار على رؤس المرتفعات ليبصرها الساري فيقصدها وقال آخر

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى * أيادى لم تمنن وان هى جلت *
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقال آخر

تركت ضأنى تود الذئب راعيها * وانها لاترانى آخر الابد *
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

وقال العرندس

هينون لينون ايسار ذوو كرم * سوّاس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الحق يعطوه وان خبروا * فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان توددتهم لانوا وان شهموا * كشفت اذمار شرغير أشرار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا * ولا يعد نثا خزى ولا عار *
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري
شهموا بابناء المجهول من شهم كنع أي حرك للشر وأفزع وقال آخر
رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو كان شيئاً يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد
وقال الحسين بن مطير الاسدي
له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم *
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البأس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم
وقالت ليلى الاخيلية
يا أيها السدم الملوّى رأسه * ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه * كعب اذا لوجدته مرؤوما
ان الخليع ورهطه في عامر * كالقلب ألبس جؤجؤاً وحزيما
لا تغزونّ الدهر آل مطرف * لا ظالماً أبداً ولا مظلوما
ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما
السدم النادم أو اللجوج أو هو مستعار من فحل الابل الممنوع ناحية عن الدخول في الابل فهو يهدر وحده والملوّى رأسه المتكبر جهلا والبريم أصله حبل يفتل من قوى مختلفة الالوان مستعار للجيش من الاخلاط وقالت وقيل هي لابيها
نحن الاخايل لا يزال غلامنا * حتى يدب على العصا مذكورا
تبكي السيوف اذا فقدن أكفنا * جزعا وتعلمنا الرفاق بحورا *
ولنحن أوثق في صدور نسائكم * منكم اذا بكر الصراخ بكورا
وقال آخر
اذا انتدى واحتبى بالسيف دان له * شوس الرجال خضوع الجرب للطالي
كأنما الطير منهم فوق هامهم * لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال
وقال العجير السلولي
أقول لعبد الله وهنا ودوننا * مناخ المطايا من منى فالمحصب

* لك الخير علانا بها على ساعة * تروس هواء من الليل يذهب
فقام فأدنى من وسادي وساده * طوى البطن ممشوق الذراعين شرجب
بعيد من الشئ القليل احتفاظه * عليك ومنزور الرضا حين يغضب
هو الظفر الميمون ان راح أوغدا * به الركب والتلعابة المتحبب

أوّل الشعر غزل فانه أراد بضمير ودوننا نفسه وحبيبته والكناية فى قوله لك الخير علانا بها عن حبيبته وتهواء من الليل ويروى وتهواء بكسر التاء أى جانب منه والشرجب الطويل والاحتفاظ الغضب أى لا يغضب عليك غضب السفهاء من الشئ الذى لا خطر له فان جاء موضع الغضب فهو قليل الرضا فبقية الشعر مدح لصاحبه عبد الله وقال حجر بن خالد يمدح النعمان بن المنذر

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد * كمثل أبى قابوس حزما ونائلا
فساق الهى الغيث من كل بلدة * اليك فأضحى حول بيتك نازلا
فاصبح منه كل واد حللته * من الارض مسفوح المذانب سائلا
متى تنع ينع الجود والبأس والتقى * وتصبح قلوص الحرب جرباء حائلا
فلا ملك مايدركنك سعيه * ولا سوقة مايمدحنك باطلا

وقال آخر

* ومستنبح بعد الهدوء دعوته * بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بموقدنا رمحمد من يرودها *
نصبنا له جوفاء ذات ضبابة * من الدهم مبطانا طويلا ركودها
فان شئت أثويناك فى الحى مكرما * وان شئت بلغناك أرضا تريدها

وقال آخر

ومستنبح تهوى مساقط رأسه * الى كل شخص فهو للسمع أصور
يصفقه أنف من الريح بارد * ونكباء ليل من جمادى وصرصر
حبيب الى كلب الكريم مناخه * بغيض الى الكوماء والكلب أبصر
حضأت له نارى فابصر ضوءها * وما كاد لولا حضأة النار يبصر
دعته بغير اسم هلم الى القرى * فأسرى يبوع الارض والنار تزهر
فلما أضاءت شخصه قلت مرحبا * هلم وللصالين بالنار ابشروا
* فجاء ومحمود القرى يستفزه * اليها وداعى الليل بالصبح يصفر

تأخرت حتى لم تكد تصطفي القرى * على أهله والحق لا يتأخر *
وقت بنصل السيف والبرك هاجد * بهاذره والموت في السيف ينظر
فأعضضته الطولى سناما وخيرها * بلاء وخير الخير ما يتخير *
فأوفضن عنها وهي ترغو حشاشة * بذي نفسها والسيف عريان أحمر
فباتت رحاب جونة من لحامها * وفوها بما في جوفها يتغرغر

مساقط الرأس ميلاته فهو مصدر الى كل شخص أي شيء قائم يرجوه انسانا والسمع التسمع وهو له أصور أي مائل الرأس لأجله وصفقه أنف الريح أي ضربه أوله وحضأ النار أذكاها فرفعها والبهاذر السمان الواحد بهذرة أو بهذورة أو بهذار وأوفضن عنها تفرقن والحشاشة بقية النفس نصب تمييزا وعريان غير مصروف ضرورة وقال عمرو بن الاهتم

* ذريني فان الشح يا أم هيثم * لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحطي في هواي فانني * على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ذريني فاني ذو فعال تهمني * نوائب يغشى رزؤها وحقوق
* وكل كريم يتقي الذم بالقرى * وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

الصاحب يحط رحله حيث يحط صاحبه فهو موافق غير مفارق استعير للموافقة وقال عروة بن الورد

إني امرؤ عافي انائي شركة * وأنت امرؤ عافي انائك واحد
أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى * بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

العفاة طلاب المعروف وقال آخر

أجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غني في القلوب جليل
وليس الغنى الا غنى زين الفتى * عشية يقري أو غداة ينيل

وقال آخر

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدي
أخا طارقا أو جار بيت فانني * أخاف مذمات الاحاديث من بعدي

واني

واني لعبد الضيف مادام ثاويا * ومافي الا تلك من شيمة العبد

وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا * لضر عدوّ أو لنفع صديق

وقال حسان بن حنظلة الطائي

تلك ابنة العدوى قالت باطلا * أزرى بقومك قلة الاموال

* إنا لعمر أبيك يحمد ضيفنا * ويسود مقترنا على الاقلال

وأنا امرؤ من آل حية منصبي * وبنو جوين فاسألي أخوالي

واذا دعوت بني جديلة جاءني * مرد على جرد المتون طوال *

* أحلامنا تزن الجبال رزانة * ويزيد جاهلنا على الجهال

وقال النمري ويقال انه الرجل من باهلة

وداع دعا بعد الهدوء كأنما * يقاتل أهوال السرى وتقاتله

فلما سمعت الصوت ناديت نحوه * بصوت كريم الجد حلو شمائله

فابرزت ناري ثم أثقبت ضوءها * وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله

فلما رآني كبر الله وحده * وبشر قلبا كان جما بلابله

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * رشدت ولم أقعد اليه أسائله

* وقمت الى برك هجان أعده * لوجبة حق نازل أنا فاعله

بأبيض خطت نعله حيث أدركت * من الارض لم تخطل على حمائله

* فجال قليلا واتقاني بخيره * سناما وأملاه من التي كاهله

بقرم هجان مصعب كان فحلها * طويل القرى لم يعد أن شق بازله

فخر وظيف القرم في نصف ساقه * وذاك عقال لا ينشط عاقله

* بذلك أوصاني أبي وبمثله * كذلك أوصاه قديما أوائله

مثل هذا لكونه مدح المرء نفسه أفرده الناس بعد باسم الفخر فيقولون في تمييز الشعر قال يمدح وقال يفتخر وقال حاتم

وعاذلة قامت على تلومني * كأني اذا أعطيت مالي أضيمها

أعاذل ان الجود ليس بمهلكي * ولا مخلد النفس الشحيحة لومها

وتذكر أخلاق الفتى وعظامه * مغيبة في اللحد بال رميمها

ومن يتدع ماليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال

أكف يدي عن ان ينال التماسها * أكف صحابي حين حاجاتنا معا

أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا * من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا

واني لاستحيي رفيقي ان يرى * مكان يدي من جانب الزاد أقرعا

وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال جويه بن النضر

قالت طريفة ماتبقى دراهمنا * ومابنا سرف فيها ولاخرق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

مايألف الدرهم الصياح صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

حتى يصير الى نذل يخلده * يكاد من صره اياه يمزق

باب المدح أوسع أبواب الشعر وكفى هذا القدر من مدائح الحماسة ودونك مثال مايسمى من الشعر بالصفات وذلك لانه يذكر شيئا فيأخذ في متابعة أوصافه قال البعيث الحنفي يصف ناقة

وهاجرة يشوي مهاها سمومها * طبخت بهاعبرانة واشتويتها

مفرجة منفوجة حضرمية * مساندة سرالمهاري انتقيتها

فطرت بها شجعاء قروا جرشعا * اذاعد مجد العيس قدم بيتها

وجدت أباها راتضيها وأمها * فاعطيت فيها الحكم حتى حويتها

وقال عنترة بن الاخرس يصف ثعبانا

لعلك تعني من أراقم أرضنا * بأرقم يسقي السم من كل منطف

تراه باجواز الهشيم كأنما * على متنه أخلاق برد مفوّف

كان بضاحي جلده وسراته * ومجمع ليتيه تهاويل زخرف

كان مثني نسعة تحت حلقه * بما قد طوى من جلده المتغضف

اذا أنسل الحيات بالصيف لم يزل * يشاهر باقي جلبة لم تقرف

من استعمال جملة الرجاء في الدعاء مافي صدر هذا الشعر دعا عليه بان يقدر له ويصاب بأرقم أو بر حل يشبه ثعبانا هذه صفته وتغضف الجلد تثنيه واستعار الانسال الذي هو سقوط ريش الطائر لسلخ الحية فانه يقال سلخت الحية اذا خلعت ثوبها وأنسل الطائر

اذا سقط ريشه ويشاء رمن لبس الشعار وهو الثوب الذى يلى البدن وأراد بالجلبة ثوبه ولم يقرف ولم ينقشر يصفه بصلابة جلده وقال ملحة الجرمى يصف سحابا

أرقت وطال الليل للبارق الومض * حبيا سرى مجتاب أرض الى أرض

نشاوى من الادلاج كدرى مزنه * يقضى بجدب الارض مالم يكد يقضى

تحن باجواز الفلا قطراته * كما حن نيب بعضهن الى بعض *

كأن الشماريخ العلى من صبيره * شماريخ من لبنان بالطول والعرض

يبارى الرياح الحضرميات مزنه * بمنهمر الارواق ذى قزع رفض

يغادر محض الماء ذو هو محضه * على أثره ان كان للماء من محض

يروى العروق الهامدات من البلى * من العرفج النجدى ذو باد والحمض

وبات الحبى الجون ينهض مقدما * كنهض المدانى قيده الموعث النقض

البارق ذو البرق وهو عامل الحال من قوله حبيا واجتاب الارض وجابها قطعها بالسير ونشاوى من الادلاج مستعار لقطع السحاب المتمايلة لثقلها بكثرة مائها والكدرى أصله من صفة القطا استعاره لما فى لونه كدرة من المزن الصبير السحاب الابيض والحبى الجون السحاب الاسود أو الابيض الذى يشبه سيره لثقله حبو الصبى ولذلك ينهض كما ينهض البعير المقارب قيده الذى يسير فى الوعثاء وهو الرمل الذى تسوخ فيه الاقدام النقض المزيل الضعيف هذا ما أورده أبو تمام فى باب الصفات من الحماسة وهذا النوع كثير يقولون فى تمييزه من دواوين الشعر قال يصف كذا ان كان الكلام مسوقا لصفة وقال ووصف فى هكذا كالاسد والذئب ان كانت القصيدة فى نوع من أنواع المعانى واستطرد فيها بصفة ما وصف ثم عقبه بذكر بعض ما قيل فى السير والنعاس قال بعضهم

وفتيان بنيت لهم ردائى * على أسيافنا وعلى القسى

فظلوا الاذين به وظلت * مطاياهم ضوارب باللحى

فلما صار نصف الليل هنا * وهنا نصفه قسم السوى

دعوت فتى أجاب فتى دعاه * بلبيه أشم شمردلى *

فقام يصارع البردين لدنا * يقوت العين من نوم شهى

فقاموا يرحلون منفهات * كان عيونها نزح الركى

وقال حندج بن حندج المرى

فى ليل صول تناهى العرض والطول * كانما ليله بالليل موصول

لافارق الصبح كفي ان ظفرت به * وان بدت غرة منه وتحجيل
اساهر طال في صول تململه * كأنه حية بالسوط مقتول
متى أرى الصبح قد لاحت مخايله * والليل قد مزقت عنه السرابيل
ليل تحير ما ينحط في جهة * كأنه فوق متن الارض مشكول
نجومه ركد ليست بزائلة * كأنما هن في الجو القناديل
ما قدر الله ان يدنى على شحط * من داره الحزن ممن داره صول
الله يطوى بساط الارض بينهما * حتى يرى الربع منه وهو مأهول

وقال حميد الارقط ووصف فيها الصقر عند ما جاء به التشبيه وتلك عادتهم واقتدى بهم الشعراء

قد اغتدى والصبح محمر الطرر * والليل يحدوه تباشير السحر
وفي تواليه نجوم كالشرر * بسحق الميعة ميال العذر
* كأنه يوم الرهان المحتضر * وقد بدا أول شخص ينتظر
* دون اثابى من الخيل زمر * ضار غدا ينفض صئبان المطر
عن زف ملحاح بعيد المنكدر * أقنى تظل طيره على حذر
يلذن منه تحت أفنان الشجر * من صادق الودق طروح بالبصر
بعيد توهيم الوقاع والنظر * كأنما عيناه في حرفي حجر *
بين ماقى لم تخرق بالابر

طرر الشئ حافاته وسحق الميعة أي بعيد النشاط فهو لا يفنى عن قرب ويروى مشعل الميعة أي ملتهبها والعذر خصل الشعر في نواحي الرأس والاثابى الجماعات لا واحد له وقيل هو جمع أثبية كأمنية والضارى الجرىء وصيبان المطر بفتح الصاد صائبه أو هو وصئبان بكسر الصاد والهمز بعدها جمع صؤاب على التشبيه والمنكدر المهوى ومن صادق الودق أى صادق الهبوط بدل من قوله منه وبعيد توهيم الوقاع والنظر أي هو لا يلحقه وهم في نظره ولا وقوعه وقوله لم تخرق بالابر أي هو على وحشيته لم يأخذه الناس والصقر اذا أخذ خيطت عيناه أي خيطتا للأنس انتهى ما اخترت اثباته من هذا الباب وهناك طرف من باب الملح وأراد أبو تمام بالملح الاشعار الهزلية المستطرفة قال بعضهم

يقول لي الامير بغير جرم * تقدم حين جد بنا المراس

فمالى ان أطعتك من حياة * ومالى غير هذا الرأس راس

وقالت امرأة

فقدت الشيوخ وأشياعهم * وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشيخ مغمومة * وتمسى لصحبته قاليه
فلا بارك الله فى عرده * ولا فى غضون استه الباليه
وان دمشق وفتيانها * أحب الينا من الجاليه
نكهة المديني اذجاءنى * فيالك من نكهة غاليه
له ذفر كصنان التيو * س أعيا على المسك والغاليه

وقال أبو الخندق الاسدى وقيل انه لدعبل

أعوذ بالله من ليل يقربنى * الى مضاجعة كالدلك بالمسد
لقد لمست معراها فما وقعت * مما لمست يدى الا على وتد
فى كل عضو لها قرن تصك به * جنب الضجيع فيضحى واهى الجسد

وقال عمر بن أبى ربيعة

خبروها بانى قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولاخرى * جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديها * لاترى دونهن للسر سترا
ما لقلبى كأنه ليس منى * وعظامى كأن فيهن فترا
من حديث نمى الى فظيع * خلت فى القلب من تلظيه جمرا

وقال آخر

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت * على عزب حتى يكون له أهل
فانا سنجزيها بما فعلت بنا * اذا ما تزوجنا وليس لها بعل
أفيضوا على عزابكم بنسائكم * فما فى كتاب الله أن يحرم الفضل

وقال آخر

وفيشة زبن وليست فاضحه * نابلة طورا وطورا رامحه *
على العدو والصديق جامحه * من لقيت فهى له مصافحه
تسد فرج القحبة المسافحه * مفسدة لابن العجوز الصالحه
كأنها صنجة ألف راجحه

وقال آخر

وفيشة ليست كهذى الفيش * قد ملئت من خرق وطيش
اذا بدت قلت أمير الجيش * من ذاقها يعرف طعم العيش

وقال آخر

لا أكتم الاسرار لكن أنمها * ولا أترك الاسرار تغلى على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وأفرد أبو تمام مذمة النساء بباب جعله عاشر الابواب فنه قال بعضهم

دمشق خذيها واعلمى ان ليلة * تمر بعودى نعشها ليلة القدر
أكلت دما ان لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

وقال آخر

سقى الله دارا فرق الدهر بيننا * وبينك فيها وابل سائل القطر
* ولا ذكر الرحمن يوما وليلة * ملكتك فيها لم تكن ليلة البدر

وقال آخر فى امرأة طلقها

رحلت أنيسة بالطلاق * وعتقت من رق الوثاق
* بانت فلم يألم لها * قلبى ولم تبك المآقى
* ودواء مالا تشتهيه النفس تعجيل الفراق
لو لم أرح بفراقها * لارحت نفسى بالاباق
وخصيت نفسى لا أريد حليلة حتى التلاقى

وقال آخر

تمت عبيدة الا من محاسنها * والملح منها مكان الشمس والقمر
قل للذى عابها من عائب حنق * أقصر فرأس الذى قد عبت للعجز

وقال آخر

لا تنكحن عجوزا ان أتيت بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك فقالوا انها نصف * فان أمثل نصفيها الذى ذهبا

وقال آخر

ورقطاء حدباء يبدى الكيد مضحكها * قنواء بالعرض والعينان بالطول
لها فم ملتقى شدقيه نقرتها * كان مشفرها قد طرّ من فيل
اسنانها

سناتها اضعفت فى خلقها عددا * مظهرات جميعا بالرواويل

الراوول كطاووس السنة الزائدة تنبت خلف الاصلية وقال آخر

ألام على بغضى لما بين جبهة * وضبع وتمساح تغشاك من بحر
تحاكى نعيما زال فى قبح وجهها * وصفحتها ما بدت سطوة الدهر
هى الضربان فى المفاصل خاليا * وشعبة برسام ضممت الى النحر
اذا سفرت كانت لعينك سخنة * وان برقعت فالفقر فى غاية الفقر
وان حدثت كانت جميع مصائب * موفرة تأتى بقاصمة الظهر
حديث كقلع الضرس أو نتف شارب * وغنج كحطم الانف عيل به صبرى
وتفتر عن قلح عدمت حديثها * وعن جبلى طى وعن هرمى مصر

وأنشد أبو عبيدة لابى الغطمش الحنفى

منيت بزنمردة كالعصا * ألص وأخبث من كندش
تحب النساء وتأبى الرجا * ل وتمشى مع الاخبث الاطيش
لها وجه قرد إذا ازينت * ولون كبيض القطا الابرش
وثدى يجول على نحرها * كقربة ذى الثلة المعطش
لها ركب مثل ظلف الغزال * أشد اصفرارا من المشمش
وفخذان بينهما نفنف * يجيز الحامل لم تخدش
وساق مخلخلها حمشة * كساق الجرادة أو احمش
كأن الثآليل فى وجهها * اذا سفرت بدد الكشمش
لها جمة فوقها جثلة * كمثل الخوافى من المرعش

الزنمردة المرأة المتشبهة بالرجال أصلها فارسية من كلمتين زن وهى المرأة ومرد وهو الرجل وكندش قيل هو لص مشهور وقيل هو العقعق أو الفأرة لكونهما يوصفان بالسرقة والركب منبت العانة ذلك وحيث كانت العزيمة على ان أورد هنا لك طرفا من جيد الشعر فى بعض طوال قصائد لفحول من الشعراء تعين كما اقتضاه الحال ان أقدم تعريفك بما يسميه أهل الادب فن القريض وسماه قدامة قبل نقد الشعر لتعرف ما المراد بجيد الشعر ورديئه فتكون على بصيرة من ذلك قرأت لابى هلال العسكرى كتابه المشهور بالصناعتين فوجدته رتبه عشرة أبواب

الباب الاول فى تعريف البلاغة

الباب الثانى فى تمييز جيد الكلام من رديئه
الباب الثالث فى معرفة صنعة الكلام
الباب الرابع فى البيان عن حسن السبك وجودة الرصف
الباب الخامس فى ذكر الايجاز والاطناب
الباب السادس فى حسن الاخذ وقبحه وجودته ورداءته
الباب السابع فى القول فى التشبيه
الباب الثامن فى ذكر السجع والازدواج
الباب التاسع فى شرح البديع
الباب العاشر فى ذكر مقاطع الكلام ومباديه والقول فى الاساءة فى ذلك والاحسان وها أناذا ملخص لك منه ما تقع الكفاية به فى ذلك الغرض أما البلاغة والايجاز وما يقابله والبديع وفى ضمنه القول فى المبادى والمقاطع فقد تقدمت ولكن أزيدك نور بصيرة بما أثبت لك من أشياء نقلها أبو هلال فى هذه الابواب قال فى باب البلاغة بعد ان تكلم عليها وعلى الفصاحة بكلام ما ساف لك صدر المعانى أحسن منه وأضبط قد جاء عن الحكماء والعلماء فى البلاغة أقوال أناذاكرها ومفسرها قال اسحاق بن حسان لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع اذ قال البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة منها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا وربما كانت رسائل بعامة ما يكون من هذه الابواب فالوحى فيها والاشارة الى المعنى أبلغ والايجاز هو البلاغة فقوله منها ما يكون فى السكوت فالسكوت يسمى بلاغة مجازا وهو فى حالة لا ينجع فيها القول ولا تنفع اقامة الحجج اما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لا يرهب الجواب أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى واذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر فالسكوت أولى كما قال أبو العتاهية

ما كل نطق له جواب * جواب ما يكره السكوت

وقال معاوية لابن أوس ابغنى محدثا قال أو يحتاج معى الى محدث قال أستريح منك اليه ومنه اليك وربما كان صمتك فى حال أوفق من كلامك وله وجه آخر وهو فى كلامهم كل صامت ناطق من جهة الدلالة وذلك ان دلائل الصنعة فى جميع الاشياء واضحة والموعظة فيها قائمة وقد قال الرقاشى سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك

أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ولما مات الاسكندر وقف عليه بعض اليونانية فقال قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه وهو اليوم الساكت الواعظ بسكوته وحقا انه فى يومه هذا أوعظ فنظم هذا الكلام أبو العتاهية فى قوله

وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وأحسن من هذا كله وأبلغ قول الله عز وجل وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة معناه يدل على الله بصنعته وكأنه يسجد وان لم يسجد ولم يقر بذلك وقوله تبارك وتعالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقوله وربما كانت رسائل بعامة ما يكون من هذه الأبواب معناه وربما كانت كلاما مشتملا على الشعر والسجع والخطبة فالباء فيه للملابسة ثم أفرد الوحى والاشارة والايجاز بالثناء لظهور بداعتها وحسن موقعها من النفوس وحاصل كلام ابن المقفع ان لكل شئ موضعا يكون وضع غيره فيه اساءة وقال حكيم الهند أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون فى قواه التصرف فى كل طبقة ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما وفيلسوفا عليما ومن تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشترك الالفاظ نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها الا على جهة الاستطراف والتطرف لها قال واعلم أن حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ولا يكون الاسم فاضلا ولا مقصرا مشتركا ولا مضمنا ويكون تصفحه لمصادر كلامه بقدر تصفحه لموارده ويكون لفظه مونقا ومعناه نيرا واضحا ومدار الامر على افهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على قدر منازلهم وان تؤاتيه آلته وتتصرف معه أداته ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن أودعها تهاون الامين وان تجاوز بها مقدار الحق فى التهمة ظلمها وأودعها ذل المظلومين فقوله أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة أى أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان وذلك من فعل الله عز وجل لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها ومن الناس

من اذا اخلا بنفسه وأعمل فكره أتى بالبيان العجيب والتبيان البديع المصيب واستخرج المعنى الرائق وجاء باللفظ الرائع واذا حاور وأو ناظر قصر وتأخر نخفق هذا لا يتعرض لارتجال الخطب ولا يجارى أصحاب البداهة فى ميدان القريض ويكتفى بنتايج فكره والناس فى صناعة الكلام على طبقات منهم من اذا حاور وناظر أبلغ وأجاد واذا كتب واملى أخل وتخلف ومنهم من اذا أملى برز واذا حاور أو كتب قصر ومنهم من اذا كتب أحسن واذا حاور وأملى أساء ومنهم من يحسن فى جميع هذه الحالات ومنهم من يسىء فيها كلها فاحسن حالات المسىء الامساك وأحسن حالات المحسن التوسط فان الاكثار يورث الاملال وقل ما ينجو صاحبه من الزلل والعيب والخطل وليس ينبغى للمحسن فى أحد هذه الفنون المسىء فى غيرها ان يتجاوزماه ويحسن فيه الى ماهو مسىء فيه فان اضطر فى بعض الاحوال الى تجاوزه فخير سبيله قصد الاختصار وتجنب الاكثار والاهذار ليقل السقط فى كلامه ولا يكثر العيب فى منطقه وقيل لابن المقفع لم لا تطيل القصائد قال لو أطلتها عرف صاحبها يريد ان المحدث يتشبه بالقديم فى القليل من الكلام فاذا طال أخل فعرف انه كلام مولد على ان السابق فى ميادين البلاغة اذا أكثر أسقط فكيف المقصر عن غايتها والمتخلف عن أمدها ومن تمام آلة البلاغة التوسع فى معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها والعلم بفاخر الالفاظ وساقطها وجيدها ورديئها ومعرفة المقامات وما يصلح فى كل واحد منها من الكلام وقوله وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح هذا لان الحيرة والدهش يورثان الحبسة والحصر وهما سببا الارتاج والاخبال وقد بلغك ما أصاب عثمان بن عفان رضى الله عنه لما صعد المنبر فأرتج عليه فقال ان اللذين كانا قبلى كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام قائل وستأتيكم الخطبة على وجهها ثم نزل وصعد بعض العرب منبرا بخراسان فأرتج عليه فقال

لئن لم أكن فيكم خطيبا فاننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

ونزل ومن حسن الاعتذار عند الارتاج ما روى ان داود بن على خطب فحمد الله عز وجل واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فلما قال أما بعد امتنع عليه الكلام ثم قال اما بعد فقد يجد المعسر ويعسر الواجد ويفل الحديد ويقطع الكليل وانما الكلام بعد الافحام كالاشراق بعد الاظلام وقد يعزب البيان ويعتقم الصواب وانما بضعة من الانسان يفتر بفتوره اذا نكل ويثوب بانبساطه اذا ارتجل ألا وانا لا ننطق

بطرا ولا نسكت حصرا بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين ونحن بعد أمراء الكلام فينا وشجت اعراقه وعلينا عطفت أغصانه ولنا تهدلت ثمرته فنتخير منه ما احلولى وعذب ونطرح منه ما املولح وخبث ومن بعد مقامنا مقام وبعد يومنا أيام يعرف فيها فضل البيان وفصل الخطاب والله أفضل مستعان ثم نزل وعلامة سكون نفس الخطيب ورباطة جاشه هدوه فى كلامه وتمهله فى منطقه وقال ثمامة كان جعفر بن يحيى أنطق الناس قد جمع الهدو والجزالة والتمهل والحلاوة ولو كان فى الارض ناطق يستغنى عن الاشارة لكانه وقوله متخير الالفاظ فذا رالبلاغة على تخير اللفظ وتخير اللفظ أصعب من جمعه وتأليفه وقوله ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة وهو أن يكون صانع الكلام قادرا على جميع ضروبه متمكنا من جميع فنونه لا يعتاص عليه قسم من أقسامه فان كان شاعرا تصرف فى وجوه الشعر مديحه وهجائه ومراثيه وصفاته ومفاخره وغير ذلك من أصنافه ولاختلاف قوى الناس فى الشعر وفنونه قيل كان امرؤ القيس أشعر الناس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وكذلك الكاتب ربما تقدم فى ضرب من الكتابة وتأخر فى غيره وسهل عليه نوع منها وعسر عليه نوع آخر وقال ابراهيم بن العباس سمعت أحمد بن يوسف يقول أمرنى المأمون ان اكتب الى النواحى فى الاستكثار من القناديل فى المساجد فبت لا أدرى كيف احتذى فأتانى آت فى منامى فقال لى قل فان فى ذلك عمارة للمساجد وارشادا للسابلة واضاءة للمتهجدين ونفيا لكامن الريب وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلم فانتبهت وقد انفتح لى ما أريد فابتدأت بهذا وأتممت عليه والمقدم فى صنعة الكلام هو المستولى عليه من جميع جهاته المتمكن من جميع أنواعه وبهذا فضلوا جريرا على الفرزدق وقالوا ان فى الشعر ضروبا ما كان يعرفها الفرزدق وشاهد ذلك انه لما ماتت زوجته النوار ناح عليها بشعر جرير

لولا الحياء لهاجنى استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

وكان البحترى يفضل الفرزدق على جرير ويزعم انه يتصرف من المعانى فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه فى كل قصيدة خلاف ما يورده فى الاخرى قال وجرير يكرر فى هجاء الفرزدق ذكر الزبير وجعثن والنوار وانه قين مجاشع لا يذكر شيئا غير هذا وسئل بعضهم عن أبى نواس ومسلم فذكر ان أبا نواس أشعر لتصرفه فى وجوه الشعر وكثرة

مذاهبه فيه ومسلم جار على وتيرة ولا يتغير عنها وأبلغ من هذه المنزلة ان يكون فى قوة صانع الكلام ان يأتى مرة بالجزل وأخرى بالسهل فيلين اذا شاء ويشتد اذا أراد ومن هذا الوجه فضلوا جريرا على الفرزدق وأبا نواس على مسلم قال جرير

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كانه * برد تحدر من متون غمام

فانظر الى رقة هذا الكلام والفرزدق يجرى على طريقة واحدة والتصرف فى الوجوه أبلغ وقال أبو نواس

قل لذى الوجه النضير * ولذى الردف الوثير
ولمغلاق همومى * ولمفتاح سرورى
ياقليلا فى التلاقى * وكثيرا فى الضمير

فانظر الى سلاسة هذا الكلام وسهولته وقال

* ماهوى إلا له سبب * يبتدى منه وينشعب
فتنت قلبى محجبة * برداء الحسن تنتقب
خليت والحسن تأخذه * تنتقى منه وتنتخب *
فاكتست منه طرائفه * واستزادت فضل ماتهب
صار جدا ما مزحت به * رب جد ساقه اللعب

فهذا أجزل من الاول قليلا وقال فى صفة الكلب

أنعت كلبا جال فى رباطه * جول مصاب فر من اسعاطه
عند طبيب خاف من سياطه * هجنابه وهاج من نشاطه
كالكوكب الدرى فى انخراطه * عند تهاوى الشد وانبساطه
يقتحم القائد فى حطاطه * وقده البيداء فى اعتباطه
لما رأى العاهب فى اقواطه * سانحة ومر فى التباطه
كالبرق يذرى المرو بالتقاطه * مثل قلى طار فى انفاطه
وانصاع يتلوه على قطاطه * اغضف لا ييأس من خلاطه
يصيد بعد البعد وانبساطه * ان لم يبت القلب من نياطه
فلم يزل يأخذ فى لطاطه * كالصقر ينقض على غطاطه
يقشر وجه الارض من بلاطه * باربع تقول من افراطه

لشدة

لشدة الجرى ولا ستحطاطه * ما ان تمس الارض فى أشواطه
قد خدشت رجلاه فى اباطه * وخزم الاذنين بانتشاطه
خلج ذراعيه الى ملاطه * ينقد عنه الصيق بانعطاطه
فى هبوات الصيق أو رباطه * فأدرك الظبى ولم يباطه
وافى عشرين الى أشراطه * فلم يزل يقرن فى رباطه
ويخمط الشاوون من خماطه * ويطبخ الطابخ من اسقاطه
حتى علا فى الجو من شياطه * كداخن النفط الى نفاطه

المصاب هاهنا المجنون واسعاطه انشاقه السعوط لمداواته وقوله يقحم القائد فى حطاطه أى لقوته يجذبه حتى يوقعه فى حال حطه أى اندفاعه فى العدو والاعتباط الجرى على غير روية والعاهب بفتح أوله المسن من تيوس الجبل والاقواط جمع قوط بفتح أوله القطيع أو الجماعة وفى بعض معنى مع والالتباط خبط الارض فى العدو ويذرى المرو أى يفرقها والقطاط ككتاب المثال ومعناه انه يتبعه فى طريقه لا يميل والاغضف مسترخى الاذنين ذاهبتين الى خلف والغطاط كسحاب القطا والصيق بكسر أوله الغبار فى الهواء والانعطاط الانشقاق والملاط العضد الى الكتف والاشراط الاشباه والخمط الشى فانظر اليه كيف يتصرف بين الشدة واللين ويضع كل واحد منهما فى موضعه ويستعمله فى حينه وعلى ذكر المفاضلة بين الشعراء فلا بأس ان استطرد لك هاهنا بذكر كلام رأيته فى شرح ديوان أبى نواس يتضمن صفة شعراء تطلع به على مالكل منهم فى أنفس علماء عصرهم وما كان لاولئك العلماء من الفطنة والنقد وتمييز الاشياء والوقوف بكل عند حده وهذا نصه قال ابن دريد سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال ان جد أحسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يلقى الكلام على عواهنه لا يبالى من حيث أخذه وهذه الحكاية وجدتها فى اماليه فى اثناء أوصاف خمسة وعشرين رجلا من الشعراء المحدثين أنا أحكيها على وجهها لما فيها من الفائدة قال وسألته عن بشار فقال نظار غواص مطيل مجيد يصف مالم يركانه قد رآه على ان فى شعره خللا كثيرا قلت فمروان قال شاعر راض عن نفسه يستحسن كلما جاء منه معجب لا يرى ان أحدا يتقدمه كثير الصواب كثير الخطأ ليس لشعره صنعة قلت فمسلم قال خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزند يورى تارة ويصلد أخرى قلت فأبو العتاهية قال غناء جم واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج وربما أشبه الياقوت والزبرجد قلت فابن الاحنف

قال يلقي دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحيانا والحمأة أحيانا على ان كدرها أكثر من صفوه قلت فسلم الخاسر قال مقل مداح شعره ديباج وعهن يتوه الردىء حتى يشبهه بالجيد قلت فالعتابي قال عالم باشعار العرب محتذ على مثالهم أحيانا وربما مال الى تعقيد الكلام على انه ينال مرامه من كلتي الجهتين قلت فالخزيمي قال صنعة سهلة لا يكابر طبعه ولا يكد فكره يسوق ما انقاد له عفوا قلت فأشجع قال يحسن و يسيء فصوله مختلفة ان شئت قلت مطبوع وان شئت قلت متكلف قلت فأبو الشيص قال جدّ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نفضت ففيها المستعذب والمستبشع قلت فعلي ابن جبلة قال بحاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ويجل عن منزلة النظراء قلت فدعبل قال شديد الاسر محكم الصنعة قليل الطلاوة مفحش الهجاء غير مقنع المديح قلت فأبو تمام قال سيل كثير الغثاء غزير الغمار جم النطاف فاذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال قلت فالحاركي قال ظريف مقل منحل الالفاظ متعقد المعاني قلت فأبو سعد قوصره قال ورق ناضر وعود خوار ان حفظ لم ينفع وان ضيع لم يضر قلت فابن بشير قال عذب الكلام سهله اذا أراد الشيء قدر عليه وان اشتدت كلفته في مرامه قلت فابن أبي عيينة قال أعجبه اقتداره فتجاوز مقداره على انه اذا فخر أفلق واذا كوى انضج قلت فعبد الصمد بن المعذل قال خراج ولاج يعتسف تارة ويهتدي أخرى ان سلك سبل العرب الاول أرب وان مال الى طريق المولدين شاكه قلت فعلي بن الجهم قال كلام رصين ومسلك وعر عقله أغلب على شعره من طبعه قلت فبكر بن النطاح قال تشبه بالاعراب فأفرط وتجاوز حد المولدين فأسهب فهو الساقط بين القريتين قلت فخالد النجار قال سيء الكلام رخو النظام ان طال بلد وان قصر أجهد قلت فأبو دلامة قال جد وهزل ومجتنى ومرغوب عنه اذا قصد مراما تناوله غثا وسمينا قلت فأبو الشمقمق قال هجاؤه لداغ ومديحه بلاماء أكثره لا نفع فيه قلت ففلان قال كلام مؤلف تلفظه أسماع الجهال وتلفظه آذان العلماء قال ابن دريد وذهب عني ان أسال عن الاغرين المطبوعين السيد والنميري فقد أغفل ابن دريد استيصاف هذين الشاعرين ووقع لي وصفهما في حكايتين أخريين فاما النميري فذكر اسحاق الموصلي قال حضرت الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وعنده منصور النميري ومسلم بن الوليد ينشدانه فالتفت الي وقال يا اسحاق احكم أيهما أشعر فقلت انه قل من حكم بين الشعراء فسلم منهم

ولكن

واكن ان أحب الاميرة كافت وصف شعرهما فقال صف فقلت اما النميرى فان شعره حسن البناء قريب المعنى سهل كلامه صعب مرامه سليم المتون كثير العيون وأما مسلم فانه مزج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعانى اللطيفه وكساه الالفاظ الظريفه فله جزالة البدويين ورقة الحضريين فقال الفضل وصفت والله فأحسنت وأوتيت الحكم فحكمت النميرى أشعرهما وأما الحكاية الاخرى فللجاحظ فصل من فصول كتبه ذكر فيه السيد الحميرى وابان بن عبد الحميد وأبا العتاهية وبشارا وأبا نواس فقال أما السيد الحميرى فأطبع الناس على قول الشعر وأقلهم صنعة وأبعدهم من التكلف وأجدر ان ينقل جميع أحاديث الناس شعرا سهلا بلا تعقد ولا استكراه وأما ابان بن عبد الحميد فلم يكن فى زمانه أطبع منه ولا أسلس كلاما ولا أسهل مخارج وكان يقول على الثاء والذال والغين والظاء مائة قصيدة وأما أبو العتاهية فاحد المطبوعين وكاد كلامه يكون شعرا على ان غزله ضعيف مشاكل لطبع النساء وأما بشار وأبو نواس فمعناهما واحد والعدة اثنان بشار حل من الطبع بحيث لم يتكلف قط قولا ولا تعب من عمل شعر وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل شعره الى القلب بلا اذن رجعنا الى نقل كلام أبى هلال فى شرح قول حكيم الهند قال وقوله ولا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة لان ذلك جهل بالمقامات وما يصلح فى كل واحد منها من الكلام وأحسن الذى قال لكل مقام مقال فاذا كان موضع الكلام على طبقات الناس فليخاطب السوقى بكلام السوقى والبدوى بكلام البدوى ولا يتجاوز به ما يعرفه الى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتنعدم منفعة الخطاب وقوله ولا يدقق المعانى كل التدقيق لان الغاية فى تدقيق المعانى سبيل الى تعمية المعنى وهى لكنة الا اذا أريد به الالغاز وكانت فى تعميته فائدة مثل أبيات المعانى وأما من أراد الابانة فى مديح أو غزل أو صفة شئ فأتى باغلاق دل ذلك على عجزه عن الابانة وقصوره عن الافصاح وقوله ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح تنقيح اللفظ ان ينفيه بناء لا يكثر فى الاستعمال فربما وقع من يقصد ذلك فى اساءة يغفله عنها الاغترار بالاقتدار على ابتداع ما ليس جاريا فى كلام الناس مثل ما وقع لبعضهم فى خطاب وزير حيث قال فى الدعاء له أحسن الله اثابتك فرد عليه الوزير فى الجواب وأحسن فقال وأنت يجمل الله أمانتك وقوله ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب فتصفيته تعريته من الوحشى ونفى الشواغل عنه

وتهذيبه تبرئته من الردىء المرذول والسوقي المردود فمن الكلام المهذب الصافي قول بعض الكتاب مثلك أوجب حقا لا يجب عليه وسمع بحق يجب له وقبل واضح العذر واستكثر قليل الشكر لا زالت أياديك فوق شكر أوليائك ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك وقول أحمد بن يوسف يومنا يوم لذيذ الحواشي وطيء النواحي وهذه سماء قد تهللت بودقها وضحكت بلوامع برقها وأنت قطب السرور ونظام الامور فلا تغب عنا فنقل ولا تفردنا فنستوحش فان الحبيب بحبيبه كثير وبمساعدته جدير وقوله ولا يفعل ذلك حتى يلاقي حكيما وفيلسوفا عليما ومن تعوّد حذف فضول الكلام ومشتركات الالفاظ نظر في المنطق على جهة الصناعة فيها الا على جهة الاستطراف والتطرف لما يقول ينبغي ان يتكلم بفاخر الكلام ونادره ورصينه ومحكمه عند من يفهمه عنه ويقبله منه وأما قوله من تعوّد حذف فضول الكلام هو ان يسقط من الكلام ما يكون الكلام مع اسقاطه تاما غير منقوص ولا يكون في زيادته فائدة سأل معاوية رجلا عن البلاغة فقال هي ان تقول فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ فقال معاوية لو قلت هي ان لا تخطئ ولا تبطئ لحذف منه الفضل وقوله ومشتركات الالفاظ هو أن يريد الابانة عن معنى فيأتي بالفاظ لا تدل عليه خاصة بل تشترك فيها معه معاني أخر فلا يعرف السامع أيها أراد وربما استبهم الكلام في نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه الا بالتوهم فمن الجنس الاوّل قول جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فليس يدري الى أي أفعاله أشار بقوله فعلت مالم أفعل ان يبكي اذا رحلوا أو يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه أو يتبعهم اذا ساروا أو يمنعهم من المضي على عزيمة الرحيل أو يأخذ منهم شيأ يتذكرهم به أو يدفع اليهم شيأ يتذكرونه به أو غير ذلك مما يجوز ان يفعله العاشق عند فراق أحبته فلم يبن عن غرضه وأحرج السائل أن يسأله عما أراد فعله عند رحيلهم وليس هذا كقولهم لو رأيت عليا عليه السلام بين الصفين فان ارادة البسالة والنكاية بينة وامارة النقصان في بيت جرير واضحة فمن سمعه وان لم يكن من أهل البلاغة يستبرده ويستغثه ويستريح الا آخر ويستجيده ومثله قول سعد ابن مالك الاسدي

فانك لو لاقيت سعد بن مالك * للاقيت منه بعض ما كان يفعل

فلم

فلم يبين بقوله عما أراد بانى منه أخيرا أم شرا إلا أن يسمع ما قبله وما بعده فيتبين معناه وأما فى نفس البيت فلا يتبين وأقول ان النقد على جرير فى غير محله حيث كان كلامه مع نفسه وليس لاحد أن يسأله عما أراد وقصده أن يخفى مراده فذلك مقتضى الحال ومثله قول أبى تمام

وقنا فقلنا بعد أن أفرد الثرى * به ما يقال فى السحابة تقلع

وقول الناس فى السحاب اذا أقلع على وجوه كثيرة فمنهم من يحمده ومنهم من يكره اقشاعه على حسب ما كانت حالها عندهم ومواقعها منهم فلم يبين بقوله ما يقال فى السحابة تقلع معنى يعتمده السامع وأين هو من قول مسلم

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

على ان المحتج له لو قال العادة فى السحاب ان يحمد أثره ويثنى عليه بعده لما كان مبعدا ولم أرد عيب أبى تمام انما أريد الاخبار عن وجه الاشتراك وذكر ما يتشعب منه ويقرب من بابه وينظر اليه من قريب أو من بعيد وأما ما يستبهم فلا يعرف المعنى الا بالتوهم فمثل قول ابى تمام

جهمية الاوصاف الا أنهم * قد لقبوها جوهر الاشياء

فوجه الاشتراك فى هذا ان للجهم مذاهب كثيرة وآراء مختلفة متشعبة لم يدل فحوى كلام أبى تمام على شئ منها يصلح ان يشبه به الخمر وتنسب اليه الا أن يتوهم المتوهم فيقول انما أراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير ان يدل الكلام منه على شئ بعينه ولا يعرف معنى قوله قد لقبوها جوهر الاشياء الا بالتوهم أيضا ومن الكلام الخالى من الاشتراك كلام بعضهم لاخ له أراد فراقه لما تصفحت أخلاقك فوجدتها مباينة لشا كلتى زائغة عن قصد طريقى صبرت عليها رياضة لنفسى على الصبر لمساوى أخلاق المعاشرين ولعلى بكامن العدوان فى العالمين والذى رجوت من مروءة خصالك عما أقاليها من التجاوز فأسحب فى سوء آثارها أذيال التغاضى رأيت ذلك لا يقوم اعوجاج مذاهبك ولا يعطف بك الرأى على رشدك فلما فنيت حيلتى فيك وانقطعت أسباب أملى منك ورأيت الداء لا يزيد على التعهد الا فسادا والخرق على الترقيع الا اتساعا قدمت اليأس منك على الرجاء فيك واحتسبت أيامى السالفة فى استصلاحى لك اقول والاحتراز عن المشترك أمر مهم محتاج لدقة نظر واطالة فكر حتى يأخذ بجميع موارد الانتقاد ويضرب دونها بالاسداد فيسلم مما وقع فيه كثير

من قول الشعراء وتستبين ذلك مما أحكيه لك يحكى ان جريرا قدم المدينة مرة وشاعرها يومئذ الاحوص فاجتمع الناس لتعظيم جرير إذ كان من اكابر الشعراء ذلك العصر ولم ير من الاحوص ما يرضيه فأراد ان يطأطئ منه ويحط من كبره فقال له يا أحوص أنت القائل

يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شئ ما به العين قرت

فقال نعم يرى انه استحسنه وانه سيثني عليه فكان الامر على خلاف ذلك وقابله من البيت بدامغة فقال له انه يقر بعينها ان يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر بعينك ذلك فخجل الاحوص ولم يقابله بعد وان الفرزدق لما قال يفتخر

اذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

قال بعض أهل عصره ذلك وقومه أدلاء ركبان وان ابن هرمة لما قال في التمدح بالكرم

ناري ونار الجار واحدة * واليه قبلي تنزل القدر

قالت امرأته لانها نار الجار وقدره ولما قال المتنبي في صفة جسمه بالنحول على عادة العشاق

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

قال عصريه الرمادي شاعر الاندلس لم يزد أن جعل نفسه ضرطة يسمع صوتها ولا يرى لها شخص فاتفق ان قال الرمادي في غزل قصيدة

في أي جارحة اصون معذبي * سلمت من التجريح والتنكيل

فقال المتنبي يصونه في استه ولكن لم يبلغ من الرمادي بهذا الانتقاد ما بلغه منه وهذا النوع من الانتقاد هو الذي يسميه ظرفاء اهل مصر بالتنكيت ولهم فيه غرائب وعلى من يحب تربية ذوقه وايقاظ فكره ان يعاشرهم ويستفيد ذلك منهم فالعاقل يخرج من الهزل الى الجد ويحصل من صغار الامور على كبارها رجعنا الى كلام ابي هلال قال وقوله وحق المعنى ان يكون الاسم له طبقا أي اللفظ بقدر المعنى غير زائد عليه ولا ناقص عنه وكان ذلك من قول امرئ القيس * طبق الارض تحرى وتدر * أي هو على الارض كالطبق على الاناء لا ينقص منه شئ قول امرئ القيس هذا في صفة المطر والبيت

دعة هطلاء فيها وطف * طبق الارض تحرى وتدر

وقوله ولا يكون الاسم فاضلا ولا مقصرا مثال الفاضل من اللفظ عن المعنى قول عروة ابن أذينة

واسق العدو بكأسه واعلم له * بالغيب ان قدكان قبل سقاكها
واجز الكرامة من ترى ان لوله * يوما بذات كرامة لجزاكها

ومعنى هذا الكلام محصور تحت ثلاث كلمات اجز كلا بفعله وكان السكوت لعروة خيرا منه ومن الكلام الفاضل لفظه عن معناه قول أبي العيال الهذلي

ذكرت أخي فعاودني * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع فضل وقول أوس بن حجر

وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا في العمومة مخولا

فقوله المال مع المقل فضلة يعني ان المقل والمكثر معناهما في الاستعمال الفقير والغني وأولاد علة هم الاولاد لامهات شتى وهم غالبا أعداء بعضهم فمعنى الكلام ان الناس أعداء الفقير والمقصر من الكلام مالا ينبئك عن معناه عند سماعك اياه ويحوجك الى شرح كبيت الحارث بن حلزة

والعيش خير في ظلا * ل النوك ممن عاش كدا

معناه والعيش في ظلال الحماقة وهو العيش الرخي خير من عيش العقلاء وهو العيش الشديد ذلك حسبما هو دائر بين الناس من أن الدنيا لا تزال مع الحمقا والعاقل محروم منها وللناس في ذلك كلام كثير وقوله ولا مضمنا التضمين ان يكون الفصل الاول مفتقرا الى الفصل الثاني والبيت الاول محتاجا الى الاخير كقول الشاعر

كان القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

فلم يتم المعنى الا في البيت الثاني وهو قبيح ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم وجعل سيدنا أخذا من كل مادعي به أو يدعى في الاعياد باجزل الاقسام وأوفر الاعداد وقال بعض الحكماء البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير وهذا مثل قول الآخر البلاغة علم كثير في قول يسير ومثاله قول الاعرابي وقد سئل عن مال يسوقه لمن هو فقال لله في يدي فأي شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة والحكم البارعة الجسيمة وقال الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فدخل

تحت قوله فهو حسبه من المعانى ما يطول شرحه من ايتاء ما يرجى وكفاية ما يخشى وهذا مثل قوله عز وجل وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وسئل بعض الاوائل عن سبب موت أخيه فقال كونه أى سبب موته كونه أى وجوده بحسب استعداده وطبيعة خلقته وقد تنازع الناس فى هذا المعنى أخبرنا أبو أحمد قال أنبأنا أبو بكر بن دريد عن الرياشى قال قيل لاعرابى كيف حالك فقال ما حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه وأخبرنا أبو أحمد قال أنبأنا محمد بن يحيى قال حدثنا الغلابى قال حدثنا ابن عائشة قال قلت لابى حدثنى حماد بن سلمة عن حميد بن ثابت عن أنس والحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كفى بالسلامة داء قال يا بنى لا أراه الا مسندا وقد قال حميد بن ثور

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال الآخر

كانت قناتى لا تلين لغامز * فألانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة دائما * ليصحنى فاذا السلامة داء

وأول من نطق بهذا المعنى النمر بن تولب فى الجاهلية

يود الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويحمل

وقال آخر

ماحال من آفته بقاؤه * نغص عيشى كله فناؤه

وقال ابن الرومى

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * اذا زال عن عين البصير غطاؤها
وكيف بقاء النفس فيها وانما * ينال بأسباب الفناء بقاؤها

ولبعض المتأخرين فى هذا المعنى شعر حسن لا بأس باثباته مع ما أثبت أبو هلال وهو

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء
بالذى تغتذى نموت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
جودها راجع اليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
صاف تحت راعد وشراب * كرعت فيه مومس خرقاء

ليت

ليت شعري حلم تمر به الايـ * ـام أم ليس تعقل الاشياء
* قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ * ـد فايجادنا علينا بلاء

ولبعضهم البلاغة حسن الاقتضاب عند البديهة والغزارة عند الاطالة الاقتضاب أخذ القليل من الكثير وأصله من قولهم اقتضبت الغصن اذا قطعته من شجرته فمن البديهة الحسنة ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا ابراهيم بن أحمد الشطي قال حدثني أحمد بن يحيى قال دخل المأمون ديوان الخراج فمر بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه مارأى من حسنه فقال من أنت ياغلام فقال ياأمير المؤمنين الناشئ فى دولتك وخريج أدبك والمتقلب فى نعمتك الحسن بن رجاء فقال المأمون بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ثم أمر برفع رتبته واعطائه مائتى ألف درهم ومن الاقتضاب الجيد ماورد فى خبر عن أبي عبيدة قال استفتحت غلامين فى الصبا فركنت منهما بلوغ الغاية فجاء كما زكنت بلغنى ان النظام يتعاطى علم الكلام فمر بى وهو غلام على حمار يطير به فقلت ياغلام ماعيب الزجاج فقال سريع الكسر بطيء الجبر وبلغنى ان أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فلقينى وهو سكران يوما وماطرشاربه بعد فقلت كيف فلان عندك فقال ثقيل الظل جامد النسيم فقلت زد فقال مظلم الهواء منتن الفناء فقلت زد فقال غليظ الطبع بغيض الشكل قلت زد قال وخم الطلعة عسر القلعة قلت زد قال نابى الجنبات بارد الحركات ثم قلت حسبك فقال زدنى سؤالا أزدك جوابا فقلت كفى من القلادة ماأحاط بالعنق ومن جيد البديهة ماكان من يحيى بن أكثم وقد قال له المأمون صف لى حالى عند الناس فقال ياأمير المؤمنين قد انقادت لك الامور بأزمتها وملكتك الامة فضول أعنتها بالرغبة اليك والمحبة لك والرفق منك بهم ومنك عليهم فالحمد لله الذى جمع بك بعد التقاطع ورفعنا فى دولتك بعد التواضع فقال يايحيى تحبيرا أم ارتجالا قال وهل يمتنع فيك وصف أو يتعذر على مادحك قول أو يفحم فيك شاعر أو يتلجلج فيك خطيب ومن حسن البديهة مايحكى انه قدم للمهدى رجل من خراسان فقال أطال الله بقاء أمير المؤمنين انا قوم نأينا عن العرب وشغلتنا الحروب عن الخطب وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا ومافيه مصلحتنا فيكتفى منا باليسير عن الكثير ويقتصر على مافى الضمير ومن حسن البديهة ماتسمعه فيما يحكى ان اعرابيا دخل على المنصور فتكلم فأعجب بكلامه فقال له سل حاجتك فقال

يبقيك الله ويزيد في سلطانك فقال سل حاجتك فليس في كل وقت يؤمر بذلك فقال ولم يا أمير المؤمنين فوالله يا أمير المؤمنين ما استقصر عمرك ولا أخاف بخلك ولا أغتنم مالك وان سؤالك لشرف وان عطاءك لزين وما بامرئ بذل وجهه لك نقص ولا شين أخذ المعنى الاخير من قول أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته * بسيب وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وقال جعفر بن يحيى البلاغة ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا يستعين عليه بطول الفكر ويكون سليما من التكلف بعيدا من سوء الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأمل قوله ان يكون الاسم يحيط بمعناك فالاسم ههنا اللفظ أي يحصر اللفظ جميع المعنى ويشتمل عليه فلا يشذ منه شئ يحتاج الى أن يعرف بشرح أو بتفسير فاذا سمعت اللفظ عرفت أقصى المعنى وهذا مثل قول الآخر البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر ولا يكون الكلام بليغا مع ذلك حتى يعرى من العيب ويتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة فيما ذكرنا ومثال ذلك ما كتب بعضهم الى أخ له اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليحرمه ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك فيما قدمت من خير وأسفك على ما فاتك من بر وقول اعرابي لابنه يا بني ان الدنيا تسعى على من يسعى لها فالهرب قبل العطب فقد آذنتك ببين وانطوت لك على حين وقال الشاعر

حلال لليلى ان يروح فؤاده * بهجر ومغفور لليلى ذنوبها

تطالع من نفسي اليك نوازع * عوارف ان اليأس منك نصيبها

وزالت زوال الشمس عن مستقرها * فمن مخبري في أي أرض غروبها

وقال آخر

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشق

أجل صدق الواشون أنت حبيبة * الي وان لم تصف منك الخلائق

وقوله ويجلي عن مغزاك أي يوضح مقصدك ويبين للسامع مرادك ينهى عن التعمية والاغلاق وقوله ويخرجه من الشركة فقد مضى تفسيره وقوله ولا يستعين عليه بطول الفكرة هذا لان الكلام اذا تقطعت أجزاؤه ولم تتصل فصوله ذهب رونقه وغاض ماؤه واغا رونق الكلام اذا جرى جريان السيل وانصب انصباب القطر

وقال

وقال ثمامة ما رأيت أحدا اذا تكلم لا يتحبس ولا يتوقف ولا يتلقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يترقب لفظا استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد اعتاص عليه بعد طلبه الا جعفر بن يحيى فمن الكلام الجارى مجرى السيل قول بعض العرب لبعض ملوك بنى أمية أقطعت فلانا أرضا وسط حلتنا وسوء خطتنا ومركز رماحنا ومنزل لقاحنا ومخرج نسائنا ومتقلب آبائنا ومسرح شبابنا ومصيفنا في صيفنا فقال تكفون وعوضه عنها وردها عليهم ويروى أن الامام أبا محمد الحسن ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله وسلامه عليهما خطب فقال اعلموا ان الحلم زين والوقار مروءة والصلف نقمة والاكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والقلق ورطة ومجالسة أهل الدناءة شين ومخالطة أهل الفسوق ريبة فهذه هى البلاغة التامة والبيان الكامل وكما قال بعضهم البلاغة صواب فى سرعة جواب والعى اكثار فى اهذار وابطاء فى دقة اخطاء وقال بعضهم است ممن يتوهم بجهله ويظن بقلة عقله ان الديانة والامانة والنزاهة والصيانة انما هى فى تشمير ثوبه واحفاء شاربه وكشفه عن ساقه وزهوه باطماره وانعال خفه وترقيع ثوبه واظهار سجادته وتعليق سبحته وخفض صوته وخضوع جسمه دون قلبه واختلاس مشيه وخفة وطئه بين قومه ولا يرتشى فى حكمه ويأخذ على علمه ويطلب الدنيا بدينه ولا يرفع طرفه من عظمته وكبريائه ولا يكلم الناس من تصنعه وريائه فهذا الكلام وأمثاله فى طول النفس يدل على اقتدار المتكلم وفضل قوته فى التصرف وقوله ويكون سليما من التكلف فالتكلف طلب الشئ بصعوبة للجهل فى طلبه بالسهولة فالكلام اذا جمع بتعب وجهد ونبؤوأتت ألفاظه من بعد فهو متكلف مثاله قول بعضهم فى دعائه اللهم ربنا والهنا صل على محمد نبينا ومن أراد بناسوأ فاحطط ذلك السوء به وارسخه به كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل وانصرنا على كل باغ وحسود كما انتصرت لناقة ثمود وقوله بريئا من سوء الصنعة فسوء الصنعة يتصرف على وجوه منها سوء التقسيم وفساده وقبح الاستعارة والتطبيق وفساد النسج والسبك الى غير ذلك مما سينبهك عليه لاحق الكلام وروى أنه قال بريئا من الصنعة فالصنعة النقصان من غاية الجودة والقصور عن حد الاحسان ويحكى ان النابغة لما دخل المدينة شرب وغناه المغنى قصيدته

أمن آل مية رائح أو مغتد * عجلان ذا زاد وغير مزود

وحركة رويها الكسرة فلما سمع قوله * وبذاك خبرنا الغراب الاسود * وقوله * عنم يكاد من اللطافة يعقد * استنكر ذلك وخرج من المدينة وهو يقول دخلت المدينة فوجدت في شعري صنعة فخرجت منها وأنا أشعر الناس وقوله فيه صنعة هو كقول الصانع اذا لم يتم عمله في شئ هذا الشئ لم يزل فيه شغل أي هو محتاج لان يصنع حتى يتم ويبلغ أحسن أحواله مثلا أحسن أحوال القصيدة ان تكون أبياتها جميعها متفقة الروى فقصيدة النابغة المذكورة محتاجة لتغيير تركيب البيتين حتى يوافق رويهما بقية القصيدة يقال انه غير قوله * وبذاك خبرنا الغراب الاسود * الى * وبذاك تنعاب الغراب الاسود * وهو فرار من عيب لا أشد منه فانك تقارن بين خبرنا وتنعاب فتجد الاولى صادرة عن مصدر شعر والثانية لم تجئ الا بالبحث والتكلف لها وقهرها في وضعها بغير مقرها وحكى انه كان ابن الاعرابي يأمر بكتب جميع ما يجرى في مجلسه فانشده رجل يوما أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب على انها لبعض العرب

سارية لم تكتحل بغمض * كدراء ذات هطلان محض

موقورة من خلة وحمض * تمضى وتبقى نعما لا تمضى *

قضت بها السماء حق الارض

فقال ابن الاعرابي اكتبوها فلما كتبوها قيل انها لحبيب بن أوس فقال خرق خرق لاجرم ان أثر الصنعة فيها بين وقال الفرزدق ان للقصائد مصنعا أي معابا ومنقصة وقوله بعيد من التعقيد فالتعقيد الاغلاق وهو استعمال الوحشى وتعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى فمن امثلة ذلك ما يحكى ان رجلا مرضت أمه فكتب رقاعا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام يطلب فيها ان يدعو الناس لامه وهذا ما كتب فيها صين امرؤ ودعا لامرأة مقسئنة قد منيت بأكل الطرموق فاصابها من أجله الاستمصال ان يمن الله عليها باطرغشاش وابرغشاش الطرموق الخفاش والاستمصال الاسهال واطرغش وابرغش اذا أبل وبرأ فكان كل من قرأ رقعته بالغ في لعنه ولعن أمه والتعليق كقول أبي تمام

جارى اليه البين وصل خريدة * ماشت اليه المطل مشى الاكبد

* يا يوم شرد يوم لهوى لهوه * بصبابتي واذل عز تجلدى

يوم أفاض جوى أغاض تعزيا * خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

وقوله

وقوله فالمجد لا يرضى بان ترضى بأن * يرضى امرؤ يرجوك الا بالرضى
وقول المتنبي

من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي * في القول حتى يفعل الشعراء

وبلغنا ان اسحق بن ابراهيم كان ينشد مثل هذا عند الحسن بن وهب فكان يقول له يا هذا انك تشدد على نفسك فكل ما كان من الكلام بهذه المثابة كان مذموما مردودا وكان السكوت خيرا منه وقوله غنيا عن التأمل أي هو مستغن لوضوحه عن تأمل معانيه وترديد النظر فيه كقول بعضهم لصديق له وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة ولا يزول سلطان الحشمة الا بالمؤانسة ومما يؤيد ما قلناه قول الجاحظ من أعاره الله عز وجل من معونته نصيبا وأفرغ عليه من محبته ذنوبا حبب اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أعفى المستمع من كد التلطف وأراح قارئ الكتاب من الفهم معناه انه يعفيه ويريحه من تعب ان يتطلب المراد بشدة النظر وكثرة التأمل حتى يعثر عليه ولبعضهم البلاغة التقريب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام وذلك بالقصد الى الايجاز في صواب والحجة وحسن الاستعارة ومثله قول آخر البلاغة تقريب ما بعد من الحكمة بأيسر الخطاب وتقريب المعنى البعيد بان يعمد الى المعنى اللطيف فيكشفه وينفي الشواغل عنه فيفهمه السامع من غير فكر فيه وتدبر له مثل قول الاول في امرأة

لم ندر ما الدنيا وما طيبها * وحسنها حتى رأيناها
انك لو أبصرتها ساعة * أجللتها ان تتمناها *

وقول بعضهم للملك من الملوك أما التعجب من مناقبك فقد نسخه تواترها فصارت كالشئ القديم الذى قد أنس به لا كالشئ البديع الذي يتعجب منه ومن هذا أخذ أبو تمام قوله

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقول آخر لبعض الملوك أيضا أخلاقك تجعل العدو صديقا وأحكامك تجعل الصديق عدوا وقال بعض القدماء لكل جليل له دقيقة ودقيقة الموت الهجر قال أبو هلال * وقلت اسم التفرق بين * لكن معناه موت * وجدانا كل شئ * اذا تباعدت فوت * وقوله والتباعد من حشو الكلام فالحشو يكون على ثلاثة أضرب اثنان منها مذمومان وواحد محمود فاحد المذمومين هو ادخالك في الكلام

لفظا لو أسقطته لكان الكلام تاما مثل قول الشاعر

أبعى فتى لم تذر الشمس طالعة * يوما من الدهر الا ضر أو نفعا

فقوله يوما من الدهر حشوا لا يحتاج اليه وقول بعض بنى عبس

أبعد بنى بكر أؤمل مقبلا * من العيش أو آسى على اثر مدبر

وليس وراء الصبر شئ يرده * عليك اذا ولى سوى الصبر فاصبر

أولاك بنو خير وشر كليهما * ومعرفة أنى أريد ومنكر *

قوله أريد زيادة وحشو وقوله كليهما يكاد يكون حشوا وكذلك قوله اذا ولى والضرب الآخر العبارة عن المعنى بكلام طويل لا فائدة فى طوله ويمكن أن يعبر عنه باقصر منه مثل قول النابغة

تبينت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

كان ينبغى لسبعة أعوام ثم يتمم البيت بما فيه فائدة قلت والذى أحوج النابغة لذلك ان العام السابع لم يتم وأما الضرب المحمود فكقول كثير

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

قوله وأنت منهم حشو الا انه مليح وهذا ما يسمى فى البديع اعتراضا ومن الكلام الذى لا حشو فيه قول صبرة بن سليمان حين دخل على معاوية مع الوفود فتكلموا فأكثروا فقال صبرة يا أمير المؤمنين انا حى فعال ولسنا حى مقال ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم قال معاوية صدقت ومن هذا قول الشاعر

ونجهل أيدينا ويحلم رأينا * ونشتم بالافعال لا بالتكلم

وكتب رجل لاخ له ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمى بشغلك يحدو على أذكارك ولآخر فى الناس طبائع سيئة فارتبط بمن زجحت محاسنه وقال الحسن رضوان الله عليه نعم الله على العبد أكثر من أن تشكر الا أن يعان عليها وذنوبه أكثر من أن يسلم الا ان يعفى له عنها قيل ومن البلاغة قرب المأخذ وتناول المعنى من قريب دون كدّ له وتعمل فى تحصيله وفى ذلك غرائب كالاتفاقيات يحكى ان الرشيد قال ليلة وهو فى ندمائه قد طلعت الثريا فقال واحد منهم كأنها عقد ريا وقال رجل برد الماء وطابا فقال آخر حبذا الماء شرابا وطال وقوف بشار بباب يعقوب فانشد

* طال الثواء على رسوم المنزل * فرفع ليعقوب فقال * فاذا تشاء أبا معاذ فادخل *

ومن قرب المأخذ أن الجاحظ أو غيره قال للجماز أنا اريد ان أنظر الى الشيطان فقال

انظر

انظر في المرآة وقال بعض الولاة لاعرابي قل الحق والا أوجعتك ضربا فقال وأنت فاعمل به فوالله لما أوعدك الله به منه أعظم مما أوعدتني به منك ومنه ان المأمون قال لام الفضل بن سهل بعد قتله اياه أتجزعين ولك ولد مثلي فقالت وكيف لا أجزع على ولد أفاد نيك وكانت أمه من الرضاعة ولابي حنيفة اذا أتتك معضلة فاجعل جوابها منها ومن ذلك ما يحكى ان عبد الملك دعا يوما بالغداء وبحضرته رجل فدعاه الى غدائه فقال ليس بي غداء قد تغديت يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك ما أقبح بالرجل ان يأكل حتى لا يكون فيه فضل للطعام فقال يا أمير المؤمنين فيّ فضل ولكن أكره ان آكل فأصير الى ما استقبحه أمير المؤمنين وقال محمد بن علي عليهما السلام البلاغة قول يفقه في لطف وفقه القول فهم حقيقته واللطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة وتؤنس به الافئدة المستوحشة وتلين به العريكة الابية المستصعبة وتبلغ به الحاجة وتقيم به الحجة فتخلص نفسك من العيب وتلزم صاحبك الذنب من غير ان تهيجه وتقلقه وتستدعي غضبه وتستبين حفيظته كقول بعض الكتاب لاخ له انفذ الى أبو فلان كتابا منك فيه درة من عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب ولك العتبى داعيا مستجابا له وعاتبا معتذرا اليه ولو شئت مع هذا ان أقول ان العتب عليك أوجب والاعتذار اليك ألزم لفعلت ولكني أسامحك ولا أشاحك وأسلم اليك ولا أرادك لان أفعالك عندي مرضية وشيمك لدي مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لاعرضت عما أومأت اليه وماعرضت مما بدأت وقلت

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

فانظر كيف خلص نفسه من الجرم وأوجبه لصاحبه في الطف وجه وألين مس ومن الكلام الذي يعطف القلوب النافرة قول آخر لاخيه زين الله ألفتنا بمعاودة صلاتك واجتماعنا بترادف زيارتك وأيامنا الموحشة بغيبتك برؤيتك توعدتني بالانتقام على اخلالي بمطالعتك وصنتني من عقوبتك على ما ابتدأت به من عدم مشاهدتك وقال علي كرم الله وجهه البلاغة ايضاح الملبسات وكشف عوار الجهالات وتستبين ذلك فيما يحكى عن المأمون وقد أحضر رجلا ارتد الى النصرانية بعد الاسلام فقال له ما أوحشك من الاسلام فقال كثرة الاختلاف فيكم فقال المأمون اما اختلافنا فمنه ما يكون كاختلافنا في الاذان وتكبير الجنائز والتشهد وصلاة الاعياد وتكبير

التشريق ووجوه القرآن واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وليس هذا باختلاف وانما ذلك توسعة وتخفيف من المحنة ومنه ما يكون كاختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الخبر عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان الذي أوحشك هو هذا حتى أنكرت هذا الكتاب فينبغي ان يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين النصارى اختلاف في شيء من التأويلات ولو شاء الله ان ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله كلاما لا يحتاج الى التفسير لفعل ولكنا لم نر شيئا من الدهر والدنيا دفع الينا على الكفاية ولو كان الامر كذلك لسقطت المحنة والبلوى وذهبت السابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل وليس على هذا بنى الله الدنيا فقال المرتد انك أمير المؤمنين حقا وقال ابن المقفع البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل والذي قاله أمر صحيح ولا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل وذلك ان الامر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيب وانما الشان في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير ليخفى موضع الاساءة ويغمض موضع التقصير وما أكثر ما يحتاج الكاتب الى هذا الجنس عند اعتذاره من هزيمة أو حاجته الى تغيير رسم أو رفع منزلة دني له فيه هوى أو حط منزلة شريف استحق ذلك منه الى غيرهما من عوارض أموره فاعلى رتب البلاغة ان يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود والمحمود حتى يصيره في منزلة المذموم وقد ذم عبد الملك بن صالح المشورة وهي ممدوحة بكل لسان فقال ما استشرت أحدا الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل مهيب في الصدور فاذا افتقرت الى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير واستخفك الكبير وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه ونصحائه قلت عبد الملك هذا أحد عقلاء بني العباس وبلغائهم وكان خليفة وقته هارون منحرفا عنه جدا لكثرة سعي بغضائه به وتفهيم الخليفة انه في عزمة ان يتغلب على الملك وانه بقوة بلاغته وحسن تصرفه في العقول قد وجد الاسباب الموصلة الى هذا الغرض وكانه قد لحقه عنده شؤم هذا الاسم الاموي فكان يحبسه ثم يحتج عن نفسه ويثبت براءته مما رمي به فيطلقه ويروى انه قال له مرة وفيه شاهد

على

على ما نحن فيه بلغنى ان فيك حقدا فقال له يا أمير المؤمنين ان كان الحقد بقاء الخير والشر فى قلبى لفاعليهما فأنا حقود فقال هارون ما سمعت مثل احتجاجك للحقد يعنى من المسلم الذى لا ينبغى ان ينازع فيه حسن تذكر الانسان ما صنع به من خير ليكافأ عليه بما أمكنه أو شر ليحترس من مثله ويجازى به ان اقتضت ضرورة ذلك ومدح بعضهم الموت فقال

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأكثروا * فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه * وفراق كل معاشر لا ينصف

وذلك باب واسع يرد عليك منه ان شاء الله تعالى وللناس فيه موضوعات ضمنوها شعرا ونثرا فى مدح الشئ وذمه كالتحف والظرف لابى منصور عبد الملك الثعالبى صاحب يتيمة الدهر انتهى ما أردت نقله من باب البلاغة وها أنا مثبت لك من باب الايجاز وما يقابله ما تتبين به حق التبين موضع كل منها والحجة لحسن كل واحد فى موضعه فن الكلام الدال على حسن الايجاز واختيار أهل البلاغة له ما نقله أبو هلال رحمه الله حيث قال قال أصحاب الايجاز الايجاز هو البلاغة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل فى باب الهذر والخطل وهما من أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة وفى تفضيل الايجاز يقول جعفر بن يحيى لكتابه ان قدرتم ان تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا وقال بعضهم الزيادة فى الحد نقصان وقال محمد الامين عليكم بالايجاز فان له افهاما وللاطالة استبهاما وقال شبيب بن شبة قليل كاف خير من كثير شاف وقال آخر اذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ولا خير فى شئ يأتى به التكلف وقيل لبعضهم ما البلاغة قال الايجاز قيل وما الايجاز قال حذف الفضول وتقريب البعد وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول لرجل كفاك الله ما أهمك فقال هذه البلاغة وسمع آخر يقول عصمك الله من المكاره فقال هذه البلاغة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وقيل لبعضهم لم لا تطيل الشعر قال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق وقيل لآخر لم لا تطيل شعرك فقال لست أبيعه مذارعة وقيل للفرزدق ما صيرك الى القصائد القصار بعد الطوال قال لانى رأيتها فى القلوب أوقع وفى المحافل أجول وقالت بنت الحطيئة لابيها ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لانها فى الآذان أجول وبالافواه أعلق وقال ابو سفيان لابن الزبعرى قصرت فى شعرك قال حسبك من الشعر غرة لائحة وسمة واضحة وقيل للنابغة

الذبيانى لم لا تطيل القصائد كما أطال صاحبك ابن حجر فقال من انتحل أسفر وقيل لبعض المحدثين مالك لا تزيد على أربعة واثنين فقال هى بالقلوب أوقع والى الحفظ أسرع وبالالسن أعلق وللمعانى أجمع وصاحبها أبلغ وأوجز وقيل لابن حازم ألا تطيل القصائد فقال

أبى لى ان أطيل الشعر قصدى * الى المعنى وعلمى بالصواب
وايجازى بمختصر قريب * حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعة وخمسا * مثقفة بالفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا * وما حسن الصبا بأخ الشباب
وكن اذا وسمن مسافرات * تهاداها الرواة مع الركاب

وقال أمير المؤمنين على رضوان الله وسلامه عليه مارأيت بليغا قط الا وله فى اللفظ ايجاز وفى المعانى اطالة وقيل لاياس بن معاوية مافيك عيب غير انك كثير الكلام قال أفتسمعون صوابا أم خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وليس كما قال لان للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال وصار سببا للملال فذلك الهذر والاسهاب والخطل وهو معيب عند كل لبيب وقال بعضهم البلاغة بالايجاز أنجع من البيان بالاطناب وقالوا المكثار كحاطب الليل وقيل لبعضهم من أبلغ الناس قال من جلا المعنى المتين باللفظ الوجيز وطبق المفصل قبل التحزيز مأخوذ من كلام معاوية وهو قوله لعمرو بن العاص لما أقبل أبو موسى ياعمرو انه قد ضم اليك رجل قصير اللسان طويل الرأى والعرفان فأقلل الحز وطبق المفصل ولا تلقه بكل رأيك فقال عمرو أكثر من الطعام مابطن قوم الا فقدوا بعض عقولهم ثم أورد أبو هلال بعد هذا الكلام أمثلة للايجاز منها قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقد أسلفنا تعريفك به وفضل العبارة على قرينتها من كلام العرب وهى القتل أنفى للقتل وقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وعقبه بقوله لا يوازى هذا الكلام فى الاختصار شئ وقوله ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم وقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا تحير فى فصاحته جميع البلغاء ولا يجوزان يوجد مثله فى كلام البشر وقوله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقوله ياأرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى الآية تتضمن مع الفصاحة والايجاز دلائل القدرة وقوله الا له الخلق والامر كلمتان

كلمتان استوعبتا جميع المكوّنات والمقدورات والموجودات والمعدومات وروى أن ابن عمر قرأها فقال من بقى له شئ فليطلبه وقوله فى صفة خمر أهل الجنة لا يصدعون عنها ولا ينزفون فقوله لا ينزفون انتظم عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب وانحلال القوى وفساد الصحة وانقطاع الاخوة والمودة بالآخرة وقوله تعالى أولئك لهم الأمن دخل تحت الامن جميع المحبوبات لانه نفى به ان يخافوا شيئا أصلا من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك من أصناف المكروه فلا ترى كلمة أجمع من هذه وقوله تعالى والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس انتظم جميع أنواع التجارات وصنوف المرافق التى يبلغها الحد والاحصاء ومثله قوله ليشهدوا منافع لهم تضمن جميع منافع الدنيا والآخرة وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء وقوله تعالى كل أمر مستقر ثلاث كلمات اشتملت عواقب الدنيا والآخرة وقوله وله ماسكن فى الليل والنهار وقوله جل وعز خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فجمع جميع مكارم الاخلاق بأصلها لان فى العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات والتبرؤ من كل قبيح اذ لا يجوز ان يأمر بالمعروف وهو وملابس شئ من المنكر وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوقع فى الذم ويسقط القدر وقوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها فدل بشيئين على جميع ما أخرجه من الارض قوتا ومتاعا للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والملح وغير ذلك والشاهد على انه أراد ذلك كله قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم وقوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فانظر هل يمكن أحدا من أصناف المتكلمين ايراد هذه المعانى فى مثل هذا القدر من الالفاظ وقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين جمع الاشياء كلها حتى لا يشذ منها شئ على وجه وقوله تعالى وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين جمع فيه من نعم الجنة مالا تحصره الافهام ولا تبلغه الاوهام وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحة والفراغ نعمتان وقوله عليه الصلاة والسلام نية المرء خير من عمله قلت وهذا من أمثلة المبالغة فانه نبه على عظم أمر النية بتفضيلها على العمل وظاهر انه أفضل اذ هو المستتبع للمنافع المرادة فمآل الكناية تعظيم شأن النية وحينئذ فلاحيرة فى تفسير الخبر

ولا يصح ان يقال ان معناه النية فرد من افراد العمل وخير من الخيرات وان لفظ خير ليس اسم تفضيل وقوله ترك الشر صدقة وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أعطاك الله خيرا فليبن وأبدأ بمن تعول وارتضخ من الفضل ولا تعجز عن نفسك ويروى وأبدأ بنفسك ثم بمن تعول وهو مثل قوله ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقوله لا تعجز عن نفسك أى لا تغلبك نفسك بما ركب فيها من الشح فتكون لها مقهورا قليل الثقة وقول اعرابى اللهم هب لى حقك وارض عنى خلقك وقول آخر يمدح قوما أولئك قوم جعلوا أموالهم مناديل لاعراضهم فالخير بهم زائد والمعروف لهم شاهد أى يقون اعراضهم بأموالهم ولآخر يمدح انسانا انه يعطى عطاء من يعلم ان الله مادته وقول آخر أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحى من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك وقول آخر ان شككت فى شئ فسل قلبك عن قلبى ثم اتبع ذلك بايراد أمثلة للمساواة فمنها قوله تعالى حور مقصورات فى الخيام وقوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى بخير مالم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما وقوله عليه السلام اياك والمشارة فانها تذهب الغرة وتظهر العرة ومن نثر الكتاب قول بعضهم سألت عن خبرى فأنا فى صحة وعافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لامزيد فيها الا بك واستصوب اطراح لفظ الفقد وماشاكله من الكلام فتقول مثلا لا عيب فيها الا بعدك أو غيبتك وقول آخر قد علمتنى نبوتك سلوتك واسلمنى يأسى منك الى الصبر عنك وقول آخر حفظ الله النعمة عليك وفيك وتولى اصلاحك والصلاح لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك وقول آخر يئست من صلاحك وأخاف من فسادى بك وقول آخر قد أطنب فى ذم الحمار من شبهه به ومن المنظوم قول طرفة

سيبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقول آخر

تهدى الامور بأهل الرأى ماصلحت * وان تولت فبالاشرار تنقاد

وقول آخر

أهابك اجلالا ومابك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

وماهجرتك النفس انك عندها * قليل ولكن قل منك نصيبها

وقول آخر

فاما

فأما الذى يحصيهم فكثر * وأما الذى يطريهم فقال

أى كثروا عددا وقلوا مددا فهو كقول الآخر

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

وقول آخر

أصد بأيدى العيس عن قصد أرضها * وقلبى إليها بالمودّة قاصد

وقول الآخر

يقول أناس لا يضيرك فقدها * بلى كل ما شف النفوس يضيرها

وقول آخر

يطول اليوم لا ألقاك فيه * وحول نلتقى فيه قصير

وقالوا لا يضيرك نأى شهر * فقلت لصاحبى فمن يضير

قال أبو هلال قوله لصاحبى يكاد يكون فضلا قلت ولو قال الشاعر ونأى شهر لا يضير على معنى الاستفهام الانكارى والتعجب من قولهم لكان موافقا لاحتقار نأى الشهر فان زعمهم ان نأى شهر لا يضير أحدا لا أنه لا يضيره دون غيره ثم عقب ذلك بان أورد من أمثلة ايجاز الحذف قوله تعالى واسأل القرية أى أهلها وقوله وأشربوا فى قلوبهم العجل أى حبه وقوله الحج أشهر معلومات أى وقت الحج وقول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال أذلة * سواسية احرارها وعبيدها

أى أهل مجلس وسواسية جمع سواء وقول آخر

تراه كان الله يجدع أنفه * وعينيه ان مولاه بات له وفر

أى ويفقأ عينيه وقول آخر

اذا ما الغانيات برزن يوما * وزججن الحواجب والعيونا

أى وكحلن العيونا وقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أى لكان هذا القرآن وقوله أيضا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم أى لعذبكم وقول الشاعر

وأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أى لرددناه وقول رجل وقد سئل عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لم يقل فيه مستتر يد لو انه انه جمع الحلم والعلم والسلم والقرابة القريبة والهجرة القديمة وهو البصير بالاحكام والبلاء العظيم فى الاسلام أى لو انه كان كذا وكذا الامور يرى انها فاتته وقول آخر

مازلت امتطى النهار اليك واستدل بفضلك عليك حتى اذا جننى الليل فقبض البصر ومحا الاثر أقام بدنى وسافر أملى والاجتهاد عاذر واذا بلغتك فقط ومن الحكايات المشتملة على كلام يتضمن أمثلة لايجاز الحذف ما يحكى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدا فقال يا أخى لقد هممت ان أقتل الوليد بن عبد الملك فقال خالد بئس والله ماهممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال ان خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فيها فقال أنا أكفيك فدخل على عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين مرت به خيل لابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره فيها وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحنا فقال خالد فعلى الوليد تعوّل فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد ان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له عبد الملك اسكت ياخالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال من للعير والنفير جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت فقوله أفعلى الوليد تعوّل أى فانه أسوأ حالا فى ذلك من عبد الله وقوله فان أخاه سليمان أى وهو لا يلحن وقوله فان أخاه خالد أى وهو كما تعرف وقوله لاتعد فى العير ولا فى النفير مثل فى الاحتقار معناه انه ليس بشئ يذكر وأصله كما صرف الكلام اليه خالد عن التمثل انه لما سمع أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم ان يتلقى ركب تجارتهم عند قدومه من الشام وهو العير وكان رئيسه أبا سفيان صخر بن حرب أبا معاوية خرجوا بأجمعهم ورئيسهم عتبة بن ربيعة ليمنعوا تجارتهم وهو المسمى بالنفير فكانت غزوة بدر الشهيرة وقوله لو قلت غنيمات وجبيلات الى آخره اشارة لقصة وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم نقم على الحكم أبى مروان وجد عبد الملك أمورا فنفاه الى الطائف وأقام هنالك يعيش فى قطعة من الغنم بقية مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتى أبى بكر وعمر ورده الى المدينة عثمان ابن عفان رضى الله عنه فى خلافته وكان ذلك من الحجج التى تمسك بها المسلمون اذذاك على اساءة عثمان رضى الله عنه واذا أحسنت النظر وتفهم المعانى وما تستدعيه

من

من الالفاظ لم يصعب عليك ان تتبين محل القرائن الحالية واللفظية ونيابتها عن ذكر بعض ما تقتضيه المعانى كلمة كان أو اكثر وبهذا القدر مع ماسلف من فن المعانى تجد فى نفسك مادة لاتقان معرفة الايجاز بنوعيه والمساواة وموضع كل ثم هاك بعض ماقيل فى الاطناب قال أبو هلال قال أصحاب الاطناب المنطق انما هو بيان والبيان لايكون الا بالاشباع والشفاء لايقع الا بالاقناع وأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده احاطة بالمعانى ولا يحاط بالمعانى احاطة تامة الا بالاستقصاء والايجاز للخواص والاطناب مشترك فيه الخاص والعام والغبى والفطن ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية فى افهام الرعايا والقول القصد ان الاطناب والايجاز كما اعترف به مادحو الاطناب يحتاج اليهما فى جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع والحاجة الى الايجاز فى موضعه كالحاجة الى الاطناب فى مكانه فمن أزال التدبير فى ذلك عن جهته واستعمل الاطناب فى موضع الايجاز أخطأ كما روى عن جعفر بن يحيى انه قال مع عجبه بالايجاز حيث يقول كما سلف لكتبته ان استطعتم ان تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا أى وجيزة مثل التوقيعات وهى العبارات التى تكتب عن السلطان أو نوابه على القصص لاجراء مافيها فانه كما جرت العادة يختار لها أوجز العبارات فربما كان التوقيع كلمة أو كلمتين متى كان الايجاز أبلغ كان الاكثار عيا ومتى كانت الكتابة فى موضع الاكثار كان الايجاز تقصيرا وأمر يحيى بن خالد اثنين ان يكتبا كتابا فى معنى واحد فأطال أحدهما واختصر الآخر فقال للمختصر وقد نظر فى كتابه ما أرى موضع مزيد وقال للطيل ما أرى موضع نقصان قلت لا معنى لايراد أبى هلال هذه الحكاية فى هذا الموضع اذ غرضه تمييز موضع كل من الايجاز والاطناب ويؤخذ من هذا الكلام انه ربما كان المعنى موضعا لاختلاف الرأى والذوق فبعض يرى حسن الاطناب وآخر حسن الايجاز وربما استدعى المعنى أحدهما فقط فيكون الكاتب أو المتكلم أسيرا لذلك الاستدعاء وقال غيره البلاغة الايجاز فى غير عجز والاطناب فى غير خطل ولا شك ان الكتب الصادرة عن السلاطين فى الامور الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة أو الترغيب فى الطاعة والنهى عن المعصية سبيلها ان تكون مشبعة مستقصاة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب فمن هنا ترى ان ما كتبه المهلب بن أبى صفرة الى الحجاج فى فتح الازارقة الحمد لله الذى كفى بالاسلام فقد ماسواه وجعل الحمد متصلا بنعمته وقضى ان لاينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه ثم انا كنا

وعدونا على حالين مختلفين نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوؤنا ويرون فينا ما يسوؤهم أكثر مما يسرهم دأبنا ودأبهم ينصرنا الله ويخذلهم ويمحصنا الله ويمحقهم حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين انما حسن في موضعه ومع الغرض الذي كان لكاتبه وهو تعجيل البشرى للسلطان بسلامة لعسكره وفي عدوه وذلك القدر كاف وأما اذا كتب مثله في فتح يوازي ذلك الفتح في جلالة القدر ونباهة الخطر وقد تطلعت أنفس الخاصة والعامة اليه وتصرفت ظنونهم فيه وورد عليهم مثل هذا القدر من الكلام في أقبح صورة وأسمجها وأشوهها وأهجنها وكان حقيقا ان يتعجب منه ومن الوجيز في موضعه ما كتب به بعض ملوك بني أمية لرجل تأخر عن البيعة أما بعد فاني أراك تقدم في الطاعة رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت وما كتب به جعفر بن يحيى لعامل كثرت منه الشكوى قد كثر شاكوك فاما عدلت واما عزلت وما كتب به آخر لوالي خراج ظهر منه تحامل على الرعية أما بعد فان الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور وقال الخليل بن أحمد يختصر الكلام ليحفظ ويبسط ليفهم ومن هنا وضع الناس في العلوم متونا وشروحا وقيل لابي عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم كانت تطيل ليسمع منها وتوجز ليحفظ عنها والاطناب اذا لم يكن منه بد وجب وهو في المواعظ خاصة محمود ممدوح زيادة والموعظة كقول الله تعالى أفأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فتكرير ما كرر من الالفاظ ههنا في غاية حسن الموقع وقيل لبعضهم متى يحتاج الى الاكثار فقال اذا عظم الخطب وأنشد

صموت اذا ما الصمت زين أهله * وفتان أبكار الكلام المحبر

وقال آخر

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خشية الرقباء

وقال بعضهم

اذا ما ابتدا خاطبا لم يقل * له أطل القول أو أقصر
طبيب بداء فنون الكلا * م لم يعي يوما ولم يهذر
فان هو أطنب في خطبة * قضى للمطيل على المقصر

وان

وان هو أوجز فى خطبة * قضى للقل على المكثر

ووجدنا الناس اذا خطبوا فى الصلح بين العشائر أطالوا واذا أنشدوا الشعر بين السماطين فى مديح الملوك أطنبوا والاطالة والاطناب فى هذه المواضع ايجاز وقيل لقيس بن خارجة ماعندك فى حمالات ذات حسن قال عندى قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة من لدن مطلع الشمس الى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى عن التقاطع وقد رأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والاعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى فاذا خاطب بنى اسرائيل أوحكى عنهم جعل الكلام مبسوطا فمما خاطب به أهل مكة ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقوله تعالى اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض واشباه هذا كثيرة وقلما تجد قصة لبنى اسرائيل الا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم وكلام الفصحاء انما هو شوب الايجاز بالاطناب والفصيح العالى بما دون ذلك ليستدل به عليه وليخرج السامع من شئ الى شئ ويزداد نشاطه وتتوفر رغبته فتصرفوا فى وجوه الكلام ايجازه واطنابه حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع وقد جاء فى القرآن وفى فصيح الشعر منه شئ كثير فمن ذلك قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فتكرر للتوكيد كما يقول القائل ارم ارم اعجل اعجل وقد قال الشاعر

كم نعمة كانت لكم * كم كم وكم

وقال آخر

هلا سألت جموع كنـ * ـدة يوم ولت أين أينا

وربما جاؤا بالصفة وأرادوا توكيدها فكرهوا اعادتها ثانية فغيروا منها حرفا ثم أتبعوها الاولى كقولهم عطشان نطشان كرهوا ان يقولوا عطشان عطشان فأبدلوا من العين نونا وكذلك قالوا حسن بسن وشيطان ليطان وأشباه هذا كثيرة فقد كرر الله جلت قدرته فى سورة الرحمن قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وذلك ان الله تعالى عدد فيها نعماءه واذكر عباده آلاءه ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه اليهم منها وقد جاء مثل ذلك عن أهل الجاهلية قال مهلهل فى شعره * على ان ليس عدلا فى كليب * وكررها فى اكثر من عشرين بيتا

وهكذا قول الحارث بن عباد * قربا مربط النعامة مني * كررها في أكثر من ذلك لما كانت الحاجة الى التكرير ماسة والضرورة اليه داعية لعظم الخطب وشدة موقع الفجيعة فهذا يدل على ان الاطناب عندهم مستحسن كما ان الايجاز في مكانه مستحب ولا بد للكاتب في اكثر أنواع مكاتباته من شعب من الاطناب يستعملها اذا أراد المزاوجة بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه وذلك مثل ان يكتب عظمت نعمنا عليه وتظاهر احساننا لديه فيكون الفصل الاخير داخلا معناه في الفصل الاول وقال مروان آخر ملوك بني أمية وقد أحاط به أعداؤه لخادمه باسل من أغفل القليل حتى يكثر والصغير حتى يكبر والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا وهذا كلام في غاية الحسن وان كان معنى الفصلين الاخيرين داخلا في الفصل الاول وقال أبو تمام

رب خفض تحت السرى وغناء * من عناء ونضرة من شحوب

الغناء داخل في الخفض والعناء داخل في السرى ومما هو أجدى من ذلك كله قول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والاحسان داخل في العدل وايتاء ذي القربى داخل في الاحسان والفحشاء داخلة في المنكر والبغي والمنكر داخلان في الفحشاء وهذا يدل على أن عظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ لان المعاني اذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول وكانت الالفاظ مختارة حسن الكلام واذا كانت المعاني مرتبة حسنة والمعارض سيئة كان الكلام مردودا فاعتمد على ما مثلته لك وقس عليه ومن الله الهداية وقال أبو هلال في باب القول عن مبادي الكلام ومقاطعه والخروج من فصل الى فصل قال بعض الكتاب احسنوا معاشر الكتاب الابتداآت فانهن دلائل البيان وقالوا ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير منه ويستجفى من الكلام والمخاطبة كالبكاء ووصف اقفار الدار وتشتت الألاف ونعي الشباب لاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني وتستعمل ذلك في المراثي ووصف الخطوب الحادثة فان الكلام اذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه دون الممدوح مثل ابتداء ذي الرمة

ما بال عينيك منها الماء ينسكب * كانه من كلى مفرية سرب

وكان بعيني عبد الملك علة يدمعان منها فقال له ما لك وهذا يا بغيض وقد أنكر الفضل البرمكي على أبي نواس * أربع البلى ان الخشوع لباد * فلما انتهى الى قوله

سلام

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بنى برمك من رائحين وغادى

استحكم تطيره وقيل انه لم يمض أسبوع حتى نكبوا واقات واذا كان هذا الشعر من أبى نواس مقصودا ان يكون على هذا النحو وانه به مأمور تعجيلا لاساءتهم ومبادرة بتنغيص حياتهم واشعارهم بعزيمة الانتقام منهم كما قيل ذلك لم يكن مثالا لما نحن فيه وحكى انه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذى كان للعباسة جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج وجعل سريره فى الايوان المنقوش بالفسافس الذى كان فى صدره صورة العنقاء فجلس على سرير مرصع بانواع الجوهر وجعل على رأسه التاج الذى كانت فيه الدرة اليتيمة وفى الايوان أسرة أبنوس عن يمينه وعن يساره من عند السرير الذى عليه المعتصم الى باب الايوان فكلما دخل رجل رتبه هو بنفسه فى الموضع الذى يليق به فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذنه اسحاق بن ابراهيم الموصلى فى النشيد فأذن له فانشده شعرا ما سمع الناس أحسن منه فى صفته وصفة المجلس الا ان أوله تشبيب بالديار القديمة وبقية آثارها فكان أول بيت منها

يا دار غيرك البلى ومحاك * يا ليت شعرى ما الذى ابلاك

فتطير المعتصم من ذلك وتغامز الناس وعجبوا كيف ذهب على اسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك قال راوى الحكاية فأقمنا يوما وانصرفنا فما عاد منا اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر وأنشد البحترى أبا سعيد قصيدة أولها

لك الويل من ليل تطاول آخره * ووشك نوى حى تزم أباعره

فقال أبو سعيد بل الويل والحرب لك فغيره وجعله الويل وهو ردىء أيضا وأنشد أبو مقاتل الداعى

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

فأوجعه الداعى ضربا ثم قال هلا قلت * ان تقل بشرى فهذى بشريان * ولم يجزه وقال جائزته تحسين أدبه فان أراد أن يذكر دارا فليذكرها كما ذكر الخزيمى

ألا يا دار دام لك الحبور * وساعدك الغضارة والسرور

وكما قال أشجع

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام

وقالوا أحسن ابتدا آت الجاهلية قول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر

أيتها النفس اجملي جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية اسلامية ابتداء قول أبي تمام

أصم بك الناعي وان كان أسمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى ووقف واستوقف وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * فهو من أجود الابتدا آت وكرره فى مطلع قصيدة أخرى وهو قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * وربع عفت آياته منذ أزمان

وهو أحسن وأتم من الاول ومن احكم ابتدا آت العرب قول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وقال بعضهم احكم ابتدا آتهم قول لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

ومن جياد ابتدا آت الجاهلية قول النابغة

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل * وكيف تصابى المرء والشيب شامل

قالوا وكان عبد الحميد لا يبتدئ بلولا ولا ان رأيت وقد جعل الناس قول أبي تمام

* يا بعد غاية دمع العين ان بعدوا * من جياد الابتداء وقوله

* سعدت غربة النوى بسعاد * وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء فقال من يتفقد الابتداء والمقطع وانما نظر أبو العميثل فى قصيدة أبي تمام

* هن عوادى يوسف وصواحبه * فاسترذل ابتداأها واسقط القصيدة كلها حتى راجعه أبو تمام واوقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر وأجازه قلت أبو العميثل هذا كان من علماء الشعراء المقيمين فى خدمة عبد الله بن طاهر وهو أمير خراسان اذ ذاك وكان الشعراء يقصدونه من الجهات البعيدة بمدائح يبتغون

جوائزه

جوائزه ولكن لم يكن ليسمع شعرا حتى يسمعه أبو العميثل وأصحابه فان استجادوه أبلغوه الامير واثنوا على صاحبه فجبره وان لم يستجيدوه ردوه صفر اليدين ومن عيون أبيات هذه القصيدة قوله فى صفة مشقة السفر وعلو همة الركب

وركب كامثال الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

وقوله فى صفة الجمل بالنحول والهزال من شدائد السفر فى الفيافى

رعته الفيافى بعد ما كان حقبة * رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

ولابى تمام ابتدا آت كثيرة تجرى هذا المجرى منها قوله

قدك اتئب أربيت فى الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائى

تفسير هذا البيت انه عدد الالفاظ الصادرة من العذال على سبيل التعجب والاستهزاء وهى قولهم قدك أى حسبك اتئب وأصله أوتئب أى استحِ أربيت فى الغلواء أى زدت فى الغلو والتغرير بنفسك فى أمر العشق ثم التفت الى العذال فقال يخاطبهم كم تعذلون وأنتم سجرائى أى خلطائى جمع سجير بمعنى مشاجر ومن الابتدا آت البديعة قول مسلم

أجررت ذيل خليع فى الصبى غزل * وشمرت همم العذال فى عذلى

والابتداء اول ما يقع فى السمع من كلامك والمقطع آخر ما يبقى فى النفس من قولك فينبغى أن يكونا جميعا مرتقبين وقد استحسن لبعض المتأخرين يعنى المتنبى ابتداءه

* اريقك ام ماء الغمامة أم خمر * وله بعد ذلك ابتدا آت المصائب وفراق الحبائب منها قوله

هذى برزت لنا فهجت رسيسا * ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

وقوله * جللا كما بى فليك التبريح * وقوله * أحاد أم سداس فى أحاد * وقوله

لجنية ام غادة رفع السجف * لوحشية لا ما لوحشية شنف

قلت وهذه القصيدة يقولها فى مدح قاض فقيه ومنها وفيه قبح الاستعارة وسوء العبارة قوله

فقيه رست للعلم فى أرض صدره * جبال جبال الارض فى جنبها قف

وقوله

في الخد إن عزم الخليط رحيلا * دمع تزيد به الخدود محولا

قال اسماعيل بن عباد ان المحول في الخدود من البديع المزور فهذه وماشا كلها ابتداآت لاخلاق لها واذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا كان داعية لاستماع مايجيء بعده من الكلام ولهذا المعنى يقول الله تعالى الم وحم وطس وطسم وكهيعص فيقرع أسماعهم بشئ بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى الاستماع وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر هذا وقال أبو هلال في بيان وجوب الاعتناء بمواضع فصل كلام من كلام ووصل الكلام بعضه ببعض قيل للفارسي ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقال المأمون لبعضهم من أبلغ الناس قال من قرب الامر البعيد المتناول والصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة قال ماعدل سهمك عن الغرض ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته ولا يجيل الفكرة في اختلاس ماصعب عليه من الالفاظ ولا يكره المعاني بانزالها في غير منازلها ولا يتعمد الغريب الوحشي ولا الساقط السوقي والبلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام فقد استحسن المامون الجواب ولكنه عرفه انه غير مقنع فساق له ماعنده وينبغي أن يكون الجواب وصفة ابلغ الناس وقال أبو العباس السفاح لكاتبه قف عند الكلام وحدوده واياك ان تخلط المرعي بالهمل ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل من الوصل وقال الاحنف بن قيس مارأيت رجلا تكلم فاحسن الوقف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده الا أبا عمرو ابن العلاء كان اذا تكلم تفقد مقاطع الكلام وأعطم حق المقام وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقفا يحول بينه وبين بغيته من الالفاظ وكان كثيرا ماينشد

اذا مابدا فوق المنابر قائلا * أصاب بما يومي اليه المفاصلا

وحكى ان شبيب بن شبة كان يوما قاعدا بباب المهدي فاقبل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي فلما رآه شبيب قال أتاكم والله كليم الناس فلما جلس قال شبيب تكلم يا أبا العباس فقال أمعك يا أبا معمر وأنت خطيبنا وسيدنا قال نعم والله مارأيت قلبا أقرب من لسان من قلبك من لسانك قال في أي شئ تحب أن أتكلم قال واذا شيخ يتوكأ على عصا قال صف لنا هذه العصا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم ذكر السماء فقال رفعها الله بغير عمد وجعل فيها نجوم رجم ونجوم اهتداء وأدار فيها سراجا وقمرا منيرا لتعلموا عدد السنين

السنين والحساب وأنزل منها ماء مباركا أحيا به الزرع والضرع وأدرّ به الاقوات وحفظ به الارواح وأنبت منها أنواعا مختلفة يصرفها من حال الى حال تكون حبة ثم يجعلها عرقا ثم يقيمها على ساق فبينا تراها خضراء ترف اذ تراها يابسة تنقصف لينتفع بها العباد وتعمر بها البلاد ثم جعل من يبسها هذه العصا ثم أقبل على الشيخ وقال وكان هذا نطفة فى صلب أبيه ثم صار علقة حين خرج منه ثم مضغة ثم عظما ولحما فصار جنينا أوجده الله بعد عدم وأنشأه من بدء وقفه مكتهلا ونقضه شيخا الى ان صار الى هذه الحال من الكبر فاحتاج الى هذه العصا فى آخر حالاته فتبارك المدبر للعباد قال شبيب فما سمعت كلاما على بديهة أحسن منه وقال معاوية يا أشدق قم عند قروم العرب وحجاجها فسل لسانك وجل فى ميادين البلاغة وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال فانى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على بن أبى طالب عليه السلام كتابا فكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صرمته ولما أقام أبو جعفر المنصور صالحا خطيبا بحضرة شبيب بن شبة واشراف قريش فتكلم أقبل شبيب فقال يا أمير المؤمنين مارأيت كاليوم أبين بيانا ولا أربط جنانا ولا أفصح لسانا ولا أبل ريقا ولا أغمض عروقا ولا أحسن طريقا الا ان الجواد عسير لم يرض فحملته القوة على تعسف الاحكام وخبطها وترك الطريق اللاحب وأيم الله لو عرف فى خطبته مقاطع الكلام لكان أفصح من نطق بلسان وقال المأمون ما أعجب بكتاب أحد كاعجابى بكتاب القاسم ابن عيسى فانه يوجز فى غير عجز ويصيب مقاطع الكلام ولا تدعوه المقدرة الى الاطناب ولا تميل به الغزارة الى الاسهاب يحلى عن مراده فى كتبه ويصيب المغزى فى ألفاظه وكان يزيد بن معاوية يقول اياكم ان تجعلوا الفصل وصلا فانه أشد وأعيب من اللحن وقال أكثم بن صيفى كانت ملوك الجاهلية تقول لكتابها افصلوا بين كل منقضى معنى وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض وكان الحارث بن أبى شمر الغسانى يقول لكاتبه المرقش اذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الالفاظ فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان تمذق به نفرت القلوب عن وعيه وملته الاسماع واستثقلته الرواة وكان بزرجمهر يقول اذا مدحت رجلا وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلا حتى يعرف المدح من الهجاء كما تفعل بكتبك اذا استأنفت القول فاكملت ماسلف من اللفظ وقال الحسن بن وهب لكاتبه الحرانى ما منزلة الكاتب فى قوله وفعله قال ان يكون مطبوعا محتنكا بالتجربة عالما بحلال

الكتابة وحوامها وسنتها وبالدهور في تداولها وتصرفها وبالملوك في سيرها وأيامها مع مراعاة اللفظ وحسن التنسيق وتأليف الاوصال بمشاكلة الاستعارة وشرح المعاني حتى تنصب صورها وبمقاطع الكلام ومعرفة الوصل من الفصل فاذا كان كذلك فهو كاتب مجيد والقول اذا استكمل آلته واستتم معناه فالفصل عنده وقال المأمون ماأتفحص من رجل شيئا كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه والتخلص من المعقود الى المحلول فان لكل شئ جمالا وحلية الكتاب وجمالها ايقاع الفصل في موقعه وشحذ الفكرة واجالتها في لطف التخلص من المعقود الى المحلول ومعنى المعقود والمحلول هاهنا هو أنك اذا ابتدأت بمخاطبة ثم لم تنته الى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمي الكلام معقودا فاذا شرحت المستور وأبنت عن الغرض المنزوع اليه سمي الكلام محلولا مثال ذلك ما كتب بعضهم وجرى لك من ذكر ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة وبعد الهمة والذكر وكمال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياطة أهل الدين والادب وانجاد عظيم الحق وتضعيف السبب مالايزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد لك ويؤثر عنك فالكلام من أول الفصل الى قوله تضعيف السبب معقود فلما اتصل بما بعده صار محلولا وما كتب بعضهم ربما كانت مودة السبب أوكد من مودة النسب لان المودة التي تدعو اليها رغبة أو رهبة أو شكر نعمة أو مشاركة في صنعة أو مناسبة لمشاكلة مودة معروفة وجوهها موثوق بخلوصها فتؤكدها بحسب السبب الداعي اليها ودوامها بدوامه واتصالها باتصاله ومودة القربى موات وان أوجبتها اللحمة فهي مشوبة بحسد ونفاسة وبحسب ذلك يقع التقصير فيما توجبه الحال والاضاعة لما يلزم من الشكر والله يعلم اني أودك مودة خالصة لم تدع اليها رغبة فيزيلها استغناء ولا اضطر اليها رهبة فيقطعها أمن منها وان كنت مرجوا للرهبات بحمد الله تعالى ومقصدا من مقاصد الرغبات وكهفا وحرزا من الموبقات فهذا الكلام معقود الى قوله لمشاكلة فلما اتصل بما بعده صار محلولا وقال بعضهم انظر سددك الله ان لا تدعوك مقدرتك على الكلام الى اطالة المعقود فان ذلك فساد ما كننته في صدرك وأردت تضمينه كتابك واعلم ان اطالة المعقود تورث نسيان ما عقدت عليه كلامك وأرهنت به فكرك وكان شبيب بن شبة يقول لم أر متكلما قط أذكر لما عقد عليه كلامه ولا أحفظ لما سلف من نطقه من خالد بن صفوان يشبع المعقود بالمعاني التي يصعب الخروج منها الى غيرها ثم يأتي بالمحلول واضحا

واضحا بينا مشروحا منثورا فكان السامع لا يعرف مغزاه ومقصده فى أوّل كلامه حتى يصير الى آخره وقال بعضهم ليس يحمد من القائل ان يعمى معرفة مغزاه على السامع لكلامه فى أوّل ابتدائه حتى ينتهى الى آخره بل الاحسن ان يكون فى صدر كلامه دالا على حاجته ومبينا المغزاه ومقصده كما ان خير ابيات الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته وكان شبيب بن شبة يقول الناس موكلون بتعظيم جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتعظيم جودة المقطع وبمدح صاحبه وخير الكلام ما وقف عنده مقاطعه وبين موقع فصوله ومثال ما لم يبين موضع الفصل فيه فأشكل الكلام قول شاعر يهجو ويمدح

وأبوك بدر كان ينتهش الخصى * وأبى الجواد ربيعة بن قتال

فقال المهجوّ لا بأس شيخان اشتركا فى صفة وقلما رأينا بليغا الا وهو يقطع كلامه على معنى بديع أو لفظ حسن رشيق قال لقيط فى آخر قصيدته

لقد محضت لكم ودى بلا دخل * فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا

فقطعها على كلمة حكمة عظيمة الموقع ومثله قول امرئ القيس

ألا ان بعد العدم للمرء قنوة * وبعد الشباب طول عمر وملبسا

فقطع القصيدة أيضا على حكمة بالغة وقال أبو زبيد الطائى فى آخر قصيدة

كل شئ يحتال فيه الرجال * غير ان ليس للمنايا احتيال

وقال أبو كبير الهذلى

هذا وذلك ليس الا ذكره * واذا مضى شئ كان لم يفعل

فينبغى ان يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل فى المعنى الذى قصدت له فى نظمها كما فعل ابن الزبعرى فى آخر قصيدة يعتذر فيها الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ويستعطفه

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت * واقبل تضرع مستضيف ثابت

فجعل نفسه مستضيفا ومن حق المستضيف ان يضاف فاذا أضيف فمن حقه ان يصان واعدا بالثبات الذى مدار الامر عليه مخبرا بصدق عزيمته جعل العفو عنه فضيلة فجمع ما يحتاج اليه فى طلب وقول تأبط شرا فى آخر قصيدة

لتقرعن على السن من ندم * اذا تذكرت يوما بعض اخلاقى

هذا البيت أجود بيت فيها لطفه وحسن معناه وأحق ما يختم كلام فى عتاب

ومثله قول الشنفرى فى آخر قصيدة

وانى لحلو إن أريدت حلاوتى * ومر اذا نفس العزوف أمرت
أبى لما آبى قريب مقادتى * الى كل نفس تنتحى فى مسرتى

وهذان البيتان أجود ما ضربه فى هذه القصيدة وقال بشر بن أبى حازم فى آخر قصيدة

ولا ينجى من الغمرات الا * براكاء القتال أو الفرار

فقطعها على مثل سائر والامثال أحب الى النفوس لحاجتها اليها عند المحاضرة والمجالسة وقال الهذلى

عصاك الاقارب فى أمرهم * فزايل بأمرك أو خالط
ولا تسقطن سقوط النوا * ة من كف مرتضخ لاقط

فقطعها على تشبيه مليح ومثل حسن وهكذا يفعل الكاتب الحاذق والمترسل المبرز الاترى ما كتب الصاحب فى آخر رسالة له فان حنثت فيما حلفت فلا خطوت لتحصيل مجد ولا نهضت لاقتناء حمد ولا سعيت الى مقام فخر ولا حرصت على علو ذكر وهذه اليمين لو سمعها عامر بن الظرب أحد مشاهير قضاة العرب لقال هى الغموس لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فأتى بأيمان غريبة ومعان ظريفة وكتب أيضا فى آخر رسالة وأنا متوقع لكتابك توقع الظما آن للماء الزلال والصوّام لهلال شوّال وكتب آخر أخرى وسأل أن أخلفه فى تجشيم مولاى الى هذا المجتمع ليقرب علينا تناول البدر بمشاهدته ولمس الشمس بغرته فانظر كيف تقع كلماته على كل معنى بديع ولفظ شريف هذا وحسن المقطع وجودة الفاصلة وحسن تمكنها فى موضعها على ثلاثة اضرب فضرب منها ان يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتى بلفظ قصير قليل الحروف فيتم به البيت كقول زهير

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

وقول النابغة * جفت أعاليه وأسفله ند * وقول الاعشى

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس انى امرؤ * أتيت اللذاذة من بابها

وبعده

وقول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول

وقول طرفة

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني * منيعا اذا بلت بقائمه يدي

وقول النابغة من القصيدة التي أولها * أمن آل مية رائح أو مغتد *

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد

أفد الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالها وكان قد

وقوله

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وقوله * تشفي ببرد لثاتها العطش الصدى * وقول آخر

ألا يا غرابي بينها لا تصدعا * وطيرا جميعا بالنوى وقعا معا

وقول ابن أحمر

وان كانت النعماء عندك لامرئ * فمثلا بها فاجز المطالب أوزد

وقول أبي حية * فقلنا لها سرا فديناك لا يرح * الابيات السالفة ومن شعر المحدثين قول ابن عبدة

دنيا دعوتك مسمعا فأجيبي * وبما اصطفيتك في الهوى فأثيبي

دومي أدم لك بالوفاء على القضا * اني بعهدك واثق فثقي بي

وقول آخر

أتتني تؤنبني في البكا * فأهلا بها وبتأنيبها

وقالت وفي قولها حشمة * أتبكي بعين ترانا بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

والضرب الاخر أن يضيق به المكان أيضا ويعجز عن ايراد كلمة سالمة تحتاج الى اعراب فيأتي بكلمة ليست كذلك يتم بها البيت مثل قول امرئ القيس

* كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي * وقول زهير

* صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو * ثم قال

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا * على صبر أمر ما يمر ولا يحلو

وقوله

لذي الحلم من ذبيان عندي مودة * وحفظ ومن يلحم الى الشر أنسج

مخوفا كان الطير في منزلاته * على جيف الحسرى مجالس تنتحي

وقول ذي الرمة

أراح رفاق جيرتك الجمالا * كأنهم يريدون احتمالا

وكدت أموت من حزن عليهم * ولم أرحادي الاظعان بالا

وقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

والضرب الثالث ان تكون لفظة لائقة بما تقدمها من الالفاظ وتكون مستقرة في قرارها ومتمكنة في موضعها حتى لا يسد مسدها غيرها وان لم تكن قليلة الحروف كقول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمت * من الايام مظلمة أضاؤا

وقول آخر

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها

وقول البحتري

ظللنا نرجم فيك الظنون * أحاجبه أنت أم حاجبه

وقول أبي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

ومما عيب من القوافي قول ابن الرقيات وقد أنشد عبد الملك

ان الحوادث بالمدينة قد * أوجعنني وقرعن مروتيه

وجببني جب السنام فلم * يتركن ريشا في مناكبيه

فقال له عبد الملك أحسنت الا انك تخنثت في قوافيه فقال ما عدوت قول الله عز وجل ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وليس كما قال لان فاصلة الآية حسنة الموقع وفي قوافي شعره لين يدرك ذلك بالوجدان وسببه اللفظي ان فواصل الآية كائنة من مدة وحركتين وحرف السكت وقوافيه من ساكن يابس أولين وثلاث حركات وحرف السكت فتجد في الآية من الشدة بقدر ما تجد في أبياته من اللين ولذلك وصفه عبد الملك بالتخنث وهو التشبه بالمخنثين في التلفظ والمخنث الرجل في خلائق النساء طبعا أو تطبعا ومن عيوب القوافي ان تكون القافية مستدعاة لا تفيد معنى وانما أوردت ليستوى الروي فقط قالت وهذا من أقبح عيوب الشعر فان الشعراء انما هو بالقوافي واذا احتاج من يريد ان يقول الشعر لمثل ذلك فراحة الناس في سكوته مثل قول أبي تمام

كالظبية

كالظبية الادماء صافت وارتعت * زهر العرار الغض والجثجاثا

ليس فى وصف الظبية بانها ترتعى الجثجاث فائدة وسواء رعت الجثجاث أو القلام أو غير ذلك من النبات واذا قصد لنعت الظبية بزيادة حسن قيل انها تعطو الشجر لانها حينئذ ترفع رأسها فيطول جيدها وتظهر محاسنها كما قال

والجيد منها جيد جازية * تعطو اذا ما طالها المرد

وقريب منه قول الآخر

وسابغة الاذيال زغف مفاضة * يكفكفها عنى نجاد مخطط

وليس لتخطيط النجاد معنى يرجع الى السيف ولا الى الدرع قلت واذا انتهى الى ان يقول كما يقول بعض المصنفين القيد لبيان الواقع يقال وما حيلة المضطر الا بارد العذر ومثله قول آخر

أأنشر البز فيمن ليس يعرفه * وأنثر الدر بين العمى فى الغلس

وليس لذكر الغلس مع العمى معنى لان الاعمى يستوى عنده الغلس والهاجرة ولو قال العمش لكان أقرب من العمى على ان الجميع لا خير فيه وقول ابن الرومى

ألا ربما سؤت الغيور وساءنى * وبات كلانا من أخيه على وحر

وقبلت أفواها عذابا كانها * ينابيع خمر حصبت لؤلؤ البحر

فقوله لؤلؤ البحر أفسد البيت وأطفأ نوره لان اللؤلؤ لا يكون فى النهر ولا غيره من المواضع فنسبته الى البحر لا فائدة فيه الا اقامة الروى هذا وروح المقصود بالنقل من كتاب أبى هلال قوله فى تمييز الكلام جيده من رديئه ونادره من بارده قال الكلام أيدك الله بحسن سلاسته وسهولته وصناعته وتخير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه ولين معاطفه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه اعجازه بهواديه وموافقة ما آخره لمباديه مع قلة ضروراتها بل عدمها أصلا حتى لا يكون لها فى الالفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور فى سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه فاذا كان الكلام كذلك صار بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا كقول القائل

هم الألى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

وقول معن بن أوس

لعمرى ما أهديت كفى لريبة * ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها * ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم انى لم تصبنى مصيبة * من الدهر الا قد أصابت فتى قبلى
ولست بماش ما حييت لمنكر * من الامر لا يمشى الى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة * وأوثر ضيفى ما أقام على أهلى

وقال الآخر

ولست بنظار الى جانب الغنى * اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقال آخر

ذرينى أسير فى البلاد لعلنى * أصيب فتى فيه لدى الحق محمل
فان نحن لم نسطع دفاعا لحادث * تجيء به الايام فالصبر أجمل
أليس كثيرا ان تلم ملمة * وليس علينا فى الحقوق معول

ومما هو صحيح فى وصفه جيد فى رصفه قول الشنفرى

أديم مطال الجوع حتى أميته * وأضرب عنه القلب صفحا فيذهل
ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به إلا لدى ومأكل
* ولكن نفسا حرة ماتقيم بى * على الضيم الا ريثما أتحول

وقول بشار

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقول دعبل

وما ان قتلناهم باكثر منهم * ولكن بأوفى للطعان وأكرما
وان امرأ أمست مساقط رأسه * باسوان لم يترك له الحزم معلما
حللت محلا يقصر الطرف دونه * ويعجز عنه الطيف ان يتجشما

وقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وليس لهذا البيت نظير فى كلام العرب قال بعضهم نظيره قول أوس بن حجر

ولست بخابس أبدا طعاما * حذار غد لكل غد طعام

هذا وان كان نظيره فى التأليف فانه دونه لما تكرر فيه من لفظ غد فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والصناعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من حيف التأليف وبعد من سماجة التركيب وورد على الفهم الثاقب

الثاقب قبله ولم يرده وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما توافقه وتنفر عما تضاده وتخالفه فالعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح والانف يرتاح للطيب ويعاف المنتن والفم يلتذ بالحلو ويمج المر والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن والفهم يأنس بالكلام المعروف ويسكن الى المألوف ويصغى الى الصواب ويهرب من المحال وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافي الغليظ ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب والروية الفاسدة وليس الشأن فى ايراد المعانى لان المعانى يعرفها العربى والاعجمى والقروى والبدوى وانما هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت الا ترى الى قول حبيب بن أوس

مستسلم لله سائس أمة * لذوى تجهضمها له استسلام

فانه أتى بصواب اللفظ وليس هو بحسن ولا مقبول وقال أبو داود رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير الالفاظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وأنشد

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خشية الرقباء

ومن الدليل على ان مدار البلاغة تحسين اللفظ ان الخطب الفائقة والاشعار الرائقة ما عملت لافهام المعانى فقط لان الردىء من الالفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الافهام وانما يدل حسن الكلام واحكام الصنعة ورونق ألفاظه وجودة مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشيه واكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعانى ولهذا يتأنق الكاتب فى الرسالة والخطيب فى الخطبة والشاعر فى القصيدة ويبالغون فى تجويدها ويغلون فى ترتيبها ليدلوا على براعتهم وحذقهم بصناعتهم ولو كان الامر فى المعانى لطرحوا اكثر ذلك فربحوا كدا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا ودليل آخر ان الكلام اذا كان لفظه حلوا عذبا وسلسا سهلا ومعناه وسطا دخل فى جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر كقول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

فليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى وهى رائقة معجبة وانما المعنى ولما قضينا الحج ومسحنا وشدت رحالنا على مهارى الابل سرنا نتحدث فى بطون الاودية وبارد الشعر مثل قول عمرو بن معديكرب

قد علمت سلمى وجاراتها * ماقطر الفارس الأأنا
شككت بالرمح سرابيله * والخيل تعدو زيما حولنا

زيما أى متفرقة وقول أبى العتاهية

مات والله سعيد بن وهب * رحم الله سعيد بن وهب
ياأباعثمان أبكيت عينى * ياأباعثمان أبكيت قلبى

والبارد فى شعر أبى العتاهية كثير والشعر كلام منسوج ولفظ منظوم وأحسنه ماتلاءم نسجه ولم يسخف وحسن نظمه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفا بغيضا ولا السوقى من الالفاظ فيكون مهلهلا دونيا فالبغيض كقول أبى تمام

قد كان حزن الخطب فى احزانه * حتى دعاه الحين للاسهال
جعلوا القنا الدرجات للكزجات * ذات الغيل والحرجات والادحال

قلت هذان البيتان المستكرهان من أبيات قصيدة فتحية معتصمية من غرر قصائد أبى تمام البيت الاول فى صفة حال العدوّ أولا وآخرا وذلك انه كان ممتنعا باقامته فى أماكن مرتفعة وعرة ذات أشجار ومهاوى فكان لا يقدر عليه وهو معنى قوله * قد كان حزن الخطب فى أحزانه * أى أشد الخطب فى سكناه حزن الارض وهو ضد السهل والبيت الثانى فى صفة عسكر المعتصم أى جعلوا القنا سلما لهذه المواضع المرتفعة الوعرة المشتملة على الشجر الملتف وهو الغيل والحرجات ومهاو وهى الادحال وقوله

يادهر قوم من أخدعيك فقد * أضججت هذا الانام من خرقك

ولا خير فى المعانى اذا استكرهت قهرا والالفاظ اذا أجبرت قسرا ولا خير فيما أجيد لفظه اذا سخف معناه ولكن فى غرابة المعنى اذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا

الابكد ويستعظمونه اذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يعلموا ان السهل اذا أمنع جانبا وأعز مطلبا وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع ويحكى ان الفضل بن سهل وصف عمرو بن مسعدة فقال هو أبلغ الناس ومن بلاغته يظن الظان انه يكتب مثل كتبه فاذا رامها تعذرت عليه وان ابراهيم بن العباس بن الاحنف أنشد يوما بعض أصحابه

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بعصياني ولو قال لي * لا تشرب البارد لم أشرب

ثم قال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير العزيز الشبيه المطمع الممتنع البعيد مع قربه الصعب مع سهولة فجعل أصحابه يقولون هذا الكلام والله أحسن من شعره وانه قيل للسيد الحميري ألا تستعمل الغريب في شعرك فقال ذلك عي في زماني وتكلف مني لو قلته وقد رزقت طبعا واتساعا في الكلام وأنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير ثم أنشد

* أيا رب اني لم أرد بالذي به * مدحت عليا غير وجهك فارحم

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه ويستعمله في ابانه ومن الكلام المطبوع السهل ما وقع به علي بن عيسى قد بلغتك أقصى طلبتك وأنلتك غاية بغيتك وأنت مع ذلك تستقل كثيري وتستقبح حسني فيك فأنت كما قيل

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه * يصبح ظمآن وفي البحر فمه

ومن المنظوم المطمع الممتنع قول البحتري عفا الله عنه

أيها العاتب الذي ليس يرضى * نم هنيئا فلست أطعم غمضا
ان لي من هواك وجدا قد استهـ * ـلك نومي ومضجعا قد أقضا
فجفوني في عبرة ليس ترقى * وفؤادي في لوعة ما تقضى
أحيني بالوصال ان كان جودا * وأثبني بالحب ان كان قرضا
* بأبي شادن تعلق قلبي * بجفون فواتر اللحظ مرضى
لست أنساه اذ بدا من قريب * يتثنى تثني الغصن غضا
واعتذاري اليه حين تجافى * لي عن بعض ما أتيت وأغضى
واعتلاقي تفاح خديه تقبيـ * ـلا ولثما طورا وشما وعضا

أيها الراكب الذي طلب الجو * د فابكى كوم المطايا وأنضى
زر حياض الامام تلق نوالا * وسع الراغبين طولا وعرضا
هو أندى من الغمام وأوحى * وقعات من الحسام وأمضى
يتوخى الاحسان قولا وفعلا * ويطيع الاله بسطا وقبضا
فضل الله جعفر بخلال * جعلت حبه على الناس فرضا

ويقول فيها

وأرى المجد بين عارفة منك ترجى وعزمة منك تمضى

قلت قول البحترى أيها العاتب الذى ليس يرضى لم يقل أيها الساخط الذى ليس يرضى ليحصل الطباق فى كلامه مع ولوعهم بالبديع اذ ذاك لان لفظ العاتب أأدب وأحشم مع انه لم يفته الطباق فان العتب يستلزم السخط فاجتمع له مع الطباق المعنوى الكناية الظريفة فهو من تخير الالفاظ ونبهتك بهذا الان تصرف التفاتك الى ملاحظة مثله فتلتزم التأنى فى تعرف لطائف الكلام فلا تدرسه درسا وتمر عليه مرا بحيث تفوتك بغيتك وأنت مكدود فى طلبها وقوله أبكى كوم المطايا ليس من البكاء وانما هو من البكء وهو ذهاب اللبن بكأت الناقة كمنع فهو وما بعده عبارة عن اهزال المطايا تدريجا ومن هذا الموضع تعرف انه ينبغى ان تكون الامور على حسب الازمنة فربما كان الامر مستحسنا فى زمن حسب أحوال أهله ويصير فى زمن آخر غير مستحسن حسب تغير الاحوال الا ترى ان الشعر فى الصدر الاول كان على صورة لم يكن عليها بعد حتى دخل فى صورتى وكان المتأخر معيبا باستعماله فى صورة الاول ثم هذا لا يخص الشعر والانشاء فلقد سمعت قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وكان أخذ الاجرة على تعليم القرآن محكوما بحرمته ثم أفتى العلماء بعد بجوازه للضرورة ولذلك شواهد كثيرة وهذه الاشارة كافية ونرجع لما نحن فيه قال أبو هلال ومن أمثلة السهل قول محمد بن وهب

مازال يلثمنى مراشفه * ويعلنى الابريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته * ونشا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كان غرته * وجه الخليفة حين يمتدح
أنت الذى بك ينقضى فرحا * ضيق البلاد لنا وينفسح
نشرت بك الدنيا محاسنها * وتزينت بصفاتك المدح

ومن

ومن السهل المطبوع المختار الجيد قول الآخر

صرفت الدهر فانصرفا * ولم ترع الذى سلفا
وبنت فلم أذب كمدا * عليك ولم أمت أسفا
كلانا واجد فى النا * س ممن مله خلفا

وليس الغرض من سهولة الكلام وبيان معناه ان يبلغ الى حد مثل قول بعضهم

يارب قد قل صبرى * وضاق بالحب صدرى
واشتد شوقى ووجدى * وسيدى ليس يدرى
مغفل عن عذابى * وليس يرحم ضرى
ان كان أعطى اصطبارا * فلست أملك صبرى
أنا الفدا لغزال * دنا فقبل نحرى
وقال لى من قريب * ياليت بيتك قبرى

فانه اذا لان الكلام حتى يصير الى هذا الحد فليس فيه خير لاسيما اذا ارتكبت فيه مثل هذه الضرورات فان تسكين الياء من أعطى غير جائز والفداء ممدود قصره واما الجزل المختار من الكلام فهو الذى تعرفه فطناء العامة اذا سمعوه ولا يستعملونه فى محاوراتهم كقول القائل

لا تسأل القوم عن مالى وكثرته * قد يقتر المرء يوما وهو محمود
أمضى على سنة من والدى سلفت * وفى أرومته ماينبت العود

ومن النثر قول يحيى بن خالد أعطانا الدهر فأسعف ثم عطف علينا فعسف قلت يحيى هذا هو ابن خالد بن برمك أبو الفضل وجعفر وهم الوزراء المشهورون بالبرامكة وكانوا بلغوا من المنزلة وعلو الشأن مبلغا لم يصله غيرهم وكان الرشيد يقول ليحيى يا أبى لكونه كان تولى تربيته وكان يسمى الفضل وجعفرا أخويه ثم لم تزل بهم الايام حتى اقتضت أسباب تغير قلب الخليفة عليهم تغيرا أوجب حبسهم واهانتهم واخلاء الدنيا منهم ومن شعر يحيى وهو فى السجن

سألونا عن حالنا كيف أنتم * من هوى عرشه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا عنت الدهـ * ـر فظلنا لحكمه نستكين *

وجميع كلامهم نثرا ونظما كان على هذه الصورة فرحمهم الله تعالى قال أبو هلال ومن شواهد ذلك ما كتب سعد بن حميد فى الاستعطاف واسترجاع المودة

وأنا من لا يعاجلك عن نفسه ولا يغالطك عن جرمه ولا يلتمس رضاك الا من جهته ولا يستدعي هواك الا من طريقته ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالجرم نبت بي عنك غرة الحداثة وردتني اليك الحنكة وباعدتني منك الثقة بالايام وقادتني اليك الضرورة فان رأيت ان تستقبل الصنيعة بقبول العذر وتجدد النعمة باطراح الحقد فان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة وان أيام القدرة ان طالت قصيرة والمتعة بها وان كثرت قليلة فعلت وفي هذا الكلام وما قبله قوة في سهولة ومما هو أجزل من هذا قول الشعبي للحجاج وأراد قتله لخروجه عليه مع ابن الاشعث أجدب بنا الجناب وأحزن بنا المنزل فاستحلسنا الحذر واكتحلنا السهر وأصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء ولا فجرة أقوياء فعفا عنه فأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه ولا يكون مكدودا مستكرها ومتعرا متقعرا ويكون بريئا من الغثاثة عاريا من الرثاثة والكلام اذا كان لفظه غثا ومعرضه رثا كان مردودا ولو احتوى على أجل معنى وانبله وأرفعه وأفضله كقول بعضهم

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

قال أبو هلال فمثل هذا لا يدخل في جملة المختار ومعناه كما تراه نبيل فاضل جليل ولا أرى لمثل هذا معنى فهو كلام منحرف وضيع لم يجعل نفسه في الرتبة التي أعدها له الدين فانه لا ينبغي من العلماء ان يعتزلوا ناحية عن ساسة الناس بل يجب عليهم ان يخالطوهم مخالطة يتحفونهم فيها بالموعظة ويعطفونهم على الهدى ويرشدونهم لصنع الجميل فان الدين والدنيا لا يصح فصلهما كما قال صلى الله عليه وسلم لا تسب الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ثم قال أبو هلال وللمعاني خطأ وصواب وأنا منبه عليهما ليتتبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب فيلزمها ويقف على مواقع الخطأ فيجتنبها فنقول ان الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ لان المدار بعد على اصابة المعاني فانها تحل من الكلام محل الابدان والالفاظ تجري معها مجرى الكسوة ومزية احداهما على الاخرى معروفة ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة

الكلام

الكلام ما نهيأ له في الاولى ألا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي فلا يستكمل صناعة الكلام الا باصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال والمعاني على ضربين أحدهما يبتدعه صاحب الصناعة من غير ان يكون له فيه امام يقتدي به ولا رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ويتبينه عند الامور النازلة الطارئة والآخر ما يحتذيه على مثال تقدم ورسم فرط وينبغي ان يطلب الاصابة في جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره اياه ولا يعتد بابتداعه له ذلك الاعتداد فيساهل نفسه في تهجين صورته فيذهب حسنه ويطمس نوره ويكون فيه الى الذم أقرب منه الى المدح والمعاني بعد ذلك على وجوه منها ما هو قبيح مستقيم نحو قولك قد زيدا رأيت وانما قبح لانك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ومنه ما هو محال كقولك آتيك أمس وأتيتك غدا وكل محال فاسد وليس كل فاسد محالا ألا ترى ان قولك قام زيد فاسد وليس بمحال فالمحال ما لا يجوز كونه البتة كقولك الدنيا بيضة وأما قولك حملت الجبل وأمثاله فكذب وليس بمحال لامكان ان يزيد الله في قوتك فتحمله ويجوز ان يكون الكلام الواحد كذبا ومحالا كقولك رأيته قائما قاعدا ومررت بيقظان نائم فتصل كذبا بمحال فصار الذي هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما وان كان لكل واحد منهما معنى على حياله ومنها الغلط وهو ان يقول ضربني زيد وأنت تريد ضربت زيدا فغلطت فان تعمدت كان كذبا وللخطا صور مختلفة أنبهك على أشياء منها وأبين وجوهها وأشرح أبوابها لتقف عليها فتجتنبها ويكون فيما أوردت دلالة على أمثاله مما تركت ومن لا يعرف الخطا كان جديرا بالوقوع فيه فمن ذلك قول امرئ القيس

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا * كأني أنادي أو أكلم أخرسا

فهذا فاسد لانه لا يقال كلمت حجرا فلم يجبني فكأنه كان رجلا وتبعه أبو نواس فقال يصف دارا

كأنها اذا خرست جازم * بين ذوي تفنيده مطرق

والجيد قول كثير في امرأة

فقالت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت

فشبه المرأة عند السكوت والتغافل بالصخرة يعني ان وضع التشبيه على ان يشبه الضعيف بالقوي اذا لم يكن الغرض مجرد التعريف كما سلف لك في البيان ولا يحسن التشبيه المقلوب الا اذا اشتمل على نكتة كما سلف أيضا وهذان التشبيهان منه ولم تظهر نكتة محسنة له فيهما ظهورها في قول ابن وهب وبدا الصباح ومن خطأ المعنى قول الراعي

يكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج

أراد المسك فجعله من قصب الظباء والقصب بضم فسكون المعى جعل الظباء تعتلف الكافور فيتولد منها الذلك المسك وهذا من طرائف الغلط وقريب منه قول زهير

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع تخاف الغم والغرقا

ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق ومثله قول ابن أحمر

* لم يدر ما نسج اليرندج قبلها * فظن اليرندج منسوجا وهو جلد أسود يعمل منه الخفاف واصل الكلمة فارسية ومن الغلط مثل قول امرئ القيس

أغرك مني ان حبك قاتلي * وانك مهما تأمري القلب يفعل

واذا لم تغررها هذه الحال منه فما الذي يغرها وليس للمحتج عنه ان يقول انه اغناه بالقتل التبريح فان الذي يلزمه مع ذكر القتل يلزمه أيضا مع ذكر التبريح ومما أخذ أيضا على امرئ القيس قوله في الفرس

فللسوط ألهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع أهوج منعب

فلو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك فالجيد قوله

على سابح يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا وان

فما معنا أبلغ ولا أجود من قوله أفانين جري وقول علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه * يمر كمر الرائح المتحلب

فقال أدرك طريدته وهو ثان من عنانه ولم يضرب بسوط ولم يمره بساق ولم يزجره بصوت قلت وكذلك الجواد انما يرفع رأسه بشد العنان فيعرف أن قد أريد منه الجري فيخرج ما عنده ويحكى ان امرأ القيس لما قال قصيدة هذا البيت وقال علقمة الفحل قصيدته التي في رويها ووزنها تحاكما الى أم جندب زوج امرئ القيس فحكمت لعلقمة

لعلقمة على امرئ القيس بهذين البيتين فطلقها وتزوجها علقمة وسنورد تلك القصيدتين بعد ان شاء الله تعالى ومما عيب وعاب قول الاعشى

ويأمر لليحموم كل عشية * بقت وتعليف وقد كاد يسنق

أي تصيبه التخمة واليحموم اسم فرس الملك يقول انه يأمر لفرسه كل عشية بقت وتعليف وهذا مما لا يمدح به الملوك بل ولا رجل من خساس الناس وقريب منه قول الاخطل

وقد جعل الله الخلافة منهم * لا أبلج لا عارى الخوان ولا جدب

يقوله في عبد الملك ومثل هذا لا يمدح به الملوك وأطرف منه قول كثير بن عبد الرحمن الخزاعي

وان أمير المؤمنين بلطفه * غزا كامنات الصدر مني فنالها

فجعل أمير المؤمنين يتودد اليه وقوله لعبد العزيز بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغني * وتخرج من مكامنها ضبابي

وترقيني لك الراقون حتى * أجابت حية تحت الحجاب

وانما يمدح الملوك بمثل قول الشاعر

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر

ومثل قول النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

ومن غفلة كثير قوله في المنى

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى * بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدو وأجرب

نكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

اذا ما وردنا منهلا هاج أهله * الينا فما ننفك نرمى ونضرب

فقالت له عزة لقد أردت بي الشقاء الطويل ومن قبيح التمني قول جنادة

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها

لكي يكون فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ومثل قبح هذا التمني قبح دعاء عبد بني الحسحاس اذ يقول

وراهنّ ربى مثل ماقد وديننى * وأجى على أكبادهن المكاويا

وللناس فى المنى كلام كثير بين مدح لها واستحسان وذم واستهجان قال الشاعر

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظمأ بردا
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وللطغرائى

أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

ومن ذم التمنى قول عنترة

ألا قاتل الله الطلول البواليا * وقاتل ذكراك السنين الخواليا
وقولك للشئ الذى لاتناله * اذا هو يتمه النفس ياليت ذاليا

ومن خطأ الوصف قول أبى ذؤيب فى صفة فرس

قصر الصبوح لها فشرج لحمها * بالنىء فهو يسوخ فيه الاصبع
تأتى بدرتها اذا ما استكرهت * الا الحميم فانه يتنصع *

قال الاصمعى هذه الفرس لا تساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الاصبع وانما توصف بهذا الشاء يضحى بها وجعلها الاتجرى الا بالاستقرار ومن خطأ المعانى قول الاعشى

ومارابها من ريبة غير أنها * رأت لمتى شابت وشابت لداتيا

وأى ريبة عند امرأة أعظم من شيب ومثله قول الآخر

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

وأعجب منه قوله

صدت هريرة عنا ما تكلمنا * جهلا بأم خليد حبل من تصل
أإن رأت رجلا أعشى أضربه * ريب المنون ودهر خائن ختل

وأى شئ أبغض عند النساء من العشا وأعجب ما فى هذا الكلام انه قال من تصل بعدى هذه المرأة وأنا بهذه الصفة من العشا والفقر والشيب فلا ترى كلاما أحمق من هذا ومن الخطأ قول من أراد أن يفتخر فأوقع نفسه فى أخس تشبيه حيث يقول

تعرضت تيم لى عمدا لأهجوها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر

ومن الخطأ فى التشبيب قول كثير

وماروضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

وأطيب من أراد ان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

يقال ان عجوزا لقيته وبيده هاروتة عليها نار وضعت فيها مندلا فقالت له لم تزدها في الصفة على هذا والصواب في مثل ذلك قول امرئ القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فجعلها طيبة الذات ومن عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تخص النفس من العقل والعفة والعدل والشجاعة الى ما هو من أوصاف الجسم كقول ابن الرقيات في ابن مروان

يأتلق التاج فوق مفرقه * على جبين كأنه الذهب

فغضب عبد الملك وقال قد قلت في مصعب

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم وأعطيتني مالا فخر فيه وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة ذلك الى ما رميتني به من صفة الاعاجم وجيد المدح قوله

ما نقموا من بني أمية الا * انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم سادة الانام ولا * تصلح الا عليهم العرب

ومن التقصير في المديح ما تراه فيما يحكى انه اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج فقال من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن القول في صفتي فهذه الخلعة له فقال الفرزدق

ومن يأمن الحجاج والطير تتقي * عقوبته إلا ضعيف العزائم

فقال جرير

ومن يأمن الحجاج اما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذي دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق ما عملت شيئا فان الطير تتقي من الصبي والخشبة ودفع الخلعة الى جرير ومن خطأ المدح قول مروان بن أبي حفصة في المأمون

أضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

وحين أنشد هذا البيت لعمارة بن عقيل قال له ما زدته على ان وصفته بصفة عجوز في يدها سبحة هلا قلت كما قال جدي يعني جريرا في عمر بن عبد العزيز

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومن الغلط قول أبي تمام

رقيق حواشي الحلم لوان حلمه * بكفيك ماماريت في انه برد

وما وصف أحد من أهل الجاهلية ولا أهل الاسلام الحلم بالرقة وانما يصفونه بالرجحان والرزانة كما قال الشاعر

أحلامنا تزن الجبال رزانة * ويزيد جاهلنا على الجهال

هذا ومرجع أسباب الخطأ في المعاني الى الجهل بالاحوال والغفلة عما ينبغي أن يقال ومن لم يتكلم الا بعد علم ولم يخاطب الا بعد صحة فهم نجا من الوقوع في مثل ما وقع فيه أولئك وحسبك هذا دليلا مرشدا الى اعتبار غيره به فيقوى التفاتك ويزيد انتباهك حتى تعتبر كل مقام وتنطق فيه بما يليق به وتهتدي الى ذلك تمام الاهتداء بمطالعة أقوال من اتفق الناس على استحسان أقوالهم والمبالغة في تأملها اذا كررت تلك الانتقادات وما أشبهها مما لا يصعب عليك ملاحظته مع ماضرب لك من الامثلة فاذا رعيت ذلك وقد وجدت من طبعك استعدادا لانشاء الكلام وتحرير النظام بأن تكون قوى الحافظة والذاكرة بحيث يكون استحضارك لما تمس اليه الحاجة من الالفاظ ومصنوع العبارات كالامثال أسرع من البرق فأقبل على ذلك والا فدع التكلف فانه ليس يأتي منك بخير تكد فكرك وتضيع وقتك وتؤذي سامعك وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وتذكر ماروى عن المبرد حيث يقول لا أحتاج الى وصف نفسي لان الناس يعلمون انه ليس أحد من الخافقين يختلج في نفسه مسألة مشكلة الا لقيني بها وأعدني لها فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى علي مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة والتماس حاجة فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني ثم لا أجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ولقد بلغني ان عبدالله ابن سليمان ذكرني بجميل فحاولت ان اكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أموري فاتعبت نفسي يوما في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها وكنت أحاول الافصاح عما في ضميري فينحرف لساني الى غيره وما حكى عن بعض أكابر العلماء وقد قيل له لم لا تقول الشعر فقال ما أرضاه لا يجيئني ويجيئني ما لا أرضاه وعن اليوناني الذي كان يعلم الشعر فتبرع فيه تلامذته وهو لا يقوله فسئل في ذلك فقال أنا كالمسن أرهف ولا أقطع فهذا اعتراف العقلاء الراضين بما قسم لهم الواقفين عند حدودهم المحققين بقوله صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق ثم ليكن

امر

أمر الكاتب فى الكتابة على ما وصف أبو هلال حيث يقول واعلم ان المعانى التى تنشأ الكتب فيها من الامر والنهى سبيلها ان تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام لا بجهة كثرة اللفظ لأن حكم ما ينفذ من السلطان فى كتبه شبيه بحكم توقيعاته من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى هذا اذا كان الامر والنهى واقعين فى جملة واحدة لا تقع فيها وجوه التمثيل للاعمال فاما اذا وقعا فى ذلك الجنس فان الحكم فيها يخالف ما ذكرناه وسبيل الكلام فيها ان يحمل على الاطالة والتكرير دون الحذف والايجاز وذلك مثل ما يكتب عن السلطان فى أمر الاموال وجبايتها واستخراجها فسبيل الكلام ان تقدم فيه ذكر ما رآه السلطان فى ذلك ودبره ثم تعقب فى ذكر الامر بامتثاله ولا تقتصر على ذلك حتى تكرره وتؤكده لتتأكد الحجة على المأمور به وتحذره مع ذلك من الاخلال والتقصير ومنها الاحماد والاذمام والثناء والتقريظ والذم والاستصغار والعذل والتوبيخ وسبيل ذلك ان يشبع الكلام فيه ويمد القول حسب ما تقتضيه آثار المكتوب اليه فى الاحسان والاساءة والاجتهاد والتقصير ليرتاح بذلك قلب المطيع ويبسط أمله ويرتاع قلب المسيء ويأخذ نفسه بالارتداع فاما ما يكتبه العمال الى الامراء ومن فوقهم فان سبيل ما كان واقعا منها فى انهاء الاخبار وتقرير صورة ما يلونه من الاعمال ويجرى على أيديهم من صنوف الاموال ان يمد القول حتى يبلغ غاية الشفاء والاقناع وتمام الشرح والاستقصاء اذ ليس للايجاز والاقتصار فيه موضع ويكون ذلك بالالفاظ السهلة القريبة المأخذ السريعة الى الفهم دون ما يقع فيه استكراه وتعقيد وربما تعرض الحاجة فى انهاء الخبر الى استعمال الكناية والتورية عن الشيء دون الافصاح به لما فى التصريح من هتك الستر وفى حكايته عن عدو ما أطلق لسانه به من اطراح مهابة الرئيس فيجب اجلاله عنه وفى الصدق ما يسوؤه سماعه ويقع بخلاف محبته فيحتاج منشئ الكتاب الى استعمال لفظ فى العبارة لا تخرق معه هيبة الرئيس ولا يعرض فيه بما يشتد عليه ولا يكون أيضا معها خيانة فى طى ما يجب نشره ولا يكمل لهذا الا المبرز الكامل المقدم وسبيل ما يكتب به فى باب الشكر ألا يقع فيه اسهاب فان اسهاب المبالغ فى الشكر يرجع الى نوع من الابرام والتثقيل ولا يحسن منه ان يستعمل الاكثار من الثناء والدعاء أيضا فان ذلك فعل الاباعد الذين لم يتقدم لهم وسائل من الخدمة ومقدمات من الحرمة وتكون صناعتهم التكسب بتقريظ الملوك واطراء السلاطين فلا يقبح اكثار الثناء من هؤلاء وليس يحسن تكرير الدعاء فى صدور

الكتب والرقاع وعند ما يجرى به من ذكر الرئيس فان ذلك مشغلة وكلفة وحكم ما يستعمل من ذلك فى الكتب حكم ما يستعمل شفاها منه ويقبح من خادم السلطان ان يشغل سمعه فى مخاطبته اياه بكثرة الدعاء له وتكريره عند استئناف كل لفظة وسبيل ما يكتب به التابع الى المتبوع فى معنى الاستعطاف ومسألة النظر الا يكثر من شكاية الحال ورقتها واستيلاء الخصاصة عليه فيها فان ذلك يجمع الى الاضجار والابرام شكاية الرئيس بسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه وهذا عند الرؤساء مكروه جدا بل يجب ان يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير الفائدة وسبيل ما يكتب به فى الاعتذار من شئ ان يتجنب الاطناب والاسهاب فى ايراد النكت التى يتوهم انها مقنعة فى ازالة الموجدة ولا يمعن فى تبرئة ساحته من الاساءة والتقصير فان ذلك مما يكرهه الرؤساء والذى جرت به عادتهم استحسان الاعتراف من خدمهم ودخولهم بالتقصير والتفريط فى قضاء حقوقهم وتأدية فروضهم ليكون لهم فيما يعقبون به ذلك من العفو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعى شكرا وعارفة مستجدة تقتضى نشرا وأما اذا بالغ المتنصل فى براءة ساحته من كل ما قذف به فلا موضع للاحسان اليه فى اعفائه من ترك التسخط بل ذلك أمر واجب له وفى منع الرئيس حصته منه ظلم واساءة وينبغى أن لا يكثر الالفاظ عنده وان احتاج الى اعادة المعانى أعاد ما يعيده منها بغير اللفظ الذى ابتدأ به مثل ما قال معاوية من لم يكن فى بنى عبد المطلب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بنى الزبير شجاعا فهو لزيق ومن لم يكن من ولد المغيرة تياها فهو مستند والمعنى واحد والكلام على ما تراه حسن ولو قال لزيق ثم أعاده لسمج هذا قلت فهذا مثال رسمه أبو هلال ليكون عمل الكاتب على موجبه ويهتدى به الى رعاية مقامات الخطاب فى سائر أصناف المعانى وليس على المؤلف ان يبين لك عن كل صغيرة وكبيرة وانما عليه ان يعين لك الطريق التى ينبغى ان تسلكها ثم تستعمل ذوقك وقوة فكرك فى تمييز الاشياء واعطاء كل شئ حقه حسبما تقف عليه من الآداب التى أودعتها أسلافك فى منشآتهم نثرا ونظما وما يخصك به الفتاح العليم مما يشا كل ذلك وينتظم فى سلكه ثم قال أبو هلال فى الابانة عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك أجناس الكلام المنظومة ثلاثة الرسائل والخطب والشعر وجميعها يحتاج الى علم حسن التأليف وجودة التركيب وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا ومع سواء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية فاذا كان المعنى سيئا ورصف اللفظ جيدا كان

أحسن

أحسن موقعا وأطيب مسمعا فهو بمنزلة العقد اذا جعل كل خرزة الى ما يليق بها كان رائقا فى المرأى وان لم يكن مرتفعا نبيلا وان اختل نظمه فضمت الحبة الى ما لا يليق بها اقتحمته العين وان كان فائقا ثمينا وحسن الرصف ان توضع الالفاظ فى مواضعها وتمكن من أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة الا حذف ما تقتضيه الاحوال المبينة بعلم المعانى ويضم كل لفظة منها الى شكلها وتضاف الى وفقها وقال العتابى الالفاظ أجساد والمعانى أرواح وانما نراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما انه لو حول رأس الى موضع يد أو يد الى موضع رأس أو رجل لتحولت الحلية وتغيرت الخلقة وقد أحسن فى هذا التمثيل ونبه به على ان الذى ينبغى فى صنعته وضع كل شئ موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم فمن سوء النظم المعاظله وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيرا بمجانبتها اذ قال حين فضله على الشعراء كان لا يعاظل فى شعره ولا يمدح الرجال الا بما فى الرجال وأصل هذه الكلمة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما على الاخرى وعاظل الرجل على المرأة اذا ركبها فمن المعاظلة قول الفرزدق

تعش فان عاهدتنى لا تخوننى * تكن مثل من ياذئب يصطحبان

وقوله

تخامص عن برد الوشاح اذا مشت * تخامص حافى الخيل فى الامعز الوجى

أى تخامص حافى الخيل الوجى فى الامعز وقول لبيد

وشمول قهوة باكرتها * فى التباشير من الصبح الاول

وقول أبى حية النميرى

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودى يقارب أو يزيل

وقول امرأة من قيس

هما أخوا فى الحرب من لا أخا له * اذا خاف يوما نبوة فدعاهما

تريد أخوا من لا اخا له فى الحرب وليس للمحدث أن يقول هذه الابيات حجة ويبنى عليها فانه لا يعذر فى شئ منها الاجماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها واستجادة ما يصح من الكلام واسترذال ما يشكل ويستبهم قلت وذلك لان الشعر وان كان للعرب صناعة كما هو لغيرهم فانهم هم المخترعون له والسنة الالهية على ان الفكر الانسانى لا يحيط بجميع ما يحسن فى أمر ويقبح ولكن يلتقى فى فكر ما فات غيره ولذلك كان شعراء العرب ينتقد

بعضهم على بعض ومنه حصل التفاوت فى البلاغة واختلاف الناس فى تفضيل شاعر على شاعر حتى تبينت محاسن الصناعة ومساويها فمن أراد أن يكون من أهلها فعليه ان ينتهى من التعلم الى غايته حتى يتمكن من اعطاء الصناعة حقها فقد نصبت له الامثلة وعينت له الحدود قال أبو هلال فمن الكلام المستوى النظم الملتئم الرصف قول أخت طريف ترثيه

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الامن التقى * ولا المال الامن قنى وسيوف
كأنك لم تشهد طعانا ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
فلا تجزعا يا ابنى طريف فاننى * أرى الموت حلالا بكل شريف

والمنظوم الجيد ما خرج مخرج المنثور فى سهولته وسلاسته وسهولته وقلة ضروراته ومن ذلك قول بعض المحدثين

وقوفك تحت ظلال السيوف * أقر الخلافة فى دارها
كأنك مطلع فى القلوب * اذا ما تناجت بأسرارها
وكرات طرفك مردودة * اليك بغامض أخبارها
وفى راحتيك الردى والندى * وكلتاهما طوع مختارها
وأقضية الله محتومة * وأنت منفذ أقدارها

ولا تكاد القصيدة تستوى أبياتها فى حسن التأليف ولا بد ان تخالف فى ذلك كقول عبيد بن الابرص

وقد علا لمتى شيب فودعنى * له الغوانى وداع الصارم القالى
وقد أسلى همومى حين تحضرنى * بجسرة كعلاة القين شملال
زيافة بقتود الرحل ناجية * تنفى الهجير بتبغيل وإرقال

فهذا نظم حسن وتأليف مختار وفيها ما هو ردىء لا خير فيه كقوله

بان الشباب فآلى لا يلم بنا * واحتل بى من مشيب كل محلال

وقوله

فبت ألعنها طورا وتلعننى * ثم انصرفت وهى منى على بال

فقوله واحتل بى من مشيب كل محلال بغيض خارج عن طريق الاستعمال وأبغض منه قوله وهى منى على بال بتسكين هى ضرورة وقوله

وكبش ململمة باد نواجذها * شهباء ذات سرابيل وابطال

السرابيل الدروع فلو وضع السيوف مع الدرع لكان أجود ومثل هذا النقد مما سبقت به العرب وقوله

وقهوة كرضاب المسك طاب بها * في دنها كر حول بعد أحوال

هذا البيت متوسط وقوله

يا كرمها قبل ان يبدو الصباح لنا * في بيت منهمر الكفين مفضال

النصف الثاني خير من الأول فان قوله يا كرمها كاف وما بعده فضل وكقول النمر ابن تولب

لعمري لقد أنكرت نفسي ورابني * مع الشيب ابدال التي أتبدل

فضول أراها في أديمي بعدما * يكون لفاق اللحم أوهو أجمل

وبطء عن الداعي فلست بآخذ * سلاحي اليه مثل ما كنت أفعل

كان محطا في يدي حارثية * صناع علت مني به الجلد من عل

تدارك ما قبل الشباب وبعده * حوادث أيام تمر وأغفل

يود الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف وقوله

فلا الجارة الدنيا لها تلحينها * ولا الضيف عنها ان أناخ محول

فالنصف الأول مختل لانه خالف فيه وجه الاستعمال ووجه الكلام ولا تلحى جارتها الدنيا أي القريبة وأعطى المرأة في النصف الثاني ما ليس من صفتها وقوله

اذا هتكت أطناب بيت وأهله * بمعطنها لم يوردوا الماء قيلوا

هذا مضطرب لتناوله المعنى من بعد ووجه الكلام ان يقول اذا دنت ابلنا من حي ولم ترد ابلهم الماء قيلوا والقيل شرب نصف النهار يعني انهم لعزهم وشدة بأسهم متى وردوا ماء وعنده من سبقهم اليه قدموهم ولم يحسروا ان يتقدموهم بل يضطرون الى تأخير السقي لغير وقته وهو نصف النهار ووقته الغداة ومثال حسن الرصف من المنثور قول القائل ولولا ان أجود الكلام ما يدل قليله على كثيره وتغني جملته عن تفصيله لوسعت نطاق القول فيما انطوى عليه من خلوص المودة وصفاء المحبة فجال مجال الطرف في ميدانه وتصرف تصرف الروض في افتنانه لكن البلاغة بالايجاز أبلغ من البلاغة بالاطناب ومن تمام حسن الرصف ان يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه

طلاوة وماء فربما كان الكلام مستقيم الالفاظ صحيح المعانى ولا يكون له رونق ولارواء وذلك بان يخرج فى غير تكلف وكد وشد وتفكر وتعمل ويكون سلسا سهلا وله ماء ورواء ورقراق وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه تدرك ذلك بالوجدان بعد كثرة قراءة مختلفات الاشعار فانك تجد لنفسك من الفرح عند قراءة بعضها ما لا تجده عند قراءة غيره واعتبر ذلك بمثل قول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمت * من الايام مظلمة أضاؤا

وقوله

له فى بنى الحاجات أيد كأنها * تساقط ماء المزن فى البلد القفر

وقول أشجع

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام
واذا سيوفك صافحت هام العدا * طارت لهن عن الفراخ الهام
برقت سماؤك للعدو فأمطرت * هاما لها ظل السيوف غمام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

ففى هذه الابيات مع جودتها رونق ليس فى غيرها مما يجرى مجراها من صحة المعنى وصواب اللفظ هذا ومما ينبغى ان نطلعك عليه مع ما سبق تقيما لمعرفتك ودلالة لك على ما يعترضك فى الطريق التى تسلكها لمعرفة انشاء الكلام نثرا ونظما ان المعانى دائرة بين الناس يتفاوتون فى التعبير عنها ومنه نشأ القول بان الناس يأخذ بعضهم من بعض وتنويع ذلك الاخذ الى حسن وغير حسن فوجب ان نسوق لك أمثلة من ذلك لتطلب الحسن وتجتنب غيره قال أبو هلال ليس لاحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا أخذوها ان يكسوها ألفاظا من عندهم ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ويوردوها فى غير حليتها الأولى ويزيدوا فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق اليها ولولا ان القائل يؤدى ما سمع ما كان فى طاقته ان يقول وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لولا ان الكلام يعاد لنفد على ان المعانى مشتركة بين العقلاء وربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنبطى والزنجى وانما يتفاضل الناس فى الالفاظ ورصفها وتأليفها

ونظمها

ونظمها وقد يقع للمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر وهذا امر عرفته من نفسي فلست أمترى فيه وذلك انى كنت عملت فى صفة النساء * سفرن بدورا وانتقبن أهلة * وظننت انى سبقت الى جمع هذين التشبيهين فى نصف بيت الى ان وجدته لبعض البغداديين فكثر تعجبى وعزمت على ألا احكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكما حتما وقد قيل ان من أخذ المعنى فكساه لفظا من عنده كان هو أولى به ممن تقدمه وقالوا ان أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه كله أو بعضه فذلك هو السارق كقول النابغة

بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقد سبقه اليه رجل من كندة فى عمرو بن هند حيث يقول

هو الشمس وافت يوم دجن فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

والحاذق يخفى دبيبه الى المعنى حتى يأخذه فى ستر فيحكم له بالسبق اليه ممن يمر به وأحد أسباب اخفاء السرق ان يأخذ المعنى المستعمل فى صفة خمر فيجعله فى مديح أو من مديح فينقله الى وصف مثلا الا انه لا يكمل لهذا الا المبرز الكامل المقدم فممن أخفى دبيبه الى المعنى وستره غاية الستر أبو نواس فى قوله * أعطتك ريحانها العقار * اذ كان قد أخذه من قول الاعشى على ما قالوا

وسبيئة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

سئل الاعشى عن سلبتها جريالها والجريال حمرة المدام أو هى المدام الحمراء فقال شربتها حمراء و بلتها بيضاء فبقى حسن لونها فى بدنى ومعنى أعطتك ريحانها العقار أى شربتها فانتقل اليك وكذلك قوله

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

من قول قيس بن الخطيم

قضى لها الله حين صورها الخالق الا تجنها السدف

فنقل ذلك أبو نواس من صفة المرأة الى الخمر وكقول أبى تمام

جمعت عرى أعمالها بعد فرقة * اليك كما ضم الانابيب عامل

قيل نقله الى المدح من قول أبى حال الربعى فى الرثاء

أولئك أخوان الصفاء رزئتهم * وما الكف الا اصبع ثم اصبع

وكقول البحترى

ولو ان مشتاقا تكلف غير ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

نقله الى المدح من قول العرجى فى الغزل

لو كان حيا قبلهن ظعائنا * حيى الحطيم وجوههن وزمزم

الا انه غير خاف ثم المدار فى حسن الاخذ على ان يشتمل كلام الآخذ على مالم يشتمل عليه كلام المأخوذ منه من حسن تركيب أو اختصار عبارة أو زيادة معنى وتستبين ذلك فيما تراه من الامثلة قال مسلم بن الوليد

أحب الريح ما هبت شمالا * وأحسدها اذا هبت جنوبا

أخذه من قول جران العود

اذا هبت الارواح من نحو أرضكم * وجدت لرياها على كبدى بردا

وقال أيضا * ويغمد السيف بين النحر والجيد * أخذه من قول بعض الفرسان

جعلت السيف بين الليت منه * وبين سواد لحيته عذارا

فاغماد السيف أقوى من جعله عذارا وقال أبو نواس

سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

يصف ممدوحه ببسطة القامة فيقول انه وهو قاعد محتب بنجاده يطول من حوله من العسكر وهم قيام وكان الخليفة اذا جلس مجلس المهابة قام بجانبيه صفان ممتدان الى مسافة من العسكر يمشى بينهما المار اليه وهما السماطان وكان يقال قال فلان القصيدة الفلانية وأنشدها بين السماطين أخذ أبو نواس قوله من قول جرير

وقد أطول نجاد السيف محتبيا * مثل الردينى هزته الانابيب

وقال أيضا فى هذا المعنى

أشم طويل الساعدين كانما * يناط نجادا سيفه بلواء

أخذه من قول عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقال محمد بن عطية العدوى

ما العيش الا فى جنون الصبى * فان تقضى فجنون المدام

* راح اذا ما الشيخ والى بها * خسا تردى برداء الغلام

قيل أخذه من قول حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود مالم يعاص كان جنونا

وقال

وقال أبو تمام

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول *
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

أخذه من قول كثير

اذا ما أرادت خلة ان تزيلنا * أبينا وقلنا الحاجبية أوّل

وقال أبو تمام أيضا

وركب كاطراف الاسنة عرّسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

أخذ البيت الاول من قول البعيث

أطافت بركب كالاسنة هجد * بخاشعة الارجاء غبر صحونها

والبيت الثانى من قول اعرابى

غلام وغى تقحمها فأبلى * نخان بلاءه الزمن الخؤون
وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

وقال في رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر

نجمان شاء الله ألا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاجل منها بالرياض ذوابلا
لهفي على تلك المخايل فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا
لو ينسا آن لكان هذا غاربا * للمكرمات وكان هذا كاهلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه * أيقنت ان سيصير بدرا كاملا

ألم في هذه المعانى بقول الفرزدق وأجاد ما شاء

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

ويحكى عن أبي نواس انه كان يقول مازلت أستهجن قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

وموافقة ذي الرمة اياه في قوله

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفاس بين عينيك جازر

حتى سمعت قول الفرزدق

علام تلفتين وأنت تحتى * وخير الناس كلهم أمامى
متى تردى الرصافة تستريحى * من التهجير والدبر الدوامى

فتبعته فى قولى

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصى * فلها علينا حرمة وذمام *

وقلت

أقول لناقتى اذ بلغتنى * لقد أصبحت عندى باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقى بدم الوتين
حرمت على الازمة والولايا * واعلاق الرحالة والوضين

فأنت تراه قد اعترف بالمتابعة ولم يخش فيها معابة لما عرفت من استحسان سلوكهم تلك السبيل اذا أحسنوا وأجادوا وقد شرف هذا المعنى صلى الله عليه وسلم حيث قال لامرأة قالت نجوت على هذه النجيبة ونذرت ان بلغتنى ان أنحرها بئس ما جزيتها ويحكى ان دعبلا كان جالسا يوما فى جماعة فجرى ذكر أبى تمام فوقع فيه كما هو شأن اكثر المتعاصرين المشتركين فى صناعة وقال انه يتتبع معانى فيأخذها فقال رجل ما من ذاك أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الى بشافع * اليه ويرجو الشكر منى لاحمق
شفيعك فاشكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال

فتى أقوم بحق شكرك اذ جنت * بالغيب كفك لى ثمار نواله
فلقيت بين يديك حلو عطائه * ولقيت بين يديه مر سؤاله *
واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله فقال دعبل كذبت قبحك الله فقال الرجل ان كان سبق الى هذا المعنى فتبعته لما أحسنت وان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك فغضب دعبل وقام فانظر هداك الله فى مثل هذا يفدك أدبا فاى اساءة اساء دعبل فان من أسدى يستوجب الشكر على أى حال ولمن أسدى بشفيع منتان وما على المحسنين من سبيل وقد أظهر دعبل حماقته فى قوله أحمق ويخلق وكان طبع دعبل لا يصبر عن الهجاء وبقى مدة مستخفيا يدور فى البلاد لهجائه الملوك وكان يقول أنا منذ كذا وكذا أحمل خشبتى على كتفى يعنى خشبة الصلب لكونه كان يتوقع ذلك لافراطه

فى

فى التشبيع وذهبه خلفاء وقته وأى احسان أحسن أبو تمام فى سلاسة عبارته وتمام أدبه وسمع بشار قول المجنون

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال والله لو جعلها عصا من زبد أو مخ لما أحسن ألا قال مثل ما قلت

وحوراء المدامع من معد * كأن حديثها ثمر الجنان
اذا قامت بسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

واستهجن الناس قوله عظامها ولما قال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

تبعه سلم الخاسر فقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال ذهب ابن الفاعلة ببيتى وكان تلميذه ومن حسن الاتباع قول ابراهيم بن العباس الصولى اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسئ من العقاب ما يقمعه ازداد المحسن فى الاحسان رغبة وانقاد المسئ للحق رهبة اتبع فيه عليا كرم الله وجهه حيث يقول يجب على الوالى أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسئ ثم لا يترك واحدا منهما بغير جزاء فان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسئ وانفسد الامر وضاع العمل وقال بعضهم

ألقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته

وقال نصيب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

أى ولو سكتوا أثنت عليك العطايا الظاهرة وقيل شهادة الاحوال أعدل من شهادة الاقوال فكتب من كتب اتباعا لذلك لو أمسك لسانى عن شكرك لنطق أثرك على وفى موضع آخر ولو جحدت احسانك لأكذبتنى آثارك ونمت على شواهده وقال أبو نواس

قولا لهارون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

أخذا من قول جرير

اذا غضبت علي بنو تميم * وجدت الناس كلهم غضابا

وقال ابن عيينة

ما كنت الا كلحم ميت * دعا الى اكله اضطرار

أخذه من قول الاول

وان بقوم سودوك لفاقة * الى سيد لو يظفرون بسيد

وقال ابراهيم بن العباس

لفضل بن سعد يد * تقاصر عنها المثل

فبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل

وباطنها للندى * وظاهرها للقبل

فقال ابن الرومى

أصبحت بين خصاصة وتجمل * والمرء بينهما يموت هزيلا

فامدد الى يدا تعود بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيلا

ولكن قول ابراهيم باطنها وظاهرها أحسن من تعود بطنها وقال بشار

الدهر طلاع باحداثه * ورسله فيها المقادير

محجوبة تنفذ أحكامها * ليس لها عن ذاك تأخير

فتبعه ابن الرومى حيث يقول فى المدح

يظل عن الحرب العوان بمعزل * وآثاره فيها وان غاب شهد

كما احتجب المقدار والحكم حكمه * على الناس طرا ليس عنه معرد

قال أبو هلال الا أن قول بشار اكثر ماء وطلاوة وقال أبو تمام

وجدت رجائى فيك وحدك همة * ولكنه فى سائر الناس مطمع

قال أبو هلال أخذه البحترى واختصره

ثنى أملى واحتازه عن معاشر * يبيتون والآمال فيهم مطامع

وعجبت من قول أبى هلال فقد نزل البحترى عن أبى تمام درجات فأين هو من قوله وحدك همة ومن قوله فى سائر الناس وكيف يقول اختصره وهو يقول ثنى أملى واحتازه عن معاشر يبيتون وتبعهم ابن الرومى فى هذا المعنى حيث يقول

به صدق الله الامانى حديثها * وقد مر دهر والامانى وساوس

وقال

وقال أبو تمام

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

وتبعه البحترى فلم يسئ

متحير يغدو بعزم قائم * فى كل نائبة وجد قاعد

وقال أبو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

فتبعه أبو تمام بقوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

لكنه وان زاد فقول ابى العتاهية أجل وقال أبو تمام

رافعا كفه لبرى فما أحـ * ـسبه جاءنى لغير اللطام

أخذه البحترى فأوضحه وأحسن العبارة عنه

ووعد ليس يعرف من عبوس * بأوجههم أوعدام وعيد

وقال عربى

وفرقت بين ابنى هتيم بطعنة * لها عاند يكسو السليب ازاره

العاند الدم الشديد الخروج فأخذه البحترى وقال

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

على ان محمرة حشو وكفاك هذا القدر منها على اعتبار أمثاله عند قراءة الاشعار متى كنت مستحضرا وهاك أمثلة لقبيح الاخذ فمن ذلك لولم يكن من توارد الخواطر قول طرفة

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

أخذا من قول امرئ القيس بتغيير القافية

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول الفرزدق

أترجو ربيع ان تجىء صغارها * بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

من قول البعيث

أترجو كليبا ان يجىء حديثها * بخير وقد أعيا كليبا قديمها

وفى توارد الخواطر يقول أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن الشاعرين يتفقان

فقول رجال توافقت على ألسنتها وفى تحقيق توارد الخواطر يروى انه لما أنشد عمر ابن أبى ربيعة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما قوله (تشط غدا دار جيراننا) سبقه لتتميم البيت فقال (وللدار بعد غد أبعد) فقال عمر هكذا قلت فقال هكذا ينبغى أن يقال وان جريرا والفرزدق حضرا مرة مجلس هشام أو غيره وعدى بن الرقاع ينشد قصيدته التى أولها * عرف الديار توهما فاعتادها * فلما وصل الى قوله فى صفة الغزالة وابنها * تزجى أغن كأن ابرة روقه * عرض للملك شغل عن الاستماع فقال الفرزدق لجرير ماذا تراه يقول فقال جرير أراه يستلب مثلا فقال الفرزدق انه يقول * قلم أصاب من الدواة مدادها * فلما عاد عدى للانشاد وأتم البيت هكذا قال جرير لقد حسدت الفرزدق على ادراكه فوق ما حسدت عديا على شعره ومثل ذلك وقع كثيرا سيما فى الاشعار المحكمة التى تنبئ صدورها عن اعجازها وخطب النابغة بين يدى النعمان فقال يفضله على ملك غسان أيفاخرك ابن جفنة واللات لأمسك خير من يومه ولقذالك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولعبدك أكبر من قومه ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفده ولهزلك أضرب من جده ولكرسيك أرفع من سريره ولفترك أبسط من شبره ولامك خير من أبيه فأخذ الشعراء قول النابغة ولقذالك أحسن من وجهه قال أبو نواس * يذحسن الوجوه حسن قفاكا * وقال عبد الصمد بن المعذل

لما رأيت البدر فى * أفق السماء وقد تعلى
ورأيت قرن الشمس فى * أفق السماء وقد تدلى
شبهت ذاك وهذه * وأرى شبيههما أجلا
وجه الحبيب اذا بدا * وقفا الحبيب اذا تولى

قال أبو هلال لا يحسن أن يقال للرجل قفاك حاله كذا وكذا فعبارة النابغة أحسن وسمع الحسن بن وهب قول اعرابى جمعتنى واياها ظلمة الليل وكان البدر يرينها فلما غاب أرتنيه فقال

أرانى البدر سنتها عشاء * فلما أزمع البدر الأفولا
أرتنيه بسنتها فكانت * من البدر المنور لى بديلا

فأساء بالاطالة والتكرير وسوء العبارة فقد فاته قول الاعرابى وكان البدر يرينها وقال البحترى

أضرت

أضرت بضوء البدر والبدر طالع * وقامت مقام البدر لما تغيبا

قال أبو هلال زاد البحترى على الاعرابى فى قوله أضرت قلت ولم يصب فليس قوله أضرت واقعا من الحسن موقع قول الاعرابى وسمع بعضهم قول محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر

اذا مس بالسراء عم سروره * وان مس بالضراء أعقبه أجر

وما منهما إلا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والبر والبحر

فقال وأساء

الحمد لله ان الله ذو نعم * لم يحصها عددا بالشكر من حمدا

شكرى له عمل فيه على له * شكر يكون فما للشكر فيه مدى

وقال على كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسنه فقال ابن طباطبا العلوى

فيا لائمى دعنى أغالى بقيمتى * فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وقال آخر (فقيمة كل امرئ علمه) فأساء كل واساءة الاول أشد فان قوله كل الناس ليس كقولهما كل امرئ وقال عربى

دنوت له بأبيض مشرفى * كما يدنو المصافح للعناق

فأساء فى أخذه أبو تمام حيث يقول

حن الى الموت حتى ظن جاهله * بانه حن مشتاقا الى وطن

وأحسن البحترى أخذه فى قوله

تسرع حتى قال من شهد الوغى * لقاء أعاد أم لقاء حبائب

وقال ذو الرمة

وليل كجلباب العروس ادّرعته * باربعة والشخص فى العين واحد

أحم علافى وأبيض صارم * وأعيس مهرى وأبيض ماجد

فاساء فى أخذه أبو تمام فى قوله

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة أبدا يقرن فى قرن

فقوله والليل التمام معا وقوله ثلاثة أبدا وقوله يقرن فى قرن كلها عبارات قبيحة وأجاد البحترى الاتباع بعض الاجادة فى قوله

اطلبا ثالثا سواى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال البحترى

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى * مشغوفة بمواطن الكتمان

فقصر عن أصله وهو قول عمرو بن معديكرب

والضارب بين بكل أبيض مرهف * والطاعنين مجامع الاضغان

فقوله مجامع الاضغان أجود من قوله مواطن الكتمان لانهم انما يطاعنون الاعداء من أجل اضغانهم فاذا وقع الطعن فى موضع الضغن فذلك المراد وقال البحترى أيضا

من غادة منعت وتمنع نيلها * فلو انها بذلت لنا لم تبذل

منعت بصيغة فعل المجهول أى منعها أهلها وكذلك بذلت أى لو بذلوها فقصر فيه عن قول عبد الصمد بن المعذل لاختصاره وظهور المعنى فيه

ظبى كأن بخصره * من دقة ظمأ وجوعا

ومن البلية انني * علقت ممنوعا منوعا

وغير حسن قوله ظمأ وجوعا وقد يتفق الشاعران الآخذ والمأخوذ منه فى سوء العبارة كقول ابن أذينة

كأنما عائبها دائبا * زينها بالتزيين

وقول أبى نواس

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندى بالذى عابوا

وربما اتفقا فى الاجادة كقول اعرابى * فنم عليها المسك والليل عاكف *

وقول البحترى

وحاولن كتمان الترحل فى الدجى * فنم بهن المسك حين تضوعا

وقال أيضا

فكان العبير بها واشيا * وجرس الحلى عليها رقيبا

وزاحمهما المتنبى بقوله

قلق المليحة وهى مسك هتكها * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء

فجمع شيئين كما فعل البحترى فى بيته الثانى ولكنه سقط فى أسفل الرابية وقال عربى

حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق قدما فى الصدور صدورها

مسلمة أعجاز خيلى فى الوغى * مكلمة لباتها ونحورها

وقال أبو تمام

أناس

أناس اذا ما استحكم الروع كسروا * صدور العوالي في صدور الكتائب

فأحسنا جميعا ومن وادى هذا الكلام قول بعضهم

يلقى السيوف بوجهه وبنحره * ويقيمها منه مقام المغفر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فهدمت ركن المجد ان لم تعقر

وفي قوله ويقيمها استخدام فان الكناية لسيوف الممدوح وقول أبي بكر بن النطاح

يتلقى الندى بوجه حيي * وصدور القنا بوجه وقاح

وهذا كله مأخوذ من قول كعب بن زهير

لا يقع الطعن الا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

أو من قول حسان

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

هذا ما أردت نقله من كتاب أبي هلال فاستوعبه ثم اعلم ان الناس في نقد الشعر وسائر الكلام صنفان الصنف الاول الشعراء والكتاب ورواة المنظوم والمنثور من العلماء لغرض التعليم والتأديب وهؤلاء انما انتقدوا ما ظهر قبحه وتبين فيه المخالفة للحكمة في تشريف النوع الانساني بالكلام كنوعي التعقيد والحشو والتطويل والخطأ في المعاني واستعمال ألفاظ لا تقة تقام في غيره الى ما يشاكل ذلك وكفاك ما سلف منها عليه وربما تسامحوا في أشياء ليست بتلك المنزلة لما عرفوا من القصور الطبيعي الذي لا يمكن معه الاستكمال على الاطلاق الصنف الثاني أولئك العلماء الذين تكلموا في اثبات اعجاز القرآن الشريف من جهة البلاغة ووضعوا لذلك مصنفات وهؤلاء حيث انهم قرنوا بين الكلام البرىء من كل عيب جل أو دق ظهر أو خفي وهو كلام من لا تخفى عليه خافية وبين كلام الناس الذين هم موضع السهو والنسيان لا يكاد يسلم لهم كلام من متعلق لزمهم ان يبالغوا في البحث والتفتيش وان لا يتغاضوا عن شئ يمكن أن يؤثر في سلامة الكلام وبراءته من المطاعن وها أنا مورد لك من ذلك أنموذجا قال أحد المصنفين في ذلك الغرض حيث انتهى من القول الى ابانة سقوط درجة الشعر كيفما كان عن درجة الكتاب العزيز من البلاغة فنرجع الآن الى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها في صناعتهم ليبين لك تفاوت أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته وتعلم انه قد ابدع في

طرق الشعر أمورا اتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والمليح الذى تجد فى شعره والتصرف الكثير الذى تصادفه فى قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعفو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح وقد ترى الادباء أوّلا يوازنون به فلانا وفلانا ويضمون أشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبينه فى أشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه أو سووا بينهم وبينه أو قربوا موضع تقدمه عليهم وبروزه بين أيديهم ولما اختار واقصيدته فى السبعيات أضافوا اليها أمثالها وقرنوا بها نظائرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تتشوّق الى معارضته وتساويه فى طريقته وربما غبرت فى وجهه فى أشياء كثيرة وتقدمت عليه فى أسباب عجيبة واذا جاؤا الى تعداد محاسن شعره كان أمرا محصورا وشيئا معروفا أنت تجد من ذلك البديع أو أحسن منه فى شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع فى كلام سواه وتنظر الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته ومتانته الى عذوبته والاصابة فى معناه الى تحسين بهجته حتى ان منهم من إن قصر عنه فى بعض تقدم عليه فى بعض لان الجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى يتواردون عليه مما للآدمى فيه مجال فلكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدح ثم قد تتفاوت السهام تفاوتا وتتباين تباينا وقد تتقارب تقاربا على حسب مشاكلتهم فى الصنائع ومساهمتهم فى الحرف ونظم القرآن جنس متميز وأسلوب متخصص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله فى هذا الفصل لامرئ القيس فى أجود أشعاره وما تبين لك من عواره على التفصيل وذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

الذين يتعصبون له ويدعون المعرفة بمحاسن الشعر يقولون هذا من البديع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والحبيب والمنزل فى نصف بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لئلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت تأمل أرشدك الله أنت تعلم انه ليس فى البيتين شئ قد سبق فى ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا

وفى

وفي لفظه ومعناه خلل فاول ذلك انه استوقف ثم استبكى لذكرى الحبيب وذكراه لا تقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكى لبكائه ويرق لصديقه في شدة برحائه فاما ان يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاءه أيضا عاشقا صح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان يدعو غيره الى التواجد معه في حبيبه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكفيه ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا التطويل اذا لم يفد كان ضربا من العى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعى من محاسنه انه باق فنحن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بأن يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيده عفاء الرسوم الا جدة عهد وشدة وجد وانما فزع الاصمعى لذكر انه أفاد هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرفنا انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشو فذكر ما يمكن انه يذكر ولكن لم يخلصه بانتصاره من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال * فهل عند رسم دارس من معول * ذكر أبو عبيدة انه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس أثره كله وبالثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس في هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لا محالة واعتذار أبي عبيدة أقرب لو صح ولكن لم يرد هذا القول موردا لاستدراك على ما قاله زهير فهو الى الخلل أقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغي ان يقول لما نسجها ولكنه تعسف فجعل ما في تأويل تأنيث لانها في معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاماكن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبه بعفائه أو انه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالمنزل الدار حتى أنث فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية التطويل لم نشك في أن شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما

و يفضلهما ثم قال

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وان شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

ليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالاولين والبيت الاول منهما متعلق بقوله قفا نبك فكانه قال قفا وقوف صحبي بها على مطيهم أو قفا حال وقوف صحبي وقوله بها متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ ففي ذلك تكلف وخروج عن اعتدال الكلام والبيت الثاني مختل من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة أخرى ومعول عند الرسوم ولو اراد أن يحسن الكلام لوجب ان يدل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة أخرى وقوله

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل
اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

أنت لا تشك في أن البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله اذا قامتا تضوع المسك منهما ولو أراد ان يجود أفادان بهما طيبا على كل حال فاما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بريا القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله

ففاضت دموع العين مني صبابة * على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم لك منهن صالح * ولا سيما يوما بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله مني استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشو آخر لان قوله بل دمعي محملي يغني عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن ثم قوله حتى بل دمعي محملي اعادة ذكر الدمع حشو آخر وكان يكفيه ان يقول حتى بلت محملي فاحتاج في اقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد أفرط في افاضة الدمع حتى بل محمله تفريط منه وتقصير ولو كان أبدع لكان يقول حتى بل دمعي مغانيهم وعراصهم ويشبه أن يكون غرضه اقامة الوزن والقافية فان الدمع يبعد ان يبل المحمل وانما يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان بله فلقلته وانه لا يقطر وأنت تجد في شعر الخبز رزي ماهو أحسن من

هذا

هذا البيت وأمتن وأعجب منه والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع ولا يرعك تهو يله باسم موضع غريب وقال

و يوم عقرت للعذارى مطيتى * فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل

تقديره اذكر يوم عقرت مطيتى أو يرده على قوله يوم بدارة جلجل قال بعض الادباء قوله يا عجبا يعجب من سفهه فى شبابه من نحره ناقته لهن وانما أراد بان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعا عن الاول وأراد أن يكون الكلام ملائما له وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع من الاول وظاهره أنه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس فى هذا عجب كبير ولا فى نحر الناقة لهن تعجب وان كان يعنى به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبر عن نفسه برحله فهذا قليلا يشبه ان يكون عجبا لكن الكلام لا يدل عليه و يتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب ولا معنى بديع أكثر من سلامته مع قلة معناه و تقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا والى هذا الموضع لم يمر له بيت رائع و كلام رائق وأما البيت الثانى فيعدونه حسنا و يعدون التشبيه مليحا واقعا وفيه شئ وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه وصف شحمها وذكر تشبيه أحدهما بشئ واقع و عجز عن تشبيه الآخر وهذا نقص فى الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شئ آخر من جهة المعنى وهو أنه وصف طعامه الذى اطعم من أضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تفتخر بذلك ولا يرونه عيبا وانما الفرس هم الذين يرون هذا عيبا شنيعا وأما تشبيه الشحم بالدمقس فشئ يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما زاد المفتل للقافية وفيه شئ آخر وهو ان تبجحه بما أطعم الاحباب مذموم وان ساغ التبجح بما أطعم الاضياف الا أن يكون أورد الكلام مورد المجون والمزاح وقوله

و يوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الو يلات انك مرجلى
تقول وقد مال الغبيط بنا معا * عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

قوله دخلت الخدر خدر عنيزة تكريره لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيرها ولا ملاحة له ولا رونق وقوله فى المصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الو يلات انك مرجلى كلام مؤنث من كلام النساء نقله على جهته الى شعره وليس فيه غير هذا وتكريره بعد ذلك تقول وقد مال الغبيط يعنى قتب الهودج بعد قوله فقالت لك الو يلات انك مرجلى

لافائدة فيه غير تقدير الوزن والاخرى كناية قولها الاول كاف وهو فى النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت ومرة تقول فى معنى واحد وفصل خفيف وفى مصراع الثانى أيضا تأنيث من كلامهن وذكر أبو عبيدة أنه قال عقرت بعيرى ولم يقل ناقتى لانهم يحملون النساء على ذكور الابل لانها أقوى وفيه نظر لان البعير اسم للذكر والانثى واحتاج الى ذكر البعير لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سيرى وأرخى زمامه * ولا تبعدينى عن جناك المعلل

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فالهيتها عن ذى تمائم مغيل

البيت الاول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات المخطين فى الصنعة وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره أنه زير نساء وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن لأن الحبلى والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال والبيت الثانى غير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى البيت الاول لأن تقديره لا تبعدينى عن نفسك فانى أغلب النساء وأخدعهن عن رأيهن وأفسدهن بالتغازل وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش ما يستنكف الكريم من مثله ويأنف من ذكره وقوله

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحوّل

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت * علىّ وآلت حلفة لم تحلل

فالبيت الاول غاية فى الفحش ونهاية فى السخف وأى فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد ان هذا ليبغضه الى كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف لو كان كاذبا ثم ليس فى البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذى قبله من ذكر المرضع التى لها ولد محول فاما البيت الثانى وهو قوله ويوما يتعجب منه وانما تشددت وتعسرت عليه وحلفت عليه فهو كلام ردىء النسج لا فائدة لذكره لنا أن حبيبته تمنعت عليه يوما بموضع يسميه ويصفه وأنت تجد فى شعر المحدثين من هذا الجنس فى التغزل ما يذوب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا مما تستنكره النفس ويشمئز منه القلب وليس فيه شىء من الاحسان والحسن وقوله

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى
أغرك منى ان حبك قاتلى * وانك مهما تأمرى القلب يفعل

فالبيت الاول فيه ركاكة جدا وتأنيث ورقة ولعل قائلا ان يقول كلام النساء بما يلائمهن من الطبع أوقع وأغزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء فى المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم والمصراع الثانى منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا يبين لك اذا عرضت معه البيت الذى تقدمه وكيف ينكر تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثانى قد عيب عليه لانه قد أخبر أن من سبيلها أن لا تغتر بما بدلها من ان حبها يقتله وانما تملك قلبه فما أمرته فعله وكيف يكون ذلك مع ذلك وان كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما اظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل فى وجه آخر من المناقضة والاحالة فى الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل كان سبيله ان يقول تأمرينى اذا القلب لا يؤمر فالاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل

البيت الاول قد قيل فى تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيدة هذا مثل للهجر وتنسل تبين وتنفصل وهو بيت ركيك المعنى وضيعه وكل ما اضاف الى نفسه ووصفها به سقوط وسفه وسخف ويوجب قطعه فلم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مورد ان ليست له خليقة توجب هجرانه والتقصى من وصله وانه مهذب الاخلاق شريف الشمائل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله والاستعارة فى المصراع الثانى فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثانى فمعدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحى قلبا معشرا أى مكسرا من قولهم برمة أعشار اذا كانت قطعا هذا تأويل ذكره الاصمعى رضى الله عنه وهو أشبه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التى تقسم الجزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة فاراد انك ذهبت بقلبى أجمع ويعنى بقوله مقتل مذلل وأنت تعلم أنه على ما يعنى به فهو غير موافق للابيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بيناه ويشبه ان يكون من قال بالتأويل الثانى فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكرها على المعنى الاول لأن القائل اذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى أصابه كان كلاما

ساقطا من ذولا وهو ترى ان معنى الكلمة ان عينيها كالسهمين النافذين فى اصابة قلبه المجروح فلما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التأويل الثانى سلم من الخلل الواقع فى اللفظ ولكنه اذا حمل على الثانى فسد المعنى واختل لانه ان كان محباعلى ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به فى المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتا وكان بديعا ولا عيب فيه فليس بعجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفى ان نبين ان ماسبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحدا من المتأخرين فضلا عن المتقدمين وانما قدم فى شعره لابيات قد برع فيها وبان حذقه بها وانما انكرنا ان يكون شعره متناسبا فى الجودة ومتشابها فى صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى فى اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستشنع ولهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر * علىّ حراص لو يسرون مقتلى

فقد قالوا عنى بذلك أنها كبيضة خدر فى صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هى دائرة فى أفواه العرب وتشبيه سائر ويعنى بقوله غير معجل انه ليس ذلك مما يتفق قليلا وأحيانا بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على أنه رابط الجأش فلا يستعجل اذا دخل اليها خوف حصانتها ومنعتها وليس فى البيت كبير فائدة لان الذى حكى فى سائر أبياته قد تضمن مطاولته فى المغازلة واشتغاله بها فتكريره فى هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى ليس فيه الا الزيادة التى ذكر من منعتها والبيت الثانى ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد أن يقول لو أسروا فاذا نقله الى هذا ضعف ووقع فى مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المحترز يحترز من مثله وقوله

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

قد أنكر عليه قوم قوله اذا ما الثريا فى السماء تعرضت وقالوا الثريا لا تتعرض حتى قال بعضهم سمى الثريا وانما أراد الجوزاء لانها تتعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير

كأحمر

كأحمر عاد وانما هو أحمر ثمود وقال بعضهم فى تصحيح قوله تتعرض أول ما تطلع كما ان الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وقال أبو عمرو يعنى اذا أخذت الثريا فى وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه من محاسن هذه القصيدة وان كان فيه ضرب من التكلف لانه قال اذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح فقوله تعرضت من الكلام الذى يستغنى عنه لانها تشبه اثناء الوشاح سواء كانت فى وسط السماء وعند الطلوع والمغيب والتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الالفاظ لا معنى له وفيه ان الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله تعرض اثناء الوشاح وانما أراد أن يقول تعرض قطعة من اثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ وقوله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها * لدى الستر الا لبسة المتفضل

انظر الى هذا البيت والابيات التى قبله كيف خلط فى النظم وفرط فى التأليف فذكر التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل اليها من نزعها ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذى فى ثوب واحد وهو الفضل فما كان من سبيله أن يقدمه ذكره مؤخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وقوله

فقمت بها أمشى تجر وراءنا * على أثرنا أذيال مرط مرحل

فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

البيت الاول ذكر فيه مساعدتها اياه حتى قامت معه ليخلو وكانت تجر على الاثر أذيال مرط مرحل والمرحل ضرب من البرود يقال لوشيه الترحيل وفيه تكلف لأنه قال وراءنا على اثرنا ولو قال على أثرنا كان كافيا والذيل انما يجر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا وتقدير القول فقمت امشى بها وهذا أيضا ضرب من التكلف وقوله اذيال مرط كان من سبيله أن يقول ذيل مرط على انه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا يتقدم به سواه وقول ابن المعتز احسن منه

فبت أفرش خدى فى الطريق له * ذلا وأسحب أكمامى على الاثر

وأما البيت الثانى فقوله اجزنا يعنى قطعنا والخبت بطن من الارض والقف رمل متعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض وهذا البيت نافر عن الابيات المتقدمة لأن فيها ما هو سليس قريب يشبه كلام المولدين وهذا قد اغرب فيه وأتى بهذه

الالفظة الوحشية المتعقدة وليس فى ذكرها والحاقها بسوابقها من الكلمات فائدة والكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع الحاجة فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة يوما عبوسا قمطريرا فأما اذا وقعت فى غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها وروى ان جريرا أنشد بعض خلفاء بنى امية قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا * أوكلما جدوا البين تجزع

كيف العزاء ولم أجد مذ بنتم * قلبا يقر ولا شرابا ينقع

فكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله

وتقول بوزع قد دببت على العصا * هلا هزأت بغيرنا يابوزع

فقال افسدت شعرك بهذا الاسم وقوله

هصرت بغصنى دوحة فتمايلت * على هضيم الكشح ريا المخلخل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل

فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله أن يجعلها اثنين والمصراع الثانى أصح وليس فيه شئ الا ما يتكرر على ألسنة الناس من هاتين الصفتين وانت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على الالسن صالح وأما معنى قوله مهفهفة انها مخففة ليست مثقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى الطبع الابيات المتقدمة ونزوعه فيه الى الالفاظ المستكرهة وما فيه من الخلل من تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض ليس بطائل ولكنه قريب متوسط وقوله

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

معنى قوله عن أسيل أى بأسيل وانما يريد خدا ليس بكز وقوله تتقى يقال اتقاه بحقه اى جعله بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد وقوله تتقى بناظرة لفظة مليحة ولكن اضافها الى ما نظم به كلامه وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة ويجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله ان يضيق الى عيون الظباء أو المها دون اطلاق الوحش ففيهن ما تستنكر عيونها وقوله

مطفل

مطفل فسروه على انها البيت بصبية وانها قد استحكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله مطفل زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى أن يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت مطفلا لحظت اطفالها بعين رقة ففى نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا وأما البيت الثانى فمعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نصته رفعته وقوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام وحش موضوع منه واذا نظرت فى اشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظة وهلا قال كقول أبى نواس

مثل الظباء سمت الى * روض صوادر عن غدير

لست اطول عليك فتستثقل ولا اكثر القول فى ذمه فتستوحش واكلك الى جملة من القول فان كنت من اهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت ما رمينا اليه واستغنيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره وتتبعنا عامة ألفاظه ودللنا على ما فى كل حرف منه اعلم ان هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وابيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وقد دللنا على المبتذل منها ولا يشتبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفهر مطلعه على كل متأمل أو ناظر ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ويلحق باللغز والاشارات المستبهمة فأما الذى زعموا انه من بديع هذا الشعر فهو قوله

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها * نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك انها مترفة متنعمة لها من يكفيها ومعنى قوله لم تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال أبو عبيدة لم تنتطق فتعمل ولكنها تفضل ومما يعدونه من محاسنها

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف اعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح فيك بامثل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وصدر اراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يتلو النجوم بآيب

وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدم ابيات امرئ القيس واستحسن استعارتها وقد جعل لليل صدرا يثقل تنحيه ويبطئ تقضيه وجعل له اردافا كثيرة وجعل له صلبا يمتد و يتطاول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ورأوا ان الالفاظ جميلة واعلم ان هذا اصلح جميل وليس من الباب الذى يقال انه متناه عجيب وفيه المام بالتكلف ودخل فى التعمل وقد خرجوا له فى البديع من القصيدة قوله

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله أيضا

له ايطلا ظبى وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فأما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله فى كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير والتعمل بمثله ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا و يؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك انما كان يتفق لهم اتفاقا و يطرد فى كلامهم اطرادا وأما قوله فى وصفه مكر مفر فقد جمع فيه طباقا وتشبيها وفى سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو احسن من هذا وألطف وكذلك فى جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه فى بيت واحد صنعة ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت فى أبياتها تفاوتا بينا فى الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء فى نظائرها ومنازعون فى محاسنها ومعارضون فى بدائعها ولا سواء بين كلام ينحت من الصخر تارة ويذوب تارة و يتلون تلون الحرباء و يختلف اختلاف الاهواء و يكثر فى تصرفه اضطرابه وتتقاذف به

اسبابه

أسبابه و بين قول يجرى فى سبكه على نظام وفى رصفه على منهاج وفى وضعه على حذو فى صفاته على باب وفى بهجته ورونقه على طريق مختلفه مؤتلف ومؤتلفه متحد ومتباعده متقارب وشارده مطيع ومطيعه شارد وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب فى حال ولا يتعقد فى شان فأنت ترى هذا الشيخ كيف عمد الى قصيدة قد اتفق العلماء وأهل الادب على تقدمها فى الجودة وعلوها فى البلاغة حتى جعلوها رأس القصائد السبعيات فافسد بالنقد صورتها وغير فى وجه بهجتها ولكن أقول انه مع نورانية كلامه وسلاسة عباراته وحسن سلوكه فى تقرير اغراضه قد تحامل على أمرئ القيس بعض التحامل وما كان ينبغى فان التحامل فى مقام البرهنة يوجب نفرة عن الاستماع واستصعابا عن الانقياد و يكون ذلك سببا لضياع الحق ولست أقول ان كلام المخلوق أينما بلغ من رتب البلاغة يكاد يدانى كلام الخالق الذى لا تخفى عليه خافية ولكن أقول انه لا ينبغى ان يبخس كلام حقه ولا يوفى قسطه و يعترف له بحظه منها وها أنا مقتف أثره فى الكلام على بعض ما تكلم عليه بما يتلاشى معه كثير من انتقاداته ومفصل ما فيه الكلام منها تفصيله الذى أراده الشاعر قوله قفا نبك البيتين فصل أراد فيه بالحبيب والمنزل الجنس فالتنكير فيه للتنويع لا للافراد فكأنه قال ليقف كل منا يبكى صفاء عيشه الماضى وسرور أوقاته السالفة وتمتعه بحبيبه فى تلك المنازل الشاغلة لتلك النواحى التى سماها وطوى فى ذلك الحديث عن كثرة العمران وعظم المجتمع وذلك سبب لقوة الأمن واتساع دائرة السرور والتمكن من الاستمتاع باللذات وفيه اقامة العذر فى اشتداد الوجد وكثرة الحزن اذ بقدر الانس بالشئ تقع الوحشة عند ذهابه ولاظهار الجزع والمبالغة فى الابانة عن العذر قال لم يعف رسمها وذلك من ايجاز الاشارة الذى هو معدود من أكبر دعائم البلاغة فليس ذكره لتلك المواضع فضلا وتأمل عطفه فيها بالفاء دون الواو كما يقتضيه ظاهر الكلام فالكناية اذا من قوله رسمها تعود للمنازل ثم ان مناقشته فى الالفاظ مع كونه من رؤس أهل اللغة الذين تنقل عنهم و بكلامهم يحتج فيه خروج وقوله وقوفا الى قوله اذا قامتا فصل يبين فيه ما كان من وعظ صحابته اياه ونصحهم له فكان من كلامهم لا تهلك اسى وتجمل فهل عند رسم دارس من معول ذلك مثلك الآن كدأبك وحالك فيما مضى من فلانة وفلانة واعترض بين اجزاء ما حكاه عنهم بقوله وان شفائى عبرة ودعوى كون البكاء شافيا واطلاق الدموع مريحا أمر مشهور بين الشعراء قال بعضهم

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجىّ البلابل

وقالت الخنساء

ان البكاء هو الشفا * ء من الجوا بين الجوانح

وذلك أمر يعرف بالوجدان فقوله عند رسم دارس ليس من كلامه وعبر بلفظ دارس على معنى المشارفة على الدروس والقرب منه وهو مجاز مشهور الاستعمال حملوا عليه قوله تعالى فيه هدى للمتقين قالوا أى المشارفين للتقوى الصائرين لها فلا تناقض فلما سمع من صحبه هذا الكلام وقد هتفوا بذكر حبيبتين كانتا له تذكر حالهما فأشار الى صفة ما كانتا عليه من حسن الحال وطيب النعيم وريعان الشباب الى غير ذلك من دواعى الغزل والصبابة بقوله اذا قامتا تضوع المسك والبيت وحده فصل وانما خص حالة القيام لمكان الحركة الموجبة لتموج الهواء الذى تنتشر به الرائحة وتبلغ للبعيد ولذلك وقع التشبيه بعد موقعه فليس غرضه أن يصفهما بالطيب حتى يقال ان ذلك لا يخص حالة دون حالة ولذلك قال تضوع ولم يقل انهما اذا قامتا فهما طيبا الرائحة فالتشبيه بين انتشار الرائحة والمرور مع النسيم وليس تشبيه رائحة برائحة حتى يقال انه نقص وشبه القوى بالضعيف ثم ابان كيفية بكائه ومقدار دموعه وهو حكاية عما وقع له كما هو العادة فى اشعار العرب من كونها فى الغالب حكاية عن واقع وليس مجرد تخييل كما هو حال المتأخرين من الشعراء فانهم لما أرادوا أن يتبعوا العرب فى عمل الشعر تأملوا مذاهبهم فيه وجمعوا تصرفاتهم فى انواعه ثم أخذوا فى الجمع والتأليف على سبيل الخيال لا على سبيل حكاية الواقع فليس لاحد أن يكذبه فى صفة حاله ولا ان يكافه الكذب بأن يقول ان الدمع بلّ المقافى وجرى مثل البحر الى غير ذلك من المبالغة وقد فات هذا الشيخ أن يذكر السبب فى انحطاط قوله دموع العين منى والسبب فى ارتفاع قوله عز ذكره وهن العظم منى والعبارتان من واد واحد وان يبين الفرق بينهما كما تستحضره اذا ذكرت ما سلف من الكلام على الآية فى علم المعانى وقوله ألارب يوم الى قوله ويوما على ظهر الكثيب فصل حكى فيه بعض الوقائع التى كانت له أيام شبابه وهو كلام متلائم آخذ بعضه ببعض يجمعه غرض واحد كما تعرفه من سياق قصته فذكر يوم دارة جلجل وهو يوم عقر الناقة ويوم دخوله الخدر فعطف للاختلاف بالاضافة وليست أياما متعددة كانه قال يوما بدارة جلجل يوم عقرت يوم دخلت وقصة هذا اليوم على ما حكوه عن الفرزدق قالوا خرج الفرزدق يوما الى

ظاهر

ظاهر البصرة صبيحة ليلة باتت السماء تسكب بها فرأى آثار دواب ذاهبة الى ناحية فقال ان هذه الآثار تخبر عن خروج قوم الى ذلك الوادي وما أراهم الا قد اجتمعوا للنزهة وطعام وشراب فعزم على ان يلحق بهم لعله يصيب معهم بعض مآربه فانتهى به السير على تلك الآثار الى غدير واذا به نسوة قد نزعن ثيابهن ودخلن فيه فنزل عن بغلته وجلس على الثياب وقال يوم كيوم دارة جلجل فتضاحك منه النساء وقالوا حدثنا بحديث ذلك اليوم فاخبر ان جماعة امرئ القيس عزموا يوما على الانتقال من موضع الى موضع فسبق الرجال ليصلحوا المنزل ويهدوا موضع الاقامة وتخلف النساء وما يكفيهن من الخدم فاستخفى امرؤ القيس حتى خرج على آثار النسوة حتى اذا كان نصف النهار وصلن الى غدير فقال بعضهن لبعض لو نزلنا في هذا الموضع فاسترحنا واستجممنا نشاطنا بالاستنقاع في هذا الغدير فنزلن ونزعن ثيابهن ودخلن الماء وأدركهن امرؤ القيس فجلس على ثيابهن وحلف انه لا يعطي واحدة ثيابها حتى تخرج وتأخذها بنفسها فبعد ان امتنعن برهة وخفن ذهاب الوقت تتابعن في الخروج واحدة بعد واحدة حتى بقيت عشيقته تقسم عليه وتستعطفه وتتذلل له وهو يأبى حتى خرجت فرآها مقبلة ومدبرة ثم قلن له حبستنا واجعتنا فاغتنم ذلك منهن ورأى مكان الحيلة في وصوله الى حبيبته فقال ا تأكلن اذا نحرت ناقتي فقلن نعم فقام اليها فعقرها وجمع الخدم الحطب وأججوا نارا عظيمة فجلس وجلسن يشتوون ويأكلون ويترامون ويتلاعبون حتى قضوا غرضهم من الطعام وقاموا لتتميم السفر فتوزعوا متاع ناقته وبقي هو فركب مع حبيبته وكان هذا قصده فهو يتعجب من تمام حيلته وبلوغه غرضه وتراه يقتصر في الكلام على مواضع النكت ثم حكى ماجرى بينه وبين حبيبته بعد ركوبه معها وانه أخذ في مغازلتها وملاعبتها واقتطاف ثمراتها ونقل انها قالت له لك الويلات انك مرجلي وليس في نقل كلام الغير على وجهه عيب ألا ترى الى قوله تعالى شأنه وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخره مع ما اشتمل عليه من وقاحتهم وسفههم وجهلهم بالله وقوله قالت وتقول تأدية للمعاني بعبارتها فالقول الاول حصل منها مرة والثاني تكرر ولولا ذلك ما كان يجزه أن يقول وقالت وقد مال الغبيط بنا معا وتعرف تعين ذلك اذا تلوت قوله تعالى أرسل الرياح فتثير سحابا مع ذكر ما سلف في علم المعاني وأما قوله فمثلك حبلى فذلك ما من شأنه أن يقوله في هذا المقام فانه لا يقول عن نفسه انه راهب في صومعة بل يخبر بأنه زير نساء يستعمل

حيله فى خدعهن كما يقتضيه استحسان الشباب اهل الترف والنعيم فانه لما أراد ان يزيل
حياءها او يكسر حدتها او يثير من شهوتها ليتمكن من التمتع بها لم يجد الا ان يكلمها بما
يقتضي ذلك وقوله ويوما على ظهر الكثيب الى قوله وقد أغتدى والطير فى وكناتها فصل
اخبر فيه انها غضبت منه يوما واشتد امتناعها عليه وحلفت دون استثناء فاخذ
فى عتابها وترضيها وتصرف فى ذلك تصرف مثله فى خضوع وتذلل واذا افتخر أو اشتد
جعل ذلك فى ضمن تواضع لها واستسلام واعتراف لها بملكه واستيلائها عليه وانقياده لها
والمضي مع مرضاتها وتفهيمه اياها انها قد انفردت به مع تمكنه من التمتع بغيرها من
ذوات الشرف والترف والنعيم مع اقدامه فى ذلك وجراءته ومساعدتهن اياه فأنت اذا
تأملت فى فصول القصيدة على ما أشرنا به اليك عرفت انه لا يتوجه عليه من الانتقادات
الا القليل وانما وقفت معك هذا الموقف ليولد فيك الاطلاع على مثل هذا الكلام
جراءة واقداما على استعمال ذوقك واطلاق فكرك فى تمييز جيد الكلام ورديئه
وصحيحه وفاسده ورفيعه ووضيعه ولا تمكن منك مهابة ان هذا شعر فلان المشهور
فيستولى عليك حال التقليد ثم قال هذا الشيخ فى موضع آخر من كتابه ونحن نعمد الى
بعض قصائد البحترى فنتكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس وتلك
القصيدة التى نتكلم عليها اجود شعره سمعت أبا مسلم الرستمى يقول سمعت البحترى
يذكر ان أجود شعر قاله اهلا بذلكم الخيال المقبل قال وسمعت أبا الفضل بن
العميد يقول أجود شعره هو قوله فى الشيب زجر له لو كان ينزجر
قال وسئلت عن ذلك فقلت البحترى أعرف بشعر نفسه من غيره قلت لعل البحترى
قال ذلك قبل أن يقول قصيدته الثانية فنحن الآن نقول فى هذه القصيدة ما يصلح
فى مثلها قوله

أهلا بذلكم الخيال المقبل * فعل الذى نهواه أولم يفعل
برق سرى فى بطن وجرة فاهتدت * بسناه اعناق الركاب الضلل

البيت الاول فى قوله ذلكم الخيال ثقل روح وتطويل وحشو وغيره اصلح له وأخف منه
قول الصنوبرى

أهلا بذاك الزور من زور * شمس بدت فى فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير الى الكزازة وتعود ملاحته
بذلك

بذلك ملوحة وفصاحته عيا و براعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تلويا وتعقدا فهذا فصل وفيه شئ آخر وهو ان هذا الخطاب انما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال اقباله فاما ان يحكي الحال التي كانت وسلفت على هذه العبارة ففيه عهدة وفي تركب الكلام عن هذا المعنى عقدة وهو ابراعته وحذقه في هذه الصنعة يتعمد نحو هذا الكلام ثم قوله فعل الذي نهواه أولم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة ظريفة وان كانت كسائر الكلام فاما بيته الثاني فهو عظيم الموقع في البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء انيق المنظر والمسمع يملأ القلب والفهم و يفرح الخاطر وتسرى بشاشته في العروق وكان البحتري يسمي هذه الابيات عروق الذهب وفيه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرونق المليح وذلك انه جعل الخيال كالبرق لاشراقه في مرآه كما يقال انه يسري كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك اضاء ما حوله ونور ما مر به وهذا غلو في الصنعة الا أن ذكره بطن وجرة حشو وفي ذكره خلل لأن النور القليل يؤثر في بطون الارض وما اطمأن منها بخلاف ما يؤثر في غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده المكان على الحشو احذ من تحديد امرئ القيس بذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة لم يقنع بذكر حد حتى حده باربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى ان اخل بحد ان يكون بيعه فاسدا وشرطه باطلا فهذا باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الاثر ودقة المطلب ولطف المسلك وهذا الذي ذكر يضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر ان البحتري قطع الكلام الاول وابتدأ يذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لان هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة لان كل برق شمل وتكرر وقع الاهتداء به في الظلام وكان لا يكون بما نظمه مقيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده ذو لفظ محمود ومعنى مستجلب غير مقصود و يعلم بمثله انه طلب العبارات وتعليق القول بالاشارات وهذا من الشعر الجنس الذي يحلو لفظه وتقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطي الاباطح

هذه ألفاظ بديعة المطالع والمقاطع حلوة المجانى والمواقع قليلة المعانى والفوائد فاما قول البحترى بعد ذلك

من غادة منعت وتمنع نيلها * فلو انها بذلت لنا لم تبذل

كالبدر غير مخيل والغصن غير ميل والدعص غير مهيل

فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقة ألفاظه أوفر من معانيه وكلماته أكثر من فوائده ونعلم ان القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال هى ممنوعة مانعة كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما البيت الثانى فانت تعلم ان التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا فضيلة فى التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت وهذا أيضا قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له بعد ذلك شئ آخر وهو تعمله بالترصيع فى البيت كله الا ان هذه الاستثناآت فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك والدعص غير مهيل لانه اذا انهال خرج عن ان يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك ياسعاد بمحسن * فيما أتاه ولا الجمال بمجمل

عذل المشوق وان من سيما الهوى * فى حيث تجهله لجاج العذل

قوله فى البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذى قصده أنت تعلم انه متكرر على لسان الشعراء وفيه شئ آخر انه يذكر ان حسنها لم يحسن فى تهييج وجده وتهييم قلبه وضد هذا المعنى هو الذى يميل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاجم اسلم من هذا وأبعد من الخلل وهو قوله

بحياة حسنك أحسنى وبحق من * جعل الجمال عليك وقفا أجملى

قلت انه لم يوف الكلام على ثقل قوله عندك حقه فانها لم تثقل لكونها حشوا فقط بل هى غير صحيحة الاستعمال فانه انما يقال الكتاب الذى عندك مثلا واما ان يقال الحسن الذى عندك واللطف فلا وانما يقال حسنك ولطفك أو الحسن الذى لك وأما البيت الثانى فان قوله فى حيث حشا بقوله فى كلامه ووقع ذلك مستنكرا وحشيا نافرا عن طبعه

جافيا

جافيا في وضعه فهو كرقعة من جلد في ديباج حسن فهو بمعوحسنه ويأتي على جماله ثم في المعنى شئ لان لجاج العذل لايدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتد العذل اليه فعلم ان المقصد استجلاب العبارات دون المعانى ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ولا شئ يفوت قول الشعراء في العذل فان ذلك جماهم الذلول وقولهم المكرر قلت ان البحترى أخرج هذا البيت مخرج التأسف والتحسر وشكوى الحال في الهوى وتقدير كلامه وان من سيما الهوى ولوازمه لجاج العذل في حيث تجهله دون تأمل في قوة اسباب الهوى وعذر صاحبه فقد ادمج في كلامه ما فصله الآخر حيث يقول

أبصره عاذلى عليه * ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لى لو هويت هذا * مالامك الناس في هواه

فظل من حيث ليس يدرى * يأمن بالحب من نهاه

وقوله

ماذا عليك من انتظار متيم * بل مايضرك وقفة في منزل

ان سئل عىّ عن الجواب فلم يطق * رجعا فكيف يكون ان لم يسئل

لست أنكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وماءهما وبهجتهما الا ان البيت الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهة العاذل ذكر وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائمه ثم الذى ذكره من الانتظار وان كان مليحا في اللفظ فهو في المعنى متكلف لأن الواقف في الدار لا ينتظر أمرا وانما يقف تحسرا وتلذذا وتحيرا والشطر الاخير من البيت واقع والاول مستجلب وفيه تعليق على أمر لم يجر له ذكر لان وضع البيت يقتضى تقدم عذل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذكورا في شعره من قبل وأما البيت الثانى فانه معلق بالاول لم يستقل الا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره ويرون ان البيت التامّ هو المجود والمصراع التامّ بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الآخر أفضل وأتم وأحسن وفيه شئ آخر لانه لا يصلح ان يكون السؤال سببا لان يعيا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه فاما قوله

لا تكلفنّ لى الدموع فان لى * دمعا يتم عليه ان لم يفضل

ولقد سكنت من الصدود الى النوى * والشرى أرىّ عند أكل الحنظل

وكذاك طرفة حين أوجس ضربة * في الرأس هان عليه فصد الاكحل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم في طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء

ومخالف لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك
ان القوم يسلكون حفظ الالفاظ وتصنيعها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال الله
عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون
فاخبر انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعانى حيث تتبع
ألفاظهم وذلك ماوضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ثم لوان هذا البيت وما يتلوه
من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن فى ذلك شئ يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم وأما قوله
والشرى أرى فانه وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهى
كلمة ثقيلة على اللسان وهم يذمون نحو هذا كما عابوا على أبو تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

ذكر لى الصاحب بن عباد انه جارى الفضل بن العميد فى محاسن القصيدة حتى انتهى الى
هذا البيت فذكر له ان قوله امدحه معيب لثقله من جهة تدارك حروف الحلق ثم
رأيت بعد ذلك المتقدمين تكلموا فى هذه النكتة فعلمت ان ذلك شئ عند أهل الصنعة
معروف ثم ان قوله عند أكل الحنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبى
من كلامه غريب فى طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وفجاجة وان كان المعنى صالحا
قلت ان العاذل هو الرفيق وما يصدر منه يكون فى رأيه نصيحة توجبها الشفقة وهو عند
المحب عذل الا ان استحسان الشيخ قوله ماذا عليك من انتظار لم تظهر اصابته فان فى
معناه جريا على شدة مناقشته نوعا من الخلل وذلك انه يدعى ان ليس على الرفيق ضرر فى
وقوفه بالمنزل وكيف وله أن يقول على فى ذلك اضاعة الوقت فى غير طائل وثقل الشغل
بغير شاغل ثم ان قوله ان سئل عى عن الجواب كونه حجة للعاذل أولى من أن يكون عليه
وأما قوله وكذاك طرفة فهو منتظم مع سابقه فانه من نوع اختيار اخف الضررين
وضرب المثل به صحيح وبديع التمليح بالقصة المشهورة داع لايراده وأما قوله

وأغر فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبنى الا انه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

فالبيت الاول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة
خروجه نحو هذا وهو غير بارع فى هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لان من كان
صناعته الشعر وهو يأكل به وتغافل عما يدفع اليه فى كل قصيدة واستهان باحكامه

وتجويده مع تتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها كان ذلك ادخل في عيبه وأدل على تقصيره أوقصوره وأما قوله واغر في الزمن البهيم محجل فان ذكر التحجيل في الممدوح ليس بالجيد وقد يمكن أن يقال انه اذا قرن بالاغر حسن وجرى مجراه وانخرط في سلكه واهوى الى مضماره ولم ينكر لمكان من جواره فهذا عذر والعدول عنه احسن وانما أراد ان يرد العجز عن الصدر و يأتي بوجه في التجنيس قلت وكيفما كان فالتحجيل في كلامه لم يقع موقعه في قوله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من آثار الوضوء فالغرة والتحجيل فيه حقيقيان ويستتبعان شرف الشهرة والغرة في كلامهم لمجرد الشهرة وظهور التميز وجلالة القدر فهو كقولهم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   وفيه شئ لان ظاهر كلامه يوهم انه قد صار ممتطيا الاغر الاول وراكبا عليه يعني ان من التجريدية لكثرة استعمالها في الشعر تكون اسرع تمثلا للوهم من الابتدائية التي هي المرادة والدقة تقتضي التحرز عن مثله ولوسلم من ذلك لم يكن فيه مايفوت حدود الشعراء وأقاويل الناس فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورده بجز البيت عليه وظنه انه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيأ حتى كررها فهي كلمة فيها ثقل ونحن نجدهم اذا أرادوا أن يصفوا بنحو هذا قالوا ماهو الاصورة وماهو الا تمثال وماهو الا دمية وماهو الاظبية ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر انه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولوان هذه الكلمة ككررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم وأما قوله

وافي الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول

اخواله للرستمين بفارس * وجدوده للتبعين بموكل

نبل المحزم مما يمدح به الخيل فهو لم يأت فيه ببديع وقوله يشد عقد حزامه داخل في التكلف والتعسف لايقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ وينقدها نقدا شديدا فهلا قال يشد حزامه أو يأتي بحشو آخر سوى العقد فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله يوم اللقاء حشو آخر لايحتاج اليه وأما البيت الثاني فمعناه اصلح من ألفاظه لانها غير مجانسة لطباعه وفيها غلظ ونفار وأما قوله

يهوي كما تهوي العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل

متوجس برقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل
ما ان يعاف قذى ولو اوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل مالم يقولوه بل هو منقول وفى سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بابدعها وقد يقولون يفوت الطرف ويسبق الريح ويجارى الوهم ولولا أن الاتيان على محاسن ماقالوه فى ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب لنقلت لك جملة مما ذهبوا اليه فى هذا المعنى فتعلم انه لم يأت منها بما يجل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على ان الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة فى الحقيقة الا أن يشبه جده فى العدو بحالة انقضاض البازى والعقاب وليست تلك الحالة باسرع أحوال طيرانها وأما البيت الثانى فقوله ان الاذنين كأنهما من ورق موصل وانما أراد بذلك حدتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بحفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضمن ماذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكل فيه لطبعه غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبى تمام وغيره وقطعة أبى تمام فى نهاية الحسن فى هذا المعنى والذى وقع للبحترى فى هذا البيت عندى ليس بجيد فى لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى فى عين هذه القصيدة بل وخز افيها وو بالا عليها قد كدر صفاءها وأذهب بهاءها وماءها وطمس بظلمته سناها وماوجه مدح الفرس بانه لا يعاف قذى من المياه اذا وردها كأنه أراد ان يسلك مسلك بشار فى قوله ولا يشرب الماء الا بدم واذا كان لهذا الباب مجانبا وعن هذا السمت بعيدا فهلا وصفه بعزة الشرب كما وصفه المتنبى فى قوله

وصول الى المستصعبات بخيله * فلو كان قرن الشمس ماء لأوردا

وهلا سلك فيه مسلك القائل

وانى للماء الذى شابه القذى * اذا كثرت وراده لعيوف

ثم ولو أوردته يوما حشو بارد ثم قوله حمدويه الاحول وحش جدا فما أمقت هذا البيت وأبغضه وما أثقله وأسخفه وانما غطى على عينه عيبه وزين له ايراده طمعه فى الاستطراد وهلا طمع فيه على وجه لا يغض من بهجة كلامه ولا معنى ألفاظه فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر

يتعذر قول الشيخ فهلا وصفه بعزة الشرب وايراد بيت المتنبي عجيب فان ذلك ليس من صفة الفرس بعزة الشرب وانما هو من صفة الممدوح بانه يطلب معالي الامور وأبعد درجات المجد وانه يصل الى ماقصده منها وبالغ في ذلك حتى جعله قادرا على ان يورد خيله الشمس لو صلحت لذلك وليس معناه انه يتخير لخيله المستقى وقطعة أبي تمام التي يقول الشيخ انه أوردها في ضمن ماسبق من كلامه في نوع الاستطراد فهي فيما حكاه بقوله كتب لي الحسن بن عبد الله قال أخبرني محمد بن يحيى حدثني محمد بن علي الانباري قال سمعت البحتري يقول أنشدني أبو تمام لنفسه

وسابح هطل التعداء هتان * على الجراء أمين غير خوان
اظمأ الفصوص ولم تظمأ قوائمه * فخل عينيك في ريان ظمآن
ولو تراه مشيحا والحصى فلق * بين السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقال لي ماهذا من الشعر قلت لا أدري قال هذا المستطرد أوقال الاستطراد قلت وما معنى ذلك قال يرى انه يصف الفرس ويريد هجاء عثمان فقال وقال البحتري

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

قال فقيل للبحتري انك أخذت هذا من أبي تمام فقال مايعاب علي أن آخذ منه وأتبعه فيما يقول قلت واذا كانوا يجعلون من أدب الفرس انه يرد ما أورد لا يتخير موردا دون مورد وبذلك يقوى الانتفاع به وتشتد الثقة بصحبته في الاسفار ومضايق الامور كما هو أدب في الانسان أيضا لم يكن لانتقاد الشيخ موضع وقوله ولو أوردته هي العبارة التي يحسن أن يتوصل بها الى الهجاء ولفظ حمدويه الاحول اسم المهجو وصفته لا يمكن تبديلهما فاذا لاعيب في البيت فاما قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل
تتوهم الجوزاء في ارساغه * والبدر فوق جبينه المتهلل

فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا انه لايهتدي لوصل الكلام ونظام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سحب الرداء قبيح في تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة الاعلى اضمار انه ذنب يسحبه كما يسحب وقوله يذب عن عرف ليس

بحسن ولا صادق والمحمود ماذكره امرؤ القيس وهو قوله فى صفة الذنب

ضاف فويق الارض   وأما قوله تتوهم الجوزاء فى ارساغه فهو تشبيه مليح

ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ماقاله الشعراء فى تشبيه الغرة بالهلال

والبدر والنجم وغيرذلك من الامور وتشبيه الحجول لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها

وأمور رائعة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضوع كلامنا فتتبع ذلك فى اشعارهم لتعلم

ماوصفت لك واعلم انا تركنا بقية كلامه فى وصف الفرس لانه ذكر عشرين بيتا فى ذلك

والذى ذكرناه فى المعنى يدل على مابعده ولا يعدو ما تركناه أن يكون متوسطا الى حد يفوت

طريقة الشعراء ولو تتبعت أقاويل الشعراء فى وصف الخيل علمت انه وان جمع فاوعى

وحشر فنادى ففيهم من سبقه فى ميدانه ومنهم من ساواه فى شأوه ومنهم من داناه فالقبيل

واحد والنسيج متشاكل ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من اشعارهم فى ذلك لتقف

على ما قلت فتجاوزنا الى الكلام على ماقاله فى المدح فى هذه القصيدة قال

لمحمد بن على الشرف الذى * لا يلحظ الجوزاء الامن عل

وسماحة لولا تتابع مزنها * فينا الراح المزن غير مبخل

والجود يعذله عليه حاتم * سرفا ولا جود لمن لم يعذل

البيت الاول منقطع عما قبله على ماوصفنا به شعره من قطعه المعانى وفصله بينها وقلة تأتيه

لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان فى الصناعة وتخلف فى البراعة وهذا اذا وقع

فى مواضع قليلة عذر فيها وأما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذر له وأما

المعنى الذى ذكره فليس بشئ مما سبق اليه وهو شئ مشترك فيه وقد قالوا فى نحوه الكثير

الذى يصعب نقل جميعه وفى المعنى قال المتنبى

وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل

قلت لا معنى لايراد قول المتنبى مع تأخره عن البحترى وكان عليه حيث أراد ان يذكر شيأ

من كلام المتقدمين كأن يقول قال زهير مثلا وينقل مثل قوله

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وأين زحل فى كلام المتنبى من الجوزاء فى كلام البحترى قال الشيخ وحدثنى اسماعيل

ابن عباد انه رأى أبا الفضل ابن العميد قام لرجل ثم قال لمن حضره أتدرون من هذا ثم قال

هذا الذى قال فى أبيه البحترى   لمحمد بن على الشرف الذى

قلنا

فذلك منه استعظام للبيت بما مدح به من البيت والبيت الثانى فى تشبيه جوده بالسحاب قريب وهو حديث مكرر ليس ينفك مديح شاعر منه وكان من سبيله ان يبدع فيه زيادة ابداع كما قد يقع لهم فى نحو هذا ولكن لم يتصنع له وأرسله ارسالا والبيت الثالث وان كان معناه مكررا فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه ألفاظ المبتدئين يعنى ان ترتيب الكلام هكذا والجود سرفا يعذله حاتم عليه وذلك ان سرفا يجب أن يكون مفعولا مطلقا للجود أى والجود جود سرف ولا يصح أن يكون مفعولا له لعدم اتحاد الفاعل وأما قوله

فضل وافضال وما أخذ المدى * بعد المدى كالفاضل المتفضل

سار اذا ادّلج العفاة الى الندى * لا يصنع المعروف غير مجمل

فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شئ غير التجنيس الذى ليس ببديع لتكرره على كل لسان وقوله ما أخذ المدى فانه لفظ مليح وهو كقول امرئ القيس

سموّ حباب الماء حالا على حال   ولكنها طريقة مذللة فهو فيها تابع وأما البيت الثانى فقريب فى اللفظ والمعنى وقوله لا يصنع المعروف ليس بلفظ محمود قلت لم يصب الشيخ فى دعواه انقطاع البيت عن سابقه فانه اجمال له وجمع لمفصله فانه لما ذكر الشرف وكرم الاعمال عقب ذلك بقوله انه جامع بين الفضل والافضال لا كمن ينفرد بأحدهما وأما قوله

عال على نظر الحسود كأنما * جذبته افراد النجوم بأحبل

أو ما رأيت المجد ألقى رحله * فى آل طلحة ثم لم يتحوّل

فالبيت الاول منكر جدا فى جرّ النجوم بالاحبل موضعه الى العلوّ والتكلف فيه واقع والبيت الثانى أجنبى عنه بعيد منه وافتتاحه ردىء وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوفيق والتبيان أجنبيان من كلامه غريبان فى قصيدته ولم يقع له فى المدح فى هذه القصيدة شئ جيد ألا ترى انه قال بعد ذلك

نفسى فداؤك يا محمد من فتى * يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى

انى أريد أبا سعيد والعدا * بينى و بين سحابه المتهلل

كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وربيعة الـــخابور توعدنى وأزد الموصل

قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لاخيك من أدد أبيك بمنصل

البيت الاول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكر الاماكن لا يتأتى فيه التحسين وهذا المعنى قد يمكن ايراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

والبيت الثانى قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلطف وهو قبيح اللفظ حيث يقول فيه فثنه لاخيك من أدد أبيك من أخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر هذا النسب حتى أفسد به شعره فى قول الشيخ وهذا المعنى يمكن الى آخره نظر وأما قوله بعد ذلك فى وصف السيف يقول

يتناول الروح البعيد مناله * عفوا ويفتح فى القضاء المقفل

بانارة فى كل حتف مظلم * وهداية فى كل نفس مجهل

ماض وان لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاه لديباجة شعره ولا له بهجة نظمه لظهور رأثر التكلف عليه وتبين الثقل فيه وأما القضاء المقفل وفتحه فكلام غير محمود ولا مرضى واستعارة لو لم يستعرها كان أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبى تمام قوله

فضربت الشتاء فى اخدعيه * ضربة غادرته عودا ركوبا

وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع فى اخدعيه وقد اتبعه البحترى فى استعارة الاخدع ولو عابا تباعه فقال فى الفتح وعتقت من ذل المطامع اخدعى

أى فان العادة أن يقال أعتقنى أو أعتقت عنقى قال الشيخ ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظة لخبيث مارد وردىء معاند أراد ان يطلق أعنة الذم فيه ويسرح جيوش العتب اليه ولم يقنع بقفل القضاء حتى جعل للحتف ظلمة تجلى بالسيف وجعل السيف هاديا فى النفس المجهل الذى لا يهتدى اليه وليس فى هذا مع تحسين اللفظ وتنميقه شئ لان السلاح وان كان معيبا فانه يهتدى الى النفس وكان يجب أن يبدع فى هذا ابداع المتنبى فى قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم * فما يخطرن الا فى فؤاد

فالاهتداء على هذا الوجه فى التشبيه بديع حسن وفى البيت الاول شئ آخر وذلك ان

قوله

قوله ويقمح فى القضاء فى هذا الموضع حشوردىء يلحق بصاحبه الالكنة ويلزمه الهجنة وأما البيت الثالث فانه اصلح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشوا وتكلفا ولغوا لان هذا لا يتغير بالفارس والراجل على انه ليس فيه بديع يعني كان يكفي أن يقول ماض وان لم تمضه يد بطل كما قال الطغرائى

فعادة النصل أن يزهى بجوهره * وليس يعمل الا فى يدى بطل

وأما قوله

يغشى الوغا فالترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بمعقل

مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقد يفرى باول ضربة * ما أدركت ولو انها فى يذبل

البيتان الاولان من الجنس الذى يكثر كلامه عليه وهى طريقته التى لا يتجنبها وذلك من السبك الكتابى والكلام المعتدل الا انه لم يبدع فيهما بشىء وقد زيد عليه فيهما ومن قصد الى أن يكمل عشرة أبيات فى وصف السيف فليس من حكمه أن يأتى بأشياء منقولة وأمور مذكورة وسبيله ان يغرب ويبدع كما أبدع المتنبي فى قوله

سله الركض بعد وهن بنجد * فتصدى للغيث أهل الحجاز

هذا فى باب صقاله واضوائه وكثرة مائه وكقوله

ريان لو قذف الذى اسقيته * لجرى من المهجات بحر مزبد

وقوله مصغ الى حكم الردى ان تأملته مقلوب كان ينبغي أن يقول يصغى الردى الى حكمه كما قال الآخر فالسيف يأمر والاقدار تنتظر وقوله واذا قضى لم يعدل متكرر على ألسنتهم فى الشعر خاصة فى نفس هذا المعنى والبيت الثالث سليم وهو كالاولين فى خلوه عن البديع قول المتنبي سله الركض البيت فى صفة السيف بالاضاءة واللمعان ومعناه اتفق انه انسل بسبب ركض متقلده وهو بنجد فبرق حتى بلغ أرض الحجاز بريقه ولمعانه فحسبوه برقا فتصدوا للما يعقبه من المطر وقوله ريان لو قذف صفة له بكثرة القتل به فيعني انه شرب نفوس قتلاه فلو قذف ماشربه من الارواح لجرى منها بحر فهو فى معناه كقوله

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

قال الشيخ وأما قوله

فاذا أصاب فكل شئ مقتل * واذا أصيب فماله من مقتل
وكانما سود النمال وحمرها * دبت بايد فى قراه وأرجل

البيت الاول يقصد به صنعة اللفظ وهو فى المعنى متفاوت لان المضرب قد لا يكون مقتلا وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون ان هذا أبدع من قول المتنبى وانه بضده

يقتل السيف فى جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجال

وهذه طريقة لهم يتمدحون بها فى قصد الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفى قوله واذا أصيب فماله من مقتل تعسف لانه يريد بذلك أنه لا ينكسر فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذى ذكرنا يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذى عليه الجملة ما حكيناه عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان

يقصف فى الفارس السمهرى * وصدر الحسام فريقا فريقا

والبيت الثانى أيضا هو معنى مكرر على ألسنة الشعراء وانما تصنيعه بسود النمال وحمرها فليس بشئ ولعله أراد بالحمر الذر والتفصيل بارد والاغراب به منكر وهو كما حكى عن بعضهم انه قال كان كذا حين كانت الثريا بحذاء رأسى على سواء أو منحرفة قدر شبر أو نصف شبر أو اصبع أو ما يقارب ذلك فقيل له هذا من الورع الذى يبغضه الله و يمقته الناس ورب زيادة كانت نقصانا وصفة النمل بالسواد والحمرة فى هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت فى قوله دبت بايد فى قراه وأرجل وكان يكفى ذكر الارجل عن ذكر الايدى ووصف الفرند بدبيب النمل شئ لا يشذ عن أحد منهم قلت بل كان يكفى ذكر دبيب النمل دون الايدى والارجل كما قال أبو العلاء

ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا

وأما قوله

وكأن شاهره اذا استضوى به الـــزحفان يعصى بالسماك الاعزل
خلت حمائله القديمة بقـــلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

البيت الاول منهما فيه ضرب من التكلف وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم كما قيل

قمر يشد على الرجال بكوكب

فجعل ذلك الكوكب السماك واحتاج الى أن يجعله اعزل للقافية ولو لم يحتج الى ذلك كان خيرا له لان الصفة فى هذا الموضع تغض منه وموضع التكلف الذى ادعيناه الحشو الذى ذكره من قوله اذا استضوى به

الزحفان وكان يكفي أن يقول كان صاحبه يعصي بالسماك وهذا وان كان قد تمحل فيه اللفظ فهو لغو على ما بينا وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله حمائله القديمة ولا فضيلة له في ذلك ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل النذل لان العامة قد يتفق منها تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذى هو بالعى أشبه منه بالفصاحة والى اللكنة أقرب منه الى البراعة وقد بينا ان مراعاة الفواتح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه مما لابد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه وبهاءه وقد اطلت عليك فيما نقلت وتكلفت ما سطرت لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع واصل الباب في الشعر على ان ينظر الى جملة القصة ثم يتعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها وقد يقصد تارة الى تحقيق الاغراض وتصوير المعاني التي في النفوس ولكنه يلحق بأصل بابه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وان اردت ان تعرف اوصاف الفرس فقد ذكرت لك ان الشعراء قد تصرفوا في ذلك بما يقع اليك ان كنت من اهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك في السيف وذكر بعض اهل الادب أن أحسن قطعة في السيف قول ابى الهول الحميرى

حاز صمصامة الزبيدى من بين جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما اطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين برديه حد * من ذعاف تميس فيه المنون
اوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت له الذعاف القيون
فاذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الابصار كالقبس المشعل لا تستقيم فيه العيون
وكأن الفرند والرونق الجا * رى في صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذى الحفيظة في الهيجاء يعصى به ونعم القرين
ما يبالى اذا انتضاه لضرب * أشمال سطت به ام يمين

وانما يوازن شعر البحترى بشعر شاعر من طبقته ومن اهل عصره ومن هو في مضماره وفي منزلته ومعرفة أجناس الكلام والوقوع على اسراره والوقوف على مقداره شئ وان كان عزيزا وامر وان كان بعيدا فهو سهل على اهله مستجيب لاصحابه مطيع لارباب

ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وانما تبقى الشبهة فى ترتيب الحال من البحترى وابى تمام وابن الرومى وغيره ونحن وان كنا نفضل البحترى بديباجة شعره على ابن الرومى وغيره من اهل زمانه ونقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة الفاظه وقلة تعقد قوله فالشعر قبيل ملتمس مستدرك وامر ممكن مطيع وهذه القصيدة التى تكلم بانتقاد بعضها هذا الشيخ رضى الله عنه ونقل عن البحترى انها اجود شعره قد امتدح بها احد اعيان زمانه من الكتبة محمد بن على عيسى القمى ورأيت اثباتها هنا وتعقيبها بالقصيدة التى استجادها الاستاذ ابو الفضل بن العميد احد مشايخ الكتاب وشيخ الصاحب اسماعيل ابن عباد فى دولة بنى بويه تجميلا للفائدة هذه القصيدة الاولى

اهلا بذلكم الخيال المقبل * فعل الذى نهواه اولم يفعل

برق سرى فى بطن وجرة فاهتدت * بسناه اعناق الركاب الضلل

الاعناق هنا جمع عنق وهو الجماعة من الناس او العضو المخصوص فيكون مجازا بعلاقة الجزئية اذ العنق موضع استبانة الهداية فانه اول ما يميل ويعتدل عند سلوك السبل فكأنه قال فاهتدت بسناه ابل الركاب او جل الركاب

من غادة منعت وتمنع نيلها * فلو انها بذلت لنا لم تبذل

كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

ما الحسن عندك ياسعاد بمحسن * فيما اتاه ولا الجمال بمجمل

عذل المشوق وان من سيما الهوى * فى حيث تجهله لجاج العذل

ماذا عليك من انتظار متيم * بل ما يضرك وقفة فى منزل

ان سيل عى عن الجواب ولم يطق * رجعا فكيف يكون ان لم يسئل

لا تكلفن لى الدموع فان لى * دمعا يتم عليه ان لم يفضل

ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشرى أرى عند أكل الحنظل

وكذاك طرفه حين اوجس ضربة * فى الرأس هان عليه قطع الاكحل

واغر فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على اغر محجل

كالهيكل المبنى الا انه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

وافى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول

اخواله للرستمين بفارس * وجدوده للتبعين بموكل

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل
تتوهم الجوزاء فى ارساغه * والبدر فوق جبينه المتهلل
متوجس برقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل
جذلان ينفض عذرة فى غرة * يقق يسيل حجولها فى جندل

العذرة الشعر النازل من ناحية الرأس و يقق شديد البياض والاضافة فى حجولها أى الغرة لادنى ملابسة لجريان العادة بجمع الغرة والتحجيل فى الذكر

كالرائح النشوان أكثر مشيه * عرضا على السنن البعيد الاطول
ذهب الاعالى حيث تذهب مقلة * فيه بناظرها حديد الاسفل

أى اعاليه ذهبية اللون واسفله حديدى القوة

صافى الاديم كأنما عنيت به * لصفاء نقبته مداوس صيقل

النقبة بضم فسكون اللون والمدوس آلة الصقال

وكأنما نفضت عليه صبغها * صهباء للبردان او قطربل

البردان بفتحتين قرية بناحية بغداد

لبس القنوء من عفرا ومعصفرا * يدمى فراح كأنه فى خيعل
وكأنما كسى الخدود نواعما * مهما تواصلها بلحظ تخجل

الخيعل قميص ليس له كمان

وتراه يسطع فى الغبار لهيبه * لونا وشدا كالحريق المشعل
وتظن ريعان الشباب يروعه * من جنة اونشوة او افكل
هزج الصهيل كأن فى نغماته * نبرات معبد فى الثقيل الاول
ملك العيون فان بدا اعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو اوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول
لمحمد بن على الشرف الذى * لا يلحظ الجوزاء الامن عل
وسماحة لولا تتابع مزنها * فينا لراح المزن غير مبخل
والجود يعذله عليه حاتم * سرفا ولا جود لمن لم يعذل
فضل وافضال وما اخذ المدى * بعد المدى كالفاضل المتفضل

ساراذا ادّلج العفاة الى الندى * لايصنع المعروف غير معجل
عال على نظر العيون كانما * جذبته افراد النجوم بأحبل
اوما رأيت المجد ألقى رحله * فى آل طلحة ثم لم يتحوّل
ضيف لهم يقرى الضيوف ونازل * متكفل فيهم بنزل السنزل
نفسى فداؤك يامحمد من فتى * يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى
انى اريد أباسعيد والعدا * بينى وبين سحابه المتهلل
مضر الجزيرة كلها وربيعة الــــخابور توعدنى وأزد الموصل
قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لاخيك من أدد ابيك بمنصل
يتناول الروح البعيد مناله * عفوا ويفتح فى القضاء المقفل
بانارة فى كل حتف مظــــلم * وهداية فى كل نفس مجهــل
ماض وان لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الوغا فالترس ليس بجنة * من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متألق يفرى باول ضربة * ماادركت ولو انها فى يذبل
واذا أصاب فكل شئ مقتل * واذا أصيب فماله من مقتــل
وكانما سود النمال وحمرها * دبت بأيد فى قراه وأرجــل
وكأنّ شاهره اذا استضوى به الــــزحفان يعصى بالسماك الاعزل
حلت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

السماك الاعزل أحد السماكين والآخر السماك الرامح فالاعزل ما لارمح معه والرامح مامعه رمح ولابى العلاء المعرى وفيه ذكر السماكين

لاتطلبن بغير حظ آلة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وهذه القصيدة الثانية مدح بها احد أمراء زمانه على الارمنى

فى الشيب زجر له لو كان ينزجر * وبالــــغ منه لولا انه حجر
ابيض مااسودّ من فوديه وارتجعت * جلية الصبح ماقد اغفل السحر
وللفتى مهلة فى الحب واسعة * مالم يمت فى نواحى رأسه الشعر

قالت

قالت مشيب وعشق أنت بينهما * وذاك فى ذاك ذنب ليس يغتفر

وعيرتنى سجال العدم جاهلة * والنبع عريان ما فى فرعه ثمر

النبع شجر تعمل منه القسى فان نبت فى اعلى الجبل كان صلبا لاستيفاء حظه من الشمس وجفاف الهواء وخص باسم النبع وان نبت فى وسط الجبل كان متوسطا وسمى بالشوحط بفتح اوله وان نبت فى اسفل الجبل كان رخوا وسمى غربا بفتحتين وفى الرد على البحترى على سبيل المغالطة الادبية حيث قال انه لا ثمر للنبع وقد صدق يقول ابو العلاء المعرى

وقال الوليد النبع ليس بمثمر * واخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

يعنى انه تتخذ منه القسى فيصاد بها الوحش فذلك من فوائده وثمراته والسجال النوب كما يقال الحرب سجال اى مرة لهؤلا ومرة لاولئك

عزى عن الحظ ان الحر يدركه * وهون العسر على فى اليسر

وما الفقير الذى عيرت آونة * بل الزمان الى الاحرار مفتقر

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الفهم الا هذه الصور

جهل وبخل وحسب المرء واحدة * من تين حتى يعفى خلفه الاثر

اذا محاسنى اللاتى أدل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف اعتذر

أهز بالشعر أقواما ذوى وسن * فى الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا

علىّ نحت القوافى من مقاطعها * وما علىّ لهم أن تفهم البقر

لا رحلى وامالى مطرحة * بسرّ من راء مستبطا لها القدر

سر من راء بلد بناها المعتصم فلما نزلها قالوا استحسانا لها سرّ من رأى أى حصل السرور لمن رآى تلك البلد فصار لها اسما ويقال سر من راء بالقلب المكانى كما هو فى الشعر وسرّ مرّا بحذف الهمزة

أبعد عشرين شهرا لا اجدى فيرى * به انصراف ولا وعد فينتظر

لولا على بن مرّ لاستمر بنا * خلف من العيش فيه الصاب والصبر

عذنا بأروع اقصى نيله كثب * على العفاة وأدنى سعيه سفر

ألح جودا ولم تضر رسمائبه * وربما ضر فى الحاجة المطر

لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر

بدت على البدو نعمى منه سابغة * وفى العصر أخرى مثلها الحضر

مواهب ماتجشمنا السؤال لها * ان الغمام قليب ليس يحتفر
يهاب فينا ومافى لحظه شزر * وسط الندى ولافى خده صعر
برد الحشا وهجير الروع محتفل * ومسعر وشهاب الحرب مستعر
اذا ارتقى فى اعالى الراى لاح له * مافى الغيوب التى تخفى فتستتر
توسط الدهر أحوالا فلا اصغر * عن الخطوب التى تعرو ولا كبر
كالرمح اذرعه عشر وواحدة * فليس يزرى به طول ولا قصر
مجرب طالما أضحت عزائمه * ذوى الحجا وهو عن بيتهم غمر
آراؤه اليوم اسياف مهندة * وكان كالسيف اذ اراؤه زبر
ومصعد فى هضاب المجد يطلعها * كأنه لسكون الجأش منحدر
مازال يسبق حتى قال حاسده * له طريق الى العلياء مختصر
حلو حيث متى تجنى الرضا خلقا * منه ومر اذا احفظته مقر

حيث شديد الحلاوة ومقر شديد المرارة

نهيت حساده عنه وقلت لهم * السيل بالليل لايبقى ولا يذر
كفوا والا كففتم مضمرى أسف * اذا تمر فى اقدامه النمر
الوى اذاشابك الاعداء كدهم * حتى يروح وفى اظفاره الظفر
واللؤم ان تدخلوا فى حد سخطته * علما بأن سوف يعفو حين يقتدر
جافى المضاجع ماينفك فى لجب * يكاد يقمر من لألائه القمر
اذا خطامة سارت فيه آخذة * خطام نبهان وهى الشوك والشجر
رأيت مجدا عيانا فى بنى أدد * اذ مجد كل قبيل دونهم خبر

خطامة بضم أوله اسم قبيلة الممدوح من بنى أسد وسارت فيه أى فى ذلك اللجب الذى يكاد يقمر القمر من ضوء سلاحه وأخذ خطام نبهان وهو مقود الجمل استعارة أى اذا تقدمتهم وكانت فى أوائلهم لرياستها عليهم

احسن أبا حسن بالشعر اذ جعلت * عليك أنجمه بالمدح تنتثر
فقد أتتك القوافى غب فائدة * كما تفتح غب الوابل الزهر
فيها العقائق والعقيان ان ابست * يوم التباهى وفيها الوشى والحبر
ومن يكن فاخرا بالشعر يمدح فى * اضعافه فبك الاشعار تفتخر

وقال

وقد استبان لك مما سلف وخصوصا من كلام هذا الشيخ المنتقد ان الشعر وسائر الكلام بحسب براعة العبارات واشتمالها على الفوائد ينقسم أربعة أقسام قسم حسن لفظه وكثرت فوائده وقسم حسن لفظه وقلت فوائده وقسم كثرت فوائده ولم يحسن لفظه وقسم فقد الامرين وهو الذى قيل فيه

وشعر كبعر التيس فرق بينه * لسان دعى فى القريض دخيل

وعلى هذا التقسيم قول بعضهم

الشعراء فاعلمن أربعه * فشاعر يجرى ولا يجرى معه
وشاعر مستوجب أن نرفعه * وشاعر من حقه أن نسمعه

وشاعر مستأهل أن نصفعه ولا نزاع فى شرف القسم الاول وانحطاط الاخير وانما هى فى المفاضلة بين شعر حسن لفظه وقلت فوائده وما يقابله وعندى ان الاول لسلامته من ايذاء المستمع أفضل وأجل وصاحبه أحق بالتقديم والاجلال والمثل فى ذلك ان الصوت الجميل المضطرب بموافقة النفوس يملأها التذاذا وان كان خاليا من صناعة الغناء بقدر ما ينفرها ويوحشها الصوت القبيح مع استيفاء الصنعة فيه ومن غلب عليه رعاية الصناعة والالتذاذ بملاحظتها وادراك دقائقها يفضل القسم الثانى فالرأى مختلف واستبان لك أيضا ان جودة الكلام تعتمد صحة المعنى وشرفه وتحسير الالفاظ فى أنفسها ومن جهة تجاورها وموافقتها المقام واجادة التركيب على ماشرح فى علم المعانى وغيره بحيث تكون الالفاظ سلسة فى المنطق خالية من التنافر وشدة الغرابة يألف بعضها بعضا حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة وتكون الالفاظ التى تو ردها فى مقام الحماسة ليست كالالفاظ التى تو ردها فى مقام الغزل والتشبيب فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها ولذلك تسمعهم يقولون الجزل والرقيق واجادة التركيب بسلامته مما يبعد فهم المعنى منه وليس كل تركيب صدر عن شعراء العرب وغيرهم من المشاهير جيدا فربما تعسف الواحد منهم اغترارا بفهم نفسه وغفلة عن رعاية غيره ومسارعة بايراد ما ظهر له من المعنى فعليك اذا أن تجيد الفكرة باستصحاب ما سلف من القوانين والوصايا فى تمييز جيد التراكيب من رديئها ويزيدك استحضارها وتمكنا من اعتبارها ما سأنقله لك عن ابن خلدون رحمه الله تعالى قال فى مقدمة تاريخه حيث انتهى من القول فى العلوم الى التكلم على صناعة الشعر وكيفية تعلمها

(فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه)

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا أنا الآن انما نتكلم في الشعر الذي للعرب فان أمكن أن تجد فيه أهل الالسن الاخرى مقصودهم من كلامهم والا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه رويا وقافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بافادته في تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الاخير كلاما آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بأن يوطئ المقصود الاول ومعانيه الى أن يناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشبيب الى المدح ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزاء في الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذرا من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من اجل المقاربة على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن اتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحرا أو ستة عشر بمعنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظما قلت وما ذكر من انفراد كل بيت بمعناه عن سابقه ولاحقه انما هو في صفة جيد الشعر كأنه لم يعد غيره شعرا على انه ربما أوجبت جودة الشعر اغتفار افتقار كل من البيتين لصاحبه ألا ترى ان ذلك لم ينقص من حسن قول عمر بن أبي ربيعة

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

زعموها سألت جاراتها * وتعرت ذات يوم تبترد

أكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

لا أراك تشك في أن هذا الشعر بالغ من الحسن غاية ما يمكن ولم يؤثر فيه افتقار البيت لصاحبه اذ كان المعنى مستدعيا ذلك ثم قال ابن خلدون واعلم ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشواهد صوابهم وخطاهم وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانية كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده و يصلح أن ينفرد دون ماسواه فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب و يبرزه مستقلا بنفسه ثم يأتي ببيت آخر كذلك ثم ببيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالات بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منحاه وغرابة فنه كان محكا للقرائح في استجادة أساليبه وشحذ الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها ولنذكر هنا ما يريده أهل الصناعة بالاساليب فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب والنساج في المنوال حتى يتسع

القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام و يقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربى فيه فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطلول فى الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله

يادارمية بالعلياء فالسند   و يكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله

قفا نسأل الدار التى خف أهلها   أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله   ألم تسأل فتخبرك الرسوم   ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بتحيتها كقوله   حى الديار بجانب الجر   أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله

أسقى طلولهم أجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

أوسؤاله السقيا له من البرق كقوله

يابرق طالع منزلا بالابرق * واحدا السحاب لها حداء الاينق

أومثل التفجع بالجزع باستدعاء البكاء كقوله

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أو باستعظام الحادث كقوله   أرأيت من حملوا على الاعواد   أو بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده كقوله

منابت العشب لاحام ولا راع * مضى الردى بطويل الرمح والباع

أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية

أياشجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله

ألقى الرماح ربيعة بن نزار * اودى الردى بفريقك المغوار

وأمثال ذلك كثير فى سائر فنون الكلام ومذاهبه وينتظم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل انشائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصولة وموصولة على ماهو شأن التراكيب فى الكلام العربى فى مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستفيده بالارتياض فى أشعار العرب من القالب الكلى المجرد فى الذهن من التراكيب المعينة التى ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبناء

والنساج

والنساج والصورة الذهنية المنطبعة كالقالب الذى يبنى فيه أوالمنوال الذى ينسج عليه فان خرج عن القالب فى بنائه أوعن المنوال فى نسجه كان فاسدا ولا تقولن ان معرفة قوانين البلاغة كافية فى ذلك لانا نقول القوانين انما هى قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيآتها الخاصة بالقياس وهو قياس علمى صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الأساليب التى نحن نقررها ليست من القياس فى شئ انما هى هيئة ترسخ فى النفس من تتبع التراكيب فى شعر العرب بجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها فى كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك فى الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من العربية والبيان لا تفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح فى قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه وانما المستعمل عندهم من ذلك انحاء معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فاذا نظر فى شعر العرب على هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية التى تصير كالقوالب كان ناظرا فى المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب فى الذهن انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون فى المنظوم تكون فى المنثور فان العرب استعملوا كلامهم فى كلا الفنين وجاؤا به مفصلا فى النوعين ففى الشعر بالقطع الموزونة والقوافى المقيدة واستقلال الكلام فى كل قطعة وفى المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالبا وقد يقيدونه بالاسجاع وقد يرسلونه وكل واحدة من هذه معروفة فى لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذى يبنى مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد فى ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قالب كلى مطلق يحذو حذوه فى التأليف كما يحذوا البناء على القالب والنساج على المنوال فلهذا كان من يؤلف الكلام منفردا عن نظر النحوى والبيانى والعروضى نعم ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها فى الكلام اختص بنوع من النظر لطيف فى هذه القوالب التى يسمونها أساليب ولا يفيده الا حفظ كلام العرب نظما ونثرا واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حدا أو رسما للشعر به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض فانا لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأيناه وقول العروضيين فى حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد

لهذا الشعر الذى نحن بصدده ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر فى الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلاجرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبنى على الاستعارة والاوصاف فصل عما يخلو من هذه فانه فى الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزاء متفقة الوزن والروى فصل له عن الكلام المنثور الذى ليس بشعر عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون أبياته الا كذلك ولم يفصل به شئ وقوله الجارى على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا فى هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبى والمعرى ليس هو من الشعر فى شئ لانهما لم يجريا على أساليب العرب من الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجارى على الاساليب المخصوصة واذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام فى كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه أى من جنس شعر العرب حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقى الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفى فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن أبى ربيعة وكثير وذى الرمة وجرير وأبى نواس وحبيب والبحترى والرضى وأبى فراس وأكثره شعر كتاب الاغانى لانه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم ملكته

وتربصح ورع بمايقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة اذهى صادة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كانه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة ثم لابد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جمام ونشاط فذلك اجمع له وأنشط للقريحة أن تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفى هؤلاء الجمام وربما قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه يضعها ويبنى الكلام عليها الى آخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها فى محلها فربما تجىء نافرة قلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذى عنده فليتركه الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق الا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذهو بنات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظر أئمة اللسان على المولد ارتكاب الضرورة اذ هو فى سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى من الملكة ويجتنب أيضا المعقد من التراكيب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعانى فى البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت ألفاظه طبقا على معانيه أو أوفى فان كانت المعانى كثيرة منع ذلك الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبى بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها فى البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبى والمعرى بعدم النسج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم

بذلك هو الذوق وليجتنب الشاعر أيضا الحوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقى المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا وبمقدار ما يقرب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذهما طرفان ولهذا كان الشعر فى الربانيات والنبويات قليل الاجادة فى الغالب ولا يحذق فيه الا الفحول لأن معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف بالترك والاهمال وقال ابن خلدون أيضا فى تفسير كلمة الذوق الدائرة على ألسنة المتكلمين فى هذا الشان اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقدمر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب فى افادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة فى نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التى للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاده من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب فى لغتهم اعرابا وبلاغة أمر طبيعى ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بادئ الرأى انها جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها وقدمر ذلك واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة فى اللسان تهدى البليغ الى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب فى لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة

عنده واذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم فى نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا أمر وجدانى حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربى فى جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانونى فى شئ وانما هو بحصول هذه الملكة فى لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ فى جيلهم وربى بين أجيالهم والقوانين بمعزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذى اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة فى اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمه وأيضا فهو وجدانى اللسان كما ان الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم الداخلين فى اللسان العربى الطارئين عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم فى هذه الملكة التى قررنا أمرها لأن قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى الى اللسان وهى لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم فى المحاورة من مفرد ومركب ويضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم وانما لهم فى ذلك ملكة أخرى وليست هى ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة فى الكتب فليس من تحصيل الملكة فى شئ انما حصل احكامها كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب فان عرض لك ما تسمعه من ان سيبويه والفارسى والزمخشرى وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجاما مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم ان أولئك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا عجما فى نسبهم فقط واما المربى والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم فى أول نشأتهم من العرب الذين نشأوا فى اجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها فهم وان كانوا عجما

في النسب فليسوا بأعجام في اللغة والكلام لانهم أدركوا الملة في عنفوانها واللغة في شبابها ولم تذهب آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته قالت وحاصل هذا الكلام واختصار الطريق الى معرفة الغرض منه هوان من يريد أن يتصدى لانشاء الكلام نثرا كان أونظما يجب أن يكون فيه استعداد طبيعي لامور اختيارية وذلك بأن يكون ذا حافظة قوية وفهم ثاقب وذا كرة مطيعة فان الناس في ذلك ليسوا اسواء قال الحكماء عن خبرة تامة وتجربة كافية ومعرفة صحيحة ان الانسان ذو طبائع أربع الدم والصفراء والسوداء والبلغم واذا غلب على مزاجه احدى تلك الطبائع نسب اليها فقيل دموي وصفراوي وسوداوي و بلغمي ولكل أمارات ظاهرة والدموي يكون ممتلئ الاعضاء مكتنز اللحم صافي اللون نيره صحيح الجمال والصفراوي يكون نحيفا يابسا في لونه صفرة والسوداوي يكون يابسا في لونه كدرة شديد الشبق والبلغمي يكون رخوا مائيا في لونه نوع زرقة ومن خواص الدموي سرعة الحفظ وبطء النسيان ومن خواص الصفراوي سرعة الحفظ وسرعة النسيان ومن خواص السوداوي بطء الحفظ وبطء النسيان والبلغمي بطيء الحفظ سريع النسيان فاذا كان الانسان ذا حافظة قوية واستعملها في حفظ ما اتفق اسلافه ومعلموه على استجادته مهتديا بفهمه الى معاني محفوظاته ومقاصدها وتمييز كل فريق منها بماله من المحاسن وما لغيره من المساوي حسب ما سلف ارشادك له ثم استخدم ذاكرته في احضار ما أراد من ذلك متى شاء فهو حينئذ متهيئ لتحصيل تلك الصناعة و بالغ منها بتوفيق الله غاية منيته ومنتهى مقصوده فمن لم يجد من نفسه ذلك الاستعداد فعليه أن لا يورط نفسه ويستعملها فيما يكدها من غير عاقبة حميدة بل عليه أن ينظر فيما يسهل عليه ويمكنه الانتفاع به كما قيل

اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

واذا كان الانسان في أول أمره هو والبهائم سواء لا يهتدي لمعرفة ما هو الاصلح من الاحوال حتى يتعودها ويربي فيها ملكته فعلى من يتولى تربيته أن يختبره ويترصد رغباته ويتأمل ميله وما يمكن أن يقوى فيه حسب طبيعته ووفق جبلته ويأخذه بمزاولة ذلك حتى يتم فاذا جرى العمل على ذلك حسن أمر الامة وانتظمت مسالكهم وقويت منافعهم وبلغوا الدرجة التي هي للامة كمال ولجميع طوائفها وأشخاصها أتم جمال وأما قوله

في

فى تفسير الذوق فا بين منه ماسألقيه عليك وذلك ان بين الاشياء تناسبا بحيث متى استوفت عند اجتماعها حظها منه قامت منها صورة يتفاوت الناس فى ادراك حسنها طبعا وتعلما فمنهم من لا يدرك ذلك ولا يلتفت اليه وليس مدركوه سواء فيه فمنهم من يقنع بادراك ظواهر الاشياء ومنهم من ينتهى ادراكه الى اعتبار دقائقها وخوافيها وتعتبر ذلك بما تشاهده من شدة سرور بعض الناس عند رؤيته للاشياء المناسبة التى يلائم بعضها بعضا وشدة نفرته وانقباضه عند رؤية خلافها ولا يختص ذلك بشئ دون شئ فتراه يتأمل الابنية وأوضاعها وما اشتملت عليه من مكملات الانتفاع بها فاذا أدرك فيها التناسب اللائق بها رأيته قد انشرح صدره وتجدد سروره وأخذ فى نعتها والثناء على صناعها وذلك مثل تعتبر به غيره وتتأمل تفاوت الناس فى ذلك الادراك فالادراك الذى يتعلق بتناسب الاشياء ويوجب الاستحسان والاستقباح هو المسمى بالذوق وهو طبيعى ينمو ويتربى بالنظر فى الاشياء والاعمال من جهة موافقتها للغاية المقصودة منها وأما قوله فى الاساليب العربية واختصاصها حتى انه أخرج نظم المتنبى وأبى العلاء المعرى عن أن يكون شعرا فذلك حجر واسع وحظر مباح فان انفس الشعراء من العرب لم يتفقوا على سلوك طريق بعينها وانما هى مذاهب مختلفة وطرق متشاغبة كما قال الله تعالى فى صفتهم ألم تر انهم فى كل واد يهيمون فليس هناك طريق معينة يلتزمها السالك وانما المدار على ان توافق التراكيب التى يستعملها المستعمل تراكيب العرب حسب ما بينته القوانين العلمية على انه لا يصح تقليد العرب فى جميع ما نطقوا به فقد عرفت مما سلف ان بعض كلامهم يجب اجتناب مثله وانهم لا يتابعون الا فيما كان أوفق للغرض من الكلام وهو التفاهم وفى خصوص الشعر والانشاء من التأثير فى الطباع وتحويلها الى الميل الذى يريده الشاعر والكاتب ففى الحماس مثلا يكون الكلام مهيجا للقوى مثيرا للغضب باعثا على الحمية وفى الغزل يكون سار النفوس مريحا للخواطر وفى العتاب هاديا للموافقة وموالدا للرضا الى غير ذلك مما تضطرك الى معرفته مطالعة الاحوال من جهة الايصال الى المرغوب والحماية من المرهوب فتقرر بجميع ما سلف انه لا طريق لتعلم صناعة الانشاء الا حفظ كلام الغير وفهمه وتمييز مقاصده وها أنا مستشهد على ذلك بما هو حاضر معنا فى هذا العصر المخالف بالكلية للعصور التى كان أمر الشعر والكتابة الصناعية قائما ورغبات الملوك وأعيان الامراء فيهما متوفرة اذ كانت الدولة عربية

وأمرائها من العرب أو من غيرهم وهم مضطرون لاتقان معرفة لسانهم حسب ما كانت تبعث الحاجة اليه ويتوقف تحصيل الاغراض عليه وبتغير الدولة تتغير الاحوال فان الكتابة الصناعية بلسان الدولة القائمة بالغة درجتها باللسان العربي أو أعلى كما نسمعه من العارفين بطرائف اللسانين ومحاسن اللغتين وليس يقوى أمر كما هو بديهي الا بحسب قوة الحاجة اليه هذا الامير الجليل ذو الشرف الاصيل والطبع البالغ نقاؤه والذهن المتناهي ذكاؤه محمود سامي باشا البارودي لم يقرأ كتابا في فن من فنون العربية غير انه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يسمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور في برهة يسيرة هيآت التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسب ما تقتضيه المعاني والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن وسمعته مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت له في ذلك فقال هو كذا في قول فلان وأنشد شعرا لبعض العرب فقلت تلك ضرورة وقال علماء العربية انها غير شاذة ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها واقفا على صوابها وخطاها مدركا ما كان ينبغي وفق مقام الكلام وما لا ينبغي ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالامراء ولشعر الامراء كأبي فراس والشريف الرضي والطغرائي تميز عن شعر الشعراء كما ستراه ومصداق ذلك ما سألقيه عليك من قصائد أنشأها في وزن قصائد لبعض مشاهير المتقدمين ورويها قال أبو نواس يمدح الخصيب بن عبد الحميد العجمي أمير مصر من طرف الرشيد وقصده من بغداد

اجارة بيتينا أبوك غيور	* وميسور ما يرجى لديك عسير
فان كنت لا خلما ولا أنت زوجة	* فلا برحت دوني عليك ستور
وجاورت قوما لا تزاور بينهم	* ولا وصل الا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربة لازب	* ولا كل سلطان على قدير
واني لطرف العين بالعين زاجر	* فقد كدت لا يخفى على ضمير
كما نظرت والريح ساكنة لها	* عقنباة ارساغ اليدين نزور
طوت ليلتين القوت عن ذي ضرورة	* ازيغب لم ينبت عليه شكير

فاوفت

فأوفت على علياء حتى بدا لها * من الشمس قرن والضريب يمور
تقلب طرفا في حجاجي مغارة * من الراس لم يدخل عليه ذرور

هذان فصلان أولهما في شكوى الزمان وقساوة الحرمان فهو يقول مخاطبا بالامرأة وجد هواها ولم يقدر على الوصول الى مراده منها الفقره وعدم تمكنه من الطريق الى ذلك أيتها الجارة اني غير قادر على الوصول اليك وأنا مقيم بارضك على ما أنا فيه من الأحوال لا على وجه الخلة ولا على وجه التزوج فقد عزمت على التغرب لتحصيل أسباب الوصول اليك فاما أبلغ ما تمنيت واما أموت معذورا وهذا المعنى نطق به الشعراء كقول بعضهم

دعيني اطوف في البلاد لعلني * أصادف حرا أو أموت فأعذرا

وقول آخر

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

الى غير ذلك أخرجه هو مخرج القسم بالدعاء على تصميمه وعزمه على فراق أرضه وتغربه في طلب حسن الحال ثم قوله خلماوز وجة ما تصكان ينبغي أن يصدر منه وقوله فما أنا بالمشغوف مخالف لمذهب العشاق والفصل الثاني في الافتخار بحدة الذهن وشدة الفطنة وكثرة التصبر به مشبه نفسه بالعقاب التي وصفها وبين الفصلين انقطاع يسمى مثله طفرة الشعر وقوله عقنباة هو من صفة العقاب قال في القاموس عقاب عقنباة ذات مخالب حداد فاضافتها في كلامه الى الارساغ غير ظاهرة ثم شرع في صفة حاله وما دار بينه وبين أهل بيته عند عزمه على السفر فقال

تقول التي من بيتها خف مركبي * عزيز علينا أن نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في جريهن عبير
ذريني أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير
اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

بعثه على هذا الكلام المزعج ادلاله بمكانه

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

هذا البيت من الشعر الذي كثر لفظه وقل معناه اذ معناه انه لا يفارقه الجود وهليه فيه

مؤاخذة فانه أخذه من قول الشنفرى

ظاعن بالحزم حتى اذا ما * حل حل الحزم حيث يحل

ونقل العبارة من الحزم نقلا غير صحيح الى الجود وذلك ان الحزم يتعلق بالسير والحلول بحيث يقال من حزمه وحسن رأيه يظعن فى الاوقات التى تقتضى الاحوال أن يظعن فيها فلا يؤخر واجبا ولا يفعل ما ليس لازما ويحل بالامكنة التى تصلح للحلول لأمنها واشتمالها على ما يلزم للاقامة وأما الجود فانه لا يصح ربطه بالسير والاقامة وانما يربط بالاحوال فيقال انه جواد على كل حال من عسر و يسر

فلم ترعينى سوددا مثل سودد * يحل أبو نصر به و يسير

واطراق حيات البلاد لحية * خصيبية التصميم حين تسور

سموت لاهل الجوف فى دار امنهم * فأضحوا وكل فى الوثاق أسير

اذا قام غنته على الساق حلية * لها خطوة عند القيام قصير

فمن يك أمسى جاهلا بمقالتى * فان أمير المؤمنين خبير

ومازلت توليه النصيحة يافعا * الى أن بدا فى العارضين قتير

اذا غاله أمر فاما كفيته * واما عليه بالكفى تشير

الجوف ناحية بمصر ظهر من أهلها عصيان فوردله الامر بحربهم وتأديبهم فظفر بهم

اليك رمت بالقوم هوج كانما * جماجمها تحت الرحال قبور

رحلن بنا من عقرقوف وقد بدا * من الصبح مفتوق الاديم شهير

أخذ يذكر الاماكن التى مر بها فى سفره من بغداد الى مصر

فما أنجدت بالماء حتى رأيتها * مع الشمس فى عينى اباغ تغور

وغمرن من ماء النقيب بشربة * وقد حان من ديك الصباح زمير

التغمير الشرب دون الرى

و وافين اشراقا كنائس تدمر * وهن الى رعن المدجن صور

يؤممن أهل الغوطتين كأنما * لها عند أهل الغوطتين ثؤور

وأصبحن بالجولان يرضخن صخرها * ولم يبق من اجرامهن شطور

وقاسين ليلا دون بيسان لم يكد * سنا صبحه للناظرين ينير

وأصبحن قد فوزن من أهل قرطس * وهن عن البيت المقدس زور

طوالب بالركبان غزة هاشم * وفى الفرما من حاجهن شقور

الشقور المهمات من الحاجات والفرما من بلاد مصر التى كانت مشهورة بالصنائع كتنيس وقد زالت ولم يبق لها أثر

ولما أتت فسطاط مصر أجارها * على ركبها ألا تذال مجير

هذا المعنى الذى قال فيه وكرره فى عبارات

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

وقد سلف هو وأصله وأذال المصون أهانه

من القوم بسام كأن جبينه * سنا الفجر يسرى ضوءه وينير

زهى بالخصيب السيف والرمح فى الوغى * وفى السلم يزهو منبر وسرير

جواد اذا الايدى كففن عن الندى * ومن دون عورات النساء غيور

عبارة باردة

له سلف فى الاعجمين كأنهم * اذا استؤذنوا يوما السلام بدور

فأنى جدير اذ بلغتك بالغنى * وأنت بما أملت منك جدير

فأن تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

يحكى ان الرشيد عزل الخصيب عن عمل مصر فخرج منها مجردا واتفق أن لقى أبا نواس ليلا فى بعض الطريق الى بغداد وهو على فرس عجفاء وأبو نواس فى ركب حافل فسمعه يتغنى فدنا منه وسلم عليه فلم يعرفه أبو نواس لرثاثة حاله فعرفه بنفسه فقال له ما الذى أصارك ياسيدى لهذا الحال فقال قولك الدائرات تدور فأراد أبو نواس ان يواسيه فقال ما كنت لآخذ من اعطيت وافترقا ولما وصل الخصيب بغداد أقام بها فقيرا فى هيئة سائل يجلس الى جوانب الجدران فعلم به شاعر وأنه الخصيب فلقيه بأبيات يمتدحه بها فاخرج له من تحت رقعة من رقاع ثيابه لؤلؤة فريدة وأجازه بها وسأله العذر لضيق الحال فأخذها ونزل بها السوق فعجب منها التجار وأوصلوها الى الخليفة فسأل عنها من أين جاءت فوقف على الخبر وعلى طربه بهمة الخصيب اعادة لحسن الحال ورضى عنه وهذه قصيدة الامير التى فى وزن قصيدة أبى نواس ورويها

تلاهيت الا ما يجن ضمير * وداريت الا ما ينم زفير

وهل يستطيع المرء كتمان أمره * وفى الصدر منه بارح وسعير

فياقاتل الله الهوى ماأشده * على المرء اذيخلو به فيغير
تلين اليه النفس وهي أبية * ويجزع منه القلب وهو صبور
نبذت له رمحي واغمدت صارمي * ونهنهت مهري والمراذغرير
وأصبحت مغلول المخالب بعدما * سطوت ولي في الخافقين زئير
فيا اسراة القوم دعوة عائذ * أما من سميع فيكم فيجير
لطال على الليل حتى مللته * وعهدي به فيما علمت قصير
ألا فرعا الله الصبي ماأبره * وحيا شبابا مر وهو نضير
اذالعيش أفواف ترف ظلاله * علينا وسلسال الوفاء غمير
واذنحن فيما بين اخوان لذة * على شيم ماان بهن نكير
تدور علينا الكاس بين ملاعب * بها اللهو خدن والشباب سمير
فالحاظنا بين النفوس رسائل * وريحاننا بين الكؤوس سفير
عقدنا جناحي ليلنا بنهارنا * وطرنا مع اللذات حيث تطير
وقلنا لساقينا ادرها فانما * بقاء الفتى بعد الشباب يسير
فطاف بها شمسية طبية * لها عند ألباب الرجال ثؤور
اذاما شربناها أقمنا مكاننا * وظلت بنا الارض الفضاء تدور
وكم ليلة أفنيت عمر ظلامها * الى ان بدا الصبح فيه قتير
شغلت بها قلبي ومتعت ناظري * ونعمت سمعي والبنان طهور
صنعت بها صنع الكريم باهله * وجيرته والغادرون كثير
فماراعنا الاحفيف رحائم * لها بين أطراف الغصون هدير
تجاوب اترابالها في خمائل * لهن بها بعد الحنين صفير
نواعم لايعرفن بؤس معيشة * ولادائرات الدهر كيف تدور
توسدها مات لهن وسائدا * من الريش فيه طائل وشكير
كأن على اعطافها من حبيكها * تمائم لم تعقد لهن سيور
خوارج من ايك دواخل غيرة * زهاهن ظل سابغ وغدير
اذاغازلتها الشمس رفت كأنما * على صفحتيها سندس وحرير
فلما رأيت الصبح قدرف جيده * ولم يبق من نسج الظلام ستور
خرجت

خرجت اجر الذيل تيها وانما * يتيه الفتى ان عف وهو قدير
ولي شيمة تأبى الدنايا وعزمة * ترد لهام الجيش وهو يمور
اذا سرت فالارض التي نحن فوقها * مراد لمهري والمعاقل دور
فلا عجب ان لم يصرني منزل * فليس لعقبان الهواء وكور
همامة نفس ليس ينفي ركابها * رواح على طول المدى وبكور
معودة ان لا تكف عنانها * عن المجد الا أن تتم أمور
لها من وراء الغيب إذن سميعة * وعين ترى ما لا يراه بصير
وفيت بما ظن الكرام فراسة * بأمري ومثلي بالوفاء جدير
وأصبحت محسود الجلال كانني * على كل نفس في الزمان أمير
اذا صلت كف الدهر من غلوائه * وان قلت غصت بالقلوب صدور
ملكت مقاليد الكلام وحكمة * لها كوكب فخم الضياء منير
فلو كنت في عصر الكلام الذي انقضى * لباء بفضلي جرول وجرير
ولو كنت أدركت النواسي لم يقل * اجارة بيتينا أبوك غيور
وما ضرني اني تأخرت عنهم * وفضلي بين العالمين شهير
فيا ربما أخلى من السبق أوّل * وبذ الجياد السابقات أخير

لم أكن لادع أن أقول أنظر هداك الله لابيات هذه القصيدة فأفردها بيتا بيتا تجد ظروف جواهر أفردت كل جوهرة لنفاستها بظرف ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق فانك لاتجد بيتا يصح أن يقدم أو يؤخر ولا بيتين يمكن ان يكون بينهما ثالث وا كلك الى سلامة ذوقك وعاوهمتك ان كنت من أهل الرغبة في الاستكمال لتتبع هذه الطريقة المثلى ثم قول ابن هانئ فتى يشترى سبقه الى النطق به الراعي النميري حيث قال

فتى يشترى حسن الثناء بماله * اذا ما اشترى المخزاة بالمجد بيهس

ونطق به قبله الابيرد أيضا

فتى يشترى حسن الثناء بماله * اذا ألسنة الشهباء اعوزها القطر

ومثل هذا لا يعيبه أهل الادب كما نقله عنهم بعض شراح لامية العجم عند ذكره توافق الطغرائي وصاحب المقامات الحريري في قولهما

وذى شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا وكل

وذى شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بنى يشكو من الحرب

قالوا اذا لم يكن الكلام ذا معنى غريب ولم يشتمل على نكتة بديعة تسامح الشعراء فى تناوله والتوافق فيه فالمعيب اذا مثل قوله فى هذه القصيدة فاجازه جود فانه كما سبق التنبيه عليه منقول من الحزم الى الجود وقد سبقه أيضا بعض بنى يربوع بالعبارة فى الجود حيث قال

ماقصر الجود عنكم يا بنى مطر * ولا تجاوزكم يا آل مسعود

يحل حيث حللتم لا يفارقكم * ماعاقب الدهر بين البيض والسود

وقوله زها بالخصيب السيف والرمح بعد قول ابن مياده

ويزهى به فى الدرع عضب مهند * وفى السلم يزهو منبر وسرير

وقوله فان تولنى منك الجميل وقد قال بعض بنى منقر

فان جدت كان الجود منك سجية * والا فانى عاذر لك شاكر

وقال أبو نواس أيضا يمدح الامير محمد بن الرشيد

يادار ما فعلت بك الايام * لم تبق منك بشاشة تستام

تستام تطلب وقيل تكلف يقال سامه يسومه سوما وسيمة وكذلك فى البيع وقيل سمته وأسمته اذا سالته وكلفته وقيل تشتام من الشيم وهو النظر وروى بعضهم

يادار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

عرم الزمان على الذين عهدتهم * بك قاطنين وللزمان عرام

يقال عرم يعرم عرامة وعراما بضم أوله وقد نطق بالفعل من باب نصر وضرب وكرم وعلم وهو التخابث والافساد

أيام لا أغشى لأهلك منزلا * الا مراقبة على ظلام

على ظلام أى مستخفيا بالليل ليختلس بغيته اختلاسا وهذا التركيب ورد فى حديث هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسافرا مرة صائما فلما غربت الشمس قال لصاحب طعامه انزل فاجدح لنا أى هيئ السويق فقال يارسول الله ان عليك نهارا فقال انزل فاجدح لنا وقال بشار

اذا أنكرتنى بلدة أونكرتها * خرجت مع البازى على سواد

فهى

فهي من الكلمات المستملحة التي يغير عليها الشعراء

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم * وأسمت سرح اللهو حيث اساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه * فاذا عصارة كل ذاك أثام
وتجشمت بي هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطى وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصا * فلها علينا حرمة وذمام
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
ملك اذا علقت يداك بحبله * لا يعتفيك البؤس والاعدام
ملك توحد بالمكارم والعلا * فرد فقيد الند فيه همام
ملك اغر اذا شربت بوجهه * لم يعدك التبجيل والاعظام
فالبهو مشتمل ببدر خلافة * لبس الشباب بنوره الاسلام
سبط البنان اذا احتبي بنجاده * فرع الجماجم والسماط قيام

فرع الجماجم أجود من غمر الجمام وهي رواية لان غمر انما يستعمل في معنى الكثرة يقال قد غمر جود هذا وغمر الماء الحصي

ان الذي يرضي الاله بهديه * ملك تردى الملك وهو غلام

ويروى يرضي السماء أي من في السماء يعني الله عز وجل

ملك اذا اعتبر الامور مضى به * راى يفل السيف وهو حسام
داوى به الله القلوب من العمى * حتى أفقن ومابهن سقام
أصبحت يا بن زبيدة ابنة جعفر * املا لعقد حباله استحكام
فسلمت للأمر الذي ترجى له * وتقاعست عن يومك الايام

فقال المسمى في الوزن والروى

ذهب الصبا وتولت الايام * فعلى الصبا وعلى الزمان سلام
تالله أنسى ما حييت عهوده * ولكل عهد في الكرام ذمام
اذ نحن في عيش ترف ظلاله * ولنا بمعترك الهوى آثام
تجري علينا الكاس بين مجالس * فيها السلام تعانق ولزام

في فتية فاض النعيم عليهم * وغماهم التبجيل والاعظام
ذهبت بهم شيم الملوك فليس في * تلعابهم هـذر ولا ابرام
لا ينطقون بغير آداب الهوى * سمح النفوس على البلاء كرام
من كل ابلج يستضاء بنوره * كالبدر حلى صفحتيه غمام
سهل الخليقة لا يسوء جليسه * بين المقامة واضح بسام
متواضع للقوم تحسب أنه * مولى لهم في الدار وهو همام
ترنوا العيون اليه في أفعاله * وتسير تحت لوائه الاقوام
فاذا تكلم فالرؤس خواضع * واذا تناهض فالصفوف قيام
نلهو ونلعب بين خضر حدائق * ليست بغير خيولنا تستام
حتى انتبهنا بعد ان ذهب الصبي * ان اللذاذة والصبا احلام
لا تحسبن العيش دام لمترف * هيهات ليس على الزمان دوام
تأتي الشهور وتنتهي ساعاتها * لمع السراب وتنقضي الاعوام
والناس فيما بين ذلك وارد * أو صادر تجري به الايام
لا طائر ينجو ولا ذو مخلب * يبقى وعاقبة الحياة حمام
فادرأ هموم النفس عنك اذا اعترت * بالكأس فهي على الهموم حسام
فالعيش ليس بدوم في ألوانه * الا اذا دارت عليه الجام
من خمرة تذر الكبير اذا انتشى * بعد اشتعال الشيب وهو غلام
لعب الزمان بها فغادر جسمها * شبحا تهافت دونه الاوهام
حمراء ذاربها الحباب فصورت * فلكا تحف سماءه الاجرام
لا تستقيم العين في لمعانها * وتزل عند لقائها الاقدام
تعشو الركاب فان تبلج كأسها * ساروا وان زال الضياء أقاموا
حبست باكلف لم يصل لفنائه * نور ولم يسرح عليه ظلام

يعني ليست مكشوفة فيتعاقب عليها الليل والنهار وانما هي في مخبأة فهي دائما في حال واحدة

حتى اذا اصطفقت وطار فدامها * وثبت فلم تثبت لها الاجسام
وقدت جيتها فلولا مزجها * بالماء بعد الماء شب ضرام

تمم

تسم العيون بنورها لكنها * برد على شرابها وسلام

فاصقل بها صدأ الهموم ولا تكن * غرا تطيش بلبه الآلام

واعلم بان المرء ليس بخالد * والدهر فيه صحة وسقام

يهوى الفتى طول الحياة وانها * داء له لو يستبين عقام

فاطمح بطرفك هل ترى من أمة * خلدت وهل لابن السبيل مقام

هذى المدائن قد خلت من أهلها * بعد النظام وهذه الاهرام

لا شئ يخلد غير ان خديعة * فى الدهر تنسكل دونها الاحلام

ولقد تبينت الامور بغيرها * وأتى على النقض والابرام

فاذا السكون تحرك واذا الهو * د تلهب واذا السكوت كلام

واذا الحياة ولا حياة منية * تحيا بها الاجساد وهى رمام

هذا يحل وذاك يرحل كارها * عنه فصلح تارة وخصام

فالنور لو بينت أمرك ظلمة * والبدء لو فكرت فيه ختام

فهذه ضعف تلك أكرر أمرك بدقة النظر فيها وتأمل توا ليها تجد الاجادة فيها واضحة والسلامة من أدنى متعلق ظاهرة بحيث لا تجد فيها موضعا للتأوليت ولتكن عنايتك برعاية تغيير الالفاظ بان تبدلها بما تتخيل أنه يقوم مقامها ويفيد افادتها ثم تعرف سبب العدول عنه يكن ذلك أبلغ نافع لك وقال الشريف محمد الرضى يفتخر ويمدح أسلافه من آهل البيت صلوات الله وسلامه على من شرفه

لغير العلا منى القلا والتجنب * ولولا العلا ما كنت فى الحب أرغب

اذا الله لم يعذرك فيما ترومه * فما الناس الا عاذل أو مؤنب

ملكت بحلمى فرصة ما استرقها * من الدهر مفتول الذراعين اغلب

فان يك سنى ما تطاول باعها * فلى من وراء المجد قلب مدرب

بحسبى انى فى الاعادى مبغض * وانى الى غر المعالى محبب

وللحلم أوقات وللجهل مثلها * ولكن أيامى الى الحلم أقرب

يصول على الجاهلون واعتلى * ويعجم فى القائلون وأعرب

يرون احتمالى غصة ويزيدهم * لواعج ضغن اننى لست أغضب

واعرض عن كأس النديم كانها * وميض غمام غائر المزن خلب

وتوقر فلا الالحان تأسر عزمتي * ولا تمكر الصهباء حين اشرب

ولا اعرف الفحشاء الا بوصفها * ولا أنطق العوراء والقلب مغضب

تسلم عن كر القوارص شيمتي * كأن معيد الذم بالمدح مطنب

لساني حصاة يقرع الجهل بالحجى * اذا نال مني العاضه المتأوب

ولست براض ان تمس عزائمي * فضالات ما يعطي الزمان ويسلب

غرائب آداب حباني بحفظها * زماني وصرف الدهر نعم المؤدب

تريشنا الايام ثم تهيضنا * ألا نعم البادي وبئس المعقب

نهيتك عن طبع اللئام فانني * أرى البخل يؤبى والمكارم تطلب

تعلم فان الجود في الناس فطنة * تناقلها الاحرار والطبع أغلب

تضافرني فيك الصوارم والقنا * ويصحبني منك العذيق المرجب

نصحت وبعض النصح للقوم هجنة * وبعض التناجي بالعتاب تعتب

فان أنت لم تعط النصيحة حقها * فرب جموح كل عنه المؤدب

سقا الله أرضا جاوز القطر روضها * اذا المزن يسقي والاباطح تشرب

ذكرت بها عهد الشباب بحسرة * أفدت وقد فات الذي كنت أطلب

ويعجبني منها النسيم اذا هفا * ألا كل ما سرّى عن القلب معجب

سكنتك والايام بيض كانها * من الطيب في أثوابها تتقلب

وبرق رقيق الطرتين لحظته * اذا الجو خوار المصابح اكهب

نظرت وألحاظ النجوم كليلة * وهيهات دون البرق شأو ومغرب

فما الليل الا فحمة مستشقة * وما البرق الا جمرة تتلهب

أمن بعد ان جلتها ورق الدجى * سراعا وأغصان الازمة تجذب

وعدنا بها محطوطة بنسوعها * كما صافح الارض الغراء المعقب

كأن تراجيع الحداة وراءها * صفير تعاطاه اليراع المثقب

تهز ظنوني في المآرب أربة * ويجنب عزمي في المطالب مطلب

وردنا بها ماء الظلام سواغبا * والليل جو بالدراري معشب

تنفر ذود الطير عن وكراتها * وكل اذا لاقيته متغرب

ونلتذ برشف الماء رنقا كانه * مع العز ثغر بارد الظلم اشنب

اذعنا

اذعفا لمهاسر الكرى من عيوننا * ومر العلى بين الجوانح يجب
حرام على المجد ابتسامى لقربه * وما هزنى فيه الغناء المقطب
ودهماء من ليل التمام قطعتها * أغنى حداء والمراسيل تطرب
ولو شئت غنتنى إجمام عشية * ولكننى من ماء عينى أشرب
أقول اذا خاض السميران فى الدجى * أحاديث تبدو طالعات وتغرب
الا غنيانى بالحديث فاننى * رأيت ألذ القول ما كان يطرب
غناء اذا خاض المسامع لم يكن * أمينا على جلبابه المتجلبب
ونشوان من خمر النعاس ذعرته * وطيف الكرى فى العين يطفو ويرسب
له مقلة يستنزل النوم جفنها * اليه كما استرخى على النجم هيدب
سريت فجاج الارض ففلا ومعلما * تجدبها أيدى المطايا وتلعب
وما شهوتى لوم الرفيق وانما * كما يلتقى فى السير ظلف ومخلب
عجبت لغيرى كيف سار نجمها * وسيرى فيها يا ابنة القوم أعجب
أسير ومرجى بالنجاد مقلد * وأثوى و بيتى بالعوالى مطنب
ومصقولة الاعطاف فى جنباتها * مراح لاطراف الرماح وملعب
تمر على متن الطريق بجاجة * يطاردها قرن من الشمس أعضب
نهار بلألاء السيوف مفضض * وجو بحمراء الانابيب مذهب
ترى اليوم محمر الحواشى كانما * على الجو غرب من دم يتصبب
صدمنا بها الاعداء والليل ضارب * باروا قه جون الملاطين أخطب
أخذنا عليهم بالصوارم والقنا * وراعى نجوم الليل حيران مغرب
يراعون اسفار الصباح وانما * وراء لثام الليل يوم عصبصب
وكل ثقيل الصدر من حلب القنا * خفيف الشوا والموت عجلان مقرب
يجم اذا ما استرعف الكر جهده * كما جمت الغدران والماء ينضب
وما الخيل الا كالقداح يجيلها * لغنم فاما فائز أو مخيب
دعوا شرف الاحساد يا آل ظالم * فلا الماء مورود ولا الترب طيب
لئن كنتم فى آل فهر كواكبا * اذا غاض منها كوكب فاض كوكب
فمنى كنعت البدر ينسب بينكم * جهارا وما كل الكواكب تنسب

صحبتم خضاب الزاعبيات ناصلا * ومن علق الاقران مالا يخضب
أهذب فى مدح اللئام خواطرى * فاصدق فى حسن المعانى واكذب
وما المدح الا فى النبى وآله * يرام وبعض القول ما يتجنب
وأولى بمدحى من أعز بفخره * ولا يشكر النعماء الا المهذب
أرى الشعر فيهم باقيا وكانما * تحلق بالاشعار عنقاء مغرب
وقالوا عجيب عجب مثلى بنفسه * واين على الايام مثل أبى أب
لعمرك ما اعجبت الا بمدحهم * ويحسب انى بالقصائد معجب
اعدّ لفخرى فى المقام محمدا * وادعو عليا للعلى حين أركب

فقال وترجم لها بقوله وقال بروض القول على روى قصيدة الشريف

سواى بحنان الاغاريد يطرب * وغيرى باللذات يلهو ويعجب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبه * ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخوهم اذا ما ترجحت * به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية * لها بين أطراف الاسنة مطلب
بعيد مناط الهم فالغرب مشرق * اذا ما رمى عينيه والشرق مغرب
له غدوات يتبع الوحش ظلها * وتغدوا على آثارها الطير تنعب
همامة نفس أصغرت كل مأرب * فكلفت الايام ما ليس يوهب
ومن تكن العلياء همة نفسه * فكل الذى يلقاه فيها محبب
اذا انا لم أعط المكارم حقها * فلا عزنى خال ولا ضمنى أب
ولا حملت درعى كميت طمرة * ولا دار فى كفى سنان مذرب
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة * لدى يدا اغضى لها حين يغضب
فلست لأمر لم يكن متوقعا * ولست على شئ مضى اتعتب
أسير على نهج يرى الناس غيره * لكل امرئ فيما يحاول مذهب
وانى اذا ما الشك أظلم ليله * وأمست به الاحلام حيرى تشعب
صدعت حفافى طرتيه بكوكب * من الرأى لا يخفى عليه المغيب
وبحر من الهيجاء خضت عجاجه * ولا عاصم الا الصفيح المشطب
تظل به حمر المنايا وسودها * حواسر فى ألوانها تتقلب

توسطته

توسطنه والخيل بالخيل تلتقي * وبيض الظبي في الهام تبدو وتغرب
فما زلت حتى بين الكر موقفي * لدى ساعة فيها العقول تغيب
لدن غدوة حتى أتى الليل وانتقى * على غيهب من ساطع النقع غيهب
كذلك دأبي في المراس وانني * لامرح في غي التصابي و العب
وفتيان لهو قد دعوت وللكرى * خباء بأهداب الجفون مطنب
الى مربع يجرى النسيم خلاله * بنشر الخزامى والندى يتصبب
فلم يمض ان جاؤا ملبين دعوتي * سراعا كما وافى على الماء ربرب
بخيل كآرام الصريم وراءها * ضوارى سلوق عاطل ومليب
من اللاء لايأكلن زادا سوى الذى * يضرسنه والصيد أشهى وأعذب
ترى كل مجرا الجاليق فاغر * الى الوحش لايألوا ولا يتنصب
يكاد يفوق البرق شدا اذا انبرت * له بنت ماء أو تعرض ثعلب
فلنا الى واد كأن تلاعه * من العصب موشى الحبائك مذهب
تراح به الآمال بعد كلالها * ويصبوا اليه ذوالحجى وهو اشيب
فبينا نرود الارض بالعين اذرأى * ربيئتنا سربا فقال ألا اركبوا
فقمنا الى خيل كأن متونها * من الضمر خوط الضيمران المشذب
فلما انتهينا حيث اخبر أطلقت * بزاة وجالت في المقاود اكلب
فما كان الا فترة الجيد أن علت * قدور وفار اللحم وانفض مأرب
وقلنا لساقينا أ درها فانما * قصارى بني الايام ان يتشعبوا
فقام الى راقود خمر كأنه * اذا استقبلته العين أسود مغضب
يمج سلافا في اناء كأنه * اذا ما استقلته الانامل كوكب
فلم نأل ان دارت بنا الارض دورة * وحتى رأينا الافق ينأى و يقرب
الى ان تولى اليوم الا اقله * وقد كادت الشمس المنيرة تغرب
فرحنا نجر الذيل تيها لمنزل * به لاخي اللذات واللهو ملعب
فسارح سكير ومريض فاتك * ومخدع اكواب به الخمر تسكب
فلما رآنا صاحب الدار أشرقت * أساريره زهوا وجاء يرحب
وقال انزلوا يابارك الله فيكم * فعندي لكم ماتشتهون وأطيب

وراح الى دنّ تكامل سنه * وشيب فوديه من الدهر أحقب
فمازال حتى استل منه سبيكة * من الخمر تطفو فى الاناء وترسب
يحوم عليها الطير من كل جانب * ويسرى عليها الطارق المتأوّب
فياحسن ذاك اليوم لو كان باقيا * وياطيب هذا الليل لو دام طيب
يودّ الفتى مالا يكون طماعة * ولم يدر ان الدهر بالناس قلّب
ولو علم الانسان مافيه نفعه * لأبصر ما يأتى وما يتجنب
ولكنها الاقدار تجرى بحكمها * علينا وأمر الغيب سر محجب
نظن بأنا قادرون واننا * نقاد كما قيد الجنيب ونصحب
فرحمة رب العالمين على امرئ * أصاب هواه أو درى كيف يذهب

يقول الشريف فى مطلع قصيدته والذى يليه طلب الانسان ما احب من أعلا الرتب وأرفع الاحوال طلب حق أو فضيلة وذلك مرضى لله مندوب اليه ليس للناس فيه موضع عذل أو تأنيب بخلاف غيره من الطلب فانه يوجب سخط الله فلا يعذر صاحبه واذا يجد الناس موضع العذل والتأنيب وهو التعنيف أو معنى البيت الثانى اذا لم تكتف بالله عاذرا فلا تأمله فى الناس فانما هم بين عاذل أو مؤنب ويكون شكاية من قلة الانصاف وفى قوله وقد شرع فى ذكر فضائله ملكت بحلمى بديع التجريد واستعمال حرفين من أحرفه الباء ومن فالحلم هو الفرصة والدهر هو مفتول الذراعين الاغلب وتلك صفة الاسد أى مندمج الذراعين غليظ العنق وهو تصوير الموهوم بالمحسوس وحاصل المعنى ان شدائد الدهر لا تذهب بحلمه ثم قال فيما بعد انه على صغر سنه كبير الهمة واسترسل فى ذكر مناقب نفسه حتى أتم الفصل ثم خاطب صاحبه ثم طلب السقيا الارض اعطشت وسقى غيرها وتأسف عليها وأتبع ذلك بذكر برق لحظه ثم ذكر طلبا واخفاقا فى قوله أمن بعد ان جلّلتها ثم وصف ليلة سارها فى قوله ودرهما من ليل التمام والتمام فيه بكسر التاء وهو التمام بفتحها ولكن اللغة استعملته فى هذا الموضع بالكسر أى من أطول الليالى ثم وصف خيلا قصد بها الاعداء فى قوله ومصقولة الاعطاف ثم هجا ومدح فى قوله دعوا شرف الاحساب الى آخره وقوله ممعوطة بنسوعها أى ازالت النسوع وهى السيور المجدولة عر يضة شعرها الطول حكها فهو يصفها بالتأثر وما أدركها من نصب السفر والمعط فيه بالعين وأما المغط بالغين فهو ان تمد الشئ تستطيله وهو المذكور فى قول المتنبى إنساءها

انساعها مغوطة وخفافها * منكوحة وطريقها عذراء

يصف المتنبي ابله بالهزال وان نسوعها افضلت عنها والتعقيب تكرار الغزو في سنة واحدة والتردد في طلب المجد والاخطب من الخاطبة وهو لون كدر مشرب حمرة في صفرة أو غبرة ترهقها خضرة والزاعبيات بالعين الرماح نسبت الى بلد فانظر هداك الله بنور البصيرة الى هاتين القصيدتين تجدهما قد ابتدرتا في البلاغة وحسن السياق غاية بلغتاها معا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومطلع الثانية وان كان مولدا من مطلع الاولى فهو أنور كما قيل وان في الخمر معنى ليس في العنب وقوله بعده وما أنا ممن تأسر الخمر يريد ان الهزل لا يشغله عن الجد ولا يمنعه الترف والنعيم عن مباشرة الشدائد في طلب المجد وقال أبو فراس الحرث بن سعيد عم سيف الدولة علي بن حمدان وكان يتولى له رياسة الجيوش فاتفق ان أسرته الروم في بعض غزواته وبقي هنالك مدة وكان يكتب لابن عمه قصائد يعتذر فيها من الاسر ويشتكي شدة الحال ويطلب الفداء وسميت تلك القصائد لذلك بالروميات وهذه القصيدة احداها

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر * أما للهوى نهي عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة * ولكن مثلي لا يذاع له سر
اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى * واذللت دمعا من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي * اذا هي اذكتها الصبابة والفكر
معللتي بالوعد والموت دونه * اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر
بدوت وأهلي حاضرون لانني * أرى ان دارا لست من أهلها قفر
وحاربت قومي في هواك وانهم * واياي لولا حبك الماء والخمر
وان كان ماقال الوشاة ولم يكن * فقد يهدم الايمان ماشيد الكفر
وفيت وفي بعض الوفاء مذلة * لانسانة في الحي شيمتها الغدر
وقور وريعان الصبا يستفزها * فتأرن أحيانا كما أرن المهر
تسائلني من أنت وهي عليمة * وهل بفتى مثلي على حالة نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى * قتيلك قالت ايهم فهم كثر
فقلت لها لو شئت لم تتعنتي * ولم تسألي عني وعندك بي خبر
ولا كان للاحزان لولاك مسلك * الى القلب لكن الهوى للبلا جسر

فايقنت ان لاعز بعدي لعاشق * وان يدي مما علقت به صفر
فقالت لقد ازرى بك الدهر بعدنا * فقلت معاذ الله بل أنت والدهر
وقلبت أمري لا ارى لي راحة * اذا البين انساني الح بي الهجر
فعدت الى حكم الزمان وحكمها * لها الذنب لا تجزى به ولي العذر
تجفل حينا ثم تدنو وانما * تراعي طلا بالواد أعجزه الحضر
واني لنزال بكل مخوفة * كثير الى نزالها النظر الشذر
واني لجرار لكل كتيبة * معودة ان لا يخل بها النصر
فأصدى الى أن ترتوي الارض والقنا * واسغب حتى يشبع الذئب والنسر
ولا أصبح الحي الغيور لغادة * ولا الجيش مالم تاته قبلي النذر
ويارب دار لم تخفني منيعة * طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وساحبة الاذيال نحوي لقيتها * فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر
وهبت لها ماحازه الجيش كله * ورحت ولم يكشف لابياتها ستر
ولا راح يطغيني باثوابه الغنى * ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وماحاجتي في المال أبغي وفوره * اذا لم افر عرضي فلا وفر الوفر
أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغا * ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن اذا حم القضاء على أمرئ * فليس له برّ يقيه ولا بحر
وقال أصيحابي الفرار أو الردى * فقلت هما أمران أحلاهما مرّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبني * وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة * كما ردها يوما بسوءته عمرو
يمنون أن خلوا ثيابي وانما * عليّ ثياب من دمائهم حمر
وقائم سيف فيهم دق نصله * وأعقاب رمح فيهم حطم الصدر
سيذكرني قومي اذا جد جدهم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيري ماسددت اكتفوا به * وما كان يغلي التبر لو نفق الصفر
ونحن اناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر
أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا * وأكرم من فوق التراب ولا فخر

فقال

ثم قال في الوزن والروي

طربت وعادتني المخيلة والسكر * وأصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر
كأني مخمور سرت بلسانه * معتقة مما يضن بها التجر
صريع هوى يلوي بي الشوق كلما * تلألأ برق أو سرت ديمة غزر
اذا مال ميزان النهار رأيتني * على حسرات لا يقاومها صبر
يقول أناس انه السحر ضلة * وما هي الا نظرة دونها السحر
فكيف يعيب الناس أمري وليس لي * ولا لامرئ في الحب نهي ولا أمر
ولو كان مما يستطاع دفاعه * لألوت به البيض المباتير والسمر
ولكنه الحب الذي لو تعلقت * شرارته بالجمر لاحترق الجمر
على انني كاتمت صدري حرقة * من الوجد لا يقوى على مسها صدر
وكفكفت دمعا لو أسلت شؤونه * على الارض ما شك امرؤ انه البحر
حياء وكبرا أن يقال ترجحت * به صبوة أو فل من غربه الهجر
واني امرؤ لولا العوائق اذعنت * لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغر الذين سيوفهم * لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه * تفزعت الافلاك والتفت الدهر
لهم عمد مرفوعة ومعاقل * وألوية حمر وأفنية خضر
ونار لها في كل شرق ومغرب * لمدرع الظلماء ألسنة حمر
تمد يدا نحو السماء خضيبة * تصافحها الشعرى ويلثمها الغفر
وخيل يرج الخافقين صهيلها * نزائع معقود بأعرافها النصر
معودة قطع الفيافي كأنها * خدارية فتخاء ليس لها وكر
أقاموا زمانا ثم بدد شملهم * أخو فتكات بالكرام اسمه الدهر
فلم يبق منهم غير آثار نعمة * تضوع برياها الاحاديث والذكر
وقد تنطق الآثار وهي صوامت * ويثني برياه على الوابل الزهر
لعمرك ما حي وان طال سيره * يعد طليقا والمنون له أسر
وما هذه الايام الا منازل * يحل بها سفر ويتركها سفر
فلا تحسبن المرء فيها بخالد * ولكنه يسعى وغايته العمر

أقول من آتاه الله فهما وتأمل مثل هذا الشعر الذى هو من البلاغة فى أرفع رتبها عرف كيف تتفاضل العقول وان الله يختص من شاء بما شاء هذا مطلع قصيدة أبى فراس هل تجد أصدق شاهد منه فى باب براعة المطلع والاستهلال فانه أخبر فيه على انه سلك به مسلك الغزل أنه فى حالة تقتضى البكاء والجزع واى حالة اشد اقتضاء لهما من كونه اسيرا فى يد أعداء دينه ودنياه ممنوعا من الوصول الى هواه فى ارض عزه ودار سلطانه وبعد ان تتأمل المطلع بذلك النظر تمشى فى تأمل ما اختار من عبارات الغزل فتجدها بعينها هى عبارات الشكوى من بقائه فى الاسر وتأخر ابن عمه عن المسارعة الى فدائه بعد وعده بذلك واستحقاقه بعد ما ظهر من بلائه وبذل مهجته فى خدمته وطاعة أمره ان لا تلتفت العناية الا لخلاصه وابلاغه أخرى مناه ومع تأمل تلك المعانى تحسن اعتبار براعة تلك العبارات وما اشتملت عليه من الكنايات والاستعارات والاشارات فاذا فرغت من تأملها على ذلك الحد مشيت بنورة كرك فى القصيدة الثانية تعتبرها بيتا بيتا وما اسكنت من المعانى وبذلك تحصل على الغاية التى تسعى اليها وقال النابغة الذبيانى واسمه زياد يصف المتجردة زوج النعمان بامره ويقال ان النعمان مع ذلك لما سمع القصيدة غضب على النابغة وجفاه وظن به حتى اختفى منه ثم ظهرت براءته له وعاد الى موضعه من منادمته

امن آل مية رائح أو مغتد * عجلان ذا زاد وغير مزوّد
أفد الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد
زعم الحمام بأن رحلتنا غدا * وبذاك خبرنا الغداف الاسود

سبق انه غيره وبذاك تنعاب الغراب الاسود هربا من ذلك العيب ولكن الرواة أثبتوه على أصله

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد
حان الرحيل ولم تودع مهددا * والصبح والامساء منها موعدى
فى اثر غانية رمتك بسهمها * فأصاب قلبك غير ان لم تقصد
غنيت بذلك اذهم لك جيرة * منها بعطف رسالة وتودد
ولقد أصاب فؤاده من حبها * عن ظهر مرنان بسهم مصرد
نظرت بمقلة شادن متربب * احوى احم المقلتين مقلد
والنظم فى سلك يزين نحرها * ذهب توقد كالشهاب الموقد

صفراء كالسيراء أكمل خلقها * كالغصن فى غلوائه المتأود

والبطن ذو عكن لطيف طيه * والاتب تنفجه بثدى مقعد

الاتب ثوب رقيق وتنفجه من نفج ترفعه وتبعده

محطوطة المتنين غير مفاضة * ريا الروادف بضة المتجرد

قامت تراءى بين سجفى كلة * كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

الاسعد برج الحمل

أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

أو دمية من مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد وقرمد

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العود

تجلو بقادمتى حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ند

زعم الهمام بأن فاها بارد * عذب مقبله شهى المورد

زعم الهمام ولم أذقه انه * عذب اذا ماذقته قلت ازدد

زعم الهمام ولم أذقه انه * يشفى بريا ريقها العطش الصدى

أخذ العذارى عقده فنظمنه * من لؤلؤ متتابع متسرد

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد

صرورة بالصاد قيل فى تفسيره من لم يذنب قط أو لم يبرح من مكانه وقيل هو فى الجاهلية من لم يتزوج وفى الاسلام من لم يحج ولدفع التكرار فى البيت يحمل على غير هذا المعنى

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

بتكلم لو تستطيع كلامه * لدنت له اروى الهضاب الصخد

الصخد جمع صاخد وهى الملساء

وبفاحم رجل اثيث نبته * كالكرم مال على الدعام المسند

واذا لمست لمست اجثم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

واذا طعنت طعنت فى مستهدف * رابى المجسة بالعبير مقرمد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزوّر بالرشاء المحصد
واذا يعض يشد من اعضائه * عض الكبير من الرجال الادرد
ويكاد ينزع جلده من أصلبه * بلوافح مثل السعير الموقد
لا وارد منها يحور لمصدر * عنها ولا صدر يحور لمورد

فمشى على أثره وترجم اها بقوله وقال على روى قصيدة النابغة الذبيانى التى أوّلها امن آل مية وقد سلك فيها مسالك العرب فيما كانت تتمدح به من مباشرة الحروب وارتياد المنابت وركوب الخيل وشرب الخمر ومزاولة النساء

ظن الظنون فبات غير موسد * حيران يكلأ مستنير الفرقد
تلوى به الذكرات حتى انه * ليظل ملقى بين ايدى العوّد
طورا يهم بأن يزل بنفسه * سرفا وتارات يميل على اليد
فكأنما افترست بطائر حلمه * مشمولة او ساغ سم الاسود
قالوا غدا يوم الرحيل ومن لهم * خوف التفرق أن أعيش الى غد
هى مهجة ذهب الهوى بشغافها * معمودة ان لم تمت فكأن قد
يا أهل ذا البيت الرفيع مناره * أدعوكم يا قوم دعوة مقصد
انى فقدت العام بين بيوتكم * عقلى فردوه على لاهتدى
أوفاستقيدونى ببعض قيانكم * حتى ترد الى نفسى أو تدى
بل يا أخا السيف الطويل نجاده * ان أنت لم تحم النزيل فأغمد
هذى لحاظ الغيد بين شعابكم * فتكت بنا خلسا بغير مهند
من كل ناعمة الصبا بدوية * ريا الشباب سليمة المتجرد
هيفاء ان خطرت سبت واذا رنت * سلبت فؤاد العابد المتشدد
يخفضن من أبصارهن تختلا * للنفس فعل القانتات العبد
فاذا أصبن أخا الشباب سلبنه * ورمين مهجته بطرف أصيد
واذا لحن أخا المشيب قلينه * وسترن ضاحية المحاسن باليد
فلئن غدوت دريئة لعيونها * فلقد أفل زعارة المتمرد
ولقد شهدت الحرب فى ابانها * ولبئس زاعى الحى ان لم أشهد
تتقصف المران فى جمراتها * ويعود فيها السيف مثل الادرد

عصفت

عصفت بهاريح الردى فتدفقت * بدم الفوارس كالآلى فى المزبد
مازلت اطعن بينها حتى انثنت * عن مثل حاشية الرداء المجسد
ولقد هبطت الغيث يلمع نوره * فى كل وضاح الاسرة أغيد
تجرى به الآرام بين مناهل * طابت مشاربها وظل أبرد
بمضمر ارن كأن سراته * بعد الجميم سبيكة من عسجد
خلصت له اليمنى وعم ثلاثة * منه البياض الى وظيف اجرد
فكأنما انتزع الاصيل رداءه * سلبا وخاض من الضحى فى مورد
زجل يردد فى اللهات صهيله * دفعا كزمزمة الحبى المرعد
متلفتا عن جانبيه يهزه * مرح الصبا كالشارب المتغرد
فاذا ثنيت له العنان وجدته * يمطو كسيد الردهة المتورد
واذا أطعت له العنان رأيته * يطوى المهامه فدفدا فى فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة * شد الألهوب الاباء الموقد
صلب السنابك لا يمر بجلد * فى الشد الا رض فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت * يوم الكريهة فى العجاج الاربد
ولقد شربت الخمر بين غطارف * شم المعاطس كالغصون الميد
يتلاعبون على الكؤوس اذا جرت * لعبا يروح الجد فيه ويغتدى
لا ينطقون بغير ما أمر الهوى * فكلامهم كالروض مصقول ندى
من كل وضاح الجبين كأنه * قمر توسط جنح ليل اسود
بل رب غانية طرقت خباءها * والنجم يطرف عن لواحظ ارمد
قالت وقد نظرت الى فضحتنى * فارجع لشانك فالرجال بمرصد
فخلبتها بالقول حتى رضتها * وطويت اطماع الحبيرة باليد
مازلت أمنعها المنام غواية * حتى لقد بتنا بليل الانقد
روعاء تفزع من عصافير الضحى * ترفا وتجزع من صياح الهدهد
حتى اذا نم الصبا وتتابعت * زيم الكواكب كالمها المتبدد
قالت دخلت وما أخالك بارحا * الا وقد ابقيت عار المسند
فضممتها حتى اطمأن فؤادها * ونفيت روعتها برأى محصد

وخرجت اخترق الصفوف من العدا * متلثما والسيف يلمع في يدي
فلنعم ذاك العيش لولم ينقضي * ولنعم هذا العيش ان لم ينفد
يرجو الفتى في الدهر طول حياته * ونعيمه والمرء غير مخلد

وقد باشر هذا الامير الحرب مرتين بصدق شهامة وعلو همة حتى ان الناس كانوا يتعجبون كما أخبرني من حضره في تلك المواطن من خشونة بأسه على ترف نشأته ولطف حسه المرة الاولى حرب سكان جزيرة اقريطش المعروفة الآن بجزيرة جريد حين خرجوا عن الطاعة سنة ثنتين وثمانين ومائتين وألف فقال يصف الحال ويتشوق الى مصر

أخذ الكرى بمعاقد الاجفان * وهفا السرى بأعنة الفرسان
والليل منشور الذوائب ضارب * فوق المتالع والربى بجران
لا تستبين العين في ظلمائه * الا اشتعال أسنة المران
نسري به ما بين لجة فتنة * تسمو غوارب ها على الطوفان
في كل مربأة وكل ثنية * تهدار سامرة وعزف قيان
تستن عادية ويصهل اجرد * وتصيح احراس ويهتف عان
قوم أبى الشيطان الا خسرهم * فتسللوا من طاعة السلطان
ماؤا الفضاء فما يبين لناظر * غير التماع البيض والخرصان

الخرصان جمع خرص بضم أو كسر فسكون السنان

فالبدر اكدر والسماء مريضة * والبحر أشكل والرماح دوان
والخيل واقفة على ارسانها * لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا * يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح أسفر وارتمت * عيناي بين رُبى وبين مجان
فاذا الجبال أسنة واذا الوها * د أعنة والماء أحمر قان
فتوجست فرط الركاب ولم تكن * لتهاب فامتنعت على الأرسان
فزعت فرجعت الحنين وانما * تحنانها شجن من الاشجان
ذكرت موارد ها بمصر وأين من * ماء بمصر منازل الرومان
والنفس لاهية وان هي صادفت * خلفا باوّل صاحب ومكان
فسقى السماك محلة وقيامة * في مصر كل روية مرنان

حتى

حتى تعود الارض بعد ذبولها * شتى النماء كثيرة الالوان
بلد خلعت به عذار شبيبتى * وطرحت فى يدى الغرام عنانى
فصعيدها أحوى النبات وسرحها * ألمى الظلال وزهرها متدانى
فارقتها طلبا لما هو كائن * والمرء طوع تقلب الازمان
جل الزمان على مالم اجنه * ان الاماثل عرضة الحدثان
نقموا على وقد فتكت شجاعتى * ان الشجاعة حلية الفتيان
فليهنأ الدهر الغيور برحلتى * عن مصر ولتهدأ صروف زمانى
فلئن رجعت وسوف أرجع واثقا * بالله اعلمت الزمان مكانى
صادقت بعض القوم حتى خاننى * وحفظت منه مغيبه فرمانى
زعم النصيحة بعد ان بلغت به * غشا وجازى الحق بالبهتان
فليجر بعد كما أراد بنفسه * ان الشقى مطية الشيطان
وكذا اللئيم اذا أصاب كرامة * عادى الصديق ومال بالاخوان
كل امرئ يجرى على أعراقه * والطبع ليس يحول فى الانسان
فعلى م يلمس العدو مساءتى * من بعد ما عرف الخلائق شانى
أنا الأذل وانما يزع الفتى * فقد الرجاء وقلة الاعوان
فليعلمن أخو الجهالة قصره * عنى وان سبقت به قدمان
فلربما رجح الخسيس من الحصى * بالدر عند تراجع الميزان
شرف خصصت به وأخطأ حاسد * مسعاته فهذى به وقلانى

والثانية حرب الروس حين قصدوا الدولة سنة أربع وتسعين ومائتين وألف وكان حرسه الله كتب لابناء ودّه كتبا ولم تصل اليهم وظن وصولها وتقصيرهم عن المبادرة بالاجابة وقد وصل الى أحد كتابين كتبهما الى يوم قدومه الى مصر بعد مدة طويلة من كتابته وهذه أبياته

ياناعس الطرف الى كم تنام * أسهرتنى فيك ونام الانام
أوشك هذا الليل أن ينقضى * والعين لا تعرف طيب المنام
الله فى عين جفاها الكرى * فيكم وقلب قد براه الغرام
قد رحم العاذل حالى فما * يرضى لذلى فى الهوى بالملام

ولا من ظبي الحمى انه * يرعى بالصدق ذمام الحمام
يغضب من قولي آه وهل * قولي آه يا ابن ودي حرام
لا كتبه تترى ولا رسله * تأتي ولا الطيف يوافي لمام
طال النوى من بعدكم وانقضت * بشاشة العيش وساء المقام
أرتاح ان مر نسيم الصبا * والبرء لي فيه معا والسقام
ياليتني في السلك حرف سرى * أو ريشة بين خوافي الحمام
حتى أوافي مصر في لحظة * أقضي بها في الله حق الذمام
مولاي قد طال مرير النوى * فكل يوم مر بي ألف عام
أنظر حولي لا أرى صاحبا * الا جماهير وخيلا صيام
ورد يدبانا صار خاف الدجى * ارجع وراءه لا أمام
يقتبل الصبح ويمضي الدجى * وينقضي النور ويأتي الظلام
ولا كتاب من حبيب أتى * ولا أخو صدق يرد السلام
في هضبة من أرض دربيجة * ليس بها غير بغاث وهام
من خلفنا البحر وتلقاءنا * سواد جيش مكفهر لهام
فتلك حالي لا رمتك النوى * فكيف أنتم بعدنا يا همام

فقال في نعت الحال وضمن ذلك بعض فصولها

هو البين حتى لا سلام ولا رد * ولا نظرة يقضي بها حقه الوجد
لقد نعب الوابور بالبين بينهم * فساروا ولا زموا جمالا ولا شدوا
سرى بينهم سير الغمام كأنما * له في تنائي كل ذي خلة قصد
فلا عين الا وهي عين من البكا * ولا خد الا للدموع به خد
فيا سعد حدثني بأخبار من مضى * فأنت خبير بالاحاديث يا سعد
لعل حديث الشوق يطفئ لوعة * من الوجد أو يقضي بصاحبه الفقد
هو النار في الاحشاء لكن لوقعها * على كبدي مما ألذ به برد
لعمر المغاني وهي عندي عزيزة * بساكنها ما شاقني بعدها عهد
لكانت وفيها ما ترى عين ناظر * وأضحت وما فيها لغير الاسى وفد
خلاء من الاَلاف الا عصابة * حداهم الى عرفانها أمل فرد

دعتهم اليها نفحة عنبرية * وبالنفحة الحسناء قد يعرف الورد
وقفنا فسلمنا فردّت بألسن * صوامت الا انها ألسن لد
فمن مقلة عبرى ومن لفح زفرة * لها شرر بين الحشا ماله زند
فيا قلب صبرا ان أضر بك النوى * فكل فراق أو تلاق له حد
فقد يشعب الالفان أدناهما الهوى * ويلتئم الضدان اقصاهما الحقد
على هذه تجرى الليالى بحكمها * فآونة قرب وآونة بعد
وما كنت لولا الحب اخضع للتى * تسىء ولكن الفتى للهوى عبد
فعودى صليب لا يلين لغامز * وقلبى سيف لا يفل له حد
آباه كماشاه الفخار وصبوة * يدل لها فى خيسه الاسد الورد
وانا أناس ليس فينا معابة * سوى ان وادينا بحكم الهوى نجد
نلين وان كنا أشداء للهوى * ونغضب فى شروى نقير فنشتد
وحسبك منا شيمة عربية * هى الخمر مالم يأت من دونها حرد
وبى ظمأ لم يبلغ الماء ريه * وفى النفس أمر ليس يدركه الجهد
أود وما ود أمرئ نافعا له * وان كان ذا عقل اذا لم يكن جد
ومابى من فقر لدنيا وانما * طلاب العلا مجد وان كان لى مجد
وكم من يد لله عندى ونعمة * يعض عليها كفه الحاسد الوغد
أنا المرء لا يطغيه عز لثروة * أصاب ولا يلوى بأخلاقه الكد
أصد عن الموفور يدركه الخنا * واقنع بالميسور يعقبه الحمد
ومن كان ذا نفس كنفسى تصدعت * لعزته الدنيا وذلت له الاسد
ومن شيمى حب الوفاء ولم يكن * ليخلص ود لم يحطه الوفا بعد
ولكن اخوانا بمصر ورفقة * نسوا عهدنا حتى كأن لم يكن عهد
أحن لهم شوقا على ان دوننا * مهامه تعيا دون أقربها البرد
فيا ساكنى الفسطاط مابال كتبنا * ثوت عندكم شهرا وليس لها رد
أفى الحق انا ذاكرون لعهدكم * وأنتم علينا ليس يعطفكم ود
فلا ضير ان الله يعقب عودة * يهون لها بعد المواصلة الصد
جزى الله خيرا من جزانى بمثله * على شقة عز الحياة بها عند

أبيت لذكراكم بها متململا * كأني سليم أو مشت نحوه الورد

فلا تحسبوني غافلا عن ودادكم * رويدا فإني مهجتي حجر صلد

هو الحب لا يثنيه نأي وربما * تأرج من مس الضرام له الند

نأت بي عنكم غربة وتجهمت * بوجهي أيام خلائقها نكد

أدور بعيني لا أرى غير أمة * من الروس بالبلقان يخطئها العد

جوات على هام الجبال لغارة * يطير بها ضوء الصباح إذا يبدو

إذا نحن سرنا صرح الشر باسمه * وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

فأنت ترى بين الفريقين كبة * يحدث فيها نفسه البطل الجعد

على الأرض منها بالدماء جداول * وفوق سراة النجم من نقعها لبد

إذا اشتبكوا أو راجعوا الزحف خلتهم * بحورا توالى بينها الجزر والمد

نشلهم شل العطاش ونت بها * مراغمة السقيا وماطلها الورد

فهم بين مقتول طريح وهارب * طليح ومأسور يجاذبه القد

نروح إلى الشورى إذا أقبل الدجى * ونغدو عليهم بالسيوف إذا نغدو

ونقع كلج البحر خضت غماره * ولا معقل إلا المناصل والجرد

صبرت به والموت يحمر تارة * وينغل طورا في العجاج فيسود

فما كنت إلا الليث أنهضه الطوى * وما كنت إلا السيف فارقه الغمد

صئول وللأبطال همس من الونى * ضروب وقلب القرن في صدره يعدو

فما مهجة إلا ورمحي ضميرها * ولا لبة إلا وسيفي لها عقد

وما كل ساع بالغ سؤل نفسه * ولا كل طلاب يصاحبه الرشد

إذا القلب لم ينصرك في كل موطن * فما السيف إلا آلة حملها إد

إذا كان عقبى كل شيء وإن زكا * فناء فكروه الفناء هو الخلد

ففيم يخاف المرء سورة يومه * وفي غده ما ليس من وقعه بد

ليضن بي الحساد غيظا فإنني * لآنافهم رغم وأكبادهم وقد

أنا القائل المحسود من غير سبة * ومن شيمة الفضل العداوة والضد

فقد يحسد المرء ابنه وهو نفسه * ورب سوار ضاق عن حمله العضد

فلا زلت محسودا على المجد والعلا * فليس بمحسود فتى وله ند

وقال

وقد شرفت عناية وده سمعي بهذه القصيدة

مضى اللهو الا أن يخبر سائل * وولى الصبا الا بواق قلائل

بواق تماريها افانين لوعة * يؤزنها فكر على النأى شاغل

فللشوق مني عبرة مهراقة * وخبل اذا نام الخليون خابل

ألفت الضنى الف السهاد فلو سرى * بي البرء غالتني لذاك الغوائل

فلله هذا الشوق أي جراحة * أسال بنا حتى كأنا نقاتل

رضينا بحكم الحب فينا واننا * للذاذا التفت علينا الجحافل

وانا رجال تعلم الحرب أننا * بنوها ويدري المجد ماذا نحاول

اذا ما ابتنى الناس الحصون فالنا * سوى البيض والسمر اللدان معاقل

فما الهوى يقوى علي بحكمه * الم يدر أني الشمري الحلاحل

واني لثبت الجأش مستحصد القوى * اذا اخذت أيدي الكماة الافاكل

اذا ما اعتقلت الرمح والرمح صاحبي * على الشر قال القرن اني هازل

لطاعنت حتى لم أجد من مطاعن * ونازلت حتى لم أجد من ينازل

وشاغبت هذا الدهر مني بعزمة * أرتني سبيل الرشد والغي حائل

اذا أنت اعطتك المقادير حكمها * فاضيع شئ ماتقول العوازل

وما المرء الا أن يعيش محسدا * تنازع فيه الناجذين الانامل

لعمرك ماالاخلاق الا مواهب * مقسمة بين الورى وفواضل

وما الناس الا كادحان فعالم * يسير على قصد وآخر جاهل

فذو العلم مأخوذ باسباب علمه * وذو الجهل مقطوع القرينة جافل

فلا تطلبن في الناس مثقال ذرة * من الود ان الود في الناس هابل

من العار أن يرضى الفتى غير طبعه * وان يصحب الانسان من لا يشاكل

بلوت ضروب الناس طرا فلم يكن * سوى المرصفي الحبر في الناس كامل

همام أراني الدهر في طي برده * وفقهني حتى اتقاني الاماثل

أخ حين لا يبقى أخ ومجامل * اذا قل عند النائبات المجامل

بعيد مجال الفكر لو خال خيلة * أراك بظهر الغيب ما الدهر فاعل

طرحت بني الايام لما عرفته * وما الناس عند البحث الا خايل

فلو سامنى ما يورد النفس حتفها * لاوردتها اوالحب للنفس قاتل

فلا برحت منى اليـــه تحية * ينا قلها عنى الضحى والاصائل

ولازال غض العمر ممتنع الذرا * مريع الفنا تطوى اليه المراحل

وعلى أن ليس من طبعى ان أقول الشعر امالفوت أوان تحصيل وسائله ولم تكن اذذاك دواع ترشد اليه واما لان الاستعداد الذى سلف التنبيه على ان لابد منه لم يكن فى خليقتى انطقنى حبه بابيات اجملت فيها صفته وهى هذه

زكا أميرى طبعا واعتلا شرفا * فدار حيث تدور الشمس والقمر

ونال ما نال عن كد الرجال فلا * منّ عليه لشخص حين يفتخر

بفضله كل أهل الارض معترف * كما تصادق فيه الخبر والخبر

لايجهل الرتبة العليا يعمرها * ولا يتيه بها ما أعظم الخطر

صحبته وهو سر فى مخايـــله * حتى تخير من اعلانه الكبر

فما أخذت عليه شبه بادرة * ولا تخيلت أمرا منه يعتذر

أدامه الله نقى من فضائله * ومن فواضله ما أنبت الشجر

والى هنا ما اظن الا انك تحققت بمعرفة تميز شعر الامراء بما يظهر عليه من آثار عزة النفس ويشمل نواحيه من البراعة والمتانة ويلوح فيه من تخير الالفاظ برعاية ما هو أوفق بالادب أو الاليق بالمدح أو الاوقع فى الزجر أو الاجلب للعطف والرضى أو الادخل فى النصيحة أو الانسب بالغزل او الاهيج فى الحماس الى غير ذلك من المقامات وبانحصار اغراضه فيما أمر بقصره عليه أبو نواس حيث يقول

الشعر ديوان العرب * أبدا وعنوان الادب

لم أعد فيه مفاخرى * ومديح أبائى النجب

ومقطعات ربما * حليت منهن الكتب

لافى المديح ولا الهجا * ءولا المجون ولا اللعب

وتبعه المترجم فى هذا المعنى وزاد عليه فى الاحسان حيث يقول

الشعر زين المرء مالم يكن * وسيلة للمدح والذام

قد طال ما عز به معشر * وربما أزرى باقوام

فاجعله فيما شئت من حكمة * أو عظة أو حسن تام

واهتف به من قبل تسريحه * فالسهم منسوب الى الرامى

ونبه بقوله واهتف به من قبل تسريحه على أنه لا ينبغى أن يكتفى الشاعر بالنظرة الاولى فللنفس خداع وربما تنبهت بعد أن غفلت واستقبحت ما استحسنت ولذلك يقول الاول

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تبالغ قبل فى تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذى بها

ويروى ان زهيرا أحد مشاهير شعراء الجاهلية كان يقول القصيدة فى ستة أشهر ثم يرددها فى نفسه ويكرر النظر فيها ستة أشهر ولذلك تسمى قصائده بالحوليات ولما كان صعوبة الشعر والنثر أشد منه فى ذلك من جهة تخير الالفاظ وتلاؤمها وتناسب المعنى لتبين جودة السياق يقول الحطيئة

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
هوت به الى الحضيض قدمه * والشعر لا يسطيعه من يظلمه
ولم يزل من حيث يأتى يخرمه * يريد ان يعربه فيعجمه
من يسم الاعداء يبقى ميسمه *

من يظلمه أى يتكلفه ولا يأتى به فى ابانه و يريد ان يعربه أى يأتى به عربيا بوضع الالفاظ فى مواضعها اللائقة بها وسلامة التركيب مما يبعد فهم المعنى منه وقوله من يسم الاعداء اشارة الى ان وضع الشئ فى موضعه كما يعترف به ذووا الادراك اذا وقفوا عليه موجب لبقائه وارتباطات العنايات به واذ قد عرفت أن لا سبيل لمعرفة الصناعة الا بكثرة الحفظ ورعاية ما نبهناك على رعايته فقد آن ان نوردلك ما يكون مثالا لما ينبغى أن تحصله للحفظ وترديد النظر فيه من قصائد لمشاهير الشعراء وينبغى بحسب نشأة الشعر وما عرض له من التغير أن نجعل الشعراء فى ثلاث طبقات الطبقة الاولى للعرب جاهليين واسلاميين من المهلهل الى بشار بن برد والثانية للمحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ويجتهدون فى سلوك طرائقهم من أبى نواس الى من قبل عبد الرحيم المعروف بالقاضى الفاضل والثالثة بالشعراء الذين غلب عليهم استعمال النكات والافراط فى مراعاة البديع وهم من القاضى الفاضل الى هذا الوقت الطبقة الاولى قيل ان عديا الملقب بالمهلهل هو أول من أطال الشعر ورققه ولذلك لقب المهلهل من قولهم ثوب مهلهل اذا لم يكن مدامج الخيوط بحيث يشف عما وراءه وانما كانت الشعراء قبله تقول قطعا تذكر

فيها الوقائع ونفخر ولكن اتفقت كلمة العلماء على ان اول من جوّد الشعر وأطال القصائد وجعلها مشتملة على أصناف من المعاني هو امرؤ القيس ومن هنا ورد فيه هو حامل لواء الشعراء الى النار وقال الصاحب ابن عباد بدئ الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس اذ كان ابن ملك من ملوك العرب وطلب الملك بعد أبيه وكان يلقب بالملك الضليل وابا فراس الحمداني فامرؤ القيس ومن يذكر معه من أصحاب المعلقات وغيرهم هم أئمة الشعر الذين يقتدى بهم ويصنع على ما مثلوه اذ كانوا هم المخترعين وكانت عباراتهم حكاية عن الواقع وصنعة للمشاهد لم تكن الصنعة غالبة عليهم كما هو شان المتأخرين عنهم وان كان الشعر كيفما كان من الامور المصنوعة التي يتفاوت الناس في اتقانها ورعاية جهات حسنها لكن من حيث كان ذلك ابتداء لم يحتذ فيه مثال قيل لشعرهم انه مطبوع ولشعر المتأخرين انه مصنوع لكونهم احتذوا فيه الامثلة التي اخترعها هؤلاء فمن شعر امرئ القيس قصيدته التي وافقه في وزنها ورويها علقمة الفحل ونحا كما في المفاضلة بينهما وتقديم أحدهما الى أم جندب وهي امرأة من ذوات العقل والمعرفة كان تزوجها امرؤ القيس فحكمت لعلقمة عليه بالبيتين اللذين توافيا فيهما على معنى واحد في صفة جري الفرس فكان ذلك سببا لأن طلقها امرؤ القيس وخلفه عليها علقمة وهي هذه

خليلي مرا بي على أم جندب * لتقضي لبانات الفؤاد المعذب
فانكما ان تنظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى أم جندب
ألم تر ياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب
عقيلة اتراب لها لا دميمة * ولا ذات خلق ان تأملت جانب
ألا ليت شعري كيف حادث وصلها * وكيف تراعي وصلة المتغيب
أقامت على ما بيننا من مودة * اميمة أم صارت لقول المخبب
فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها * فانك مما أحدثت بالمجرب
وقالت متى يبخل عليك ويعتلل * يسؤك وان يكشف غرامك تدرب
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن * سوالك نقبا بين حزمي شعبعب
علون بانطاكية فوق عقمة * كجرمة نخـــل أو كجنة يثرب
ولله عينا من رآى من تفرق * اشت وأنأى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة * وآخر منهم قاطع نجد كبكب

فعيناك

فعيناك غربا جدول فى مفاضة * كمر الخليج فى صفيح المصوب

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وانك لم تقطع لبانة عاشق * بمثل غدو او رواح مؤوب

بادماء حرجوج كان قتودها * على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرد بالاسحار فى كل سدفة * تغرد مياح الندامى المطرب

اقب رباع من حمير عماية * يمج لعاع البقل فى كل مشرب

بمحنية قد آزر الضال نبتها * مجر جيوش غانمين وخيب

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * وماء الندى يجرى على كل مذنب

بمنجرد قيد الاوابد لاحه * طراد الهوادى كل شأو ومغرب

على الاين جياش كان سراته * على الضمر والتعداء سرحة مرقب

يبارى الخنوف المستقل زماعه * ترى شخصه كانه عود مشجب

له أيطلا ظبى وساقا نعامة * وصهوة عير قائم فوق مرقب

ويخطو على صم صلاب كانها * حجارة غيل وارسات بطحلب

له كفل كالدعص لبده الندى * الى حارك مثل الغبيط المذأب

وعين كمرآة الصناع تديرها * بمحجرها من النصيف المنقب

له أذنان تعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

ومستفلك الذفرى كان عنانه * ومثناته فى رأس جذع مشذب

واسحم ريان العسيب كأنه * عثا كيل قنو من سميحة مرطب

اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

يدير قطاة كالمحالة أشرفت * الى سند مثل الغبيط المذأب

فيوما على سرب نقى جلوده * ويوما على بيدانة أم تولب

فبينا نعاج يرتعين خميلة * كمشى العذارى فى الملاء المهدب

فكان تنادينا وعقد عذاره * وقال صحابى قد شأونك فاطلب

فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا * على ظهر محبوك السراة محنب

وولى كشؤبوب العشى بوابل * ويخرجن من جعد تراه منصب

فللساق ألهوب وللسوط درة * وللزجر منه وقع أهوج منعب

فادرك لم يجهد ولم يثن شأوه * يمر كخذروف الوليد المثقب

ترى الفار في مستنقع القاع لاحبا * على جدد الصحراء من شد ملهب

خفاهن من انفاقهن كأنما * خفاهن ودق من عشي مجلب

فعادى عداء بين ثور ونعجة * وبين شبوب كالقضيمة قرهب

وظل لثيران الصريم غماغم * يداعسها بالسمهري المعلب

فكان على حر الجبين ومتق * بمدرية كأنها ذلق مشعب

وقلت لفتيان كرام ألا انزلوا * فعالوا علينا فضل ثوب مطنب

وأوتاده مازية وعماده * ردينية فيها أسنة قعضب

واطنابه اشطان خوص نجائب * وصهوته من اتحمي مشرعب

فلما دخلناه اضفنا ظهورنا * الى كل حاري جديد مشطب

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

نمش باعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

ورحنا كأنا من جواثى عشية * نعالى النعاج بين عدل ومحقب

وراح كتيس الربل ينفض رأسه * أذاة به من صائك متحلب

كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مخضب

وأنت اذا استدبرته سد فرجه * بضاف فويق الارض ليس باصهب

وهذا الشعر محتاج الى الشرح والضبط لتحصل الفائدة بحفظه فنقول قوله خليلي البيت اللبانات جمع لبانة بضم اللام ما يتشهاه الانسان بعد الحوائج الاصلية وقوله ألم تر يأني يتعلق به حكاية تعرف منها المفاضلة بين الشاعرين يحكى ان كثير عزة لما قال

فما روضة بالحزن غب سمائها * يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من اردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

جاءته عجوز ومعها روثة عليها نار فيها عود هندي وقالت له لم تزد في صفة عزة على هذه ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم تر يأني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وصفها بان طيبها من ذاتها وكثير جعل طيبها من غيرها وكل شئ يطيب بالطيب تطيب رائحته والفضل للطيب لا للشئ وقوله عقيلة اتراب البيت العقيلة الكريمة عقلها أهلها ومنعوها

ومنعوها من التبذل لجمالها والاتراب جمع ترب وهو المساوى فى العمر مأخوذ من التراب لانهما جاآ من تراب واحد واللدة مثله لانهما ولدا معا والجانب المجنب المحقور أو الغليظ القصير وقوله أقامت تفصيل لقوله وكيف تراعى وصلة المتغيب يقول هل بقيت على ما نعهد أو تغيرت بتغيير المفسد وهو المخبب من التخبيب وهو افساد عبد الرجل عليه أو امرأته وقوله فان تنأ البيت رجوع منه الى معروفه من أخلاقها بعد استفهام التجاهل فهو يقول فان تغب عنا مدة فانه لا يخفى عليك أمرها ولا ما تصير اليه فانت منه بموضع التجريب فالمجرب اسم مكان فى زنة اسم المفعول كما هو شأنه من غير الثلاثى و بين تجنيها وتحشين القول له المنبئ عن التغير فى قوله وقالت متى يبخل عليك البيت وتدرب من الدربة وهى العادة درب فى الامر اعتاده ومرن عليه فهى تقول له انك طموع لا تقف عند حد وقوله تبصر خليلى البيت الظعينة الجمل عليه المسافرة وهى ظعينة أيضا والنقب الطريق فى الجبل والحزم بالميم أغلظ من الحزن بالنون وكلاهما بفتح فسكون الامكنة الوعرة وشعبعب بالعين و بالغين مكان من أرض بنى تميم وقوله علون بانطاكية يصف هيئة الرحال على الابل و يذكر انهامن نفائس الثياب تنويها بعظم أهلها وانهم من اهل الثروة وانطاكية من بلاد الشام تنسب اليها ثياب تصنع بها والعقمة بكسر فسكون الوشى وشبه الابل بما عليها من الملونات بزرعة نخل وهى الجرية بكسر فسكون واضرب عن التشبيه بمكان غير معين الى مكان معين لظهوره واستقراره فى خيال السامع و يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بلد نخل وهنالك بلد نخل أيضا يقال لها يترب بفتح الياء والراء بينهما تاء وهى المذكورة فى قوله مواعيد عرقوب أخاه يترب ا وقوله ولله عينا البيت وما بعده يصف بهما اجتماع الحاج وملتقى الاحبة وافتراقهم ويبدى أسفه فى ذلك والمحصب من أمكنة تلك الناحية وبجزع الارض وقطعها معناهما واحد و بطن نخلة ونجد كبكب مكانان الى جهتين مختلفتين وقوله فعيناك صفة لبكائه على أثر الظاعنين والغرب الدلو العظيمة والمفاضة موضع افاضة الماء واساله أى تنهمل دموعه كرا لخليج والصفيح الحجارة والمصوب المال وهنالك تكون سرعة جرى الماء وقوله وانك لم يفخر لما افتخرت عليه بانها تكشف غرامه وقرعته بالطمع وترك الوقوف عند حد وهو لا يقدر على الاجابة لمكان المحب الموجب لتسليم كل ما يقوله المحبوب تذكر أنه ربما يفتخر على الانسان

مهين عاجز ضعيف ولا يجد الشريف أن يجيبه و يرد عليه حتى يخيل أنه مغلوب فتشتد حزازة صدره ولسانه لا ينطلق فرمى بكلام هو أكبر من الغزل ولذلك يتمثل به للتروح عند حصول مثل ذلك وقوله وانك لم تقطع لبانة البيت انتقال منه لذكر الحيلة في السلو وكسر سورة العشق فادعى ان السفر والذهاب في البلاد يكون سببا لذلك وشرط في السفر الابعاد ولذلك أوجب ان تكون راحلته على ما وصف من الشدة والصلابة حتى تساعده على ما اراد والغدو الذهاب أول النهار والرواح الذهاب في آخره والتأويب السير نهارا والادلاج السير ليلا والحرجوج كعصفور الصلبة والقتد بفتحتين عدة الراحلة والابلق ذو اللونين والمغرب على زنة اسم المفعول الابيض كله والاقب الضامر ورباع منقوص اذا نصبته أظهرت الياء فقلت ركبت رباعيا وهو الذى أسقط رباعيته وزنة الكامة ثمان وثمانية من حمير عماية جبل بناحية نجد تعرف حميره بالشدة واللعاع كغراب نبت ناعم في أول ما يبدو والمحنية ما انعطف من الوادى وهو أخصبه ولذلك قال ان نبته علا وكان كالشعير المسمى بالضال ووصفه بكونه موفرا لم ينزله الناس حتى يرعوا نباته فهو على جانب بحيث يمر عليه الناس من وراو بين ذلك في قوله مرجيوش غانمين وخيب أى جيوش خيب فالغانم فرح بالقفول الى أهله فهو لا يعرج على مكان والخائب ساع ليغنم واذا كان حال الموضع ذلك وجدت الحمير مرعى رغدا فنمت اجسامها وتزايدت قواها وقوله قد أغتدى البيت هو وقت الخروج الى الصيد وله كانت شباب العرب المترفون يستعملون الخيل و يذكرون ذلك في عداد ملاذهم والمذنب كمنبر مسيل الماء الى الارض كالمزرعة والبستان وقوله بمنجرد المنجرد قصير الشعر وذلك محمود في الخيل وقيد الاوابد وهى الوحش جمع آبدة استعارة معدودة من حسنات أمرئ القيس ولاحه غيره من السمن الى الضمور والطراد الاتباع والهوادى السوابق جمع هادية كانها دليلة ما وراءها وفي قوله طراد الهوادى ابانة لحسن طلبه وانه فات الوحش وأتاه من قبل وجهه فمنعها السلوك الى وجهتها والشأو الطلق يجريه الفرس الى غاية ما قربت أو بعدت ولذلك قيد بالمغرب وهو البعيد وقوله على الاين البيت الاين التعب والجيشان غليان القدر وفى الفرس هيجانه نشاطا ووفور قوة وسراة كل شئ أعلاه حتى في الناس قال قيس

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

والسرحة واحدة السرح الشجر لا شوك فيه ويقابله العضه للشجر الشائك والمرقب

الموضع يرقب منه وكانوا يرقبون في الشجر العالي الكثير الفروع ولهذه الصفة قيد السرحة ليظهر الفرس في صورة عظمه التي يحاول نعتها وقوله يباري المباراة المسابقة وأصله انّ من يبرى القوس يغالب آخر في عجلة العمل والخنوف اللين القوائم بحيث يرمي بها في العدو رميا يريد ثورا وحشيا وهو معروف بشدة العدو والزماع جمع زمعة بفتحتين شعر يكون في اسفل الارجل واستقلاله ارتفاعه فانه اذا طال عطل عن شدة الجري وعود المشجب خشب ينصبه القصار ينشر عليه الثياب والمشجب بزنة منبر وقوله له أيطلا ظبي البيت الايطل الجانب والصهوة موضع الراكب من الفرس وقصر في هذا البيت عن بيت المعلقة حيث أتى في ذلك بأربعة تشبيهات وبيت المعلقه

له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وأرخاء سرحان وتقريب تتفل

وتتفل بزنة تنصر وأتى هنا بثلاثة تشبيهات كلها في الجسم وقوله ويخطو البيت الحافر الاصم الذي لا خلو فيه ومنه الصخرة الصماء والغيل بفتح فسكون الماء يجري على وجه الارض والوارسات جمع وارسة أي ذات ورس وهو بفتح فسكون نبت أصفر يصبغ به كالزعفران والحجارة اذا تلونت بهذا اللون كانت قدمت وبلغت الغاية في الصلابة وقوله له كفل البيت الدعص بكسر فسكون اكمة صغيرة من الرمل تشبه بها الاكفال واستعملت في غزل العرب وقلدهم غيرهم والحارك طرف الورك المشرف من أعلاه والغبيط قتب الهودج والمذأب الذي له أطراف بارزة مشرفة وقوله وعين البيت الصناع للانثى وللذكر صنع بفتحتين من الصنعة للحاذق والحاذقة فيها ومرآة الصناع مشوفة مجلوة ليس عليها صدأ ولا غبار كما تكون مرآة الخرقاء والمحجر بفتح الميم وكسر الجيم في لغة وفي أخرى بزنة منبر وفي تفسيره خلاف أهو ما بان من اسفل العين أو البياض المحيط بالسواد والنصيف الخمار وقوله له اذنان البيت العتق كرم الاصل والنجابة وآذان أصلاء الخيل صغار منتصبات تشبه بالآلة أي الحربة وبورق الآس وبرية القلم والربرب جماعة الظباء والمذعورة تنصب اذنيها وترفع رأسها والعتق بكسر فسكون وقوله ومستفلك الذفرى البيت أي ذفراه وهو العظم خلف الاذن مستديرة كفلكة المغزل والمثناة عذار الفرس والمشذب المجرد عن الاشياء النابتة عليه وقوله واسحم البيت السحمة السواد يصف ذنبه والعسيب منبت شعره والعثاكيل جمع عثكول شمارخ البلح والقنو مجموعها وسميحة ناحية بها نخل ولعله له خصوصية حتى قيد به

وقيد بالرطب لسواد الذنب فيتم التشبيه وقوله اذا ماجرى البيت أثأب شجر لا يخ فيه خفيف وهو بفتح الهمزتين وقوله يدبر قطاة البيت القطاة مقعد الرديف والمحالة البكرة البئر والسند هنا أراد به الحارك أعاد وصفه وقوله فيوما على سرب البيت السرب بكسر فسكون القطيع من البقر والجماعة من الطير والبيدانة أم التولب الأتان أم الجحش والتولب بسكون بين فتحتين وقوله فلأياً بلأي اللأي البطء والمجنب من التجنيب وهو احديداب في وظيفي الفرس وصلبها أو المجنب من التجنيب وهو بعد ما بين الرجلين بلا فحج وقوله وولى كشؤبوب العشي البيت شؤبوب العشي الدفعة من المطر ويقال وبل أى انهمل ووصف البقر بشدة العدو حتى انها تثير التراب الندى المتلبد ولا يثير ذلك الا قوة الركض بالاظلاف والمنصب المرتفع كالخباء وقوله فللساق البيت قسم العدو باقسامه والاهوج المنعب الطائر الذى اعتاد النعيب أى التصويت وهو بزنة منبر ويروى أخرج مذهب وهو من صفة النعام وقوله ترى الفأر البيت وما بعده يقول انه يخرج الفيران الى القياع فتكون ظاهرة وهو معنى لاحب وخفاهن أظهرهن والانفاق جمع نفق شقوقها والودق المطر والمجلب اسم فاعل أى ذو جلبات وأصوات وحاصله ان الفيران تظنه عند مروره مطرا فتخرج من مطمئن الارض الى مرتفعها تطلب السلامة منه وقوله فعادى البيت عادى بين الشيئين والى بينهما والشبوب الفتى والقضية الصحيفة البيضاء وثيران الوحش بيض والقرهب هنا بسكون بين فتحتين البدين قوله وظل لثيران المداعسة والآلة الطعن والسمهرى من ألقاب الرمح والمعلب اسم مفعول من علب الرمح اذا لف عليه سيرا متخذا من علباء البعير وهو عصب عنقه تقوية له أن لا ينشق وقوله فكاب على حر الجبين البيت كبا سقط لوجهه والمدرية أراد بها هنا القرن والزلق الطرف والمشعب ما يشعب به الجلد المشقوق وقوله وقلت لفتيان البيت فعالوا أى فنزلوا فنصبوا الخباء وقوله وأوتاده وما بعده يذكر ان ذلك الخباء قام من ثيابهم وسلاحهم وكذلك يفعلون اذا كانوا فى الصيد والماذية الدرع البيضاء أو اللينة وردينية من ألقاب الرماح وقعضب اسم رجل كان يركب أسنة الرماح والاشطان جمع شطن الحبال والخوص جمع خوصاء غائرة العين وصهوة الخباء أعلاه والاتحمى المشرعب نوع من الثياب الفاخرة فيه تماثيل الشرعب بسكون بين فتحتين لنبات ويقال ثوب مطير ومخيل ومرجل اذا رسم فيه

فيه تماثيل تلك الاشياء وقوله فلما دخلناه البيت أضاف ظهره أى أسنده والحارى المنسوب الى الحيرة ويقال حيرى على القياس وأراد به الرحل المصنوع بها والمشطب الذى فيه الشطب جمع شطبة بضم أوكسر فسكون للخطوط والطرائق وتذكر فى صفة السيف لما فيه من الخطوط وقوله كأن عيون الوحش البيت الجزع نوع من خرز اليمن فيه خطوط قيل ان عيون البقر وهى حية ترى سوداء لايظهر فيها البياض فاذا ماتت ظهر وقوله نمش باعراف الجياد البيت مش الكف مسحها من أثر الطعام والمشوش بفتح الميم مايمسح به كالمنديل والمضهب الذى أعجل ان ينضج يحكى ان عبد الملك سأل جلساءه يوما عن أفضل مناديل العرب فكل ذكر مناديل ناحية من نواحى الارض ونعتها فلما فرغوا قال عبد الملك لم تصيبوا ألم تسمعوا القول الشاعر وفى الابيات بيان المعنى الذى قصده امرؤ القيس

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار باللحم للقوم المراجيلُ

وردوا شقر مايونيه طابخه * ماغير الغلى منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسوّمة * أعرافهن لايدينا مناديل

وقوله ورحنا البيت جوانى كجبارى قرية يحمل منها التمر ونعالى نرفع رفع الحمل وجعل الحمل بين عدل وهو الموضوع على ظهر الحاملة وجانبيها او المحقب الموضوع على مؤخرها وقوله وراح كتيس الربل البيت الربل نبت يظهر فى آخر الصيف ينبت على برد الليل لايحتاج للماء وهو بفتح فسكون والتيس اذا رعاه بعد مارعى نبات الصيف يكون فى أوفر قوته وأذاقه أى من أذية فيه ينفضه وانما يتأذى من العرق المتغير وهو الصائك المتحلب المتصبب وهذه قصيدة علقمة

ذهبت من الهجران فى غير مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

ليالى لاتبلى نصيحة بيننا * ليالى حلوا بالستار فغرب

أى أذكرى ليالى لاتبلى نصيحة بيننا لخلوصها يعنى ليالى التصافى بحثها على بقاء الوفاء

مبتلة كان انضاء حليها * على شادن من صاحة متربب

محال كاجواز الجراد ولؤلؤ * من القلقى والكبيس الملوب

المبتلة التى انفردت بالحسن فهى تذكر وحدها فى النعت والصفة وشبهها بالغزال المترعرع من غزلان ذلك المكان المتربب أى المربى المعتنى به وانضاء الحلى منظومه

وفصله بقوله مخال بفتح الميم لنوع من الحلي وكذا القلب والملوب الملوى كالسوار

اذا ألحم الواشون للشر بيننا * تبلغ رمس الحب غير المكذب

هو تفسير وبيان لقوله لاتبلي نصيحة بيننا أي اذا اجتهد الوشاة أن يبلغوا مآربهم تأكد الحب المرموس أي المكتوم فهو من اضافة الصفة

وما أنت أم ماذ كرها ربعية * تحل بإير أو بأكناف شربب

عاتب نفسه فقال ما شأنك وما شأن ذكرها ربعية من ربيعة وإير بكسر الهمز وشربب موضعان

اطعت الوشاة والمشاة بصرمها * فقد انهجت حبالها للتقضب

وقد وعدتك موعدا لو وفت به * كموعود عرقوب أخاه بيثرب

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل * يسؤك وان يكشف غرامك تدرب

فقلت لها فيئي فما تستفزني * ذوات العيون والبنان المخضب

ففاءت كما فاءت من الأدم مغزل * ببيشة ترعى في أراك وحلب

تحاشن في هذه الابيات وذكر أنه جازاها بعملها فأعرض كما أعرضت وأجابها على مثل ما ابتدأت

فعشنا بها من الشباب ملاوة * فانجح آيات الرسول المخبب

التفت للاخبار عما كان بينه وبينها مدة الشباب والملاوة المدة

فانك لم تقطع لبانة عاشق * بمثل بكور أو رواح مؤوب

بمجفرة الجنبين حرف شملة * كهمك مرقال على الأين ذعلب

كهمك أي وفق غرضك والذعلب بكسر فسكون الصلبة

اذا ما ضربت الدف أو صلت صولة * ترقب مني غير أدنى ترقب

الدف الجانب وترقب أي تلاحظ خوفا ورعيا ترقبا شديدا ليس بالضعيف وهو قوله غير أدنى وجعل ذي الرمة أحسن من ناقته هذه وأفره فانه لم يضربه ولم يصل عليه حيث يقول وأحسن ما شاء

يكاد من التصدير ينسل كلما * ترنم أومس العمامة راكبه

بعينين كمرآة الصناع تديرها * لمحجرها من النصف المنقب

كأن بحاذيها اذا ما تشذرت * عثاكيل قنو من سميحة مرطب

تذب

تذب به طورا وطورا تمره * كذب البشير بالرداء المهذب

يصف الذنب والحاذان مواقعه من أدبار الفخذين

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * وماء الندى يجرى على كل مذنب

بمنجرد قيد الاوابد لاحه * طراد الهوادى كل شأو ومغرب

كميت كلون الارجوان نشرته * لبيع الرداء فى الصوان المكعب

مركب قد الاندرى يزينه * مع العتق خلق مفعم غير جانب

له حرتان تعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وجوف هواء تحت متن كأنه * من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

الخلقاء الملساء

قطاة ككردوس المحالة اشرفت * الى سند مثل الغبيط المذأب

وسمر يفلقن الظراب كأنها * حجارة غيل وارسات بطحلب

اذا ما اقتنصنا لم نخاتل بجنة * ولكن ننادى من بعيد ألا اركب

أخا ثقة لا يلعن الحى شخصه * صبورا على العلات غير مسبب

اذا انفدوا زادا فان عنانه * واكرعه مستعمل خير مكسب

يصف ثقته بالفرس وانهم لا يخاتلون الصيد أى لا يحتالون عليه لعلمهم أنه يدركه بشده وجعله أخا ثقة يستبشر به الناس ولا يسبونه لهنه و بركته وأنه فى جميع الاحوال صابر وأوضح ذلك بذكر أنه خير مكسب أى كاسب برنة منبر اذا استعملوه وصرفوه بعنانه فعملت أرجله عملها ونسب الكسب الى العنان والقوائم التى عبر عنها بالاكرع

رأينا شياها يرتعين خميلة * كمشى العذارى فى الملاء المهدب

فبينا تماريها وعقد عذاره * خرجن علينا كالجمان المثقب

أراد أن يقول المنظم لكونها متتابعة متواصلة تشبه العقد ولم يتمكن فعبر بالمثقب اللازم لامكان النظم وهذا الذى يسميه أهل البديع الطاعة والعصيان

فاتبع آثار الشياه بصادق * حثيث كغيث الرائح المتحلب

فادرك منها ثانيا من عنانه * يمر كمر الرائح المتحلب

ترى الفأر فى مستنقع القاع لاحبا * على جدد الصحراء من شد ملهب

خفاهن من انفاقهن كأنما * خفاه شؤبوب غيث منقب

فظل لثيران الصريم غماغم * يداعسهن بالنضى المعلب
فهاو على حر الجبين ومتق * بمدرية كأنها ذلق مشعب
وعادى عداء بين ثور ونعجة * وبين شبوب كالقضيمة قرهب
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص * فخبوا علينا فضل برد مطنب
كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
ورحنا كأنا من جواثى عشية * نعالى النعاج بين عدل ومحقب
وراح كشاة الرمل ينفض رأسه * اذاقه من صائك متحلب
وراح يبارى فى الخباب قلوصنا * عزيزا علينا كالحباب المسيب

فانظر كيف تناول هذان الشاعران تلك المعانى متناولا واحدا لا تفاوت بينهما الا فى اليسير كما يدرك بتدقيق النظر والتلبث فى المقارنة بين شعريهما وتبين ذلك بما تواردا عليه من الابيات الكاملة وتأمل ذلك نافعا ان شاء الله تعالى ومن جيد شعر هذه الطبقة مرثية محمد بن كعب الغنوى التى يرثى بها أخاه وهى

تقول ابنة العبسى قد شبت بعدنا * وكل امرئ بعد الشباب يشيب
وما الشيب الا غائب كان جائيا * وما القول الا مخطئ ومصيب
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا * كأنك يحميك الشراب طبيب
فقلت ولم أعى الجواب ولم أبح * وللدهر فى الصم الصلاب نصيب
تتابع أحداث تخرمن اخوتى * فشيبن رأسى والخطوب تشيب
لعمرى لئن كانت اصابت منية * أخى والمنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فمروح * عليه وأما جهله فعزيب
أخى ما أخى لا فاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخى كان يكفينى وكان يعيننى * على نائبات الدهر حين تنوب
حليم اذا ما سورة الجهل أطلقت * حبا الشيب للنفس اللجوج غلوب
هو العسل الماذى حلما ونائلا * وليث اذا يلقى العداة غضوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
هوت أمه ماذا تضمن قبره * من المجد والمعروف حين ينوب
أخو شتوات يعلم الضيف أنه * سيكثر ما فى قدره ويطيب

حبيب الى الزوار غشيان بيته * جميل المحيا شب وهو أديب
وكان بيوت الحي مالم يكن بها * بسابس قفر مابهن عريب
كعالية الرمح الرديني لم يكن * اذا ابتدر الخير الرجال يخيب
اذا قصرت أيدي الرجال عن العلا * تناول أقصى المكرمات شبيب
جموع خلال الخير من كل جانب * اذا حل مكروه بهن ذهوب
مفيد ملق الفائدات معاود * لفعل الندى والمكرمات كسوب
وداع دعا يامن يجيب الى الندى * فلم يستجب عند النداء مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت ثانيا * لعل أبي المغوار منك قريب
يجبك بما قد كان يفعل انه * بامثالها رحب الذراع أريب
اتاك سريعا واستجاب الى الندى * كذلك قبل اليوم كان يجيب
كأن لم يكن يدعو السوابح مرة * بذي لجب تحت الرماح مهيب
فتى أريحي كان يهتز للندى * كما اهتز من ماء الحديد قضيب
فتى ما يبالي ان يكون بجسمه * اذا نال خلات الكرام شحوب
اذا ماتراآه الرجال تحفظوا * فلم تنطق العوراء وهو قريب
على خير ما كان الرجال رزئته * وما الخير الا طعمة ونصيب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * سريعا ويدعوه الندى فيجيب
غياث لعان لم يجد من يعينه * ومختبط يغشى الدخان غريب
عظيم رماد النار رحب فناؤه * الى سند لم تحتجبه غيوب
يبيت الندى ياام عمرو ضجيعه * اذا لم يكن في المنقيات حلوب
حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم في عين العدو مهيب
معنى اذا عادى الرجال عداوة * بعيد اذا عادى الرجال قريب
غنينا بخير حقبة ثم جلحت * علينا التي كل الانام تصيب
فابقت قليلا ذاهبا وتجهزت * لآخر والراجي الحياة كذوب
وأعلم ان النأى في الحي منهم * الى أجل اقصى مداه قريب
لقد افسد الموت الحياة وقد أتى * على يومه علق علي حبيب
فان تكن الايام أحسن مرة * الي فقد عادت لهن ذنوب
جمعن القوى حتى اذا اجتمع الهوى * صدعن العصا حتى القناة شعوب

أبى دون حلو العيش حتى أمره * نكوب على آثارهن نكوب
كأن أبا المغوار لم يوف مرقبا * اذا ربأ القوم الغزاة رقيب
ولم يدع فتيانا كراما لميسر * اذا اشتد من ريح الصباه هبوب
فان غاب منهم غائب أو تخاذلوا * كفى ذاك منهم والجناب خصيب
كأن أبا المغوار ذا المجد لم يجب * به البيد عنس بالفلاة خبوب
فلاة ترى فيها اذا حط رحلها * ندوبا على آثارهن ندوب
وانى لباكيه وانى لصادق * عليه وبعض القائلين كذوب
فتى الحرب ان حاربت كان سمامها * وفى السفر مفضال اليدين وهوب
وحدثتمانى انما الموت فى القرى * فكيف وهذى روضة وقليب
وماء سماء كان غير مجمة * بدوية تجرى عليه جنوب
ومنزله فى دار صدق وغبطة * وما اقتال من حكم عليه طبيب
فلو كانت الدنيا تباع اشتريته * بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو يمنى يدى وقيل لى * هو الغانم الجذلان يوم يؤوب
لعمركما ان البعيد لما مضى * وان الذى يأتى غدا لقريب
وانى وتأميلى لقاءه مؤملا * وقد شعبته عن لقاى شعوب
كداعى هديل لا يزال مكلفا * ولات له حتى الممات مجيب
شقى كل ذكر جاءنا من مؤمل * على النأى رجاف السحاب سكوب

ان كنت معتبرا من كلام صحة معنى وتخير لفظ وجودة تركيب ومتانة سياق وحسن استعارة ولطف اشارة وغرابة نادرة فلتكن هذه القصيدة مثالك الذى تحتذيه فما كان من شعر مدانيا لها فذلك ما تحكم عليه بنهاية الجودة والا فهو نازل بقدر بعده عن مرتبتها من البلاغة ومن الجيد شعر عمير بن شييم التغلبى المشهور بالقطامى من شعراء بنى أمية أيام عبد الملك وما بعده وأسلم عن نصرانية تغلب وهو أول من لقب صريع الغوانى بقوله

صريع غوان راقهن ورقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

وبهذا اللقب لقب مسلم بن الوليد بعد كما سيأتى روى عن الامام عامر الشعبى أنه قال قال عبد الملك وأنا حاضر للاخطل يا ابا مالك أتحب ان لك بشعرك شعر شاعر من العرب قال اللهم لا الا شاعرا منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن ان يكن فى أحد خير فسيكون

ف يكون فيه ولوددت انى سبقته الى قوله

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

ومن مختار شعره هذه القصيدة

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

أنى اهتديت لتسليم على دمن * بالغمر غيرهن الاعصر الاول

صافت تمعج أعناق السيول بها * من باكر سبط أورائح يبل

فيهن كالخلل الموشى ظاهرها * أو كالكتاب الذى قد مسه البلل

كانت منازل منا قد نحل بها * حتى تغير دهر خائن خبل

ليس الجديد به تبقى بشاشته * الا قليلا ولا ذو خلة يصل

والعيش لا عيش الا ما تقربه * عين ولا حالة الا ستنتقل

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهى ولأم المخطئ الهبل

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

سمع اعرابى منشدا ينشد هذا البيت فقال قد ثبط هذا الناس هلا قال على أثره

ور بما ضر بعض الناس بطؤهم * وكان خير الهم لو انهم عجلوا

وأصل هذا المعنى فى الحديث الشريف من تأنى اصاب أو كاد ومن استعجل اخطأ أو كاد رجع

أمست علية يرتاح الفؤاد لها * وللرواسم فيما دونها عمل

بكل مخترق يجرى السراب به * يمسى وراكبه من خوفه وجل

ينضى الهجان التى كانت تكون بها * عرضية وهباب حين ترتحل

حتى ترى الحرة الوجناء لاغبة * والارحبى الذى فى خطوه خطل

خوصا تدير عيونا ماؤها سرب * على الخدود اذا ما اغرورق المقل

لواغب الطرف منقوبا محاجرها * كأنها قلب عادية مكل

قليب مكول غاض ماؤه

ترمى الفجاج لها الركبان معترضا * اعناق بزلها مرخى لها الجدل

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

فهن معترضات والحصى رمض * والريح ساكنة والظل معتدل

يتبعن سامية العينين تحسبها * مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل

لما وردن نبيا واستتب بنا * مسحنفر كخطوط السيح منسحل

على مكان غشاش لا ينيخ به * الا مغيرنا والمستقي العجل

غشاش بكسر أوله عجلة أي على مكان مخوف يطلب النجاة منه وكانوا في السفر يغيرون احمال الابل يرون في ذلك بعض راحة لها

ثم استمر بها الحادي وجنبها * بطن التي نبتها الحوزان والنفل

حتى وردن ركيات الغوير وقد * كاد الملاء من الكتان يشتعل

وقد تعرجت لما أركت أركا * ذات الشمال وعن ايماننا الرجل

اركت أكلت الاراك بوزن سحاب وجمعه ارك كسحب والرجل بزنة عنب جمع رجلة بكسر فسكون مسيل الماء من الحرة الى السهل

على مناد دعانا دعوة كشفت * عنا النعاس وفي اعناقنا ميل

سمعتها ورعان الطود معرضة * من دونها وكثيب الغينة السهل

أراد بالمنادى الشوق خيله داعيا يسمعه والغينة بفتح فسكون واحد الغيب المطمئن من الارض

فقلت للركب لما أن علا بهم * من عن يمين الحبيا نظرة قبل

ألمحة من سنا برق رأى بصري * أم وجه عالية اختالت به الكلل

تهدى لنا كلما كانت علاوتنا * ريح الخزامى جرى فيها الندى الخضل

علاوتنا أي في علاوتنا وهي المكان المرتفع

وقد أبيت اذا ما شئت بات معي * على الفراش الضجيع الاغيد الرتل

وقد تبا كرني الصهباء ترفعها * الى لينة أطرافها ثمل

أقول للحرف لما أن شكت أصلا * مس السفار أفني نيم الرحل

المت المذوالني الشهم

ان ترجعي من أبي عثمان منجحة * فقد يهون على المستنجح العمل

أهل المدينة لا يحزنك شانهم * اذا تخطأ عبد الواحد الاجل

اما قريش فلن تلقاهم أبدا * الا وهم خير من يحفى وينتعل

الا وهم جبل الله الذي قصرت * عنه الجبال فما ساوى به جبل

قوم هم ثبتوا الاسلام وامتنعوا * قوم الرسول الذي ما بعده رسل

من صالحوه رأى في عيشه سعة * ولا ترى من ارادوا ضره يئل

كم نالني منهم فضل على عدم * اذ لا أكاد من الاقتار أحتمل

وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمي * اذ لا أزال مع الاعداء انتضل

فلا هم صالحوا من يبتغي عنتي * ولاهم كدروا الخير الذي فعلوا

هم الملوك وأبناء الملوك لهم * والآخذون به والساسة الاول

هذه القصيدة والتي قبلها من تسع وأربعين قصيدة كل سبع منها مسماة باسم انتخبتها العرب وسمتها به وجميعها في كتاب الجمهرة وهو موجود بدار الكتب الكبيرة المصونة فمن أرادها فليطلبها هنالك ومن الجيد أيضا شعر جرير واليه والى الفرزدق والاخطل انتهت الشهرة في أيام بني أمية حتى كثر اختلاف العلماء في المفاضلة بينهم واحتجاجهم لذلك فمن شعر جرير قوله وهو نهاية في الرقة والسلاسة وكان الفرزدق يقول اذا سمع لجرير مثل هذا ما أحوجه الى خشونة شعري على عفته وأحوجني الى رقة شعره على فجوري فان المغازلة لم تكن من شان جرير كما كان الفرزدق هذه القصيدة

مالمنازل لا يجبن حزينا * اصممن أم قدم المدى فبلينا

قفر اتقادم عهدهن على البلا * فلبثن في عدد الشهور رسنينا

وترى العوازل يبتدرن ملامتي * واذا أردن سوى هواي عصينا

بكر العوازل بالملامة بعدما * قطع الخليط بساجر ليبينا

امسين اذ بان الشباب صوادفا * ليت الليالي قبل ذلك فنينا

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك مايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ولقد تسقطني الوشاة فصادفوا * حصرا بسرك يا أميم ضنينا

كافت حاجة ما أكاف ضمرا * مثل القسي من السراء برينا

راحوا العشية روحة مذكورة * ان حرن حرنا أو هدين هدينا

ورموا بهن سواهما عرض الفلا * ان متن متنا أو حيين حيينا

عيس تكاف كل أغبر نازح * تطوى تنائف بالملا وحزونا

حتى بلين من الوجيف وردها * بعد المفاوز كالقسي حنينا

ولد الاخيطل نسوة من تغلب * هن الخبائث بالخبيث غذينا

ان الذي حرم المكارم تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا

هل تملكون من المشاعر مشعرا * أو تشهدون مع الاذان اذينا

مضر أبي وأب الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كابينا

هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الي قطينا

ومن شعر الفرزدق وقد قالت العلماء ان الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغترف من بحر

سلوت عن الدهر الذي كان معجبا * ومثل الذي قد كان من دهرنا يسلي

وايقنت اني لامحالة ميت * فتبع آثار من قد خلا قبلي

واني الذي لابدان سيصيبه * حمام المنايا من وفاة ومن قتل

فما أنا بالباقي ولا الدهر فاعلم * براض بما قد كان اذهب من عقلي

ولا منصفي يوما فأدرك عنده * مظالمه عندي ولا تاركا أكلي

واين اخلائي الذين عهدتهم * وكلهم قد كان في غبطة مثلي

دعتهم مقادير فاصبحت بعدهم * بقية دهر ليس يسبق بالذحل

بلوت من الدهر الذي فيه واعظ * وجازيت بالنعمى وطالبت بالتبل

وجربت عند المضلعات فلم أكن * صريع زمان لا أمر ولا أحلي

وبيداء تغتال المطي قطعتها * بركاب هول ليس بالعاجز الوغل

اذا الارض سدتها الهواجر وارتدت * ملاء سموم لم يسدين بالغزل

وكان الذي يبدو لنا من سرابها * فضول سيول الجفر من مائها الضحل

ويدع القطا فيها القطا فيجيبه * تواثم اطفال من السبسب المحل

دوارج اخلفن الشكير كانما * جرى في ما قيها مراود من كحل

يسقين بالموماة زغبا نواهضا * بقايا نطاف في حواصلها تغلي

تمج اداوى في أداوى بها استقت * كما استفرغ الساقي من السجل بالسجل

وقد اقطع الخرق البعيد نياطه * بمائرة الضبعين وجناء كالفحل

تزيد في فضل الزمام كانها * تحاذر وقعا من زنابير أو نحل

كأن يديها في مراتب سلم * اذا غاولت أوب الذراعين بالرجل

تأوه من طول الكلال وتشتكي * تأوه مفجوع بشكل على شكل

اليك أمير المؤمنين انختها * الى خير من حلت له عقد الرحل

الى خيرهم فيهم قديما وحادثا * مع الحلم والايمان والنائل الجزل

ورثت أباك الملك تجري بسمته * كذلك خوط النبع ينبت في الاصل

كداود اذولى سليمان بعده * خلافته فضلا من الله ذو الفضل
يسوس من الحلم الذي كان راجحا * بأجبال سلمى من وفاء ومن عدل
هو القمر البدر الذي يهتدى به * اذ ماذوو الاضغان جاروا عن السبل
اغر ترى نور البهجة ماصكه * عفوا وطلوبا فى أناة وفى رسل
يفيض السجال الناقعات من الندى * كما فاض ذوموج يقمص بالجفل
وكم من أناس قد أصبت بنعمة * ومن مثقل خففت عنه من الثقل
ومن أمر حزم قد وليت نجيه * براى جميع مستمر قوى الحبل
قضيت قضاء فى الخلافة ثابتا * مبينا فقد اسمعت من كان ذا عقل
فمن ذا الذي يرجو الخلافة منهم * وقد دقت فيهم بالبيان وبالفصل
وبينت أن لا حق فيها لخاذل * تربص فى شك واشفق من مثل
ولا لامرئ آتى المضلين بيعة * رأى الحرب ابدت عن نواجذها العصل
ومد يدا منه لبيعة خاسر * وما المكسد المغبون كالراجح المغلى
وعاند لما ان رأى الحرب شمرت * عناذا الخصى الجون صدّ عن الفحل
فما بال أقوام بدا الغش منهم * وهم كشف عند الشدائد والنزل
يداوون من قرح أدانيه قد عتا * على الداء لم تدرك أقاصيه بالفتل
وقد كان فيما قد تلوا من حديثهم * شفاء وكان الحلم يشفى من الجهل
والافان المشرفية حدها * دواء لهم غير الدبيب ولا الختل
أو النفى حتى عرض ارض وطولها * عليهم كبيت القين اغلق بالقفل
وقد خزلوا مروان فى الحرب وابنه * اباك وادلوا فيهما مع من يدلى
وكانا اذا ما كان يوم عظيمة * حمولين للاثقال فى الامر ذى البزل
فصلى على قبر يهما الله انما * خلائفه منه على سنة الرسل
ففزت بما فازا به من خلافة * وزدت على من كان قبلك بالخصل
بعافية كانت من الله جللت * مشارقها امنا الى مغرب الأمل

الامل جمع أميل وهو الحبل من الرمل يريد الى منقطع التراب

وكنت المصفى من قريش ولم يكن * لوطئك فيهم زينغ كعب ولا نعل
أشاروا بها فى الامر غيرك منهم * وولا كها ذو العرش فضلا من الفضل

حباك بها الله الذى هو ساقها * اليك فقد أولاك أفضل ما يولى
وسيقت الى من كان فى الحرب أهلها * الى واضح باد معالمه سهل
وما اصطلوا فيها بسيف علمته * ولا بسلاح من رماح ولا نبل
فنجى لكم قاد الهوى من بلاده * الى منبت الزيتون من منبت النخل

الطبقة الثانية مشاهيرها مسلم بن الوليد الانصارى والحسن بن هانئ الحكمى المشهور بابى نواس وبعدهما أبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة الوليد البحترى وأحمد بن الحسين المتنبى وبعدهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدى والشريف محمد الرضى وتلميذه مهيار الديلمى و يذكر مع هؤلاء على بن الرومى ولهم دواوين كبار كان الحسن بن هانئ ومسلم بن الوليد الانصارى قرينى عصر واحد واختلف الناس فى المفاضلة بينهما وكان بنو برمك يبالغون فى تفضيل مسلم ولكل مزية وكلاهما شاعر فريد غير ان أبا نواس بقى الكثير من شعره لاعتناء الرواة به وكثرة تصرفاته فيه وانتهائه فى سائر فنون المعانى الى غاية لم يدركها سواه ومن هذه الجهة كان تفضيله على مسلم فان مسلما لم يشارك أبا نواس فى كثير من تلك الفنون كالمجون والغزل والخمريات ولمسلم صلابة الشعر وتجويده وجمعه فيه بين البداوة والحضارة يحكى ان رجلا دخل على أبى تمام و بين يديه كتابان يقرأ فى هذا مرة وفى هذا مرة فسأله عنهما فقال هما ديوانا مسلم والحسن وهما اللات والعزى وأنا أعبدهما غير ان شعر مسلم لم يبق منه الا ما علقته الرواة فانه تنسك آخر عمره وهجر الشعر ففرق مجموع شعره فمن شعر أبى نواس وهو أول امام يقتدى به فى الادب و رعاية مقامات الخطاب خلا ان له أشياء اما ان تكون مناسبة لذلك الوقت واما ان يكون سهى بها عما ينبغى العدول عنها حسبما تقتضيه التعريفات الادبية قوله يمدح الرشيد

حى الديار اذ الزمان زمان * وان الشباك لنا خزى وممان

الشباك ماء بناحية واقصة على طريق الكوفة فيما أخبرنى به معاقر من أهل الكوفة وزعم المبرد ان الشباك على طريق البصرة بقرب سفوان واياها أراد

يا حبذا سفوان من متربع * ولربما جمع الهوى سفوان
واذا مررت على الديار مسلما * فلغير دار أميمة الهجران
انا نسبنا والمناسب ظنة * حتى رميت بنا وأنت حصان
لما نزعت عن الغواية والصبا * وخدت بى الشدنية المذعان

ويروى

و يروى لما نزعت عن الغواية وادعا أى كافا والشدنية منسوبة الى فحل من فحول مهرة يقال له شدن

سبط مشافرها دقيق خطمها * وكأن سائر خلقها بنيان

واحتازها لون جرى فى جلدها * يقق كرطاس الوليد هجان

حكى سليمان بن نيبخت قال سألت أبا نواس عن معنى هذا البيت فقال صحيفة الطفل الذى لم يكتب عليه كاتباه فيها شيأ فقرطاسه أبيض

والى أبى الامناء هارون الذى * يحيا بصوب سمائه الحيوان

الامناء الأمين والمأمون والمؤتمن فالامين محمد والمأمون عبد الله والمؤتمن القاسم بنو هارون الرشيد

ملك تصور فى القلوب مثاله * فكأنما لم يخل منه مكان

ماتنطوى عنه القلوب بفجرة * الا يكلمه بها اللحظان

فيظل لاستثباته وكأنه * عين على ماغيب الكتمان

هارون الفنى ائتلاف مودة * ماتت لها الاحقاد والاضغان

فى كل عام غزوة ووفادة * تنبت بين نواهما الأقران

كان الرشيد عندما أوطن الرقة يحج سنة و يغزو أخرى والاقران الحبال أى تنقطع فى بعد مابين الحج والغزو

حج وغزو مات بينهما الكرى * باليعملات شعارها الوخدان

يرمى بهن بساط كل تنوفة * فى الله رحال بها ظعان

حتى اذا واجهن اقبال الصفا * حن الحطيم وأطت الاركان

اقبال الصفا ماقابلك منه وهى جمع قبل والحطيم حيث يزدحم الناس بمكة فيحطم بعضهم بعضا وقيل حيث يحطمون بالايمان لانهم كانوا يحلفون ثم

لا غر ينفرج الدجى عن وجهه * عدل السياسة حبه ايمان

يصل الهجير بغرة مهدية * لوشاء صان أديمها الاكنان

لكنه فى الله مبتذل لها * ان التقى مسدد ومعان

ألفت منادمة الدماء سيوفه * فلقلما تحتازها الاجفان

يقول ألفت سيوفه الدماء فكانها تنادمها لاتفارقها من كثرة ماتقتل بها أعداؤه و يروى

ثلث مقارعة الدماء سيوفه

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

قال المبرد مالم يكن صورة كيف يكون له فؤاد

حذر امرئ نصرت يداه على العدا * كالدهر فيه شراسة وليان

متبرج المعروف عريض الندى * حصر بلا منه فم ولسان

أى يتعرض نداه للناس

للجود من كلتا يديه محرك * لا يستطيع بلوغه الاسكان

تحدث بنو نيبخت عن سليمان بن أبى سهل قال لما قدم أبو نواس أشرنا عليه أن يمدح الرشيد فمدحه بهذه القصيدة فامر له بعشرين ألف درهم وهى أكثر صلة وصل بها أبو نواس المعان المنزل المألوف وقوله جمع الهوى من العبارات الفريدة التى بو جازتها وكثرة معناها يسميها أهل البديع الاشارة وذلك ان معناها بما اشتمل هذا المكان على ماتهواه النفوس من سعة العيش ونضرة الناحية ومساعدة الزمان بمودات الحسان وكثرة الحاضر حتى يمكن استغفال الرقباء ويخف عذل العذال وقد نطق بهذه الكلمة قبله الغنوى فى القصيدة السابقة حيث يقول جمعن النوى حتى اذا اجتمع الهوى وقوله الفت منادمة الدماء الاضافة فيه لأدنى ملابسة أى المنادمة على الدماء فان الدماء بمنزلة المشروب والنديم هو المؤانس على الشراب ومن غلب عليه شئ جرى على لسانه ألفاظه وأبو نواس كان مدمنا ولذلك وقعت منه الاستعارة فى هذا الموضع وليست هنالك من الحسن وقوله يمدحه أيضا

لقد طال فى رسم الديار بكائى * وقد طال ترداد بها وعنائى

كانى مريغ فى الديار طريدة * اراها أمامى مرة وورائى

فلما بدالى الياس عديت ناقتى * عن الدار واستولى على عزائى

الى بيت حان ماتهر كلابه * على ولا ينكرن طول ثوائى

كان ينبغى أن يقال حانى ويروى الى بيت علج

فارمته حتى أتى دون ماحوت * يمينى حتى ريطتى وحذائى

وكأس كمصباح السماء شربتها * على قبلة أو موعد بلقاء

أتت دونها الايام حتى كأنها * تساقط نور من فتوق سماء

ترى ظهرها من ظاهر الكاس ساطعا * عليك ولو غطيتها بغطاء

تبارك من ساس الامور بعلمه * وفضل هارونا على الخلفاء

نعيش بخير ما انطوينا على التقى * وما ساس دنيانا أبو الامناء

امام يخاف الله حتى كأنه * يؤمل رؤياه صباح مساء

اشم طويل الساعدين كأنما * يناط نجادا سيفه بلواء

أى طويل كأن حمائل سيفه على رمح قال المبرد ما علمت قائلا مدح خليفة فنسب بمثل هذا النسيب على انه قد جد فى المدح و بلغ المراد ولقد كان الرشيد ممن يتحامى الاقرار بحضرته أو حيث يبلغه بذكر قبلة أو شرب كأس وما أشبه ذلك لجلالته ونبل ملكه و بعده من احتمال السخف ومادنى منه الا أن أبانواس كان ينسب فى المدح الجليل بالخمر الذى هو شانه وفيه تصرفه وجل مذهبه وتحدث عيسى بن عبد العزيز بن سهل الحارثى قال كان الرشيد لا يسمع من الشعر ما فيه رفث ولا هزل وكان لا يذكر فى تشبيب مدحه قبلة ولا غمزة فلما قدم أبو نواس من مصر امتدحه فاوصله البرامكة اليه فانشده لقد طال فى رسم الديار بكائى فلما بلغ وصفه للخمر تغير وجه الرشيد فلما قال وكأس كمصباح السماء شربتها أراد أن يأمر به فلما أنشده تبارك من ساس الامور بعلمه أخذته هزة فأمر له بعشرين ألف درهم وقوله من الخمريات وذلك فنه الذى تميز به وفتح للشعراء بابه

أثن على الخمر بآلائها * وسمها احسن أسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا * ولا تسلطها على مائها

كرخية قد عتقت حقبة * حتى مضى أكثر أجزائها

فلم يكد يدرك خمارها * منها سوى آخر حوبائها

دارت فأحيت غير مذمومة * نفوس حساها وانضائها

والخمر قد يشربها معشر * ليسوا اذا عدوا بأكفائها

وقوله

ساع بكاس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب

قامت تريني وأمر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

كأن تركا صفوفا فى جوانبها * تواتر الرمى بالنشاب من كثب

من كف ساقية ناهيك ساقية * فى حسن قد وفى ظرف وفى أدب
كانت لرب قيان ذى مغالبة * بالكشخ محترف بالكشخ مكتسب
فقد رأت ووعت عنهن واختلفت * ما بينهن ومن يهوين بالكتب
حتى اذا ما غلى ماء الشباب بها * واقممت فى تمام الجسم والقصب
وجمشت بخفى اللحظ فانجمشت * وجرت الوعد بين الصدق والكذب
تمت فلم يرانسان لها شبها * فيمن برا الله من عجم ومن عرب
تلك التى لو خلت من عيب قيمتها * لم أقض منها ولا من حبها أربى

يقول لو قدرت عليها لم أشبع منها أبدا ويروى قضيت منها ومن وجدبها أربى تحدث محمد بن المظفر كاتب اسمعيل بن صبيح عن اسمعيل قال قال لى الرشيد أبغنى وصيفة مليحة فطنة حركة مقدودة تسقينى فان الشراب يطيب من يد مثلها فقلت ياسيدى على الجهد فقال اجعل قول هذا العيار امامك واسترح قلت قول من قال قول من يقول من كف ساقية ناهيك ساقية الى قوله بين الصدق والكذب وقوله

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
ولا تسقين منها المرائين قطرة * لأن رياء الناس عندى هو الهجر
فعيش الفتى فى سكرة بعد سكرة * فان طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن الا ان ترانى صاحيا * وما الغنم الا ان يتعتعنى السكر
فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ولا خير فى فتك بغير مجانة * ولا فى مجون ليس يتبعه كفر
بكل أخى قصف كأن جبينه * هلال وقد حفت به الانجم الزهر
وخمارة نبهتها بعد هجعة * وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر
فقالت من الطراق قلنا عصابة * خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر
ولا بدان يزنوا فقالت أو الفدا * بابلج كالدينار فى طرفه فتر
فقلنا لها هاتيه ما ان لمثلنا * فديناك بالاباء عن مثله صبر
فجاءت به كالغصن مهتز ردفه * تخال به سحرا وليس به سحر
له سنة كالبدر ليلة تمه * له هيف اعلى الكشح فى ثغره اشر
فقمنا اليه واحدا بعد واحد * فجر رأذيال الفسوق ولا فخر

قال المبرد سمعت سليمان بن أبى داود يقول لما ملك الامين قال أبو نواس فاسقنى خمرا

وقل لي هي الخمر وكان الفضل بن الربيع سيء الرأي فيه فأخبر الامين بخبره وما شاع في العامة من تهتكه فأمر ان يحبس فمدح الفضل بن الربيع وقال فيه تلك الاشعار كلها بهذا السبب وتحدث أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال معاوية يوما ما اللذة فأكثروا الوصف فقال عمرو بن العاص نخ الاحداث حتى أخبرك بها من فهمها فهموا فقال هتك المروءة والمجاهرة بالخطيئة وان لا تبالي قبيحا من حسن فقال أحمد بن الحارث فقاتل الله أبا نواس حيث يقول فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى وحيث يقول أيضا جريت مع الصبا طلق الجموح وقوله

كيف النزوع عن الصبا والكاس * قسن ذا الناس يا عاذلي بقياس

واذا عددت سنى كم هي لم أجد * للشيب عذرا في النزول براسي

قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدي * عن ان تحث الى فمي بالكاس

صفراء زان رواءها مخبورها * فلها المهذب من ثناء الحاسي

وكأن شاربها لفرط شعاعها * بالليل يكرع في سنا مقباس

والخمر انعام خلة عاشق * نالته بعد تعصب وشماس

فالراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

فاذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

وقوله

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلي ولم انم

فاسقني البكر التي اختمرت * بخمار الشيب في الرحم

ثمت انصات الشباب لها * بعد ما جازت مدى الهرم

فهي لليوم الذي نزلت * وهي ترب الدهر في القدم

عتقت حتى لو اتصلت * بلسان ناطق وفم

لاحتبت في القوم ماثلة * ثم قصت قصة الامم

قرعتها بالمزاج يد * خلقت للسيف والقلم

في ندامى سادة زهر * اخذوا اللذات من أمم

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

فعلت في البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح في الظلم

فاهتدى ساري الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

قوله اختمرت بخمار الشيب قيل أراد صفتها وهى فى دنها حيث يعلوها شئ كالعنكبوت وقيل أراد صفتها فى ابتداء أمرها حيث كانت فى العنب فانه أول ما يظهر يكون عليه غطاء أبيض وهذا كلام من يرفع أبا نواس عن تناول المعانى القريبة وقوله انصاتت أى أجاب من الصوت فهو مثل دعاه فاندعى وقوله لو انصاتت بلسان أى لو كانت شخصا يتكلم لماثلت محتبية فى القوم تحدثهم باخبار القرون الأولى وقوله فتمشت فى مفاصلهم أخذ هذا المعنى من قول عربى يصف صائدا

فتمشى لا يحس به * كتمشى النار فى الضرم

قال أبو نواس كنت قلت كتمشى النار فى الفحم فقال لى رحمة بن نجاح لو قلت كتمشى البرء فى السقم فعدلت اليه وانتقاده من انتقده بانه احال حيث جعل عرضا يتمشى فى عرض من التدقيقات الباردة التى لا تحتملها الصناعة الشعرية قال الجاحظ لما سمع أبو شعيب القلال هذا البيت قال ما أصفى هذا البيت ولو نقر لطن فتكلم من جهة صناعته وهذا الباب من شعر أبى نواس يشتمل على ثلاثمائة قصيدة ومقطوعة وجميع شعره الذى استقصى جمعه حمزة بن الحسن الاصبهانى يبلغ ألفا وخمسمائة قصيدة ومقطوعة تشتمل على ثلاثة عشر ألف بيت ومن شعر مسلم بن الوليد وسأنقله مشروحا كما وجدته لتمام الفائدة يحكى ان مسلما أرسل هذه القصيدة للممدوح فلما وافى الرسول ادعى انها من شعره وكان الممدوح حين ابتدأ الرسول ينشد مضطجعا فاعتدل اجلالا لما سمع وعرف من فحوى الكلام أنه شعر مسلم فقال للرسول المدعى اجلتك سنة لتعمل مثل هذه القصيدة فاعترف انها شعر مسلم فقال الممدوح انك حين انشدت مطلعها رأيت كان مسلما هو القائم ينشدنى وكذلك متى كان الانسان ذا دربة وتمام خبرة بشعر شاعر عرف ما لم يسمعه من شعره بما عرف منه لأن لكل شاعر فى الكلام مذهبا يخصه وطريقة لا يتعداها ومدح بها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب

لا تدع بى الشوق الى غير معمود * نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

قوله لا تدع بى الشوق أى لا تدعنى مشتاقا ولا تقل ان بى شوقا الى أحد غير معمود أى غير عاشق والمعمود المقروح القلب وأصله ان يصيب البعير داء فى سنامه فيهيج عليه حتى ربما اخرجت منه العظام فاستعير ذلك للقلب والهيف الضامرات البطون والرعاديد المرتجات الأكفال والرعديد فى غير هذا هو الجبان

لو شئت لا شئت راجعت الصبا ومشت * فى العيون وفاتنى بجلود

يقول لوشئت لاجعانى الله أشاء ذلك راجعت الصبا ومشت فىّ العيون أى عيون النساء لعشقهن وفاتتنى بجلود أى ذهبت بجلادى يريد أنه كان يصبو اليهن أيضا

سل ليلة الخيف هل أمضيت آخرها * بالراح تحت نسيم الخرّد الغيد

يقول انه شرب من أول الليلة الى آخرها مع الغيد وهى الجوارى الطوال الاعناق الناعمات يشتم رائحتهن والخيف اسفل الجبل مما يلى الوادى وأمضيت الشئ اذا أتيت عليه بالتنفيد

شجبتها بلعاب المزن فاعتزلت * نسجين من بين محلول ومعقود

يقول شجبتها يعنى الخمر أى مزجتها فاعتزلت أى اختلطت نسجين أحدهما محلول والآخر معقود يريد ان ما ولى الماء من الخمر فى الكاس اسرع فيه الماء فحله وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يحله الماء بعد قال أبو نواس يصف خمرا امتزجت فى كاس

حمراء صفراء الترائب رأسها * فيه لما نسج المزاج قتير

يريد ان لونها حمراء وصفراء الترائب يريد قد اصفر أعلاها الذى ضبق والقتير الحباب وأصله الشيب

كلا الجديدين قد أطعمت حبرته * لو آل حىّ الى عمر وتخليد

الجديدين الليل والنهار والحبرة النعيم وقوله لو آل حى أى لو صار حى باقيا

أهلا بوافدة للشيب واحدة * وان تراءت بشخص غير مودود

أهلا بوافدة أى قادمة للشيب واحدة تراءت أى اعترضت غير مودود أى غير محبوب

لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت * نفسى الى الماء عن ماء العناقيد

يقول لا اجمع التكهل وشرب الخمر قد سكنت نفسى الى الماء واستغنيت به عن الخمر أى لا اشربها

لم ينهنى فند عنها ولا كبر * لكن صحوت وغصنى غير مخضود

الفند اللوم وغصنى أى شبابى والمخضود الواهب

أوفى بى الحلم واقتاد النهى طلقا * شأوى وعفت الصبا من غير تفنيد

يقول أوفى بى الحلم أى وافقنى واقتاد العقل طلقا شأوى وعفت الصبا أى تركت الصبا من غير تفنيد أى من غير تعذيل ولا لوم واصل وافقنى لا يعنى وطلقا معدى اليه الفعل

اذا تجافت بى الهمات من بلد * نازعت أرضا ولم احفل بتمهيد

يقول اذا انجابت بى المهاة عن بلد نازعت بلدا آخر غيره ولم ابال بتوهيد أى باقامة ونازعت أى قصدت

لا تطبيني المنا عن جهد مطلب * ولا احول لشيء غير موجود

يقول لا تطبيني المنا أى لا تدعونى الى أنفسها من جهد مطلب وقوله لا احول لشيء غير موجود اى لا اطلب من الامور غير الممكن الوجود

ومجهل كاطراد السيف محتجز * عن الأدلاء مسجور الصياخيد

يقول ورب مجهل كاطراد السيف أى كتتابع السيف فى الحدة محتجز عن الادلاء مسجور الصياخيد من الحرور والمجهل القفر الذى لا يهتدى به

تمشى الرياح به حسرى مولهة * حيرى تلوذ باكناف الجلاميد

يقول أى تمشى الرياح فيه حسرى أى كالة مولهة أى حزينة تلوذ باكناف الجلاميد بريد ان ليس فيه شجر وانما تجرى الرياح على الحجارة فلا تجد غيرها والاكناف النواحى واحدها كنف

مفوّف المتن لا يمضى السبيل به * الا التخال ريثا بعد تجهيد

يقول ان ذلك المجهل مفوف المتن أى مخطط أخذا من التفويف فى القوائم وهو التخطيط وذلك ان الارض الرديئة فيها ضروب من الالوان وقوله لا تمضى السبيل به أى لا تقطع السبيل بها الا التخال وهو الاندخال فى الاشياء المتضايقة ريثا بعد تجهيد أى ابطاء بعد جهد والجهد التعب

قربته الوخد من خطارة سرح * تفرى الفلاة بارقال وتوخيد

يقال قربته الوخد أى هذا الضرب من السير أى من ناقة محركة لذنبها سرح خفيفة والارقال والتوخيد ضربان من السير

اليك باردت إسفار الصباح بها * من جنح ليل رحيب الباع ممدود

يقول اليك باردت أى سابقت اسفار الصباح أى ابتلاج الصباح من جنح أى من ظلام ليل رحيب الباع أى واسع الباع ممدود أى مطول اى أتيتك قبل الصبح

و بلدة ذات غول لا سبيل بها * الا الظنون والا مسرح السيد

يقول ورب بلدة بعيدة لا طريق بها الا الظنون أى تظن طريقا والا مسرح السيد أى والاحيث يسرح الذئب

كان

كأن أعلامها والآل يركبها * بدن توافي بها نذر الى عيد

الاعلام الجبال يقول كان جبال تلك الفلاة والآل يركبها نوق بدن توافي بها نذر الى عيد اى جاء بها نذر الى النحر بمكة يوم العيد كان رجلا نذران ينحر نوقا بمكة فقدمها الذلك وقد ألقى عليها الملاحف فشبه صريع الجبال وقد التحفت في الآل الابيض بها

كلفت أهوالها عيني ومؤرقة * اليك لولاك لم تكحل بتسهيد

يقول كلفت تلك الفلاة عيني فسهرت ولولاك أنت لم تسهر الارق السهر

حتى أتتك بي الآمال مطلعا * لليسر عندك في سربال محسود

يقول حتى بلغتني اليك الامال مطلعا لليسر في سربال محسود أي لما قصدتك حسدني الناس لعلمهم بانك تغنيني

من بعد ما القت الايام لي عرضا * ملقى رهين لحد السيف مصفود

لي عرضا اى جانبا ملقى رهين أي أسير قد حبس للقتل مقدم لحد السيف مصفود أى موثق بالحديد وانما يصف نفسه أنه بقي من اضرار الدهر به في مثل حال الاسير المقدم للسيف

وساورتني بنات الدهر فامتحنت * ربعي بمحلة شهباء جارود

يقول ساورتني بنات الدهر أي واثبتني فامتحنت ربعي أي منزلي بسنة ممحلة أى ذات محل وانجرادمن النبات

الى بني حاتم أدى ركائبنا * خوض الدجى وسرى المهرية القود

يقول الى بني حاتم بلغ ركائبنا خوض الدجى أى قطع الليل وسرى المهرية القود السرى وخوض الدجى واحد ولكنه كرر اللفظ لاختلافه والمهرية منسوبة الى مهرة وهوحي من همدان والقود جمع قوداء

تطوى النهار فان ليل تخمطها * باتت تخمط هامات القراديد

يقول تطوى النهار بالسير اى تقطع فان ليل صال عليها صالت على هامات القراديد وهي جمع قردد وهو المرتفع من الجبال وأصل التخمط تعرم البعير الفحل وتصعبه يريد اذا اشتد عليها سير الليل لم تبال به مع ماقد مضى عليها من طول السفر

مثل النعام بعيدات المقال اذا * التقى الهجير يدا في كل صيخود

يقول ان النوق مثل النعام في السرعة اذا اشتد عليها الهجير وهيج كل صيخود

والصيخود شدة الحر والسمام طائر يشبه القطا بعيدات المقيل أى لا تقيل هذه النوق

حلت بداود فامتاحت وأعجلها * حذو النعال على أين وتجريد

يقول حلت هذه النوق بداود أى نزلت به فامتاحت عطاياه أى أخذت والامتياح استسقاء الماء من البئر بالاحفان فشبه أخذ احفان المال من داود بأخذ الماتح الماء باحفانه واعجلها حذو النعال أى لما أخذوا المال منه استعدوا ابلهم للرجوع وهى لم تسترح من الكلال وصفه بسرعة العطاء عند حلولهم به من غير مطل والاين الفترة والتجريد من الجرد وهو داء يصيب الابل فى قوائمها

اعطى فافنى المنى ادنى عطيته * وارهق الوعد نجحا غير منكود

يقول اعطى داود فافنى المنى منى الذين قصدوه ادنى عطيته اى أقل عطاياه كان أعظم من كل ما انتهى اليه أملهم وارهق الوعد أى اتبع الوعد بالفعل من ساعته من غير ضيق والنجح انقضاء المطلب أو ادراكه

والله أطفأ نار الحرب اذ سعرت * شرقا وأوقدها فى الغرب داود

يقول الله اطفأ نار الحرب فى الشرق بداود الذى أوقدها فى الغرب على أهل العصيان يريد لما رأى أهل الشرق ما فعل داوود باهل الغرب من النكاية استقاموا على الطاعة

لم يأت أمرا ولم يظهر على حدث * الا أعين بتوفيق وتسديد

يقول لم يأت أمرا من الامور ولا حدثا يحدثه الا أعانه الله عز وجل عليه والتوفيق التقويم للخير والتسديد أن يدل به الى الصواب

موحد الرأى تنشق الظنون له * عن كل ملتبس منها ومعقود

موحد الرأى أى رأيه واحد لا يختلف عليه كما قال الحسن

ولم تك نفسه نفسين فيه * فيفصل بين رأييه مشير

يريد أنه اذا دبر أمرا انكشف له عن اليقين الملتبس المتشابه

تمنى الأمور له من نحو أوجهها * وان سلكن سبيلا غير مورود

تمنى الامور له أى تيسر من طريق صوابها واستقامتها وان سلكن سبيلا غير معمور والسبيل الطريق يريد أنه مجدود فكيفما تولى الامور هيأها الله عز وجل له

اذا اباحت حمى قوم عقوبته * غادى له العفو قوما بالمراصيد

يقول اذا أوقع بقوم عقوبته فاباح حماهم للغارة غادى له العفو قوما بالمراصيد يريد كان

العفو

العفو كان لهم من تصدا فاسقط ذنبهم يقول اذا قتل قوما استحقوا القتل عفى عن آخرين استحقوا القتل بعد أن قد قدر عليهم أى يقدر على العفو والعقوبة وانه يأخذهما على ما أراده بهم

كالليث بل مثله الليث الهصور اذا * غنى الحديد غناء غير تغريد

يقول هو كالليث فى النجدة والليث مثله اذا اشتدت الحرب وطنطنت السيوف للضاربة والهصور الكسور

يلقى المنية فى أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

يقول يلقى الحرب فى مثل عدتها فيدفع المنايا بالمنايا كما يدفع السيل جلمودا بجلمود آخر ينطحه فيزيله به

ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرّد السيف لم يهمم بتعريد

يقول ان قصر الرمح عن ادراك من أراد يطعنه به لم يمش الخطا تباطيا كمثل من يعدّ خطاه بل يسرع هو عند ذلك ولم يهمم بتعريد أى ان نبا السيف عن الذى ضربه به يريد أنه ماض متقدم الى صاحبه وان قصر رمحه مده بباعه عرد السيف اذا لم يقطع

اذا دعى بلدا دانى مناهله * وان بنين على شحط وتبعيد

يقول اذا احرز بلدا أمنه فتقاربت مناهله وهى منازل الرفاق على الماء يريد ان الرفاق تنزل حيث شاءت فى القفار لا تخاف شيأ وفى الخوف لا تنزل وان كانت المناهل بنين على شحط وهو البعد

جرى فادرك لم يعنف بمهلته * واستودع البهر أنفاس المجاويد

يقول جرى هذا الرجل فى المجد ولم يعنف بمهلته أى ولم يسرف على نفسه بالتعب فى الجرى وقد تقدم غيره وهذا مثل ضربه يريد انه تقدم الرجال فى المجد بغير جهد وهم قد اجتهدوا وجهدهم فكيف اذا اجتهد هو وجهده كله والبهر الكلال وقوله استودع البهر أى أنزله بهم والانفاس الاطلاق من الجرى واحدها نفس والمجاويد السراع من الخيل واحدها مجواد

آل المهلب قوم لا يزال لهم * رق الصريح وأسلاب المذاويد

رق الصريح استعباد الحر باسداء النعم وتقديم الايادى الحسان اليهم وأسلاب المذاويد الحرب يعنى الانجاد واحدهم مذود

مظفرون تصيب الحرب أنفسهم * اذا الفرار تمطى بالمحاييد

يقول أولئك القوم منصورون ومع ذلك تصيب الحرب أنفسهم اذا الفرار تمطى بالمحاييد والمحاييد الجبناء واحدهم محياد يريد انهم يقفون حتى يقتلوا اذا هرب غيرهم

نجل مناجيب لم يعدم تلادهم * فتى يرجى الى نقض وتوكيد

يقول هم نجل مناجيب أي ذرية مناجيب يريد ان بيتهم بيت نجابة لم يخل قط من أشراف ينقضون من الامور ما احبوا ويعقدون منها ما احبوا والنجل الذرية قال زهير وكل فحل له نجل أي كل فحل يشبهه نسله أي يخرج الولد عتيقا كابيه وتلادهم أصلهم القديم

قوم اذا هدأت شامت سيوفهم * فانها عقل الكوم المقاحيد

الهدأة الفترة يقول أولئك قوم اذا كانت صلح وهدنة شامت سيوفهم أي أغمدتها فانهم يعرقبون بها الابل لاضيافهم يريد انهم يقاتلون بها في الحرب واذا كان في الصلح كان شغلهم اطعام الاضياف يقال شمت السيف اذا اغمدته وشمته اذا سللته هو من الاضداد والعقل جمع عقال وهو حبل يعقل به البعير فشبه السيوف بها والكوم الغلاظ الاسنمة والمقاحيد كذلك واحدها مقحاد

نفسي فداؤك يا داود اذ علقت * ايدي الردى بنواصي الضمر القود

الضمر جمع ضامر والقود جمع اقود يريد الخيل يقول نفسي فداؤك في الحرب اذا اشتد القتل في الناس اي نفسي فداؤك في ذلك الوقت أي ما اشجعك حينئذ

داويت من دائها كرمان وانتصفت * بك المنون لاقوام مجاهيد

يقول داويت من دائها كرمان وهي بلد نافق أهلها على أمير المؤمنين فقتلهم حتى رجع من بقي منهم الى الطاعة وقوله انتصفت بك المنون أي انتصفت بك المنية من الاشرار لهؤلاء الضعفاء الذين قد بلغهم الجهد لتضييق الاشرار عليهم والمجهود الذي بلغه الجهد والجهد سوء الحال

ملأتها فزعا أخلى معاقلها * من كل ابلخ سامي الطرف صنديد

يقول كرمان ملأتها خوفا من فعلك بهم اخلى ذلك الخوف معاقلها وهي الجبال من كل ابلخ وهو المتكبر سامي الطرف أي مرتفع الطرف من العز صنديد سيد

لما نزلت على ادنى بلادهم * القى اليك الاقاصي بالمقاليد

لم يستهم ببدلاء ومتصل * بها الردى بين تليين وتشديد

المقاليد

المقاليد المفاتيح وانما ضربه مثلا يقول لما نزلت باول بلدهم تبرأ اليك اقصاهم بما بيده من الملك وقوله لستهم بيدا اى عفوت عنهم وقد اتصل بهم الردى

أتيتهم من وراء الامن مطلعا * بالخيل تردى بابطال مناجيد

يقول جئتهم من وراء الامن أى دخلت عليهم فى بلد لم يظنوا ان يدخله أحد من المسلمين لقتالهم مطلعا ظاهرا والخيل تردى اى تجرى بابطال مناجيد اى اعزاء

وطار فى اثر من طار الفرار به * خوف يعارضه فى كل اخدود

فى كل اخدود يريد فى كل طريق والاخدود الخدش فى الارض كالخندق صغر أم كبر يقول وطار فى اثر من طار اى أسرع فى اثر من اسرع فى الهرب بريدان الخوف لا يفارقه

فاتوا الردى وظباة الموت تنشدهم * وأنت نصب المنايا غير منشود

يقول افلتوا من الموت وظباة الموت تنشدهم أى تطلبهم وأنت منصوب للمنايا لا تستتر عنها غير منشود غير مطلوب

ولو تلبث ديان لها رويت * منه ولكن شاءها عدو من ؤود

يقول لو تلبث هذا الرجل رويت تلك الظباة من دمه ولكن شاءها أى سبقها بالهروب فنجى منها وهو مزؤود أى مرعوب

احرزه اجل ما كاد يحرزه * فر يطوى على احشاء مفؤود

يقول احرز ديان أجله ولم يكد يحرزه من الموت فهرب وهو يستر احشاء مفؤود والمفؤود الذى أصيب فؤاده يقال فأدت الرجل اذا اصبت فؤاده فهو مفؤود

ورأس مهران قد ركبت قلته * لدنا كفاه مكان الليت والجيد

يقول وقد جعلت رأس هذا الرجل فى قناة قامت له مقام العنق والقلة اعلى الرأس والليت صفح العنق والجمع الليات

قد كان فى معزل حتى بعثت له * أم المنية فى ابنائها الصيد

يقول قد كان هذا الرجل فى معزل عن الهلاك حتى بعثت له المنية فى الفرسان الصيد وهم الاشراف وقال أما على الاستعارة وانما أخذ من الصيد وهو داء يأخذ الابل فى اعناقها فترفع رؤسها

أجن أم اسلمته الفاضحات الى * حد من السيف من يعلق به يود

يقول اجن ديان اى هل اصابه الجنون ام اسلمته الفاضحات وهى الامانى التى غرته

فقضضته حين خرج اليك فتركته الى حد السيف ومن يعلق به يود اى يهلك

الحقته صاحبيه فاستمر بهم * ضرب يفرق ضبات القماحيد

يقول فعلت بديان مافعلت بصاحبيه قبله فاستمر بهم ضرب من السيف يفرق الضبات يعنى اوصال الراس والقمحدودة العظم الناتئ فى مؤخر الراس بين القفا واعلى الراس

اعذر من فر من حرب صبرت لها * يوم الحصين شعار غير مجحود

يقول من فر من ذلك اليوم الذى صبرت أنت فيه جاء بما يعذر عليه والحصين رجل برز هذا الممدوح اليه فأهزمه والشعار العلامة فى الكلام الذى يتعارف الناس به فى القتال

يوم استضبت سجستان طوائفها * عليك من طالب وتر او محقود

يقول يوم استضبت سجستان طوائفها اى اغرت طوائفها وهى الجماعات اخذه من الضب وهى العداوة كانهم قالوا احموا بلدكم واذكروا من قتل منكم واحتموا الانفسكم وقوله من طالب وتر او محقود اى بعضهم يطلب وترا وبعضهم يطلب حقدا والوتر الطلب بالدم والحقد العداوة

ناهضتهم ذائد الاسلام تقرعهم * عنه ثلاث ومثنى بالمواحيد

ناهضتهم يعنى اهل سجستان تذود عن الاسلام فتلقى منهم ثلاثة رجال ورجلين وتقرعهم تضربهم والمواحيد جمع موحدة

تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها * والجود بالنفس اقصى غاية الجود

يقول تجود بنفسك فى الحرب اذا نت الضنين بها فى السلم والجود بالنفس أكثر من الجود بالمال

تلك الازارق اذضل الدليل بها * لم يخطها القصد من اسياف داود

يقول تلك الازارق اذضل الدليل بهم الذى قادهم الى الكفر لم يخطها اسياف داود اذ قصدت اليهم

كان الحصين يرجى ان يفوز بها * حتى أخذت عليه بالاخاديد

يقول كان هذا الخارجى يطمع ان يفوز بها حتى اخذت عليه بافواه الطرق فلم تدعه يقوى

مازال يعنف بالنعمى و يغمطها * حتى استقل به عود على عود

يغمطها

يغمطها اى يكفرها و يعنف اى يسرف ويجاوز الحق حتى صابته

وضعته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه اضبع البيد

يقول جعلته فى مكان تبلغ الطير ولا تبلغه الضبع فتحسد الطير

تغدو الضوارى فترميه باعينها * تستنشق الجو انفاسا بتصعيد

يقول تنظر اليه فى الخشبة السباع الضارية بأكل اللحم فترفع رؤسها اليه فتستنشق رائحته

يقبعن افياءه طورا وموقعه * يلغن فى علق منه وتجسيد

يقول تأتى هذه الضارية فتمشى حيث يمشى ظله و يلعقن ماسقط من صديده ودمه والجسد الدم

فكان فارط قوم خان مكرهم * بارض زادان شتى فى المواريد

الفارط المتقدم القوم الى الماء ليطلع أكثير هو ام قليل فضربه مثلا للحصين وأصحابه الذين اتبعوه الى مكان هلكوا معه ومكرهم شربهم الموت

يوم جراشة اذ شيبان موجفة * يعجون منك بشلو منه مقدود

يقول يوم جراشة اذ شيبان موجفة اى سريعة تهرب وشيبان قبيلة وجراشة رجل يقول يهربون بشلو اى جسد بلا رأس قد قدّ أى قطع بالسيف

زاحفته بابن سفيان فكان له * ثناء يوم بظهر الغيب مشهود

ابن سفيان رجل من أصحاب الممدوح يقول ناهضته بهذا الرجل فكان له ثناء عرفه من غاب كانه شهده

نجا قليلا ووافى زجر عائفه * بيومه طير منحوس ومسعود

يقول نجا قليلا أى مهزوما فى يوم كان منحوسا على جراشة ومسعودا على داود والعائف الذى يزجر الطير أى يفهمها فى خطورها وطيرانها

ولى وقد جرعت منه القناجرعا * حى المخافة ميتا غير موءود

يقول هرب هذا الرجل وقد شربت الرماح فى دمه حين طعن بها غير موءود أى غير مدفون

زالت حشاشته عن صدر معتدل * دانى الكعوب بعيد الصدر أملود

يقول نجت بقية نفسه عن صدر رمح معتدل أصابه املود أملس

اذا السيوف اصابته تقطع في * سرادق بحوامي الخيل مقدود

يقول اذا السيوف أصابته تقطع بدنه منها ويعني بالسرادق الغبار الذي أثارته حوافر الخيل

يفدي بما تحلته من خلافته * حشاشة الركض من جرداء قيدود

يفدي بقية قوة فرسه في الجري بخلافته يعني أنه يقول لفرسه انج فدتك خلافتي والجرداء القصير الشعر

حل اللواء وخال الخدر عائذه * فعاذ بالخدر ترب الكاعب الرود

يقول لما قهر الرئيس من الامراء حل اللواء وهو العقدة التي في القناة فظن الخدر عائذه أي منجيه أي اذا كان بين النساء لم يطلب بعد يعدّ نفسه من النساء

وان يكن شب احربا وقد خمدت * فنائيا حيث لاهيد ولاهيد

يقول فان يكن شب الحرب حربا وقد خمدت قبل ذلك فقد بعد بحيث لا يرى عمرانا ولا يسمع فيه هيدا ولا هيد وهي كلمتان يزجر بهما الابل

كل مثلت به في مثل خطته * قتلا واضجعته في غير ملحود

يقول كل مثلت أي جزيته بمثل فعله قتلا واضجعته في غير ملحود اي تركته في الصحراء قتيلا

عافوا رضاك فعاقتهم بعقوتهم * عن الحياة منايا هم لموعود

يقول عافوا رضاك اي كرهوا رضاك وعاقتهم منايا هم أي منعتهم الحياة بعقوتهم أي بفنائهم لموعود اي لاجل

وانت بالسند اذهاج الصريخ بها * واستنفدت حربها كيد المكاييد

الصريخ المستغيث والمستنصر واستنفدت حرب السند كيد المكاييد أي فرغت تلك الحرب بكيد كل مكياد حتى عجزوا عنها وانقطع كيدهم فيها

واستغزر القوم كاسًا من دمائهم * واحدق الموت بالكرار والحيد

يقول استغزر القوم اي شرب بعضهم دماء بعض يريد قتل بعضهم بعضا واحدق الموت بالكرار والحيد الكرار في الحرب الذين يكرون فيها والحيد المنهزمون يقول لم ينفع عنك المنهزم انهزامه لاحاطة الحرب به والحيد جمع احيد

رددت أهالها القصوى مخيسة * وشمت بالبيض غورات المراصيد

أهمالها أى صعبها والاهمال جمع همل وهو الشئ المسيب وأصله فى البهائم التى ليس لها راع فهى صعبة يقول رضت صعبها يعنى الحرب مخيسة أى مذللة وقوله شمت بالبيض يقول قتلت الانجاد فشمت عوراتهم اى تركت عوراتهم بادية فى الضح من غير ستر

كنت المهلب حتى شك عالمهم * ثم انفردت ولم تسبق بتسويد

يعنى المهلب بن أبى صفرة وكان جدا للممدوح يقول قمت فى تلك الحرب مقام المهلب حتى ظن عالمهم انك المهلب ثم انفردت بخصالك فى هذه الحرب حتى تبينت للناس وعرف انك داود

لم تقبل السلم الا بعد مقدرة * ولا تألفت الا بعد تبديد

يقول لم تقبل السلم من أهل السند الا بعد ما قدرت عليهم ولا جمعتهم الا بعد تبديد أى بعد ما بددتهم بالحرب والايقاع بهم والقتل

حتى اجابوك من مستأمن حذر * راج ومنتظر حتفا ومشمود

يقول حتى اجابوك بعضهم يطلب منك الامان ويحذر سطوتك وبعضهم مشمود أى لم يبق من اجله الا قليل يعنى الجرحى

أهدى اليك على الشحناء ألفتهم * موت تفرق فى شتى عباديد

العباديد المتفرقون يقول اهدى الموت اليك ألفتهم مع العداوة التى بينك وبينهم

وفى يديك بقايا من سراتهم * هم لديك على وعد وتوعيد

يقول وفى يديك بقايا من سراتهم أى اشرافهم يرجونك ويخافونك لانك أخذتهم على غير عهد

ان تعف عنهم فاهل العفو أنت وان * تمض العقاب فأمر غير مردود

يقول ان تعف عنهم فانت أهل للعفو وان قتلتهم فامرك نافذ

اسمع فانك قد هيجت ملحمة * وفدت منها بارواح الصناديد

يقول اسمع مدحى لك فقد هيجت ملحمة رجعت منها بارواح أهل السند

اقذف اباما لك فيما يكنك بها * و يسع فيها بجد منك مجدود

اباما لك ولده يقول له الق ولدك فى الحرب يقم مقامك فيها بجد أى بخت مجدود أى مبخوت

يمضى بعزمك أو يجرى بشأوك أو * يفرى بحدك كل غير محدود

الشأو الطلق يفرى يقطع والحد هو هنا النجدة

لا يعدمنك حمى الاسلام من ملك * اقمت قلته من بعد تأويد

يقول لا فقدك حمى الدين فانك قد حميته واقمت قلته بعد تأويد وهو الميل أى كان مال فقومته

كفيت فى الملك حتى لم يقف احد * على ضياع ولم يحزن لمفقود

يقول كفيت بالملك حتى لم يقل احد ياحسرتاه على فلان ما كان احماه ولم يقف احد على ضياع أى حدوك

اعطيتهم منك نصحا لا كفاء له * وايدوك بركن غير مهدود

يقول اعطيت بنى العباس نصحا منك لا قبال له وايدوك هم بركن غير مهدود أى غير منهدم

لم يبعث الدهر يوما بعد ليلته * الا انبعثت له بالباس والجود

أجرى لك الله أيام الحياة على * فعل حميد وجد غير منكود

يريد جعل الله لك ايام حياتك مباركة لا تفقد فيها فعلا محمودا وبختا صاعدا

لا يفقد الدين خيلا انت قائدها * يعهدن فى كل ثغر غير معهود

غير معهود يريد انه يغزو الى العدو مواضع لم يدخلها أحد

محلات اذا آبت غنائمها * ومقدمات على نصر وتأييد

يريد هذه الخيل اذا رجعت محقبات واذا مضت هى منصورة ومؤيدة من الله عز وجل

هناك انك مغدى كل ملتمس * جودا وانك مأوى كل مطرود

يقول من طلب جودا فمنك يجده ومن طرده أهله فانت تأويه وتجيره عمن يطلبه

تستأنف الحمد فى دهر أوائله * موسومة بفعال منك محمود

تستأنف الحمد أى تبتدئه فى دهر أوائله موسومة بفعالك الجميلة المحمودة التى تحمد عليها

اذا عزمت على أمر بطشت به * وان انلت فنيلا غير تصريد

يقول وان انلت أى اعطيت عطاء غير قليل

عودت نفسك عادات خلقت لها * صدق الحديث وانجاز المواعيد

الانجاز

الانجاز تنفيذ الوعد بالوفاء والمواعيد جمع موعود

داود هذا الذى امتدحه مسلم بهذه القصيدة الفريدة كان أحد قواد الرشيد ولفظ القائد فى ذلك العصر كان لقبا لامراء العسكر وأهل بيت هذا الممدوح الى المهلب كانوا فى تلك الوظيفة لملوك اعصرهم فكان المهلب رضى الله عنه أحد التابعين وأبوه أبو صفرة أحد الصحابة رضى الله عنه متوليا رياسة العسكر العراقى لعبد الملك بن مروان فى امارة الحجاج واذا عرفت ان الممدوح كان أمير عسكر فعليك ان تتأمل الشعر لتعرف كيف يمدح مثله دون ما اذا كان الممدوح ملكا أو كاتبا أو جابى خراج مثلا فلكل كلام يخصه ومعان تناسبه كما تراه فيما تطلع عليه من القصائد فى الاغراض المختلفة وقال أبو تمام حبيب بن اوس الطائى يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد وكان اشجع أولاد الرشيد غريب الفصاحة والفهم على أميته فانه لم يقرأ كما قرأ أخوته وسبب هذه القصيدة ان أحد أصحاب الاخبار للمعتصم ورد عليه يوما وهو فى مجلس شرابه فاخبره ان بقرية من قرى عمورية أسيرة هاشمية أضر بها من هى فى يده فنادت وامعتصماه فقال لها سيأتيك المعتصم على فرس ابلق يهز أبها فقال المعتصم عند سماع ذلك لبيك لبيك وأمر ساقيه ان يختم على الكاس الذى كان معه لما ولته اياه وحلف أنه لا يشربه الا بعد انقاذ الاسيرة وأمر ان يجهز الجيش بخيل بلق ولما صمم على الخروج من فوره قال له المنجمون ان هذه الساعة لا تصلح للخروج وابدوا حجتهم فى ذلك فلم يصغ لهم وكان الفتح والسعادة على خلاف حكم المنجمين فذلك ما يشير له أبو تمام فى أول القصيدة وكان أصحاب عمورية يقولون بحكم تنجيمهم انه اذا جاء المعتصم بجيشه فى هذه الايام ولم ينتصر قبل نضج التين والعنب فانه لا ينتصر بعد ولا تفتح البلد أبدا وكانوا لذلك يحاولون تأخير الحرب حتى تمضى تلك المدة فعاجلهم وفتح البلد قبله ولذلك الاشارة بقوله تسعون ألفا كآساد الشرى البيت وبعض من لم يطلع على هذا عاب أبا تمام بهذا البيت فى هذه القصيدة قائلا ان لفظه من الالفاظ المبتذلة الساقطة ولما أنشد هذه القصيدة طلب المعتصم طربا بها اعادة انشادها فاعاده وأنشدها ثالثة من نفسه فقال الى متى تجلو هذه العروس وأمر بعد أبياتها واجازه لكل بيت بالف رحمهم الله تعالى

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لافى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

النبع والغرب والشوحط ثلاثة أنواع لجنس واحد من الشجر فانبت منه فى أعلى الجبل يسمى نبعا وهو أصلبها لجفاف الهواء هناك وتعرضه للشمس والغرب مافى وسط الجبل والشوحط مافى أدناه وهو أضعفها المكان زيادة الرطوبة هنالك ومن النبع تعمل القسى

عجائبا زعموا الايام مجفلة * عنهن فى صفر الاصفار أورجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة * اذابدا الكوكب الغربى ذوالذنب
وصيروا الابرج العليا مرتبة * ماكان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهى غافلة * مادار فى فلك منها وفى قطب
لو بينت قط أمراقبل موقعه * لم يخف ماحل بالاوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى ان يحيط به * نظم من الشعر أونثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب
يايوم وقعة عمورية انصرفت * عنك المنى حفلا معسولة الحلب
أبقيت جدبنى الاسلام فى صعد * والمشركين ودار الحرب فى صبب
أم لهم لورجوا ان تفتدى جعلوا * فداءها كل أم برة وأب
وبرزة الوجه قدأعيت رياضتها * كسرى وصدت صدوداعن أبى كرب
من عهد اسكندرأوقبل ذلك قد * شابت نواصى الليالى وهى لم تشب
بكر فماافترعتهاكف حادثة * ولا ترقت اليها همة النوب
حتى اذامخض الله السنين لها * مخض الحليبة كانت زبدة الحقب
اتتهم الكربة السوداء سادرة * منها وكان اسمها فراجة الكرب
جرى لها الفال نحسايوم انقرة * اذغودرت وحشة الساحات والرحب
لمارأت اختها بالامس قدخربت * كان الخراب لها أعدى من الجرب
كم بين حيطانها من فارس بطل * قانى الذوائب من آنى دم سرب
بسنة السيف والخطى من دمه * لاسنة الدين والاسلام مختضب

لقد

لقد تركت أمير المؤمنين بها * للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى * يشله وسطها صبح من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت * عن لونها وكأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة * وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت * والشمس واجبة من ذا ولم تجب
تصرح الدهر تصريح الغمام لها * عن يوم هيجاء منها طاهر جنب
لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على * بان بأهل ولم تغرب على عزب
ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وإن أدمين من خجل * أشهى إلى ناظري من خدها الترب
سماجة غنيت منا العيون بها * عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسن منقلب تبدو عواقبه * جاءت بشاشته عن سوء منقلب
لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت * له المنية بين السمر والقضب
تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب
ومطعم النصر لم تكهم أسنته * يوما ولا حجبت عن روح محتجب
لم يغز قوما ولم ينهض إلى بلد * إلا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا * من نفسه وحدها في جحفل لجب
رمى بك الله برجيها فهدمها * ولو رمى بك غير الله لم يصب
من بعد ما أشبوها واثقين بها * والله مفتاح باب المعقل الأشب
وقال ذو أمرهم لا مرتع صدد * للسارحين وليس الورد من كثب
أمانيا سلبتهم نجح هاجسها * ظبي السيوف وأطراف القنا السلب
إن الحمامين من بيض ومن سمر * دلو الحياتين من ماء ومن عشب
لبيت صوتا زبطريا هرقت له * كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب
أجبته معلنا بالسيف منصلتا * ولو أجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منقعرا * ولم تعرج على الأوتاد والطنب
لما رأى الحرب رأي العين توفلس * والحرب مشتقة المعنى من الحرب

غـدا يصرف بالاموال خزينتها * فعزه البحر ذو التيار والعبب
هيهات زعزعت الارض الوقور به * عن غزو محتسب لاغزو مكتسب
لم ينفق الذهب المربى بكثرته * على الحصى و به فقر الى الذهب
ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السالب
ولى وقد الجم الخطى منطقه * بسكتة تحتها الاحشاء فى صخب
احسى فرابينه صرف الردى ومضى * يحتث أنجى مطاياه من الهرب
موكلا بيفاع الارض يشرفه * من خفة الخوف لا من خفة الطرب
ان يعـدمن حرها عدو الظليم فقـد * أوسعت جاحمها من كثرة الحطب
تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب
يارب حوباء لما اجتث دابرهـم * طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطب
ومغضب رجعت بيض السيوف به * حى الرضا عن رداهم ميت الغضب
والحرب قائمـــــة فى مأزق لجب * تجثو الرجال به صغرا على الركب
كم نيل تحت سناها من سنا قمر * وتحت عارضها من عارض شنب
كم كان فى قطع أسباب الرقاب بها * الى المخدرة العذراء من سبب
كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب
بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب
خليفـة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها * تنال الا على جسر من التعب
ان كان بين صروف الدهر من رحم * موصولة او ذمام غـير منقضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بنى الاصفر الممراض كاسمهم * صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

وقال عبد العزيز بن نباتة السعدى وهو احد أشياخ الشريف الرضى يمدح عضد الدولة وتاج الملة ابن بويه فى النيروز وكان قد احتفل فى جلوسه سنة سبع وستين وثلاثمائة وكانوا يتخذون هـذا اليوم وهو يوم حلول الشمس فى الميزان موسما عيديا على السنن القديم فى العجم وكذلك كانوا يتخذون يوم حلول الشمس فى الحمل ويسمى المهرجان

ستعلم اى الغايتـين أريد * فان الهوى للرجال قيود

احب

احب من الفتيان كل غشمشم * له شيع من نفسه وعديد
ينهنهه الاعداء وهو مصمم * هجوم على مايكرهون ورود
يخاطر في حب الثناء بنفسه * وهل لغلام في الزمان خلود
ومولى أداري طيشه وهو نافر * أزب كانبوب اليراع شرود
اكابد منه غصة ما يسيغها * من القوم الاحازم وجليد
يعين على الخصم لا يستعينه * وادفع عن حوبائه وأذود
اذا ما رأيت الرمح يعسل نحوه * تعرض نحر دونه ووريد
وقلت تعلم أن كل فضيلة * لها كاشح من أهلها وحسود
وأن نواميس الرجال قديمة * توارث عاد ذكرها وثمود
ولكن تاج الملة اليوم حلها * على الدهر حتى ليس فيه عقود
فتى هجر اللذات والعيش مونق * رقيق حواشي الطرتين برود
وقاسى بديعات الامور بنفسه * الى ان علاه الشيب وهو وليد
له كل يوم فكرة عضدية * يصرف وعد بينها ووعيد
ترحل فيها للفعال عزائم * وتنزل فيها للهموم وفود
وفضل له حزم وعزم ونائل * وهم له في المكرمات بعيد
وصبر اذا نابت خطوب ملمة * يقوم لها والفاعلون قعود
تلوح وراء النقع غرة وجهه * كما لاح من ضوء الصباح عمود
فما ولدت بيض الحواصن مثله * ولا نوب الايام وهي ولود
اطب بداء ما يصاب دواؤه * وأعلم بالانواء أين تجود
وأطعن منه في نياط كتيبة * بها السيف أعمى والسنان بليد
تسير امام الجيش قبل مسيره * كتائب من آرائه وجنود
ثلاثين شهرا من مشارق فارس * الى الروم نقع ساطع ووئيد
ومرد على جرد المتون رماحهم * وجرد على اكتافهن لبود
تناهقن عن أرض الحلي متنكب * يريد بهن الله حيث يريد
فان لم تذق فيها الرقاد فطالما * سهرت وايقاظ الخطوب رقود
شفيت من الغل الكمين عصابة * تكيد مع الشيطان حيث تكيد

اذا تركت يوما تقول فانها * تصول وكل الضاريات أسود
فيا غنما نامت بمصر رعاؤها * بك الذئب من بين البهام عميد
دعي مرتع الآرام من بطن جاسم * الى الرمل ينمي حمضه ويزيد
ولا تردي بالغوطتين وقيعة * يغازلها مع الغزالة سيد
فاني أظن الريح سوف تدله * عليك وبين المنهلين بريد
وخادعها عن جدها ومزاحها * ذوآلة مثل السمهري عميد
نطامن لها وانصب حبالك حجرة * فان نوار الوحش سوف ترود
وان شردت والعقد حل نظامه * فاكبر ظني انها ستعود
ومرك بالفسطاط جمع أظنه * يعزك لو عض الحديد حديد
أثن عطلت كاس النديم ورشفت * لغايتها قب الاباطل قود
وأسرع غب الحض في غلواتها * فلم يبق فيها للصنيع مزيد
تمنيت في لهوا الحديث لقاءها * وانك مالم تلقها السعيد
وان عليها جنة فارسية * مناقلها يوم الطراد طريد
وكل رقيق الشفرتين كانه * وقد اخلقته الحادثات جديد
عقائق اما لمعها فبوارق * عليك واما وقعها فرعود
يعودها ضرب الجماجم قاهر * على الناس معبود الجلال مجيد

افتخر في مطلع القصيدة بكونه ذا بأس وعزيمة وقفاه بأثر ذلك ثم افتخر بالمحافظة على نسبة الصحبة أو القرابة كيفما كان الصاحب أو القريب في قوله ومولى وبالغ في ذلك واحسن فيه تقرير مذهبه ثم عاد الى خطاب نفسه يسليها بما يكون عذرا يبنى عليه احتمال عيوب الصاحب أو القريب في قوله وقلت تعلم وعطف عليه معلوما آخر وهو ان نواميس الرجال أي حيلهم واشراك مكايدهم مازالت في الناس قديما واستدرك على ذلك متخلصا للمدح بان ممدوحه ازال تلك الحيل وكشف الامور وضمن معنى حل في قوله حلها على الدهر معنى ضيع مثل قولهم ضيعت على فلان تعبه في كذا ثم استرسل في المدح اللائق بالملوك ذوي الهمم العالية والعزائم الماضية مشيرا الى وقائع الممدوح وحروبه وسعة مملكته مائلا الى ذكر بعض الجهات كمصر برداءة السياسة وكونها تحت خطر أن يلتفت اليها ويومي الى عسكرها بالتحذير والنصيحة بترك التعرض الى معارضته

وشعر

وشعر ابن نباتة هذا رحمه الله تعالى يطلب بشدة دقته وبعد اشارته من يطلع عليه ان يتلبث فى تعقله وتفهم اغراضه بيتا بيتا وفصلا فصلا ومن شعر الشريف محمد الرضى وشعره كما سبق التنبيه عليه كثير جدا وديوانه موجود بدار الكتب الكبيرة فلنكتف من شعره بايراد ما يكون انموذجا يستدل به على باقيه فان اردت استيفاء قراءته فقد علمت مكانه قوله فى النسيب وطريقته فيه تسمى بالطريقة الغرامية

ياظبية البان ترعى فى خمائلها * ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه * وليس يرويك الا مدمع الباكى
هبت لنا من رياح الغور رائحة * بعد الرقاد عرفناها برياك
ثم انثنينا اذا ما هزنا طرب * على الرحال تعللنا بذكراك
سهم أصاب وراميه بذى سلم * من بالعراق لقد ابعدت مرماك
حكت لحاظك ما فى الريم من ملح * يوم اللقاء وكان الفضل للحاكى
كان طرفك يوم الجزع يخبرنا * بما طوى عنك من اسماء قتلاكى
انت النعيم لقلبي والغرام له * فما أمرك فى قلبي واحلاكى
عندى رسائل شوق لست اذكرها * لولا الرقيب لقد بلغتها فاك
وعد لعينيك عندى ما وفيت به * ياقرب ما كذبت عينى عيناك
سقى منى وليالى الخيف ما شربت * من الغمام وحياها وحياك
اذ يلتقى كل ذى دين وماطله * منا ويجتمع المشكو والشاكى
لما غدا السرب يعطو بين ارحلنا * ما كان فيه غريم القلب الاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى * من اعلم العين ان القلب يهواك
ياحبذا نفحة مرت بفيك لنا * ونطفة غمست فيها ثناياك
وحبذا وقفة والركب مغتفل * على ثرى وخدت فيه مطاياك
لو كانت اللمة السوداء من عددى * يوم الغميم لما افلت اشراكى

وقوله

ياليلة السفح ألا عدت ثانية * سقى زمانك هطال من الديم
ماض من العيش لو يفدى بذلت له * كرائم المال من خيل ومن نعم
لم أقض منك لبانات ظفرت بها * فهل لى اليوم الا زفرة الندم

فليت عهدك اذلم يبق لى ابدا * لم يبق عندى عقابيلا من السقم
تعجبوا من تمنى القلب مؤلمه * ومادروا انه خلو من الالم
ردوا على ليالى التى سلفت * لم أنسهن ولا بالعهد من قدم
أقول للائم المهدى ملامته * ذق الهوى فان أسطعت الملام لم
وظبية من ظباء الانس عاطلة * تستوقف العين بين الخمص والهضم
لوانها بفناء البيت سانحة * لصدتها وابتدعت الصيد فى الحرم
قدرت منها بلا رقبى ولا حذر * على الذى نام عن ليلى ولم أنم
بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرع الى قدم
وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم
يشى بنا الطيب أحيانا وآونة * يضيئنا البرق مجتازا على أضم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم
و بيننا عفة بايعتها بيدى * على الوفاء بها والرعى للذمم
يولع الطل بردينا وقد نسمت * روبحة الفجر بين الضال والسلم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة * حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض ثوبا ماتعلقه * غير العفاف وراء الغيب والكرم
والمستنى وقد جد الوداع بنا * كفا يشير بقضبان من العنم
والثمتنى ثغرا ماعدلت به * أرى الجنا ببنات الوابل الرذم
ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا * وفى بواطننا بعد من التهم
ياحبذا لمة بالرمل ثانية * ووقفة ببيوت الحى من أمم
وحبذا نهلة من فيك باردة * يعدى على حر قلبى بردها بفمى
دين عليك فان تقضيه أحى به * وان أبيت تقاضينا الى حكم
عجبت من باخل عنى بريقته * وقد بذلت له دون الانام دمى
ماسعفتنى الليالى بعد بينهم * الا بكيت ليالينا بذى سلم
ولا استجد فؤادى فى الزمان هوى * الا ذكرت هوى أيامنا القدم
لا تطلبن لى الابدال بعدهم * فان قلبى لا يرضى بغيرهم

ومن شعر مهيار وقد سلك طريقة يدعو الأديب الى سلوكها الرفعة رتبتها من البلاغة وهى
انه

أنه جعل غزل القصيدة متضمنا المعنى الذى قصد انشاءها لاجله هذه القصيدة وسببها أنه سعى به ساع عند ملك ناحيته وافترى عليه أنه عثر بكنز فحبسه ذلك الملك ليلة ليخلصه منه كما جرت به العادة فى غالب الزمان من أخذ الملوك ما يجد الناس من الكنوز ثم تحقق عند الملك كذب السعاية فاطلقه وعاد لبره فانشأها وضمنها تهنئة بعيد الفطر

أماوهواها عذرة وتنصلا * لقد نقل الواشى اليها فأمحلا
سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا
وقال فلم تقبل ولكن تلومت * على أنه ما قال الا لتقبلا
فطارحها انى سلوت فهل رأى * له الذم مثلى عن هوى انه سلا
أأنفض طوعا حبها عن جوانحى * وان كان حبا للجوانح مثقلا
أبى الله والقلب الوفى بعهده * والف اذا عد الهوى كان أولا
أيا صاحبى نجواى يوم سويقة * أناة وان لم تسعدا فتجملا
سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا
أأنت أمرت البدر ان يصدع الدجى * وعلمت غصن البان ان يتميلا
وحرمت يوم البين وقفة ساعة * على عاشق ظن الوداع محللا
جمعت عليه حرقة الدمع والجوى * وما اجتمع الداآن الا ليقتلا
هبى لى عينى واحملى كافة الاسى * على القلب ان القلب اصبر للبلا
ارى الشبه بوجه الشمس والبعد بيننا * فاقنع تشبيها بها وتمثلا
وأذكر عذبا من رضابك مسكرا * فما أشرب الصهباء الا تعللا
هنيأ لحب المالكية انه * رخيص له ما عز منى وما غلا
تعلقتها غرا وليدا وشيبت * وشبت وناشى حبها ما تكهلا
ووحدها فى الحسن قلبى فما له * وان وجد الابدال ان يتبدلا
رعى الله قلبى ما أبر بمن جفا * واصبره فى النائبات واجملا
وأكرم عهدى للصديق فانه * قليل على الحالات ان يتحولا
ولين أيامى على فاننى * ازاحم ثهلانا بهن و يذبلا
واهل زمان لاهوادة بينهم * اذا استؤمنوا كانوا أخب واختلا
صديق نفاق او عدو فضيلة * متى طب كان الداء أدهى واعضلا

ولوج على الشر الذى يرصدونه * متى وجدوا يوما الى الشر مدخلا
اذا مار أو اعند امرئ زاد يومه * مشوا حسدا أوبات جوعان مرملا
وفى الارض عنهم مذهب وتفسح * فمن لى ان استطيع ان اترحلا
أهم ولكن من وراءى جواذب * اخاف على اعطانها ان تسللا
وتعلقنى الآمال من قلل العلا * فاجعلها منهم ملاذا ومعقلا
نعم عند ركن الدين وابن قوامه * غنى ومراد أن أضام وامهلا
وفى يده البيضاء يقطر ماؤها * ربيع يرد الجدب اخضر مبقلا
وبالقصر من دار السلام متوج * باشراقه اخزى البدور واخجلا
ترى خرزات الملك فوق جبينه * كواكب نور ضوءها يملأ الفلا
يميت النفوس قاطبا متنمرا * ويحيى اوانا باسما متهللا
اذا كفر النعماء شام سيوفه * وان سئل الاغضاء شام التفضلا
قريب على المولى بعيد بعزه * على مغمز الاعداء أن يتسهلا
اذا من أعطى حكمه متثبتا * وان هم امضى امره متعجلا
حوى حوزة الدنيا فدبر أمرها * مليا بتقويم الامور معدلا
أطاعته اعناق البلاد وأقبلت * اليه القلوب رغبة لا تعملا
ودانت له الاقدار حتى تصرفت * على أمره الماضى صعودا ونزلا
اذا طلب الاعداء انفذ جحفلا * لها مامن الاقبال يتبع جحفلا
كفاه مكان السيف والرمح جده * فلوشاء يوم الروع حارب اعزلا
وكم عادة لله فى النصر عنده * تضمن باستمرارها وتكفلا
ومن آية قامت بتثبيت ملكه * وقد كادت الاقدام ان تتزلزلا
ظهرت جلال الدولتين بفضلها * ومعجزها حتى ظننناك مرسلا
رأى الله ان الارض أصلح سيرة * عليك وان الناس أجمل محصلا
وانك تاوى فى أمورك كلها * اليه منيبا نحوه متبتلا
فاولاك فى ضيق الشدائد فرجة * وأعطاك منها فى الخطوب وموئلا
وكم آبق من رق مالك غاشم * لنعماك لم ينهض بما قد تحملا
عفوت مرارا عن تمادى ذنوبه * فانظرته بالعفو حتى توغلا

وبالامس

وبالامس لجوا الى الشقاق وأجلبوا * عليك وظنوها وحاشاك فيصلا
فلم يجن ضعف الرأى الاعليهم * ولا أزددت الاقوة وتأثلا
فسائل بهم اماطريدا مشردا * يلوذ بصفح أوقتيلا مجدلا
فلازال من عاداك أبعد شقة * واخبث ايايا واخشن منزلا
ولازالت الرايات واسمك حليها * خوافق تحوى الارض سهلا واجبلا
الى ان ترى بيض الملوك وسودها * قياما على أخرى بساطك مثلا
وبلغت من نجميك يابدر كلما * تؤمل فى نجم على أفق علا
قديما والطالع الآن قابسا * ضياءك حتى يستتم ويكملا
وكانا على الاعداء سيف تناصر * شبيهك فيها احدثا وتقيلا
وشداك والضرغام أمنع جانبا * وأنهض اقداما اذا كان مشبلا
وكثرت بالاولاد ترهف منصلا * طريرا الى الدنيا وتطبع منصلا
اصولهم منصورة بفروعهم * اذاقام منهم آخر كان اوّلا
لكم فى رقاب الناس أحراس ذمة * بعيد على استعصائها ان تحللا
مفاتيح هذا الرزق بين اكفكم * ونصرة دين الله بيضا وذبلا
فما تشهدون الحرب الا اذاغلت * ولا تشترون الحمد الا اذاغلا
أتعرف يامولى الملوك كقصة * بليت بها بالامس والحرّ يبتلا
ابعد قنوعى بالثمار تعففا * وهجرى أبواب الملوك تعذلا
وظلى فضلا واهتضامى توحدى * مخافة ان أوذى وأن أتبذلا
يسىء رعاع الناس عندك سمعتى * وتشعر انى حزت مالا مؤثلا
ويغرى بافقارى وأنت الذى ترى * لمثلى أن يغنى وان يتمولا
ولكنما غيرت لك شيمة * كرمت بها الاقليلا كلاولا
ولما سعى الساعى لجاءك كاذبا * علىّ بجور كنت اعلى واعدلا
اتاك بزور فاتحافه به * فالقمته بالردّ تربا وجندلا
تسرع فيها جالبا لك اثمها * ولكن أراك الحق ان تتمهلا
فلم تألنى كشفا الصدق براءتى * ولا نظرا فى قصتى وتأملا
وزنت بذكرا المال مجدك فى العلا * فكان وزان المجد عندك أثقلا

وحكمت زايا طاهريا وهمة * بويهية ماطبقت كان مفصلا
فارضاك مني الصدق لما علمته * ببينة لم استمرها تقولا
فان فاجأتني هجمة من طروقها * تروع منها جانبي وتوجلا
حبست ولكن كان حبسا مشرفا * أناف بذكري واعتقالا مجملا
لئن عد قوم نكبة حبس ليلة * لقد كنت منكوبا من الناس معزلا
وسبب لي هذا المقام ترقيي * وقد كنت عنه ساهيا ومغفلا
مكان تمناه الكواكب عزة * فتبغي اليه مهبطا وتنزلا
ومن لجبين الشمس لو خر ساجدا * لارضك أو وافي ثراك مقبلا
لبست به ثوبا ضفا الى فخره * بذحك مجرورا على مذيلا
سيعلم من جر السعاية انه * بكرهي الى ما جر نفعي توصلا
لقد غرس النعريض بي في ودية * متى استثمرت أجنته صابا وحنظلا
اذا وسمت عرض اللئيم بميسم * من الذم باق ودّ لو كان أغفلا
فكان شقيا خاب عند سعيه * وفزت وكنت المنعم المتفضلا
أقمت من عادات سيبك سنة * هي الغيث او كانت اعم واجزلا
فكم من نوال مشرف قد حقرته * وقلت من جماعه فتقللا
وعارفة لو يسئل البحر بعضها * تعذر في اخراجها وتبخلا
وكن مرغما خصمي بامر مشرف * توفرلي منه الجمال المعجلا
وتجبر من جاهي الكسير وخلتي * فاجدر من أسهمت من كنت مهزلا
وثق بجزاء شعر عبدك ضامن * لما طاب منه في الشفاه وما حلا
من الباقيات الصالحات أروضها * بنفسي اذا طابت وقلبي اذا خلا
سوائر يقطعن البلاد حوامـلا * دعاء مجابا أو ثناء مبجلا
اذا ما كسوت العيد منهن لبسة * ترفل فيها تائها وتخيلا
ومد يد الراجي نوالك مدليا * بحرمتها مستشفعا متوسلا
يبشر عنها انه عائد بها * عليك مدى الايام عمرا وأطولا
هو اليوم أعطاه الاله فضيلة * كما كنت ممن يحمل الامر مفضلا

قابل

فقابل به وجه الخلود مبلغا * شروط المنى ما كرّ عيد وأقبلا
تزخرف جنات العلا لك مفطرا * وصائم فرض كنت أو متنفلا
وكن مفطرا بالبر والبس على التقى * ثوابك وانزع صومك المتقبلا
الى ان ترى صم الجبال فلا تقا * مسيرة والجوّ ماء مسلسلا
اذا ما انجلى صبح ولست بمالكا * علينا فلا شق الظلام ولا انجلا

ويلتحق بمن سبق ذكرهم من مشاهير شعراء هذه الطبقة فى جلالة المحل وعلو المكانة وتمام الاجادة الامير ابو فراس الحارث بن سعيد الحمدانى وقد مضى مثال شعره والوزير مؤيد الدين الطغرائى صاحب لامية العجم المشهورة وأبو الحسن على بن محمد التهامى فلابد من تمثيل شعرهما لاتمام الفائدة فمن شعر الوزير المذكور قوله يمدح ابا الفتح مسعود بن محمد السلجوقى الملقب بقسيم أمير المؤمنين وكان الملوك من العجم أيام قوة الدولة العباسية يدعى الواحد منهم مولى امير المؤمنين فلما قوى أمر سلطنة العجم وضعفت الدولة كان يلقب الواحد منهم قسيم امير المؤمنين وكان الطغرائى بعض وزرائهم

نظرى الى لمع الوميض حنين * وتنفسى لصبا الاصيل أنين
ما كنت أعلم قبل نازلة النوى * ان الحبائل والسهام عيون
ركزوا بابواب القباب رماحهم * وو راء هنّ أهلة وغصون
آساد ملحمة وأدم صريمة * تحت الاكلة فالكناس عرين
ومضوا يشيمون الوميض وقد هفا * بخفوقه خضل الرباب هتون
الا يكن نعب الغراب ببينهم * أصلا فقد نعبت سحائب جون
باتوا ونجوى البين بين رحالهم * فوضى ومسترق الحديث شجون
وتحملوا سحرا وحشو حدوجهم * صور الجآذر والظباء العين
ووراء اصداف الحدوج بدرها * هوج الركائب لؤلؤ مكنون
ان الأُلى اقوت ربوعهم لهم * بين الاضالع منزل مسكون
نشرت ربوعهم بعود قطينها * فنشور ربع أن يعود قطين
ومليحة بكرت علىّ مليحة * سحرا وقد صبغ الخدود جفون
قالت عهدتك لا تراع لحادث * وحصاة قلبك لا تكاد تلين

فاليوم مالك مستكينا يعترى * محزون دمعك قلبك المحزون
تبغى سلوى وهو أعوز مطلب * وطلاب مالا يستطاع جنون
فاجبتها كفى الملام واقصرى * كل بما كسبت يداه رهين
لم يبق عندى للتجلد موضعا * بين بتفريق الجميع قمين
ولقد أثرت العيس ما الظهور ها * مما اضربها السفار بطون
مشق السهوب لحومهن وعرقت * اشلاءهن فكل حرف نون
يرسفن فى قيد الكلال كانما * حركاتهن وقد جهدن سكون
ولقد ترى والريح راسفة اذا * قيست اليها والوميض حرون
وكانها والليل وحف فاحم * عوج المدارى والظلام قرون
يرمى بهن نياط كل تنوفة * هم وهم فى الضلوع كمين
همم تعاورها الهموم وعزمة * عذراء شيبها الخطوب العون
واذا طغى بحر الزماع فماله * الا القلاص اليعملات سفين
واذا نبا الوطن العسوف بأهله * فظهور هن لمن حملن حصون
يخبطن احشاء الدياجى أو يرى * للصبح خد واضح وجبين
ولقد سلبت مراحهن الى حمى * ملك له رب السماء معين
مسعود الميمون طائره الذى * جد المنيخ ببابه ميمون
ملك الملوك ابن السلاطين الألى * ملكوا رقاب العالمين ودينوا
ركزوا ابيرقة والصعيد رماحهم * والهند مربط خيلهم والصين
ملكوا الاعنة والاسنة والظبا * تحت العجاج بوارق ودجون
مجد توورث كابرا عن كابر * والدهر مقتبل وآدم طين
فالعز أقعس والجناب ممنع * والمجد اتلع والفناء حصين
شغفت بدعوته المنابر يافعا * وصبا اليه الملك وهو جنين
شرق البنان بجوده غدق الندى * كلتا يديه لاعتفاة يمين
للملك مأوى فى ظلال يمينه * يأوى اليه النصر والتمكين
طرب الشمائل حين تنآد القنا * ثملا ويشرق بالدماء وتين

يجاب

يغيب عنه النقع وهو كأنه * قمر له سعد السعود قرين
والمشرفية في العجاج لوامع * والاعوجية في الصفوف صفون
وعليه نشوء مظلة مكفوفة * بالدر والياقوت وهو ثمين
سوداء حمراء الحفاف كأنها * زهر الشقائق في الرياض تبين
رفعت ترد الشمس عن شمس لها * نوراذا اعتكر الظلام مبين
شمسان يكتنفانها من فوقها * شمس وآخر تحتها مدجون
فبنور تلك اضاءت الدنيا وذا * ضاءت به الدنيا وعز الدين
ملك يدور على ذؤابة تاجه * ويكون أنى دار حيث يكون
تمشي الملوك الصيد تحت ركابه * ويظله بجناحه جبرين
والجرد مثقلة الرقاب يقودها * حمل النضار يكدها ويزين
سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وشفون
لولا تراخي الغايتين لاقسم الرائون ان حراكها تسكين
قد كان يشبهها البروق لوانها * لم يعتلقها أعين وظنون
من كل جياش العنان اذا جرى * يوم الرهان فسبقه مضمون
ان يقرع الطود الاشم فاجدل * أو يركب البحر الخضم فنون
بأخيه شد الله أزر جلاله * فوزيره من أهله هارون
قد حان قد نبت الحوادث عنهما * فالعود صلب والغرار سنين
جمعا على رغم العدا وتساندا * فكلاهما صدق القناة متين
سبق المجلي والمصلي دونه * ووراءه كل البرية دون
يا أيها الملك الذي بجلاله * قضي القضاء وكون التكوين
مرضاته تحيي ويردى سخطه * فهما حياة للورى ومنون
عاشت ذؤالة في القطيع وماله * راع واضحى اللص وهو أمين
وتنازع الملك الشعاع عصابة * لم يدر أيهم به المفتون
وتناهبوا مالم يكن من قبل ذو القرنين يملكه ولا قارون
فبكل أرض راية وعصابة * جمعت وحرب لاتطاق زبون

جرّد عزيمتك المتينة انها * فتن ركدن سهولهن حزون
فبغاثها مستنسر وشرارها * نار تشب ودودها تنين
وكانما الدنيا وقد شحنت بها * بحر تكفأ فلكه المشحون
وارم الصفوف بمثلهن وشنها * شعواء ينسى عندها صفين
واشدد يديك بحبل عمك انه * مولاك وهو بما تحب ضمين
واطلع عليه براية منصورة * اقباله بطلوعها مقرون
أبني الملوك الصيد ان وراءكم * خطبا اذا دبرتموه يهون
من قبل ذا خان الامين شقيقه * فاديل منه لبغيه المأمون
غلب العبيد على مقر سريركم * والعبد خوار القناة مهين
هي جولة الضحاك عم بلاؤها * كل الانام فاين افريدون
فانهض لها بالعزم يكنفه الظبي * والسابرية نسجها موضون
واعصف عليهم بالقواضب عصفة * تذر الرقاب الغلب وهي درين
كايلهم بالصاع صاعا واجزهم * بتراتهم ان الترات ديون
ان الهوى والرأى مالا نحوكم * بركا بي وهوى الرجال فنون
أبني نهايات العلا وهميتي * تابى التوسط فالتوسط هون
فاسلم لأدرك فيك ما املته * ظنا وظن الالمعي يقين

هذا الشعر يستعيدك النظر فيه ويستدعيك التأمل في مطالعه ومقاطعه لتعرف من اين مكان علو رتبته من البلاغه فانك لاتجد الشاعر قصد فيه الى النكات و زخرفته بالمحسنات كما هو حال المتأخرين وانما قصد أن يكون الشعر متخير اللفظ محكم التركيب متصدر السلاسة لا يتوقف اللسان في انشاده مع صحة معانيه وتمكن حدود فصوله وما يكادا ن يكون من اختراع الوزير المذكور جمعه بين مدح الفتيان من حي الاحباب وغزل الفتيات منهم وقد تابعه في ذلك وتوسع شهاب الدين معتوق الموسوي من متأخري أهل الاجادة فا كثر غزله من اوله الى آخره لايخلو من ذلك ومن شعر أبي الحسن التهامي قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها صغيرا له أجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله ويشكو زمانه وحاسديه وهي هذه

حكم

حكم المنية فى البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذار والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا ما ربكم عجالا انما * اعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا * أن تسترد فانهن عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويغص إن * هنى ويهدم مابنى ببوار
ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار
انى وترت بصارم ذى رونق * اعددته لطلابة الأوتار
والنفس ان رضيت بذلك أو أبت * منقادة بازمة المقدار
أثنى عليه بأثره ولوانه * لم يعتبط اثنيت بالآثار
يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر * بدرا ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه * فمحاه قبل مظنة الابدار
واستل من أترابه ولداته * كالمقلة استلت من الاشفار
فكأن قلبى قبره وكأنه * فى طيه سر من الاسرار
ان يعتبط صغرا فرب مفخم * يبدو ضئيل الشخص للنظار
ان الكواكب فى علو محلها * لترى صغارا وهى غير صغار
ولد المعزى بعضه فاذا مضى * بعض الفتى فالكل فى الآثار
ابكيه ثم أقول معتذرا له * وفقت حين تركت ألأم دار
جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى
اشكو بعادك لى وانت بموضع * لولا الردى لسمعت فيه مزارى
والشرق نحو الغرب اقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار

هيهات قد علقتك اسباب الردى * واغتال عمرك قاطع الاعمار
ولقد جريت كما جريت لغاية * فبلغتها وابوك في المضمار
فاذا نطقت فانت اول منطق * واذا سكت فانت في اضماري
اخفي من البرحاء نارا مثل ما * يخفي من النار الزناد الواري
واخفض الزفرات وهي صواعد * واكفكف العبرات وهي جوار
وشهاب نار الحزن ان طاوعته * اورى وان عاصيته متواري
واكف نيران الاسى ولربما * غلب التصبر فارتمت بشرار
ثوب الرياء يشف عما تحته * واذا التحفت به فانك عار
قصرت جفوني أم تباعد بينها * أم صورت عيني بلا اشفار
جفت الكرى حتى كأن غراره * عند اغتماض العين وخز غرار
ولو استزارت رقدة لطحابها * ما بين اجفاني من التيار
احيي الليالي التم وهي تميتني * ويميتهن تبلج الاسحار
حتى رأيت الصبح تهتك كفه * بالضوء رفرف خيمة كالقار
والصبح قد غمر النجوم كأنه * سيل طغا فطفا على النوار
لو كنت تمنع خاض دونك فتية * منا بحار عوامل وشفار
ودحوا فويق الارض ارضا من دم * ثم انثنوا فبنوا سماء غبار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتها * خلجا تمد بها أكف بحار
لو شرعوا ايمانهم في طولها * طعنوا بها عوض القنا الخطار
جنبوا الجياد الى المطي وراوحوا * بين السروج هناك والاكوار
وكأنما ملؤا عياب دروعهم * وغمود أنصلهم سراب قفار
وكأنما صنع السوابغ عزه * ماء الحديد فصاغ ماء قرار
زردا فاحكم كل موصل حلقة * بحبابة في موضع المسمار
فتسربلوا بمتون ماء جامد * وتقنعوا بحباب ماء جار
اسد ولكن يؤثرون بزادهم * والاسد ليس تدين بالايثار
يتزين النادي بحسن وجوههم * كتزين الهالات بالاقمار

يتعطفون على المجاور فيهم * بالمنفسات تعطف الاظآر
من كل من جعل الظبي انصاره * وكرمن واستغنى عن الانصار
واذا هو اعتقل القناة حسبتها * صلا تأبطه هزبر ضار
والليث ان ثاورته لم يعتمد * الا على الانياب والاظفار
ذرد الدلاص من الطعان بريحه * فى الجحفل المتضايق الجرار
ما بين ثوب بالدماء مضمخ * زلق ونقع بالطراد مثار
والهون فى ظل الهوينا كامن * وجلالة الاخطار فى الاخطار
تندى اسرة وجهه ويمينه * فى حالة الاعسار والايسار
ويمد نحو المكرمات أناملا * للرزق فى اثنائهن مجار
يحوى المعالى كاسبا أوغالبا * ابدا يدادى دونها ويدارى
قد لاح فى ليل الشباب كواكب * ان أمهلت آلت الى الاسفار
وتلهب الاحشاء شيب مفرقى * هذا الضياء شواظ تلك النار
شاب القذال وكل غصن صائر * فينانه الاحوى الى الازهار
والشبه منجذب فلم بيض الدمى * عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لو جعلت سواد قلوبها * وسواد أعينها خضاب عذار
لا تنفر الظبيات عنه فقد رأت * كيف اختلاف النبت فى الاطوار
شيآن ينقشعان اول وهلة * ظل الشباب وخلة الاشرار
لا حبذا الشيب الوفى وحبذا * ظل الشباب الخائن الغدار
وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت اوطارى
قصرت مسافته وما حسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
نزدادها كلما ازددنا غنى * والفقر كل الفقر فى الاكثار
ما زاد فوق الزاد خلف ضائعا * فى حادث أو وارث أو غار
انى لأرحم حاسدى لحر ما * ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لا ذنب لى قد رمت كتم فضائلى * فكانما برقعت وجه نار

وسترتها بتواضعي فتطلعت * اعناقها تعلو على الاستار
ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودراري
والناس مشتبهون في ايرادهم * وتفاضل الاقوام في الاصدار
عمري لقد اوطأتهم طرق العلا * فعموا فلم يقفوا على آثاري
لوابصروا بقلوبهم لااستبصروا * وعمى البصائر من عمى الابصار
هلا سعوا سعي الكرام فادركوا * أوسلموا لمواقع الاقدار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لاخير في يمنى بغير يسار

وقوله يمدح الامير نصير الدولة أبانصر بن مروان بميا فارقين

عبسن من شعر في الراس مبتسم * ما نفر البيض مثل البيض في اللمم
ظنت شبيبته تبقى وما علمت * ان الشبيبة مرقاة الى الهرم
ماشاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي * ولا وفائي ولاديني ولا كرمي
وانما اعتاض راسي غير صبغته * والشيب في الراس دون الشيب في الشيم
بالنفس قائلة في يوم رحلتنا * هواك عندي فسران شئت أواقم
فجدت وجدا فلامتني فقلت لها * لاتعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سرائره * والشيء في كل صاف غير مكتتم
بعض التفرق أدنى للقاء وكم * لائم تشمل غير ملتئم
كيف المقام بارض لايخاف بها * ولا يرجى شبا رمحي ولاقلمي
فقبلتني توديعا فقلت لها * كفي فليس ارتشاف الخمر من شيمي
لولم يكن ريقها خمرا لماانتطقت * بلؤلؤ من حباب الثغر منتظم
ولو تيقنت غير الراح في فمها * ماكنت ممن يصيد اللثم بالالتثم
وزادر يقتها في ثغرها شبما * على حصى برد من ثغرها شبم
اني لاطرف طرفي عن محاسنها * تكرما واكف الكف عن أمم
ولا أهم ولي نفس تنازعني * استغفر الله الاساءة الحلم
لا اكفر الطيف نعمى أنشرت رمما * منا كما تفعل الارواح بالرمم

حيا فاحيا فأغنتنا زيارته * عن اعتساف الفلا بالاينق الرسم
وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
والدهر كالطيف بؤساه وانعمه * عن غير فضل فلا تمدح ولا تلم
لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها * فلو اردت دوام البؤس لم يدم
خالف هواك فلولا ان اهونه * مصرلما اقتنص العقبان بالرخم
ترجو الشفاء بجفنيها وسقمهما * وهل رايت شفاء جاء من سقم
وتدعى بصبا نجد فان خطرت * كانت جوى لك دون الناس كلهم
وكيف يطفى صبا نجد صبابته * والريح زائدة في كل مضطرم
اصبو واصحو ولم يكلم بيا ثقة * عرضى كما تكلم الاعراض بالكلم
ولا احب ثناء لا يصدقه * فعلى ولا ارتضى في المجد بالتهم
لا تحسبي حسب الآباء مكرمة * لمن يقصر عن غايات مجدهم
حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم في المعالى لا بطولهم
ما اغتابنى حاسد الا شرفت به * فحاسدى منعم في زى منتقم
فالله يكلا حسادى بانعمهم * عندى وان وقعت عن غير قصدهم
ينبهون على فضلى اذا كتبت * صحيفتى في المعالى عنونت بهم
يا طالب المجد في الآفاق مجتهدا * والمجد اقرب من ساق الى قدم
قل نصر دولة دين الله لى امل * قولى وقد نلت اقصى غاية الهمم
كم حدثت عنه فنادتنى فضائله * يا حاتم الادب امدح حاتم الكرم
وقادنى نحوه التوفيق ثم دعا * هذا الطريق الى العلياء فاستقم
وقصره عرفات العرف فاغن به * وكفه كعبة العلياء فاستلم
ترى الملوك على أبوابه عصبا * وفدا فدع غيرهم من سائر الامم
يحفه كل محفوف مواكبه * عزا ويخدمه ذو الجند والخدم
تظل مزدحمات في مواكبه * تيجان كل مهيب الباس والنقم
تفيؤا ظل ملك منه محتشم * ورب ملك مذال غير محتشم
والملك كالغاب منه خدر ذى لبد * ومنه مرتبع للشاء والنعم

هم اعظم الناس اقدارا ومقدرة * لكن أبى فضله من دون فضلهم
اذا بدا اطبق التقبيل ساحته * فما على الارض شبر غير ملتثم
فساحة الثغر ثغر اشنب رتل * مفلج فهو معشوق بكل فم
كأن ارضك مغناطيس كل فم * فالطبع يجذبها بالطوع والرغم
لما علوت غمرت العالمين ندى * والمزن تعلو فتروي الارض بالديم
ترفقا ومارقأت نعماك عن أحد * بوركت بوركت من عال ومنسجم
مقسم في العلا اليمن يمنته * واليسر يسرته والكل للكرم
ان قال لا فهي آلاء مضاعفة * وان يقل نعما افضت الى نعم
تبدو صرامته في ماء غرته * والماء بعض صفات الصارم الخذم
هو الجرى على مال يجود به * والكر في الجود مثل الكر في البهم
مفرق الجود مقسوم مواهبه * في علية الناس والاوساط والحشم
والغيث ان جاد بالمعروف وزعه * بين الشناخيب والغيطان والاكم
به الى كل شرب للعلا ظمأ * برح ومهما ارتوى من مائه ظمى
ويعتريه الى بذل الاهى نهم * والظرف اجمعه في ذلك النهم
اليك نظمت اجواز الفلاة على * وجناء تهوى انقضاض الجارح القرم
كأنما البيد من دامى مناسمها * مصاحف كتبت اعشارها بدم
اخفافها اشكالات كل مشكلة * بحمرة معجمات كل منعجم
وادهم واضح الاوضاح مشترك * بين النهار وبين الليل منقسم
للضوء ارساغه الاحوافره * فانه من مع الجلباب للظلم
محلولك علق التحجيل اكرعه * كما تعلق بدؤ النار بالفحم
جرى فعلى محيا الصبح غرته * لما ومسح بالارساغ والحذم
اضحى لهذلك ثغر الثغر مبتسما * وكان قبل عبوسا غير مبتسم
ما ينقم الثغر الا ان محوت به * ليلا من الظلم كانوا منه في ظلم
عففت عنهم فزادوا عفة وتقى * فهم من الامن والايمان في حرم
قد عظم الله املا كاملكت بها * بني عقيل وما يحوون من نعم

لولم يحزها الباه مرالما وجدت * كفؤا يشا كل في أصل ولا كرم
لو تطلب الشمس غير البدر ما اتصلت * بمثله في سناء القدر والعظم
زادت الى عزها عزا بها مضر * ورب ما صيدت العلياء بالحرم
يمسون الفايغطي البر جمعهم * بموج بحر من الماذي ملتطم
من كل من يتاقي وجه زائره * بكوكب كهلال الفطر ملتثم
يجزبون على مخبورة غنيت * عن الاعنة واستغنوا عن الحزم
لها هل الخيل من تحت الرماح بهم * كما تراه رغاب الأسد في الاجم
قوم يرون احتضار العمر مكرمة * فليس تقضي بهم سن الى هرم
ونغمة السيف أحلى نغمة خلقت * اذا ترنم بعد البيض في اللمم
والعيش في لف افراس مكلمة * بمثلهن وفرسان بمثلهم
اذا الاسنة في الهيجاء ألسنة * يعربن عن كل مقدام ومنهزم
محمرة من دم الابطال أنصلهم * كانما نصلوا الارماح بالعنم
قد كنت انكر شعري حين حاوله * مني وحاشاك املاك بلا همم
لا يأملون لنقص البخل وهو بهم * مبرح كيف للاموات بالالم
خير المناقب ما كان البيان له * سلكا ونصل بالامثال والحكم
رب كل من بخلت كفاه من ملك * فاكثر الناس خزان لغيرهم
ذوا الجود يورث في محياه أنعمه * والنكس يورث بعد الموت والعدم
وقيمة المرء ما جادت به يده * وقدرك الانفس الاعلى من القيم
والفضل اشياء شتى أنت جملتها * وصيغة أنت معناها فدم يدم

بين القصيدتين بون بعيد والشاعر واحد فما كل حين يجود الطبع بما تهوى النفوس وما أردأ تشبيهه وهو عنه في غنية في قوله كانما البيد من دامي مناسمها البيت فانه جمع الى سوء الادب كونه صورة اختراعية ليس لها في الخارج واقع اذ ليس من المعهود ان تكتب اعشار المصاحف بالدم و بعد فليس في القصيدة غير أبيات وانما أوردتهما لتعرف ما اشرنا اليه من تفاوت القول حتى على الشاعر الواحد فلا نغتر بشهرة المشهور ولكن تحكم معرفتك وعرضك بتجده على ما تقرر من القوانين التي بموافقتها ومخالفتها يردأ القول ويجود وهذا وليس يقصر عن درجة هؤلاء خاتمة هذه الطبقة القاضي ناصح

الدين أحمد الارجاني وكان مكثرا حتى قيل انه كان فرض على نفسه ان يقول كل يوم ولو أربعة أبيات لكن المدون من شعره قليل وهذا مثاله قال يمدح الامام المسترشد بالله

كانك بالاحباب قد جددوا العهدا * وانجزت الايام من وصلهم وعدا
وعادوا الى ماعوّدونا فاصبحوا * وقد انعمت نعم وقد اسعدت سعدا
امانى لاتدنى نوى غير أنها * تعلل منا انفسا ملئت وجدا
وجمرة شوق كلما الام لاثم * وردد من انفاسه زادها وقدا
أحن الى ليلى على قرب دارها * حنين الذى يشكو لا"لافه بعدا
ولى سلك جسم ملؤه درّ أدمع * فلولا العدى امسيت فى جيدها عقدا
اكتم جهدى حبها وهو قاتلى * وكامن نار الزند لايحرق الزندا
هلالية قوما و بعد منازل * فهل من سنامنها الى مقلة يهدى
غزالية للناظرين اذا بدت * ان انتقبت عينا وان سفرت خدا
اذا زرتها جرّ الرماح فوارس * اتقصيدها فيمن يروم لها قصدا
وحالوا باطراف القنا دون ثغرها * كانار يحمى النحل بالابر الشهدا
وآخر عهدى يوم جرعاء مالك * بمنعرج الوادى واظعانهم تحدا
ولما دنت والستر منى ودونها * غيارى غدت تغلى صدورهم حقدا
تقدمت ابغى ان ايع بنظرة * الى سجفها روحى لقد رخصت جدا
أسفت على ماضى عهود احبتى * وهل يملك المحزون للفائت الردّا
ابوا أن يبيت الصب الا معذبا * اذا بعدوا شوقا وان قربوا صدّا
متى وردوا بى منهلا من وصالهم * قضى هجرهم ان يسبق الصدر الوردا
فكم حادبى ان لم أنل منهم منى * وكم عادبى ان لم اجد منهم بدا
وما فاتنى الا لواحظ شادن * من الراعيات القلب لا البان والرندا
عجبت لليلى وهى جدّ فروقة * وقد صرعت يوم اللقا فارسا نجدا
كان معاج العيس من بطن وجرة * وقد طففت تصطاد غزلانه الاسدا
اظلته ايام الامام بعدله * فلم يخش ريم أحور أسدا وردا
بحق اليه الله القى أمورنا * والله أوفى ناقد للورى نقدا

فقد زين الدنيا بآثار كفه * سماحا وخلاها الابنائها زهدا

يؤرقه خوف عليهم ليأمنوا * اذا الدهر انحى نحوهم حادثا إدّا

قلوب العدا منه حذارا كقلبه * علينا وعيناه كأعينهم سهدا

اذا ما الهموم المسهرات طرقنه * ضيوفا قراها جمه الجد والجدا

وكالصبح مبيضا له الرأى ينتضى * اذا ما اظل الخطب كالليل مسودا

يسترشد بالله مستخلف له * ما يلك يريك الله طاعته رشدا

يحول حجاب العزدون لقائه * وان كان لا يعيا على طالب رفدا

وتنهى العيون الشمس عنها اذا اعتلت * بهورا وان كانت بانوارها تهدا

فدم للعلا يا خير من مطر الورى * نوالا فلم نعرف له فى الندى ندا

وأنت الذى قد ضمه البرد من تقى * ومن كرم من قبل ان يرث البردا

ووليت من ملك القضيب شبيه ما * تولاه من كان المشير به جدا

وما هو الأمر أمته الذى * اليك انتهى اذ كنت من بينها فردا

سرائر لله انطوت فى امائر * أولوا العلم قد كانت الى فهمها اهدى

اذا لحتها فطنة عربية * غدت ألسنا عند الحجاج لكم لدا

ألم تران ابنى نزار تملكا * له القبة الحمراء والفرس النهدا

وكان لهذا بالسيادة حجة * وهذا يقود الخيل نحو الوغى جردا

دليلا لان كل منهما بوضوحه * لك الله رب العرش اهدى الذى أهدى

فحبك لا حب اعتياد وانما * بذلك علينا الله قد أخذ العهدا

وما ان نرى اجرا على الله واجبا * لمسعى رسول الله الالك الودا

بكم آل عباس يعاذ ومنكم * يعاد لنا جزل العطاء كما يبدا

وأنتم شفعتم للحيا عند حبسه * فاطلقتموه حائزين له حمدا

فهل غيركم من آل بيت مكارم * اذا افتخروا كان الغمام لهم عبدا

لكم سن فى الارض الخلافة آدم * ومن أجلكم لم ييأس اذ فارق الخلدا

وفى ناهر ابراهيم كانت خبيئة * اكفكم حتى غدت ناره بردا

ولولا الذى أصبحتم خلفاءه * لما كان من كون معاد ولا مبدا

ولم تخلفوا حتى غدا غاية التى * تناهت فما عنها الذى نهية مغدا

تركت بنى الالحاد فى كل موطن * وقد هدّ سيف الله بنيانهم هدّا
هم خلطوا الاسلام باكفر خلطة * فصيرت حد السيف بينهم الحدّا
اذا الكف أبدت باغتصاب اشارة * الى حقك الموروث لم تصحب الزندا
اذا رأس طاغ مال عنك جهالة * أبى حينه الا القناة له قدّا
وما ارتد منصاز فرد بذلة * الى الدين الا مرهفة النفس ارتدا
بقيت لدهر لم تدع أهله سدى * ودين جعلت السيف من دونه سدّا
اليك امير المؤمنين سرت بنا * ركائب أدنت من مواقفك الوفدا
لطمن بايديهن خدا من الفلا * على عجل حتى تركن به خدّا
وقد وفد العبد القديم ولاؤه * ليتبع طرفا من مدائحكم تلدا
وما الشعر قاض واجبا من حقوقكم * لدىّ ولكن من مقل غدا جهدا
ولولا مناهى دين جود شرعته * عممت بنات الفكر من أنف وأدا
فداك نفسى فى العبيد من الردى * فمثلى من يفدى ومثلك من يفدى
بقاءك أرجو الله ربى وظله * على الخلق طرا ان يديمهما مدّا
تصوم على يمن وتفطر دائما * وتطلع فى افق العلا أبدا سعدا
وتبقى الى ان تبلى الدهر خالدا * ولا شرف للسيف ان يبلى الغمدا

الطبقة الثالثة اشهر اهلها محمد بن نباتة المصرى ومصريه عبد العزيز بن سرايا الحلى فلنقتصر فى التمثيل على ما نورده لهما قال ابن نباتة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولامعة برق بالغضا تتسعر
وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر
سقا الله اكناف الغضا سيل الحيا * وان كنت أسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضا عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فيا اسفى والشيب كالصبح يسفر
يعاتبنى تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبى حسرة حين أحسر
ألا فى سبيل الله صوم عن الصبا * وقلب على عهد الحسان مفطر

تذكرت أوطان الوصال فاشهب * من الدمع في ميدان خدي وأحمر
اذا لم تفض عيني العقيق فاذرأت * منازله بالوصل تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتي * فلا عادها عيش بمغناه أخضر
ليالي تجني الحسن في أوجه الدمى * وتجني على أجسامنا حين تنظر
يؤثر في خد المليحة لحظها * وان كان في ميثاقها الايؤثر
اذا حل مبيض المشيب بعارض * فما هو الا للمدامع عطر
كاني لم اتبع صبا وصبابة * خليع عذار حيث ماهمت أعذر
ولم أطرق الحي الخصيب زمانه * يقابلني زهر لديه ومزهر
وغيداء اماجفنها فمؤنث * كليل واما لحظها فمذكر
بروقك جمع الحسن في لحظاتها * على انه بالطرف جمع مكسر
من الغيد تخفيها الظبي بحجابها * ولكنها كالبدر في الماء يظهر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
ولا عيب فيها غير سحر جفونها * واحبب بها سحارة حين تسحر
اذا جردت من بردها فهي عبلة * وان جردت الحاظها فهي عنتر
اذا خطرت في الروض طاب كلاهما * فلم ندر من أزهى واشهى واعطر
خليلي كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للتنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
الى اعين بالماء نضاخة الصفا * اذا سد منها منخر جاش منخر
ندامای من خود وراح وقينة * ثلاث نفوص كاعبات ومعصر
قضيت لبانات الشبيبة والهوى * وطولت حتى آن أني مقصر
ورب طموح العزم ادماه جسرة * يظل بها عزمي على البيد يجسر
طوت بذراعي وخدها شقة الفلا * وكف الثريا في دجى الليل تشبر
بصم الحصا ترمي الحداة كانما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ماحروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس اسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * بوشك السرى حرف لدى البيد مضمر

حطت بنا أرض الشآم الى حمى * به روضة ريا الجناب ومنبر
الى حرم الامن المنيع جواره * اذا ظلت الاصوات بالروع تجأر
الى من هو التبر الخلاص لناقد * غداة الثنا والصفوة المتخير
نبي أتم الله صورة فخره * وآدم في فخارة يتصور
نظيم العلا والافق ما مد طرسه * ولا فقر الزهر الكواكب تنثر
ولا لعصا الجوزاء في الشهب آية * وبحر الدجى من تحتها يتفجر
نبي له مجد قديم وسودد * هميم واخبار تجل وتخبر
تحزم جبريل لخدمة وحيه * واقبل عيسى بالبشارة يجهر
فمن ذا يضاهيه وجبريل خادم * لمقدمه العالى وعيسى مبشر
تهاوت لما أتاه النجوم كأنها * تشافه بالخد الثرى وتعفر
وينضب هام من بحيرة ساوة * ولم لا وقد فاقت بكفيه أبحر
نبي له الحوضان هذى أصابع * تفيض وهذا في القيامة كوثر
وعن جاهه الناران هذى بفارس * تبوخ وهذى في غد حين نحشر
اذا ما تشفعنا به كف غيظها * وقالت عبارات الصراط لنا اعبروا
تنقل نورا بين اصلاب سادة * فلله منه في سماء الفضل نير
ومن أجله جيء الذبيحان بالفدا * وصين دم بين الدماء مطهر
ولما أراد الله اظهار دينه * بدا قمرا والشرك كالليل يكفر
بخلى الدجى واستوثق الدين واضحا * واقام بنصر الله داع مظفر
عزائم من لا يختشى يوم غزوه * ردا وعطا من ليس للفقر يحذر
علا عن محاكاة الغمام لفضله * وكيف يحاكيه الخديم المسخر
يظلله وقت المسير وتارة * يشير اليها بالبنان فتمطر
المنزان القطر في الغيم فارس * اذا برزت الاؤه يتعطر
هو البحر فياض الموارد للورى * ولكنه العذب الذى لا يتكدر
فمن لى بلفظ جوهرى قصائدا * ينظم حتى يمدح البحر جوهر
وهيهات ان نحص بتقرير مادح * مناقب في الذكر الحكيم تقرر

اذا شعراء الذكر قامت بمدحه * فما قدر ما تنشى الانام وتشعر
نبى زكا أصلا وفرعا وأقبلت * اليه أصول فى الثرى تتجرر
وخاطبه وحش المهامه آنسا * اليه وما عن ذلك الحسن ينفر
له راحة فيها على البأس والندا * دلائل حتى فى الجماد تؤثر
فبينا العصا فيها وربق قضيبها * اذا هو مشحوذ الغرارين ابتر
كذا فالتسكن فى شكرها وصفاتها * يدب بين أوصاف النبيين تشكر
مضت ومحت شكوى قتادة فاغتدت * بها العين تجرى أو بها العين تبصر
لعمرى لقد سارت صفات محمد * كذاك النجوم الزاهرات تسير
أرى معجز الرسل انطوى بانطوائهم * ومعجزه حتى القيامة ينشر
كبير فخار الذكر فى الخلق كلما * تلا قارئ أو قال الله أكبر
هو المرتقى السبع الطباق الى مدى * لجبريل عنه موقف متأخر
هو الثابت العلياء على كل مرسل * بحيث له فى حضرة القدس محضر
هو المصطفى والمقتفى لا مناره * تحط ولا انواره تتكدر
اليك رسول الله مدت مطالبى * على انها اضحت على الفوز تقصر
خلقت شفيعا للانام مشفعا * فرجواك فى الدارين أجدى واجدر
ولى حالتا دنيا وأخرى أراهما * يمر ان بى فى عيشه تتمرر
حياة ولكن بين ذل وغربة * فلا العز يستحلى ولا البين يغتفر
وعزم الى الاخرى يهم نهوضه * ولكنه بالذنب كالظهر موقر
تصبرت فى هذا وذلك كاننى * من العجز والبوسى قتيل مصبر
وها أنا قد أبلغت عذرى قاصدا * وأيقنت ان النجح لا يتعذر
عليك صلاة الله فى كل منزل * يعبر عن غرس الجنان ويعبر
وآلك والصحب الذين عليهم * تحل حبا مدح وتعقد خنصر
بجاهك عند الله أقبلت لائذا * وتكبر حاجاتى وجاهك أكبر
ونظمت شعرى فيك يزهى قصيدة * على كل بيت لى من الشعر يعمر
معظمة المعنى يسكر لفظها * فيحلو لنا منها الكلام المكرر

دنت من صفات الفضل منك فانها * لتفضل ما أبداه طيّ ونشر
وماضرها اذ كان نشر نسيمها * رخاء اذا مالم يكن فيه صرصر

ينبغي لك أيها الطالب الراغب في معرفة جودة الصناعة الشعرية ان تكرر النظر في هذا الشعر وتتأمله بيتا بيتا حتى تقف على ما أسكن كلا منها من أنواع البديع وحسبك شاهدا على براعة الاستهلال ومما ينبغي ان يصدّر به المديح النبوى من النسيب فانه بدأ الكلام بقوله صحا القلب وهي عبارة عربية ابتدأ بها زهير قصائده وغيره فهي تصرف خيالك الى العرب وتشعر انه يريد القول في تلك الناحية ثم خرج عن هذه الاشارة الخفية الى ما هو أوضح منها فذكر النسمة ولمعة البرق والغضا ثم مضى في ذكر الاماكن الحجازية على طريقة الغرام حتى تخلص الى المدح ومن بديع شعره قصيدته التي جمع فيها بين تهنئة ملك وتعزيته بابيه وان كان قد سبق به كما عرفت ولكنه قد أجاد الاتباع وأحسن ما شاء وهي هذه

هناء محى ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
ترد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى
سقى الغيث عنا تربة الملك الذى * تدانت له الدنيا وعز به الحمى
ملم يكن هذا قد هوى لضريحه * برغمى وهذا صانه الله قد سما
ودوحة فضل شاد وى تكافأت * فغصن ذوى منها وآخر قد نما
فقدنا لاعناق البرية مالكا * وثم لنا الانواع الجيـــــل متمما
اذا الافضل الملك اعتبرت مقامه * وجدت زمان الملك قد عاد مثل ما
أعاد معالى البيت حتى حسبته * بوزن الثنا والحمد بيتا منظما
وناداه ملك قد تقادم ارثه * فقام كما ترضى العلا وتقدما
تقابل منه مقلة الدهر سوددا * صميما وينضو الرأى عضبا مصمما
ويقسم فينا كل سهم من الندا * ويبعث للاعداء في الروع اسهما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى * به ضيغم أنشى له الدهر ضيغما
كأن عماد البيت غير مقوض * وقد قمت ياأزكى الانام وأحزما

بهضت

نهضت فناقلنها سيادة معشر * تداعت ولا بنيان قوم تهدما
اما والذي أعطاك ما أنت أهله * لقد شاد في علياك ركنا معظما
وقد أنشر الاسلاف بالخلف الذي * تمكن في علياته وتحكما
وان تك أوقات المؤيد قد خلت * فقد جددت علياك وقتا وموسما
عليه سلام الله ماذر شارق * ورحمته ماشاء أن يترحما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وابقاك بحرا بالمواهب مفعما
لك الله ما أبهى وابهر طلعة * وأشرف اخلاقا وافضل منتما
بك انبسطت فينا التهاني وانشأت * ربيع الهنا حتى نسينا المحرما
وباسمك في الدنيا استقرت محاسن * يقر سناها الناظر المتوسما
نوال كما يسرى السحاب مطبقا * وبأس كما يمضى القضاء محتما
وفضل به الالفاظ للعجز أخرست * وعزبه قلب الحسود تكلما
اعدت حياة المقترين وقد عفت * فانت ابن أيوب والا ابن مريما
اذا الغيث صلى خلف جدوالثرا كعا * ثنت عزمه للاعتراف فسلما
يراعك يوم السلم ينهل ديمة * وسيفك يوم الحرب ينهل في الدما
وذي كرندا كفيك بدنى من الغنا * ولثم ثرى نعليك يروى من الظما
لك الملك ارثا وا كتسابا فقد غدا * كلا طرفيه في السيادة معلما
ومثلاك اما اللسر يرمنعما * يثوب واما الجواد مطهما
ولما عقدنا باسم علياك خنصرا * راينا من التحقيق ان نختما
أيا ملكا قد أنجد الناس غزمه * فانجد مدح الناس فيه واتهما
سبقت لك المداح قدما وبادرت * يداكلمى فاستلزمت منك ملزما
ليالى أنشى في ابيك مدائحا * وفيك وأروى مسند الفضل عنكما
وأغدو بانواع الجميل مطوقا * فاسجع في أوصافه مترنما
واستوطع العلياء فيك فراسة * بملكك لا أعطى عليها منجما
فعش للورى واسلم سعيدا مهنأ * لحفظ الورى في ان تعيش وتسلما
وسر في امان الله واقدم بفضله * أسر الورى مسرى وايمن مقدما

أعدت زمان البشر والجود والثنا * الى ان ملأت العين والكف والفما

فى قوله فقد نالاعناق البيت تابع بمالك ومتمم ابنى نويرة السابق ذكرهما وقوله ولا بنيان قوم تهدما اى كما قال الاول ومنه ضمن

عليك سلام الله قيس ابن عاصم * ورحمته ما شاء ان يترحما

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

ومن جيد شعر الصفى وديوانه كبير قسمه اثنى عشر بابا فى أجناس المعانى وكله مفيد وميله للمعنى أكثر من ميله للفظ على انه شديد الملاحظة للبديع قصيدته التى يمدح بها الناصر محمد ابن قلاوون أحد ملوك الديار المصرية وعارض بها قصيدة لابى الطيب وقد اقترح عليه أهل الديوان ذلك ومطلع قصيدة ابى الطيب المعارضة

بابى الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا

وقد ضمن الصفى صدر المطلع دلالة على المعارضة وهذه قصيدة الصفى

اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

وجلون فى صبح الوجوه اشعة * غادرن فود الليل منها شائبا

بيض دعاهن الغبى كواعبا * ولو استبان الرشد قال كواكبا

وربائب فاذا رأيت نفارها * من بسط أنسك خلتهن ربار با

سفهن رأى المانوية عندما * اسبلن من ظلم الشعور غياهبا

وسفرن لى فرأين شخصا حاضرا * شدهت بصيرته وقلبا غائبا

أشرقن فى حلل كأن اديمها * شفق تدرعه الشموس جلاببا

وغربن فى كالل فقلت لصاحبى * بابى الشموس الجانحات غواربا

ومعربد اللحظات يثنى عطفه * فيخال من مرح الشبيبة شاربا

حلو التعتب والدلال يروقه * عتبى ولست أراه الا عاتبا

عاتبته فتضرجت وجناته * وازور الحاظا وقطب حاجبا

فاذابنى الحد الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ذو منظر تغدو القلوب لحسنه * نهبا وان منح العيون مواهبا

لابدع ان وهب النواظر حظوة * من نوره ودعا قلبى ناهبا

فواهب السلطان قد كست الورى * نعما وندعوه القساور سالبا
الناصر الملك الذى خضعت له * صيد الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة * ويعد راحات الفراغ متاعبا
بمكارم تذر السباسب أبحرا * وعزائم تدع البحار سباسبا
لم تخل أرض من ثناه ولو خلت * من ذكره ملئت قنا وقواضبا
ترجى مواهبه ويرهب بطشه * مثل الزمان مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة * واذا سخا ملأ الاكف مواهبا
كالغيث يبعث من عطاه وابلا * سبطا ويرسل من سطاه حاصبا
كالليث يحمى غابه بزئيره * طورا وينشب فى القنيص مخالبا
كالسيف يبدى للنواظر منظرا * طلقا ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل يحمد منه عذب واصل * ويعده قوم عذابا واصبا
كالبحر يهدى للنفوس نفائسا * منه ويبدى للعيون عجائبا
فاذا نظرت ندى يديه ورأيه * لم تلق الا صيبا او صائبا
ابقى قلاوون الفخار لولده * ارثا وفازوا بالثناء مكاسبا
قوم اذا سئموا الصوافن صيروا * للمجد اخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا * فكانهم حسبوا العداة حبائبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا * واللدن قدا والقسى حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له * شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهمة * تذر الاجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الامان فمن رأى * ملكا يكون له الزمان مواهبا
قرأوا خطابا كان خطبا فادحا * لهم وكتبا كن قبل كتائبا
وحرست ملكك من رجيم مارد * بصوارم ان صلت كن كواكبا
حتى اذا خطف المكافح خطفة * اتبعته منها شهابا ثاقبا
لا ينفع التجريب خصمك بعدما * أفنيت من أفنى الزمان تجاربا
صرمت شمل المارقين بمارق * تبديه مسلوبا فيرجع سالبا

صافى الفرند حكى صباحا باسدا * ابدى الغيم بعشاعاذ اثبا
وكتيبة تذرالصهيل رواعدا * والبيض برقا والعجاج سحائبا
حتى اذا زمج الجلاد حدت لها * مطرت فكان الوبل نبلا صائبا
بذوابل ملس يخلن اراقما * وشوازب جرد يخلن عقاربا
تطأ الصدور من الصدور كأنما * تعتاض من وطء التراب ترائبا
فاقمت تقسم للوحوش وظائفا * فيها وتصنع للنسور ماً دبا
وجعلت هامات الكماة منابرا * واقمت حد السيف فيها خاطبا
يا راكب الخطر الجليل وقوله * فخر بجدك لا عدمت الراكبا
صيرت أسعاز السماح بواكرا * وجعلت أيام الكفاح غياهبا
وبذلت للمداح صفوخلائق * لوأنها للبحر طاب مشاربا
فرأوك فى جنب النضار مفرطا * وعلى صلاتك والصلات مواظبا
ان يحرس الناس النضار بحاجب * كان السماح لاين مالك حاجبا
لم يملؤا فيك البيوت غرائبا * الاوقد ملؤا البيوت رغائبا
أوليتنى قبل المديح عناية * وملأت عينى هيبة ومواهبا
ورفعت قدرى فى الانام وقد رأوا * مثلى لمثلك خاطبا ومخاطبا
فى مجلس ساوى الخلائق فى الندا * وترتبت فيه الملوك مراتبا
وافيته فى الفلك اسعى جالسا * فخرا على من جاء يمشى راكبا
فاقمت أنفذ فى الزمان أوامرا * منى وأنشب فى الخطوب مخالبا
وسقتنى الدنيا غداة وردته * صفوا وما مطرت على مصائبا

أى كما مطرت المعارض حيث يقول اظمتنى الدنيا وكان ذلك بسبب تعرفه اذا قرأت شرح قصيدة أبى الطيب

فطفقت املأ من ثناءك وشعره * حقبا واملأ من نداك حقائبا
أثنى فتثنينى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لوأن اعضائى جميعا ألسن * تثنى عليك لما قضيت الواجبا

وله فى باب الآداب والحكم حسان مقاطيع يحسن بالطالب حفظها منها قوله

صاحب

صاحب اذا ماصحبت ذا أدب * مهذبا زان خلقه الخلق
ولا تصاحب من فى طبائعه * شر فان الطباع تسترق

أى كما يقول الناس الطبع لص وفى الشعر القديم

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفى الحديث الشريف كل امرئ يحشر على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل
ومنها قوله

اقلل المزح فى الكلام احترازا * فبافراطه الدماء تراق
قلة السم لا تضر وقد يقتل من فرط أكله الدرياق

الدرياق مركب يعطى من أصابه سم ليبرأ وقد قيل قليل الضار خير من كثير النافع
والافراط كما عرفت فى أكثر الاشياء ذميم وقوله

عوّد لسانك قول الخير تحظ به * من زلة اللفظ بل من زلة القدم
احرس كلامك من خلل تنادمه * ان النديم لمشتق من الندم

وقوله

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن * عجلا بنطقك قبل ما تتفهم
لم تعط من أذنيك نطقا واحدا * الا لتسمع ضعف ما تتكلم

وقوله

ان الغنى لشهاب كلما اعتكرت * دجى الخطوب جلا منها حنادسها
لا تنفع الخمسة الاسماء محدقة * لديك الا اذا ما كان سادسها

أى الغنى فلا ينفعك أب شريف وأخ عظيم واحماء كرام ومنطاق كما يكون وكلما يتعلق
بك من الاشياء الا اذا كان الغنى لها قرينا رزقنا الله الغنى وجعلنا من الشاكرين
وقوله

تأمل اذا ما كتبت الكتاب * سطورك من بعد احكامها
وهذب عبارة طرز الكلا * م واستوف سائر اقسامها
فقد قيل ان عقول الرجا * ل تحت أسنة أقلامها

(الجهة الثانية فى امور كلية)

يتعين على مريد الصناعة التمكن من معرفتها واعتبارها ليأتى بها على وجهها واوردها أبو العباس احمد القلقشندى فى كتابه صبح الاعشا وسماها اصولا يعتمدها الكاتب فى المكاتبات وهى عشرة

الاصل الاول حسن الافتتاح المطلوب فى سائر أنواع الكلام من نثر ونظم مما يوجب التحسين ليكون داعية لاستماع ما بعده ويرجع حسن الافتتاح فى المكاتبة الى معنيين المعنى الاول ان يكون الحسن فيه راجعا الى المبتدأ به اما الافتتاح بالحمد لله كما فى بعض المكاتبات لان النفوس تتشوق الى الثناء على الله تعالى أو بالسلام الذى جعله الشارع مفتتح الخطاب أو نحو ذلك واما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب اليه من تقبيل الارض او اليد او الدعاء له أو غير ذلك فان أمر المكاتبات مبنى على التملق واستجلاب الخواطر وتألف القلوب الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن فى الابتداآت المعنى الثانى ان يكون الحسن فيه راجعا الى ما يوجب التحسين من سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى وتجنب الحشو وغير ذلك كما كتب الاستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه الى من عصى عليه مفتتحا كتابه بقوله كتابى اليك وانا متردد بين طمع فيك و ياس منك واقبال عليك واعراض عنك فانك تدل بسابق خدمة أيسرها يوجب رعاية و يقتضى محافظة وعناية ثم تشفعها بحادث غلول وخيانة وتتبعها بخلاف ومعصية ادنى ذلك يحبط أعمالك و يسقط كل ما يرعى لك وكما كتب أبو جعفر بن برد الاندلسى عن ملكه الى من عصى ثم عاد الى الطاعة (اما بعد) فان الغلبة لنا والظهور عليك جلباك الينا على قدمك دون عهد ولا عقد يمنعان من اراقة دمك ولكنا لما وهب الله لنا من الاشراف على سرائر الرياسة والحفظ لشرائع السياسة تأملنا من ساس جهتك قبلنا فوجدنا يد سياسته خرقاء وعين حزامته عوراء وقدم مداراته شلاء لانه مال عن ترغيبك فلم ترجه وعن ترهيبك فلم تخشه فادتك جانحتك الى طلاب المطاعم الدنيه وقلة مهابتك الى التهالك على المعاصى الوبيه (الاصل الثانى) براعة الاستهلال المطلوبة فى كل فن من فنون الكلام بان يأتى فى صدر المكاتبة بما يدل على عجزها فان كان الكتاب بفتح أتى فى اوله بما يدل على التهنئة أو بتعزية أتى فى اوله بما يدل على

التعزية

التعزية أو فى غير ذلك من المعانى أتى فى أوّله بما يدل عليه ليعلم من مبدء الكلام ما المراد كما يحكى ان عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب الى الخليفة كتابا يعرفه فيه ان بقرة ولدت عجلا وجهه وجه انسان فكتب أما بعد حمد الله خالق الانام فى بطون الانعام وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ويرون تركه اخلالا بالصنعة ونقصا فى الكتابة حتى ان الوزير ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر قد عاب ابا اسحاق الصابى على جلالة قدره فى الكتابة واعترافه له بالتقدم فى الصناعة بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال فى اوله الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلىّ المجيد الذى لا يوصف الا بسلب الصفات ولا ينعت الا برفع النعوت الازلى بلا ابتداء الابدى بلا انتهاء القديم لا الى امد محدود الدائم لا الى أجل معدود الفاعل لا من مادة امتدّها الصانع لا بآلة استعملها الذى لا تدركه الاعين بالحاظها ولا تحدّه الالسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ولا تجاريه اقدام النظراء والاشكال ولا تزاحمه مناكب القرناء والامثال بل هو الصمد الذى لا كفؤ له والفرد الذى لا قوم معه والحى الذى لا تخترمه المنون والقيوم الذى لا تشغله الشؤون والقدير الذى لا تؤده المعضلات والخبير الذى لا تعييه المشكلات فقال ان هذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذى افتتحه بها وانما تصلح ان توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب الشامل للجوينى وكتاب الاقتصاد للغزالى وما جرى مجراهما فاما ان توضع فى اول كتاب فتح فلا ثم من المكاتبات ما يعسر معه الاتيان ببراعة الاستهلال فيأتى بها فيما يلى ذلك من الكلام فى مقدمة المكاتبة قبل الخوض فى المقصود ولا يهملها جملة على ان الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله قد ذكر فى كتابه حسن التوسل انه ان عسر عليه براعة الاستهلال أتى بما يقارب المعنى وبكل حال فاذا أتى ببراعة استهلال فى اول مكاتبة استصحبها الى الفراغ من الخطبة ان كان الكتاب مفتتحا بخطبة والا استصحبها الى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتى بيانها ﴿الاصل الثالث﴾ المقدمة التى يلزم ان يأتى بها فى صدر الكتب المشتملة على المقاصد الجليلة تأسيسا لما يأتى به فى مكاتبة مثل ان يأتى فى صدر كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه

وخذلان أعدائه واعزاز الموحدين وقمع الملحدين وفي صدور كتب الفتح بانجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر واظهار دينه على الدين كله وفي صدور كتب جباية الخراج يصدر بحاجة قيام الملك الى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور وتحصين الاعمال وتقوية الرجال ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط فقد قيل انه لا يحسن بالكاتب ان يخلي كلامه وان كان وجيزا من مقدمة يفتتحه بها وان وقعت في حرفين أو ثلاثة ليوفي التاليف حقه قال في مواد البيان وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب من أي نوع من المعاني كالفتوح والتهاني والتعازي والتهادي والاستخبار والاستبطاء والاحماد والاذمام وغيرها ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه وحجة يستظهر بها السلطان لان كل كلام لا بد له من فرش يفرش قبله ليكون منه بمنزلة الاساس من البنيان قال ويرجع في هذه المقدمات الى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تشاكلها ثم قال والطريق في اصابة المرمى في هذه المقدمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والاغراض وان يوضع للامر الخاص مقدمة خاصة وللامر العام مقدمة عامة ولا يطول في موضع الاقتصار ولا يقصر في موضع الايجاز ولا يجعل اغراضها بعيدة المآخذ معتاصة على المتصفح وذلك ان الكاتب ربما قصد اظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه النطق فخرج الى الاملال والاضجار الذي تتبرم منه النفوس وذوو الاخطار الجليلة أما الكتب التي لا تشتمل على المقاصد الجليلة كرقاع التحف والهدايا ونحوها فقد ذكر في مواد البيان أنه لا تجعل لها مقدمة فان ذلك غير جائز ولا واقع موقعه الا ترى انهم استحسنوا قول بعضهم في صدر رقعة مقترنة بتحفة في يوم مهرجان هذا يوم جرت فيه العادة بان تهدي العبيد فيه الى السادة واستظرفوا الكاتب لايجازه وتقريب المآخذ

﴿الأصل الرابع﴾ مواقع الالفاظ الدائرة في الكتب والوادي واحد فيلزم ان يميز موقع كل ليضعه مكانه قال في ذخيرة الكتاب يجب على الكاتب الرئيس ان يعرف مرتبة الالفاظ ومواقعها ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقفه على الواجب وينتهي به الى الصواب فيخاطب كلا في مكاتبته بما يستحقه من الخطاب فانه قبيح به ان يكون خطابه أولا خطاب الرئيس للمرؤس ويتبع ذلك بخطاب المرؤس للرئيس أو يبتدئ بخطاب المرؤس للرئيس ثم

يتبعه

ينبه به خطاب الرئيس للمرؤس قال ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الالفاظ والمناقضة نقصت المعانى ورذلت الالفاظ وسقطت المقاصد وكان الكاتب قد أخل من الصناعة بمعظمها وترك من البلاغة غاية محكمها بل يجب ان بدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرؤس ان يكون ما يتخلل مكاتبته من الالفاظ على اتساق الى آخرها واطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة ثم يحسن ذلك فى معاتبات الاخوان والمداعبات الجارية بين الخلان وفى هذا الاصل يندرج الفرق بين نحو اصدرناهذه المكاتبة أو اصدرناها وبين اصدرت وبين صدرت فاصدرناها اعلى بالنسبة للمكتوب اليه للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذى صدرت المكاتبة عنه اذ الشئ يشرف بشرف متعلقه ويلى ذلك فى الرتبة اصدرت لاقتضائها اصدارا فى الجملة والاصدار لابد له من مصدر وذلك المصدر هو الرئيس الصادرة عنه فى الحقيقة وانما كانت دون الاولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا ودون ذلك فى الرتبة صدرت لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المصدر أصلا والفرق بين ونبدى لعلمه وبين نوضح لعلمه فنبدى لعلمه اعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لان الابداء يرجع فى المعنى الى اظهار شئ خفى والايضاح يرجع الى بيان مشكل وحصول الاشكال المحتاج الى الايضاح ربما دل على بعد فهم المخاطب عن المقصود بخلاف اظهار الخفى فانه لاينتهى الى هذا الحد والفرق بين علمه الكريم وعلمه المبارك فالكريم اعلى من المبارك لان فى الكريم عراقة أصل وشرف قد توجد فى المبارك وقد تتخلف عنه والفرق بين ومرسومنا لفلان بكذا وبين والمرسوم له بكذا فمرسومنا اعلى بالنسبة الى المكتوب عنه لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم بخلاف والمرسوم له فانه عار عن ذلك والفرق بين والمسؤل وبين والمستمد فان المسؤل اعلى بالنسبة الى المكتوب عنه فان المسؤل يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد فانه لايستلزم ذلك والفرق بين بلغنا وبين انهى الى علمنا وبين اتصل بنا فاتصل بنا اعلى من انهى الى علمنا لما فى معنى الاتصال من التلاصق بخلاف الانهاء وانهى الى علمنا أعلى من بلغنا لان البلوغ قد يكون على لسان الآحاد والفرق بين أنهى فلان كذا وبين عرفنا كذا فعرفنا اعلى بالنسبة الى رافع الخبر لان فى التعريف مزية قرب من الرئيس بخلاف الانهاء فانه لا يقتضى ذلك والفرق

بين وردت مكاتبته وبين وردت علينا مكاتبته فوردت علينا اعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة الواردة لتخصيصهما الورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق والفرق بين عرض علينا مكاتبتك وبين وقفنا على مكاتبتك فوقفنا اعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة لأن الوقوف عليها يكون بنفسه والعرض يكون من غيره والفرق بين وشكرت الله تعالى على سلامته وبين وتوالى شكري لله تعالى فتوالى شكري اعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المعروف بالاحتفال والفرق بين ورغبت الى الله تعالى وبين وضرعت الى الله تعالى فضرعت اعلى من رغبت لما في الضراعة من مزيد الابتهال في الطلب بخلاف الرغبة فانها لا تبلغ هذا المبلغ والفرق بين وقابلت أمره بالطاعة وبين وامتثلت أمره بالطاعة فامتثلت أمره أعلى من قابلت أمره لما في الامتثال من معنى الاذعان والانقياد بخلاف المقابلة والفرق بين وشفعت له وبين وسألت فيه فالسؤال أعلى في حق المسؤل من الشفاعة لما في الشفاعة من رفعة المقام المؤدي الى قبول الشفاعة والفرق بين وخاطبت فلانا في أمره وبين وتحدثت في أمره فتحدثت أشد في تواضع المتكلم من خاطبت لان الخطاب من الالفاظ الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدث والفرق بين تشريفي بكذا وبين اسعافي بكذا فالاسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة الى المطلوب بخلاف التشريف واتحافي دون تشريفي لأن الاتحاف قد لا يقتضي تشريفا والفرق بين قوله نزل عنده وبين قوله نزل بساحته فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفسحة والاتساع قالت وربما اوجب اجتناب هذه الكلمة ملاحظة وقوعها في قوله عز ذكره فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين كما ورد عن بعض الصحابة انه سمع الشاما يقول انصرفوا بنا فقال ألم تسمع ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقل انقلبوا بنا لتكون موافقا قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل والفرق بين فيحيط علمه بذلك وبين فيعلم ذلك فيحيط علمه أعلى من يعلم ذلك لان في قوله فيحيط علمه بذلك نسبة الى سعة العلم لما فيه من معنى الاحاطة بخلاف فيعلم ذلك

(الاصل الخامس)

الادعية التي جرت عادة السلف وتبعهم الخلف باستعمالها في المكاتبات والنظر فيها من ستة أوجه (الاول) ان يعرف مراتب الدعاء ليوقعها في مواقعها ويوردها في مواردها

ويأتي

ويأتى ذلك فى عدة أدعية منها الدعاء باطالة البقاء والدعاء باطالة العمر فالدعاء باطالة البقاء أرفع من الدعاء باطالة العمر وذلك ان البقاء لا يدل على مدة تنقضى لانه ضد الفناء والعمر يدل على مدة تنقضى ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر قال فى مواد البيان ومن هنا جعل الدعاء باطالة البقاء اول مراتب الدعاء وخص بالخلفاء وجعل ما يليه لمن دونهم ويتلوه الدعاء بالمد فى العمر فيكون دون الدعاء بالاطالة لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه من حيث ان المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب الى مرتبة البقاء من مرتبة المد ومنها الدعاء بدوام النعمة والدعاء بمضاعفتها فالدعاء بالمضاعفة اعلى لان الدوام غايته استصحاب ماهو عليه والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك ومنها الدعاء بعز الانصار وبعز النصر وبعز النصرة وقد اصطلح كتاب الزمان على ان جعلوا أعلاها الدعاء بعز الانصار لان عز أنصاره عزله بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفعة الشأن اذ الانصار لا تكون الا لملك عظيم او أمير كبير والدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز النصرة لما فى الاول من معنى التذكير وهو أرفع رتبة من التأنيث على انه لو جعل الدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز الانصار لكان له وجه لما فى عز النصر من الغناء عن عز الانصار ومنها الدعاء بعز الاحكام والدعاء بتأييد الاحكام فالدعاء بعز الاحكام أعلى لأن المراد بالتأييد التقوية فقد توجد القوة ولا عز معها وينبغى للكاتب ان يحترز فى تنزيل كل أحد من المكتوب اليهم منزلته فى الدعاء فلا ينقص أحدا عن حقه ولا يزيده فوق حقه فقد قال فى مواد البيان ان الملوك تسمح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة

(الثانى) ان يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب الجليلة من الدعاء فيخصه به فيأتى بالدعاء فى المكاتبة للملوك باطالة البقاء ودوام السلطان وخلود الملك وما أشبه ذلك ويأتى فى المكاتبة الى الامراء بالدعاء بعز الانصار وعز النصر ومضاعفة النعمة ونداومتها وما شاكل ذلك على ان ابن شيث قد ذكر فى معالم الكتابة ان الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان فى الدولة الايوبية مما يختص بالسلطان دون غيره ويأتى فى المكاتبات للوزراء وأرباب الاقلام ومن فى معناهم بالدعاء بسبوغ النعماء وتخليد السعادة ودوام المجد وما يضاهى ذلك ويأتى فى المكاتبات للقضاة والحكام بالدعاء بعز الاحكام وتأييد الاحكام وما يطابق ذلك ويأتى فى المكاتبة

الى التجاز بالدعاء بمزيد الاقبال وخلود السعادة وشبه ذلك ويأتى فى الاخوانيات ومكاتبة النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال بينهم من الود والادلال بحسب مايراه الكاتب ويؤدى اليه اجتهاده قال فى مواد البيان وقد كانوا يختارون فى الدعاء للادباء ابقاك الله واكرمك الله وفى الدعاء للابن والحرمة أبقاك الله وامتع بك اما أهل الكفر فقد اصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء ومافى معناه أما جواز أصل الدعاء لهم فلما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى فقال له جملك الله فما رؤى الشيب فى وجهه حتى مات فدل على جواز الدعاء للكافر بما لاضرر فيه على المسلمين مالم ينضم اليه قوة ونحو ذلك بل ربما كان فى طول بقائه حمل جزية اوغنيمة أو ثواب جهاد ونحو ذلك والثالث ان يعرف ماينا سب كل حالة من حالات المكاتبات فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدعاء قال فى مواد البيان ينبغى ان تكون الادعية دالة على مقاصد الكتاب فان كان فى الهناء اتى بما يناسبه وكذلك الحال فى كل معنى من المعانى التى يكتب فيها من التعزية وشكر النعمة الى غير ذلك فانه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب لاسيما اذا أتى بما يضاد المراد كما حكى أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ان بعضهم كتب الى محبوبته عصمنا الله واياك مما يكره فكتبت اليه ياغليظ الطبع ان استجيب لك لم نلتق ابدا ويختلف الحال فى ذلك باختلاف حال المكاتبات فتارة يكون باعتبار الشئ المكتوب بسببه كما يكتب فى معنى البشارة بجلوس الملك على تخت الملك لازال أمره وامتعه من البشائر بما يتوضح على جبين الصباح بشره ومايترجح على ميزان الكواكب قدره ومايتفتح من أوقات أمن لايختلف فيها زيده وعمره وكما يكتب فى البشرى بفتح ولازالت آيات النصر تتلى عليه من صحف البشائر ونفائس الظفر تجلى على سره فى اسعد طائر وفوائح الفتح تزهى به الاسرة وتزهو بنوره المنابر وكما يكتب فى التهنئة بعافية ولابرح فى برد الصحة رافلا بعزمه وحزمه كافلا والاقبال لجنابه العالى بالهناء بعافية واصلا وتارة يكون باعتبار حال المكتوب اليه التى هو بصددها كما يكتب لمن خرج الى الغزو وحفه بلطفه فلايخيب وهيأله النصر والفتح القريب وجعل على يديه دمار الكفار حتى لايبقى لهم بشدة باسه من السلامة نصيب وكما يكتب الى من خرج الى الصيد وامتعه

بصيودة

بصعوده ويجعل الاقدار من جنوده واراه من مصارع أعدائه لسيوفه وزماحه ما يراه من مصارع صيده ببزاته وفهوده وكما يكتب لمن خرج فى سفر وقضى بقرب رجعته وجعله كالهلال فى مسيره سببا لرفعته وسكن بقدومه أشواق أوليائه واهل محبته وكما يكتب لمن خرج لتخضير البلاد والبس البلاد بقدومه أخضر الاثواب واحله اشرف محل وأخضر جناب وتارة يكون باعتبار وظيفة المكتوب اليه التى هو قائم بها كما يكتب الى كافل المملكة ولازالت كفايته كفالته تزيد على الآمال ويتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال ويكفل ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال وكما يكتب الى قاض ويفصل بين الخصوم باحكامه المسددة واقضيته التى بها قواعد الاسلام ممهدة وابنية الشرع المطهرة واركانه مشيدة وكما يكتب الى متصوف واعاد من بركات تعبداته وانار الليالى بصالح دعواته وتارة يكون باعتبار بلد المكتوب اليه وناحيته كما يكتب الى نائب الشام ولازال النصر حلية أيامه وشامة شامه وغمامة ما يخاف على بلده المخصب من غمامه وكما يكتب الى نائب حلب فى زمن الحروب ولازال يعد ليوم تشيب فيه الولدان ويعدونه كل محارب بين الشهباء والميدان ويهم حلب من حلى أيامه ما لا يفقد معه الا اسم ابن حمدان ونحو ذلك مما ينخرط فى هذا السلك وتارة يكون باعتبار اسم المكتوب اليه ولقبه كما يكتب الى من لقبه سيف الدين ولازال سيفه فى رقاب اعدائه مغمدا وحده يذر كل ملحد ملحدا وكما يكتب الى من لقبه عز الدين ولازال عزه دائما والزمان فى خدمته قائما وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائما وكما يكتب الى من لقبه شمس الدين ولازالت شمس سعادته مشرقة وأغصان فضله بالعوارف مورقة وعيون طوارق الغير عنه فى كل زمن مطرقة وكما يكتب الى من لقبه ناصر الدين ونصر عزائمه وشكر مكارمه ووفر من الحسنات مغانمه الى غير ذلك من الامور التى ستقف على الكثير منها فى الكلام على مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى (الرابع) ان يعرف مواضع الدعاء على المكتوب اليه ومن الذى يصرح بذلك فى المكاتبة اليه وقد ذكر ابن شيث فى معالم الكتابة ان الدعاء فى صدور الكتب كان من عوائد مكاتبة الادنى الى الاعلى مثل وقصم واذل وقهر وحصد وكذلك المماثل والمقارب فاما من الاعلى الى الادنى فلم يكن ذلك معروفا عند المتقدمين لاسيما اذا كان الكتاب عن السلطان ثم قال ولكن قد افلت الحبل فى ذلك الآن قال ولا يقال للادنى

غير كبت عدوه أو ضده أو حاسده خاصة ومنها ان يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه وهو على ضربين (الضرب الاول) ما كرهوه فى المكاتبة الى كل أحد قال فى مواد البيان كانت عادتهم جارية ان يتجنبوا من الادعية مالا محصول له كقولهم جعلنى الله فداك وقدمنى الى السوء دونك لما فى ذلك من التصنع والملق الذى لا يرضاه السلطان لان نفس الداعى لا تسمح باستجابته ويؤيد ماذكره ما كتب به ابن عبد ربه الى بعض أصدقائه جعلت فداك على الصحة والحقيقة لا على مجرى المكاتبة ومذهب العادة قال فى مواد البيان وانما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون ان بقاءهم معذوق ببقاء رؤسائهم وثبات نعمهم مقرون بثبات أيام سلاطينهم لانه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل الانفس دونهم وماذهب اليه من كراهة ذلك قد نقل فى صناعة الكتاب مثله عن مالك بن أنس واحتج له بما روى عن الزبير رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم جعلت فداك فقال له ما تركت اعرابيتك بعد على ان بعضهم قد اجاز ذلك احتجاجا بقوله صلى الله عليه وسلم لبعض من كان يرمى دونه يوم أحد ارم فداك أبى وامى وبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ألا اعلمك كلمات ينفعك الله بهنّ قال نعم جعلنى الله فداك ولم ينكر عليه فلعل انكاره عليه كان لحالة قارنت الدعاء بذلك وفى معنى ذلك كلما يجرى هذا المجرى ونحوه *(الضرب الثانى)* مايختص كراهته بالبعض دون البعض وهو نوعان (النوع الاول) مايختص بالرجال فمن ذلك ماذكره فى مواد البيان انهم كانوا لا يستحسنون الدعاء بالامتاع نحو أمتع الله بك وامتعنى الله بك فى حق الاخوان ومما يحكى فى ذلك ان محمد بن عبد الملك الزيات كتب الى عبد الله بن طاهر فى كتاب وأمتع بك فكتب اليه عبد الله بن طاهر

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك
اتعبت كفيك من مكاتبتى * حسبك مما يزيد فى تعبك
ان جفاء كتاب ذى مقة * يكون فى صدره وأمتع بك

فاجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذرا بقوله

كيف اخون الاخاء يا املى * وكل شئ انال من سببك
ان يك جهل اتاك من قبلى * فعد بفضل علىّ فى ادبك

(النوع

(النوع الثانى) ما يختص بالنساء فقد ذكر أبو جعفر النحاس انه لا يقال فى مكاتبتهن وادام كرامتك ولا واتم نعمته عليك ولكن لديك اما منع الدعاء لهن بالكرامة فلما حكى محمد بن عمر المدائنى ان بعض عمال زبيدة كتب اليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت له على ظهر كتابه اردت ان تدعوا لنا فدعوت علينا فاصلح خطأك فى كتابك والا صرفناك عن جميع أعمالك فادركه القلق وجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكتاب فلا يجد فيه شيأ الى ان عرضه على بعض أهل المعرفة فقال انما كرهت دعاءك فى صدر كتابك بقولك وآدام كرامتك لان كرامة النساء دفنهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات فغير ذلك الحرف من كتابه واعاده اليها فوقعت له على ظهره أحسنت ولا تعد (الخامس) ان يتجنب الخلاف فى الدعاء فى فصول الكتاب ولا يوالى بين دعوتين منه فاما الخلاف فى الدعاء فقال ابو جعفر النحاس هو مثل ان يقول اطال الله بقاء سيدى بلفظ الغيبة ثم يقول بعد ذلك وبلغك أملك بلفظ الخطاب وأما الموالاة بين دعوتين ولا يأتى بهما متعقبتين كأن يقال حرس الله الامير أعزه الله (السادس) أن يتجنب وقوع اللبس فى الدعاء فاذا ذكر الرئيس مع عدوه مثلا لم يدع للرئيس حينئذ فانه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدى أبقاه الله كذا الاحتمل عود الدعاء الى الرئيس والى عدوه

(الاصل السادس) أن يعرف ما يناسب المكتوب اليه من الالقاب فيعطيه حقه منها ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور (أحدها) أن يعرف ما يناسب كل لقب من الالقاب الاصول كالمقام والمقر والجناب والمجلس فى زماننا فيعطى كل أحد من المكتوب اليهم ما يليق به من ذلك فيجعل المقام لا كابر الملوك والمقر لمن دونهم من الملوك وللرتبة العليا من أهل المملكة والجناب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من أهل الدولة والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من أهل الدولة ومجلس الامير لمن دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال (الثانى) أن يعرف ما يناسب كل لقب من الالقاب الاصول من الالقاب والنعوت التابعة لذلك فيتبع كل واحد من الاصول بما يناسبه من الفروع (الثالث) أن يعرف مقدار المكتوب اليه فيوفيه قسطه من الالقاب فى الكثرة والقلة بحسب ما يجرى عليه الاصطلاح فقد ذكر فى معالم الكتابة ان السلطان لا يكثر فى المكاتبة اليه من نعوته بل يقتصر على الاشياء التى

تكون فيه مثل العالم العادل اما غير ذلك فيقع بالقبين المشهورين وهما نعته بالمفرد ونعته المضاف الى الدين وانه في الكتابة عن السلطان كلما زيد في النعوت كان أميز لانها على سبيل التشريف من السلطان ويجعل المضاف الى الدين متوسطا بين الالقاب لا في أولها *(الاصل السابع)* أن يراعى مقاصد المكاتبات فيأتي لكل مقصد بما يناسبه ومدار ذلك على أمرين (الامر الاول) أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ويتخير لكل لفظة ما يشاكلها قال ابن عبد ربه وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى مثل نسأل الله رفع المحذور وصرف المكروه واشباه ذلك وفي موضع ذكر المصيبة انا لله وانا اليه راجعون وفي موضع ذكر النعمة الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا وما شاكل ذلك قال في مواد البيان واذا ذكر البلوى شفعها بالاستعانة بالله تعالى والرجوع اليه فيها ورد الامر الى حوله وقوته قال ابن عبد ربه فان هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقدها ويتحفظ فيها فان الكاتب انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى في موضعه ويعلق كل لفظ على طبقه في المعنى ومما يلتحق بذلك أيضا انه اذا ذكر الرئيس في اثناء المكاتبة دعى له مثل أن يقول عند ذكر السلطان خلد الله ملكه وعند ذكر الامير الكبير عز نصره أو أعز الله تعالى انصاره وعند ذكر الحاكم أيد الله تعالى أحكامه وما أشبه ذلك مما يجرى هذا المجرى (الامر الثاني) أن يتخطى التصريح الى التلويح والاشارة اذا ألجاته الحال الى المكاتبة بما لا يجوز كشفه واظهاره على صراحته مما في ذكره على نصه هتك ستر او في حكايته اطراح مهابة السلطان واسماعه ما يلزم منه اخلال الأدب في حقه كما لو أطلق عدوه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوءه سماعه قال في مواد البيان فيحتاج المنشئ الى استعمال التورية في هذه المواضع والتلطف في العبارة عن هذه المعاني وابرازها في صورة تقتضي توفية حق السلطان في التوقير والاجلال والاعظام والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز اسماره على سمعه وايصال المعنى اليه من غير خيانة في طي ما لا غنى به عن علمه قال وهذا مما لا يستقل به الا المبرز في الصناعة المتصرف في تاليف الكلام وهاك مثالا يرشدك الى معرفة ما ينبغي ان تكتب به اذا مر بك شئ من هذا الباب فالقليل عند من يستعمل فكره يهدى الى الكثير اتفق ان أخر امير المؤمنين المأمون عن الجند اطلاق مرتباتهم مدة طويلة حتى دعاهم ذلك الى الشكوى

والتزيد

والتزيد في الكلام والقدح في السياسة كما يقتضيه وصول الانسان الى سوء المعيشة مع تكليفه شاق العمل فكتب أحد رؤساء كتابه عمرو بن مسعدة يعرفه الحال ويستعطفه على العسكر بصرف مرتباته وهذه صورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلي من اجناده وقواده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تاخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فانه لم يذكر في هذا الكتاب انحراف رأى المامون عن جادة الصواب في قلة الاهتمام بالنظر في أمر العسكر الذي هو أول مهم من مهمات الملك ولم يذكر ما صدر عن العسكر من سوء المقال وتواتر الشكوى وتزيد الكلام وتصريحهم بان هذه الحال ربما اضطرت الى العصيان والخروج عن ربقة الخدمة الجندية للتردد في الآفاق طلبا للمعاش بغير تلك الجهة وانما لمح بذلك تلميحا وذكره الاشياء بذكر اضدادها فالطاعة تذكر المعصية وسلم الكاتب من الجهتين فلم يكن للامير ان ينتقد عليه شيئا ولا للعسكر أن يقولوا انك بلغت حالنا التي اضطرتنا اليها مضايقة المعيشة في كلمات قليلة وفت بالمقصود حق الوفاء ويحكى عن أحمد بن يوسف قال دخلت على المامون وفي يده كتاب لعمرو بن مسعدة وهو في صحن داره يقرؤه المرة بعد المرة ثم التفت الي فقال احسبك مفكرا فيما رأيت قلت نعم وقى الله أمير المؤمنين المكاره قال ليس بمكروه ولكن قرأت كلاما وافق صفة البلاغة للرشيد سمعته يقول البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام ودلالة القليل على الكثير فما كنت أتوهم كلاما يرد على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب وسأقضي حقه وكان ذلك سببا لان أمر بصرف مرتب ثمانية أشهر *(الاصل الثامن)* أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكاتبات من اللسان فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل اليه فهمه من الخطاب قال أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين أول ما ينبغي ان تستعمل في كتابك مكاتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق وستعرف ذلك فيما سننقله من كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى العجم والعرب قال في مواد البيان يجب على الكاتب أن ينتقل في استعمال الالفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين وأوجه الاحوال المتغايرة والاوقات المختلفة ليكون كلامه مشاكلا لكل منها فان أحكام الكلام تتغير بحكم الازمنة والامكنة ومنازل

المخاطبين والمكاتبين ومن هنا ترى ان كتاب بنى أمية استعملوا من ألفاظ العربية الفصلة والمتينة الجزلة مالم يستعمل مثله كتاب الدولة العباسية لان كتاب الدولة الاموية قصدوا ماشا كل زمانهم الذى استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت فى جملة الفضائل التى يثابر على اقتنائها والامكنة التى نزلها ملوكهم من بلاد العرب والرجال الذين كانت الكتب تصدر اليهم واهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر امازمان بنى العباس فان الهمم تقاصرت عما كانت مقبلة على تطلبه فيما تصرم من العلوم المقدم ذكرها وشغلت بغيرها كعلوم الدين ونزل ملوكهم ديار العراق ومايجاورها من بلاد فارس وليس استفاضة لغة العرب فيها باستفاضتها فى أرض الحجاز والشام ومن المعلوم ان القوم الذين كانوا يكاتبون عنهم لايجارون تلك الطبقة فى الفصاحة والمعرفة بدلالة الكلام فانتقل كتابها عن اللفظ المتين الجزل الى اللفظ الرقيق السهل وكذلك انتقل متأخروا الكتاب عن ألفاظ المتقدمين الى ماهو أعذب منها واخف للمعنى المتقدم ذكره قال وحينئذ ينبغى للكاتب ان يراعى هذه الاحوال ويوقع المشاكلة بين مايكتبه وبينها فاذا احتاج الى اصدار كتاب الى ناحية من النواحى فلينظر فى أحوال قاطنيها فان كانوا من الادباء البلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه فليودع كتابه الالفاظ الجزلة التى اذا حليت بها المعانى زادتها فخامة فى القلوب وجلالة فى الصدور وان كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه فليضمن كتابه الالفاظ التى يتساوى سامعوها فى ادراك معانيها فانه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه الى من كاتبه لان الكلام البليغ انما هو موضوع بازاء أفهام البلغاء والفصحاء فاما العوام والحشوة فانما يصل الى افهامهم الكلام العاطل من حلى النظم العارى من كسوة التأليف فيجب على الكاتب ان يستعمل فى مخاطبة من هذه صورته أدنى رتب البلاغة واقربها من افهام العامة والامم الأعجمية اذا كتب ثم قال ان الكتب السلطانية منها كتب الفتوحات والسلامات ونحوها وهى محتملة للالفاظ الفصيحة الجزلة والاطالة القاضية باشباع المعنى ووصوله الى افهام كافة سامعيه من الخاص والعام ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب وهى لا تحتمل اللفظ الفصيح ولا الكلام الوجيز لانها مبنية على تمثيل مايعمل

به وافهام من لا يصل المعنى الى فهمه الا بالبيان الشافى فى العبارة ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه فى الخدمة فيستعمل من الالفاظ المتوسطه ولا يجوز ان يستعمل فيها الفصيحة التى لا تحتمل من تابع فى حق متبوع لما فيه من تعاطى التفاصح على سلطانه وهو غير جائز فى أدب الملوك وكذلك لا يجوز فيه تعاطى الالفاظ المبتذلة الدائرة بين السوقة لما فى ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته اياه بما لا يشبه رتبته وأما الكتب الاخوانيات النافذة فى التهانى والتعازى فانها تحتمل الالفاظ الغريبة القوية الاخذ بمجامع القلوب الواقعة أحسن المواقع من النفوس لانها مبنية على تحسين اللفظ وتزيين النظم واظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه قلت والذى تراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الابواب السلطانية فى زماننا مكاتبات ملوك المغرب كصاحب تونس وصاحب تلمسان وصاحب فاس وصاحب غرناطة من الاندلس وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجرى هذا المجرى ممن تشتمل بلاده على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم الى الابواب السلطانية بخلاف من لاعناية له بذلك كحكام اصاغر البلدان واصحاب اللغات العجمية من الروم والفرنج والسودان ومن فى معناهم فانه يجب خطابهم بالالفاظ الواضحة الا أن يكون فى بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على نهجها فانه ينبغى مكاتبتهم على سنن البلغاء (تنبيه) لم يرد الشيخ فى هذا الكلام السالف باللفظ الفصيح وغيره ما يدل عليه حد الفصاحة المصدّر به فن المعانى فان الفصيح لا يجوز العدول عنه فى خطاب من كان وانما يريد بالفصيح ما لا يدور الا بين خاصة الناس وأهل المعرفة منهم مثلا من اسماء الاسد الغضنفر والضرغام والرأبال وحيدرة واسامة وهى لا يستعملها الا خاصة الناس والعامة انما يستعملون من اسمائه لفظ السبع فهو يريد ذلك بالفصيح وغير الفصيح *(الاصل التاسع)* ان يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب اليه فى الخطاب فيعبر عن كل واحد منهما بما يليق به ويخاطبه المكتوب اليه بما يليق بمقامه فاما المكتوب عنه فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته فيعبر فى الكتب الصادرة عن أبواب الخلافة بامير المؤمنين مثل أن يقال يجرى أمر أمير المؤمنين فى

كذا على كذا وكذا أو عزامير المؤمنين الى فلان بكذا واقتضى رأى أمير المؤمنين كذا وخرج أمر أمير المؤمنين بكذا ونفذ أمر امير المؤمنين الى فلان بكذا وما شاكل ذلك وربما عبر عنه بالسلطان مثل أن يقال فى حق المخالفين وخار بوا عساكر السلطان أو وضعوا اخراج السلطان وما أشبه ذلك وقال ابن شيث ويخاطب بالمواقف المقدسة الشريفة والعتبات العالية ومقر الرحمة ومحل الشرف وذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى التعريف نحوه فقال ويخاطب بالديوان العزيز والمقام الاشرف والجانب الاعلى أو الشريف وبامير المؤمنين مجردة عن سيدنا ومولانا ومرة غير مجردة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة قال وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخضعان عن مخاطبة الخليفة نفسه وتنزيل الخطاب منزلة من يخاطب نفس الديوان والمعنى به ديوان الانشاء اذ الكتب وانواع المخاطبات اليه واردة وعنه صادرة وان كان المكتوب عنه ملكا فقد جرت العادة ان يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال فعلنا كذا وأمرنا بكذا واقتضت آراؤنا الشريفة كذا وبرزت مراسيمنا بكذا ومرسومنا الى فلان ان يتقدم بكذا أو يتقدم أمره بكذا وما أشبه ذلك وذلك ان ملوك الغرب كانوا يجرون على ذلك فى مخاطباتهم فجرت الملوك على سننهم فى ذلك وفى معنى الملوك فى ذلك سائر الرؤساء من الامراء والوزراء والعلماء والكتاب ونحوهم من ذوى الاقدار العلية والاخطار الجليلة والمراتب السنية فى الدين والدنيا ممن يصلح ان يكون آمرا وناهيا اذا كتبوا الى اتباعهم ومأموريهم اذ كانت هذه النون مما يختص بذوى التعظيم دون غيرهم وشاهد ذلك من القرآن العظيم قوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له فى ذلك الاسم وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة الى غير ذلك من الآيات الواردة مورد الاختصاص له كما فى قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها وقوله انا نحن نحيي الموتى وقوله نحن الوارثون وغير ذلك من الآيات قال فى معالم الكتابة وقد أخذ كتاب المغرب هذا مع ولاة أمورهم فى الجمع بالميم فخاطبوا الواحد مخاطبة الجمع مثل أنتم وفعلتم وأمرتم وما أشبه ذلك قلت والامر فى ذلك عندهم مستمر الى الآن وان كان المكتوب عنه مرؤسا بالنسبة الى المكتوب اليه كالتابع ومن فى معناه فقال فى مواد البيان ينبغى ان يتحفظ فى الكتب النافذة عنه عن الاتيان بنون العظمة وغيرها

من الالفاظ التي فيها تعظيم شان المكتوب عنه مثل ان يقول أمرت بكذا أو نهيت عن كذا أو عزت بكذا أو تقدم أمري الى فلان بكذا أو انهي الي كذا أو خرج أمري بكذا وما في معنى ذلك مما لا يخاطب به الا تباع رؤساءهم بل يعدل عن مثل هذه الالفاظ الى ما يؤدي الى معناها مما لا عظمة فيه مثل ان يقول وجدت صواب الرأي كذا ففعلته ورأيت السياسة تقتضي كذا فامضيته وما أشبه ذلك ان كان عرف الكتاب على الخطاب بالتاء والاقال وجد المملوك صواب الرأي كذا ورأي السياسة تقتضي كذا فامضاه وما يجري هذا المجرى وأما المكتوب اليه فقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين ينبغي ان يعرف قدر المكتوب اليه من الرؤساء والنظراء والعلماء والوكلاء ليفرق بين من يكتب اليه أنا أفعل كذا ومن يكتب اليه نحن نفعل كذا فأنا من كلام الاشباه والاخوان ونحن من كلام الملوك ويفرق بين من يكتب اليه فان رأيت و بين من يكتب اليه فرأيك قال في مواد البيان وذلك ان قولهم فان رأيت أن تفعل كذا لفظ النظراء والمساوين بخلاف فرأيك فانه لا يكتب به الى جليل معظم لتضمنه معنى الأمر والتقدير فره رايك على ان الاخفش قد أنكر هذا على الكتاب لان أقل الناس يقول للسلطان انظر في أموري ولفظه لفظ الأمر ومعناه السؤال وذكر مثله في صناعة الكتاب عن النحويين قال في مواد البيان وحجة الكتاب ان المشافهة تحتمل ما لا تحتمله المكاتبة لان المشافهة تكون بما يحضر الانسان ولا يتمكن من تقييده وترتيبه بخلاف المكاتبة فلا عذر لصاحبها في الاخلال بالأدب قال في مواد البيان لا ينبغي ان يكون خطابك لجميع طبقات الناس على صورة واحدة وذلك ان المعاني التي يكتب فيها وان كان كل جنس منها بعينه كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك فانه لا يجوز ان يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ بل ينبغي ان يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته الا ترى انك لو خاطبت سلطانا أو وزيرا بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز ان تبني الكلام على وعظه وتبصيره وارشاده وتذكيره وحضه على الاخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقي الحادثات بالتسليم والرضى وانما الصواب ان تبني الخطاب على انه أعلى شانا وأرفع مكانا وأصح جزما وأرجح حلما من أن يعزى بخلاف المتاخر في الرتبة فانه انما يعزى تنبيها وتذكيرا وتصبيرا

وتعريفا للواجب في تلقي السراء بالشكر والضراء بالصبر ونحو ذلك وكذلك اذا كاتبت رئيسا في معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز أن تأتي بمعناهما في ألفاظهما الخاصة بل يجب أن تعدل عن الشكوى الى ألفاظ الشكر وعن ألفاظ الاستزادة الى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر لتكون قد رتبت كلامك في رتبته واخرجت معناك مخرج من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجز أن تورد ذلك مورد التنبيه على ما أغفله والايقاظ لما اهمله والتعريف من الصواب لما جهله لان ذلك مما لا تحمله الرؤساء من الاتباع ولكن تبني الخطاب على ان السلطان أعلى وأجل رأيا وأصح فكرا وأكثر احاطة بصدور الامور وأعجازها وان آراء خدمه جزء من رأيه وانهم انما يتفرسون مخايل الاصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه والتأدب بادبه والارتياض بسياسته والتنقل في خدمته وانه مما يفرضونه في حكم الاشفاق والاهتمام وما يسبغ عليهم من الانعام المطالعة بما يجري في اوهامهم ويحدث في افكارهم من الامور التي يتخيلون في العمل بها مصلحة للدولة وعمارة المملكة يتصفحه باصابة رأيه التي هي أوفر وأثبت فان استصوبه امضاه وان رأى خلافه ألغاه وكان الاعلى ما يراه الى غير ذلك مما يجري هذا المجرى *(الاصل العاشر)* ان يراعي مواقع آيات القرآن والسجع في الكتب وذكر أبيات الشعر في المكاتبات اما آيات القرآن الكريم فقد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة انها في صدر الكتب قد يذكرها الادنى للاعلى في معنى ما يكتب به مثل قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرا وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن انّ ربنا لغفور شكور الى غير ذلك من الآيات المناسبة للوقائع وان كانت في أثناء الكتب فقد استشهد بها جماعة من الكتاب في خلال كتبهم واما السجع فقد ذكر ابن شيث انه لا يفرق فيه بين كتاب الأعلى للادنى وبالعكس وانه مما يكتب عن السلطان أليق لكن قد ذكر بعض المتأخرين ان الكتابة بالسجع انقص في حق المكتوب اليه وقضيته انه لا يكتب به الا من أعلى لأدنى الا ان الذي جرى عليه مصطلح كتاب الزمان تخصيصه ببعض الكتب دون بعض من الجانبين واما الشعر فيورده حيث يحسن ايراده ويمنعه حيث يحسن منعه فليس كل مكاتبة يحسن فيها ايراد الشعر بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه

والمكتوب

والمكتوب اليه فاما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة اليهم فقد ذكر في مواد البيان انه لا يتمثل فيها بشيء من الشعر اجلالا لهم من شوب العبارة عن عزائمهم وأوامرهم ونواهيهم والاخبار المرفوعة اليهم بما يخالف نمطها ووضعها ولان الشعر صناعة مغايرة لصناعة الترسل وادخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن قلت الذى ذكره عبد الرحيم بن شيث في كتابه معالم الكتابة ومواضع الاصابة انه يجتنب الشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك دون غيرهم وهو معارض لما ذكره في مواد البيان وكأنه في مواد البيان يريد الكتب النافذة عن الملوك الى من دونهم أو من دونهم اليهم اما الملوك والخلفاء اذا كتبوا الى من ضاهاهم في ابهة الملك وقاربهم في علو الرتبة فانه لا يمتنع التمثل بابيات الشعر فيها تطريزا للنثر بالنظم وجمعا بين جنسى الكلام اللذين هما خلاصة مقاصده ومازالت الخلفاء والملوك السالفة يحلون كتبهم الصادرة عنهم الى نظرائهم في علو الرتبة بالابيات الرقيقة الالفاظ البديعة المعانى للاستشهاد على الوقائع المكتوب بسببها كما كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حين تمالأ عليه القوم واجتمعوا على قتله الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه أما بعد فقد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين وطمع فى من يعجزه المدافعة عن نفسه فاقبل الى صديقا كنت أو عدوا

فان كنت ما كولا فكن خير آكل * والا فادركنى ولما أمزق

وكما كتب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى معاوية بن أبى سفيان فى جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع فى الخلافة فقال فى اثناء كتابه وزعمت انى لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية كما حكى العسكرى فى الاوائل ان أهل حمص وثبوا بعاملها فاخرجوه ثم وثبوا بعده بعامل آخر فأمر المتوكل ابراهيم بن عباس ان يكتب اليهم كتابا يحذرهم فيه ويختصر فكتب أما بعد فان أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما يقوم به من زيغ و يلم به من شعث ثلاثا يقدم بعضهن امام بعض فاولاهن ما يستظهر به من عظة وحجة ثم ما يشفع به من تحذير وتنبيه ثم التى لا يقع حسم الداء بغيرها

أناة فان لم تغن عقب بعدها * وعيدا فان لم يجد اجدت عزائمه

وممن كان كثير التمثل بالشعر فى المكاتبات من خلفاء بنى العباس ويصدر اليه المكاتبات كذلك الناصر لدين الله يحكى ان الملك الافضل على ابن السلطان صلاح الدين يوسف صاحب دمشق حين تعصب عليه أخوه الملك العزيز عثمان وعمه الملك العادل أبو بكر كتب الى الناصر لدين الله يستجيشه عليهما كتابا يشير فيه الى مايعتقده الشيعة فى ان الحق فى الخلافة كان لعلى وأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما تقدما عليه اذ كان الناصر يميل الى التشيع وكتب فيه

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الأواخر مالاقى من الأول

فكتب اليه الناصر الجواب عن ذلك وكتب فيه

وافى كتابك يا ابن يوسف ناطقا * بالحق يخبر ان أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فان على الاله حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

وعلى ذلك جرى الملوك القائمون على خلفاء بنى العباس فى مكاتباتهم أيضا كما كتب أبو اسحاق الصابئ عن معز الدولة بن بويه الى عدة الدولة أبى تغلب كتابا يذكر له فيه خلاف قريبين له لم يمكنه مساعدة أحدهما على الآخر واستشهد فيه بقول المتلمس

وما كنت الامثل قاطع كفه * بكف له أخرى فاصبح اجذما

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد * له دركا فى أن يبينا فاحجما

وعلى هذا النهج جرى الحال فى الدولة الايوبية بالديار المصرية كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى ديوان الخلافة ببغداد عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتابا يسلى الخليفة عنه وكان ممن اساء السيرة وأكثر القتل متمثلا بالبيتين المقولين فى أبى حفص الخلال وزير أبى العباس السفاح وكان يعرف بوزير آل محمد

ان المكاره قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا

ان الوزير وزير آل محمد * اودى فمن يشناك كان وزيرا

وكما

وكما كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون الى صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها اليه في ولده الملك الصالح مع تعريضه في امره بان الحروب ما تشغل عنها المصائب في الاولاد مستشهدا فيه بقوله

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ماتمرّ به الوحول

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيرىّ رحمه الله عن الظاهر برقوق صاحب الديار المصرية جوابا لصاحب تونس من بلاد المغرب واستشهد فيه لبلاغة الكتاب الوارد عنه بقوله

وكلام كدمع صب غريب * رق حتى الهواء يكثف عنده

راق لفظا ورق معنى فاضحى * كل سحر من البلاغة عبده

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بنى مرّين وغيرهم كما كتب بعض كتاب السلطان ابو الحسن المرّيني عنه الى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية كتابا يخبره في خلاله ان صاحب بجاية خرج عن طاعته فغزاه وأوقع به وبجيوشه حتى قمعه مستشهدا فيه بقول القائل

ان عادت العقرب عدنا لها * وكانت النعل لها حاضره

الى غير ذلك من المكاتبات الملوكية التى لا تحصى كثرة بل ربما وقع التمثل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك الى من دونهم وبالعكس كما حكى العسكرى في الاوائل ان رافعا رفع كتابا الى الرشيد وكتب في أسفله

اذا جئت عارا أورضيت بذلة * فنفسى على نفسى من الكلب أهون

فكتب اليه الرشيد كتابا وكتب في أسفله

ورفعك نفسا طالبا فوق قدرها * يسوق لك الحتف المعجل والذلا

وبالجملة فمذاهب الناس في التمثل بالشعر في المكاتبات الملوكية مختلفة ومقاصدهم متباينة بحسب الاغراض ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن نباتة هذه المسئلة في جملة سؤالاته التى سأل عنها كتاب الانشاء بدمشق مخاطبا بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وهو يومئذ صاحب ديوان الانشاء بها فقال ومن كره الاستشهاد في مكاتبة الملوك بالاشعار وكيف تركها على ما فيها من الآثار اما المكاتبات الاخوانيات بالتهانى

والتهازى والتزاور والتهادى والمداعبات وسائر أنواع الرقاع فى فنون المكاتبات فقد قال فى مواد البيان انه يجوز أن تودع أبيات الشعر على سبيل التمثل وعلى سبيل الاختراع محتجا بأن الصدر الاول كانوا يستعملون ذلك فى هذه المواضع وهذا الذى ذكره لاخفاء فيه وكتب الرسائل المدونة من كلام المتقدمين والمتأخرين من كتاب المشرق والمغرب شاهدة بذلك ناطقة باستعمال الشعر فى صدور المكاتبات واثنائها ونهاياتها ما بين البيت والبيتين فأكثر حتى القصائد الطوال واكثر ما يقع من ذلك البيت المفرد والبيتان فما حول ذلك كما استشهد القاضى الفاضل فى بعض مكاتباته فى الشوق بقوله

ومن عجبى أنى أحن اليهم * واسأل عنهم من أرى وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وكما كتب أيضا لبعض أخوانه فى جواب كتاب

وكم قلت ليتنى كنت عنده * وما قلت اجلالا له ليته عندى

وكما كتب فى وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله

وحسبته والطرف معقود به * وجه الحبيب بدا لوجه محبه

الى غير ذلك من المكاتبات التى لا يأخذها حصر ولا تدخل تحت حد انتهى ما أردت نقله من كتاب صبح الاعشا فى هذا الموضع وانما أوردته بصورته مع قابليته للاختصار لاكون قد أحضرت ذهنك كلاما لمؤلف جليل فى التعريف بصناعة الانشاء يكون له مجال بعد فهمه واعتبار ما يرشد اليه أن يحاول تهذيب عبارة تفيد معناه وتبين مغزاه ثم انه ليس الغرض من ايقافك عليه أنك تتبع كل ما يأمرك به وينبهك عليه دون ان تستعمل ذوقك فى الاستحسان وأنت مستند اليه مسترشد به حتى تخرج منه الى ما يناسب وقتك ويستصوبه أهل عصرك الذين أحوالك مربوطة بأحوالهم ومنافعك معقودة برضاهم فلكل مقام مقال ولكل زمان رجال هذا واذا أردت استيفاء معرفة اختلاف اصطلاح الكتاب فى كل عصر من العصور الخالية فى فواتح الكتب وخواتمها وما يختص بكل نوع من أنواع المكاتبات فالموجود من كتاب صبح الاعشا بدار الكتب الكبيرة يكفيك لهذا الغرض *(الجهة الثالثة)* فى أمثلة تستعين بتفهمها وتأملها

وتامّل سياقاتها من فواتحها الى خواتمها على تربية ذهنك فى هذه الصناعة واختيار ما يرشدك الله لاختياره من مذهب تذهبه فى تأليف الكلام وتنويعه على حسب طبقات من تكاتبهم وكفى هذه الصناعة شرفا أن كان ابتداء تمثيلها بما صدر عن حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنه تعرف حق المعرفة كيف يختلف حال الكتابة باختلاف حال المكتوب اليه فمن كتبه للعجم وبعضها يشبه بعضا كتابه الصادر لقيصر الروم يدعوه الى الاسلام وهذه صورته من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون ومنها كتابه الصادر الى كسرى ملك الفرس فى ذلك الغرض وهذه صورته من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وأسلم تسلم فان توليت فان إثم المجوس عليك فكان الافتتاح بمن فلان الى فلان سنة سواء كانت الكتابة من رئيس أو مرؤس حتى كتب النجاشى ملك الحبشة الى محمد رسول الله من النجاشى وكتب خالد بن الوليد فى بعض كتبه الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد بعثه فى ناحية لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد فكانت سنة ثانية التزمها الناس بعد فى خطاب المرؤس للرئيس لما تجدد من العظمة الملكية والجلالة السلطانية ومن كتبه للعرب كتابه الصادر لاكيدر صاحب دومة الجندل وهذه صورته من محمد رسول الله لاكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل واكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى وأغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعزل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق تفسير ألفاظه وبيان مقصوده الانداد جمع ند بكسر النون وهو ضد الشئ الذى يخالفه فى أموره وينادّه اى يخالفه ماخوذ من ندّ

البعير اذا شردوا المراد ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله والاصنام جمع صنم وهو ما اتخذ الها من دون الله وقيل ما كان له جسم أو صورة فان لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن والاكناف بالنون جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية والضاحية بالضاد المعجمة والحاء المهملة الناحية البارزة التى لا حائل دونها والمراد هنا اطراف الارض والضحل بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء وقيل الماء القريب من المكان وبالتحريك مكان الضحل والبور الارض التى لم تزرع وهو بالفتح مصدر وصف به والمعامى المجهولة من الأرض التى ليس فيها أثر عمارة واحدها معمى واغفال الارض بالغين المعجمة والفاء الارض التى ليس فيها أثر يعرف كانها مغفول عنها والحلقة بسكون اللام السلاح عاما وقيل الدروع خاصا والسلاح ما اعد للحرب من آلة الحديد مما يقاتل به والسيف وحده يسمى سلاحا والضامنة من النخل بالضاد المعجمة والنون ما كان داخلا فى العمارة من النخيل وتضمنته امصارهم وقراهم وقيل سميت ضامنة لان اربابها ضمنوا عمارتها وحفظها فهى ذات ضمان كعيشة راضية بمعنى ذات رضى والمعين من المعمور الماء الذى ينبع من العين فى العامر من الارض وقوله لا تعزل سارحتكم بالزاى المعجمة اى لا تصرف ماشيتكم وتمال عن الرعى ولا تمنع وقوله ولا تعد فاردتكم أى لا تضم الى غيرها وتحشر الى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتحسب والفاردة الزائدة على الفريضة ولا يحظر عليكم النبات بالظاء المعجمة اى لا تمنعون من الزرع والمرعى حيث شئتم والحظر المنع ومقصوده تمييز ما يكون للسلطان فيه اطلاق التصرف وليس داخلا فى حوزة احد من غيره واعلامهم بذلك ومعنى كون الحلقة والحافر والحصن للسلطان انه متى أمر باستعمالها فى الجهاد وجب عليهم الامتثال حسبما يؤمرون به وان كانت لهم ملكا اختصاصيا بخلاف الاشياء المتقدمة ومنها كتابه الصادر لوائل بن حجر احد عظماء حضرموت وامثاله منهم وهذه صورته من محمد رسول الله الى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب وفى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى من أمبكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى من امثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل ابن حجر يترفل على الأقيال تفسير الفاظه الاقيال جمع قيل بفتح فسكون الملك اومن

ينوب

ينوب عنه اذا غاب والمراد في الحديث الاول والعباهلة في القاموس العباهلة المقرون
على ملكهم فلم يزالوا عنه والارواع جمع رائع من راع اى افزع من رآه جماله او جلاله
والمشابيب جمع مشبوب وهو الجميل الزاهر اللون من شب النار الهبها والتيعة بكسر
فسكون اربعون شاتا وتطلق على ادنى ماتجب فيه الصدقة من الحيوان والمقورة
الالياط المسترخية الجلود من اقور والليط بكسر فسكون والضناك بزنة كتاب الموثقة
الخلق السمينة اى شاة الصدقة لاتكون من المهازيل ولامن الكرائم بل تكون وسطا
وهو المراد بقوله وانطوا الثبجة اى اعطوا بالنون مكان العين وهى لغتهم والثبجة
بفتحتين الوسط ومنه ثبج البحر السيوب جمع سيب وهو العطية واريد به فى الحديث
الركاز وهو دفين الجاهلية وفى قوله من امبكر ومن امشيب جرى على لغتهم من ابدال لام
التعريف ميما والصقع الضرب والاستيفاض التغريب والاضاميم الجماعة الصغار
والتوصيم الفترة والتوانى وترفل عليهم تترأس وقد روى هذا الكتاب بصورة أخرى
وهى هذه من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة من اهل حضرموت باقامة الصلاة
وايتاء الزكاة على التيعة الشاة والتيمة لصاحبها وفى السيوب الخمس لاخلاط ولاوراط
ولاشناق ولاشغار ومن اجبى فقد اربى وكل مسكر حرام التيمة بكسر فسكون وبالهمز بدل
الياء لغة مازاد على الفريضة حتى تبلغ الفريضة الأخرى اوهى غير السائمة والخلاط ان
يخلط الرجل ماله بمال غيره لتسقط عنه الزكاة والوراط ان يخفيه فى ورطة من الارض
حتى لايراه الساعى والشناق المشاركة فى الشنق بفتحتين وهو العفو بين الفريضتين
والشغار نكاح فى الجاهلية وهو ان يزوج الرجل ابنته او اخته من رجل ويتزوج ابنة
ذلك الرجل او اخته على ان يكون بضع كل منهما صداق الأخرى وقوله ومن اجبى فقد
اربى قيل فى تفسيره ان الاجباء هو بيع الزرع قبل بدو صلاحه أو ان يبيع الرجل سلعة
بثمن معلوم الى اجل معلوم ثم يشتريها باقل من ذلك الثمن واربى وقع فى الربا ومن هذه
الكتب تقف على اصل وهو ان من يستحق المدح يمدح بايراد صفاته الكمالية فى صدر
الكتاب اليه كما جرى عليه العمل بعد ومن كتبه صلى الله عليه وسلم لاهل الاسلام كتابه
الصادر لخالد بن الوليد جوابا عن كتابه له صلى الله عليه وسلم باسلام بنى الحارث وقد
ارسل اليهم وهذه صورته من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى احمد

اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان كتابك جاءنى مع رسولك يخبرنى أن بنى الحارث
قد اسلموا قبل ان تقاتلهم واجابوا الى ما دعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل معك
وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتابه الصادر الى المنذر بن ساوى وكان عاملا
للفرس على البحرين وهذه صورته من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك
فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
اما بعد فانى اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى
ويتبع امرهم فقد اطاعنى ومن نصحهم فقد نصح لى وان رسلى قد اثنوا عليك خيرا
وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل
لهم وانك مهما تصلح لن نعزلك ومن اقام على مجوسيته فعليه الجزية وقوله احمد اليك
على تقدير متوجها اليك وعلى صور كتبه صلى الله عليه وسلم جرى عمل الخلفاء الراشدين
ولم يكن يذكر فى صدور الكتب بعد الحمد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى
زادها الرشيد وعدت من مناقبه فكان يكتب أحمد اليك الله واسأله ان يصلى ومن
كتب الخلفاء كتاب الصديق رضى الله عنه لاهل الردة حين ولى الخلافة ورجع كثير من
العرب عن الاسلام وهذه صورته من ابى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
من بلغه كتابى هذا من عامة اوخاصة أقام على الاسلام اورجع عنه سلام على من اتبع
الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واقر بما جاء به اما بعد
فان الله ارسل محمدا بالحق من عنده الى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين يهدى الله للحق من اجاب اليه
وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من ادبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعا وكرها
ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لامر الله ونصح لامته وقضى الذى عليه
وكان الله قد بين له ذلك ولاهل الاسلام فى الكتاب الذى انزله فقال انك ميت وانهم
ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون وقال للمؤمنين وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على

عقبيه

عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فان الله بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه يجزبه وانى اوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وان تهتدوا بهديه وان تعتصموا بدين الله فان من لم يهد الله ضل وكل من لم يعافه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهديا ومن اضله كان ضالا من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ولم يقبل منه فى الدنيا عمل حتى يقرّ به ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد ان اقرّ بالاسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره واجابة للشيطان وقال الله جل ثناؤه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال جل ذكره ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوّا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وانى نفذت اليكم خالد بن الوليد فى جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وامرته ان لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب واقرّ وكف وعمل صالحا قبل منه واعانه عليه ومن ابى ان يقاتله على ذلك ولا يبقى على أحد منهم قدر عليه وان يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبى النساء والذرارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد امرت رسولى ان يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الأذان فان اذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا سألوهم ما عليهم فان ابوا عاجلوهم وان اقرّ وا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم ومن هذا الكتاب تستدل على جواز تحلية الكلام ببعض الفاظ القرآن وتعرف الفرق بين الاقتباس والاستشهاد وتنظر كيف تستعمل الشدة فى موضعها ﴿صورة كتاب صدر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب﴾ وهو اول من وضع هذا اللقب للخليفة وكان قبل يكتب من خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطال ذلك على من يجىء بعده فانه يلزم ان يكرر بقدر عدد سلفه الى عمرو بن العاص وهو عامل على مصر من طرفه من عبد الله امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام عليك اما بعد فقد بلغنى انه فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد وعهدى بك قبل ذلك

ولا مال لك فا كتب الى من اين أصل هذا المال ﴿جواب عمرو عن هذا الكتاب﴾
لعبد الله عمر امير المؤمنين سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانه
اتانى كتاب امير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشا لى وأنه يعرفنى قبل ذلك ولا مال لى
وانى أعلم امير المؤمنين أنى ببلاد السعر فيه رخيص وانى اعالج من الزراعة ما يعالجه
الناس وفى رزق امير المؤمنين سعة ووالله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك فأقصر ايها
الرجل فان لنا احسابا هى خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها ولعمرى ان عندك
من لا يذم معيشة ولا تذم له وان كان ذلك لم يفتح لك قفلا ولم يشركك فى عمل يريد عمرو أنه
من اهل البيوت الشريفة التى جرت عادة من دونهم من طبقات الناس ان لا يستنكفوا
من خدمتهم فيمكن ان يحصل له الغنى بذلك الطريق دون ان يكون حاكما وفى آخر الكلام
استشهد بمن حصل له الغنى بتلك الطريق من اهله كعثمان رضى الله عنه ﴿صورة
كتاب صدر من امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى علىّ كرم الله وجهه﴾
وكان خرج الى الينبع وقد احاط الناس بعثمان وهى هذه اما بعد فقد بلغ السيل الزبا
وجاوز الحزام الطبيين وطمع فىّ كل من كان يضعف عن نفسه ولم يغلبك مثل مغلب
فأقبل الىّ صديقا كنت او عدوّا

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما امزق

الزبية بضم فسكون حفرة تعمل فى راس جبل على طريق السبع وتغطى بغطاء خفيف
ليسقط السبع فى الحفرة اذا مر عليه وهى من طرق صيده وهى مثل لبلوغ الشر غاية
بعيدة وكذلك مجاوزة الحزام الطبيين وهو مثنى طبى بكسر اوضم فسكون حلمة الضرع
من ذوات الخف والحافر والظلف وقوله لم يغلبك مثل مغلب قطعة من قول امرئ
القيس

فانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وكفاك هذا القدر مثالا لما كان عليه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
رضى الله عنهم قبل امير المؤمنين على كرم الله وجهه واما هو فكلامه البحر الذى
لا ساحل له واذا اطلعت عليه عرفت كيف تصرّف امراء الكلام فى البلاغة وقد
جمع الشريف الرضى من كلامه مجموعا صالحا سماه نهج البلاغة وشرحه ابن ابى الحديد

شرحا

شرحا كبيرا فى مجلدات كثيرة فمن أراد توفير حظه وشحن خاطره من اشرف الكلام بعد القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم فليطلب ذلك الكتاب ويقرأه بتامل لالفاظه وتفهم لاغراضه ولا بأس ان نورد لك منه ما يكون داعيا لبذل جهدك فى طلبه

﴿هذه صورة عهد كتبه كرم الله وجهه لمالك المعروف بالأشتر النخعي﴾ وهو من اجل اصحابه وكان يقول فيه مالك لى كما كنت للنبي صلى الله عليه وسلم حين ارسله واليا على مصر بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله على امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر فى عهده حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح اهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما أمر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى لا يسعد أحد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من أعزه وامره ان يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله ثم اعلم يا مالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت دول قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون فى امورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك و يقولون فيك كما كنت تقوله فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السنة عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك فى الدين واما نظير لك فى الخلق تفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطا فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن انى مؤمر آمر فاطاع فان ذلك أدغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من

طماحك ويكف عنك من غربك ويفيء اليك بما عزب عنك من عقلك واياك ومساماة
الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله
وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك إلا تفعل
تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان
لله حرباً حتى ينزع و يتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة
على ظلم فان الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الامور اليك
اوسطها في الحق وأعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى
الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية اثقل على
الوالي مؤنة في الرخاء واقل معونة له في البلاء واكره للإنصاف واسأل بالالحاف واقل
شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل
الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك
لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشنؤهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فان
في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير
ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب
ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب
عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين
ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر ولا جبانا يضعفك
عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى
يجمعها سوء الظن بالله شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرا ومن شركهم في الآثام
فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الأثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن
لهم مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لا يعاون ظالما على ظلمه
ولا آثما على اثمه أولئك اخف عليك مؤنة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل
لغيرك الفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم لك بمر
الحق واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث

وقع

والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه واعلم أن ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجمع لك حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده وفريضته في كتابه او سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله تعالى لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك واطهرهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء ومن لا يثيره العنف

ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوى المروآت والاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدهم به وان قل فانه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤس جندك عندك من واساهم فى معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهلهم حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح فى آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوى البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرك الناكل ان شاء الله تعالى ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول فالردّ الى الله الاخذ بمحكم كتابه والردّ الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر عن الفئ الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بادنى فهم دون اقصاه أوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشيف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل ما يزيح علته ويقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر فى ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا فى ايدى الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر فى امور

عمالك

عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة فانهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم فى الاسلام المتقدمة فانهم أكرم اخلاقا واصح اعراضا وأقل فى المطامع اشراقا وأبلغ فى عواقب الامور نظرا ثم أسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أوخانوا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك فى السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك فى عمارة الارض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا فان شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو احالة أرض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما دعوتهم اليه لما سبق من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم فان العمران محتمل ما حملته وانما يأتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها الاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر فى حال كتابك فول على أمورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملا ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر

نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم
على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة
بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما
ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على
نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لراس كل من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها
ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثم استوص
بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه
فانهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المتباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك
وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤن عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح
لا تخشى غائلته وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير
منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة
للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم منع
منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع
والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب من غير اسراف ثم الله الله
في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى
فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما
من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي
للادنى وكل قد استرعيت حقه ولا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه
لاحكامك الكبير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا
يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من أهل
الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه
فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكل فأعذر الى الله في تأدية
حقه اليه وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه
وذلك على الولاة ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبروا أنفسهم ووثقوا
بصدق موعود الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس

لهم

لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعى ونح عنك الضيق والانفة يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيأ وامنع فى اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما يحرج صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن فى خاصة ما تخلص لله به دينك اقامة فرائضه التى هى له خاصة فاعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان فى الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهنى الى اليمن كيف أصلى بهم فقال صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما وأما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت أحد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تبديه أو مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسئلتك اذا أيسوا من بذلك مع ان أكثر حاجات الناس اليك ما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب انصاف فى معاملة ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مؤنة اولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم

دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن
فى ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل
عليك فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك
ظنونهم باصحارك فان فى ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن
صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك
وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب
ليتغفل فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة
أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون
ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شئ الناس اشد عليه اجتماعا مع تفريق اهوائهم
وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين
لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك
فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقى وقد جعل الله عهده وذمته أمنا افضاه بين العباد
برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا أدغال ولا مدالسة ولا
خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد
والتوثقة اضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على
ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه
من الله طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه
ليس شئ ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء
بغير حقها والله سبحانه يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا
تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر
لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وأفرط عليك
سوطك أو يدك بعقوبة فان فى الوكزة وما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك
عن أن تؤدى الى أولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها
وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من احسان
المحسن واياك والمن على رعيتك والتزيد فيما كان من فعلك وان تعدهم فتتبع
موعدك

موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون واياك والعجلة بالامور قبل أوانها والتساقط فيها عند امكانها أو اللجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل أمر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون أى الجواسيس فانه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك المظلوم املك حمية نفسك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك أن تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وسلم أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدته مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ماعهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الاثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين من شاء ينظر الى جمال البلاغة ظاهرة فى صورها متبرجة فى زينة ملابسها وأنواع حليها فليطل ترديد نظره فى فصول هذا الكتاب الوافى بجميع مايحسن لكل انسان أن يتأدب ويأخذ له منه حظا فى أخلاقه وأعماله لايخص ذلك أميرا دون مامور وان كان وضعه على نصيحة وال يتولى أمور بعض العباد ورأيت لى شرحه كلاما منقولا عن بعض عقلاء من تقدم بهم الزمان يشتمل على آداب ينبغى لمن يريد الاستكمال أن يتفهمها ويتأدب بها فوجدت تعقيبه باثبات ذلك حيث كان أهم اغراض هذا الكتاب تعريف طلبة العلم أن ألزم شئ يطلبونه وأكبر امر ينبغى ان يحاولوا تحصيله لتطيب حياتهم وتجمل بهم أوقاتهم وتحلى بهم أمتهم انما هى الآداب التى يلتزمون بها مع جميع طبقات الناس ويكون لهم مع كل طبقة منها كلام يعبر

قلوبهم ويتصرف فى عقولهم حتى يكونوا منهم بتلك المكانة التى صارت غير مأمولة الا بالقليل فمن ذلك ما نقله ابن أبى الحديد رحمه الله تعالى من آداب ابن المقفع قال لا يكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك انفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقديم الامور على أهوائهم دون هواك فان كنت حافظا اذا ولوك حذرا اذا قربوك أمينا اذا ائتمنوك تعلمهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكانك تتادب بهم وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ذليلا ان صرموك راضيا ان اسخطوك والا فالبعد عنهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر وان وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن عنه فانه من يخدم السلطان حق خدمته يخلى بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن يخدمه غير حق الخدمة فقد احتمل وزرا لآخرة وعرض نفسه للهلكة والفضيحة فى الدنيا فاذا اصحبت السلطان فعليك بطول الملازمة فى غير املال واذا نزلت بمنزل الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر له من الدعاء ولا تردن عليه كلاما وان اخطأ فاذا خلوت به فبصره فى رفق ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولا تخبرنه ان لك عليه حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان لا ينسى حقك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل ولا تعطينه المجهود كله من نفسك فى اول صحبتك له وأعد موضعا للمزيد وان سأل غيرك شيأ فلا تكن المجيب واعلم أن استلابك الكلام خفة فيك واستخفاف منك بالسائل والمسؤل فما انت قائل ان قال لك السائل ما اياك سألت اوقال المسؤل اجب بمجالسته ومحادثته ايها المعجب بنفسه والمستخف بسلطانه معنى هذه الجملة الاخيرة أن المسؤل يقرع المجيب الذى لم يسئل بتفويض الجواب اليه وسكوته هو عنه فلعل المستعجل لم يكن فهم الغرض ولا وصل الى ما يعلم المسؤل فهو يقول له اجب لا بعلم بل بسبب كون السلطان جعلك له جليسا وأعدك لمحادثته أحيانا فان كان ذلك كافيا فى الاجابة دون علم فافعل وهذه الآداب التى انتهت بهذا الفاضل اليها المشاهدة والتجربة وابقاها بالعبارة عنها حسنة لمن بعده يستحق من الناس شكرها ويستدعى من الله جزيل أجرها لا شبهة فى لزومها لمن يريد صحبة اهل القهر والاستبداد والعظمة والكبرياء من ذوى الرياسة فان لهم حدودا يحدونها لانفسهم تجب رعايتها طلبا للسلامة منهم وان كان بعضها لا يخص ذلك المقام والاطلاع على الاحوال المختلفة

يميز لك

يميزلك اختلاف الآداب حسب الهيئات المتغيرة فان تلك الاحوال الشديدة لا تلزم لصحبة نبي ومن سار بسيرته اوقارب ذلك ومن ذلك مانقله من نصيحة عبد الملك بن صالح لرجل كان عنده معلم صبيان فلما وجده ذا أدب ولطف اراد أن يتخذه سميرا يأتنس به وعبد الملك هذا احد الامراء من بني العباس أيام الرشيد وكان شهما فصيحا ذا عزم وحزم وكان الرشيد يخافه على الملك فكان بذلك بينهما ماجريات يطلعك عليها التاريخ وهذه هي النصيحة قال يا عبد الله كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم واعلم ان اصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد فان ابتليت بصحبته فاحترس وان عوفيت فاشكر الله على السلامة فان السلامة اصل كل نعمة لا تساعدني على ما يقبح بي ولا تردن على خطأ في مجلس ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ودع عنك كيف اصبح الامير وكيف امسى وكلمني بقدر ما أستنطقك واجعل بدل التقريظ لي صواب الاستماع مني واعلم ان صواب الاستماع أحسن من صواب القول واذا سمعتني اتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرني فهمك اياه في طرفك ووجهك فما ظنك بالملك وقد احلك محل المعجب بما يسمعك اياه وأحللته محل من لا تسمعه منه وهذا يحبط احسانك ويسقط حق حرمتك ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من استحسان ما يكون مني فمن أسوء حالا ممن يستملذ الملوك بالباطل وذلك يدل على تهاونه بقدر ما اوجب الله تعالى من حقهم واعلم اني جعلتك مؤدبا بعد ان كنت معلما وجعلت جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا فمتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه وقد قالوا من لم يعرف سوء ما أولى لم يعرف حسن ما أبلى في قوله فمن اسوء حالا الايجاز والمعنى فان استدعاء الزيادة طلب للاستلذاذ بحديث الملك وهو قبيح سواء كان بحق او باطل تمويها على الملك لكن اذا كان بالباطل كانت الاساءة فيه فاحشة وهو ما فرعه بقوله فمن اسوء حالا الى آخره ومن ذلك ما نقله من وصية أبرويز احد الاكاسرة لكاتبه وهي هذه قال له أكتم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة وعليك بالحذر فان لك علي ان لا اعجل عليك حتى استأني لك ولا اقبل فيك قولا حتى استيقن ولا اطمع فيك احدا فتغتال واعلم انك بمنجاة رفعة فلا تحطها وفي ظل مملكة فلا تستزيلنه قارب

الناس مجاملة من نفسك وباعدهم مساعة من عدوك واقصد الى الجميل ازدراء الغذلك وتنزه صونا للمروأتك وتحبب عندي بما قدرت عليه احذر لا تسرعن الالسنة عليك ولا تقهرن الاحدوثة عنك وصن نفسك صون الدرة الصافية واخلصها اخلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعة لا تدعن ان ترفع الى الصغير فانه يدل عن الكبير ولا تكتمن عني الكبير فانه ليس بشاغل عن الصغير هذب امورك ثم القني بها واحكم أمرك ثم راجعني فيه ولا تجترئن على فأمتعض ولا تنقبضن عني فاتهم ولا تمرضن ما تلقاني به ولا تخدجنه واذا افكرت فلا تجعل واذا كتبت فلا تعذر ولا تستعن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تلبس كلاما بكلام ولا تبعدن معنى عن معنى وأكرم لى كتابك عن ثلاث خضوع يستخفه وانتشار يهجنه ومعان تعقد به واجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام السوقة كبسطة الملك الذى تحدثه على الملوك لا يكن ما نلته عظيما وما تتكلم به صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه فانما جماع الكلام كله خصال اربع سؤالك الشئ وسؤالك عن الشئ وامرك بالشئ وخبرك عن الشئ فهذه الخصال دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد وان نقص منها واحد لم تتم فاذا امرت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأسمح واذا أخبرت فحقق فانك اذا فعلت ذلك اخذت بجراثيم القول كله فلم تشتبه عليك واردة ولم تعجزك صادرة أثبت فى دواوينك ما أخذت وأحصن فيها ما أخرجت وتيقظ لما تعطى وتجرد لما تأخذ ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء ولا الاناة عن التقدم ولا تخرجن وزن قيراط فى غير حق ولا تعظمن اخراج الالوف الكثيرة فى الحق وليكن ذلك كله عن مؤامرتى ومن ذلك ما نقله من وصية اكثم بن صيفى أحد حكماء العرب فى الجاهلية لقومه من تميم وهى هذه قال يا بنى تميم لا يفوتنكم وعظى ان فاتكم الدهر بنفسى ان بين حيزومى وصدرى لكلاما لا أجد له مواقع الا أسماعكم ولا مقار الا قلوبكم فتلقوه باسماع مصغية وقلوب واعية تحمدوا مغبته الهوى يقظان والعقل راقد والشهوات مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة ومن جهة التوانى وترك الروية يتلف الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد برأيه موقوف على

مداحض

مداحض الزلل ومن سمع سمع به ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ولو اعتبرت مواقع
المحن ماوجدت الا فى مقاتل الكرام وعلى الاعتبار طريق الرشاد ومن سلك الجدد
أمن العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويورث غيظه ولا تجاوز
مضرته نفسه يا بنى تميم الصبر على جرع الحلم اعذب من جنا ثمر الندامة ومن جعل عرضه
دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان انكى من كلم السنان والكلمة مرهونة مالم تنجم
من الفم فاذا نجمت فهى اسد محرب او نار تلهب ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجور
ونفاذ الرأى فى الحرب اجدى من الطعن والضرب ومن ذلك ما نقله من كتاب اول ملوك
الاكاسرة بعد ملوك الطوائف ينصح به من يجىء بعده من الملوك وفيه من الفوائد
السياسية مالا يخص الملوك دون عامة الناس وهو هذا قال رشاد الوالى خير للرعية من
خصب الزمان الملك والدين توأمان لا قوام لاحدهما الا بصاحبه فالدين أس الملك وعماده
ثم صار الملك حارس الدين فلا بد للملك من أسه ولا بد للدين من حارسه فاما مالا حارس له
فضائع واما مالا أس له فمهدوم ان رأس ما أخاف عليكم مبادرة السفلة اياكم الى دراسة
الدين وتأويله والتفقه فيه فتحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم فتحدث فى الدين
رياسات منتشرات سرا بين قد وترتم وجفوتم وحرمتم واخفتم وصغرتم من سفلة الناس
والرعية وحشو العامة ثم لا تنشب تلك الرياسات ان تحدث خرقا فى الملك ووهنا فى الدولة
واعلموا أن سلطانكم على اجساد الرعية لا على قلوبها وان غلبتم الناس على ما فى
ايديهم فلن تغلبوهم على ما فى عقولهم وآرائهم ومكايدهم واعلموا أن العاقل المحروم سال
عليكم لسانه وهو اقطع سيفيه وأن أشد ما يضر بكم من لسانه ما صرف الحيلة فيه الى
الدين فكان للدين يحتج وللدين فيما يظهر يتعصب فيكون للدين بكاؤه واليه دعاؤه ثم هو
أوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين والموازرين لان تعصب الناس موكل بالملوك
ورحمتهم ومحبتهم موكلة بالضعفاء المغلوبين فاحذروا هذا المعنى كل الحذر واعلموا
انه ليس ينبغى للملك ان يعرف للعباد والنساك بان يكونوا اولى منه بالدين ولا احدب
عليه ولا اغضب له وأن يخلى النساك والعباد من الامر والنهى فى نسكهم ودينهم فان
خروج النساك وغيرهم من الامر والنهى عيب على الملوك وعلى المملكة وثلمة بينة
الضرر على الملك وعلى من بعده واعلموا انه قد مضى قبلنا من اسلافنا ملوك كان الملك

منهم يتعهد الحماية بالتفتيش والجماعة بالتفصيل والفراغ بالاشغال كتعهد جسده
بقص فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغمص ومداواة ماظهر من الادواء وما بطن
وقد كان من اولئك الملوك من صحة ملكه احب اليه من صحة جسده فتتابعت تلك
الاملاك بذلك كانهم ملك واحد وكان ارواحهم روح واحدة يمكن اولهم لآخرهم
ويصدق آخرهم اولهم تجتمع انباء اسلافهم وموار يث آرائهم وثمرات عقولهم عند الباقى
منهم بعدهم وكانهم جلوس معه يحدثونه ويشاورونه حتى كان على راس دارا بن دارا ما
كان من غلبة الاسكندر الرومى على ماغلب عليه من ملكه وكان افساده امرنا وتفرقته
جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا ابلغ له فيما اراد من سفك دمائنا فلما أذن الله عز وجل
فى جمع مملكتنا واعادة امرنا كان من بعثه ايانا ماكان وبالاعتبار يتقى العثار
والتجارب الماضية دستور يرجع اليه فى الحوادث الآتية واعلموا ان طباع الملوك
على غير طباع الرعية والسوقة فان الملك يطيف به العز والامن والسرور والقدرة على
مايريد والانفة والجراءة والطيش والبطر وكلما ازداد فى العمر تنفسا وفى الملك سلامة
ازداد من هذه الطبائع والاخلاق حتى يسلمه ذلك الى سكر السلطان الذى هو اشد من
سكر الشراب فينسى النكبات والعثرات والغير والدوائر وفحش تسلط الايام ولؤم
غلبة الدهر فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول وعند حسن الظن بالايام تحدث الغير وتزول
النعم وقد كان من اسلافنا وقدمائنا ملوك كنا من يذكر عزه الذل وامنه الخوف وسروره
الكآبة وقدرته العجزة وذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجة الملوك وفكرة السوقة
ولا كمال الا فى جمعهما واعلموا انكم ستبلون على الملك بالازواج والاولاد والقرباء
والوزراء والاخدان والانصار والاعوان والمتقربين والندماء والمضحكين وكل
هؤلاء الا قليلا ان يأخذ لنفسه احب اليه من ان يعطى منها وانما عمله سوق ليومه وذخيرة
لغده فنصيحته للملوك فضل نصيحته لنفسه وغاية الصلاح عنده صلاح نفسه وغاية
الفساد عنده فسادها يقيم للسلطان سوق المودة ماأقام له سوق الارباح والمنافع اذا
استوحش الملك من ثقاته أطبقت عليه ظلم الجهالة اخوف ما يكون العامة اخوف
مايكون الوزراء واعلموا ان كثيرا من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته وأيامه
بايقاع الاطراب والخبط فى اطراف مملكة الملك ليحتاج الملك الى رايه وتدبيره فاذا

عرفتم

عرفتم ذلك من وزير من وزرائكم فاعزلوه فانه يدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لاصلاح حال نفسه ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها واعلموا ان ذهاب الدولة ينشأ من قبل اهمال الرعية بغير أشغال معروفة ولا اعمال معلومة فاذا نشأ الفراغ تولد منه النظر فى الامور والفكر فى الفروع والاصول فاذا نظروا فى ذلك نظروا فيه بطباع مختلفة فتختلف بهم المذاهب ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم وهم مع اختلافهم هذا متفقون ومجتمعون على بغض الملوك فكل صنف منهم انما يجرى الى فجيعة الملك بملكه ولكنهم لا يجدون سلما الى ذلك اوثق من الدين والناموس ثم يتولد من تعاديهم ان الملك لا يستطيع جمعهم على أهواء واحدة فاذا انفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيتهم وفى طباع العامة استثقال الولاة وملالهم والنفاسة عليهم والحسد لهم وفى الرعية المحروم والمضروب والمقام عليه الحدود ويتولد من كثرتهم مع عداوتهم ان يجبن الملك عن الاقدام عليهم فان فى اقدام الملك على الرعية كلها كافة تغريرا بملكه ويتولد من جبن الملوك عن الرعية استجرائهم عليه وهم اقوى عدوله وأخلقه بالظفر لانه حاضر مع الملك فى دار ملكه فمن افضى اليه الملك بعدى فلا يكونن باصلاح جسده اشد اهتماما منه بهذه الحال ولا يكونن لشئ من الاشياء اكره وانكر منه لراس صار ذنبا وذنب صار راسا ويد مشغولة صارت فارغة أوغنى صار فقيرا اوعامل مصروف اوامير معزول واعلموا أن سياسة الملك وحراسته ان لا يكون ابن الكاتب الا كاتبا وابن الجندى الا جنديا وابن التاجر الا تاجرا وهكذا فى جميع الطبقات فانه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم ان يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبته فاذا انتقل اوشك ان يرى شيأ ارفع مما انتقل اليه فيحسده وينافسه وفى ذلك من الضرر المتولد ما لا خفاء به فان عجز ملك منكم عن اصلاح رعيته كما اوصيناه فلا يكن للقميص القمل اسرع خلعا منه لما لبس من قميص ذلك الملك واعلموا انه ليس ملك الا وهو كثير الذكر لمن يلى الامر بعده ومن افساد امر الملك ذكره ولاة العهود فان فى ذلك ضروبا من الضرر وان ذلك دخول عداوة بين الملك وولى عهده لانه تطمح عيناه الى الملك ويصير له احباب واخدان يمنونه ذلك ويستبطؤن موت الملك ثم ان الملك يتوحش منه وتنساق الامور الى هلاك أحدهما ولكن لينظر الوالى منكم لله تعالى ثم لنفسه ثم للرعية ولينتخب وليا للعهد من بعده

ولا يعلمه ذلك ولا احدا من الخلق قريبا كان او بعيدا ثم يكتب اسمه في اربع صحائف ويختمها بخاتمه ويضعها عند اربعة نفر من اعيان اهل المملكة ثم لا يكون منه في سره وعلانيته امر يستدل به على ولي عهده من هو لا في ادناء وتقريب يعرف به ولا في اقصاء واعراض يستراب له وليتق ذلك في اللحظة والكلمة فاذا هلك الملك جمعت تلك الصحائف الى النسخة التي تكون في خزانة الملك فتفض جميعا ثم ينوه حينئذ باسم ذلك الرجل فيلقى الملك اذا لقيه بحداثة عهد بحال السوقة ويلبسه اذا لبسه ببصر السوقة وسمعها فان في معرفته بحاله قبل افضاء الملك اليه سكرا تحدثه عنده ولاية العهد ثم يلقاه الملك فيزيده سكرا الى سكره فيعمى ويصم هذا مع ما لا بد ان يلقاه ايام ولاية العهد من حيل العتاة وبغي الكذابين وترقية النمامين وايغار صدره وافساد قلبه على كثير من رعيته وخواص دولته وليس ذلك بمحمود ولا صالح واعلموا انه ليس للملك ان يحلف لانه لا يقدر احد على استكراهه وليس له ان يغضب لانه قادر والغضب لقاح الشر والندامة وليس له ان يعبث ويلعب لان اللعب والعبث من عمل الفراغ وليس له ان يفرغ لان الفراغ من امر السوقة وليس له ان يحسد احدا الا على حسن التدبير وليس له ان يخاف لانه لا يد فوق يده واعلموا انكم لن تقدروا على ان تختموا افواه الناس من الطعن والازراء عليكم ولا قدرة لكم على ان تجعلوا القبيح من افعالكم حسنا فاجتهدوا في ان تحسن افعالكم كلها وان لا تجعلوا للعامة الى الطعن عليكم سبيلا واعلموا ان لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة ومطعمهم وليس فضل الملك على السوقة الا بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فان الملك اذا شاء احسن وليس كذلك السوقة واعلموا أن لكل ملك بطانة ولكل رجل من بطانته بطانة ثم لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع في ذلك اهل المملكة فاذا اقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية احذروا بابا واحدا طالما أمنته فضرني وحذرته فنفعني احذروا افشاء السر بحضرة الصغار من اهليكم وخدمكم فانه ليس يصغر واحد منهم عن حمل ذلك السر كاملا لا يترك منه شيأ حتى يضعه حيث تكرهون اما سقطا او غشا واعلموا ان في الرعية صنفا اتوا الملوك من قبل النصائح لهم والتمسوا اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس وهم

اعداء

لعداء الملوك ومن عادى الملوك والناس كلهم فقد عادى نفسه واعلموا ان الدهر
حاملكم على طبقات فمنها حال السخاء حتى يدنو احدكم من السرف ومنها حال التقدير
حتى يدنو من البخل ومنها حال الاناة حتى يدنو من البلادة ومنها حال انتهاز الفرصة حتى
يدنو من الخفة ومنها حال الطلاقة فى اللسان حتى يدنو من الهذر ومنها حال الاخذ بحكمة
الصمت حتى يدنو من العى فالملك منكم جدير ان يبلغ من كل طبقة فى محاسنها احدها
فاذا وقف عليه ألجم نفسه عما وراءه واعلموا ان ابن الملك واخاه وابن عمه يقول كدت
اكون ملكا وبالحرى ان لا اموت حتى اكون ملكا فاذا قال ذلك قال مالا يسر الملك
وان كتمه فالداء فى كل مكتوم واذا تمنى ذلك جعل الفساد سلما الى الصلاح ولم يكن
الفساد سلما الى صلاح قط وقد رسمت لكم مثالا اجعلوا الملك لا ينبغى الا لابناء
الملوك من بنات عمومتهم ولا يصلح من اولاد بنات العم الا كامل غير سخيف العقل
ولا عازب الرأى ولا ناقص الجوارح ولا مطعون عليه فى الدين فانكم اذا فعلتم ذلك
قل طلاب الملك واذا قل طلابه استراح كل امرئ الى ما يليه ونزع الى حد يليه وعرف
حاله ورضى معيشته واستطاب زمانه وحيث جرى ذكر الاسكندر وتفرقته مملكة فارس
بين ابناء الملوك الذين قيل لهم ملوك الطوائف وكان ملكهم فاصلا بين ساسانى الملوك
من الفرس آخرا ولاهم دارا بن دارا واول الثانية اردشير فلا باس ان نثبت فى هذا الموضع
كتاب الاسكندر الى شيخه الحكيم ارسطو يستشيره فيما يفعل بابناء الملوك أيقتلهم ام يبقيهم
وجواب الحكيم له عن ذلك (وهذه صورة كتاب الاسكندر) قال عليك ايها الحكيم منا
السلام اما بعد فان الافلاك الدائرة والعلل السماوية وان كانت اسعدتنا بالامور التى اصبح
الناس لنا بها دائنين فانا جد واجدين لمس الاضطرار الى حكمتك غير جاحدين لفضلك
والاقرار بمنزلتك والاستنامة الى مشورتك والاقتداء برايك والاعتماد لامرك وقولك
لما بلونا من اجداء ذلك علينا وذقنا من جنا منفعته حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه
فى اذهاننا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحور
وتعويل الفروع على الاصول وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان مما سيق الينا من
النصر والفلج واتيح لنا من الظفر والقهر وبلغنا فى العدو من النكاية والبطش ما يعجز
القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به وكان من ذلك ان جاوزنا ارض

سورية والجزيرة الى بابل وارض فارس فلما حللنا بعقوة اهلها وساحة بلادهم لم يكن
الا ريثما تلقانا نفر منهم براس ملكهم هدية الينا وطلبا للحظوة عندنا فامرنا بصلب من
جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ثم امرنا بجمع من كان هناك من اولاد
ملوكهم واحرارهم وذوى الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة اجسامهم واحلامهم حاضرة
ألبابهم وأذهانهم رائعة مناظرهم ومناطقهم دليلا على أنّ مايظهر من روائهم ومنطقهم
ان وراءه من قوة أيديهم وشدة نجدتهم وباسهم مالم يكن ليكون معه لنا سبيل الى غلبتهم
واعطائهم بايديهم لولا ان القضاء أدالنا منهم واظفرنا بهم واظهرنا عليهم ولم نر بعيدا من
الرأى فى امرهم ان نستأصل شأفتهم ونجتث أصلهم ونلحقهم بمن مضى من اسلافهم
لتسكن القلوب بذلك الى الامن من جرائرهم وبوائقهم فرأينا ان لا نعجل باسعاف بادئ
الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليه بمشورتك فيهم فارفع الينا رأيك فيما استشرناك فيه
بعد صحته عندك وتقليبك اياه بجلى نظرك وسلام لاهل السلام فليكن علينا وعليك
﴿وهذه صورة جواب الحكيم الى الملك﴾ قال لملك الملوك وعظيم العظماء الاسكندر المؤيد
بالنصر على الاعداء المهدى له الظفر بالملوك من اصغر عبيده واقل خوله ارسطو بالخضوع
بالسجود والتذلل فى السلام والاذعان فى الطاعة اما بعد فانه لا قوة بالمنطق وان احتشد
الناطق فيه واجتهد فى تثقيف معانيه وتاليف حروفه ومبانيه على الاحاطة باقل ماتناله
القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول وابرازه عن كل وصف وقد كان
تقرر عندى من مقدمات أعلام فضل الملك فى صهلة سبقه وبروز شأوه ويمن نقيبته مذ أدّت
الى حاسة بصرى صورة شخصه واطرب فى حسن سمعى صوت لفظه ووقع وهمى على تعقب
نجاح رايه ايام كنت أؤدى اليه من تكلف تعليمى اياه ما اصبحت قاضيا على نفسى
بالحاجة الى تعلمه منه ومهما يكن منى اليه فى ذلك فانما هو عقل مردود الى عقله مستنبطة
أواليه وتواليه من علمه وحكمته وقد جلى الى كتاب الملك ومخاطبته اياى ومسئلته عما
لا يتخالجنى الشك فى ان لقاح ذلك وانتاجه من عنده فعنه صدر وعليه ورد وانا فيما
اشير به على الملك وان اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حد الوسع والطاقة فى
استنظافه واستقصائه كالعدم مع الوجود ومالا يتجزأ فى جنب معظم الاشياء ولكنى
غير ممتنع من اجابة الملك الى ماسال مع علمى ويقينى بعظيم غناه عنى وشدة فاقتى
اليه

اليه وانا راد الى الملك ما اكتسبه منه ومشير عليه بما أخذته منه فقائل له ان لكل تربة لا محالة قسما من الفضائل وان لفارس قسمها من النجدة والقوة وانك ان تقتل اشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم وتورث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوى اخطارهم ولم يبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم وأشد توهينا لسلطانهم من غلبة السفلة وذل الوجوه فاحذر الحذر كله ان تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة فانهم ان نجم منهم بعد اليوم على جندك وأهل بلادك ناجم دهمهم منه مالا روية فيه ولا بقية معه فانصرف عن هذا الرأى الى غيره واعمد الى من قبلك من أولئك العظماء والأحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المتسمى بالملك لازم لاسمه والمعقود التاج على راسه لا يخضع لغيره فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك واوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا بينهم وحنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لا يزدادون فى ذلك بصيرة الا احدثوا لك بها استقامة ان دنوت منهم دنوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ويسترهبه بجندك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لأحداثهم بعدك وان كان لا أمان للدهر ولا ثقة بالايام قد اديت الى الملك ما رأيته لى حظا وعلىّ حقا من اجابتى اياه الى ما سألنى عنه ومحضته النصيحة فيه والملك أعلى عينا وانفذ روية وافضل رايا وابعد همة فيما استعان بى عليه وكلفنى تبيينه والمشورة عليه فيه لا زال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الاجل ودرك الامل ما تأتى فيه قدرته على غاية أقصى ما تناله قدرة البشر والسلام الذى لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء فليكن على الملك ومن كتاب ارسطو هذا يتحكم لك فهم قول ابن المقفع السابق تعلمهم وكانك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتعرف كيف ذلك ومنه تعرف أيضا اذ كان ترجمة كلام يونانى ان التشبيه والاستعارة لا يختصان اللغة العربية من مثل قوله صهلة سبقك وبروزشأوك وفى قوله أواليه وتواليه تغيير اللفظ لاجل تحصيل الازدواج بين الكلمتين بقلب لفظ أوائل وقد ثبت جواز ذلك حيث كان التغيير مقاربا بقوله صلى الله عليه وسلم لنا فيهات

خرجن بخلاف الرجال ارجعن مأزورات غير مأجورات فغير موزورات من الوزر ولذلك
﴿صورة كتاب من عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف وجوابه منه له﴾ تشتمل عليهما
حكاية مناسبة للغرض المعول عليه في نقل هذه الكتب لما احتوت عليه من الكلام
العربي والاحوال التي تحب الانفس الشريفة الاطلاع عليها قال عمرو بن بحر الجاحظ
كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها رأيا وحزما وعابدها قبل أن يستخلف
ورعا وزهدا فجلس يوما في خاصته فقبض على لحيته فشمها مليا ثم اجترّ نفسه ونفخ نفخة
اطالها ثم نظر في وجوه القوم فقال ما أقول يوم المسئلة عن أمر الحجاج وقد أدحض المحتج
على العليم بسطوته الجب أما انّ تمليكي له قرن بي لوعة يلهبها التذكار كيلي وقد علمت
فتعاميت وسمعت فتصاممت وحمله الكرام الكاتبون والله لكأني آلف هذا الطعن
على نفسي بعد ان نعت الايام بتصرفها نفسا حق لها الوعيد بتصرم الزوال وما أبقت
الشبهة للباقي متعلقا وما هو الا الغل الكامن اللهمّ انت لي أوسع غير منتصر ولا معتذر
قلت هذا الكلام يختبر به ما في نفوس القوم الذين ظهر منهم امارات الغيظ من الحجاج
على ثقة عبد الملك به واختياره على غيره وطرح كل ما يقال فيه علما منه بانه لا يقوم أحد
بما قام به الحجاج ثم قال يا كاتب هات الدواة والقرطاس فقعد كاتبه بين يديه وأملى عليه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد فقد
اصبحت بامرك برما يقعدني الاشفاق ويقيمني الرجاء عجزت في دار السعادة وتوسط
الملك وحين المهل واجتماع الفكر ألتمس العذر في أمرك فأنا لعمر الله في دار الجزاء
وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسي والتوقع لما طويت
عليه الصحف أعجز وقد كنت أشركتك فيما طوقني الله حمله وألاث بحقوي من أمانة الله
في هذا الخلق المرعى فدللت منه على الحزم والجد في اماتة بدعة وانعاش سنة فقعدت
عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة العائب وعذر اللاعب والشاهد القائم فلعن
الله أبا عقيل وما نجل فالأم والد وأخبث نسل فلعمري ما ظلمكم الزمان ولا قعدت بكم
المراتب لقد البستكم ملابسكم واقعدتكم على ربوابي خططكم وأحللتكم على قدر
منفعتكم فبكنتم بين حافر وناقل ومتح في الفلوات القفرة ما تقدم بكم الاسلام ولقد
تأخرتم وما الطائف منا ببعيد يجهل اهله ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك وسرك انتضاه

سيفك

سيفك فاستفز جلك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته وأنت على هذا وتته يومئذ محسود فهذا أمير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكان بك وكان مالو لم يكن لكان خيرا انما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى أمير المؤمنين فقرعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة فى أوعية ثقيف فأستغفر الله لذنب ماله عذر فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرأى فلقد جالت البصيرة فى ثقيف بصالح النبى صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وماهو الا اختبار للثقة والمطلب او اضح الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بأمير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا ألبس امير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل أمير المؤمنين واظعن عنه بما للعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين ما يحاول من رأيه والسلام ودعا عبد الملك مولى له يقال له نباتة له لسان وفضل رأى فناوله الكتاب ثم قال له يا نباتة العجل ثم العجل حتى تأتى العراق فضع هذا الكتاب فى يد الحجاج وترقب ما يكون منه فان جبن عند قراءته واستيعاب ما فيه فاقلعه عن عمله وانقلع معه حتى تأتى به وهذه الناس حتى يأتيهم أمرى بما تصفنى به فى حين انقلاعك من حبى لهم السلامة وان هش للجواب ولم تأخذه الحيرة فخذ منه ما يجيب به واقرره على عمله ثم اعجل على بجوابه قال نباتة فخرجت قاصدا الى العراق فضمتنى الصحارى والفيافى واحتموا فى القر واخذ منى السفر حتى وصلت فلما وردته أدخلت عليه وعلى شعوب مضنى وقد توسط خدمة من نواحيه وتدثر بمطرف خز أدكن ولاث به الناس من بين قائم وقاعد فلما نظر الى وكان لى عارفا قعد ثم تبسم تبسم الوجل ثم قال أهلا بك يا نباتة أهلا بمولى أمير المؤمنين لقد أثر فيك سفرك وأعرف أمير المؤمنين بك ضنينا فليت شعرى ما دهمك أودهمنى عنده قال فسلمت وقعدت فسأل ما حال امير المؤمنين وخوله فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته اياه فاخذه منى مسرعا ويده ترعد ثم نظر فى وجوه الناس فما شعرت الا وأنا معه ليس معنا ثالث وصار كل من يطيف من خدمه يلقاه خاليا لا يسمعون منا الا الصوت فلا يقربون ففك الكتاب فقرأه وجعل يتثاءب ويرد تثاؤبه ويسيل العرق على جبينه وصدغيه على شدة البرد من تحت

قلنسوته وعلى راسه عمامة خز خضراء وجعل يشخص الى ببصره ساعة كالمتوهم ثم يعود الى قراءة الكتاب ويلاحظنى النظر كالمتفهم الا أنه واجم ثم يعاود الكتاب وانى لا أقول ما أراه يثبت حروفه من شدة اطراب يده حتى استقصى قراءته ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ورجع اليه ذهنه فمسح العرق عن جبينه ثم قال متمثلا

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

فبح والله منا الحسن يا نباتة وتوا كاتبنا عند أمير المؤمنين الالسن وما هذا الا سانح فكرة غمهامر صدبكتاب بقصتنا مع حسن رأى امير المؤمنين فينا يا غلام فتبادر الغلمان الصيحة فلى علينا منهم المجلس حتى دفأ تى منهم الانفاس فقال الدواة والقرطاس فاتى بدواة وقرطاس فكتب بيده ومارفع القلم الا مستمدا حتى سطر مثل خد الفرس فلما فرغ قال لى يا نباتة هل علمت ما جئت به فنسمعك ما كتبنا قلت لا قال اذا حسبك منا مثله ثم ناولنى الجواب وامر لى بجائزة فاجزل وجدلى كساودعالى بطعام فاكلت ثم قال نسكالك الى ما أمرت به من عجلة أو توان وانى لاحب مقارنتك والانس برؤيتك فقلت كان معى قفل مفتاحه عندك ومفتاح قفلك عندى فاجدت لك الوافية بالامرين فاقفلت المكروه وفتحت العافية وما ساءنى ذلك وما أحب ان ازيدك بيانا قلت الوافية الوفاء وقوله فاقفلت دعاء اى جعلنى الله سببا الانصراف المكر وه واقبال المحبوب ثم قال ثم نهضت وقام مودعالى فالتزمنى وقال بابى انت وامى رب لفظة مسموعة ومحتقر نافع فكان كما أظن فخرجت مستقبلا وجهى حتى وردت على امير المؤمنين فوجدته منصرفا من صلاة العصر فلما رآنى قال ما احتواك المضجع يا نباتة فقلت من خاف من وجه الصباح ادلج فسلمت وانتبذت عنه فتركنى حتى سكن جأشى ثم قال مهيم فدفعت اليه الكتاب فقرأه متبسما فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ثم استقصاه فانصرف الى فقال كيف رأيت اشفاقه قال فقصصت عليه ما رأيت منه فقال صلوات الله على الصادق الأمين ان من البيان لسحرا ثم قذف الكتاب الى فقال اقرا فقرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوى أمره من عبد اكتنفته الذلة ومدبه الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جائل قادح ومعتر فادح والسلام عليك

عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى أهلها فانّ دافانى أحمد الله
اليك راجيا المطاعك بعطفه الذى لا اله الا هو امابعد كان الله لك بالدعة فى دار الزوال
والأمن فى دار الزلزال فانه من عنيت به فكرتك يا أمير المؤمنين مخصوصا فما هو الا
سعيد يؤثر أو شقى يوتر وقد حجبنى عن نواظر السعد لسان مرصد ونافث قد انتهز به
الشيطان حين الفكرة فافتتح به أبواب الوسواس بما تحتويه الصدور فواغوثاه باستعاذة
أمير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه
بما اجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد أراد اللعين ان يفتق لاوليائه فتقا انبا
عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر امير المؤمنين ملبسا وكادها وورثا الفلّ من
غربه الذى نصبنى ويصيب ثار لم يزل به موتورا واذ كره قديم مامت به الاوائل حتى لحقت
بمثله منهم وبما كنت أبلوه من خسة اقدار ومن اولة اعمال الى ان وصلت ذلك بالتشرط
لروح بن زنباع وقد علم أمير المؤمنين بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم
المأثور الماضى بان الذى عيربه القوم مصانعهم من أشد ما كان يزاوله أهل القدمة
الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وما
جهل أمير المؤمنين والبيان موقعه غير محتج ولا معتد أن متابعة روح بن زنباع طريق الى
الوسيلة لمن أراد من فوقه وانّ روحا لم يلبسنى العزم الذى به رفعنى أمير المؤمنين عن
خوله وقد ألصقتنى بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى بى البعيد وتطالع الاعلام
وقد اخذت من أمير المؤمنين نصيبا اقتسمه الاشفاق من سخطه والمواظبة على موافقته
فما بقى لنا بعد الاصابة أمر تجول به النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين أمير
المؤمنين سيرا المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير منبت موجف ولا متثاقل
مجحف ففت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة وبادت البدعة وخسأ الشيطان
وحملت الأديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها أنا ذا يا أمير المؤمنين نصب
المسئلة لمن رامنى وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل محتج أول ثم ملتج وأمير
المؤمنين ولىّ المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ أمرى ولكل نبأ
مستقر وما حقنت يا أمير المؤمنين فى أوعية ثقيف حتى روى الظمآن وبطن الغرثان
وغصت الاوعية وانقدت الاوكية فى آل مروان فاخذت ثقيف فضلا اسارلها لولاه

لقطعت السالة ولقد كان ما انكره أمير المؤمنين من قد امل وكانهما لولم يكن العظم الخطب فوق ما كان وان أمير المؤمنين لرابع أربعة احدهم ابنة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا في النجي المصطفى بالرسالة لحقق لها فيه الرجا وزالت شبهة الشك بالاختبار وقبلها العزيز في يوسف ثم الصديق في الفاروق رحمة الله عليهما وأمير المؤمنين في الحجاج وما حسد الشيطان بامير المؤمنين خالا ولا شرق بغير نعمي مسكم غبطة بامير المؤمنين الرجيم اذ برمنه وله عواء وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كيت وكيت ولا أظن اذ كرلها من امير المؤمنين ولقد سمعت لامير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه في ثقيف مقالا هجم بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في رده بحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقد اخبر عن الله عز وجل بحكاية غرّ الملا من قريش عند الاختيار والافتخار وقد نفخ الشيطان في مناخرهم قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فوقع اختيارهم عند المباهات بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وابي مسعود الثقفي فصارا في الافتخار بهما صنوين ما انكرا اجتماعهما من الامة منكر في مدّ صوت القرآن ومبلغ الوحي وان كان ليقال للوليد في الامة يومئذ ريحانة قريش ومارد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة في القسم السابق فقال عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وما قدمتني يا أمير المؤمنين ثقيف في الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب والامر الى أمير المؤمنين عزل أم أقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله قال نباتة فاتيت على الكتاب بحضر امير المؤمنين عبد الملك فلما استوعبته سارقته النظر على الهيبة منه فصادف لحظي لحظه فقال اقطعه ولا تعلمن بما كان احدا فلما مات عبد الملك فشاعني الخبر انك تنظر ايها الطالب من هذه الحكاية بلاغة عالية وسياسة محكمة تعرف منها قدر ما كان عليه عبد الملك والحجاج وكيف كان علو أمر الدولة ذلك وهذه حكاية ثانية هي أوفق بالغرض من الاولى تشتمل أيضا على كتاب وجوابه لهما وأمور تستفيد بمعرفتها زيادة مكنة فيما تحاول ان تصل الى معرفته والتحقق بما يستبينك من آدابه قال سعيد بن

جويرية

جويرية خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف فارسل الى أنس بن مالك أن يخرج معه فأبى فكتب اليه يشتمه فكتب انس بن مالك الى عبد الملك بن مروان يشكوه وأدرج كتاب الحجاج فى جوف كتابه قال اسماعيل بن عبد الله بن ابى المهاجر بعث الى عبد الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعث الى فى مثلها فدخلت عليه وهو اشد ما كان حنقا وغيظا فقال يا اسماعيل ما اشد على أن تقول الرعية ضعف امير المؤمنين وضاق ذرعه فى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة فقلت وماذاك يا أمير المؤمنين قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى يذكر ان الحجاج قد اضر به واساء جواره وقد كتبت فى ذلك كتابين كتابا الى أنس بن مالك والآخر الى الحجاج فقبضهما ثم اخرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بانس بن مالك وادفع له كتابى وقل له اشتد على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج اليك ولن يأتى اليك أمر تكرهه ان شاء الله ثم ائت الحجاج فادفع اليه كتابه وقل له قد اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمنى اياه اذا قدمت على ان شاء الله قال اسمعيل فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتى قدمت العراق فبدأت بانس بن مالك فى منزله فدفعت اليه كتاب أمير المؤمنين وابلغته رسالته فدعا له وجزاه خيرا فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت له ابا حمزة ان الحجاج عامل ولو وضع لك فى جامعة قدر أن يضرك وينفعك فأنا أريد ان تصالحه قال ذلك اليك لا أخرج عن رأيك ثم أتيت الحجاج فلما رآنى رحب وقال والله لقد كنت أحب أن اراك فى بلدى هذا قلت وأنا والله قد كنت أحب أن اراك وأقدم عليك بغير ما ارسلت به اليك قال وماذاك قلت فارقت الخليفة وهو اغضب الناس عليك قال ولم قال فدفعت اليه الكتاب فجعل يقرأه وجبينه يعرق فيمسحه بيمينه ثم قال اركب بنا الى أنس ابن مالك قلت له لا تفعل فانى سأتلطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى اشرت عليه من مصالحته قال ففك كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزات الليوث للثعالب ولاركضنك ركضة تدخل منها

فى جوارك اذ كرم مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على اكتافهم ويحفرون الآبار فى المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة منك على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته وأظنك اردت ان تروزه بها لتعلم ماعنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان غصصت بها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد اخفش العينين اصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وايم الله لوأن امير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرما وانتهكت له عرضا فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى ينتهى بك الى انس بن مالك فيحكم فيك بما احب ولم يخف على امير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال اسمعيل فانطلقت الى انس فلم ازل به حتى انطلق معى الى الحجاج فلما دخلنا عليه قال يغفر الله لك ابا حمزة عجلت بالملامة واغضبت علينا امير المؤمنين ثم اخذ بيده فاجلسه معه على السرير فقال انس انك تزعم انا الاشرار والله سمانا الانصار وقلت انا من ابخل الناس والله يقول فينا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وزعمت أنا اهل نفاق والله تعالى يقول فينا والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا فكان المخرج والمشتكى فى ذلك الى الله والى امير المؤمنين فتولى من ذلك ماولاه الله وعرف من حقنا ماجهلت وحفظ منا ماضيعت وسيحكم فى ذلك رب هو ارضى للرضى واسخط للسخط واقدر على الغير فى يوم لا يشوب الحق فيه الباطل ولا النور الظلمة ولا الهدى الضلالة والله لوان اليهود او النصارى رات من خدم موسى بن عمران او عيسى بن مريم يوما واحدا لرات له مالم تروا لى فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين قال فاعتذر اليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره وترضى عنه وكتب برضاه وقبوله عذره ولم يزل الحجاج له معظما هائبا حتى هلك رضى الله عنه وكتب الحجاج الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد اصلح الله امير المؤمنين وابقاه وسهل حظه وحاطه ولا عدمناه فان اسمعيل بن ابى المهاجر رسول امير المؤمنين اعز الله نصره قدم على بكتاب أمير المؤمنين اطال الله بقاءه وجعلنى من كل

مكروه

مكروه فداه بذكرشتمي وتوبيخي بآبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه واحسانه اليه ويذكرني امير المؤمنين جعلني الله فداه استطالة مني على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة على امير المؤمنين وغرة بمعرفة غير ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته وامير المؤمنين اصلحه الله من قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم النبيين احق من اقال عثرتي وعفا عن ذنبي فامهلني ولم يعجلني عند هفوتي للذي جبل عليه من كريم طبائعه وما قلده الله من امور عباده فرأى امير المؤمنين اصلحه الله في تسكين روعتي وافراخ كربتي فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وفجأة نقمته وأمير المؤمنين اقاله الله العثرات وتجاوز له عن السيآت وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات احق من صفح وعفا وتغمد وأبقى ولم يشمت بي عدوا مكبا ولا حسودا مصبا ولم يجرعني غصصا والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته الي وتنويهه لي بما اسند الي من عمله واوطأني من رقاب رعيته فصادق فيه مجزي بالشكر عليه والتوسل مني اليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد عاين اسمعيل ابن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه من نزولي عند مسرة أنس بن مالك وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين واقلاقه اياي ودخوله بالمصيبة علي ما سيعلمه أمير المؤمنين فان رأى أمير المؤمنين طوقني الله بشكره واعانني على تادية حقه وبلغني الى ما فيه موافقة مرضاته ومد لي في اجله ان يامر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره مايؤمنني به من سفك دمي ويرد ماشرد من نومي ويطمئن به قلبي فقد ورد علي أمر جليل خطبه عظيم أمره شديد علي كربه أسأل الله ان لا يسخط أمير المؤمنين وان يثبته في حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه مما يحمد به حسن رأيه وبعد همته انه ولي امير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له في أمره والسلام فحدث اسمعيل انه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال يا كاتب افرخ روع أبي محمد فكتب اليه بالرضاعنه انك تعلم أيها الطالب من كتاب عبد الملك هذا وجوابه للحجاج والي العراق من قبله أن القوم كانوا يستجيزون العقوبة بالشتم والاخاش في السب واللعن عند عظم الجناية وكيف يتلقى الضعيف للقوي ويحتمل ما يرد عليه منه ويتلقاه

بالرضا والتسليم وقول عبد الملك يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف من الاخلاق
فى السب فان الاستفرام هو ان تأخذ المرأة شيأ من الامور الحريفة كالشب والعفص
وبزر العنب الذى هو العجم فتجعله فى خرقة وتضعه فى فرجها لينكمش فيضيق وفى قول
عبد الملك صدر كلامه لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة اشارة الى وصية النبى صلى
الله عليه وسلم بالانصار لمن يتولى الامر بعده ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم
وبهذه الوصية احتج أبو بكر رضى الله عنه على الانصار فى أنه لا حق لهم فى الخلافة
حيث كانوا موصى بهم فالوالى إذا يكون من غيرهم فقبلوا ذلك منه وانكفوا عن طلب
الخلافة بعدما كان من الحباب بن المنذر يوم السقيفة اذ يقول حال المشاورة انا جذيلها
المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير رضى الله عن الجميع وهذه حكاية
ثالثة تشتمل على كتاب من سليمان بن عبد الملك أيام ولاية أخيه الوليد الى الحجاج
وجوابه من الحجاج اليه قالوا كان سليمان بن عبد الملك يكتب الى الحجاج فى ايام اخيه
الوليد بن عبد الملك كتبا فلا ينظر له فيها فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن
عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله أما بعد فانك امرؤ
مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك
مستخف بحق الله وحق أوليائه لا ما سلف اليك من خير يعطفك ولا ما عليك لا لك
تصرفه فى مهمة من امرك معموه معصوص عن الحق اعصيصاء لا تسكت عن قبيح ولا
ترعوى عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فقس شبرك بفترك وأيم
الله لئن امكننى الله منك لأدوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولأجعلنك شريدا
فى الجبال تلوذ باطراف الشمال ولأعلقن الرومية الحمراء بثديها علم الله ذلك منى فقدما
غرتك العافية وانتهيت اعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت
فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بى وبك مدة اتعلق بها وان تك
الأخرى فأرجو أن تؤول الى مذلة ذليلة وخزية طويلة ويجعل مصيرك فى الآخرة شر
مصير والسلام فكتب اليه الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى
سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك كتبت الى تذكر انى امرؤ
مهتوك عنى حجاب الحق مولع بما على لا لى منصرف عن منافعى تارك لحظى مستخف

بحق

بحق الله وحق ولي الحق وتذكر أنك ذو صاولة ولعمري انك اصبي حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك ويرقب فيك غيرك فاما كتابك الي فلعمري لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك فلله أبوك أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ورجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأغمت عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبهه فيلتمس من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته ولكنك لم تشف بالامور علما ولم ترزق من أمرك حزما جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوء امرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من طبيعتك واقبل الشيطان بك وادبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطى ما يعيبك فتزحلقت حضرتك لقوله واتسعت جوانبها الكذب واما قولك لو ملكك الله لعاقت زينب ابنة يوسف بشديها فارجو أن يكرمها الله بهوانك وأن لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع أني اعرف انك كتبت الي والشيطان بين كتفيك فشر مملى على شر كاتب راض بالخسف فاحرى بالحق أن لا يدلك على هدى ولا يردك الا الى ردى ومال بك الامل وتحلب فوك للخلافة فانت شامخ البصر طامح النظر تظن انك حين تملكها لا تنقطع عنك مدتها انها النعمة الله اسأل الله ان يلهمك فيها الشكر مع أني أرجو أن ترغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك فا كون لك مثلي لهما وان نفخ الشيطان في منخرك فهو أمر أراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو أكمل به منك ولعمري انها النصيحة فان تقبلها فلنا اقبل وان تردها علي اقتطعتها دونك وأنا الحجاج زينب ابنة يوسف اخت الحجاج هي التي ارادها سليمان بقوله الرومية الحمراء يشتمها بذلك وقول الحجاج تحلب فوك للخلافة كقول الناس سال لعابه لكذا وجرى ريقه في هذه القصة ظهرت من سليمان جهالات منها ما قاله الحجاج في كتابه من تنبيه عدوه لما اضمر له فاما ان يلتمس له المكايد واما أن يحترس منه حتى لا يبلغ فيه مرامه ومنها توعده اوان عجزه بمنتظر قدرة تكون أو لا تكون ومنها تعرضه لتحرك غيرة السلطان القائم وسوء ظنه به وربما كان ذلك سببا لايقاعه به وذهابه بنفسه فقد قيل الملك عقيم يعني أنه ربما دعا الملك بحادثة من الحوادث الى أن يقتل ابنه أو أخاه ومنها اقرانه نفسه على صغر سنه برجل نكرة داهية تصرفت به الاحوال ومرت على راسه حوادث الايام حتى عرف وجوه المنافع والمضار

وابن اللبون اذا ما لز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

هذه صورة ما كانت عليه الكتابة فى الطبقة الاولى لا ترى فى الكتابة زيادة عن
المقصود وعناية صاحبه انما هى ايفاء تادية المراد ومثل هذه الكتابة هو الذى أراد ابن
خلدون بالمرسل من قسمى الكتابة ومدحه وعاب غيره وهذا هو الفصل الذى أبان فيه
ذلك قال اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون
المقفى ومعناه الذى تكون اوزانه كلها على روى واحد وهو القافية والنثر وهو
الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب فى الكلام فاما
الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء واما النثر فمنه السجع الذى يؤتى به قطعا ويلتزم فى كل
كلمتين منه قافية واحدة ومنه المرسل وهو الذى يطلق فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع
اجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ويستعمل فى الخطب والدعاء وترغيب الجمهور
وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين وليس يسمى
مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل مفصل بآيات ينتهى الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام
عندها ثم يعاد الكلام فى الآية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا
ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى أواخر الآيات منها فواصل
اذ ليست اسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم فى السجع ولا هى أيضا قواف واطلق اسم المثانى
على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للغلبة فيها كالنجم
للثريا ولهذا سميت السبع المثانى وانظر هذا مع ما قاله المفسرون فى تعليل تسميتها
بالمثانى يشهد لك الحق برجحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون أساليب
تختص به عند اهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر
والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك وقد استعمل
المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية
وتقديم النسيب بين يدى الأغراض وصار هذا المنثور اذا تاملته من باب الشعر وفنه ولم
يفترقا الا فى الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها
فى المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال فى المنثور كله على هذا الفن الذى
ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا أهل المشرق

وصارت

وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذى أشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنثور المقفى ادخل المتاخرون فيه أساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه والمحمود فى المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا فى الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب أو ايجاز أو حذف أو اثبات أو تصريح أو اشارة وكناية واستعارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذى هو اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجمة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد أمده فى البلاغة وانفساح خطوه وولعوا بهذا السجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب البديعية ويغفلون عما سوى ذلك واكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه فى سائر انحاء كلامهم كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد حتى انهم ليخلون بالاعراب فى الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم فى تجنيس او مطابقة لا يجتمعان معهما فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتامل ذلك بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه فاذا قرأت هذا الفصل من كلام ابن خلدون علمت انه قد حصل فى الانشاء تغيرات تقتضى التقسيم الى طبقات كما كان فى الشعر وبالاستقراء وتشابه الكيفية وتقاربها فى كل عصر تجد انها ثلاث طبقات كطبقات الشعراء فأولاها الامة العربية التى انتهت بانتهاء دولة بنى امية فان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان آخر ملوكهم يعد فاتحا للطبقة الثانية حيث أطال النفس فى الكلام وفسح فى العبارات وزاد عن المقاصد زيادة تخرج الكلام عن حد الافادة وتدخله فى كونه اداة رسم واقامة شعيرة من شعائر الملك فانه يحتاج لاجزاء ما تضمنه الى تلخيص وتفتيش عن المقصود بحيث اذا ورد الكتاب على مامور بأمر ينفذه قال الكاتب خذ هذا

الكتاب واقرأه وتأمل مافيه واستخرج لى غرضه وخذلى مآله فيتعب الكاتب في ذلك حتى يلخص عبارة صغيرة تتضمن المقصود فتكون هي روح الكتاب والمعوّل عليه فيه ويكون الباقي بمنزلة اللغو وانما لم نجد كثرة الكلام واطالة الكتب الا عند انتهاء الدولة واشرافها على الزوال نجد ذلك في كل عصر بخلاف الحال في اوائل الدول وحين قوتها وكان كثرة الاشغال بمهمات الامور اذ ذاك لاتدع موضعا لكثرة الاقوال يدلك على ذلك مانقل عن جعفر بن يحيى من قوله لكتابه ان استطعتم ان تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا والتوقيع هو مايكتبه الكاتب عن السلطان فمن دونه من أولى الأمر في أواخر الكتب بما يريد المكتوب عنه اجراءه وذلك يكون بعبارات صغيرة وافية بالغرض متمكنة في باب البلاغة فقد كان الناس يطلبون توقيعات جعفر بن يحيى ويتنافسون في الحصول عليها حتى قيل ان الورقة من كتبه ربما اشتريت بدينار واما عند انتهاء الدولة فان الامور تكون قد تمهدت والاحوال قد اطمأنت واقبل العظماء والرؤساء على استعمال اللذات والمضى مع الشهوات وتسيير الاعمال على الترتيب والتمهيد الذى تعب فيه أوائل تلك الدولة وحينئذ تكون اوقاتهم فارغة يجد المقال له فيها مجالا فيتسع وتطول الكتب الى ذلك الحد المذموم الذى وقعت الاشارة اليه والتصريح به من ابن خلدون ومن تكلم مثل كلامه فقد قيل ان عبد الحميد بن يحيى كتب عن سلطانه كتابات وقر بعير ولكن لم يبق من كلامه شئ يتناقله الناس لانمحاء دولته وذهاب آثارها وخمود ذكرها اما لمحبة الدولة القائمة أو الخوف منها والتملق لها كما هو الحال في كل دولة تذهب بقيام غيرها الا انه قد بقى من كلام عبد الحميد هذا كتاب اوصى فيه الكتاب بمحاسن الآداب وهو مشتمل على أدب لا يخص الكتاب ﴿وهذه صورته﴾

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجلّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا فى الحقيقة سواء وصرّفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات اهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصحائكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف

الا

الا منكم فوقهم من الملوك موقع اسماعهم التى بها يسمعون وابصارهم التى بها يبصرون والسنتهم التى بها ينطقون وايديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج فى نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيما فى موضع الحكم مقداما فى موضع الاقدام محجاما فى موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفهموا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الأمور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربؤا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو اليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان اقعد احدا منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده واخيه فان عرضت فى الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب

اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ماهو جزاء لحقه ويصدق ذلك فعله عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولى الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما وللفىء موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألفا وعن أذاهم متخلفا وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من بين يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية راسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب لفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا ما امكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله من صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على افعالكم بالقصد

بالقصد فى كل ماذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلهما ولا سيما الكتاب وارباب الآداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه وروية فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى فى منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من اكثاره وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تامله غير خاف ولا يقل أحد منكم انه ابصر بالامور واحمل لأعباء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب غرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قول عبد الحميد فى آفة التدبير هو ماسبقت الاشارة الى وجوب التحرز منه من زيادة الكلام على المقاصد زيادة تمنع صاحب الكاتب وهو أميره عن انفاذ علمه وإعمال رويته فى تلك المقاصد فيجب الاقتصار على اقوى الحجج بمنفعة ما يراد اجراؤه ولا يذهب كثيرا من الاوقات بالاشتغال فى الاوصاف وعد المحاسن والمساوى بالعبارات المختلفة الاحيث يقتضى الحال ذلك ومشاهير هذه الطبقة التى افتتحها عبد الحميد هذا كثير كالربيع والفضل

ابنه و يعقوب ابن داود و بنى برمك ومحمد بن عبد الملك الزيات فى اوائل الدولة العباسية و بنى الفرات والاستاذ ابن العميد والصاحب اسماعيل بن عباد وأبى اسحق الصابى وابى الفضل أحمد المعروف ببديع الزمان وابى بكر الخوارزمى فى أواسطها وهذه أمثلة تعرف بها ما كان عليه حال الكتابة فى هذه الطبقة التى تعقبها الطبقة الثالثة المفتتحة بعبد الرحيم البيسانى المشهور بالقاضى الفاضل و زير صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك الكرد بمصر *(صورة كتاب عن المعتصم)* الى نواحى بلاد الاسلام يتضمن شكر الله على الظفر بعدوّ والبشارة بذلك أما بعد فالحمد لله الذى جعل العاقبة لدينه والعصمة لاوليائه والعز لمن نصره والفلج لمن أطاعه والحق لمن عرف حقه وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى الهاً غيره لا اله الا هو وحده لا شريك له يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ولا يتوكل الا عليه ولا يفوض أمره الا اليه ولا يرجو الخير الا من عنده والمزيد الا من سعة فضله ولا يستعين فى احواله كلها الا به ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده الذى ارتضاه لنبوته وابتعثه بوحيه واختصه بكرامته فارسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والحمد لله الذى توحد لامير المؤمنين بصنعه فيسر له امره وصدق له ظنه وأنجح له طلبته وبلغه محبته وادرك المسلمون بثارهم على يده وقتل عدوّهم واسكن روعتهم ورحم فاقتهم وآنس وحشتهم فاصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين فى ديارهم متمكنين فى أوطانهم بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء وتتابع البلاء منا من الله عز وجل على امير المؤمنين بما خصه به وصنعا له فيما وفقه لطلبه وكرامة زادها فيما أجرى على يده فالحمد لله كثيرا كما هو اهله وترغبا الى الله فى تمام نعمه ودوام صنعه وسعة ما عنده بمنه ولطفه ولا يعلم امير المؤمنين مع كثرة اعداء المسلمين وتكنفهم اياهم من اقطارهم والضغائن التى فى قلوبهم على اهله وما يترصدونه من العداوة وينطوون عليه من المكايدة اذ كان هو الظاهر عليهم والآخذ منهم عدوّا كان اعظم بلية ولا اجل خطبا ولا اشد كلبا ولا ابلغ مكايدة ولا ارمى بمكروه من هؤلاء الكفرة الذين يغزونهم المسلمون فيستعلون عليهم و يضعون ايديهم حيث شاؤا منهم ولا يقبلون لهم صلحا ولا يميلون معهم الى موادعة وان

كانت

كانت لهم على طول الايام وتصرف الحالات وبعض مالا يزال يكون من فترات ولاة
الثغور ادنى دولة من دولات الظاهر وخلسة من خلس الحرب كان بالهم من خوف العاقبة
فى ذلك منغص لما تعجلوا من سروره وما يتوقعون من الدوائر بعده مكدر لما وصل اليهم من
فرحة فاما اللعين بابك وكفرته فانهم كانوا يغزون اكثر مما يغزون وينالون اكثر مما ينال منهم
ومنهم المنحرفون عن الموادعة المتوحشون عن المراسلة ومن أديلوا من تتابع الدول ولم
يخافوا عاقبة تدركهم ولا دائرة تدور عليهم وكان مما وطأ ذلك ومكنه لهم انهم قوم ابتدؤا
أمرهم على حال تشاغل من السلطان وتتابع من الفتن واطراب من الحيل فاستقبلوا
امرهم بعزة من انفسهم واستشارة من ذوى آرائهم فاجلوا من حولهم لتخلص البلاد لهم
ثم اخربوا البلاد ليعز مطلبهم وتشتد المؤنة وتعظم الكلفة ويقووا فى ذات ايديهم فلم يتواف
قواد السلطان الا وقد توافت اليهم القوة من كل جانب فاستفحل امرهم وعظمت شوكتهم
واشتدت ضرواتهم واجتمع لهم كيدهم وكثر عددهم واعتدادهم وتمكنت الهيبة
فى صدور الناس منهم وتحقق فى نفوسهم ان كل ما يعدهم الكافر ويمنيهم اخذ باليد وكان
الذى بقى عندهم منه كالذى مضى ويدون هذا ما يختدع الاريب ويستنزل العاقل
ويعتقل الفطن فكيف بمن لا فكرة له ولا روية عنده وهذا مع كل ما فى قلوبهم من حسد
اهل النعم ومنافستهم على ما فى أيديهم وتقطعهم حسرات فى أثر ما خصوا به وانهم الا يكونوا
يرون انفسهم احق بذلك فانهم فيه سواء ولم يزل امير المؤمنين قبل أن تفضى اليه الخلافة
ماذا عنقه ووجها همته الى ان يوليه الله امر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ويجعل
القارع لهم عن دينه والمؤخر لهم عن حقه فلم يكن يألو فى ذلك حرصا وطلبا واحتيالا
فكان امير المؤمنين رضى الله عنه يابى ذلك لضنه به وصيانته له فلما أفضى الله الى امير
المؤمنين بخلافته واطلق الامر فى يده لم يكن شئ احب اليه ولا آخذ بقلبه من معاجلة
الكافر وكفرته واعزه الله واعانه فلله الحمد على ذلك وتيسره فاعد من امواله أحضرها
ومن قواد جيشه اعلمهم بالحرب وانهضهم بالمعضلات ومن اوليائه وابناء دعوته ودعوة
آبائه صلوات الله عليهم احسنهم طاعة واشدهم نكاية واكثرهم عدة ثم اتبع الاموال
بالاموال والرجال بالرجال من خاصة مواليه وعدد غلمانه وقبل ذلك ما اتكل عليه من
صنع الله عز وجل ووجه اليه من رعيته فكيف رأى الكافر اللعين واصحابه الملاعين أن

الله يكذب ظنونهم و يشفي صدور اوليائه منهم يقتلونهم كيف شاؤا في كل موطن ومعترك مادامت عند انفسهم مقاومة فلما ذلوا وقلوا وكرهوا الموت صاروا لا يتراءون الا في رؤس الجبال ومضايق الطرق وخلف الاودية ومن وراء الانهار وحيث لا تنالهم الخيل طلبا للمطاولة وانتظار الدوائر فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين واستدرجهم حتى جمعهم الى حصنهم معتصمين فيه عند انفسهم فجعل اعتصامهم حينا لهم وصنعا لاوليائه واحاطة منه بهم تبارك وتعالى فجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقية ولا ترجى لهم عاقبة ولا يكون الدين الا لله ولا العاقبة الا لاوليائه ولا التعس والنكس الا لمن خذله فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم سلطهم الله عليهم كيد واحدة يختطفونهم بسيوفهم وينتظمونهم برماحهم فلا يجدون ملجأ ولا مهرب باثم امكنهم من اهاليهم واولادهم ونسائهم وحرمهم وصبروا الدار دارهم والمحلة محلتهم والاموال قسما بينهم والاهل إماء وعبيدا وفوق ذلك كله ما اعدّ الله لهؤلاء من الرحمة والثواب وما اعدّ لأولئك من الخزى والعقاب وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسلم من ذل الغلبة ولا فيمن نجا فعاين في الحياة بعض العوض ولا فيمن اصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه لكنه سبحانه وتعالى اطلقه وسدّ مذاهبه وتركه بين الذل والخوف والغصة والحسرة حتى اذا ذاق طعم ذلك كله وفهمه وعرف موقع المصيبة وظن مع ذلك كله انه على طريق من النجاة ضرب الله وجهه واعمى بصره وسد عليه واخذ بسمعه وبصره وحازه الى من لا يرق له ولا يرثي لمصرعه فامتثل ما أمر به الافشين حيدر بن طاووس مولى امير المؤمنين في أمره فبث له الحبائل ووضع عليه الارصاد ونصب له الاشراك حتى اظفره الله به اسيرا ذليلا موثقا في الحديد يراه في تلك الحالة من كان يراه ربا ويرى الدائرة عليه من كان يظن انها ستكون له فالحمد لله الذي اعز دينه واظهر حجته ونصر اولياءه من اهلاك أعدائه حمدا يقضى به الحق وتتم به النعمة وتتصل به الزيادة والحمد لله الذي نجح على أمير المؤمنين وحقق ظنه وانجح سعيه وحازله أجر هذا الفتح وزخره وشرفه وجعله خالصا لتمامه وكماله باكمل الصنع واحسن الكفاية ولا خلا من سرور يراه وبشارة تتجدد له عنده فالحمد لله اولا والحمد لله آخرا والحمد لله على عطاياه التي لا تحصى ونعمه التي لا تنسى ان شاء الله تعالى وهذا الكتاب من البليغ المرسل الوافي اذا تاملته وجدته قد شرح الحال على احسن

وجه

وجهوا جاله لم يغادر دقيقة الا ظهرها واكمل الحديث عنها من اول فكرة الى آخر عاقبة

﴿وهذه صورة كتاب من انشاء ابى اسحاق الصابى﴾ عن الخليفة الطائع الى صمصام الدولة ابن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه الخارج عن الطاعة من عبد الله عبد الكريم الامام الطائع لله امير المؤمنين الى صمصام الدولة وشمس الملة ابى كيجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المؤمنين سلام عليك فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم اما بعد أطال الله بقاءك فان أمير المؤمنين وان كان قد بوأك المنزلة العليا وانالك من أثرته الغاية القصوى وجعل لك ما كان لابيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القدر والمحل والموضع الارفع الاجل فانه يوجب لك عند كل أثر يكون لك فى الخدمة ومقام حمد تقومه فى حماية البيضة انعاما يظاهره واكراما يتابعه ويواتره والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ويمدك بمعونته وتأييده ويخير لامير المؤمنين فيما رأيه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك والانافة بك وتعظيمك وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب وقد عرفت ادام الله عزك ما كان من امر كردويه كافر نعمة امير المؤمنين ونعمتك وجاحد صنيعه وصنيعك فى الوثبة التى وثبها والكبيرة التى ارتكبها وتقديره ان ينتهز الفرصة التى لم يمكنه الله منها بل كان من وراء دفعه وردّه عنها ومعاجلتك اياه الحرب التى اصلاه الله نارها وقنعه عارها وشنارها حتى انهزم والاوغاد الذين شركوه فى اثارة الفتنة على اقبح احوال الذلة والقلة بعد القتل الذريع والاثخان الوحيع فالحمد لله على هذه النعمة التى جل موقعها وبان على الخاصة والعامة اثرها ولزم امير المؤمنين خصوصا والمسلمين عموما نشرها والحديث بها وهو المسؤل اقامتها وادامتها برحمته وقد رآى امير المؤمنين ان يجازيك عن هذا الفتح العظيم والمقام المجيد الكريم بخلع تامة ودابتين ومركبين ذهب من مراكبه وسيف وطوق وسوار مرصع فتلق ذلك بشكره عليه والاعتداد بنعمته فيه والبس خلع امير المؤمنين وتكرمته ومر من بابه على جلالته واظهر ما حباك به لاهل حضرته ليعز الله بك وليه ووليك ويذل عدوه وعدوك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ﴿وهذه صورة كتاب تعزية عن الخليفة المقتفى﴾ الى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى عند وفاة ابنه من عبد الله ابى

عبد الله محمد المقتفي لامر الله أمير المؤمنين الى شاهنشاه المعظم مولى الامم مالك رقاب العرب والعجم جلال دين الله ظهير عباد الله حافظ بلاد الله معين خليفة الله غياث الدنيا والدين ناصر الاسلام والمسلمين محيي الدولة القاهرة معز الملة الزاهرة عماد الملة الباهرة ابي الفتح مسعود بن محمد ملكشاه قسيم أمير المؤمنين سلام عليك فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ويسلم تسليما اما بعد اطال الله بقاءك وادام عزك وتاييدك وسعادتك ونعمتك واحسن حفظك وكلاءتك ورعايتك وامتع امير المؤمنين بك والنعمة الجليلة والموهبة الجزيلة والمنحة النفيسة فيك وعندك ولا اخلاه منك فان اولى من ادرع للحوادث جنة الاصطبار ونظر احوال الدنيا في تقلبها بعين الاعتبار ورجع الى الله في قدره وقضائه وسلم لامره الذي لا راد له في امتحانه وابتلائه وعرف ان له سبحانه في كل ما يجريه على عباده حكمة باطنة ومصلحة كامنة من خير عاجل ييسره وثواب آجل يؤخره لهم الى يوم الجزاء ويدخره وفائدة هو ادرى بها واعلم وفعلة فيها اتقن واحكم من خصه بما خصك الله به من الدين الراجح والخلق الصالح والمعتقد الواضح والنعم التي جادك في كل يوم سحابها واتسعت بين يديك عند مضايق الامور رحابها وانست اذا استوحشت من العاجزين عن ارتباطها بالشكر صحابها والمناقب التي فرعت بها صهوات المجد وتملكت رق الثناء والحمد وعلوت فيها عن المساجل والمطاول وبعد ما صيرك منها عن ان تناله يد متناول وتأدى الى امير المؤمنين امتعه الله ببقائك ودافع له عن حوبائك نبأ الحادثة بسليلك الذي اختار الله له كريم جواره فاحب له الانتقال الى محل الفوز ومداره فوجد لذلك وجوما موفرا وهما للسكون منفرا وتوزعا تقتضيه المشاركة لك فيما ساء وسر والمساهمة الحاصلة في كل ما حلا من الامور وأمر وامر عند ورود هذا الخبر بالتصدي للعزاء واعلان ما يعلن عن مقاسمتك في الضراء دفعها الله عنك والسراء الى ما ابان عن انصراف الهمم الامامية اليك فيما خص وعم من حالك واستجلابه لك دواعي المسار في حلك وترحالك وكون الافكار الشريفة موكلة بكل ما حمى من الروائع قلبك واعذب شربك وانت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك ونيته ورأيه فيك وشفقته ورعاية مصلحتك منه بعين كالية ورجوعه من المحافظة في حقك الى الفة بالصفاء حالية وتلقى

الرزية

الرزية التي ارادها الله وقضاها وانفذ مشيئته فيها وامضاها بالصبر المأمور به والاحتساب والتسليم الموعود عليه بجزيل الثواب علما أن الاقدار لا تغالب وغريمها لا يطالب وان لا سبيل لاحد من خلقه الى البقاء ولا طريق للخلود في دار الفناء ولا دافع لحكمه جلت عظمته فيما قدره من الآجال وسبق في علمه من الروائع في الابتلاء والاوجال ومايزال التطلع واقعا الى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي الأليق بك والادعى الى حصول بغيتك من رضا الله واربك المحط الانسة مع وصوله في رحالها وتؤذن بصرف الهموم الجارية لاجلك وارتحالها هذه مناجاة امير المؤمنين لك ادام الله تأييدك وامتع بك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله ﴿ وهذه ورقة جواب عن المقتفي ﴾ الى غياث الدين مسعود السلجوقي حيث كتب يخبره بعود خارج الى الطاعة من عبد الله ابي عبد الله محمد الامام المقتفي لامر الله أمير المؤمنين الى غياث الدين وساق ما تقدم من الالقاب ثم قال اما بعد اطال الله بقاءك فان كتابك عرض بحضرة امير المؤمنين معربا عن اخبار سعادتك وجري الامور على ارادتك وبلوغ الاغراض من الوجهة التي توجهت اليها والاطراف التي اشرقت سعادتك عليها بيانا من ما تكنه من الطاعة الامامية وتضمره وتعتقده من الاخلاص وتستشعره وان ركن الدين محمدا ومن انضم الى جملته وانتظم في سلك موافقته لما ظفر وامنك بذمام اطمأنوا اليه وسكنوا وأمان وثقوا به وركنوا أبصروا الرشد فاتبعوه واستجابوا الداعي اذ سمعوه واذعنوا بطاعتك مسرعين وانقادوا الى متابعتك مطيعين على استقرار مسيرهم تحت لوائك الى باب همذان ليكون تقرير القواعد الجامعة للمصالح عند وصولها والتوفر على تحري ما تقر به الخواطر مع حلولها ووقف عليه وعرف مضمونه وجدد ذلك لديه من الابتهاج والاغتباط الواضح المنهاج ما تقتضيه الثقة بولائك واعتماده وتقوية على جميل معتقدك واعتضاده من طاعتك بحبل لا تنقطع الايام مبرمه وسكونه من ولائك الى وزر لا تروع المخاوف حرمه وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العميمة والموهبة الجسيمة من اجابة الادعية التي ما زالت جنودها لك مجهزة ووعوده جلت عظمته بقبول امثالها منجزة وامدادك منها بامداد تستدعي لك النصر وتستنزله وتستكمل الحظ من كل خير وتستجزله وبلغ الامل منك فيمن هو العدة للملمات والخاص بتقرير الانس من روائع

الشتات ومن بقاؤه يكف عن الامتداد اكف الخطوب ويطلق وجوه المسار من عقل القطوب ويأبى الله العادل فى حكمه وحكمته الرؤف بعباده وخليفته الا اعلاء كلمة الحق بالهمم الامامية والاجراء على عوائد صنعه الخفية الكافلة بصلاح العباد والرعية وقد اقيمت أسواق التهنئة بهذه البشرى وافادت جذلا تتابع وفوده تترى لاسيما مع الاشارة الى قرب الاوبة التى تدنى كل صلاح وتجلبه وتزيل كل خلل اتعب القلوب وتذهبه والى البارى جل اسمه الرغبة فى اختصاصك من عنايته باحسن ما عهدته واجله وصلة آخروقتك فى نجح المساعى وأوله وان لايخلى الدار العزيزة من اخلاصك فى ولائها ورغبتك فى تحصيل مراضيها وشريف آرائها هذه مناجات أمير المؤمنين أدام الله تاييدك وامتع بك جرى فيها على عادة تكرمته واعرب بها عن اعتقاده فيك وطويته ومكانك الاثيل فى شريف حضرته وابتهاجه بنعمة الله عندك وخيرته فتاملها تاملا يشاكل طاعتك الصافية من الشوائب والاقذاء وتلقها بصدق الاعتماد عليها وحسن الاصغاء تفز بالاصابة تداركك ويقرب بالتوفيق مغدك ومراحك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته *(وهذه صورة جواب عن الحافظ لدين الله)* أحد الفاطميين حيث ورد عليه كتاب من أحد أمرائه وكان ارسله الى الديار الشامية وقد أخبر هذا الامير فى كتابه أنه حسن لفخر الملك التوجه الى مصر واثنى عليه بحسن اجتهاده فى قتال الافرنج بطرابلس وقتله عظيمهم من عبد الله ووليه عبد المجيد أبى الميمون الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين الى الامير فلان اما بعد فانه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يد فتاه ووزيره وصفيه وظهيره العبد الاجل الافضل الذى بذل نفسه فى نصرة الدين يدا ولسانا وأوضح الله للدولة الحافظية بوزارته حجة وبرهانا واسبغ النعمة على اهلها فانه جعله فيهم ناظرا ولهم سلطانا ووفقه فى حسن التدبير والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ولما اعاد المملكة الى أفضل ما كانت عليه من النضرة والبهجة ولم يخرج المادحين لها اذا اختلفوا عن التحقيق وصدق اللهجة فقد ساوت سياسته بين البعيد والقريب واخذ كل منها باجزل حظ واوفر نصيب وسارت سيرته الفاضلة فى الآفاق سير المثل واستوجب من خالقه اجر من جمع فى طاعته بين القول والعمل وشفع عرضه من وصفك وشكرك والثناء عليك واطابة ذكرك وانهاء ما انتهى

ما انت عليه من الولاء وشكر الآلاء بما يضاهى ماذكرته فيه مما علم عند تلاوته واصغى اليه عند قراءته وقد استقر بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايعة وموقعك من المخالصة وكونك من ولاء الدولة على قضية اكسبتك شرفا تفيأت ظلاله وافاضت عليك ملابسا جرت اذياله وسمت بك الى محل لا يباهى من بلغه ولا يطاول من ناله وكنت فى ذلك سالكا المنهج القويم ومعتقدا ما عليه أهل بيتك فى القديم لاجرم انه عاد عليك من حسن راى امير المؤمنين بما تقصر عنه كل أمنية ويشهد لك بمخالصة جمعت فيها بين عمل ونية والله يضاعف أجرك على اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين بالحبل المتين ويوزعك شكر ما منحك من الاستضاءة بنور الحق المبين فأما الامير فخر الملك رواج وتمسكه على الوصول الى الباب وحضك اياه على التعلق من الخدمة بمحصد الاسباب فما كان الاذن له فى ذلك الا لان كتابه وصل يلتمسه وعرض فيه نفسه وبذل المناصحة والخدمة وسال سؤال من يعرف قدر العارفة بالاجابة اليه وموقع النعمة فاجيب الى ذلك اسعافا له بمراده وعملا برأى الدولة فيمن يرغب الى التحيز اليها من اقطاره وبلاده والا فلا حاجة لها اليه ولا الى غيره لان الله تعالى وله الحمد وفر حظها من الاولياء والاشياع والانصار والاتباع والعساكر والجيوش والاجناد والانجاد والاعوان الاقوياء الشداد وعبيد الطاعة الذين يتبارون فى النصح ويتنافسون فى الاجتهاد والحرص على سعة الاموال وعمارة الاعمال وجمع الرجال فى العزائم بين الافعال والاقوال ولو وصل المذكور لكانت المنة للدولة عليه والحاجة له فى ذلك لا اليه قال الله عز من قائل يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين واما توجهه الى طرابلس وظفره بالعدو فيها فالله تعالى يعز الاسلام وينشر لواءه ويعلى مناره ويخزل اعداءه وينصر عساكره واجناده ويبلغه فى أحزاب الكفر والضلال مراده وهو عز وجل يمتعك بما منحك ويبلغك فى دينك ودنياك أملك ومقترحك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى ﴿ وهذه صورة كتاب من انشاء الصابى ﴾ عن عز الدولة أحد ملوك ذلك العصر انفذه الى خليفته المطيع لله وقد قصد أبا تغلب الحمدانى أحد الامراء اذذاك حيث خرج عن الطاعة فانهزم أبو تغلب وفر هاربا لعبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير

المؤمنين سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فانى أحمد الى أمير المؤمنين الله الذى لا اله الا
هو واسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أما بعد اطال الله
بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد والعلو والقدرة والظهور
والنصرة والحمد لله العلى العظيم الازلى القديم المنفرد بالكبرياء والملكوت المتوحد
بالعظمة والجبروت الذى لا تحده الصفات ولا تحوزه الجهات ولا تحصره قرارة مكان
ولا يغيره مرور زمان ولا تمثله العيون بنواظرها ولا تخيله القلوب بخواطرها فاطر
السموات وما تظل وخالق الارض وما تقل الذى دل بلطيف صفته على جليل حكمته
وبين بجلى برهانه على خفى وجدانه واستغنى بالقدرة عن الاعوان واستعلى بالعزة
عن الاقران البعيد عن كل معادل ومضارع الممتنع عن كل مطاول ومقارع الدائم
الذى لا يزول ولا يحول العادل الذى لا يظلم ولا يجور الكريم الذى لا يضن ولا يبخل
الحليم الذى لا يعجل ولا يجهل ذلكم الله ربكم لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين
منزل الرحمة على كل ولى توكل عليه وفوض اليه وائتمر لاوامره وازدجر بزواجره
ومحل النقمة بكل عدو صد عن سبيله وسننه وصدف عن فرائضه وسننه وحاده
فى مكسب يده ومسعاة قدمه وخائنة عينه وشافية صدره وهو رائع برتعة النعم الشاملة
فى أكلاء النعم السابغة وجاهل جهلها بشكر آلائها ذاهل ذهولها عن طرق استيفائها
فلا يلبث أن ينزع سرابيلها صاغرا ويتعرى منها حاسرا ويجعل الله كيده فى تضليل
ويورده شر الموارد الوبيل ان الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين
والحمد لله الذى اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل اعبائها وارتداء ردائها محمدا صلى الله
عليه وعلى آله وسلم وعظم خطره وكرم فصدع بالرسالة وبالغ فى الدلالة ودعى الى
الهداية ونهى عن الغواية ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم الى طاعة الرحمن
الرحيم واعلقهم بحبائل خالقهم ورازقهم وعصمة محييهم ومميتهم بعد انفصال الاكاذيب
والاباطيل واستشعار المحالات والاضاليل والتورط فى الاعتقادات الذائدة عن النعيم
السائقة الى العذاب الاليم فصلى الله عليه من ناطق بالحق ومنقذ للخلق وناصح للرب
ومؤد للفرض صلاة زاكية والحجة غادية تزيد على اختلاف الليل والنهار وتعاقب
الاعوام والادوار والحمد لله الذى انتخب أمير المؤمنين من ذلك السنخ الشريف

والعنصر

والعنصر المنيف والشجرة الثابت أصلها الممتد ظلها الطيب جناها الممنوع حماها
وحازله مواريث آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين واختصه من بينهم بتطاول
أمد الخلافة واستحصاف حبلها في يده ووفقه لاصابة الغرض من كل مرمى يرميه
ومقصد ينتحيه وهو جل ثناؤه الحقيق باتمام ذلك عليه والزيادة فيه لديه واحمده
سبحانه حمدا ابتدئه ثم اعيده وأكرره واستزيده على ان أهل ركن الدولة أبا علي وعضد
الدولة أبا شجاع مولى أمير المؤمنين واهلني للأثرة التي بذذنا فيها الاكفاء وفتنا فيها
القرناء وتقطعت دونها أنفاس المنافسين وتضرمت عليها احشاء الحاسدين واذ
أولاني في كل مغزى في خدمة أمير المؤمنين اغزوه ومنحا انحوه ورأب ارأبه وشعث
المه وعدو ارغمه وزائغ أقومه افضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم النقية جيوبهم
المأمونة ضمائرهم المشهودة بصائرهم من تمكين يده وتثبيت قدمه ونصر رأيه
واعلاء كلمه وتقريب بغيته وانالة أمنيته وكذلك يكون من الى أمير المؤمنين اعتزاؤه
وبشعاره اعتزازه وعن زناده قدحه وفي طاعته كدحه والله ولي ما خولنيه من هذه
المنقبة وسوغنيه من هذه الموهبة وان يتوحد أمير المؤمنين في جميع خدمه الذائدين
عن حوزته المنقين الى دعوته بيمن الطائر وسعادة الطالع ونجاح المطالب وادراك
الارب وفي اعدائه الغامصين لنعمته الناقضين مواثيق بيعته باضراع الخد واتعاس
الجد واخفاق الامل واحباط العمل ولم يزل مولانا أمير المؤمنين ينكر قديما من فضل
الله بن ناصر الدولة احوالا حقيقا مثلها بالانكار ومستحقا من ارتكبها للاعراض
وانا اذهب في حفظ غيبه واجمال محضره وتحمل جنايته وتلافيها وتأليف معاذيره
وتنميقها مذهبي الذي اعم به كل من جرى في ناشئ دولته ومغتذ بنعمته ومنتسب
الى ولايته ومشتهر بصنعته واقدر ان استصلحه لامير المؤمنين واصلحه لنفسه
بالتوقيف على مسالك الرشاد ومناهج السداد وهو يريني ان قد قبل وارعوى
وابصر واهتدى حتى رغبت الى امير المؤمنين فيما شفعني منه فلافيه من تقليده
اعمال أبيه والقناعة منه في الضمان بيسور بذله وايثاره به على من هو فوقه من كبراء
اخوته وأهله فلما بلغ هذه الحال ألط بالمال وخاس بالعهد وطرق لفسخ العقد واجرى
الى أمور كرهتها ونفد الصبر مني عليها وخفت ان استمر على الاغضاء عنها والمسامحة

فيما فيه طالع الله مني على اضاعة الاحتياط في أمر قلدني أمير المؤمنين زمامه وضمنني
دركه وارجائي لرجل قبل في الاعتماد عليه رائي وعول في أخذه بما يلزمه على نظري
واستيفائي فتناولته باطراف العذل ملوحا ثم بتأنيبه مفصحا مصرحا ورسمت لعبد
أمير المؤمنين الناصح أبي طاهر أن يحدثه ويدخل عليه من طريق المشورة والرفق الى
أخرى و ينتقل معه بين اللين والخشونة طورا فطورا ففعل ذلك على رسمه في التأني
لكل فاسد حتى يصلح ولكل أبي حتى يسمع ولم يدع التناهي في وعظه والتمادي
في نصحه وتعريفه سوء عاقبة اللجاج وشنعة مغبة الاحراج وهو يزيد طمعا في الاموال
وشرها وعمى في الرأي وعمها الى ان كاد أمر ناصه يخرج عن حد الانتظار الى حد
الرضى بالاصرار فاستأنفت ادراع الحزم وامتطاء العزم ونهضت الى أعمال الموصل
وعندي انه يغنيني عن الاتباب و يتلقاني بالاعتاب و ينقاد الى المراد و يتجنب
طريق العناد فحين عرف خبر مسيري وجدي فيه وتشميري برز بروز المخالف
المكاشف وتجرد تجرد المواقع المواقف وهو مع ذلك اذا ازددت منه قربا ازداد
مني بعدا واذا دلفت اليه ذراعا نكص عني باعا وتوافت الى حضرتي وجوه القبائل
من عقيل وشيبان وغيرهما في الجمع الكثيف من صعاليكها والعدد الكثير من
صناديدها داخلين في الطاعة متصرفين في عوارض الخدمة فلما شارفت الحديثة
انتقضت عزائم صبره وتقوضت دعائم أمره و بطلت أمانيه ووساوسه واضمحلت
خواطره وهواجسه واطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم يعتضد وعليهم يعتمد
ورأوا خذلانه والاخذ لنفوسهم ومفارقته والطلب لحظوظهم وحصل بحضرتي الى
هذه الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوي خيل مختارة وأسلحة شاكة فصادفوا عندي
ما أملوا من فائض الاحسان وغامر الامتنان وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم
الحرص على الاستئمان وانهم يردون ولا يتأخرون و يبادرون ولا يتوانون ولما رأى
ذلك لم يملك نفسه ان مضى هاربا على طريق سنجار منكشفا عن هذه الديار قانعا من تلك
الآمال الخائبة والظنون الكاذبة بسلامة حشاشة هي رهينة غبها وصريعة بغيها
وكان انهزامه بعد ان فعل الفعل السخيف وكاد بالكيد الضعيف بان غرق سفن
الموصل وأحرق جسرها واستذم الى أهلها وتزود منهم اللعن المطيف به أين يمم الكائن

معه حيث خيم ودخلت ايومى هذا أيد الله أمير المؤمنين دخول الغاشم الظافر المستعلن
الظاهر فسكنت من نفوس سكانها وشرحت صدور قطانها واعلمتهم ما أمرنى به أمير
المؤمنين أعلا الله امره من تأنيس وحشتهم ونظم الفتهم وضم نشرهم ولم شعثهم
واجمال السيرة فيهم فى ضروب معاملاتهم وعلقهم وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم
وكثر منهم الثناء والدعاء والله سامع مارفعوا ومجيب ماسألوا واجلت حال هذا الجاهل
أيد الله أمير المؤمنين عن أقبح هزيمة وأذل هضيمة لانه لم يلق لقاء الباخع بالطاعة
المعتذر من سالف التفريط والاضاعة ولا لقاء المصدق لدعواه فى الاستقلال بالمقارعة
المحقق لزعمه فى الثبات للمدافعة ولا كان فى هذين الامرين بالبرّ التقى ولا الفاجر القوى
بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره منتهكا للاصلاح عادلا عن
الصواب قد ذهب عنه الرشاد وضربت بينه وبينه الاسداد وانزله الله منزلة مثله
ممن أساء حفظ الوديعة وجوار الصنيعة واستوجب نزعهما منه وتاملت ايد الله أمير
المؤمنين امره على التجريب وتصفحته بالتقاليب فاذا هو الرجل الذى اطاع فيه أبوه
هوى أمه وعصى دواعى رأيه وحزمه وقدمه من ولده على من هو آنس رشد اوا كبر سنا
وأثبت جاشا وأجرى جنانا واشجع قلبا واوسع صدرا واجدر لمخايل النجابة وشمائل
اللبابة فلما اجتمعت له اسباب القدرة والثروة وامكنته مناهز الغرّة والفرصة وثب
عليه وثبة السرحان فى ثلة الضان وجزاه جزاء ام عامر لمجيرها اذ فرته بانيابها
وأظفارها واجتمع واخوه من الأم المرتضع معه لبان الاثم المكنى بابى البركات وليس
بابٍ لها ولاحرٍ بشئ منها على ان صرعاه وعاقاه وقبضا عليه واوثقاه وأقراه من
قلعتيهما حيث يقرا العشاه ويعاقب الجناه ثم اتبعا ذلك باستحلال دمه وافاضة مهجته
غير راعيين فيه حق الابوة ولا حانيين عليه حنوّ البنوّة ولا متذممين من الاقدام على
مثله ممن تقدّمت عند سلطانه قدمه وتوكدت أواصره وعصمه ولا راحمين له من ضعف
شيخوخته ولا مصغيين الى وصية الله اياهما به التى نصها فى محكم كتابه وكررها فى آيه
وبيناته اذ يقول اشكرلى ولوالديك الى المصير واذ يقول وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا إمّا يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما

كاربيانى صغيرا فبأى وجه يلقى الله قاتل والدحذب قدأمر ان لاينهزه وبأى لسان ينطق يوم يسئل عما استجازه فيه وفيه وتالله لوان بمكانه عدوّا لهما قدقارضهما الذحول وقارعهما عن النفوس لقبح بهما ان يلؤما ذلك اللؤم عند الظفر به وان يركبا تلك الخطة الشنعاء فى الاخذ بناصيته ولم يرض فضل الله بما أتاه اليه حتى استوفى حدود قطع الرحم بان تتبع اكابر اخوته السالكين خلاف سبيله المتبرئين المستبرئين الى الله من عظيم ما اكتسب وخيم ما احتقب لما غضبوا الابيهم وامتعضوا من المستفحل فيه وفيهم فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة وغدرا ومكيدة ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها بان أصاره من فناء أمير المؤمنين الى الجانب العزيز والحرز الحريز وأن اجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه و بين المعروف بكنيته أبى البركات التى لقاه الله فيها بخسه واتلف نفسه وصرعه بعقوقه وبغيه وقنعه بعاره وخزيه وهو مع ذلك لا يتعظ ولا ينزع ولا ينزجر ولا يقلع اصرارا على الجرائر التى الله عنها حسيبه و بها طليبه والدنيا والآخرة مرصدتان له بالجزاء المحقوق عليه والعقاب المسوق اليه واعظم من هذا كله أيد الله امير المؤمنين خطبا واوعر مسلكا ولحبا ان من شرائط العهد الذى كان عهد اليه والعقد الذى عقد له والضمان المخفف مبلغه عنه المأخوذ عفوه منه أن يتناهى فى ضبط الثغور و جهاد الروم وحفظ الاطراف ورم الاكناف فما وفى بشئ من ذلك بل عدل عنه الى الاستئثار بالاموال واقتطاعها واحرازها فى مكانها وقلاعها والضن بها دون الاخراج فى وجوهها والوضع لها فى حقوقها وأن تراخى فى أمر عظيم الروم مهملا واطرح الفكر فيه مغفلا حتى هجم فى الديار وأثر الآثار ونكأ القلوب وابكى العيون وصدع الاكباد وأحرّ الصدور فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ لكتاب الله اذ يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم بل صدف عن ذكر الله لاهيا وعدل عن كتابه ساهيا واستفسخ ذلك البيع والعقد واستنجز الوعيد لا الوعد ولاطف طاغية الروم وهاداه وأماره وأعطاه وصانعه بمال المسلمين الذى

يلزمه

يلزمه ان سلم دينه وصح يقينه أن ينفقه فى مرابطهم ويذب به عن حريمهم وأبى إلا ان ينعكس و يلفته عن وجهته بالنقل الى عدوهم وادخال الوهن بذلك عليهم وقاد اليه من الخيل العتاق ماهو الآن عون للكفر على الايمان ونجدة للطاغية على السلطان وكان فيما تحفه به الخمر التى حظر الله عليه ان يشرب بها او يسقيها وأمره بان يجتنبها ويجتويها وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها اليه تقربا قد باعده الله فيه عن الاصابة والاصالة وأدناه من الجهالة والضلالة حتى كأنه عامل من عماله و بطريق من بطارقته فاما نقله عن مكاشفته ولهجه بملاطفته فضد الذى أمره الله به فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واما نقله ما نقل من الخيل عن ديار المسلمين الى ديار اعدائهم فنقيض قوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واما اهداؤه الخمر والصلبان فخلاف قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون كل ذلك عناد الرب العالمين وطمس الأعلام الدين وضنا بما هى عليه من ذلك الحطام المجموع من الحرام المثمر عن الآثام المقتطع من فىء الاسلام وقد فعل الآن بنو بالعساكر التى مع من يضم ولاء أمير المؤمنين الذين هم اخوته وصحبه ان كان مؤمنا وأنصاره وحزبه ان كان موقنا من توعير المسالك وتغريق السفن وتضييق الاقوات واستهلاك الازواد ليوصل الينا الضرر يلحق بنا الجهد فعل العدو المبين المخالف فى الدين فهل يؤمل فى هذا النادّ المعاند والشاذ الشارد وهل يطمع من مثله فى حق يقضيه أوفرض يؤديه أو عهد يرعاه أو زمام يحفظه وهو لله عاص ولامامه مخالف ولوالده قاتل ولرحمه قاطع كلا والله بل هو الحقيق بان تثنى اليه الاعنة وتشرع نحوه الاسنة وتنصب له الأرصاد وتشحذ له السيوف الحداد ليقطع الله بها دابره و يجب غاربه و يصرعه مصرع الاثيم المليم المستحق للعذاب الاليم أو يفىء الى الحق افاءة الداخل فيه بعد خروجه العائد اليه بعد مروقه التائب المنيب النازع المستقيل فيكون حكمه شبيها بحكم الراجع عن الردة المحمول على ظاهر الشريعة والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالحمد لله الذى هدانا المراشد و وقفنا على السبيل المنجية لنا والمقاصد

المفضية الى رضاه المؤمنة من سخطه والحمد لله الذى أعز امير المؤمنين بالنصر واعطاه لواء القهر وجعل أولياءه الغالبين وأعداءه السافلين الهابطين وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتتبعه وامثال تتلوه وتشفعه واصلا فيها الى ماوصل اليه فيه من حيازته مهنأ لم يسفك فيه دم ولم ينتهك محرم ولم ينل جهد ولم يمس نصب أنهيت الى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله له فيه الى السالف من عوارفه عنده واياديه ويجدد من شكره مايكون داعيا الى الادامة والمزيد مقتضيا للفوز والتأييد ان شاء الله تعالى ﴿ وهذه صورة كتاب من انشاء الفاضل الذى سلف القول بانه اول الطبقة الثالثة ﴾ عن ملكه صلاح الدين يوسف من مصر الى مقر الخلافة ببغداد بالبشارة عن فتح بلد من بلاد النوبة وانهزام ملكها وعساكره صلوات الله التى اعدها لاوليائه وادخرها وتحياته التى قذف بشهبها شياطين اعدائه ودحرها وبركاته التى دعا بها كل موحد فاجاب وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب وزكاته التى هى للمؤمنين سكن وسلامه الذى لا يعترى الموقنين فى ترديده حصر ولا لكن على مولانا عاقد ألوية الايمان وصاحب دور الزمان وساحب ذيل الاحسان وغالب حزب الشيطان الذى زلزلت امامته قدم الباطل وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم ماطل وامضت غرب كل عزم للحق مفلول واطلعت غارب نجم كل هدى آفل وشفعت يقظات استغفاره الى غافر ذنب كل غافل وعلى آبائه الغاية والمفزع والملاذ فى وقت الفزع والقائمين بحقوق الله اذ قعد الناس والحاكمين بعدل الله اذ عدم القسطاس والمستضيئين بانوار الالهام الموروثة من الوحى اذ أعجز الاقتباس والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس خزان الحكم وحفاظها ومعانى النعم والفاظها واعلام العلوم المنشورة الى يوم القيامة وكالئى الروح المنتشرة بكلاءة يد الامامة ومن لا ينفعهم عمل الا اذا شهد بولايتهم ولا يتلقى صبح هداية الا اذا استصبح السارى بدلالتهم المملوك يقبل الارض بمطالع الشرف ومنازله ومرابع المجد ومناهله ومجالس الجود ومجال السجود ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ومرسى اطوار البسيطة المتزلزلة ومفتر مباسم الامامة ومجر مساحب الكرامة ومكان جنوح اجنحة الملائكة حيث يدخلون من كل باب مسلمين وتتبعهم ملوك الارض مستسلمين ومشاهد

الاسلام

الاسلام كيوم انزل فيه اليوم اكملت لكم دينكم ومعاقد على الولاية فاما غيره فله قوله
قاتلوا الذين يلونكم ويناجيها بلسان جلى الاخلاص الصادق عقيدته ونشاط الولاء
السابق عقيلته وارهف الايمان الناصع مضاربه وافسح المعتقد الناصح مذاهبه فاعرب
عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطره وقلب أعانه على ورود الولاء صفاء المصافات
فيه فطره والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المتول عوائق القدر وموانعه ويكشف له
عن قناع الانوار التى ليست همته بادون نظرها قانعه وكان توجه منصور الجيش دعائه
قبل جيش لوائه وبعسكر اقباله قبل عسكر قتاله وبنصال سلطانه قبل نصال اجفانه
لا جرم ان كتائب الرعب سارت أمام الكتائب وقواضب الحذر غمضت فى جفونها
عيون القواضب وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمة وتداعوا بلسان
النعمة وتصرفوا بيد الخدمة وصالوا بسيف العزمة متواخية نياتهم فى الاقدام متآلفة
طوياتهم فى طاعة الامام كالبنيان المرصوص انتظاما وكالغاب المشجر أعلاما
وكالنهار الماتع حديدا وهاجا وكالليل الشامل عجاجا عجاجا وكالنهر المتدافع اصحابا
وكالمشط المطرد اصطحابا فما أبصرت رياضها المزهرة وغياضها المشجرة الا دلت على
ان السحاب الذى سقاهم كريم والانعام الذى غمرهم عظيم والدنيا التى وسعتهم من
عزمتهم تظعن وتقيم والعلم المدون الخطب المظنون قد صرح خطابه والامل المخدوع
قد صفر وطابه راسل ورأى ان سل السيوف يغمده وما كر وما كر لعله ان الحتف يعمده
واندفع هاربا هائبا وخضع كاذبا كاذبا فمضى المملوك قدما وجعله ظلمه وقد خاب من حمل
ظلما وأجابه بانه ان وطئ البساط برجله والا وطئه براسه وان قدم على المملوك بأمله والا
اقدمه بياسه وان أظهر اثر التوبة والا اقدم عليه الحد بسكرة الموت من كاسه فلم
يخرج من حى اوغة تحتها مغاورة ومكاشرة وراءها مكابرة فاستخار الله فى طلبه وانتهز
فيه فرصة شغل قلبه بريبه ولم يغره ما أملى له فى البلاد من تقلبه وسار ولم يزل مقتحما
و يقدم أول العسكر محتدما واذا الدار قد ترحل أهلها منها فبانوا وظعنوا عن ساحتها
فكأنهم ما كانوا ولم يبق الا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها واثافى دهم أعجلت
المهابة ماردشقيهم عن طعامها وغربان بين كانها فى الديار ما قطع من رؤس بنى سامها
وعوافى طير كانت تنظر من اشلائهم فطر صيامها وعادت الرسل المنفذة لاقتفاء آثارهم
واداء أخبارهم ذاكرة انهم لبسوا الليل حدادا على النعمة التى خلعت وغسلوا بماء

الصبح اطماع نفس كانت قد تطلعت وانهم طلعوا الاوعار أوعالا والعقاب عقبانا وكانوا لمهابط الاودية سيولا ولا عالى الشجر قضبانا فرأى المملوك ان الكتاب قد بلغ أجله والعزم منهم قد نال أمله والفتك بهم قد أعمل منصله وان سيوف عساكر أمير المؤمنين منزهة ان تريق الادماء الا كفائها من الابطال وان تلقى الاوجه انظارها من الرجال وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرتهم عارية والكلمة بانخفاضهم غالية عالية ويد الله على اعدائه غادية وانفس المخاذيل في وثاق مهابته عانية فرأى المملوك ان يرتب بعده الامير فلانا ليبذل الامان لسوقة أهل البلاد ومزارعيها ويفصل المحاكمات بين متنابعي السلطنة ومطاوعيها ويفسح مجال الاحسان لعاودي المواطن ومراجعيها فان مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها وترد جرية البحر عن مدفعها مما يضر بالغلال وينسفها ويجحف بالرعايا ويعسفها فالحمد لله الذي جعل النصر لائذا باعطاف اعتزامه واناملى الرعب السائر الى الاعداء محركة عذبات اعلامه والعساكر المناضلة بسلاح ولائه تغني باسمائها عن مرهفاتها والكتائب المقاتلة بشعار علائه تقرأ كتب النصر من حماتها ﴿وهذه صورة كتاب من انشاء العماد الاصفهاني﴾ وهو عصري الفاضل ومن مشاهير هذه الطبقة عن السلطان صلاح الدين يخبر فيه ديوان الخلافة بالانتصار على الافرنج وانهزامهم عن بعض بلاد الشام حين كان قاصدا ان يجليهم عن بيت المقدس وتلك النواحي ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد وعلى ان اجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثالها كرام الصحائف ولم يجادل عن مثلها في المواقف في الايام الامامية الناصرية زادها الله غررا واوضاحا ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ومكن سيوفها في كل مارق من كل كافر ومارق ولا اخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق واطال ايدي أوليائها لتمضي بالحقيقة حي الحقائق وانجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق وملكها هوادي المغارب ومراسي المشارق ولا زالت ارادتها في الظلمات مصابيح وسيوفها للبلاد مفاتيح وأطراف اسنتها الدماء الاعداء نوازح والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وايده واظفر جنده الغالب وجدده وجلا به جلابيب الظلماء وجعل بعد عسر يسرا وقد

احدث

احدث الله بعد ذلك أمرا وهون الامر الذى ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا وخوطب الدين بقوله ولقد مننا عليك مرة أخرى فالاولى فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والاخرى هذه التى عتق فيها من رق الكآبة فهو قد اصبح حرا والزمان كهيئته استدار والحق ببهجته قد استنار والكفر قد رد ما كان عنده من المستعار وغسل ثوب الليل بماء فجر فجر من انهار النهار واتى الله بنيان الكفر من القواعد وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق ماء الموردات البوارد أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ولم تخف عن القلوب الحافظة عزت سيما الاسلام بسومها وترادف نصره بردفها واخذت القرى وهى ظالمة فترى مترفيها كان لم يغنوا فيها فكم اقدم بها حيزوم وركض فاتبعه سحاب بحاج مركوم وضرب فاذا ضربه كتاب جراح من قوم والافان الحرب انما عقدت سجالا وانما جمعت رجالا وانما دعت خفافا وثقالا فاسيوف تقابل سيوفا وزحوف تقاتل زحوفا فيكون حد الحديد بيد مذكرا وبيد مؤنثا ويكون السيف فى اليد الموحدة يغنى بالضربة الموحدة وفى اليد المثلثة لا يغنى بالضرب مثلثا وذلك أنه فى فئتين التقتا وعدوتين لغير مودة اعتنقتا وان هذه النصرة ان زويت عن ملائكة الله جحدت كراماتهم وان زويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم فما كان سيف تيقظ من جفنه قبل ان ينبهه الصريخ ولا كان ضرب يطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمعه المصيخ فكم ضربة كانها هجرة الموت وبها التاريخ وكم طعنة تخر لها هضاب الحديد ولها شماريخ والحمد لله الذى اعاد الاسلام جديدا ثوبه بعد ان كان جديدا حبله مبيضا نصره مخضرا نصله متسعا فضله مجتمعا شمله والخادم يشرح من نبا هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرح صدور المؤمنين ويمنح الحبور لكافة المسلمين ويكرر البشرى بما انعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر الى يوم الخميس منسلخه وتلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار فترى القوم فيها صرعى كانهم أعجاز نخل خاوية ورأيتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية فيوم الخميس الاول فتحت طبرية وفاض رى النصر من بحيرتها وفضت على جسرها الفرنج فقضت نحبها بحيرتها وفى يوم الجمعة والسبت كسر الفرنج الكسرة التى مالهم بعدها قائمة واخذ الله اعداءه بأيدى اوليائه اخذ القرى وهى ظالمة وفى يوم الخميس منسلخ

الشهر فتحت عكا بالامان ورفعت بها أعلام الايمان وهي أم البلاد وأخت ارم ذات العماد وقد اصبحت كان لم تغن بالكفر وكان لم تفتقر من الاسلام وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصلبوت ماسور وقلب ملك الكفر الاسير جيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديدا مسلما يفرق خطوات الكفر عن الاقدام وانصار الصليب وكباره وكل من المعمودية عمدته والدير داره قد احاطت به يد القبضة وأخذ رهنا فلا يقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت أعلام الاسلام عليها ونكصت من عكا ملة الكفر على عقبيها وعمرت الى ان شهدت يوم الاسلام وهو خير يوميها بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير وقد غسل عن بلاد الاسلام بدماء الشرك ما كان تخللها فلا ضرر ولا ضير وقد صارت البيع مساجد بها من آمن بالله واليوم الآخر وصارت المذابح مواقف لخطباء المنابر واهتزت ارضها الوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجت لمواقف الكافر وافترت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذي يسر فتحها وتسلمتها الملة الاسلامية بالامان وعرفت في هذه الصفقة ربحها واما طبرية فافترتها ايدالحرب فانهرت الحرب جرحها فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ولا تزكى بازكى منه العقود وكانه بالبيت المقدس وقد دنا الاقصى من اقصاه وبلغ الله فيه الاصل الذي علم ان يحصيه وأحاط باجله وقضاه لكل اجل كتاب وأجل العدو هذه الكتائب الجامعه ولكل عمل ثواب وثواب من حظى بطاعته جنات نعيمه الواسعه والله المشكور على ماوهب والمسؤل في ادامة ما استيقظ من جد الاسلام وهب ﴿ومن مشاهير هذه الطبقة تقي الدين أبو بكر بن حجة﴾ صاحب خزانة الادب وانشاؤه كثير جمع في كتاب ذي مجلدات ملقب بقهوة الانشاء فمن انشائه صورة عهد كتبه عن خليفة وقته المستعين لاحد سلاطين الهند وهي هذه الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به وثبت اوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وافرغ على أعطاف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان في خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عزمن قائل اني جاعل في الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله في أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته وله الحمد ان تكون هذه النهلة الشريفة من سقاية العباس فالحمد لله على ان جعل هذه السقاية عينا يشرب بها المقربون ومن علم شرفها

تميز بقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالحمد لله الذى استخلف آل
النبى فى الارض وفضلهم وان تحدث احد فى شرف بيت فالله قد جعل البيت والحديث لهم
فاكرم به بيتا من اقر بعبوديته كان له من النار عتقا وتمتع بنعيم بركته التى لا يفجع بها
الا الاشقى وكيف لا وهو البيت الذى بعث الله منه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا وصفى أهله من الادناس وانزل فى حقهم يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وابرز علامهم الخليفتى على وجنة الدهر شامة
وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله أكبر لهذه الامامة واذا كان النسيب ممدحا وهو فى النظم
واسطة العقود فهذا هو النسب الذى يلوح عليه من شمس الضحى نور ومن فلق الصباح
عمود وهذا هو الركن الذى من استلمه واستند اليه قيل له فزت بعلو سندك فقد قيل
انّ النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا ابشرك ياعم قال بلى يارسول الله قال ان الله قد فتح
الامر بى ويختمه بولدك فاحبب بها شجرة نسب زكى غرسها ونما وتسامت بها الارض
وكيف لا واصلها ثابت وفرعها فى السما فسلام على خلفها الذى منه المستعين بالله
والمتوكل عليه والواثق به والرشيد ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد
نحمده حمد من علم أنّ آل هذا البيت النبوى كسفينة نوح وتعلق بهم فنجا ونشكره
شكر من مال الى الدخول تحت العلم العباسى وتنصل من الخوارج فوجد له من كل
ضيق مخرجا ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو ان تكون مقبولة عند
الحاكم وقت الادا ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى حرضنا على الوفاء بالعهد وارشدنا
الى طريق الهدى صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين وفوا له بالعهود واقامت مواضى
سيوفهم الحدود صلاة يسقى عهاد الرحمة ان شاء الله عهدها وينظم فى سلك العبودية
عقدها وسلم تسليما كثيرا وبعد فالحمد لله الذى الهمنا الرشد وجعل منا الخلفاء الراشدين
و بنسبتنا الى علم الهدى فضلنا بالائمة المهديين واصطفى من هذا الخلف الشريف
خلائف الارض وسنّ مواضى العقول التى قطعت ان طاعتنا فرض فان لعهدنا العباسى
شرفا لا يرفل فى حلله الشريفة الا من اتخذ مع الله عهدا واتى الله بقلب سليم فقد قال الله
تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا

قليلا اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ولا يتمسك بطيب هذا العهد الشريف الا من صحا الى القيام بواجب الطاعة وترك أهل الجهل فى سكرتهم يعمهون وانتظم فى سلك من انزل الله فى حقهم والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وهو قبضة من آثار البيعة النبوية وشعار يتشرف به من مشى تحت الراية العباسية ومما ارسل هذا العهد النبوى الى ملك من ملوك الارض الاعمه الشرف من جميع جهاته والله اعلم حيث يجعل رسالاته ولا اعلن به على منبر الا شدت اعواده طربا وازهرت رونقا واثمرت أدبا وقالت وقد نحتها نسمات القبول من ساكن الروضة واخضل نبات تلك البقاع واينع وعم الفرح بها كل غيضة وكان المقام الاشرف العالى الى آخر الصفات السلطانية السلطانى الملك المظفرى شمس الدنيا والدين والمستعين فى زيادة شرف ملكه بعد الله بالمستعين لازالت ايامه الزاهرة بشمسه المنيرة مشرقة وتوقيعات الرقاع بنسخ صفاته الشريفة محققة ممن رغب فى التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الالتباس واستند اليه ليروى فى سنده العالى عن ابن عباس ومشى بعين البصيرة فى هذا المنهج القويم وتلا له لسان الحال أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم وطاول بيد الخلافة الشريفة لاقامة الحد علما بان يد الخلافة لا تطاولها يد واخلص مودته فى التقرب الى بيتنا الشريف لما شغفه حبا وتمسك بطيب قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى لانه الملك الذى ظفره الله باعداء هذا الدين وسماه مظفرا ولقبه بالشمس واختار له ان يقارن من الطلعة المستعينية قمرا اينع زهر العدل بحضرة دهليه فعطر الآفاق وضاع نشره بالهند فعاد الشم الى المزكوم بالعراق وصارت دمن سومنات عامرة بقيام الدين وايده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ولم يترك لاحد فى بيت بيت ايلة نرا بطل مادهره اهل داهر بحسن اليقظة وقوة الصولة واباد الكفرة من ديو ولم يقبل لهم دية وفاؤا الى غير امر الله فقصمهم بسيفه الهندى ولم تقم لهم فيه وفطرا كباد من ناواه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ونادى منادى عدله بالبلاد الهندية لاظلم اليوم ودانت له تلك الممالك براو بحرا ومهلا ووعرا ما نظم الاعداء على ذلك البحر المديد بيتا الا أبان زحافه وادار

وادار عليه دوائره وكم نظم شمل الرعايا بالعدل ونثر رؤس الكفرة بالسيف فلا عدم الاسلام في الحالين ناظمه وناثره عربي وكم كلام الاعداء بلسان الهندي فاجمهم عند ملتقاه عادل تسلسل حديث فضله فغدا من سلام الرواه عاطر الارجاء ولم ينم المسك الابطيب تربته سلطان تتطفل الملوك على اواني موائده وتخضع لسلطانيته سمات الركبان في البر عن مناقبه الشريفة وهم يتساءلون وقد صار لها عظيم النبا وصرح راكب البحر بعد التسمية باسمه فاتخذ سبيله في البحر عجبا فظله في البر ظليل وعدله في البحر بسيط وطويل هذا ولم يبق في تلك الممالك الهندية بقعة الاولم يصغر الله بسنابك الخيل فيها ممشاه ولا نفس خارجة عن الطاعة الشريفة الامامية في رقعة الارض بمظفر شاه فلذلك رسم بالامر الشريف الى آخر الصفات الامامية أن يفوض اليه من ولاية العهد وكفالة السلطنة الشريفة بالبلاد الهندية ماهو المعهود ليطول جود الرحمة على تلك البقاع المباركة ان شاء الله ويجود عهدا شريفا الى آخر الصفات وان يستخلف فيما فوضه الله الينا من صلاح الامة ومصالح الخلق استخلافا تحلى بذكره الافواه وتترنم به في شعاب مكة الحداه ويقطع به ويحفظه رب كل سيف وقلم و يعتمد عليه كل ذي علم وعلم فلا زعيم جيش الاوهذا التفويض الشريف يسعه في بلاده و يشمله ولا اقليم من اقاليمه الا ومن به يقبله ويقبله و يتمثل به و يمتثله ولا منبر الاوخطيبه يتلو كتاب هذا التفويض ويرتله واما الوصايا فعنده ان شاء الله تعالى تهب نسمات قبولها ويعرب عن نصب مفعولها وهو بحمد الله لوصايا هذا العهد الشريف نعم القابل فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله منهم الامام العادل والوصية بالرعايا واجبة وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم على العدل فيهم وحرص عليه وقال يوم من امام عادل افضل من مطر أربعين صباحا احوج ماتكون الارض اليه وقال ابن عمنا علي رضي الله عنه الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس فان لم يكن له أس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع فهذه الحكمة بها يعالج ماضعف من اركان الملك وهذا الشرع يجرى على اجمل الشرائع فليأمر بالمعروف وينه عن المنكر علما انه ليس يسئل في غد عن ذلك سواه وسواه و يرد نفسه الشريفة عن الهوى ولايحسن لثبات قدمه ان يميل مع هواه وليترك الثغور بعدله باسمه وقواعد الملك

بفضله قائمة واجبا هد في الله حق جهاده و يلطف بالرعايا و يعلم ان الله لطيف بعباده وليشرح لهم بالاحسان صدرا ليجروا اذا وقف على احوالهم احسن مجرى وهو بحمد الله غير محتاج الى التاكيد لانه لم يخل له من القيام في مصالح الامة فكر ولكنه تجديد ذكر على ذكر والله تعالى يمتع بطول بقائه البلاد والعباد ولا برحت سيوفه الهندية تكلم اعداء هذا الدين بألسنة حداد وثبت ملكه بالعدل وشيد أقواله وختم بالصالحات اعماله ان شاء الله تعالى ﴿وهذه صورة تسجيل عقد نكاح﴾ ويسمى صداقا وقد تزوج سلطان وقته الناصر بعض بنات امرائه الحمد لله الذى ايد السنة الشريفة بقوة وناصر واعزها بعزيز مصر لانه شعر ببركتها فجعلها له من أجل الشعائر سن خلد الله ملكه استنها فصار لها به ملكة وسلطان وشهر سيفها لاقامة الحدود فاقام به قواعد الايمان فالشكر لله على ان عرفنا بطيب هذا الاثر الشريف وشرح للتمسك به صدرا ووضع عنا به وزرا وامدنا بماء وال وبنين وجعل بيننا نسبا وصهرا وسقى سبحانه وتعالى ارض المصاهرة بماء القرب ففاح نشرها الاريج واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وقرب بين البعيدين فصارا زوجين اثنين وهذا انكره بغير قدرته لا تتعرف وألف بين اجانب لوانفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف فله المنة على ان جعل النساء حرثا الزرع نبا ته زهرة الحياة الدنيا وسقيا لهذا النبات ورعيا نحمده حمد من ترقى باتباع السنة الشريفة الى اعلى الدرج ونشكره شكرا ياتينا عند كل شدة بفرج ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مقبولة ان شاء الله عند احكم الحاكمين فى دار المقامة ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى قال تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين أيدوا ملته واتبعوا سنته وسلم تسليما و بعد فان النكاح سنة من سنن الانبياء وحلية من شعار الاولياء تنتظم جواهره فى اسلاك عقود الشمل وتمسى عرائس غصونه ببركة هذا الغراس فى حمل ما برح نورها فى جباه هذه الامة يتضح ويتبلج وقد حرض النبى صلى الله عليه وسلم عليه فقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج وكان المقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى مؤيد السنة الشريفة وناصرها والقامع بسيفه الشريف أهل البدع وقاهرها ركن الاسلام والمسلمين مبيد الطغاة والمتمردين سلطان

العرب

العرب والعجم والعزيز الذى ذلت لبأسه صيد الملوك وخضعت رقاب الامم ناظر الحرمين وصاحب وقعة الجيشين ومذيل التاريخ على الناصرين ابو السعادات فرج ابن مولانا السلطان السعيد الشهيد الدارج الى رحمة ربه المجيد الملك الظاهر ابى سعيد برقوق خلد الله تعالى ملكه واعز سلطانه وجعل من الملائكة المقربين انصاره واعوانه

ملك اذا احدثوا عجائبه * فانه البحر ماله آخر
وان تقوى بغيره ملك * فماله قوة ولا ناصر

سلطان الله أكبر كأن المقادير لاوامره الشريفة طائعة ماقاومته ملوك الارض الاذبحتها عزائمه على الشرق وجاءته رؤسها الى الغرب خاضعة ولا كاده عدو الارد الله كيده فى تضليل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل تتزاحم تيجان الملوك حول ركابه الشريف وان ذكر تزاحمت الاسماع أكثر وكيف لا وهو الملك الذى لم يخل من اسمه الشريف درهم ولا دينار ولا عود منبر ان تلاعبت كماته بعوالى الاتسل عن تلاعب الاشبال فى الآجام أو أمالت ألفات رماحها طاعنة عذل نفسه صاحب كل لامة ولام ماقابل خميس حرب الا ولم يبق من جمعة ذلك الخميس أحد ولا سل بيده الشريفة سيفا لامها الا فر صاحب القوس وعلم أن الطالع بالشمس والأسد ولا خفقت اعلامه الصفر فى سواد نقع الاسلقت البيض من زرق أسنته بألسنة حداد واصاب كل فؤاد مصدقا أبا الطيب فى قوله وقد ضغت الاسنة من هموم فما يخطرن الا فى فؤاد

وهى السعادة فى السماك فلو يشأ * لاصاب منها رامحا بالاعزل

هذا وسيوف حكمه خلد الله ملكه ماتضرب الا صفحا عن كل آثم وما أحقه بقول القائل لو علم الناس محبتى بالعفو لتقربوا الى بالجرائم وأما عطاؤه سبحان المانح ماأعطا الا ودت أغنياء الملوك ان تصير سائلة كابناء السبيل وكيف يحيا الجعفر خالد ذكرو ما جعفر بالنسبة الى بحر النيل فلو ادركه الفاضل لقال هذه المناقب الناصرية وعبد الرحيم عبد الرحيم وأنشد وقد شاهد ماقاله عيانا فى الناصر القديم

أهذه سير فى المجد أم سور * وهذه أنجم فى السعد ام غرر
وانمل أم بحار والسيوف بها * موج وإفرندها فى لجها درر
وانت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

يقبل البدر ترباانت واطئه * فالتراب عليه ذلك الاثر
نأى بك الملك حتى قيل ذا ملك * دنا بك الجود حتى قيل ذا بشر
خلائق فى سموات العلا زهر * لنا تنير وفى روض الثنا زهر

ونعود الى انه خلد الله ملكه هو المتحلى بشعار هذه السنة والمتقلد لله سبحانه وتعالى هذه المنة لانه الملك الذى ان نصر السنة فهو ناصر الدنيا والدين أو ابان شرفها فقد تأيدت منه بسلطان مبين اوترقى الى أوجها حل منها فى ارفع محل أو عقد عليها خناصره الشريفة فانه صاحب العقد والحل رغب اليها خلد الله ملكه فسرى نسيم القبول وفتح طروس الأوراق فى مسراه وجرت جرالاقلام فى ميادين الطروس فكتبت بسم الله هذا ما أصدق مولانا المقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى لازالت أبكار العقود وايتامها بسلكه الشريف منظومة وفتح له كل مانع وكثرة الفتوحات فى الايام الناصرية معلومة مرغوبته الجهة المصونة المنيعة المحجبة المكرمة الخوند الخاتون درة تاج الفخر وعين انسان الخواتين ويتيمة العقود ومخدرة الملوك والسلاطين ثالثة القمرين والممدود سترها الرفيع على مفرق الفرقدين ربيبة حجرا الملك ورضيعة لبانه وخلاصة الذهب الابريز وقلادة عقيانه والنهد الذى كبا خلفه كل كميت برا كبه وكيف لا ووالدها كانت الشقراء والشهباء من بعض جنائبه ذات الستور الرفيعة والحجب المنيعة ست الملوك بنت المقر الاشرف السيفى المرحومى كشبغا بن عبدالله الحوى الظاهرى البكر العاقل الصحيحة الاوصاف الخلية عن الموانع الشرعية أسبغ الله تعالى ظلال خدورها ومد على الآفاق أطناب ستورها أصدقها على بركة الله وعونه وتوفيقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم صداقا مبلغه من الذهب المصرى ألف دينار نصفها خمسمائة دينار ومن الدراهم الفضة الجيدة المعاملة يومئذ عشرون ألف درهم نصفها عشرة آلاف درهم ولى تزويجها منه على ذلك باذنها الكريم مولانا وسيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام القدوة العلامة حجة الاسلام والمسلمين حسنة الايام ورحلة الطالبين علم المحققين خالصة أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن ابى جرادة الحنفى الناظر فى الحكم العزيز بالديار المصرية وسائر الممالك الاسلامية اعز الله تعالى احكامه ونشر على الخافقين بالعلم الشريف

اعلامه

اعلامه قبل منه ذلك لنفسه الشريفة عظم الله تعالى شرفها قبولا صحيحا شرعيا بحضرة من تم العقد الشريف بحضوره شرعا فيا كرم به اتصالا شريفا اجتمع طريفه وتالده واحبب به عقدا ناصريا والقاضي الفاضل عاقده وتالله لقد اضحى بنظم هاتين الجوهرتين في عقد رفيع المثال وحظى من تنقل هذين القمرين الى افقه بشرف الانتقال وكيف لا وقد حصل لهما بهذا العاقد الكمال ترقت الى اعلى الدرج بسيف الاسلام فلسان الهناء على منابر الشكر خطيب وحصل لها بالناصر وقرب كاتب سره نصر من الله وفتح قريب وامست الديار المصرية وراحت بغيضتها است الشام وابى الله ان يتخطى صهوة هذا النهد الافارس الاسلام جعله الله عقدا مباركا ميمونا تجمل بسواد سطوره وبياض طروسه الليالى والايام وكما احسن ابتداءه يجعل من مسك القبول له حسن الختام ان شاء الله تعالى ﴿وهذه صورة تقليد قضاء القضاة بدمشق لصدر الدين على المعروف بابن الآدمى﴾ سنة عشر وثمانمائة الحمد لله الذى اقر عين الشام وشرح بعد القبض صدرها وأيدها بالامام على واعز بالسيوف العلوية نصرها ورفعها بمن ان تسامى فقد دارت على القطب دوائره أو كاثر بالعلم قل نظيره وما ألهاه تكاثره أحمده حمد من علم انه المبدئ المعيد وأشكره شكرا يقمع باحكامه كل جبار عنيد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو أن تكون مقبولة يوم فصل القضا وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى شق سيف الشريعة وأوضح أحكامها فقابلتها الامة بالطاعة والرضا صلى الله عليه وعلى آله الذين رضوا باحكام القضا والقدر صلاة ينشرح لها الصدر كلما ورد فضلها وصدر وسلم تسليما وبعد فان أولى من رفل في حلل انعامنا الشريفة من وجب حقه علينا وأعدنا اليه بضاعته التى ربحت تجارتها في أيامنا الشريفة فقلنا هذه بضاعتنا ردت الينا وصدرناه فحسنت به التورية وأصبح صدر الشام وحكمناه فكان بحمد الله نافذ القضايا والاحكام فهو الصدر الذى حصل له القبض بعدنا وانشرح بعودنا وابتهج وأصبح بعد ضيقه من سلطاننا على كلا الحالين في فرج أودعناه قديما سرنا الشريف فكان له نعم الصدر ونطقت ألسن اقلامه في ثغور الاقاليم بشكرنا فقابلناه بعلو القدر وكان المجلس العالى الفلانى الصدرى هو الذى نظم في سلك شكره من ثنائنا الشريف هذه القلائد وعادت عليه صلة برنا فهو

برقل من انعامنا الشريف بين الصلة والعائد وضربت بفضله الامثلة فلم يوجد له مثال وشهد له ابن العديم وناهيك بمن حصل له هذا الكمال فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى لازالت صدقاته الشريفة تعطى كل مستحق وتمنح ولا برح كل صدر يتلو فى هذه الايام الشريفة ألم نشرح أن يستقر المجلس العالى القضائى الصدرى فى وظيفة قضاء قضاة الحنفية بدمشق المحروسة على عادته فى ذلك وقاعدته لانه بحر العلم الذى ظهرت عجائبه واجتمعت فى سلك الفضل فرائده والخليفة الباقية للفضائل وكيف لا والامين والده والامام الذى لو أدركه محمد عين الاصحاب لاعترف بفضله الملى واتخذه صاحبا وقال ما لمحمد غير على والفاضل الذى ان ألقى درسا فهو على الحقيقة صدر المدرسين أو ذكرت الفتاوى والفتوة فانا بحمد الله أفتى من على فى هذا الحين أحرز قصبات السبق على فرسان مذهبه فعلمنا انه فارس الشقراء والميدان وكم اقتطفنا من رياض علومه زهرة علمنا بها انه شقيق النعمان فلو أدركه صاحب الدرر لقلده وانتظم فى سلك عقوده وكم طما بحر علمه وجوده فعلمنا انه مجمع البحرين من طارفه وتليده هذا وما لابن الساعاتى دقائقه ولا ارتفاع هذا المقام ولو عاصره صاحب المختار ما اختار غيره وقال على هو الامام فليباشر ذلك على ما عهد من جميل ادواته ومحاسنه التى هى كالخيلان على جيد الدهر ونعدها من حسناته وليقابل هذه النعمة السابغة بما يجب من شكر الله عليه ويحسن كما احسن الله اليه والوصايا كثيرة وهو بحمد الله غير محتاج الى وصية لان الوظائف تتجمل بحسن سيرته العلوية والله تعالى يسدد سهام احكامه ويجعل من مسك الثناء حسن ختامه * وهذه صورة تقليد نظر البيمارستان للشيخ ابى الحسن على الحنبلى * الحمد لله الذى رفع قدر من برز فى العلم وجعله عليا واصطفى من عباده من ارضعه لبان الفضل صغيرا وآتاه الحكم صبيا وخص بالنظر فى مصالح هذه الامة من جعل الحلم شعاره ولم يكن جبارا عتيا فهو المبدئ المعيد والقاصم بسيف على كل جبار عنيد احمده حمدا ينقوى به الضعيف واشكره شكرا وافيا يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من نظر بنور الله فكان من أهل النظر والبصيرة وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى امست الاعين بحسن نظره الشريف قريرة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

وأصحابه صلاة تزيل قذا العين وتنور الناظر ونتصر ببركتها على كل معاند وفاجر وسلم تسليما كثيرا وبعد فان للوظائف الدينية فضلا أبى أن يكون الا لاهله وحكمة انف سرها أن يوضع الا فى محله وكان المقر الشريف العالى الشيخى القدوى الامامى العلامى الاوحدى العاملى العالمى المفيدى القضائى العلائى على بن المغلى الحنبلى هو الذى لم شمل العلم بعد شتاته وخطبته عرائس الممالك لنفسها فابى الا جبر قلب جماته ركب الشهباء فخضعت له أهل الشقراء والميدان وودت مصر أن تستضىء بنوره بعد سراجها الذى نور الاكوان فلو أدركه امامه السابق لقال هذا المصلى الذى أزال الابهام وعليه الخناصر تعقد وقد علم كل أحد ان عليا اعلم اصحاب احمد فلذلك رسم بالامر الكريم العالى الفلانى لازال علم الشرع الشريف مشهورا فى أيامه ولا برح كل من ذوى الاستحقاق واصلا فى هذه الايام الزاهرة الى أقصى مرامه ان يستقر المشار اليه فى وظيفة نظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة فلقد سعدت بقعته بعد الشقاء وقالت أهلا بعيش أخضر يتجدد واذا نظرت الى البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد وصفت مشارب الضعفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا وتلى لمن سعى فى ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ودار شراب العافية على اهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وتمشت الصحة فى مفاصل ضعفائه وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فلقد قام بحسن نظره الكريم فى طاعة الله ومشى واعاد بنور طلعته البهجة النورية فقلنا نور على نور يهدى الله لنوره من يشا فليباشر ذلك من غير وصية لانه اكبر واجل قدرا فلقد تلت جهات الوقف المعسرة فرحة بقدومه فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وليتناول معلومه الشاهد به ديوان الوقف المبرور والله تعالى يحفظ الجهات النورية بنظره ويحرسه بسورة النور بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى *وهذه صورة تقليد بنظر مساجد* الحمد لله الذى زاد القائمين بشعار بيته صلاحا وجعلهم من اهل النظر وصير جميل ذكرهم مبتدأ كلما ذكر عن أهل الصلاح خبر نحمده حمد من عمر مساجد الله بالذكر وحسن فى بناء هذا التأسيس نظمه ونشكره شكر من انتصب لرفع بيوت

أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
شاهد علم انه الحاضر الناظر واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى محى آثار الشرك
عن بيت الله وقام له باجل الشعائر صلى الله عليه وعلى آله الذين ما برحوا خدام هذا
البيت الشريف والمتقين بظله الوريف صلاة تزداد بها نظرا وبصيرة وتكون لنا يوم
الحساب نعم الذخيرة وسلم تسليما وبعد فان أولى ما بادر اليه أهل البصائر النظر فى بيوت
الله فانه من أعظم القرب ولا يشعر بهذه الشعائر الا من ظهر صلاحه ولم يفصل بينه وبين
الخير فاصلة ولا سبب وبادر الى عمارتها بالذكر ودخل اليها من أبوابها متمسكا بقوله
تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وكان المقر
الكريم العالى المولوى القضائى الصلاحى الى آخر الصفات ممن أدرك فعل الخيرات
قبل ادراكه وجبلت عليه جبلته ولا يشك فى حسن نظره الا من عميت بصيرته ان اتسع
للفضائل مضمار كان جواد فضله هو السابق الجموح أو فتح للخير أبواب فصلاح الدين
بحمد الله أبو الفتوح ظهرت عليه بهجة ذلك النجم الذى الى غير فعل الخيرات ما هوى
وصحب افعاله الجميلة فتلا لسان الحال ما ضل صاحبكم وما غوى ما أطاق سهم عزمه
الى غرض خير الا وكان بحمد الله نفاذا ولا أظهر فعلا الا تلقى الناس بالقبول وما قيل
يوسف اعرض عن هذا وهو ذو اليراع الذى اذا خط خطا أطاعته المقادير وكم جرت
خلفه خيل الاقلام حتى حفيت فما لحقت له غبارا لانه حوى قصبات السبق ورفل
فى حلل التحبير ان سطر مهرقا جيش ضرب الانجاس فى الاسداس أئمة الكتاب
أو كتب كتاب انشاء عوذناه بام ذلك الكتاب فلذلك رسم بالامر الكريم العالى المولوى
الفلانى لا زال كل مستحق فى أيامه الزاهرة بالغا أقصى المراد ولا برح يظهر لنا فى كل
حين صلاحا يزيل عنا الفساد أن يستقر المشار اليه أدام الله تعالى نظره فى وظيفة نظر
الجامع الكبير الاعلى بحماة المحروسة على العادة فى ذلك والقاعدة لئلا يكون لصالح
المسلمين وجه الا وهو له ناظر ولا ينتظم للوظائف الدينية عروض الا وهو بحره الوافر
خاطبه الجامع بلسان الحال ليكون لشمله جامعا وجبر قلب المحمدية وخر ماؤها ساجدا
ودخل عاصيها الى الجامع طائعا وأمسى على ذلك الصحن حلاوة ظاهرة وتيقظت مقل
مصابيحه بعد طول الغمض فاذا هم بالساهرة واهتز طربا من طيب هذا الثنا المنير

وكاد

وكادت أعواده أن تزهر فرحة بهذا الزمن الغض والعيش الاخضر وضعف نظر الرسام وأمست من اسمه غير مقبولة هذا ولو أدركه ابن كاتب لقال ما أنا من فرسان من كتيبة كل جيش بنظرة مشموله أو لحقه ابن السمين لتحقق ضعفه وضعف أبيه عن القيام بهذا الشعار أو عاشره ابن رواحة الانصارى لكان له من جملة الانصار وأمسى جامعنا وهو الاعلى على من قبله وبعده وتلا أهل الصلاة وقد حظوا بيوسف فى السجدة وزال محل بلاده فى هذه الايام اليوسفية وأمسى فى بسط بعد ما طوى بساطه بالكلية وزال فساده ولله الحمد بهذا الصلاح واعلن موذنوه فى أعلى منارته بحى على الفلاح فليباشر ذلك مباشرة تثمر جزيل الثواب وليظعن اعداؤه من دعاء كل قائم بالمحراب وليحسن الى حلقة كل علم لينشرح صدرها فالرجال الحلقة غير ناظر الجيش اذا أشكل أمرها وليرم من عانده بسهام من الادعية عن قوس كل راكع وليتوجه فى ذلك الى الله تعالى وأحسن ما كان التوجه فى الجامع والوصايا كثيرة وهو بحمد الله تعالى فى غنية عن ذلك والله تعالى يؤيده ويجمل به الوظائف الدينية ويجعله لازمتها خير مالك ولا برح كفه مبسوطا للخيرات وتعقد عليه خناصر كفال الممالك ان شاء الله تعالى

وهذه صورة كتاب ودادى اخوانى انفذه من القاهرة الى الثغر يخاطب فيه القاضى بدر الدين أبا عبد الله محمد بن الدماميني المخزومي يخبره فيه بفراره من بلاد الشام لحرب كانت هنالك وبما قاساه من الشدائد فى البحر بسم الله الرحمن الرحيم يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث فاثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسمى على العقد بنظمه المستجاد وانشد لا فض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد لقد حسنت بك الايام حتى كأنك فى فم الدهر ابتسام فاكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى بابها السلام ومجلس حكم ما ثبت لمدعى الباطل به حجه وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة ضربت على الحقيقة ابن حجه وافق معالى بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بما دون النجوم وميدان عربية تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما لفرسان الشعراء والا بلق فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومي عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال

وينهى بعد اذعية مابرح المملوك منتصبا لرفعها وتغريدا ثنية مالمجتمع المطوق في الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار وأبرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار وصول المملوك الى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعورا لما شاهده من المصارع عند مقاتل الفرسان في منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بألسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح وكان في البين ما كفاني فكيف بالبين والغراب يامولانا لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ما سعر به البين نظام وكشرت الحرب بين ثنايا ه عن انياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا النافيه ثنية ولاناب وامست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتنا عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم نقول لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاة القضاة فلم يسلم منهم الامن كان مسعودا ووقع غالبنا في القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك في هذه الواقعة الامكرها الابطل وكم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن ضيق سهلها ياسارية الجبل ورام المملوك أن يتنصل من انتظامه في هذا السلك جملة كافية فقال له لسان الحال عند نظم هذه الكائنة جرتك القافية ولم يطلق المملوك عروس حماته الاجبرا أظهر به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره يامولانا

بوادى حماة الشام عن ايمن الشط * وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلادا اذا ماذقت كوثر مائها * أهيم كأنى قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد في أن بالارض بقعة * تشا كلها قل انت مجتهد مخطى
وصوب حديثى مائها وهوائها * فان أحاديث الصحيحين ماتخطى
يعصمها ان دار ملوى سوارها * فنا الشام بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها * عقود الها العاصى رأيناه كالسمط

وترخى علينا الغصون ذوائبا * يسرحها كف النسيم بلا مشط

وهذه ذاك النهر ساقا مدمجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط

لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وابدت لنا دورا على ساقه البسط

سقى سفحها ان قل دمعى سحابة * مطنبة بالدمع منهلة النقط

ويا اسطر النبت التى قد تسلسلت * بصفحتها لازلت واضحة الخط

ولازال ذاك الخط باطل معجما * ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط

لويت عنانى فى حماها عن الورى * وهمت بها لابالمحصب والسقط

ولذ عناق الفقر لى بفنائها * وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط

منازل احبابى ومنبت شعبتى * وأوطان اوطارى بها ورضى سخطى

نعمت بها دهرا ولكن سلبته * برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى

وقد جاء شرط البين انى اغيب عن * حماها القدا دمى فؤادى بالشرط

وحط على الدهر عمدا وشانى * الى غيرها صبرا على الشيل والحط

وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها * منظمة لكن قضى الدهر بالفرط

أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى * فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط

وقد صار يمشى الهم نحوى بسرعة * فياليته لو كان فى مشيه يبطى

وأصبح نظمى راجعا بى الى ورى * كأنى فى الديوان أكتب بالقبطى

فهاهذه المحن التى توالت على أهل الادب بعذر وال لخرها لكن أدام الله تعالى مجدها وأنار شهابها وأقر ليالى بدرها يامولانا وأبثك مالقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من اعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت أزر قلوعها وهى بين يديه قلقلة رجالها تسبى فتحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله وكم قلت من شدة الظمأ ياترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة شعر

وهل اباكر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من اكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا امواجه حين مسنا من الخوف وجلنا عـلى نعش الغراب وقامت
واوات دوائره مقام مع فنصبتنا للغرق لما احتوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه
سوداء استرقت موالينا وهى جارية وغشيهم فى اليم منها ماغشيهم فهـل اتاك حديث
الغاشية واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد
رجالها وجرى ماجرى على ذلك القلب القاصى وتوشحت بالسواد فى هذا المأتم وسارت
على البحر وهى مثل وكم سمع منها المغاربة على ذلك الة وشيح زجل برج مائى ولكن تعرب
فى رفعها اوخفضها عن الكسر والطوع وتتشامخ كالجبال وهى خشباء مسندة من تبطنها
عدّ من المصبرين فى تابوت تاتى بالطباق ولكن بالمقلوب لان ضميرها كبير وبياضها
سواد وتمشى على الماء وتطير مع الهواء وصدلاعها عين الفساد ان نقر الموج عـلى
دفوفها العبث انا ل قلوعها بالعود وترقصنا على آلتها الحدباء فنقوم قيامتنا من هذا
الرقص الخارج ونحن قعود تتشامخ وهى كما قيل انف فى السماء واست فى الماء وكم
نطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهى الصعدة الصماء فيها الهدى وليس
لها عقل ولادين وتتصابى اذا هبت الصبا وهى ابنة مائة وثمانين وتوقف أحوال القوم
وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم
ضعف نحيل خصرها عن تثاقل ارداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب
مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم اسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح فى
تشويشها وكم مرّ على قريتها العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل
الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك قد تبت وهى حمالة الحطب فى
جيدها حبل من مسد وخلاص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من
أهل الصفاء واخوان الوفاء وتنصل من ذلك العدو الازرق الذى مابرح باطنه وهو كدر
وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر ووصل بعد عدم القرار
من بحيرته الى ذات قرار ومعين وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين وتلى لسان
الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين و بعد فالمملوك يسأل الاقالة
من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت عن فكر تركه البين مشتتا والاغضاء
عن كثرة بردها فقد خرجت من البحر عارية فى أيام الشتا والتستر عورتها بستائر الحلم

ويغطر

وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا يجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود قلبه الضعيف الذى قطعت صلاته من صفى هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحرّا من ذلك النسيم الغربى بردوسلام والله تعالى يقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص من البين حسن الختام بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى حكى ابن حجة ان القاضى الفاضل اراد يعارض مقامات الحريرى فلما وصل الى المقامة البغدادية التي لم فيها باسماء الاعضاء امسك عن المعارضة لاستصعابه ذلك المسلك وهذه عبارة المقامة المشتملة على ذلك التلميح من كلام نسبه الى عجوز قال انها وقفت على جماعة من الادباء فيهم الحرث بن همام فى صورة سائلة قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل اهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولاناب فتعجب ابن حجة من استصعاب الفاضل ذلك وانشأ هذه الرسالة مستوفيا فيها ذكر الاعضاء الاما يستحى من النطق به واعتذر عن ذلك بما سيأتي نقله عنه

يقبل ارضا بالعلا قد تجسدت * لارواح اهل العلم روضة مشتهي

وهبت بانفاس العلوم قبولها * فلازال صدر الدين منشرحا بها

ولا برح هذا الصدر محروسا بالم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك

صدر غدا رأسا لكل فضيلة * صورا لمعاني تلتقيه ببشرها

فاذا أتى نحو الشآم مناظر * فى كل علم قابلته بصدرها

هذا وكم لهذا الرأس فى العلوم من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جباه الايام لازال المجد له حاجبا وقرونا بسعدوا الشامل ولا برح بعلمه عين الوجوه والمسائل فالله اهداب

معانيه التى هى اسحر من عيون الغزلان وامضى من السيوف اذا برزت من الاجفان
واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم
أنست عند ذكرها من سالف وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود ونداجوده الذى اذا
جاءه الشارب وجد عنده شفاه وحلاوة نظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق
مكارمه التى ألفت من البديع الالتفات واوصافه التى غدت على جيد الدهر شامات
حتى تبدلت سيئاته بالحسنات كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد من غير ان
يقال له ساعد وشهدنا بان أياديه بحر يفيض بصنائعه فاشار النيل الى قبول هذه
الشهادة باصابعه فلله ندا يمينه الذى لم يزل المملوك به فى بلاد الشمال مكفى وكم فاض منه
قلب النيل وجهد ان يوفيه بالباع والذراع فما قدر يوفى جبلت على محبته القلوب فصار
حبه ظاهرا فى كل باطن وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت
كل ساكن وينهى بعد أدعيته التى هى ان شاء الله تعالى نعيم لابدن الكريم
واعتدال للطيف ذلك المزاج واثنيته التى هى كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل
خاطر ابتهاج اشواق من تثاقلت عليه ارداف النوى واسكنت فى وسط قلبه
الجوى وقده الانقطاع بسيفه الذى زاد فى حده ولكنه زاد فى قده ولو حصر المملوك
ما ساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمة وهو يعد القلب بالصبر
ولكن كما ذكر كعب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة قال ابن حجة على
أثر ذلك ولم يبق من هذا القدر الا ما تمجه أفواه الاسماع وينفر منه سليم الطباع وعلى
كل حال فهذه صبابة الحاصل ونسال الله السلامة من الجاهل المتغافل بمنه وكرمه ان
شاء الله تعالى اذا قرأت متأملا حق التأمل ما نقلناه لك من انشاء ذوى العصور
المتتالية عرفت كيف اختلاف مذاهب الناس فى الانشاء واذا يسلك بك التوفيق الى
اختيار طريقة تناسب احوال بنى وقتك وتوافق افهامهم اذا دعتك داعية للانشاء
المصنوع هذا وانفع ما اراه ينبغى لك ان تتخذه دليلا يرشدك الى كل وجه جميل من وجوه
الفنون التى تحاول فيها ان تكتب الكتابة الصناعية المناسبة لوقتك الذى تأمل
ان تعيش فى رضا أهله عنك واعترافهم بظهور ما يعود منك عليهم نفعه منشآة الامير
الجليل صاحب الوقت الذى لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب

علامة

علامة همذان عبدالله فكري بك أطاب الله أيامه وأعلى كما رجوه منه تعالى حيث كان مقامه فمما وبه صدرت ما سأنقله لما اشتمل عليه من نصيحة الاخوان أن يذهبوا بأنفسهم مذاهب الافاضل ولا يقعدوا بها مقاعد كل وضيع خامل فيكونوا قد رضوا لها بالدون وأنزلوها منازل الهون ما كتب لبعض اخوانه جواب تحية وسؤال قال كتبت والذهن فاتر من وهن الدفاتر والتبييض والتسويد والتقييد والتسديد والتقييد والتشديد والترجمة وكثرتها والهمة وفترتها والماهية وقلتها والنفس وذلتها وراتبي لا يكفي أجرة البيت ولا يفي ثمن الماء والزيت وبالامس وعد الوكيل بالزيادة واعتذر اليوم بالاصيل على العبادة على انه لو حصلت زيادة فالمزيد وعرو الى آخر الزمن ولله الامر احوال متبددة ونفوس متبلدة وأشغال متعددة واخوان خوّان وخلان غيلان ورفاق وما أجل الفراق وقلت

الى م أعاني الصبر والدهر غادر * وحتى متى أشكو ومالي عاذر

ولو أنني أشكو عظائم شدّتي * لمرت لرقت لي العظام النواخر

وسألت عن فلان وفلان وهيان بن بيان ممن ينتسب للعلم وأهله ويتظاهر بشعار فضله ولو كان العلم بلحية تعظم وتطول وشوارب تحف وتستأصل وعيون على ما بها من غمص ورمص تكحل وعمامة تعظم حتى ترذل وطيلسان يلف ويسدل وكم يوسع ويسبل وأحاديث خرافة تقص وتنقل ومحفظة تفعم وتثقل وسواك يظهر من العمامة نصفه وكتاب يخرج من الجيب طرفه ثم يتشدق في الكلام وتبالد في المرام وتعسف في الافهام وحرص على الحطام ثم يقول الانسان حضرت درس فلان وسمعت من لفظه باللسان وقضيت في العلم كذا سنة من الزمان فهم اعلم من أقلته الغبراء وافقه من اظلته الخضراء وان كان للعلم غير هذه الآلات فما لهم سوى هذه الحالات غاية الأمر انهم قضوا أرذل العمر في كتب معدودة وشروح موجودة وهم يكررونها ولا يدرونها ويقررونها ولا يحررونها ويتداولونها ولا يتعقلونها ولو صرف جاري هذا العمر فيها لأصبح فقيها وأضحى نبيها والذي يظهر بينهم وشينهم وعلامة ما بيننا وبينهم ان يؤمر احدهم برقعة تكتب لحاجة معهودة ويمتحن بكتاب غير هذه الكتب المعدودة فيه بعض كلام العرب واشعارها وشئ

من وقائعها واخبارها فان كتب فصيحا وقرأ صحيحا وفهم مليحا عرفنا انه شم عرف العلم وذاق طعم الفهم وسلمنا اليهم مايدّعون وتركناهم مايأتون ومايدعون وان ارتبك للرقبة ووقف حمار الشيخ فى العقبة عرفنا حاله وقلنا له

ايها المدعى سليما سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت من سليم كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

وقد مررت بالامس على احدهم فى الدرس يقرأ القطر لابن هشام ويلحن لحن العوام ومررت بآخر يدرس الكافى فى علمى العروض والقوافى يقرر قوله

قف على دارهم وابكين * بين اطلالها والدمن

فلا وربك ما أقام له وزنا ولا عرف له معنى مع سهولة مبناه وظهور معناه فحطمه حطم الهشيم ومزقه تمزيق الأديم فقلت سبحانك اللهم كأنّ الشاعر عنانى بهذا الكلام وعلم انى اقوم هذا المقام فامرنى بالبكاء على العلم والدروس وما جرى على معاهده من دروس ياقوم اهذا النحو واعرابه والصرف وابوابه والعروض واوزانه وابحره والمعانى وانشاؤه وخبره والبيان وفرائده والبديع وشواهده وهذه العلوم الموضوعة والاسفار المحمولة والدروس المأهولة والاصوات المهولة لمجرد معرفة ضرب زيد عمرو وقتال خالد لبكر وأنّ فال اصلها اقول ثم لايدرى ماحصل والطويل من فعولن مفاعيل ثم لايعلم كيف ينظم والفصل والوصل ولا اصل ولا فصل والحقيقة والمجاز وليس لهما مجاز والتورية والجناس مما يحفظ ولا يقاس اذا والله تكون تلك الفنون من افانين الجنون ويكون الميل اليها والاقبال عليها عملا حابطا وشغلا ساقطا وهوساعاطلا ووسواسا باطلا ويكون واضعوها اساؤا الناس واخطؤا القياس وبنوا على غير اساس كلا انما وضعوا هذه القواعد وشرعوا للناس تلك الموارد ليتكلموا بكلام العرب مثل ماتكلمت ويفهموا من الفاظها كالذى فهمت ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت وقد كانت هذه العرب التى اودع الله الفصاحة لسانها وشرف بسيدنا النبى والقرآن العربى مكانها تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الاصلية والسجية الجبلية من غير هذه القواعد والاصول

وتلك

وتلك الابواب والفصول وكانت تمتد البلاغة مبلغ علاها وتعتقد الفصاحة من محاسن حلاها ثم بعث الله تعالى نبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم افصحها لسانا واوضحها بيانا وانزل عليه قرآنا فى اعلى درجات البلاغة وارقى طبقات البراعة فى حسن الصياغة فاهتدوا بقرآنه واقتدوا ببيانه فازدادوا بسطة فى الالسن وتوسعا فى البيان الحسن الى ان اختلطت أنسابهم وتقطعت اسبابهم وانقرضت دولتهم وانقضت مدتهم واختلت السنتهم وخلت امكنتهم وخيف ان تذهب معهم هذه اللغة المنيفة التى هى مدار الشريعة الشريفة وخير لغة العالم وابرع لسان تكلمت به بنوا آدم فقيض الله لحفظها الائمة الاعلام هداة الأنام ورعاة الاسلام فرتبوا قواعدها وشدّوا سواعدها وصنفوا تلك الفنون العديدة والفوا هذه الكتب المفيدة لتسهيل الأرب من لغة العرب والتكلم بلسانهم على بعد أزمانهم ومجاراتهم فى بيانهم على سعة ميدانهم والتفنن فى اساليب الكلام وصوغه على حسب مقتضى المقام واستمر العمل على ذلك بين الأنام وتداولت عليه الأيام والاعوام الى ان خلف هذا الخلف الملوم والخلق المذموم والجيل المشؤم فظنوا تلك الوسائل مقاصد ليس بعدها غاية لقاصد وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها ويكتفى بالتعبد بكلماتها فوقفوا عندها ولم يتجاوزوها الى ما بعدها واتخذوا الأدب وراءهم ظهريا وجعلوا النظم والنثر شيأ فريا فاذا كتب احدهم رقعة لحاجة ارادها او ابتلى بكتاب غير هذه التى اعتادها فلا تسل عن الغلط الواضح واللحن الفاضح والذهن الغائب والفهم العائب فان وقفته على غلطه وعرفته بعض سقطه قال ما نحن من اهل ذاك الشان ولا خيل هذا الرهان انما نحن لفهم الكراس لا يسبقنا احد من الناس فيا أنعام الأنام ويا آلام اللئام اى فائدة اذا للكراس غير وجع الراس واىّ معنى لتلك العلوم غير سعة الحلقوم وماذا ينفع الاعراب من لا يعرب عن المرام وماذا يصنع بالصرف من لا يتصرف فى أساليب الكلام وماذا يغنى العروض عن قوم لا يشعرون والمعانى والبيان من قوم لا ينظمون ولا ينثرون وقد زارنى احدهم فى الديوان لبعض شانه واعطانى رقعة كتبها الحاجة بخط بنانه فاذا رقعته أنموذج الرقاعة وتمثال الشناعة

ومجموع البلاغة وينبوع العي والفهاهة وها هي وأصلة طي كتابي اليك لتكون على ما قلت حجة وبينة لديك فقد عرفت قدر تظاهر هذا الرجل بالعلم وتفاخره بحدة الذهن وجودة الفهم وسترى ما بها من زلل وخطا وخطل ولفظ بارد ومعنى جامد وتركيب فاسد ورسم خامد وقد كان في يدي معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص فناولته بعض ورقاته وسألته في فهم بعض محلاته لا جهلا بأمره ولكن اظهارا لعجزه وبجره ثم جهدت به أن يكتب ما فهمه بعد ان مدحت له ما توهمه وكنت أريد أن أتحفك بغرائب انظاره ووساوس أفكاره لتعلم أي اطفال في ثياب رجال وأي حمير تركب البغال الا انه لم يسمح بكتابة ما قال وفي رقعته كفاية فهي في الدلالة على حاله غاية اما فلان وأترابه وفلان وأضرابه فهم أعجوبة الأيام وأحدوثة الأنام احوال متناقضة وأفعال متعارضة فكبر وفقر وعجز وفخر وانف في السماء وأست في الماء وحال تحت التراب ونفس فوق السحاب ان صدقتهم كذبوا وان أرضيتهم غضبوا وان تباعدت عنهم لاموا وعذلوا وان تقربت منهم سئموا وملوا كلاب في جلود أسود وجوه بيض وقلوب سود صغيرة السيئة عندهم كبيرة وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة عيون منتقدة وقلوب متقدة والسنة حداد وافئدة شداد وأجسام صحيحة وقلوب مريضة وجهل طويل ودعاوى عريضة النصح لديهم خيانة والسوء عندهم ديانة وقد بذلت في مرضاتهم جهدي واجتنيتهم مري وشهدي وقابلتهم باللطف والعنف وعاملتهم بالنكر والعرف فلا والله ما ازدادوا الا فجورا وعتوا ونفورا ومكرا وشرورا وكبرا وغرورا ولو وقفت عليهم ليلتي ويومي وهجرت لديهم راحتي ونومي وفديتهم بعشيرتي وقومي ثم اطعمتهم من جسمي وآثرتهم من العافية بقسمي لما بلغت من نفوسهم رضاها ولا أديت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها بل ولو صاحبهم جبريل وخاطبهم بالتنزيل وأهدى لهم الجنة في منديل وأنزل الشمس اليهم في قنديل ونظم لهم النجوم عقودا وشق لهم من المجرة برودا وصير الانس والجن لهم عبيدا وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا وأطلعهم على غيب السماء والارض وخبرهم بما كان وما يكون الى يوم العرض لما أصبح عندهم الا مذموما ولا أمسى لديهم الا ملوما

ولكن

ولكان منسو بالقصور والتقصير والاخلال بالقليل والكثير قوم هذه طباعهم وتلك اوضاعهم من ذا يرضيهم بحال ولو فعل لهم المحال أما فلان وما أدراك فهو شرك الأشراك وعار العرب والأتراك وفضيحة الزمان وخزى الكون والمكان صورة كثيفة وسيرة أنتن من الجيفة

و وجه لو رميت به لكلب * على جوع لعاف الكلب أكله

وأخلاق أسمج من السماجة وعقل اضل من الدجاجة وكلام على الراس أشد من قلع الاضراس اذا تجرعته الآذان تقيأته الأذهان فهو ذنوب الذنوب وعيبة العيوب وقذى النواظر وأذى الخواطر وبلية النفس وآفة الأنس وشر الجن والانس وهو من قوم تقدموا بأعجازهم لا بإعجازهم و بقيادتهم لا بسادتهم و بالشمول لا بالشمائل وبالفضول لا بالفضائل فلا نعم الله بالهم ولا بلغهم آمالهم فليسوا للنعمة أهلا ولا للكرامة محلا

نعم الله لا تعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه فلان * لأولا نور بهجة الاسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

وقد طال الكلام فى هؤلاء الطغام وانى لمأسوف على زمن قطعته بأنبائهم وقرطاس دنسته بأسمائهم وما كنت لاريد ان أطيل المقول فى فصول هذا الفضول ولكن حديث الأفاعي يطول وقد نذرت للرحمن صوما فلن أذكرهم بعد هذا يوما فهلم أطارحك ذكر الوداد وأبثك شكوى ما فى الفؤاد من لاعج البعاد فقد ى لك من الود والشوق والوجد ما ملأ الجوانح وملك الجوارح فلا يبليه البعد ولا ينسيه طول العهد فالله يديم حسن رعايتك و يسعدنى ما يسر من ناحيتك ويتم نعمته عليك بالدوام و يبلغك غايات المرام

(وكتب الى امام مسقط من طرف الحضرة الخديوية)

ما روضة سحبت عليها السحائب ذيول مطارفها وخلعت عليها من خلع الربيع محاسن طرائفها فظلت تثنى عليها أدواحها بما استودعته أرواح النسيم حين سرت بليلة الأذيال عاطرة الشميم بأحسن ولا ابهى ولا ألطف ولا أشهى من تحية

بهية تعلت لطفها انسمات الشمائل واثنية سنية استفاذت من حسن تلك الشمائل وتسليمات زهية يتلألأ في ارجاء الودة سناها ويتفيؤ في انحاء الأفئدة ظلال معناها تقدم وتبدى وتهدف وتهدى الى حضرة ذروة المجد الشامخ وتاج هامة السعد والشرف الباذخ حسنة الدنيا وحلية المجد والعليا بدر المفاخر الذى اضاءت به نواحيها ومنار المآثر الذى اهتدى به ساريها رب الهمم العوالى وسايل الأكارم الاعالى وبهجة الايام والليالى وزينة المحامد والمعالى حرس الله بهجته وأدام بهجته وحمى حماه ورعى رعاياه ولازالت ثغور الآمال بوجوده بواسم ورياح الاقبال بوفوده نواسم

وبعد فقد وصل الى كتابكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فملأ العين قرة والقلب مسرة والنفس ارتياحا والصدر انشراحا واجتليت منه روضة بلاغة أزهرت نجومها وسماء فصاحة اسفرت نجومها واغتنمت من براعات عباراته الفائقة مزيد المسرات بما ابتديتموه من حسن الميل الى وبديع الالتفات وشكرت المولى العظيم على صحة ذلك المزاج الكريم وهذا المحب فى صحة وعافية ونعمة من الله وافية فنساله ونبتهل اليه سبحانه أن يديم علينا وعليكم احسانه آمين

(وكتب صورة مقالة تقدم من أهل الصعيد لولى النعم)

يامالك الملكوت ورب العظمة والجبروت نحمدك على سوابق نعمائك وسوابغ آلائك ونصلى ونسلم على خير أنبيائك وواسطة عقد أصفيائك ونشكرك على ما الهمته حضرة أمير المؤمنين وخليفة رسولك الامين وظلك الممدود على مفارق العالمين من تحويل وراثة مصر الى نسل عزيزها الافخم وتخويل اهلها بهذه المنة الكبرى جلائل النعم والفضل الاعم وهذا شئ طالما لهجت به ألسنتنا وامتدت الى أنظاره أعيننا واشتغلت به خواطرنا واشتملت عليه سرائرنا فدلت عليها ظواهرنا وماذاك الا من فرط حبنا لاوطاننا السعيدة وولى أمرها وعلمنا بما يترتب على تلك البغية الحميدة لهذه الديار من اتساع خيرها وامتناع ضيرها وارتفاع قدرها واستكمال أسباب غناها وفخرها وتماديها فى التقدم والتمكن وترقيها الى درجات حسن التمدن ومعمورية بلدانها ورفاهية سكانها الى غير ذلك من ثمرات نافعة

ومحاسن بارعة نرى العزيز أدام الله بقاءه وخلد في ملكه ابناءه لا يزال اخذا في أسبابها متوصلا اليها من خير بابها ولعل الله جلت حكمته وعلت كلمته ما اختص هذا الجناب الخديوى بتلك المزية العالية بعد ما تداولته على تمنيها الاعصر الخالية وشلت دون تناطيها الايدي المتناولة وقصرت عن ترجيها الهمم المتطاولة الا لما جبل عليه جنابه الكريم وجعل حلية طبعه السليم من حب الخير والنفع للخاصة والعامة وبذل في تقدم هذه الاوطان مزيد الهمم التامة ونحن لو أردنا بيان ما استفدناه من السرور والحظ والحبور والانس والحضور لهذا الامر المبرور لوجدنا كل عبارة قاصرة عن المرام وكل براعة مقصرة عن ايفاء حق هذا المقام فنسألك اللهم لامير المؤمنين نصرا على العدا وملكا يبقى أبدا سرمدا ولا ينتهى الى مدا ونستوهبك لعزيزنا الاكرم وولى نعمتنا المعظم طول عمر يتمتع فيه بدوام اقباله مسرورا بنجاح أعماله وبلوغ آماله وصحة أنجاله ما تحلى الافق بحلية هلاله وتجلى البدر في حلة كماله

﴿ومما كتبه صورة فرمان بنصب محافظ﴾

صدر هذا الفرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابا الى الحكام والعلماء والقضاة والاعيان والوجوه والعمد ومشايخ البلدان وعموم الاهالى المتوطنين في محافظة كذا بجهات السودان ليكن معلوما لديكم بوصول هذا المنشور اليكم انه قد اقتضت ارادتنا تنصيب فلان محافظا عليكم لما توسمناه فيه من الدراية والاستعداد والسلوك في طرق الرشاد وبذل الهمة في أمور المصلحة ومزيد الاجتهاد فامتثلوا أوامره التي تصدر في صالح المصلحة واجتنبوا نواهيه واجتهدوا فيما يعود به عليكم من يد العمارية لتنالوا احسن الرفاهية واعملوا بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضانا عنكم وأنت أيها المحافظ قد علمت ما لدينا من الشغف باتساع دائرة المدنية وحصول الخير لجميع أهل هذه الديار الوطنية والميل الى دوام راحة العباد وتأمين السبل وتمدين البلاد فعليك برعاية ما يلزم لذلك واسلك في إدارة اشغال هذه المحافظة احسن المسالك ودم على العدل والانصاف واحذر من الظلم والاجحاف وانظر الى قوله عليه السلام لامته

كما كم راع وكل راع مسؤل عن رعيته ولتكن مهتما بتحصيل حقوق المصلحة فى اوقاتها ورؤية جميع الاشغال على أحسن حالاتها ليدوم حسن أنظارنا عليك وتفوز بمزيد التفاتنا اليك اعلم ذلك واعمل به واحذر من مخالفة موجبه

(ومما كتبه لبعضهم)

سلام يعبر عن الوداد طيب عبيره ويخبر عن إخلاص الفؤاد لطف تعبيره وثناء على محاسن تلك الشمائل أرق من نسمات الشمائل وتحية بهية تباهى الخمائل بنفحات أورادها وأدعية مرضية جعلتها الالسنة خير اورادها وسؤال عن المزاج الزاهر وصحة الخاطر الباهر لازلتم محل نعمة يتصل على مدى الايام بقاؤها ويزيد على مر الشهور والاعوام بهاؤها ولابرحت ثغور الاقبال اليكم بواسم ورياح الآمال لديكم نواسم ولاانفكت الايام والليالى متقلدة بحلا كم اجيادها والمعالى متسابقة الى ساحة حماكم جيادها آمين

وبعد فان بى من الاشواق ما تضعف عن حمله الى حماكم الاوراق ومن التأسف على ماحرمته من لقياكم والتلهف الى مطالعة أنوار محياكم مايقصر عن وصفه لسان البراعة ويقصر دون وصفه بيان البراعة ويضيق عنه نطاق العبارة ولاينفسح له ميدان الاشارة وان فى ضميركم الاجلى ونور فكركم الاعلى مايكفى فى الدلالة ويغنى عن الاطالة فى المقالة وان تفضلتم بالسؤال فانا بحمد الله قد بلغنا الآمال والجميع فى صحة وعافية وحسن حال والكل مشتاقون اليكم ويسلمون عليكم وعبد الله فكرى يقبل يديكم وأيضا

الشوق الى لقياكم واجتلاء نور محياكم تضعف عن نقله حمائم الرسائل ولايحتاج فى اثباته الحجج والدلائل فالله يطوى شقة البين ويقر بكم العين ويمتعنى ببقائكم وطيب لقائكم وقد ورد خطكم الكريم فسر انفسا تعرفه وتألفه وأقر اعينا لاتزال تترقبه وتتشوفه وقد كان مر بخاطرى وخطر افكرى ان أسابق سيدى ومولاى برسالة اشكو فيها الواعج البعاد وأقضى بها بعض الفروض الواجبة من حقوق الوداد ولكن أبى الله الا ان يكون سيدى هو السابق لتلك الفضيلة والبادئ بهذه المكرمة الجليلة وانا اكون المقصر فى جنب تطوله والمفرط فى جانب تفضله على

أنى

أني لم أكن مقصراً في دعاء يصحبه الحب ويرافقه الاخلاص وثناء على محاسن تلك الشمائل اوجبه مزيد الاختصاص وسؤال عن ذلك الخاطر الزاهر أستقبل به كل وارد واشيع كل صادر والأمل اتصال مايطمئن به الفؤاد من رسائل الوداد حتى ينقضي امد البعاد ذلك غاية المراد قوله في هذا الكتاب حمام الرسائل يشير الى ما كان في سالف الزمان من استعمال الحمام في ايصال الكتب التي يراد سرعة وصولها الى الامكنة البعيدة وذلك ان الناس لما عرفوا في الحمام خاصة الألفة لموضعه واهتدائه له اذا ابعد عنه وعرفوا منه نوعا قويت فيه تلك الخاصة رتبوا ابراجا بين النواحي المتباعدة كمصر والشام وبغداد واتخذوا لكل برج حماما ربوه فيه حتى ألفه وكانوا ينقلون حمام كل برج الى ما يليه فاذا أرادوا أن يوصلوا الكتاب علقوه في جناحه وارسلوه فيتلقاه الموظفون لاخذ الكتب منه عند وصوله الى برجه ويعلقونه في جناح حمام البرج الآخر وهكذا فكان يصل الكتاب الى المقصد في زمن لا يمكن للبريد وكان للحمام ديوان له رؤساء وخدم وكان من المصالح المهمة وأغنى عنه وعن غيره في زماننا هذا ذلك السلك الممدود على ذلك الخشب المنصوب الذي صار شبكة على الكرة الارضية

﴿وكتب لسلطان المغرب من الحضرة الخديوية جوابا عن كتاب﴾

قرة نواظر الدين والدنيا وغرة مفاخر الملك والعليا وبدر مطالع السعد المشرقة ازمانه بلألائه وذخر مجامع المجد المورقة أفنانه بآلائه القائم بامر الدين الحنيف وحامي حمى الملك المنيف ماحي ظلم الظلم ومبدد مراسمه ورافع لواء العدل ومجدد معالمه ذروة هامة الشرف الاسمى ومن تتباهى بجلاه النعوت والاسما الملك المعظم السلطان المفخم أمير المؤمنين بالديار المغربية دامت محفوفة بالرعاية الابدية محفوظة بالوقاية الاحدية ملحوظة بعين العناية الصمدية ولا برحت أعواد المنابر متباهية باسمه الكريم وأجياد المفاخر حالية بمجده القديم ولا زالت سدّته الكريمة محل إجلال وتفخيم

سلام يستتبع مزيد التكريم ويستجمع صنوف التبجيل والتعظيم وأدعية بهية تتمسك باذيال الاجابة والقبول واثنية سنية تتمسك بها نفحة الصبا والقبول يهدى لذلك المقام الارفع والحمى الاعلى الأعز الامنع أدامه الله مورد قبول وإقبال ومعهد فضل

وافضال ولازالت انديته معمورة بالعز والتمكين وألويته منشورة بالنصر المبين

وبعد فقد حظيت بورود مشرف فكم العالى وقرّت بمطالعته عيون آمالى وشكرت لما تفضلتم بابدائه وسررت بما تطولتم باهدائه واغتبطت بما تكرمتم بحسن بيانه من تأكيد الودّ القديم وتشييد بنيانه والتهنئة بما تجدد لدىّ من نعم الله تعالى علىّ فكان نزهة النواظر وبهجة الخواطر وبغية القرائح ومسرة الجوانح هذا وانى مازلت اسمع أحاديث علاكم متصلة الاسناد فأطرب على السماع وأنشر من مدائح محامدكم ما تتعطر به الافواه والاسماع واعتقد مودتكم غنيمة النفس ومناها ومصافاتكم غاية الآمال ونهاية مداها فقد شاع من محاسن شمائلكم السامية وغرر مزاياكم الكريمة وجلائل فضائلكم النامية وقيامكم بامر الشريعة الشريفة واهتمامكم بتأييد هذه الملة المنيفة ونشر أنواع العدل بين العباد والقيام على أقدام الاقدام فى مناهج السداد ما تناقلته السمار فى اسمارها وسارت به الركبان فى أسفارها وخلدته الأيام فى أسفارها وأجل الشمس الضاحية فى إسفارها حتى اصبحت الليالى متباهية بعلاه حالية بحلاه وصار مصداق الحديث الوارد فى الطائفة القائمة على أمر الله فابقاكم الله للاسلام ساعدا وعضدا وللدين قوة ومددا وللانام ركنا وسندا وللحق عمادا ومعتمدا وأدام عليكم وعلينا نعمه باطنة وظاهرة وحفظنا واياكم بعونه وعنايته فى الدين والدنيا والآخرة

﴿وكتب لسلطان زنجبار﴾

الملك المعظم والسلطان المفخم سلطان جزيرة زنجبار صانها الله تعالى من الاكدار سلام يسفر عن إخلاص المودة سناه وثناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وتحية تتمسك بنفحاتها المحافل وتتمسك باذيالها نسمات الشمائل الى حضرة خلاصة الاماجد الأكارم وينبوع الفضائل والمكارم مفخر الملك والعليا وانسان عين الدين والدنيا من اشرقت صفحات الايام بنور إقباله واتفقت كلمات الانام على شكر خلاله وقرت بسعوده النواظر وترنحت بوجوده اعواد المنابر فكأنها الغصون النواضر الاجل الاكرم الاسعد الامجد الانخم المشار اليه أعلاه حرس الله علاه ولازالت ثغور الملك بمعاليه باسمة ورياح السعد فى نواديه ناسمة وعيون

المطلوب عن سدّته نائمة وغيوث السرور فى ساحته دائمة امين

وبعد فقد وصل الى مشرّفكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فحصل لى مزيد المسرة بصحة مزاج تلك الحضرة وأخبرنى أيضا فلان قبودان سفينتنا الابراهيمية انه لما وصل الى جهة ممالككم المحمية حظى من جنابكم العالى بحسن التشريف وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لدىّ ما ناله هنالك من صنوف الالتفات والاسعاد وأوصل الىّ أيضا من طرفكم الشريف فرسين كريمتين من الصافنات الجياد فاحاط بى من السرور والابتهاج بما أبديتموه من معالى هممكم ولاسيما ما تكرمتم به من تشريف تلك السفينة بقدوم قدمكم ما يقصر فى وصفه اللسان ويقصر عن تعريفه بنان البيان ويضيق عنه نطاق التعبير ولا ينفسح له مجال التقرير والتحرير فشكر الله تلك الهمم العوالى وابقاها مادامت الايام والليالى وهذا المحب بحمد الله فى صحة وعافية ونعمة من الله تعالى وافية ولازال مشمول القلب بالمودة اليكم مشغول اللسان بالثناء عليكم محافظا على صدق الموالاة والوداد مواظبا على حسن المصافاة ومزيد الاتحاد والمرجو أن يتصل ذلك بين الطرفين على الدوام وكل مالزم من هذا الجانب فهو رهين الاشارة والسلام

﴿وبما كتبته فرمان من الحضرة الخديوية﴾

قد صدر هذا الفرمان اللازم طاعته الواجب امتثاله ومتابعته خطابا الى كافة القضاة والحكام والمعاونين ونظار الاقسام وسائر المعاونين والمشايخ والعمد والمستخدمين بمديرية كذا زيد قدرهم ليكن معلوما لديكم بوصول أمرنا هذا اليكم اننا جعلنا فلانا مديرا عليكم لما رأيناه فيه من الاهلية والصداقة وحسن الروية فامتثلوا أوامره على الاصول المرعية وبادروا باجراء اشغال المديرية لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضانا عنكم وقد علمتم قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وأنت أيها المدير الموما اليه المعول فى حسن ادارة هذه المديرية عليه قد علمت رغبتنا فى البر والسداد واتباع سبل الرشاد وعمارة البلاد وراحة العباد ونشر لواء الامن والأمان فى جميع القرى والبلدان ومحبتنا للعدل وأهله وكراهتنا للظلم وفعله وشغفنا برفاهية الرعية وحسن حال البرية الذين هم وديعة ذى الجلال

والاكرام في ايدى الولاة والحكام فاعمل انت أيضا على حسب ذلك سالكا في جميع احوالك أحسن المسالك واجتهد في حسن الادارة وتيسير امور الزراعة والصناعة والتجارة ومزيد التمدن والعمارة وتامين الطرق والجهات في جميع الحالات والاوقات وصيانة الاجانب المتوطنين في المديرية والمترددين عليها والاهالي المقيمين بها والواردين اليها وحسن نهو القضايا وفصلها وتوصيل الحقوق الى أهلها وأداء الاشغال الميرية وإدارة أمور المديرية على حسب الاصول المعتبرة والقواعد المقررة ودم على الاستقامة والصداقة التامة والعدل بين الخاصة والعامة فان العدل سبب السلامة والظلم ظلمات يوم القيامة فقم على أقدام الاقدام وشمر عن ساعد الاهتمام في اجراء ما شرحناه على الدوام باذلا كل جهدك واستطاعتك كما هو المأمول في حسن براعتك لتنال زيادة التفاتنا اليك ودوام اقبالنا عليك وليسلك أيضا الجميع على هذا المنهج البديع وليسعوا في اجراء ما شرحنا ويساعدوا في انفاذ ما أوضحنا فبادروا بامتثال هذا الواجب وليبلغ الحاضر منكم الغائب نسأل الله الاعانة والعناية وحسن الهداية في البداية والنهاية

﴿وكتب الى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية﴾

﴿من طرف الجناب الخديوى ليقرأ عليهم﴾

لقد علم لدينا بما ورد الينا من جرنال الوقعات العسكرية وما أوضحه أيضا فلان باشا في معروضاته الشفاهية عما رآه بالعيان ورواه بالبيان تفصيل ما وقع من الحروب والغزوات في نواحي أبوقرون وما يليها من الجهات واحطنا بما ابديتم من الاقدام والشجاعة وما أديتم من الاهتمام والبراعة وما كان منكم من ثبات الجاش والقلب في مواقع الضرب ومعامع الحرب وما شاهدته منكم الاعين وشهدت لكم به الالسن من الهجوم على الجبال الوعرة واقتحام المحال العسرة واظهار الباس والصولة في تأييد الملة والدولة وتبديد من لقيتم من جنود العصاة البغاة وتسخير ما كانوا متمكنين به ومتحصنين فيه من المحلات وتبديد ما أحكموا من استحكاماتهم وتنديد من أقدموا من طغاتهم فاحاط بي من السرور وكمال الانس والحبور ومزيد

الحظ

الحظ الموفور بما ملأ الجوانح انشراحا والجوارح طربا وارتياحا واظهر حسن اعتقادى فى شجاعتكم القلبية وبراعتكم الحربية وغيرتكم الملية وحميتكم الجبلية وشفقتكم باعلاء شان الوطن وابقاء الذكر الجميل والصيت الحسن واكد ذلك ماشهدت به الانام من سوالف الايام للعساكر المصرية وضباطها الجهادية من قدم الصدق فى الحروب وحسن السابقة فى الخطوب وثبات القدم والجنان اذا طاش قدم الهلوع وطار قلب الجبان فانهم خلدوا فى أوراق الليالى علاهم وقلدوا فى اعناق المعالى حلاهم بما لهم من الوقائع المشهورة والمواقف المشكورة وقوّة الباس على الاعداء وشدّة الصولة والبسالة فى مواقف الهيجاء ومابنوه من منار الفخر والمجد على أساس الشرف والمظهر وما اجتنوه من ثمرات النصر من ورق الحديد الاخضر وأنتم أولى بتشييد مابنته اخوانكم الاول وتأييد ماشاع لهم من الفخر والشهرة عند جميع الدول ثم انكم اذا أمعنتم الفكر الثاقب وتبينتم النظر الصائب وتفكرتم فى أعقاب الامور ومصائرها وتدبرتم فى موارد الاحوال ومصادرها علمتم انكم اذا اثبتم ذلك الصيت الممدوح واكتسبتم بمشيئة الله تعالى النصر والفتوح كان لكم ذلك افتخارا بين أقرانكم وسرورا لاهلكم واخوانكم فانّ الاخبار تتناقلها الرواه وتتواصل بالمكاتبات والافواه ثم ليكن على بال منكم ولا يغب طرفة عين عنكم ان هذه البلاد التى انتم لديها والجبال والاودية التى أنتم عليها وحواليها كم سبق فيها من غزوة عظيمة ووقعة جسيمة ووقفة كريمة لاخوانكم الاولين من العساكر المصريين ابرزوا فيها اشرف الراية العسكرية وأظهروا مآثر النجدة والحمية والغيرة الوطنية حتى سارت بحديث وقائعهم الركبان واثنى على محاسن بدائعهم كل لسان فما هنالك من بقعة الاوفيها وقعة ولا من موطئ قدم الاوفيه اريق دم فمضى من استشهد منهم فائزا بالثواب والاجر وعاد من بقى حائزا للفخر والنصر وها أنتم من نسلهم واخوانهم ومن أبناء أوطانهم وأنتم خير خلف لاولئك السلف كما ان هؤلاء العصاة نسل من كان بها من اهاليها وهذه الجزيرة التى انتم بها هى بعينها التى كانوا فيها فمهما اقدمتم ونصرتم واقتحمتم وظفرتم كان ذلك لمن بقى هنالك من أرواح الشهداء روحا وريحانا وتكرمة واحسانا كما أنه يجعل لكم

فى جميع الآفاق شرفا وشانا ويمكن لكم بين الرفاق عزة ومكانا ونقيم لكم على الشجاعة والبراعة دليلا وبرهانا ثم انكم عند عودتكم بعون الله القوى المتين حاملين رايات الفتح المبين رافلين فى حلل النصر والتمكين يكون لكم ذلك شرفا سرمدا وافتخارا تحدثون به على المدى حتى اذا التفت عليكم المحافل واجتمع لديكم المستخبر والناقل كان لكم بذلك لسان ذاق وصوت صهصاق وتجدون حينئذ للبراعة مقالا وللفخر بالشجاعة مجالا وترون لاقوالكم من يصدقها ولاخباركم من يحققها وهذه لذة الرجال ومزية الابطال فهل للرجل فخر أعظم من هذا الحال وهل له فضل على المرأة الا باقدامه على الخطوب واقتحامه الاهوال وهل يتميز الشجاع الصنديد من الجبان الرعيد الا فى مواقف القتال ومواقع الحرب والنزال وهل للعسكرى شرف يكتسبه الا بين البنادق والمدافع وهل له فخر يذكره أو يذكر به الا بما يبديه فى تلك الوقائع وهل لكريم الحرّ ارب فى الحياة الا الفخر يقتنيه بصعب يرتقيه وذكر جميل يبقيه بأثر جليل يبديه فاذا العسكرى لم يكتسب الفخر فى مجال الحروب فأىّ فرصة يترقبها وأىّ حالة يتطلبها لاستحصال ذلك المرغوب وانى ما اخترتكم لهذا الأمر العظيم الا لاعلاء شأن الوطن الكريم واعلان مالكم من الصيت والفخر القديم لحسن اعتقادى فى صغيركم وكبيركم وحسن نظرى فى مأموركم وأميركم وقد لاح من مساعيكم تاييد ما أملته فيكم وظهرت بحمد الله بشائر النجاح وسفرت أشائر الظفر والفلاح وانما الاعمال بخواتيمها وثمرات الامور فى تتميمها ورجائى من منن الله العظيمة وألطافه العميمة ثم أملى فى طوياتكم السليمة ومساعيكم القويمة ان تكون العاقبة خيرا والختام حسنا وان تفوزوا بالأجر والثنا وان تدوموا على منهج السداد والاجتهاد فى الجهاد والقيام على أقدام الاقدام وبذل الجدّ والجهد والاهتمام حتى ينتهى الامر ويستكمل النصر ويزول اثر الاختلال وتستقرّ الاحوال وتعودوا ان شاء الله منصورين فرحين مسرورين مستبشرين بعناية الله العلية فى ظل السلطنة السنية واعلموا ان جميع أخباركم تنقل فى جرنال الوقعات فتعلم لدىّ احوالكم فى جميع الحركات والسكنات حتى كانى مقيم لديكم وحتى كانى أراكم وأنظر اليكم فكل من فاق اقرانه فى الحروب

وأبدى

وأبدى من الاقدام والحمية ماهو المطلوب فله مايسره من المكافآت وحسن التلطيف ومزيد الالتفات فاعلموا ذلك واعملوا على حسبه فى كل آن ومكان وأدّوا من الاقدام والاهتمام غاية الاستطاعة ونهاية الامكان وقد اصدرت أمرى هذا اليكم اعلاما بما حواه ودستورا يعمل بمقتضاه واعلانا بسرتى من حسن صنيعكم وايذانا بفرحى وابتهاجى بجميعكم واستفسارا عن خواطركم وافتخارا بمفاخركم أمدّكم الله بعنايته وعونه وجعلكم فى حرز رعايته وصونه وأدام توفيقى واياكم لما يرضاه والسلام عليكم ورحمة الله

﴿وكتب أيضا من الحضرة الخديوية الى من باشر واقعة﴾

﴿أرقازى من الضباط الجهادية وافراد العساكر المصرية﴾

سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لاولكم وآخركم ويسدى لأموركم وآمركم لازلتم محفوفين من الله بنصره محفوظين بامره غالبين على عدوكم بقهره منقلبين فى نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم فى كروب الحروب عزائم وثغوركم فى قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجح والتمكين علائم واياكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والفخار فى رواحكم وغدوكم نواسم

وبعد فمازلت اتشوق من اخبار شجاعتكم مايسر الخواطر وأتشوف من آثار براعتكم مايقر النواظر واثقا بعزمكم وحزمكم فى المضايق مبتهجا بما ابديتموه من حسن السوابق حتى وردوا بور الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية بيوميات الوقائع العسكرية مشتملة على وقعة أرقازى وتفصيلاتها وماكان من رسوخ أقدامكم وثباتها واقدامكم فى جهاتها واقتحامكم مضائق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير اشقياء العصاة وكماتها حتى زلزلت صياصيها وذلت نواصيها ودنى لكم قاصيها ودان عاصيها فهكذا تكون رجال الجهاد وابطال الجدال والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فقد اسفر لكم بحمد الله وجه التهانى وأثمر فيكم بعون الله غرس الامانى وأيدتم ماثبت للعساكر المصرية من حسن الشهرة فى الامور العسكرية فحصل لى من الانس

والسرور بهذه البشارة مالم تقدر الانس أن تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشارة وتايد فيكم حسن أنظاري وظهرت ثمرات أفكاري وتحققت انكم بعد الآن بعون الله الكريم لاتزلون عن هذا الطريق القويم ولا تزالون في تاييدما لكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصركم بين الاهل والديار وسارت الركبان بمحاسن هذه الاخبار كما نقلته صحف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرحت صدور اهالكم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت ثغور أوطانكم وافتخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول في ألطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في حميتكم الملية وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قرب وينتهي أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعودوا لوطننا العزيز ظافرين بالتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقي الاقل والحرب للرجل العسكري والبطل الجرى سوق عظيم وموسم كريم تشترى فيه غوالى المعالى باعلى الغوالى وتنال فيه منازل الاكارم في ظل السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق برامي المدافع والبنادق وقد علمتم أن الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لاتقصر الآجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لايؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لاتقبل التغيير ولا التقديم والتأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الأخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في تواريخ الزمان فداوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا باداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والأقدام وأنجزوا بمعونة الله تعالى هذا المرام وكما جودتم براعة المطلع احسنوا براعة الختام

﴿وكتب في أوائل عهد الجناب الخديوى عن حضرته الى ملك دارفور﴾

حمدا لمن ألف بين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخوانا في الدين وصلاة وسلاما على رسول جنابه وسيد أحبابه وعلى آله وأصحابه من كافل الديار المصرية وما والاها من الاقطار السودانية الى حضرة صفوف السيادة الاماجد الجامع ما تفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلى وقرة عين المجد الاعلى بحر الفضل

الزاخر

الزاخر وبدر سماء المحاسن والمفاخر وفخر الاوائل والاواخر الملك المعظم السلطان المفخم محمد بن الحسين المهدى سلطان مملكة دارفور حفظه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ويخبر عما فى صميم الفؤاد من صحيح المحبة والاتحاد وتحية يحلو على الالسن حسن تكريرها ويعبر عن صدق الولاء طيب عبيرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنان وسؤال عن الخاطر العالى أدام الله معاليه وحف بطوالع السعود أيامه ولياليه بينما نحن فى انتظار مايرد من الرسائل والثناء على حسن تلك الشمائل وردلنا خطابكم الكريم فقابلناه بمزيد التعظيم وسررنا بحسن صحتكم وما أبديتموه من لطف مودتكم فالله يرعى تلك الصحة و يحفظها ويديم هذه المحبة ويحفظها وقد اوضحتم أن سلفنا السعيد المنتقل الى رحمة ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحله أعالى جناته كان قد جعل فلانا وكيلا فى رؤية اموركم البهية على منهج السداد ونحن أيضا قررناه فى هذه الوظيفة وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلق بتلك الحضرة الشريفة وسيجد منا فى ذلك حسن المساعدة ودوام التسهيل والمعاضدة ثم ما تكرمتم بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من عالى جنابكم قوبل بقبوله عند وصوله والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم ماهو موضح فى البطاقة المطوية مع هذا الرقيم والمرجو ان تتصل بينناروابط الود على الدوام كما جمعتنا علاقة الاخوة فى الاسلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضال وغايات الكمال

ومما ينبغى ان لاتقصر العناية به عن العناية بمقابله هذه المداعبات والمفاكهات الجارية بين الاخوان لما فيهامن تأكيد الود و بسط النفوس واطراح مؤنة التحفظ كما قيل

فى انقباض وحشمة فاذا * لاقيت اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسى على سجيتها * وقلت ماقلت غير محتشم

وتمثيل ذلك ماصدر عن هذا الامير على لسان بعض اعيان تجار الوقت يخاطب أحد الامراء وهو هذا

المعروض على ساحة سيدى الامير لازالت عيون الاقبال لجماه نواظر ورياض

الآمال بنداه نواضر ونسائم البشائر بطيب أخباره خواطر ومصائب المفاخر بحسن آثاره مواطر اني وان كنت من قديم الزمان خليع العنان أجري مع ابي مرة شريكي عنان وفرسي رهان لاأرى صبوة خلاعة الا كنت راكبها ولاذروة رقاعة الا تسنمت غاربها ولاموارد لذة الا استطبت مشاربها ولاداعية شهوة الا قضيت مآربها ولاسوق فسوق الا كنت كنفيها ولاحانة مجانة الاحزت أوفر نصيبها ولاغاية عماية الا كنت لها من السابقين المقدمين ولاراية غواية الا تلقيتها باليسار وباليمين اي تفوقا على عرابة الذي يقول مادحه

رأيت عرابة الأوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اذا حيعل داعي الفلاح قلت حي على الراح واذا قاموا للصلاة والصلاح قمت للاقداح في اكف الملاح فما ذكر الفرح الا ذكرت ولا حضر القدح الا سكرت ولا ورد الطرب الا وردت ولا شهد الخير الا شردت فلولا أن ابليس وهو امام الخلاعة ورئيس الجماعة في هذه الصناعة وعد بالخلود وانظر الى اليوم الموعود لجعلني من بعده وصيا كما اتخذني صفيا وكان لي وفيا وبي حفيا بل لو انصف وخالف هواه وترك التكبر وهو أول بلواه لاتخذني له معلما وقام بين يدي متعلما

اذا علمته من اصل صنعته * مالم يكن قط يأتيه على بال

هذا من الطف انواع الحل وأدقها وكنت عزمت على ايراد امثلة له ولكني اكتفيت بالاشارة وفيها للبيب غنى فان هذا الكلام مختلس معناه اختلاسا أدبيا صناعيا من قول بعض السلف

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بي الحال حتى صار ابليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحدث بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

ومن أراد استيفاء الاطلاع على انواع الحل والاستعانة ببسط معاني الآية والحديث والشعر فلابن الأثير في ذلك رسالة اورد فيها تلك الانواع من انشائه وهي موجودة بدار الكتب الكبيرة رجع القول ولكنني الآن قد تنسكت فيمن تنسك وتمسكت بطيب اذيال التقى فيمن تمسك

وقلت

وقلت للقلب كف وارجع * واحذر من النار ان تمسك

فأنا الآن باسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله بين خشوع وخضوع وسجود وركوع وصلاة وصلاح ونجاح وفلاح واوراد وأذكار وبركات وأسرار لا اعني اسرار الشيرة فقد تركت هذه العشيرة وانما هي أسرار الانفاس وإن كانت هذه أيضا لا تخلو عن إلباس والحاصل أني لزمت الخير والتقوى وتمسكت من طاعة الله بالسبب الاقوى فمن رآى الآن صلاح شاني لم يشك ان أبا نواس انما قال عن لساني

ارعوى باطلي وأقصر جهلي * وتبدلت عفة وزهادة
لو تراني ذكرت بي الحسن البصري في حال نسكه أو قتادة
من خشوع قرنته بنحول * واصفرار مثل اصفرار الجرادة
التسابيح في ذراعي والمصحف في لبتي مكان القلادة
فاذا شئت ان ترى طرفة تعجب منها مليحة مستفادة
فادع بي لا عدمت تقويم مثلي * وتفطن لموضع السجادة
تر إثرا من الصلاة بوجهي * توقن النفس أنها من عباده
لو يراها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده

خاطب الحسن بن هانئ أبو نواس بهذه الابيات الفضل بن الربيع الوزير وكان حبسه يستتيبه رجع فهذه الآن حالي وان كانت تستغرب على أمثالي ترى علي سيما الابرار وعلائم المتقين الأخيار السبحة في كتا يدي والسواك خلف أذني وزبيبة الصلاة بين عيني والدراويش حوالي ووجهي من نور العبادة كانما دهن بالزيت وأنا من البيت الى الجامع ومن الجامع الى البيت أقوم الليالي الى الاسحار في ذكر واستغفار وأطوف بالنهار على مقامات آل البيت الأطهار ليسعف الله رجائي ويقبل صالح دعائي في حسن عودتكم سالمين مع الموكب الشريف رافلين في ظل الاقبال والسعادة والتشريف فهذا غاية المسؤل ونهاية المأمول

وما صدر عن السيد الشيخ الفاضل الجليل علي أبي النصر واتفق انه كان جالسا مع بعض أصحابه على دكان فورد عليهم كتاب سلام من صاحب لهم غائب وكان عند سفره الى طنندتاه استعار برذعة ولجاما فكتب الشيخ جواب ذلك الكتاب وهو هذا

سلام ألذ من أكل البرسيم وتحية ألطف من الرّبة عند البهيم وأشواق ربيعية ومحبة دائما غايظية الى صاحب الطبيعة الشاخرة الناخرة معدن الأنقاط المتكلم فى القماط من يعمل للسماك المفرودوالمثنى احد اخوانه الشيخ على الحسنى بلغه الله من الريف أمله ورده الى المحروسة على عجله آمين آمين بجاه درب التراسين موضع عجوز بتلك الناحية كدرب القمز

أما بعد فقد ورد عزيز جوابكم الشريف المشتمل على أنواع التحريف فعلمنا انكم من حظ الفلاحين فى قرار مكين فحمدنا الله على ذلك وسألناه أن يفتح لكم أوسع المسالك ومن عندنا جميع الاخوان يشير الى غفلتكم باطراف البنان سيما أخيكم على رضوان التائب بعد غيبتكم عن اليونان لقب للحشيشة اصطلحوا عليه وكذا سيدى مصطفى السيوفى فهو يخلع عليكم نصف قياس منوفى وكذا سيدى محمد عربية قد أمر لكم ببوظة الداودية وكذا سيدى خضر شويش فقد برر لكم فى دكاكين الحشيش ومن خصوص البرذعة والالجام فقد رأينا كم لابسيهما فى المنام فحصل عندنا وسوسة شيطانية وتعجبنا فى طبيعتكم الحمارية ونسأل الله القريب المجيب أن يعيدكم الى المحروسة عن قريب أذكرا يها الطالب قول الطغرائى

حلو الفكاهة مرّ الجدّ قد مزجت * بشدّة البأس منه رقة الغزل

وقول البحترى

الجدّ شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جدّ لمن لم يلعب

ولنعد لنقل شئ من جديات ذلك الامير فمن ذلك (ما كتبه من بعض الامراء الى الشيخ العروسى شيخ الجامع الازهر رحمه الله)

أهدى من التحية أسناها ومن الاثنية حسناها الى حضرة شمس سماء المعارف وظل الفضل الوارف بحر الكمال وينبوعه ومفرد المجد ومجموعه مقتدى الانام وشيخ مشايخ الاسلام أطال الله بقاء حضرته وسرنا بأخبار صحته آمين

وبعد لثم راحاتكم والتماس بركات دعواتكم أنهى لحضرتكم البهية انى لما تشرفت بالمثول لدى الحضرة السنية الخديوية قمت عن جنابكم مقام الاعتذار عن الحضور والتهنئة بما يسره الله من هذا الحبور فقوبل ذلك بما هو المأمول من

حسن

حسن الاقبال والقبول وظهر من الجناب العالى التأسف على توعك مزاج حضرتكم والدعاء الى الله تعالى بتعجيل شفائكم وصحتكم وقال أرجو من الألطاف الالهية والمكارم الربانية أنى عند وصولى لمصر المحمية يكون قد زال عن حضرة الاستاذ ماعرض من المرض وحصل من مزيد العافية والصحة على الغرض فاحظى بلقائه واسر بشفائه فبادرت بترقيمه اشعارا بذلك لحضرتكم واستفسارا عن حال صحتكم ودمتم فى مسرة وحسن حال حلية لاجياد المعالى وتاجا لهامة الكمال (وكتب) مولانا الاعز الاكرم المعظم المفخم حفظه الله

اهدى بديع سلام تتكفل بشرح تلخيص المحبة مبانيه وتتضمن بيان مطوّل الوجد والمودّة معانيه وأشواقا يقل البيان عند تبيان أطولها ويكل البنان عن ايضاح مفصلها ومجملها مع دعاء يحلو إطنابه وإيجازه وينتهى بفضل الله الى حقيقة الاجابة مجازه

وبعد فان الداعى قد شرع منذ مدّة من الأيام فى كتابة شرح الاطول على التلخيص للفاضل العصام غيران النسخة التى عثرنا عليها ووصلت يد الافكار اليها رأيناها قد هدم التحريف معمور بياناتها وأطفأ التصحيف نور مشكاتها بحيث لايجد الذهن لباب فهمها مفتاحا ولايرى السارى فى دياجى غلطاتها مصباحا يقول رائيها حين يجد معاهدها تغيرت وبدا عليها الدثور هذه دراهم أقفرت أمزبور محتها الدهور وقد اخبرنا غير واحد ان عندكم نسخة صحيحة من مخلفات حضرة الاستاذ الوالد المأمول من همتكم والمسؤل من حضرتكم التكرم بارسال تغييرة من أوّل الكتاب المذكور ليكون لكم بذلك جزيل الثواب والاجور على يد اخينا الشيخ فلان حامل هذه التذكره اسبغ الله عليكم من الاحسان أتمه وأوفره (وكتب) سلام يسفر عن خالص الوداد ويخبر عما فى الفؤاد من كمال المحبة والاتحاد الى فرع الدوحة العلية المحمدية وثمرة الشجرة المباركة النبوية سلالة الاشراف السادة وصفوة أهل المجد والسيادة حفظ الله حضرته وأدام بهجته ومسرته آمين

وبعد فان الاطناب فى وصف تشوقى الى حضرة السيد أدام الله علاه وزان جيد المعالى بحلاه من قبيل تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح بغير طائل فحسبى أن أكتفى

فى هذا الشأن بشهادة ذلك الضمير المنير فانه ينظر بنور الله تعالى مايضيق عنه نطاق التعبير وبينما هذا المحب مشغول اللسان بالثناء على تلك الحضرة مشغوف الجنان بما يرد من اخبار المسرة وردت مكاتبة سيادتكم فشكرت المولى على صحة سعادتكم وعلمت تفضلكم علينا بالدعوات الخيرية فى تلك الاماكن العلية وهذه منة جليلة يجب شكرها ومنحة جزيلة لايجهل قدرها ولابدع فانكم بضعة النبوة ومعدن الكرم والفتوة بكم نستمطر سحائب البركات ونستفتح أبواب الخيرات وبجدكم يتشفع فى يوم المحشر وبأسلافكم الاماجد يستسقى من الكوثر فلاعدمنا تلك الاخلاق العلية ولاحرمنا هذه المكارم الهاشمية ثم اننى ببركة دعواتكم احمد الله على الصحة والسلامة وأسأله ان يديم علينا وعليكم إنعامه وقد بادرت بتحرير خطابى هذا وأنا احسده على وصوله لذلك النادى المبارك قبلى وأود لو أنى أكون مكانه لاقضى من مشاهدة ذلك المحيا أملى وغاية رجائى ان لاتنسونا مما عودتمونا من الادعية الصالحة وتلاوة الفاتحة بين يدى حضرة سيد الانبياء المكرمين والرحمة العامة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وجميع المنتمين اليه ثم فى باقى ماتترددون عليه من الاماكن الطاهرة والمواطن المشرفة الباهرة التى لايتذكف الثريا الالثم ترابها ولايخفى ظهر الهلال الالتقبيل أعتابها وكل مايلزم لحضرتكم من هذا الطرف رهين الاشارة والاعلام ومنى لناديكم الشريف مزيد التحية والسلام

﴿وكتب من الجناب الخديوى ايام نيابته عن عمه المرحوم سعيد باشا صورة فرمان﴾

صدر هذا الفرمان الواجب طاعته اللازم امتثاله ومتابعته خطابا الى كافة القضاة والحكام والعلماء الاعلام والمشايخ والعمد بالاقطار السودانية من الحكومة العلية المصرية ليكن معلوما لديكم بوصول هذا اليكم انه قد اقتضت الارادة السنية الخديوية بنصب فلان حكمدارا على عموم الاقاليم السودانية لما هو معلوم فيه من الصداقة والاهلية وحسن الروية والادارة السياسية فينبغى ان تطيعوا احكامه وتقابلوا بالسمع والطاعة كلامه وتنفذوا الاوامر ونواهيه وتمتثلوا لما يبديه مما يوافق الاوامر العلية والاصول والقوانين المرعية وبادروا باداء كافة المطاليب الميرية فى اوانها وعدم تاخيرها عن اوقاتها لتفوزوا بزيادة الرضا عليكم وحسن النظر

النظر والالتفات اليكم وانت ايها الحكمدار عليك باتباع التقوى فانها لحصول كل خير هى السبب الاقوى وعامل الناس بالعدل والانصاف واجتنب الجور والاعتساف واستعمل الرشد والسداد وابذل غاية الاجتهاد فى معمورية البلاد ورفاهية العباد ونجاز الاشغال الميرية وحسن إدارة الحكمدارية ورؤية جميع المصالح على مقتضى الاوامر والاصول والقوانين واللوائح والاعتناء براحة البرية وحسن سياسة الرعية فان الخلق فى أيدى الحكام وديعة الله سبحانه فمن أكرمهم أكرمه ومن أهانهم أهانه فاعلم ذلك واتبع احسن المسالك لتفوز بحسن حالك ومآلك وبلوغ غاية آمالك تحريرا فى كذا سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف من هجرة المبعوث باحسن وصف عليه أكمل الصلاة وأتم السلام مالاح بدر تمام وفاح مسك ختام

(وكتب عن بعض الاحبة فى جواب كتاب بوصول هدية)

ان أبدع مارقمه بنان البيان وأبرع مانظمه لسان الافتنان وأبهر ماسمعته آذان الاذهان وأزهر ماطالعته عيون الاستحسان سلام يفوح طيب الود من نفح عبيره ويلوح نشر الوجد من طى تعبيره وثناء يجارى نسمات الصبا بلطف الشمائل ويبارى زهرات الربى بظرف الغلائل مع شوق يقصر عن وصفه لسان التقرير ويضيق عن نصفه نطاق التحرير الى حضرة جمال الدين والدنيا وتاج هامة المجد والعليا الفائز من الشرف الاعلى بالقدح المعلى لازالت ثغور السرور باسمة اليه وظلال الاقبال دائمة عليه

وبعد فبار وضة رعت النسائم زواهر اغصانها ودوحة وشحت الغمائم بواهر أفنانها فباحت فيها الحمائم بترديد أشجانها وصدحت البلابل بتغريد ألحانها واختالت الاشجار من درّ زهرها وفضة غدرانها بين حلىّ خلاخلها وتيجانها بابهى منظرا ولا أشهى خبرا ومخبرا ولا ألطف موقعا ولا اظرف مسمعا من كتاب استكملت انواع المسرّة بوروده واقتطفت فى حدائق المودة أزهار وروده قد جرى به ماء الفصاحة غير آسن وجمع أشتات الملاحة والمحاسن من كل لفظ أحلى من الشهد وألذ من طيب الكرى بعد طول السهد وقد وصف بعض ماأكابده من آلام الفراق ولواعج

الأشواق فكأنما عبربه عن لسان حالى وان قصر دونه لسان قالى ووصل مني ما تفضلتم باهدائه وتكرمتم باسدائه مما هو أثر الوداد وثمرة محبة الفؤاد فالله تعالى يمتع بقربكم قلبا يتقلب فى حبكم ويسر بدوام بقائكم روحا ترتاح لطيب لقائكم ثم الرجا ان لا تنسونا من مراسلات الوداد التى يطمئن بها الفؤاد فذلك غاية المأمول ونهاية المسؤل

﴿وكتب رسالة ودادية تتضمن التهنئة بالعيد﴾

وصلنا الى المحروسة بحمد الله تعالى وبركات توجهات سعادتكم وحسن انظار سيادتكم ونحن نتلو من محامد إفضالكم ما يخجل الدرر فى اسلاكها ونبث من محاسن خلالكم ما يزرى بالدرارى فى افلاكها وقد صدرت هذه المكاتبة عن يد ممتدة الى الله تعالى فى الدعاء بدوام معاليكم وناظر لا ينتظر الا ما يرد من نحو ناديكم وقلب لا يتقلب الا فى محبة ذلك الجناب العالى وخاطر لا يخطر فيه غير تذكر تلك الهمم العوالى فعسى تنوب عنى هذه الرقيمة فيما احسدها عليه من المثول بذلك النادى والوصول الى لثم تلك الايادى الباهرة الايادى والتهنئة بالعيد السعيد المترقب قرب اقباله أبقى الله سيدى الى آلاف أمثاله ممتعا بدوام قبوله وإقباله رافلا فى حلل فضله وكماله ثم ان لزم لسعادتكم خدمة بهذا الطرف فان لنا فى قضائها غاية الشرف والأمر أمركم

﴿وكتب تهنئة بمولود﴾

سلام على سيدى الاعز سلمه الله واسعده وأكثر بفضله عدده وحفظ له ما وهب من نعمه وخوله المزيد من فيض كرمه وقد حظيت بكتابه المبشر والحمد لله بصحة جنابه واستقامة الاحوال لديه وترادف نعم الله سبحانه عليه وما منحه من المولود السعيد القادم عليه ان شاء الله بالرزق الجديد والعمر المزيد فاستوفيت حظى من هذه البشائر موفى موفرا ووجب علىّ الشكر لله سبحانه وتعالى مضاعفا مكررا وابتهلت اليه تبارك خيره ولا اله غيره فى أن يدوم على سيدى من نعماه ويزيده من وافر عطاياه ما يديم سروره وسرورى لحضرته على حسب حظى من محبته واندراجى فى جملته وأن يبارك على هذا النجل النبيل والنسل الاصيل ويمتعه العمر الطويل والخير

والخير الجزيل ويبقى سيدى أدام الله علاءه وأطال بقاءه حتى يرى الكثير من أولاده والجم الغفير من احفاده ممتعا بالسلامة وكمال الكرامة والمرجو من سيدى أدام الله سروره ويسر أموره أن يواصل تعريفى بما يتجدد من سائر أخباره لأشركه فيما يقتضيه واعلامى بما عساه يسنح من هذا الطارف من اوطاره لأفوز بالانتهاء لغاية استطاعتى فيه موفقا ان شاء الله تعالى

(وكتب فى تعزية)

يعز على أن أكاتب سيدى معزيا أو ألم به فى ملمة مسليا ولكنه أمر الله الذى لا يقابل بغير التسليم وقضاؤه الذى ليس له عدة سوى الصبر الكريم وقد علم مولاى اجل الله صبره ولا أراه من بعد الاما سره وشرح صدره ان الله جل ثناؤه وتباركت آلاؤه اذا امتحن عبده فصبر آجره وعوضه بكرمه كما انه اذا أنعم عليه فشكر زاده وضاعف له من نعمه وقد عرف من حال سيدى فى الشكر على السراء مايستوجب المزيد منها والظن بحزمه وعلمه ان يكون حاله فى الصبر على الضراء يستجلب الأجر عليها والتعويض عنها ثم نحن اذا أمعنا فى التفكر ووفينا هذا الامر حقه من التدبر رأينا انا ولو تأخرت آجالنا وطالت آمالنا لسنا فى دار المقامه وقرار الكرامه حتى نحزن على من فارقها او زايلها ولكنا فى سبيل سفر ودار كدر يحق والله ان نغبط من رحل عنها او زايل غوائلها فاجملنا حالا اسرعنا ارتحالا وعلى كل حال الجزع لاينفع وان اغضب الله سبحانه والصبر لايضر وان جاب رضوانه واحسانه والله يسهل لسيدى سبيل الصبر وتحصيل الاجر ويعصمه من شوارد الوزر ومكائد الدهر ويتولى الماضى بالرحمة والانعام والبر والاكرام ويحسن مثواه فى دار السلام وينعم له عند نزول الحمام وانتهاء الايام بحسن الختام

(جواب عن كتاب عتاب)

ورد كتاب سيدى ارشده الله وأسعده ولازال مساعده ومسعده يشكو من جفائى وقلة وفائى مابسط فيه لسانه وأطال به ايده الله بيانه وأدى حقه من البلاغة أداء متفنن متمكن وذهب فيه من سحر الكلام كل مذهب ممكن وغير ممكن حتى انى اقوة تخييله وتصويره وفرط براعته ايده الله فى حسن تعبيره كدت أتوهم انى فعلت

بالم افعل من الذنب وانني استوجبت ما اورده اعزه الله من العتب فلما الفى حزن المعاتبة وخشن على ملمس المخاطبة وأخذمنى اللوم مأخذه إيلاما وبالغ فى مبلغه انكارا واعظاما اردت أن آخذ لنفسى بالحجة والدلالة على سواء المحجة لولا أنى رجعت فذكرت أن مولاى اعزه الله وان ركب من المغالطة فى هذه المكاتبة خلاف رأيه وسلك من المواربة فى هذه المعاتبة خلاف مذهبه الا انه بجلية الامر أعرف وأعلم ومن أن يلتبس عليه الحال بالمحال احزم وأحكم وانما حمله على هذه الطريقة مع كمال علمه ومعرفته بالحقيقة قصد المبالغة فى تبرئة ناحيته ودفع اللوم على أن يلم بعالى ساحته وقدر أنه ان خلص من هذه القضية كفافا لا له ولا عليه فقد بلغ السلامة بما عساه ان يصير من الملامة اليه فان كان هذا مبلغ ما توخاه من ذلك المنحى الذى نحاه فأنا لا اقنع له من النصر بذلك القدر النزر بل احب ان تكون الغلبة له كاملة غير منتقصة ونصرته حرسه الله مهنأة غير منغصة فأنا الخاصم نفسى من جهته واعارضها بحجته وألزمها ان تنزل على حكمه وتنزع الى سلمه واعترف له بجميع ما اجمله وفصله اعترافا يزيل الشقاق ويرد الوفاق ثم اسأله ان يعفو ويصفح عارفا بانه اذا ملك اسجح واذا قدر عفا واصلح فان فعل ذلك فقد فاز مع لذة الظفر والنصر بما يرجوه على العفو من حسن الثواب والاجر وفزت أنا فى الجملة بتحصيل رضاه وعدم الخروج عن موافقة هواه وانفصلنا عن القضية وكلانا فائز بسهمه راض بما حصل فى قسمه وان أبى الا ان يناقشنى الحساب ويتمادى حرسه الله على ذلك العتاب فلن يعدم داعيه فى معرض الجدل شبهة اذ لم يجد حجة وقد جاء فى المثل لا تعدم الخرقاء حيلة وما اظنه يرانى اقل من هذه درجة فليختر لنفسه ما يراه اقرب الى الصواب وليتفضل على داعيه ومحبه وراجيه بالجواب موفقا ان شاء الله تعالى آمين يارب العالمين

﴿وكتب تقريظا لصحيفة الوقائع المصرية حين﴾
﴿أصلح أمرها بعد سابق اختلال اعتراها﴾

لا ريب ان كل من عرف التمدن وشم عرف التفنن وأخذ بنصيب من الفهم والتفطن كان احب شئ اليه وأوجب أمر لديه أن يكون مطلعا على وقائع مصره عارفا بما

تجدد

تجدد بين بني عصره من حوادث الزمان وعجائب عالم الامكان وما هو صائر في الممالك المتمدنة ودائر بين الملوك المتمكنة وما هو جار بين الدول المتفقة والملل المتفرقة من عهود تجدد وشروط تؤكد وآثار تغير وصعاب تيسر وما بينهم من نزاع ومقاتلة وخداع ومخاتلة وسكون وهدنة وحركة وفتنة وما حدث في احوال التجارة وأمور السياسة والادارة وما ابدته فحول العقلاء في مجامعها وما استبدأته عقول النبلاء من بدائعها وما ظهر من روائع الصنائع وعوارف المعارف وطرائف اللطائف فتتسع دائرة اطلاعه ويمتد الى المعالي طويل باعه ويعرف العوائد مذمومها ومحمودها ويميز الآراء راجحها ومرجوحها فيجتني ثمرات الافكار ويقتني محاسن الآثار ويتمتع وهو مستريح بنتيجة ما تعب فيه غيره الليل والنهار ويكون كأنما طاف مشارق الارض ومغاربها وجرب جميع الامور ودرى عواقبها فلا تكاد تنزل بساحته حادثة الا وقد أحاط علمه بنظيرها وعرف غاية مصيرها وكيف يفتح باب النجاح في حسن تدبيرها الى غير ذلك من المنافع الجمة وغرر المحاسن المهمة التي يقصر عن حدها اللسان ويقصر في عدها البيان ولا مرية في ان صحف الاخبار هي الحافلة بهذه المزايا الكافلة باستخراج فرائد الفوائد من خبايا الزوايا فهي جهينة الاخبار وخزينة ذخائر الافكار وصيقل الاذهان ومرآة حوادث الزمان وهي الجليس الذي تعجب نوادره والانيس الذي يطرب حديثه من يسامره والخليل الذي لا يستر منك امرا ولا يخبأ عنك خبرا ولا خبرا والنديم الذي لا تخاف عربدته والصاحب الذي تسرك مودته وهي السائح الذي يطوف البلاد ويأتيك باخبار العباد ويعرفك أحوال زمانك وأنت لا تبرح من مكانك ثم مؤنته هينة ومعونته بينة تنتفع منه وتستفيد ولا تصرف عليه في العام غير شئ زهيد فالنبهاء من الناس لا يفترون عن هذه اللطائف ولا يفترون من مطالعة تلك الصحائف وقد كانت صحف الوقائع المصرية في الممالك الاسلامية من الصحف الاولى الراقية من مراتب الاجادة والافادة الى الدرجة الاولى ثم عدت عليها عوادي الزمان فبقيت في حضيض الاهمال تحت ذيل الهجران حتى نسجت عليها عناكب النسيان الى أن أعادها معيد رسوم المعارف بعد اندراسها وباني بيوت المعالي على محكم أساسها بدر فلك الحكومة

المصرية وشمس سمائها الماحي بأنوار همته السنية حنادس ظلماتها المقتدي بوالده الماجد وجده الكريم سمي سيدنا اسماعيل بن ابراهيم أبقاه الله ذخرا للفضل وأهله ولا برحت مصر معطرة الارجاء بأريج عدله الا أن الصحيفة المذكورة لم تعد في النشأة الآخرة الى حالها الاولية حتى لقد بقيت مدة من الزمن خالية عن الاخبار الاجنبية وكثير من الحوادث الداخلية وتالله لقد كنا ننظر اليها نظر المتأسف وننتظر اصلاحها انتظار المتلهف ونراها بحال عليل كل من رنا اليه رثى اليه وكلما ابصره اهله تمنوا أن يقضي له الشفاء أو يقضي عليه ولما كان ما بها من تلك الحالة على ضد المقاصد العلية الداورية ولم تزل العناية السنية منعطفة لتقدم احوال هذه الديار المصرية وكان ممن يعلم ذلك حق يقينه الامير الجليل الذي لا يسمح الزمان بقرينه العلم المفرد في العلم والادب ومعالي الهمم البارع المتقن المتفنن في لغة العرب والترك والعجم حضرة احمد بيك خيري مكتوبي الجناب الداوري اهتم بتحسين هذه الصحيفة واصلاحها وأشار الى مأمورها بما يكون فيه حسن نجاحها وساعد على انفاذ هذه النية السنية صاحب المعارف الباهرة والافكار الزاهرة والهمم العلية حضرة محمد شريف باشا ناظر الامور الداخلية والخارجية والمدارس المصرية فعادت كما بدت وأحسن بهمة المشار اليهما وغدت بلسانها الفصيح تثني على الجناب الاكرم الخديوي ثم عليهما وناهيك بازالة ما كان في وجهها من الخط الثقيل واستبداله بما تراه الآن من الخط الجميل الذي صار في مطلعها براعة استهلال لما قد انتقلت اليه من لطف الاسلوب وحسن الاحوال فوجب على اهل الوطن العزيز وأصحاب المعارف والتمييز أن يشكروا فضل هذه الهمم الخيرية بمدخير الدعاء للحضرة الداورية فانها الاصل الاصيل في الاصلاح والمرشد الدليل الى سبيل النجاح ونرجو من محرر هذه الصحيفة ومأمورها والقائمين بادارة أمورها أن لا تزال راقية في مدارج الكمال رافلة في حلل الحسن متحلية بحلى الجمال فائزة بسلوك جادة الاجادة حائزة براعة العبارة وكثرة الافادة بحيث تكون حلاوة مبانيها وطلاوة معانيها والطف أساليبها وظرف تراكيبها أنموذجا لمن يتعلم حسن التعبير والتقرير ومثالا يقتدى به من يروم تحبير التحرير مع استيفاء الاخبار الداخلية

وما يلزم

وما يلزم من الحوادث الاجنبية وإنباء الاخوان من ابناء الاوطان بما يعود عليهم نفعه ويعظم لديهم وقعه وارشادهم لما يفيدهم مزيد التقدم فى التمدن وتنبيههم على ما يقبح من العوائد وما يحسن وانما قلت ما قلت وأكثرت فى هذا الرجا وطولت لان فى مأمورى هذه الصحيفة اهلية لما أملت والمأمول من سكان الديار المصرية ولاسيما أهل هذه الحاضرة البهية أن يقبلوا على صحائف الوقائع ويلتفتوا اليها ويرغبوا فى مطالعتها ويحرصوا عليها ويتبعوا ما ينبهون عليه من الامور النافعة والعادات الحسنة ليكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أليس هذا أولى من الامور العبثية كالعكوف على الملاهى وسماع القصص الخرافية مثل ما اشتهر من قصة سيف بن ذى يزن وحكاية عنترة والظاهر وابراهيم بن حسن وامثال ذلك من الحكايات التى أكثرها اكاذيب وتمويهات واسوأ من ذلك حال اقوام ينتدبون للمشاجرة فيما شجر بين الصحابة ويتجاذبون اختلاف الخلاف فيما ينسبون لبعض هذه العصابة من الخطا والاصابة على أن بعضهم لا يعرف وجه ما يخوض فيه ولا يدرى على الحقيقة كنه ما يخرج من فيه وانما هو تقليد بلا دليل وخبط على غير سبيل لاسيما والثوار يخ مضطربة الاقوال على حسب اختلاف الاغراض والاحوال ولا ثمرة للخلاف ولم نكن حاضرى المصاف فياليت شعرى اى معنى فى هذا العناء الباطل واى طائل وقد نهانا عن الخوض فى ذلك اكابر العلماء الافاضل وهل ذلك لزعم مثوبة اخروية أم لتوهم فائدة دنيوية ان كانت الاولى فعندنا ما هو اولى مثل دراسة كتاب الله القديم وكلام نبيه الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم وعلى اهل بيته الطيبين الاطهار وصحابته الخيرة الابرار ومثل تعلم اصول الدين وعقائده والاشتغال بمعرفة آدابه الشريفة وقواعده الى غير ذلك من الاعمال الفاخرة الجالبة خيرى الدنيا والآخرة وان كانت العلة الحاملة حصول الثمرة العاجلة فثم مسالك اقرب لذلك كاجتهاد الانسان فى نحو تجارته وذراعته واهتمامه بازدياد براعته فى صناعته والتوسل الى توسيع دائرة المدنية بالجد والجهد فى الفنون والمعارف الانسانية وعقد الشركات فى الامور النافعة والاستعانة باجتماع الايدى على اجتناء ثمرات الربح اليانعة فانه يتهيأ للاثنين ما ليس للواحد به استطاعة وحسبك

بما ورد يد الله مع الجماعة وبالجملة فان فى الشركة من عظيم الخير والبركة ماتشهد به العينان ولا حجة أكبر من العيان الا ترى الى هذه الشركة المعنونة بالقومبانية العزيزية المصرية المؤسسة فى ظل الحضرة الملكية بحسن الهمم العلية الداورية كيف نجحت أسبابها وانتفعت بفوائدها اربابها وسلكت على احسن سبيل فى البحر الملح وفى نهر النيل وكيف صارت عونا حسنا على التجارة والسياحة وتسهيل طريق الحجاج بعناية الله الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وإنا لنرجو لها مزيد التقدم بجليل همة الجناب الخديوى وجميل إقدامه ونراها كالطفل بانت علائم نجابته قبل إبان فطامه لاشك انها من حسنات ولى النعم الخديوى الاكرم الداورى الافخم الذى تعطرت الافواه بطيب ذكر حسناته وتحلت الشفاه بكرر شكر آلائه فأدام الله دولته السنية غرة فى جبهات الاعصار كما جعل حكومته العادلة المرضية قرة لعيون الامصار هذا والمرجو كل الرجا من حضرات اهل المعارف وأرباب الحجا أن لايبخلوا على اخوانهم بما هو فى امكانهم من المقالات المفيدة والآراء السديدة والافكار الناجحة والاخبار الصالحة لتدرج عنهم فى صحف الوقائع وتنشر وتسطر فى صفحات الايام وتذكر فقد تعهد مأمور الوقائع باعلان كل مايرد اليه من هذا القبيل والله تعالى يوفقنا جميعا للخير والرشاد ويهدينا سواء السبيل وقلت مضمنا الشطر الاخير

وقائع مصر الآن فاقت بحسنها * وباهت بما جادت به من بدائع (م)
فدونك من عذب الحديث وحلوه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

وقلت مضمنا أيضا

ياأهل مصر لكم زها نور المنى * وبدا بكم نور المعالى ساطعا (م)
فقطفتمو زهر الحوادث ناضرا * وجنيتمو ثمر الوقائع يانعا

ذلكم أيها الاخوان المنهل الصافى والمورد العذب النمير الشافى اسأل الله لمنشئه دوام حسن عنايته وإنارة بصائركم بانوار هدايته من الاتفاق الغريب أن كان بجمل حروف قوله تعالى قال انى عبد الله آتانى الكتاب تاريخ مولد هذا الامير حرسه الله وبلغ به أقصى مناه وألتمس من اذكياء الاخوان وكلهم أذكياء ان يحرصوا على دراسة هذا المجموع

المجموع بغاية الاعتناء ويتخذونه مبدأ للتعاليم ومن اراد التوسع بعد فقد عرف الصراط المستقيم وقد اذنت لمن وثق من نفسه ان يوضح مايراه موضعا للايضاح وان يصلح مادعى السهو فيه الى نوع اصلاح والله سبحانه لى ولكم نعم المعين والوسيلة اليه فى ذلك سيد المرسلين صلوات الله وتسليماته عليهم اجمعين ورضاه عن اوليائهم وسائر التابعين

يقول أسير الشهوات وكثير المساوى والهفوات راجى التجاوز عن زلاته وآثامه حسن ابن الشيخ أبو زيد سلامه غفر الله ذنوبهما بمنه واكرامه وأثابهما جنته بفضله وانعامه والمسلمين أجمعين بجاه نبيه الصادق الامين بعد حمد من جعل لغة العرب وسيلة لمعرفة فنون الادب والصلاة والسلام على أشرف منتخب وآله وأصحابه الفائزين باعلى الرتب والتابعين المتمسكين من التقوى باقوى سبب قد تم باسعاف الالطاف الجليلة طبع مجموع لفنون الادب وسيلة حوى من كل علم أحسنه واشتمل على نفائس درر مستحسنه بنات فكر اخترعتها فكرة سليمة وعرائس خدر ابرزتها محاسن كريمة فهو وسيلة الادب ومبلغ لتمام الارب جمعه العلم الشهير البحر الحبر النحرير صاحب البيان الوفى من به الفؤاد من سقام الجهالة يشتفى علامة وقته وفريد عصره الشيخ حسين المرصفى لازال ملحوظا من الجليل بكمال العناية محفوظا برعاية الكريم فى البداية والنهاية غوثا يسح وينزل وبحرا يفيض ويسترسل والنصح ان يصل هذا المجموع إليه أن يعض بنواجذه عليه لينال غاية مايتمناه ويفوز بتحصيل ماقد حواه ويخرج من ربقة أسر الجهل ويفوز بدرجة أهل الفضل وليتلق هذا الجامع بحسن قبول ويرجو من الكريم الى فهم مافيه الوصول وكان تمام طبعه وحسن ترتيبه ووضعه بمطبعة وادى النيل البهية بخط باب الشعرية من مصر المحمية فى ظل ولى العهد والتوفيق أفندينا محمد باشا توفيق جعله الله رحمة على العباد وغيثا مريعا لكل حاضر وباد وقوّم بعدله حال الرعية وعم بفضله سائر البرية مصححا بمباشرة هذا العبد الفقير الكليل الخاطر الكسير أوائل شهر الله رجب الاصم الاصب سنة ١٢٩٦ ست وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من كان يرى من أمامه كما يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه وكل منتم اليه ما ابتدئ مسك ختام وفاح ونادى المؤذن حى على الفلاح آمين

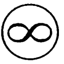
فهرست وسيلة الادب

صحيفة

صحيفة

تمت فهرست وسيلة الادب

This preservation photocopy
was made and hand bound at BookLab, Inc.
in compliance with copyright law. The paper,
Weyerhaeuser Cougar Opaque Natural,
meets the requirements of ANSI/NISO
Z39.48-1992 (Permanence of Paper).



Austin 1994